معهد تونس للترجمة



راضي دغفوس

اليمن السعيد
من بلقيس إلى علي

ترجمة

محمود طرشونة

مراجعة

فوزي محفوظ



اليمن السعيد
من بلقيس إلى علي

المركز الوطني للترجمة

راضي دغفوس

اليمن السعيد
من بلقيس إلى علي



ترجمة
محمود طرشونة

مراجعة
فوزي محفوظ



دغفوس، راضي - **اليمن السعيد من بلقيس إلى عليّ** - تـرجمة طرشونة، محمود - الحجم: 15,5 x 24 سـم - عدد الصفحات: 510 صفحة - دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، 2015، سلسلة: **أنوار قرطاج.**

ر. د. م. ك. : 978-9938-877-17-5

اليمن - بلقيس - الفرس -الحبشـة - صنعاء - الرسول محمّد - إسلام - الردّة - الفتنة الكبرى - دغفوس، راضي طرشونة، محمود

الأفكار الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز الوطني للترجمة.

LE YAMAN ISLĀMIQUE DES ORIGINES JUSQU'A L'AVENEMENT DES DYNASTIES AUTONOMES
(Ier-IIIème S./VIIème-IXème S.)



37، شارع الحرية - 1002 - تونس
الهاتف: 153 833 71(216+)/(+216)71 833 179
الفاكس: 073 833 71(216+)
الواب: www.cenatra.nat.tn
البريد الإلكتروني: tarjamah@cenatra.nat.tn

كلمة المترجم

اقترح عليّ المركز الوطنيّ للترجمة تعريب كتاب الزميل راضي دغفوس «اليمن الإسلاميّ من الجذور إلى قيام الدول المستقلّة (من القرن الأوّل إلى الثالث / السابع إلى التاسع)»، فاستهواني الاقتراح أوّلا لطرافة موضوع الكتاب المتعلّق بقطرعربيّ قلّما يُهْتَمّ بتاريخه بمثل هذا العمق وهذه الدقّة، ثانيا لأنّ مملكة سبأ وعصر بلقيس وسدّ مأرب وأصحاب الفيل وسيف بن ذي يزن هي من المواضيع التي تُغري بمزيد الاطّلاع على تفاصيلها إذ انتقلت على مرّ الزمن إلى النصّ القرآنيّ أو إلى القَصص الشعبيّ، وتحوّلت إلى أساطير تقتضي معرفة الحقيقة التاريخيّة التي انطلقت منها قبل أن تتضخّم وتحرّف. وبما أنّ هذا الكتاب في الأصل رسالة دكتورا دولة ناقشها الباحث في جامعة فرنسيّة فإنّها تبعث إلى الاطمئنان إلى نتائجها وتدقيقاتها، وتبعث على المقارنة بين أحداث الماضي وقضايا الراهن واستشراف المستقبل، وقد عاد اليمن اليوم إلى واجهة الأحداث الأليمة.

ومع اعتماد الترجمة كلّيّا على النص الأصلّي المكتوب بالفرنسية، فقد رأينا أن نتصرّف – بعد موافقة المؤلّف طبعا – في بعض الجزئيات اقتضتها طبيعة النشر منها:

1 - تعويض العنوان العامّ بعنوانين أحدهما للكتاب الأوّل: «**اليمن السعيد من بلقيس إلى عليّ**»، والآخر للثاني: «**اليمن الإسلاميّ من معاوية إلى المأمون**». وبذلك يستقلّ كلّ كتاب بفترة زمنية متكاملة العناصر، مادّة وفهارسَ ومصادرَ ومراجعَ وملاحق.

2 - إلحاق الفصل الأوّل من الباب الرابع بالباب الثالث من الكتاب الأوّل نظرا إلى علاقته باليمن في عهد الخلفاء الراشدين، وبذلك يستقلّ الكتاب الثاني بتاريخ اليمن في العصرين الأمويّ والعبّاسي.

3 - تحيين قائمة المصادر والمراجع: أنجزه المؤلّف مشكورا، فضلا عن مراجعته الدقيقة والمتأنّية لكامل الكتاب، مدقّقا رسمَ بعض الأعلام والأماكن والهوامش والفهارس.

الإهـــداء

إلى أبويّ رحمهما الله،

إلى أبنائي نوال وغيلان ورحيق،

إلى زوجتي نادية،

إلى جميع رُسُل السلام والحريّة والتسامح في العالم،

إلى الشعب اليمني الصديق.



شكــر

هذا العمل الاستقصائيّ المتعلّق بالماضي في العصر الوسيط باليمن مَدِين أساسا إلى الأستاذ المتميّز كلود كاهان (Claude Cahen) الذي أَوْعَزَ لي بموضوعه، وشجّعني طيلة سنوات على عدم التخلّي عنه رغم صعوبة المهمّة وشحّ المصادر المخطوطة منها وحتى المطبوعة.

أشكر أيضا شكرا جزيلا الأستاذ جان كلود قرسان (Jean Claude Garcin) الذي قبِل الإشراف على هذا العمل في آخر مراحل إنجازه فمكّنني من إنهائه مضحّيا بجزء كبير من وقته خصّصه لقراءة المخطوط وإصلاحه مقترحا تحويرات ذكيّة تتعلّق بمخطّطه.

وأعبّر عن امتناني أيضا للأستاذ هشام جعيّط الذي تابع باهتمام تقدّم بحوثي في اليمن الإسلامي، غيْر متردّد في إسداء النّصح لي وتشجيعي كلّما أعْلَمْتُه ببعض مشاكل التخطيط والحدود الزمنيّة وغيرها.

وأشكر بصفة خاصة الأستاذ المتميز السيد جان دفيس (Jean Devisse) الذي أسدى إليّ، رغم المشاكل الصحيّة الخطيرة التي اعترضته، النصح والمساندة، مضحّيا أيضا بوقت ثمين.

وليُسمح لي كذلك بشكر جميع من ساعدوني، كلّ من موقعه، وأخصّ بالذكر صديقي المرحوم عمر السعيدي، وزميلتي وصديقتي منيرة شابوتو الرمادي، والسيد كريستيان روبان (Christian Robin)، والأب إيتيان رينو (Renaud Etienne) والسيد قيشار (Guichard)، والسيد روبار ديلور (Robert Delort)، والعالِمَيْن اليمنيّيْن الأخوين محمّد واسماعيل الأكْوَع.

وأعبّر عن امتناني أيضا لكلّ المؤسسات التالية: كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، ومكتبة هذه الكلّية وعلى رأسها السيد محمّد عبد الجواد، والمدرسة الفرنسيّة بروما، والمكتبة الوطنية بباريس، ومكتبة الفاتيكان، ومؤسّسة كايتاني (Caetani)، والمعهد البَابَوِيّ بروما، واتحاد المؤرّخين العرب، بفضلهم جميعا أمكن لي تجاوز عقبة البيبليوغرافيا وخاصة كلّ ما يتعلّق بالمصادر اليمَنيّة المخطوطة وبعض المصادر العربية القديمة.

وأوجّه شكرا خاصا لجميع العاملين في مخبر الخرائط التابع لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس وعلى رأسهم السيدة العبيّد، إذ يسّروا لي إنجاز الخرائط التي تضمّنها هذا المؤلّف، كما أشكر الآنسة وحيدة الزوّالي التي تحملت مشقّة رقن كامل هذا البحث فضلا عن أنشطتها الأخرى.

وفي الختام، أرجو أن يجد هنا جميع الأساتذة والزملاء والأصدقاء آنفي الذكر، أصدق عبارات الاعتراف بالجميل لمساهمتهم الثمينة في استكمال هذه الدراسة التاريخية عن اليمن الإسلاميّ.

تصـــديـــر

«لكن إذا كان دور المؤرّخ جميلا، فإنّه في كثير من الأحيان خطير. فتصوير أعمال الرجال، لا يكفيه دائما الإحســاس بروح عالية، وخيال قويّ، وذهن دقيق وصحيح، وقلب عَطوف وصادق؛ فهو يحتاج أيضا إلى طبْع مقدام؛ ينبغي أن يكون المؤرّخ مهيّئا أيضا لقبول جميع أشكال العَناء، وأن يضحّي مسبقا براحته وحياته الخاصّة».

شاتوبريان (Chateaubriand)

مقتطف من كتاب «مسار من باريس إلى القدس»

تقديم

إنّ المؤلّـف الـذي قدّمه راضي دغفوس هو ثمرةُ عمل أشرف على معظمه الأسـتاذ كلود كاهـان (Claude Cahen)، ولم يغادرنا هذا المعلّم المختص في تاريخ الإسـلام في العصر الوسيط، في نوفمبر 1991، إلاّ قبل مناقشة هذه الأطروحة بأيّام قليلة. وكان يمكن أن يسعد دون شكّ بمعرفة ثمرة هذا البحث الدقيق لو سمح له مرضه بذلك.

فقـد جمّع راضي دغفوس في هـذه الأطروحة كتلـة توثيقيّة مُدْهشـة عن اليمن الإسـلامي الأوّل وحلّلهـا. وإنّ اللجـوء إلى كتـب الأخبار التي تمدّنـا دوْما بكلّ تفاصيل الحدث، قد مكّن المؤرّخ من أدوات انتروبولوجية جيّدة. ومن ناحية أخرى، يبـيّن عمل الباحث بوضوح كيف يُمَكِن اسـتعمال المقاربة التشـخيصيّة من إعادة بناء تاريخ لبدايات العصر الإسـلامي، في حين توهـم بعض الآراء الراهنة بخصوص نتاج التاريخ العربي أن ذلك مستحيل. وفي هذا دليل ضمنيّ على أنّ البحث في تاريخ ذلـك العصر، يُمْكِـن أن يُنْجَز بطريقة مفيـدة، انطلاقا من توثيـق لابدّ أن نعرف كيف نَتَحَاشـى فِخَاخَه حتّـى يمكّننا من إدراك المعرفة. وهـذا لا يمكن اليومَ إنكار فوائده.

لقد اختيرت نقطة انطلاق الدراسة في أواخر اليمن القديم، وفي هذا بحث لأوّل مـرّة عن قاعدة صُلبة لكتابة تاريخ اليمن الإسـلاميّ. ومـن المفروض أن تضيف هذه الطريقة الكثير. لذلك نتصوّر أنها ستمكّن لاحقا من التثبّت من استمراريّة المجموعات القبليّة خلال أوقات التحوّل إلى الإسـلام. وهي مجموعات متجذّرة في الغالـب في نفس المنطقة الجغرافية، تغيّر ايديولوجيتهـا ولكنها لا تُغَيّر طريقتها في التموقـع في المجموع اليمنيّ، مواصِلةً تطوّرا شُرِع فيه قبل الإسـلام، وتواصل أثناء المعـارك التي طبعت انتصابه. فقرار دراسـة التحوّل من اليمـن القديم إلى اليمن الوسيط يُمثل أهمّ مكسب في عمل راضي دغفوس.

إلاّ أن معرفة الفضاءات والمجموعات معرفةً حميميةً اكتُسبت أثناء الاشتغال على الكتلة الوثاقيّة، فمكنّت من ضبط رسم جديد للخرائط في اليمن، ومن تقديم ملخّصات تأليفيّة مفيدة جدا لم يُسبق إليها، تخصّ في الآن نفسه الانقسامات السياسية الناتجة عن الفتنة في اليمن، كما تخصّ أدوارَ الجماعات المختلفة. وليست سلالة هؤلاء المهاجرين الإيرانيّين الذين ساندوا الإسلام الناشئَ أقلّها شأنا.

لقد شتّتَ هذا اليمنُ أبناءَه في جهات الامبراطورية الجديدة الأربع، فأُفْرِغَ من شُحْنَتِه البشرية رغما عنه، إثرَ تاريخ طويل كان فيه منذ زمن بعيد متفتّحا على عطاءات كثيرة آتية من الشرق ومن الغرب. وهذا بالذات ما أوْلى في بدايات تاريخ الجزيرة العربية، هذا الخزّانَ البشريّ الذي وُظِّف فحواه في الغزوات، أهمّيّةً لم يقع تجاهلُها قط ولكن لم تبدأ إعادة الاعتبار لها إلاّ مؤخّرا. ونحن نفكّر بالطبع في أعمال هشام جعيّط.

فعمل راضي دغفوس إذن بدأ يجدّد معرفتنا بالقرون الإسلامية الثلاثة الأولى، وستبقى إضافته ضروريّة مدّة طويلة. وهو دون شكّ لا يمثل بالنسبة إلى صاحبه إلاّ مرحلة أولى. فالتقدّم الذي حقّقته مؤخرا الدراسات المتعلقة بجنوب الجزيرة العربية سيمكّنه من تمديدها، وأحيانا من تحوير ما كان يبدو له ثابتا فيها، وكذلك من تأكيد وبلورة المعطيات التي نَقَلَتْها لنا المصادر الإسلامية الأولى مثبتة إضافة القدماء التي تسرّع المحدثون في الشكّ فيها، فضيّعنا مفاتيحها. وهذا كلّه يدلُّ على أهمّيّة هذا المنطلق الجديد.

جان كلود قرسان Jean Claud Garcin

(أستاذ بجامعة آكس - مرسيلية I)

تمهيد

اختيار الموضوع

تبدو دراسة «اليمن من البدايات إلى عهد الخلفاء الرّاشدين» لأوّل وهلة رهانا يعسر تحقيقه نظرا إلى شحّ المعلومات المتعلّقة بهذا البلد وبتلك الفترة ونُدرتها في المصادر العربيّة القديمة والمصادر اليمنيّة على حدّ سواء. إلاّ أن هذه البادرة، إذا استثنينا هذه الصّعوبات، بَدَت لنا ممتعة ومفيدة في الآن نفسه. فلماذا وقع اختيارنا على هذا الموضوع بالذّات؟

الحق أنّنا اخترنا هذا الموضوع لعدّة أسباب نذكرها بإيجاز. فقد كنّا أوّل الأمر نعتزم الاشتغال على موضوع أوسع من هذا بكثير وأكثر طموحا وهو الحركات الثّوريّة في صدر الإسلام (في القرنين الأوّل والثّاني للهجرة). إلاّ أنّ الأستاذ كلود كاهان (Claude Cahen) في مقابلة معه بباريس سنة 1975، نصحنا بعدم اتّباع هذا المسلك ولم يشجّعنا عليه بسبب كثرة المشاكل التي يمكن أن تعترض بحثنا مثل صعوبة الإلمام بالمصادر والمراجع، وتعقّد مسألة ضبط منهج لمقاربة الموضوع، وعدم تيسّر الحصول على بعض المصادر المخطوطة وخاصّة منها المتعلّقة بالخوارج والشّيعة، وعقبات المسافة الفاصلة بين المغرب والمشرق، وخاصّة الجهل شبه التّامّ للظّاهرتين الشّيعيّة والخارجيّة من قِبل مسلم سنّي مالكي. فعدلنا عن هذا المشروع محتفظين بنفس الفترة الزّمنية تقريبا، فترة إسلام القرن الأوّل التي تبدو لنا أهمّ الفترات وأقلّها دراسة من قِبل العلماء المسلمين والأوروبيّين. وهكذا أوْلَيْنا اهتمامنا لمنطقة من العالم العربيّ الإسلاميّ هي في الوقت نفسه منطقة تُخوميّة وفقيرة بالنّسبة إلى جارتها الشّمالية والشّرقية أي الممالك البتروليّة الخليجيّة لا محالة ولكنّ تاريخها يوحي بالمزيد من الشّغف، ألا وهي اليمن. ونذكّر أنّها بلاد مملكة سبأ الشّهيرة، ومملكة البخور في

العصـور القديمـة، ومهد حضارات كثيرة مُشْرقة جدّا. وهـي الآن حضارات يزداد إحياؤها باطّراد بفضل مختلف المشـاريع الدّولية للقيـام بحفْريّات في مواقعها المجيدة مثل مأرب ومَعين وغيرهما.

الإشكاليّة

ونبـدأ بالتّوضيح التّالي: يتعلّق الأمر بدراسـة اليمن في صورته الجغرافيّة الواسـعة التي سـنعود إليها لاحقا، بعبارة أخرى المناطق التّابعة اليوم للجمهوريّة العربيّة اليمنيّة التي وُجِدت مؤخرا إثر عقود عديدة من التّقسـيم، زيـادة على مناطق أخرى تقع اليوم في المملكة العربيّة السّـعوديّة (منطقة عسـير ونجران) وفي سلطنة عُمان (منطقة ظفار). فالأمـر، بعبارة أخرى، يتعلّق باليمن الطّبيعيّ والجغـرافيّ كما حدّده في القرن الرّابع/العاشر المؤرّخ والنّسّابة اليمنيّ الشّهير الهَمْدانيّ في كتابه **صفة جزيرة العرب** (ص 65).

فماذا يمثّل القرن الأوّل الإسلاميّ في اليمن ولماذا اخترنا هذه الفترة بالذّات؟

مـن المؤكّـد أنّـه كان في إمكاننـا اختيار حلّ سـهل يتمثّل في دراسـة الفترة المتأخّـرة مـن العصر الوسـيط باليمن أي عصر الرّسـوليّين وعـصر الطّاهريّين، وهما عصران أسـهبت المصادر في التّعريف بهما ولم يُهملها المؤرّخون إهمالَهم لعصور أخرى. واسـتبعدنا هذا الخيار لنوجّه بحثنـا نحو الفترة المتقدّمة من العصر الوسـيط باليمن، وَاعـين أنّ هذا العصر لم تبلوره المصادر، ولم يُنْجَز عنه أيّ عمل هامّ، وأنّه يمثّل مرحلة انتقاليّة طويلة بين القرن السّـادس وبداية القرن السّـابع الميلاديّ من جهة، وهو عصر الاحتلال الأجنبيّ من قِبل الحبشة ثمّ الفرس، عَقِب النّهضة الرّائعة التي يمثّلها المينيّون والسّبئيّون، وبين منتصف القرن السّابع الميلاديّ من جهة أخرى.

فمـن المفيد إذن تتبّع تطوّر بلد لعب دورا حاسـما في العصور القديمة طيلة تلك المرحلة المفصليّة الطّويلة، وبلورة كافّة الصّراعات والحروب والمواجهات والتّحوّلات التي مثّلت علامات بارزة في تاريخه.

وينبغي أن نلاحظ قبل كلّ شيء أنّ أفول اليمن بالنّسـبة إلى النّهضة الرّائعة التي عرفها في العهدين المينيّ والسّـبئي قد بدأ منـذ العهد الحِمْيَريّ إثر تظافر عوامل يعسر تغليـب أحدها على الآخـر. إلاّ أننا نذكر مـع ذلك تقهقر تجـارة البَخور «مصدر إثراء عرب الجنوب في عهدي المينيّين والسّـبئيين»، وانهيار سدّ مأرب وما نتج عنه من أضرار مسّـت الزّراعة اليمنيّة في الجهات المتاخمة للصّحراء، وهجرة القبائل إلى شـمال

شــبه الجزيرة العربيّة وحتّى إلى الهلال الخصيب، وثقل وزن الاحتلال الأجنبيّ، الحبشيّ والفارسيّ، والصّراعات والحروب داخل البلاد بين القبائل أو العشائر من أجل السّيادة وامتلاك الأراضي، والمنافسة بين موانئ البحر الأحمر الواقعة في الحجاز، والخصومات الدّينيّة وما انجَرّ عنها من اضطهاد الحاكم اليمنيّ يوسف ذي نواس لنصارى نجران، وهــي حلقــة ذات دلالة كبـيرة، وتدخّل «القــوى العظمى» في ذلــك العصر مثل البيزنطيّين والسّاسـانيّين عن طريق حلفائهم من الغساسـنة واللّخميّين الخ... ونسارع بالقول إنّه لا ينبغي أن نُرجع أفول اليمن إلى انتشار الدّين الإسلاميّ في الجزيرة العربيّة وإلى تأسيس دولة إسلاميّة في المدينة.

إلاّ أننا نرى أنّ عهد «الولاة»، موضوعَ دراستنا، كان أبعد ما يكون عن عهود الرّخاء والإثراء، وأنّه لا يشـبه في شيء العهدين الميني والسّـبئيّ بقطع النظر عمّا يقوله بعض المؤرّخين العرب المعاصرين مثل محمّد صالح العليّ. فعلا، سنرى أنّ اليمن الذي رجّه كثيرا الاحتلالان الحبشيّ والفارسيّ سيزداد تهميشه في قرون الإسلام الأولى لهذه الأسباب الأساسيّة: أوّلها أنّ هجرة القبائل اليمنيّة إلى مناطق الشّمال كالحجاز وسوريا والعراق، رغم أنّها سـابقة للإسـلام بما أنّها تعود على الأقلّ إلى فترة انهيار سـدّ مأرب، فإنّها سـتزداد حدّتها في القرن السّـابع الميلاديّ بسـبب مسـاهمة عديد القبائل اليمنيّة في نشر الإسـلام مسـاهمة نشـطة جدّا وفي أغلب الأحيان مكثّفة جـدّا. هل نذكّر بـأنّ المصادر العربيّـة القديمة مثل كتب البـلاذريّ والطّبريّ واليعقـوبيّ، والمتأخّرة مثـل كتب ابن حُبَيْش والكَلاَعيّ التي تسـتعمل مفهوم «فتوح» للتّعبير عن تلك الحركـة، تذكر في كثير من التّفصيل ذلك الانتشـار الإسـلاميّ العظيم خاصّة في عهـد عمر بن الخطّـاب، ولا تتردّد في إبـراز أهمّية تدفّق عناصر يمنيّة لم تشـارك بحماس في تلك الحركة فحسب، بل استقرّت بعد نجاحها وفتورها في المناطق التي فُتحـت حديثا وأدخلت الإسـلام، وبالتّدقيق في الثّغور التـي بُنيت في العراق (البصرة والكوفة)، ومصر (الفسـطاط)، وإفريقية (القيروان)، وكذلك في سوريا وفلسطين واسبانيا وخراسان.

ومـن ناحية أخرى فقد أُفرِغ اليمن من قواه الحيّة وإمكاناته البشريّة والسّـكّانية التي سـاهمت قديما في ازدهاره، وذلك بسـبب الضّربات المتتالية التي سدّدها له ولاة بـني أميّة ثـم ولاة بني العبّاس، فهؤلاء الولاة لم يكونـوا يهتمّون باليمن بصفته ولاية إسـلاميّة بقـدر اهتمامهم بالمكوس والثّـروات التي كان يدرّها على خلفاء دمشـق وبغداد، لذلك حوّلوا البلد إلى ولاية هامشـيّة لا يرى فيها المركز أيّ فائدة سياسيّة تذكر.

فتاريخ اليمن في عهد الولاة أي في القرنين الأوّل والثّاني الهجريّين، هو تاريخ ولاية واقعة في المحيط، أفرغت من سكّانها، ليست من الثّراء ما يجعلها تطمح إلى لعب الأدوار الأولى في مستوى الخلافة. ومع ذلك فإنّ دراسة هذه الفترة تبدو لنا أخّاذة إذ تمكّن من تجويد إدراكنا الأسباب العميقةَ لانحطاط بلد طالما اعْتُبِر واحدا من أكثر بلدان العالم القديم هيبة وثراءً.

وسيكون من المفيد من جهة أخرى أن نعرف كيف تعامل هذا البلد السّائر نحو الأفول والذي سينهبه إلى النّخاع ولاة بني أميّة ثم ولاة بني العبّاس، مع الأحداث المختلفة التي هزّت الامبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة في ذلك العصر.

واخترنا لبلورة حديثنا ثلاثة أحداث كبرى هي التّالية:

* ردّة القبائل في عهد الرّسول محمّد عليه السلام وبعد وفاته، ومدى مشاركة اليمن في هذه الحركة التي رجّت بقوّة دولة المدينة قبل أن يقضي عليها الخليفة أبو بكر وقوّاده خاصّة منهم القائد الشّهير خالد بن الوليد: فإلى أيّ مدى كانت تلك الحركة التي اندلعت في اليمن في حياة الرّسول دينيّة صرفا، أي ردّة حقيقيّة على غرار حركات أخرى اندلعت في شبه الجزيرة العربيّة مثل حركة مسيلمة من بني حَنيفة، أو سجاح في بني تميم؟ أم كانت عكسَ ذلك حركة سياسيّة ذات علاقة بقضيّة السّلطة على البلاد؟ أم تعبيرا عن حركة «وطنيّة»؟

* الفتنة الأولى في الإسلام والمواجهة بين عليّ ومعاوية التي عقبتها، والموقف الذي تبنّاه اليمن، رَعِيَّةً وولاةً، من تلك الأزمة: فإلى أيّ شق انضمّ اليمنيّون وماذا انجرّ عن ذلك الخيار السّلبيّ على الولاية؟.

* الفتنة الزّبيريّة وعواقبها على صعيد الخلافة بما فيها اليمن: فما أسبابها وما نتائجها بالنّسبة إلى اليمنيّين بسبب موقفهم المناصر للمتمرّد في مكّة على الخلافة، وانحياز ولايتهم إلى الشّق الزّبيريّ؟

تلك هي المسائل التي ينبغي بلورتها في هذا العمل قصد استخراج بعض الاستنتاجات المتعلّقة بالدّور الذي لعبه اليمن، بصفته ولاية من المحيط، إزاءَ الخلافة المركزيّة.

وعلى صعيد آخر، سنرى أنّ اليمن، رغم تبعيّته السّياسيّة والإداريّة للخلافة لم يفقد شيئا من خصوصيّاته إذ قام بجملة من الانتفاضات الدّاخليّة ضدّ السّلطة المركزيّة،

كانت تترجم عن قلق هذا الإقليم المستغَلّ ماليّا واقتصاديّا من قبل الولاة لفائدة الخليفة إذ جُعل له دور ثانويّ في المجال السّياسيّ.

تخطيط الدراسة

تتمحور دراستنا لليمن في عهد الوُلاة إلى خمسة محاور أساسيّة:

سنرسم في **قسم أوّل** المشهد العامّ لليمن قبل الإسلام وتحديدا في القرن السّادس الميلاديّ لنبيّن كيف مال في وقت قصير إلى الشّق الإسلاميّ ووجد نفسه مندمجا في دائرة النّظام السّياسيّ الذي أسّسه محمّد (عليه السلام) في المدينة. وسنذكر في **القسم الثّاني** من الدّراسة عمليّة اعتناق القبائل اليمنيّة الإسلام، وتكوّن الولاية اليمنيّة، ثمّ نرى في **القسم الثّالث** كيف فجّر موت الرّسول سلسلة من الحركات الانفصاليّة (أو الرّدّة) في صنعاء وحضرموت، وهي حركات سرعان ما قضى عليها قوّاد الخليفة أبي بكر وعُوّضت مباشرة بمشروع كبير، هو مشروع الفتوحات، الذي تجاوز إطار الجزيرة العربية ليشمل عديد المناطق الأخرى الواقعة سواء في المجال الفارسيّ كالعراق وإيران، أو البيزنطيّ مثل سوريا / فلسطين ومصر وغيرها. وقد درسنا مساهمة العناصر اليمنيّة في تلك الملحمة العربيّة الإسلاميّة العظيمة وخاصّة في العراق والشّام ومصر، وكذلك استقرارها النّهائيّ في البلدان المفتوحة. وفي **القسم الرّابع** من الكتاب اهتممنا بوضع اليمن في عصر الخلفاء الرّاشدين في مجال المؤسّسات والضّرائب والإدارة، كتنظيم الإقليم، وأسلوب حكمه، وولاته وطريقة انتدابهم، وكذلك في المجال الاجتماعيّ والاقتصاديّ كمشاركة هذا الإقليم في أهمّ الأحداث التي رجّت مجموع الامبراطوريّة مثل غارة بُسر، وحملة جارية المضادّة والتّأديبيّة، والأزمة الزّبيريّة.

قبل ذلك عرضنا في مقدّمة عامّة دراسة مختصرة ونقديّة للمصادر التي استعملناها لإنجاز هذا العمل.

ولم نغفل بمناسبة الحديث عن بعض الأحداث مثل اعتناق القبائل اليمنيّة الإسلام، أو العلاقات القائمة مع نظام المدينة في عهد الرّسول محمّد (عليه السلام)، عن إثارة مشكل مصداقيّة الوثائق وخاصّة منها الرّسائل والمقالات وغيرها ومدى صحّتها ونسبتها. وقد طرحنا كذلك إشكاليّة تأريخيّة وتاريخيّة بخصوص مواضيع أخرى دقيقة مثل التّجارة المكّية مع اليمن، والرّدّة، ومشاركة اليمنيّين في انتفاضات الشّيعة الخ...



تقديم موجز ونقديّ للمصادر

إنّ الوثائق المتعلّقة بتاريخ اليمن الإسلاميّ خلال القرن الأوّل الهجريّ/ السّابع الميلاديّ، لا تتميّز بالغزارة. وزيادة على ذلك فإنّها متفرّقة جدّا، تحتاج إلى فحص دقيق جدّا للمصادر التّاريخيّة القديمة المتعلّقة بالخلافة الإسلاميّة بصفة عامّة. ومن حسن الحظّ أنّ اكتشاف الكثير من المصادر اليمنيّة المخطوطة منذ سنوات ونشرها قد وسّع حقل معرفة اليمن الإسلاميّ.

إلاّ أنّ العصر الوسيط المتقدّم في اليمن- وهو موضوع دراستنا- بقي إلى اليوم غير معروف جيّدا. فالمصادر المتعلّقة ببعض الملامح كالتّنظيم القبليّ وتوزّع القبائل في الفضاء اليمنيّ، لا ترضي فُضولنا التّاريخيّ. ومن البديهيّ أنّ دراسة الحقبة المذكورة تبقى أساسا رهينة المصادر العربيّة المؤلّفة في القرن الثّالث الهجريّ/ التّاسع الميلاديّ وحتّى بعد ذلك بالنّسبة إلى الجادّة منها.

هل يعني ذلك أنّ التّأريخ اليمنيّ الخاصّ غائب؟ الواقع أنّ المؤلّفات التّاريخيّة المكتوبة من قبل يمنيّين وجُدت منذ القرنين الأوّل والثّاني الهجريّين/ السّابع والثّامن الميلاديّين، ولكنّها تتعلق باليمن القديم. أمّا الكتابات الأخرى فمن الواضح أنها أكثر تأخرا، وهي تفضّل كما سنرى سواء العصور القديمة من تاريخ اليمن (مَعِين وسَبَأ وحِمْيَر)، أو العصر الوسيط اليمنيّ المتأخّر (عصر الرّسوليّين والطّاهريّين)، ويحسن أن نستعملها بكثير من الحذر بخصوص القرن الأوّل للهجرة (كتب الهَمْدانيّ ونشوان وعُمَارَه والجَنَديّ). فإننا سنحتاج إذن إلى ذكر المصادر العربيّة القديمة في المقام الأوّل رغم نزعتها إلى التّعميم، مدقّقين بعناية ما تضيفه من تفاصيل ثمينة جدّا ودالّة جدّا على التّاريخ اليمنيّ الإسلاميّ المبكّر.

I-المصادر العربيّة القديمة وإضافتها لدراسة العصر الوسيط اليمنيّ المتقدّم

إنّها مؤلّفات مطبوعة معروفة جدّا – باستثناء البعض منها- نستعرضها مع الأخذ بعين الاعتبار نوعها (كتب أخبار – كتب تاريخ- كتب تراجم أو طبقات- كتب

أنساب- مقالات في الخراج- كتب جغرافيّة ورحلات، وكذلك كتب أدب)، ونقدّمها حسب تاريخ تأليفها.

1-كتب الأخبار وكتب التّاريخ[1]

ينبغي أن نميّز من بين أهمّ المصادر التّاريخيّة مؤلّفين أساسيّين من القرن الثّالث الهجريّ/ التّاسع الميلاديّ هما الطّبريّ والبلاذريّ، ومؤلّفين آخرين مؤلّفاتهم إمّا ثانويّة بالنّسبة إلى موضوعنا مثل مؤلّفات اليعقوبيّ وخليفة بن خيّاط والدّينوَريّ وابن قتيبة وابن حبيب، أو متأخّرة جدّا مثل مؤلّفات المسعوديّ والماورديّ وابن الأثير وابن خلدون والنّويريّ.

وإذا كان خليفة بن خيّاط[2] (المتوفّى سنة 854/240) أمدّنا في **تاريخه** بمعلومات لها قدْر من الأهمّيّة بخصوص مختلف ولاة اليمن وكذلك تاريخ هذا الإقليم السّياسيّ وأحداثه من القرن الأوّل إلى القرن الثّالث، فإنّ ابن قتيبة ذلك المؤلّف الموسوعيّ (المتوفّى سنة 883/270) روى في **كتاب المعارف**، تفاصيل مفيدة عن اليمن قبل الإسلام[3].

وهذا ينطبق على الكتاب الممتع الذي ألّفه البغداديّ ابن حبيب (المتوفّى حوالي سنة 859/245) بعنوان **كتاب المُحَبر**. وهو من صنف **كتاب المعارف** لابن قتيبة، تناول فيه مواضيع ومحاور عديدة دون تنظيم احتفظنا منها بخصوص اليمن بما يلي[4]: أسواق الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، أصنام القبائل ومعتقداتها الدّينيّة، وفود اليمن في المدينة، عمّال الرّسول وخلفاؤه في صنعاء وجهات اليمن الأخرى.

واطّلعنا أيضا على كتابين آخرين من القرن الثّالث، الأوّل بعنوان **البداية والتّاريخ** للفَسَوِيّ (المتوفّى سنة 891/277) والثّاني بعنوان **كتاب الغارات** للثّقفيّ (المتوفّى سنة 866/283). ووجدنا في الأوّل بعض المعلومات الدقيقة عن الحياة السّياسيّة باليمن في

---

1 - انظر بخصوص هذا الموضوع :

D.S.Margoliouth, *Lectures on arabic historians*, Calcutta, 1930 Art. Tàrih (H.A.R. Gibb), in *E.I.*, *Supplément*, pp. 250-263. A. Miquel, *La géographie humaine du monde musulman, I*,28-33 et 239-241.

ع.الدّوريّ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت 1979.

2 - انظر بخصوص ابن خياط 863-862 ,*E.I.*, *II* in (S. Zakkar).

3 - انظر بخصوص ابن قتيبة 871-868 ,*E.I.*, *III* in (G. Lecomte).

4 - اطّلعنا على مخطوط في مؤسّسة كايتاني (Caetani) في رومة (عدد 342). وفيه مختارات من كتاب أبي عبد الله بن محمّد بن حبيب البغداديّ، عالج فيها المؤلّف، مواضيع مختلفة كالأذواء والأقيال وغيرهما.

عهد الولاة، في حين توسّعنا في استغلال الفصل الثريّ المخصّص في الثّاني لغزوة بُسر بن أَرْطَأة في الجزيرة العربيّة واليمن سنة 659/39.

ولنذكر أيضا أخباريّيْن من القرن الثّاني هما الواقديّ ونَصر بن مُزاحِم. وقد مكّننا كتاب نصر بن مُزاحِم (المتوفّى سنة 827/212) وهو بعنوان **واقعة صِفّين**، من التقاط معلومات مفيدة عن المواجهة بين عليّ ومعاوية، وخاصّة عن دور اليمنيّين الحاسم، قبائلَ وعشائر وأفرادا، في المعركة المذكورة.

أمّا **فتوح الشّام** للواقديّ (المتوفّى سنة 823/208)، فإنّه مفيد لدارسة حركة التّوسّع الإسلاميّ في الشّام وبالخصوص مساهمة اليمنيّين النّشيطة في هذه الحركة واستقرارهم النّهائيّ في البلدان المفتوحة[1].

وأغزر منها معلومات البلاذريّ (المتوفّى سنة 892/279) في كتابه **فتوح البلدان** المخصّص للفتوحات العربيّة الإسلاميّة. وقد رسم لنا فيه صورة جيّدة عن ظروف اعتناق القبائل اليمنيّة للإسلام ومختلف حركات الرّدّة دون أن يغفل بالطّبع عن ذكر أحداث مختلفة تتعلّق بتطوّر إقليم اليمن السّياسيّ ومؤسّساته في عهد الولاة[2].

ومن ناحية أخرى، فإنّ البلاذريّ يمدّنا في مؤلّفه الثّاني **أَنساب الأشراف** بمعلومات في منتهى الفائدة عن العلاقات بين الرّسول محمّد وقبائل اليمن (الوفود والمبعوثين خاصّة)، وكذلك عن مختلف ولاة اليمن في القرنين الأوّل والثّاني.

وتكمن أهمّية كتاب أبي حنيفة الدِّينَوريّ (المتوفّى سنة 282/895-896) **الأخبار الطّوال** في جملة من المعلومات الثّمينة المتعلّقة في الوقت نفسه بتاريخ اليمن قبل الإسلام وخاصّة منه العلاقات بين اليمن والفرْس في القرنين السّادس والسّابع الميلاديّين[3]، وبالعصر الإسلاميّ وخاصّة مشاركة اليمنيّين في التّوسّع العربيّ الإسلاميّ وفي الأحداث السّياسيّة الكبرى المتّصلة بالخلافة.

ونقل اليعقوبيّ (المتوفّى حوالي سنة 905/292) من ناحيته في كتابه التّاريخيّ بعنوان **التاريخ**، وهو نوع من التّاريخ الكوْنيّ المركّز، وخاصّة في القسم المخصّص لتاريخ الخلافة الإسلاميّة، معلومات طريفة وأحيانا مفيدة عن إقليم اليمن (الإدارة والأعوان والتّطوّر السّياسيّ).

---

1 - (J. Horovitz) in *E.I.*, (*anc.éd.*), *IV*, 1163-1164

2 - انظر بخصوص البلاذريّ (F. Rosenthal et Ch. Becker) in *E. I.*, *I*, 1001-1002.

3 - (Lewin) in *E. I*, *II*, 308

وتـرك لنا في مؤلّفه الثّاني **كتاب البلدان** الأقـرب إلى الكتب الجغرافيّة، قائمة مفصّلة في أقاليم اليمن. ومدّنا بتفاصيل هامّة عن قبائل اليمن واستقرارها بعد الفتح في مختلف الأقطار المفتوحة كالعراق وسوريا وفلسطين والأردن.

إلاّ أن أهـمّ مؤرخ وأكثرهم تمثيلا للقرن الثّالث الهجريّ/ التّاسـع الميلاديّ يبقى بالطّبع الطبريّ (المتوفّى سنة 922/310). وقد اعتُبِر مؤلَّفه التّاريخيّ الكبير **تاريخ الأمم والملوك** بحقّ من أجمل معالم كامـل الأدب التّاريخيّ العربيّ. ونحن لا نعتزم تقديم هـذا المؤلّف الغنيّ عن التّعريف بل تدقيقَ مصادر الطّبريّ ومدى إضافتها إلى دراسـة العصر الوسيط المتقدّم باليمن.

والحـق أنّ الطّبريّ هو قبل كلّ شيء «مؤرّخ جمّاعة» اسـتند في رواية تاريخ العالم العربيّ الإسـلاميّ في القرون الثّلاثة الأولى للهجرة إلى عـدد من الأخباريّين من المفيد أن نذكر أشهرهم وهم سيف بن عمر التّميميّ (المتوفّى حوالي سنة 173/789-790)، وأبـو مِخْنَف الأزديّ (المتوفّى حـوالي 157/774)، والزّهريّ (المتوفّى حوالي 124/741)، والواقديّ (المتوفّى سـنة 208/823)، والمدائنيّ (المتوفّى سـنة 225/839). وهو من ناحية أخـرى مؤلّـف حفظ لنا مـادّة تَاريخيّة تكـوّن أهمّها في نهاية العصر الأمـويّ وبداية العـصر العبّاسيّ، وهو لا يقتصر على عرض الأحداث دون ربطها بجملة من الرّوايات المتناقضة في الكثير من الأحيان لكنّها تتضمّن مع ذلك كامل سلسـلة الأسانيد بما فيها المؤلّفون الذين عاشوا في القرن الأوّل، فقد ذكر الطّبريّ على سبيل المثال، عن أخباريّ مثل أبي مِخْنف، عديدَ الرّواة كالشّعبيّ (المتوفّى سنة 105/723-724)، ومجاهد ابن سـعيد، ومحمّد بن السّائب الكلبيّ (المتوفّى حوالي سنة 146/763)، وعبد الرّحمان بن أبي الكَنود، وأبي الجَنَد الكلبيّ وغيرهم.

مـا هي المكانة التي يخصّصهـا الطّبريّ في كتابه لتاريخ اليمن؟ يحسـن أن نميّز بين اليمن قبل الإسـلام الذي يمدّنـا الطّبريّ بخصوصه، اعتـمادا على مصادر قديمة مثل وهب بن منبّه (المتوفّى سـنة 114/732)، بأخبار ذات طابع أسطوريّ وعجائبيّ في الكثـير من الأحيان، وبـين اليمن في القرون الأولى التي كانـت الأخبار المتعلّقة به تزداد شحّا كلّما تقدّمنا في الزّمن.

وإنّ أهمّ الفصول هي تلك التي تعالج موضوعَ العلاقات بين الرّسول واليمنيّين (المبعوثـون والوفود والأعوان)، وحركات الانشـقاق بصنعاء وحضرموت، وأخيرا مسـاهمة القبائل والعشـائر اليمنيّة في فتح العراق وسـوريا وفلسـطين ومصر. وجمعنا

أيضا بعض النّتف من المعلومات المتعلّقة بتطوّر الإقليم السّياسيّ في العهدين الأمويّ والعبّاسيّ.

أمّا الأخباريّ الكوفيّ ابن الأعثم (المتوفّى حوالي سنة 926/314)، فإنّه يورد في **كتاب الفتوح**[1] المخصّص للفتوحات عناصر أخرى مفيدة جدّا بخصوص الرّدّة، وخاصة في حضرموت، والتوسّع الإسلاميّ. فهو مكمّل بنسبة كبيرة للمعلومات التي ذكرها البلاذريّ والطّبريّ في الآن نفسه، وللمعطيات التي قدّمها كلّ من الواقديّ والأزديّ، إلاّ أن كتابه يبقى ذا طابع متمذهب يبالغ في نصرة التّشيّع ممّا أفقده الكثير من المصداقيّة بالقياس إلى مؤلّفات سابقيه.

ومن المؤلّفات التّاريخيّة التي تطرّقت إلى تاريخ الخلافة، من المفيد أن نذكر كتاب المسعوديّ (المتوفّى سنة 956/345) **مروج الذّهب ومعادن الجوهر** الذي يحوي معلومات نادرة في الكثير من الأحيان حول اليمن القديم خاصّة في القرن السّادس، ولكنّه يتضمّن تفاصيل قليلة عن عهد الولاة.

ومع ذلك فقد حظينا بالاطّلاع على مؤلّفيْن أندلسيّين متأخّرين هما ابن حُبَيْش (المتوفّى سنة 1188/584) وتلميذه الكَلاَعيّ البَلَنْسيّ (المتوفّى سنة 1236/634) اللذان مازالت مؤلّفاتهما مخطوطة، فقد ترك لنا الأوّل كتابا بعنوان **كتاب الغَزَوات**[2]، الذي حثّه على تأليفه الخليفة الموحّديّ أبو يعقوب يوسف في نطاق المواجهة الايديولوجيّة والصّراع المسلّح بين المسلمين والمسيحيّين في اسبانيا، أي ما سمي بحروب الغرب الصّليبيّة أو حروب الاسترجاع (La Reconquista). ورغم أنّ الكتاب متأخّر، فإنّه جدير بأن يكون من بين المؤلّفات الأساسيّة التي تلقي ضوءا جديدا على بعض حلقات تاريخ القرن الأوّل مثل حروب الرّدّة باليمن ومساهمة اليمنيّين الكبيرة في التّوسّع ودورهم في البلدان المفتوحة. فقد اعتمد فيه مؤلّفه، الذي شغل منصب قاضي مُرسيّة، على مصادر تُعتبر اليوم مفقودة مثل **كتاب الرّدّة** للواقديّ، و**كتاب الرّدّة والفتوح** لسيف بن عمر، فضلا عن مؤرّخي القرنين الثّالث والرّابع بالطّبع. أمّا تلميذه الكَلاَعيّ[3] فقد ألّف كتابا تناول فيه الغزوات العربيّة التي قام بها الرّسول والخلفاء الرّاشدون الثّلاثة الأوائل: وهو كتاب **الاكتفاء في مغازي المصطفى والثّلاثة خلفاء**.. واستعمل فيه نفس المصادر تقريبا التي استعملها الطّبريّ والبلاذريّ وابن حُبَيْش منها

1 - انظر بخصوص ابن الأعثم 746- 745 ,*E. I., III*.

2 - انظر بخصوص ابن حُبَيْش 827-826 ,*E. I., I* (D. M. Dunlop) in.

3 - انظر بخصوص الكَلاَعيّ 489 ,*E. I., IV* (Ch. Pellat) in

كتاب المغازي للزّهريّ، و**أخبار الرّدّة** لوثيمة بن موسى، فضلا عن كُتَيّبي سيف والواقديّ المذكورين.

وتمكّنّا بفضل هذين المؤلّفين الأندلسيّينْ من تتبّع مختلف تحوّلات الرّدّة في اليمن وحضرموت وإجراءات هجرة اليمنيّين إلى البلدان المفتوحة وظروفها.

بقي أن نشير إلى إضافة المؤرّخين والأخباريّين في نهاية العصر الوسيط إلى دراسة اليمن في القرون الأولى. فقد احتفظنا بأسماء ابن الأثير والنّوَيْريّ والقلقشنديّ وابن خلدون. ورغم أنّ كتاب ابن الأثير (المتوفّى سنة 1233/630)، **الكامل في التّاريخ** لا يُضيف شيئا إلى ما ذكره الطّبريّ بخصوص «العصر الوسيط المتقدّم في اليمن»، فإنّ له فضل عرض الأحداث عرضا واضحا ومنظّما في الوقت نفسه، حاذفا الأسانيد التي كانت أحيانا تثقل النّصّ.

وأخذنا من كتاب **نهاية الأرب في فنون الأدب** للنّوَيْريّ، المؤلّف المصريّ المتوفّى سنة 1332/732، تفاصيل هامّة عن اليمن الإسلاميّ، وكذلك من المؤلّف الموسوعيّ **صبح الأعشى** للقلقشنديّ (المتوفّى سنة 1418/821)، ومن **كتاب العِبر**[1] لابن خلدون (المتوفّى سنة 1405/808)، إلاّ أنّ هذا الأخير مدّنا بمعلومات مفيدة جدّا عن اليمن قبل الإسلام في القرنين الثّاني والثّالث/ الثّامن والتّاسع).

وفي الجملة، فإنّ لمؤلّفات التّاريخ العامّ أهمّيّة ثابتة لمعرفة العصر الوسيط المتقدّم باليمن ولكنّها متفاوتة. وتبقى كتب الطّبريّ والبلاذريّ أكثرها قيمة بدون منازع، وكذلك كتب اليعقوبيّ والمسعوديّ وغيرهما ولكنّها أقلّ درجة منها.

2-كتب الطّبقات والأنساب

إنّها توفّر لنا منجما من المعلومات الإضافيّة والطّريفة في الكثير من الأحيان عن بدايات الإسلام في اليمن. وقد اطّلعنا في صنف كتب الطّبقات على مؤلّفات ابن هشام وابن خيّاط وابن عبد البرّ وابن حَجَر وابن الأثير.

فكتاب **السّيرة** لابن هشام (المتوفّى سنة 812/218) هو كتاب وضعه وحرّره ابن اسحاق (المتوفّى سنة 761/151) في عهد الخليفة العبّاسيّ المنصور[2]، إلاّ أنّ الأخباريّ

---

1 - انظر بخصوص ابن خلدون:
(M. Talbi) in *E.I.*, *III*, 849-855; H. C. Kay, *Yaman its early history*, Londres, 1892.

2 - انظر بخصوص ابن اسحاق: (J. M. B. Jones), in *E.I.*, *III*, 834-835; (M. Watt) in *E. I.*, *III*, 824

الكوفيّ ابن هشـام هذّبه واسـتكمله، وهو ما يفسّر نسبته إليه. ومن البديهي أنّ هذا المؤلَّف، وكذلك مؤلّف ابن سعد، مكّننا من تدقيق أصناف العلاقات بين الرّسول محمّـد واليمنيّين، قبائل وعشـائرَ وأفرادا، تدقيقا جيّدا على إثـره حاولنا الإلمام بشروط اعتناق مجموع اليمنيّين الإسلامَ ودوافعه.

وأخذنا عن مؤلَّف ابن سـعد (المتوفّى سـنة 844/230) الضّخـم، معلوماتٍ تخصّ موضوعين أساسـيّين: اعتناق اليمن للإسـلام وكلّ الأحاديث التي جُمعت في المدينة والعراق عن الوفود التي أرسـلها اليمنيّون، قبل فتح مكّة وبعده، إلى الرّسول لمبايعته سياسـيّا. ونحن واعون أنّه لا يمكن قبول هـذه الأحاديث دون التّأكّد من صحّتها ومصداقيّتها التّاريخيّة. فمن المعلوم أنها تذكر جملة من الرسـائل المنسوبة إلى الرسول والتي يجدر بنا التسـاؤل هل هي نسـبة صحيحـة أم منحولة. الموضـوع الثّاني يتعلّق بالطّبـع بالفتوحات وبالـدّور الذي لعبه الوجهاء اليمنيّـون في البلدان المفتوحة خلال القرن الأوّل خاصّة. وما يمكن ملاحظته هو أنّ المؤلّف ابن سعد اتّبع طريقة الإسناد معتمدا بالخصوص على شـيخه الواقديّ، مؤلّف عديد الكتب المفقودة اليوم، إلاّ أنّه اطّلع عليها في وقتها وكذلك على مؤلّفين آخرين مثل هشـام بن الكلبيّ، النّسـابة الشّـهير، والزّهريّ مؤسّس مدرسـة المدينة، وعلي بن محمّد بن أبي سيف القرشيّ، دون أن نغفل عن ابن اسحاق.

باختصار، فإنّ كتاب ابن سـعد هو في منتهى الأهمّيّة بالنّسـبة إلى بدايات تاريخ الإسلام خاصّة أنّ مؤلّفه مُحدِث اعتبره أصحاب كتب التّراجم الذين عرّفوا به لاحقا ذا أمانة ومصداقيّة.

أمّـا **طبقـات** ابن خيّاط، فرغم أنّـه أصغر حجما من الكتّاب السّـابق، فإنّه يحوي تراجم هامّه لا تقلّ شأنا عن قائمات ابن هشام وابن سعد.

وبخصـوص المؤلّفـات المتأخّـرة لابن عبـد البرّ، المؤلّـف الأندلسيّ المتوفّى سـنة 1070/463 **الاستيعاب في معرفة الصِّحاب**، وابن الأثير **أسـد الغابة في معرفة الصّحابة**، وابـن حَجَر (المتوفّى سـنة 1448/852)، **الإصابـة في معرفة الصّحابـة**، فقد مكّنتنا من جمع تفاصيل كثيرة ومفيدة عن شـخصيّات يمنيّة وغيرها ساهمت بحكم أصلها أو وظيفتها في أحداث إقليم اليمن في القرن الأوّل خاصّةً.

أمّا كتب الأنساب فيجدر أن نذكر كتاب ابن حزم الأندلسيّ **جمهرة أنساب العرب** الـذي يعـود إلى القرن الخامس الهجـريّ/ الحادي عشر الميـلاديّ، وكذلك الكتاب المتأخّر عنه كثيرا **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، للمؤلّف المصريّ القلقشنديّ.

ولا شكّ في أنّ صنف كتب الأنساب أقدم من هذا بكثير، ولا أدلّ على ذلك من مؤلّفين مثل هشام بن الكلبيّ (المتوفّى سنة 813/204) أو مصعب الزّبَيْريّ (المتوفّى سنة 850/236) اللذين يعتبران نسّابتين مختصّين في هذا الموضوع، إلاّ أنّ كتابتهما تناولت بالخصوص القبيلتين اللّتين ينتميان إليها لا غير.

فبفضل ما ذكره هذان النّسّابتان، أمكن لنا أن نجد أصول عديد الأشخاص القبليّة - وخاصّة منهم الوُلاَة والعمّال الذين لعبوا دورا ما في اليمن في القرون الأولى، فضلا عن المعلومات المتعلّقة بإقامة القبائل اليمنيّة المختلفة ونزوحها إلى البلدان المفتوحة.

باختصار، فإنّ كتب الطّبقات وكتب الأنساب ضروريّة لدراسة العصر الوسيط المتقدّم في بلاد الإسلام بما فيها اليمن.

3-كتب الفقه

يتعلّق الأمر هنا أيضا بنوع من الكتابات يعود إلى نهاية القرن الثّاني الهجريّ وعلى وجه الدّقّة إلى عصر الخليفة العبّاسيّ الرّشيد، حلّل فيها المؤلّفون- وهم في أغلب الأحيان من الفقهاء- التّنظيم الجبائيّ والماليّ في الامبراطوريّة العربيّة. وقد اطّلعنا على ثلاثة مؤلّفات أساسيّة، هي **كتاب الخَراج** لأبي يوسف (المتوفّى سنة 798/182)[1]، وكتاب يحمل العنوان نفسه ليحي بن آدم (المتوفّى سنة 818/203)، **وكتاب الأمثال** لأبي عُبيد بن سلاّم (المتوفّى سنة 837/224)[2]. وأخذنا عنها معلومات دقيقة عن ظروف اعتناق اليمن واليمنيّين الإسلام، والوضع القانونيّ للإقليم، ومختلف الضّرائب المفروضة على السّكّان كالصّدقات والجزية والخراج. ومما زاد في قيمة هذه المعلومات أنّ المؤلّفين شغلوا وظائف في صلب الإدارة العبّاسيّة مثل أبي يوسف، وكان قاضيا في عهد الرّشيد، وأبي عبُيْد الذي أهدى كتابه إلى عبد الله بن طاهر، وبالتّالي فقد كانوا على دراية بالموضوع، يعرفون جيّدا تنظيم الامبراطوريّة الجبائيّ. أمّا قُدامة بن جعفر[3] الذي شَغل في شوّال من سنة 910/297 لدى ابن الفرات خطّة كاتب في ديوان الزِّمَام، فقد ترك لنا مؤلّفا بعنوان **الخراج وصناعة الإنشاء** لم يعالج فيه تنظيم الامبراطوريّة الجبائيّ فحسب بل الإدارة أيضا ومختلف المؤسّسات وخاصّة منها الدواوين، وكذلك جغرافيّة الأقاليم السّياسيّة في

(J.Schacht) in *E. I.*, *I*, 168-169- 1

(H.L.Gottschalk) in *E. I.*, *I*, 161-162- 2

(S. A. Bonnebaker) in *E. I.*, *I*, 318-321- 3

كامل الامبراطوريّة. ووجدنا فيه معلومات مفيدة عن مقاطعات اليمن، والمسالك الرّابطة بين مكّة واليمن، وهو ما خوّل لنا مقارنة كلّ هذه المعطيات بما ورد عند اليعقوبيّ والجغرافيّين المسلمين الآخرين مثل ابن خرداذْبَه والهمدانيّ والمُقدَّسي.

ويحسن أن نجعل ضمن الصّنف المخصّص لكتب الفقه كتابين متأخّريْن، الأوّل بعنوان **الأحكام السّلطانيّة والولايات الدّينيّة**[1] للمؤلّف الشّهير الماوَرديّ (المتوفّى سنة 1058/450)، والثّاني بعنوان **مآثر الإنافة في مَعالم الخلافة** للقلقشنديّ.

أمّا **كتاب الأحكام**، فإنّه يعالج أساسا مظاهر مؤسّساتيّة وجبائيّة وإداريّة في الامبراطوريّة الإسلاميّة، إلاّ أنّ الأمر يتعلّق بتجميع متأخّر لمؤلّفات سابقة. وقد استعملنا هذا الكتاب لنفهم جيّدا التّنظيم الإداريّ والمؤسّساتيّ بالإقليم اليمنيّ خلال القرون الأولى من الهجرة. أمّا **كتاب المآثر** فإنّه بالعكس من ذلك مخصّص لمسائل أعمّ كالخلافة والإمامة وغيرهما. وقد مكّننا من المقارنة بين المعطيات المتعلّقة باليمن مثل أسماء العمّال وغيرها وبين ما ورد عند مؤلّفين أقدم منه بما فيهم الماورديّ.

عموما، فإن المؤلّفات المصنّفة ضمن الكتب الفقهيّة هي التي خوّلت لنا أكثر من غيرها محاصرةَ بعض ملامح الجغرافيا الإداريّة وتنظيم المؤسّسات باليمن في عهد الوُلاة. وهي ملامح لا تبلورها المصادر الأخرى في الكثير من الأحيان.

4-المؤلّفات الجغرافيّة والرّحلات[2]

يعود الأدب الجغرافيّ بصفة عامّة إلى نهاية القرن الثّالث/العاشر، وبالتّالي فإنّ المعلومة التي تتضمّنها كتب الرحلات والجغرافيا تنطبق أساسا على عصر متأخّر نوعا ما بما في ذلك ما يتعلّق منها باليمن،موضوع عملنا هذا. إلاّ أنّها مؤلفات لا غِنى عنها خاصّة في دراسة بعض مظاهر الجغرافيا الإداريّة والاقتصاديّة باليمن، مع العلم أنّ هذه العناصر يمكن أن تكون تغيّرت.

ونبدأ بمصنّف اليعقوبيّ **كتاب البلدان** الذي يتناول بالدّرس مختلف أقاليم الامبراطوريّة الإسلاميّة، ويتضمّن بالخصوص قائمة ذات أهميّة خاصّة من «المخاليف»

1 - انظر ترجمة هذا الكتاب التي أنجزها F. Fagnan, *Les statuts gouvernementaux*, Paris, 1982.

2 - انظر art. Gugrafiya (Maqboul Ahmad) in *E. I.*, *II*, 592; A. Miquel, *op. cit.*
R. Blachère et H. Darmon, *Extraits des principaux géographes arabes*, Paris, 1957
كراتشكوفسكي، الأدب الجغرافيّ عند العرب، تعريب عثمان هاشم، القاهرة، 1963.

اليمنيّة (وعددها 84)، وجملة من الإشارات عن استقرار القبائل اليمنيّة بعد الفتح في سوريا/ فلسطين، والعراق ومصر.

ووجدنا في مؤلّف ابن الفقيه الهَمَذانيّ (المتوفّى في نهاية القرن الثّالث)، **كتاب البلدان** الذي صنّفه حوالي 903/290 والذي بقي لنا منه مُختَصر أنجزه في القرن الخامس/ الحادي عشر رجل مغمور اسمه عليّ الشّيرازيّ، تفاصيلَ هامّة عن مناخ اليمن وإنتاجه الزّراعيّ والحِرفيّ والمنجميّ، ومعلومات عن المبادلات التّجاريّة مع العراق والشّام، فضلا عن معلومات حول بعض المدن اليمنيّة مثل صنعاء، وعن الفنّ المعماريّ اليمنيّ والمعالم القديمة...

ويمثّل مؤلّف ابن خُرداذْبه (المتوفّى حوالي سنة 912/300) **كتاب المسالك والممالك** الذي ألّفه في سامرّاء في السنوات 230- 844/234- 848 وأنهاه قبل سنة 885/272، بداية صنف جديد من المصنّفات الجغرافيّة سمّي «علم المسافات» أو «علم المسالك والممالك»[1]. وكان المؤلّف يشغل منصب «صاحب ديوان البريد» في منطقة الجِبال، فذكر لنا بكلّ دقّة المسافة الفاصلة بين نقطة وأخرى. وتوجد المعلومات المتعلّقة باليمن في القسم المخصّص للمسالك وخاصّة منها الرّابطة بين مكّة ومختلف جهات شبه الجزيرة العربيّة. واستخرجنا منه بصفة خاصّة كلّ المعلومات المتعلّقة بأقاليم اليمن وقارنّاها بما ورد في مؤلّفات اليعقوبيّ وغيره من الجغرافيّين.

ووجدنا في مصنّف ابن رسته (المتوفّى في أواخر القرن الرّابع/العاشر) **الأعلاق النّفيسة**[2] الذي لم يبق منه غير جزئه السّابع، فصولا مفيدة جدّا تتعلّق ببعض المدن اليمنيّة كصنعاء وسبأ، وإشارات متفرّقة إلى مواضيع في تاريخ اليمن مثل أذواء اليمن والفرق الدّينيّة وغيرها.

عموما، فإنّ المعلومات التي جمعناها عن اليمن من كتب اليعقوبيّ وابن الفقيه وابن خرداذْبه الثّلاثة تبقى في الآن نفسه محدودة وجزئيّة إذ اقتصر هؤلاء المصنّفون الجغرافيّون على الجمع، ولم يزر أيّ منهم اليمن حتى يتكلّم عليه بدقّة وتفصيل.

فأوّل جغرافيّ مسلم وصف اليمن دون أن يكتفي بالأخذ عن مؤلّفين سابقين بل اعتمد على ملاحظات استقاها بنفسه خلال رحلاته، هو المقدّسيّ (المتوفّى حوالي

---

1 - (H. Hadj Sadok) in *E. I.*, *III*, 863

2 - A. Miquel, *op. cit.*, *I*, 192 et sqq

سنة 987/377)[1]. فكتابه **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم** هو في الوقت نفسه ثمرة معارف سابقة مثل وصف مدينتي صنعاء وزَبيد، وملاحظاته الشّخصيّة التي جمعها أثناء رحلاته مثل وصف مدينة عدن المفصّل وقد زارها فعلا. فهذا المؤلّف يتضمّن حشدا من المعلومات عن أقاليم اليمن وجغرافيّته الإداريّة والاقتصاديّة، والعادات والتّقاليد، وطقوس اليمنيّين الدّينيّة، والإنتاج الزّراعيّ والتّجارة وأدوات التّبادل كالعُمْلة والموازين والمكاييل في اليمن في القرن الرّابع/العاشر. إلاّ أننا نلح على أنّ هذه المعلومات التي يقدّمها المقدّسيّ لا تنطبق على اليمن في القرون الثّلاثة الأولى، لذا ينبغي استعمالها بحذر لتحاشي الأخطاء التّاريخيّة.

وتنطبق هذه الملاحظة أيضا على جغرافيّي القرن الرّابع الآخرين كالمسعوديّ والاصطخريّ وابن حَوْقل. ويضيف المسعوديّ في كتابه **التّنبيه والإشراف**، وهو لا يعدو أن يكون اختصارا مكثّفا لـ**مروج الذّهب** لا تحتلّ فيه المعلومة الجغرافيّة الخالصة غير حيّز محدود[2]، إشارات إضافية عن اليمن تتعلّق بالقبائل وبوضع البلدان قبل الإسلام، ودوْر «الأبناء»، واعتناق باذان الإسلام، ووفود اليمن إلى المدينة عام 631/10، وحركة الرّدّة وغيرها.

أمّا الاصطخري فهو يقتصر في كتاب **المسالك والممالك** على ذكر حدود اليمن وأهمّ مدنه (عدن وصنعاء وصَعْدة)، والمسافات التي تفصل هذه المدن عن مكّة وعن المدينتين العراقيّتين الكوفة والبصرة، ومعلومات عن المسارات ومراحلها.

كذلك ابن حوقل الذي خصّص في كتابه **صورة الأرض** قسما كاملا لما سمّاه «ديار العرب» أدرج فيه معطيات عن نفس المواضيع وبعض الإشارات إلى الوضع الذي كان سائدا في اليمن في القرن الرّابع/العاشر: فتحدث عن الزّياديّين ومعاصريهم الزيديّين واليُعْفريّين، وعن الضّرائب الموظّفة على البضائع التّجاريّة والهبات والهدايا وغيرها. وما يجدر ملاحظته هو أنّ بين المعلومات التي يقدمها كل من الاصطخري وابن حوقل، تكاملا كبيرا، يُمكّن من تمثّل التّطوّر الحاصل في اليمن منذ القرن الثّالث/التاسع.

ويحوي مصنّف البكريّ (المتوفّى سنة 1091/487) **مُعْجَم ما استعجم** معلومات مفيدة عن اليمن ومدنه وقراه وقبائله. وقد ذكر المؤلّف في القسم التّمهيديّ تفاصيل

---

1 - م.ن، ص 275 وما بعدها.

2 - م.ن.

كثيرة عن مساكن القبائل العربيّة قبل الإسلام، وهو ما يسهّل ضبط خارطة القبائل في شبه الجزيرة العربيّة بما فيها قبائل اليمن في الجاهليّة.

وينبغي انتظار القرن السّادس/الثّالث عشر، لنجد من الجغرافيّين والرّحالة الذين زاروا اليمن ومدنه، مَن ينقل لنا معلومات مباشرة عن البلاد وأنشطتها وأهمّ خصائصها. والأمر يتعلّق أساسا بالشّريف الإدريسيّ (المتوفّى سنة 1166/560)[1] وابن جُبير (المتوفّى سنة 1217/614) وابن المُجاور (المتوفّى سنة 1232/630) وابن بطوطة (المتوفّى سنة 1377/779). إلاّ أنّ مؤلّفاتهم متأخّرة جدّا فلا تشدّ انتباهنا، والاستثناء الوحيد يتمثّل في ابن المجاور الذي لم يقتصر في كتابه **تاريخ المستبصر** على مدّنا بمعلومات مباشرة عن اليمن ومدنه في عصره، بل قد يعود أيضا إلى القرون السّابقة فيُتْحِفُنا بحشد من التّفاصيل الطّريفة مثل ما رواه عن تأسيس زَبيد ومختلف الافتراضات التي قدّمها بخصوصه. ولا ننسى مؤلّفا آخر من القرن السّابع/ الثّالث عشر، وهو القزوينيّ (المتوفّى سنة 1283/632) وقد ألّف حوالي سنة 1263/661 كتاب عجائب راجعه حوالي سنة 1275/674 بعنوان **آثار البلاد وأخبار العباد**[2].

وقد وفّر لنا ياقوت (المتوفّى سنة 626/ 1229) في معجمه الجغرافيّ، **معجم البلدان**، منجما من التّفاصيل عن مدن اليمن وأقاليمه وقراه وحصونه الصّغيرة، فضلا عن موجز تاريخي مفيد جدّا في كثير من الأحيان. وركّزنا بالخصوص على قائمة «مخاليف» اليمن، وحرصنا على مقارنتها بما جاء عند سابقيه.

وفي الختام، فإنّ أغلب المؤلّفات الجغرافيّة والرّحلات متأخرة جدّا ممّا يجعل الإستفادة منها محدودة. إلاّ أنّنا رأينا من المفيد الاطّلاع عليها خاصّة لمعرفة موقع بعض المدن اليمنيّة مثل صنعاء وعدن وزبيد.

5-المصادر الأخرى: كتب الأدب واللّغة والفِرَق.

ومن بين كتب الأدب التي تحوي تفاصيل مفيدة في الكثير من الأحيان عن بعض مظاهر تاريخ اليمن في عصر الولاة وحتى قبل الإسلام، ركّزنا على بعض مؤلّفات الجاحظ (المتوفّى سنة 868/255) وابن عبد ربّه (المتوفّى سنة 940/328) وأبي الفرج الاصبهانيّ (المتوفّى سنة 967/317).

---

1 - انظر الترجمة الفرنسية لـ A. Jaubert, Paris, 2 vol., 1836-1840.

2 - B. G. A., *op. cit.*, p. 292 et sqq

وعُرِفَ الجاحظ أساسا بمؤلّفاته الكلاسيكيّة **البيان والتّبيين**، **والحيوان**، **والرّسائل**، إلا أنّه اعتبر أيضا مؤلّف كتاب مفقود بعنوان **كتاب الحواضر والغرائب في العالم** (؟) ربّما تأثّر به جغرافيّو القرنين الثّالث والرّابع/التّاسع والعاشر[1]، وكتاب آخر بعنوان **كتاب التّبصّر في التّجارة** الذي ضبط فيه قائمة المواد الغذائيّة والبلدان المنتجة لها، ومنها اليمن. وهذا يدلّ على مدى أهمّيّة مؤلَّفه وخاصّة ظهوره المبكّر. ولا ندّعي أنّنا درسنا وقرأنا قراءة مفصّلة كلّ هذه المؤلّفات، ولكنّنا اقتطفنا منها تفاصيل متفرّقة نذكر منها على سبيل المثال العلاقات الخارجيّة بين اليمن وفارس في القرن السّادس الميلاديّ، وخطب أبي حمزة في المدينة ومكّة أثناء تمرّد الأعور الحَضْرَميّ، وغيرها. ويوجد أيضا تاريخ الجزيرة العربيّة في مصنّف ابن عبد ربّه **العقد الفريد**، وهو كتاب مختارات أدبيّة حقيقيّ تنبني مكوّناته على أخلاقيّة التّقاليد الدّنيويّة والعلوم.

كذلك **كتاب الأغاني** للأصبهانيّ- وهو مؤلَّف في التّاريخ الأدبيّ – وجدنا فيه معلومات متفرّقة عن اليمن الإسلاميّ تتعلّق بالتّاريخ والعادات والثّقافة وغيرها[2].

ونشير أيضا إلى كتب أخرى أكثر تنوّعا مثل كتاب البيْهقيّ (المتوفّى سنة 967/295) بعنوان **المحاسن والمساوي**، وكتاب التّنوخيّ (المتوفّى سنة 990/384) بعنوان **الفرج بعد الشدّة** وكتاب الثّعالبيّ (المتوفّى سنة 1038/424) بعنوان **كتاب لطائف المعارف**، وكلّها تحوي إضافات إلى جغرافيّة اليمن الاقتصاديّة لا يستهان بها.

واطّلعنا في صنف كتب الفِرق الدّينيّة على كتابات الأصبهانيّ **مقاتل الطّالبيّين**، وابن حزم **الفصْل في المِلَل والنِّحل**، والبغداديّ (المتوفّى سنة 1152/547) **كتاب المِلل**، وهي مؤلّفات مكّنتنا من فهم جغرافيّة اليمن الدّينيّة ومن تتبّع كيفيّة تأثّر البلاد بمختلف المذاهب كالمذهب الشّيعيّ والمذهب الخارجيّ في القرنين الأوّل والثّاني/ VIII-VIIم، ثمّ القرمطيّ والزّيديّ في القرن الثّالث/التّاسع.

ومن ناحية أخرى يتضمّن كتاب الحمّادي (المتوفّى في أواسط القرن الخامس/التّاسع)، **كشف أسرار الباطنيّة**، وكتاب القاضي النّعمان (المتوفّى سنة 973/363) **رسالة افتتاح الدعوة**، معلومات ثمينة عن انتشار المذهب الشّيعيّ الاسماعيليّ باليمن في نهاية القرن الثّالث/العاشر.

---

1 - A. Miquel, *op. cit.*, I, 253

2 - (M. Nallino) in *E. I.*, *I*, 212

وينبغي أن نضيف أيضا إلى هذين الكتابين مؤلّفات تتّسم بالانتصار للمذهب الشّيعيّ مثـل كتاب **شرح نهج البلاغة** لابن أبي الحديد (المتوفّى سـنة 1257/655، **وعيون الأخبار** للدّاعي إدريس (المتوفّى سنة 1467/872).

وأخـيرا رأينا من المفيد ذكر المعاجم اللغويّة التي اطّلعنا عليها لتفسـير اشـتقاق لفظ من الألفاظ يتعلّق بتاريخ اليمن الإسلاميّ وجغرافيّته منها **كتاب الاشتقاق** لابن دريْد[1] (المتوفّى سـنة 933/321) **ولسـان العرب** لابن منظور (المتوفّى سـنة 1311/711) **وتاج العروس** للزّبيديّ (المتوفّى سنة 1616/1025).

عموما هذه المؤلّفات في الأدب والفِرَق واللّغة لا يحقّ للمؤرّخ الرّاغب في استكمال معطيـات الأدب التّاريخيّ والجغرافيّ الكلاسـيكيّ تجاهلها حتّى ولو كانت ثانويّة ومتأخرة بالنّسـبة إلى موضوعنا. إلاّ أنّ دراسـة اليمن في العصر الوسـيط المتقدّم تبقى منقوصـة وذات ثغـرات إذا لم تعتمـد على إنتـاج المؤلّفين اليمنيّـين، الأخباريّين منهم والمؤرّخين وعلماء الأنساب.

II-المصادر اليمنيّة ومسـاهمتها في دراسـة اليمن في القرنين الأوّل والثّاني/ السّـابع والثّامن[2]

لم نسـتطع في الوقت الحاضر الاطّلاع إلاّ على عدد محدود جدّا من الكمّ الكبير من المخطوطات اليمنيّة التي ما تزال قابعة في مكتبات العالم بأسره: في اليمن (صنعاء وصعدة وزبيـد وعدن وغيرها)، وفي العالم العربيّ (القاهرة خاصة)، وفي أوربا(المتحف البريطانـيّ والمكتبة الوطنيّة بباريس ومكتبة الأمبروسـيانا بميلانو[3] وبالمعهد البابويّ بروما، ومؤسّسة كايتاني (Caetani) بروما، وليدن واستطنبول)، ويوجد منها حتّى في

---

1 - (J. F. Fuck) in *E. I.*, *III*, 780-781

2 - انظـر بخصـوص هذا الموضوع: أ. ف. سـيد، **مصـادر تاريخ اليمـن في العـصر الإسـلاميّ**، القاهرة، 1974؛ أ.الحبشي، **مراجع تاريخ اليمن**، دمشـق، 1974؛ **دراسـات في التّراث اليمنيّ**، بيروت، 1977؛ نفس المؤلّف، **مصادر الفكـر العربيّ الإسـلاميّ في اليمـن**، صنعاء، كويت، 1973؛ راضي دغفـوس، المخطوطات اليمنيّة في المكتبة الوطنيّة بباريس، **مجلة المؤرّخ العربيّ**، عدد 10، 1979 ص. 122. 115.

Th. Gochenour, Revised Bibliography of medieval Yaman history, in Late of western publications and discoveries in *Der Islam*, 63, 1986, pp. 309-322; P. Bonnenfant, Bibliographie de la Péninsule Arab ique, in *Sciences de l'Homme*, Fasc. 1, C. N. R. S., Paris, 1980.

3 - ص. المنّجد، فهرس المخطوطات العربيّة في الأمبروسيانا، ميلانو، الباب الثّاني من القسم الأوّل، القاهرة، 1960.

الولايات المتّحدة الأمريكيّة. إلاّ أن مؤرّخين وعلماء يمنيّين وعرب وغربيّين، عكفوا منذ سنوات على تحقيق العديد من النّصوص التّاريخيّة مما سهّل البحث لكل من يهتمّ بتاريخ اليمن الإسلاميّ وحضارته.

وينبغي أن نلاحظ أن جلّ النصوص المنشورة والمخطوطة هي نصوص متأخّرة بالنّسبة إلى الحقبة التي تهمّنا إذ تتعلّق في المقام الأوّل بالعصر المتأخّر أي العصر الوسيط اليمنيّ المتأخر (من القرن XIII إلى القرن XV). لذا سنستعرض أهمّ هذه المصادر التّاريخيّة والجغرافيّة ونرتّبها ترتيبا زمنيّا فنبدأ بالنّصوص المبكّرة أي السّابقة للقرن الرّابع الهجريّ، ثم النّصوص التي تعود إلى الفترة الممتدة بين الرّابع والسّادس، وأخيرا النّصوص المتأخّرة (من السّابع إلى الرّابع عشر)[1].

1-المصادر اليمنيّة قبل القرن الرّابع/ العاشر[2]

إنّهم مؤلّفون عاشوا في القرنين الأوّل والثّاني/ السّابع والثّامن، وتناولت مؤلّفاتهم اليمن قبل الإسلام تاريخا سياسيّا، وأنسابا قبلية، وممالك قديمة في الآن نفسه. وهناك ثلاثة أسماء بارزة: عَبيد بن شَرِيّة[3]، ومعروف أنّه صنّف كتابا بإيعاز من الخليفة الأمويّ معاوية بن أبي سفيان بعنوان **كتاب أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها**. والحق أنّ الكتاب جمهرة حكايات أسطوريّة وعجائبيّة تتعلّق باليمن القديم وتتضمّن أشعارا كثيرة

---

1 – نحن نرى أنّ تاريخ التّراث اليمنيّ يشمل ثلاث مراحل مختلفة: الأولى هي المرحلة المسمّاة بـ«الأسطوريّة»، تمثّلها مؤلّفات عَبِيد بن شَرْية (أخبار اليمن)، ووهب بن مُنبّه (كتاب التيجان)، وهشام بن السّائب الكلبيّ (تاريخ اليمن وملوك كندة، الخ...)، وهي مؤلّفات تواصلت بعد ذلك بظهور سيرة سيف بن ذي يزن، وتاريخ فتح اليمن (رأس الغول) التي توجد نسخ منها في مكتبتي تونس وباريس الوطنيّتين. المرحلة الثّانية هي مرحلة «النضج»، وهي تطابق الفترة اللاّحقة في القرن الثّالث/التّاسع، وأحسن من يمثّلها هو بالطّبع الهَمْدانيّ، صاحب مؤلّفات عديدة عن اليمن (منها الإكليل، صفة جزيرة العرب، الخ...). ولا يمكن الحديث عن مدرسة تاريخيّة يمنيّة حقيقيّة إلاّ بعد القرن السّادس/الثّاني عشر، وقد تزامن ظهورها بالانفتاح على بلدان المشرق (الشّام ومصر، الخ...)، واكتشاف تراث المعتزلة والشّيعة عن طريق الرّحلات. ونذكر من بين المؤلّفات التّاريخيّة الأكثر تمثيلية لهذه المرحلة، مؤلّفات الخزرجيّ وابن الديبع وغيرهما. وأخيرا، تتميّز المرحلة الثّالثة، المسمّاة مرحلة «التخصّص»، بظهور أسلوب الطّبقات والتّراجم (تراجم العلماء، والملوك)، نذكر منها بالخصوص مؤلّفات الجَنَديّ (السلوك)، واليافعيّ (المتوفّى سنة 728/ 1366)، وكذلك المؤلّفات المسمّاة كتب «السِّير» و«المناقب». انظر أ. الحَبْشي، مصادر، ن.م. ص 397 وما بعدها.

2 – أ. ف. السّيّد، مصادر، 51 وما بعدها.

3 – ن.م، ص 53-54.

جمعها المسعوديّ في كتابه **مروج الذهب** محقّقا لها بذلك انتشارا واسعا جدّا في العالم الإسلاميّ، أكثر منه مؤلّفا تاريخيّا كلاسيكيّا.

أمّا وهب بن منبّه[1]، وهو يمنيّ من أصل فارسيّ (أَبْنَاوِي)، فإنّه اشتهر بتدوينه حكايات يهوديّة مسيحيّة كانت منتشرة في عصره، معتمدا في الوقت نفسه على الأخبار والأحاديث التي أخذها عن المسيحيّين واليهود من أهل بلده، وعلى الكتب التي جمعها له شقيقه همّام بن منبه. ويُنْسَب إليه كذلك مؤلّف بعنوان **كتاب التّيجان في ملوك حِمير** تناول فيه تاريخ الملوك الحِمْيَرِيّين من البدايات إلى القرن السّادس مرورا بأسعد أبي كَرِب وذي نواس وأبرهة الأشرم. وتكمن أهمّيّة هذا الكتاب الذي اعتمد رواية أبي محمّد عبد الملك بن هشام، في مقاطع مفيدة تتحدّث عن انتشار اليهوديّة والمسيحيّة باليمن. ونشير إلى أنّ هذا المصنّف نقل عنه فيما بعد كلّ من ابن هشام في **كتاب السّيرة**، وابن خلّكان في **كتاب وَفَيَات الأعيان**.

أمّا هشام بن الكلبيّ[2]- وهو كوفيّ من أصل يمنيّ- فقد ترك لنا مؤلّفات عديدة، منها **كتاب الأصنام**، و**كتاب أنساب الخيل**، و**تاريخ اليمن وملوك كِندة**، وهو اليوم مفقود، وخاصة **النّسب الكبير**[3]. وهو مفيد جدّا لمعرفة الأنساب اليمنيّة.

عموما، هؤلاء المؤلّفون الثّلاثة، وفّروا لنا معلومات عن اليمن قبل الإسلام أساسا، وهي معلومات قدّمت في الكثير من الأحيان في قالب أسطوريّ، وهو ما يعني أنّه لا ينبغي اعتبارها جديرة بالثّقة، وبالتّالي فإنّ اهتمامنا ينبغي أن يُرَكَّز على مصادر أكثر تأخرا (أي بعد القرن الرّابع الهجريّ) لكنها تتضمّن معلومات عن الحقبة الإسلاميّة باليمن.

---

1 - C. Huart, Wahb Ibn Mounabbih et la tradition judéo chrétienne au Yamen, in *Journal Asiatique*, juillet septembre, T. 4, 10e série, pp. 331-350. Voir également les travaux de R. G. Khoury

2 - أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 58-59.

3 - ن. م، ص 59.

2-مؤلّفو القرون الرّابع والخامس والسّادس/ العاشر والحادي عشر والثاني عشر[1]

إن أهمّ مؤلّف لكل من يريد دراسة اليمن الإسلاميّ هو بدون منازع أبو الحسن الهَمدانيّ المولود حوالي 893/280 والمتوفّى بعد 360/ 970. وتسميّه مصادر أخرى متأخّرة ابن الحائك[2]، وكان معاصرا للحاكم اليُعْفُريّ أسعد بن أبي يُعْفُر ابراهيم. وكان الهمدانيّ في الوقت نفسه مؤرّخا وجغرافيّا ونَسّابة وشاعرا وفيلسوفا وكيميائيّا وحتّى عالما في المعادن. وقد ألفّ كتبا عديدة تناول فيها مظاهر مختلفة تتعلّق بموطنه الأصلّي، اليمن. ونذكر في المقام الأوّل كتابه **صفة جزيرة العرب**، وهو كتاب جغرافيّ تناول فيه «الأماكن الآهلة بالسّكان، والمسالك والمياه والجبال والمراعي والأودية في شبه الجزيرة العربيّة». وخصّ القبائلَ ومجالات تنقّلها بحيّز هام إلاّ أنّه أهمل المدن، باستثناء صنعاء، إلى درجة أنه نُعت بـ«جغرافيّ الرّيف»[3]. وقد يكون هذا الكتاب جزءًا من مؤلَّف أشمل هو **كتاب المسالك والمهالك**. إلا أنّه كتاب ثريّ من حيث ذكر أسماء المواضع والقبائل، ومع ذلك لا يمكن اعتباره في «الجغرافيا البشريّة» كما ستنشأ في القرن التّاسع بالعراق في إطار عربيّ إسلاميّ يَضْهر عطاء الجزيرة العربيّة وعطاء فارس واليونان والهند في الآن نفسه»[4]. ونهلنا منه معلومات قيّمة جدا تتعلّق بالجغرافيا الإداريّة (قائمة الأقاليم)، والطّبيعيّة (الأنهار والأودية والجبال)، والبشريّة (القبائل)، والاقتصاديّة (الإنتاج الزّراعيّ والمبادلات التّجاريّة وأنظمة الرّيّ). أمّا «المَعْلَم التاريخيّ» الثّاني للهمدانيّ فهو **كتاب الإكليل في الأنساب** المكوّن من عَشرة مجلّدات لم يصلنا منها غير أربعة. وتناولت المجلّدات الأوّل والثّاني والعاشر أنساب كلّ من خَوْلان وحِمْيَر وهَمْدان، في حين تناول المجلّد الثّامن تراث اليمن القديم مثل المعالم التّاريخيّة والقصور والسدود وغيرها. فالكتاب إذن مؤلّف متميّز استقينا منه معلومات شتّى عن القبائل اليمنّية وأنسابها بكلّ دقّة، وعن المنافسات التي كانت بينها، فضلا عن معلومات أخرى كثيرة عن تاريخ اليمن قبل الإسلام وبعده، وعن خصائص البلاد البشريّة والاقتصاديّة في القرن الرّابع خاصّة. وألّف

---

1 - أ. ف. السّيّد، مصادر، ن.م، ص 81 وما بعدها. S. B. Miles, A brief account of four arabic works on the history and geography of Arabia, in *J. R. A. S.*, vol. VII, 1972, p p. 20-27

2 - انظر بخصوص الهَمْدانيّ (O. Lofgren) in *E. I, III*, p. 26؛ أ.ف. السّيّد، مصادر، ص 68 وما بعدها؛ ش. مصطفى، التّاريخ، II، ص 33 وما بعدها، م. الأكْوَع، صفة جزيرة العرب، المقدّمة، ص 43 وما بعدها.

3 - A. Miquel, *La géographie...*, I, 249

4 - ن.م، ص253.

الهمدانـيّ أيضا قصيدة مطوّلة بعنـوان **القصيدة الدّامغـة** وشَرَحها، تناول فيها بالذّات موضـوع مدح أجداده القحطانيّين، مقابلا بينهم وبين العدنانيّين، عرَب الشّـمال، مقيما بذلك الدليل على تعصّبه لليمنيّين، وهو ما ينال كثيرا من مصداقيّة روايته التّاريخيّة. والواقـع أنّ بلوغ وطنيّتـه حدّها الأقصى ودفاعه عن قضية عـرب الجنوب هما اللذان كانا سـببا في حَبسـه مرتين في القرن الرّابع من قبل اليُعْفُريّـين. وقد تكلّم بعضهم عـلى الهمدانيّ بصفته يمنيّا متورّطا كثيرا في المؤامرات التي كانت تحاك بإيعاز من الإسـماعيليّة ضدّ سـلطة الزّيديين المحلّيّة. وألّف الهمدانيّ أيضا كتابا في علم المعادن والكيمياء بعنوان **كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصّفراء والبيضاء**[1] واقتضى تصنيفه استشـارة يمنيّين مختصّين في فنّ الحدادة وصناعة السّـيوف، وتعلّم علم المعادن أيضا عن أعضاء من أسرته وخاصّة أبيه وعمّه وعن خبير السكّة في صنعاء وصَعْدة[2]. فالهمدانيّ عموما «وطنيّ» سـخر مجموع مؤلّفاتـه لبلده الأصليّ اليمن. وهو أيضا عالم متعدّد الاختصاصات، عَرَف بفضل حسّـه النّقـدي وجدّية توثيقه، كيف يتثبّت من معارفـه الشّـخصيّة على محكّ مكتسـبات العلم في عـصره. إلاّ أنّ كتابته تَرْشَـح بانحيـازه الواضح لليمن، انحيازا يقارب التّعصّب والعداء للمُضريّين وخاصّة للفرس المُقيمـين في صنعاء وفي مدن يمنيّـة أخرى. لذا فمن الضّروريّ جـدّا تقبّل المعلومات المتعلّقة بهذا الموضوع بحذر وعرضها على غربال النّقد.

ويمكن أن نضيـف أربعة أخباريّين يمنيّين آخرين تركـوا مؤلّفات في منتهى الأهمّيّة بالنّسـبة إلى دراسة اليمن في القرون الأولى، وهم الرّازيّ (المتوفّى حوالي 1068/460)، وعُمارة (المتوفّى سـنة 1174/569)، ونَشْوان الحِمْيَريّ (المتوفّى سن 1177/573)، وابن سَمُرة الجعديّ (المتوفّى سنة 1190/586).

واشـتهر أحمد الرّازيّ بمعارفـه في مجالي الفقه والحديث إلاّ أنّ أهـم مؤلّفاته **تاريخ مدينـة صنعاء** يمكن اعتبـاره أقدم تاريخ عامّ لليمن معروف[3]. واسـتعمل الرازيّ في هذا المصنّف كتب سـابقيه وهب بـن منبّه والطّبريّ والهَمْدانـيّ بالخصوص وتناول

---

1 - انظر طبعة Ch.Toll، الصادرة بأوبسلا Uppsala سنة 1968 وكذلك فصل
D. M. Dunlop, Sources of gold and silver accordings, in *Studia Islamica*, IV, 1957, pp. 29-40
والملاحظ أن الهَمْدانيّ ينقل في كتابه قائمة مفصّلة في مناجم الذّهب والفضّة الموجودة في الجزيرة العربيّة وضواحيها، ويقدّم لنا بنفس المناسبة معلومة بليغة جدّا حول طرائق تكوّن المعادن الثّمينة وتقنيات استخراجها وسبْكها.

2 - أخذنا هذه المعلومات عن كـ.تُلّ (Ch. Toll) في محاضرة ألقاها بكلّية الآداب والعلوم الإنسـانية بتونس عن الهَمْدانيّ.

3 - انظر طبعة دمشق بتحقيق العُمريّ وأ. زكّار، ص 22 وما بعدها.

فيه على التّوالي أصول مدينة صنعاء قبل الإسلام وخصائصها العامّة، وفضائل اليمن، ومختلف العمّال المسلمين الذين تعاقبوا على ولاية الإقليم في القرنين الأوّل والثّاني، ورِدّة الأسود، وكذلك مواضيع أخرى أكثر تنوّعا مثل الفنّ المعماريّ بصنعاء، والمساجد والعلماء والشّعراء وغير ذلك. ويحوي المؤلّف أيضا معلومات مكمّلة لما ورد عند الهَمْدانيّ بخصوص تغيير نظام الرّيّ بوادي ظَهَر، وتأخّر اليمن الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وإخلاء مدينة صنعاء من سكّانها في القرن الرّابع. ولا ننسى المعلومات الطّريفة التي قدّمها الرّازيّ بخصوص الحياة اليوميّة بصنعاء واليمن عموما في القرنين الرّابع والخامس مثل الطّعام والشّراب، وزخرفة المساجد، والحياة الفكريّة والدّينيّة مثل ما يتعلّق بالعلماء والفقهاء والشّعراء بالمبادلات التّجاريّة.

ونجد الأمر نفسه في مؤلّف عُمارة **المفيد في أخبار صنعاء وزَبيد**[1] الذي ألّف انطلاقا من كتاب يحمل العنوان نفسه للحاكم النّجاشي جيّاش. ويتناول هذا الكتاب تاريخ اليمن من بداية القرن الثّالث وعلى وجه الدّقّة ابتداء من سنة 204، تاريخ تأسيس زَبيد، إلى القرن السّادس؛ إلاّ أن عُمارة يلحّ عمليا على تاريخ مدينتي صنعاء وزبيد، عاصمتي كلّ من يمن المرتفعات ويمن السّهول من القرن الثّالث إلى السّادس. وتكمن أهمّيّة هذا المصدر بالنّسبة إلينا في حديث عُمارة عن العلاقات السّياسيّة والاقتصاديّة بين الأمراء والملوك المحلّيّين في اليمن على إثر تخلّص البلاد من سيطرة السّلطة المركزيّة ببغداد وحصولها على استقلالها. ونقل عن هذا الكتاب عدد كبير من المؤلّفين والأخباريّين اللاّحقين مثل ابن العِماد وابن خلّكان وياقوت والجَنَديّ والخزْرجيّ وابن الديبع. فهذا الكتاب إذن، شأنه في ذلك شأن جميع كتب الهَمْدانيّ، مصدر تاريخيّ يحيل إليه كلّ المؤلّفين الذين اهتمّوا بتاريخ اليمن في القرنين الثّالث والرّابع. والملاحظ أنّ عُمارة، مؤلّف هذا الكتاب، استقرّ بمصر وشارك في المؤامرة التي حيكت ضد صلاح الدين الأيّوبيّ، فأعْدِم سنة 569/1074[2]. واستقينا من **كتاب المفيد** معلومات أساسيّة عن الممالك اليمنيّة المستقلّة وخاصّة عن الزِّيَاديّة في زبيد ومعاصريهم اليُعْفُريّين والزَّيْديّة.

1 - انظر بخصوص عُمارة أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 108 وما بعدها.

2 - انظر ترجمة عُمارة في كتاب بَامَخْرَمة، تاريخ ثَغر عَدَن، II، ص 165-171، ومقدمة م. الأكْوَع محقق كتاب المفيد، ص 22-35.

أمّا مُؤلَّف نشوان بن سعد الحِمْيَرِيّ[1]، العالِم اليَمنيّ الذي كانت معارفه في مجالات عديدة كالفقه واللّغة والشِّعر والنّحو والتّاريخ والأدب، فإنّه يعكس جيّدا هذا التّعدّد الذي يذكّرنا بالفكر الجاحظيّ وقد لخّصته مقولته الشّهيرة «الأخذ من كل شيء بطرف». وقد اطّلعنا على ثلاثة مؤلّفات أساسيّة لنشوان هي **شمس العلوم**، وهي دراسة لغويّة[2]، و**رسالة الحُور العِين**، وهو كتيّب في الفِرق الدّينيّة[3]، وخاصّة منها الزّيديّة وعلاقتها بالمعتزلة، والاسماعيليّة وانتشارها في اليمن في القرن الثّالث عن طريق الدّاعيين علي بن الفضل القرمطيّ ومنصور اليمنيّ. أمّا المؤلّف الثّالث فإنّه قصيدة بعنوان **ملوك حِمْير وأقيال اليمن**[4]، يليها شرح بعنوان **خلاصة السّيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التّبابعة**. وينتسب نشوان في هذا الكتاب إلى قبيلة أذواء اليمنيّة وبصورة أدقّ إلى ذي سَحَر، ويعيد ما ذكره المؤلّفون اليمنيّون السّابقون - منهم الهَمْدانيّ- بخصوص تاريخ اليمن القديم. أمّا الشّرح فإنّه يتضمّن معلومات مفيدة عن اليمن الإسلاميّ (الأذواء والمثامنة في صدر الإسلام، والأمراء المحلّيون من أمثال المناخيّين واليُعْفُريّين وغيرهم). وفي الجملة، فإن مؤلّف نشوان المكمّل لمؤلّفات سابقيه عَبيد بن شريّة ووهب بن مُنبّه وخاصة الهمدانيّ، يهتمّ بتاريخ اليمن القديم وبالحقبة الإسلاميّة على حدّ سواء.

وآخر أخباريّ من القرن السّادس نذكره ليس إلاّ الفقيه ابن سَمُرَة الجعديّ صاحب كتاب في الطّبقات بعنوان **طبقات فقهاء اليمن**[5] الذي ألحّ فيه على دخول علم العبادات الشّافعيّة اليمنَ ابتداء من القرن الثّالث، وعلى تأثير هذا المذهب الجديد في مصير هذا البلد دينيّا وفكريّا في القرون الموالية من الثّالث إلى السّادس. وكان ابن سَمُرة نفسه شافعيّا، وقد عاد في بداية كتابه إلى أهمّ الأحداث السّياسيّة التي جدّت باليمن في الحقبة المحمّديّة وعصر الخلفاء الرّاشدين مثل اعتناق اليمنيّين الإسلام، وردّة الأسود، وقائمة أسماء العمّال وغيرها. إلاّ أن أهمّ ما في الكتاب الذي سيتحوّل إلى مرجع أساسيّ لكلّ المؤلّفين اليمنيّين اللاّحقين كالجَنَديّ، خُصّص

1 - انظر بخصوص نشوان أ. ف. السّيّد، **مصادر**، ص 78؛ وش. مصْطفى، **التّاريخ**، II، 347.

2 - انظر طبعة عظيم الدين أحمد، **مختارات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم**، بريل 1919، والطّبعة الكاملة بتحقيق Zetterstein، بريل 1951.

3 - انظر طبعة م. كمال، القاهرة، 1948.

4 - انظر طبعة المؤيّد، القاهرة، 1959.

5 - طبعة ف. السّيّد، القاهرة، 1957، وكذلك ترجمة ابن سَمُرَة في كتاب بَامَخْرَمَة، ن. م، ص 179-180؛ أ. ف. السّيّد، **مصادر**، ص III وما بعدها.

لطبقات الفقهاء الذين عاشوا في اليمن منذ صحابة الرّسول إلى الطّبقة السّابعة أي المعاصرين للمؤلّف في القرن السّادس/ الثّاني عشر. ومهما كان الأمر فإن كتاب ابن سَمُرة هذا هو «أقدم كتاب يمنيّ معروف في موضوع الطّبقات».

عموما فإنّ المؤلّفين اليمنيّين الذين كنّا نستعرضهم، سخّروا كتاباتهم إمّا لجغرافيّة اليمن مثل كتاب الهمدانيّ **صفة جزيرة العرب** أو لتاريخه القديم مثل **الإكليل** للهمدانيّ و**ملوك حِمْير** لنشوان، أو للحقبة الإسلاميّة مثل كتب الرّازيّ وعُمارة والجَعْديّ. وإنّ المعلومات التي يقدّمونها هي في الوقت نفسه متفاوتة وطريفة إلاّ أنهم يفضّلون خاصّة الأحداث والملامح السّياسيّة. وينبغي أن نخصّ الهَمْدانيّ بمكانة خاصّة بين هؤلاء جميعا، يليه الرّازيّ وعُمارة.

3-الأخباريّون اليمنيّون في نهاية العصر الوسيط، من القرن السّابع إلى القرن العاشر /XII- XVI

عرف التّأليف التّاريخيّ باليمن في العصر الوسيط تطوّرا كبيرا وأنتج مؤلّفات متنوّعة تشمل كتبا في الأخبار المحلّيّة أو العامّة عن تاريخ اليمن، وكتب طبقات، ومؤلّفات في الأنساب. واحتفظنا منها بالمؤلّفين الذين يمثّلون ما لا يتردّد البعض في نعته «بالمدرسة التّاريخيّة اليمنيّة». منهم الأشرف الرّسوليّ (المتوفّى سنة 1296/696)، والجَنَدي (المتوفّى سنة 1332/732)، وابن عبد المجيد (المتوفّى سنة 1343/714)، والخزرجيّ (المتوفّى سنة 1537/944) وأخيرا بَامَخْرمه (المتوفّى سنة 1540/947) وقد ترك الحاكم الرّسوليّ الأشرف كتابا في الأنساب بعنوان **طُرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**[1] يحوي معلومات مفيدة جدّا عن القبائل العربيّة وخاصّة منها اليمنيّة. ويمكن أن نضيف كتاب **روضة الأخبار** للحَجُوريّ[2] الذي لا نعرف تاريخ وفاته، في أربعة مجلّدات تناول فيها التّاريخ العامّ منذ بدء الخليقة إلى القرن السّابع الهجريّ. ويوجد تاريخ اليمن والأسر التي تعاقبت على حكمه في المجلّد الرّابع. واطّلعنا على مقتطفات من هذا الكتاب الذي مازال مخطوطا في مجموعة الفاتكان[3]، وهي مقتطفات مأخوذة من المجلّد الثّالث المخصّص لخلافة عليّ ولمناقب الصّحابة،

1 – طبعة دمشق، 1949، تحقيق Zetterstein. انظر بخصوص الأشراف أ. ف. السّيّد، مصادر، 131-132.

2 – أ. ف. السّيّد، مصادر، 133- 144.

3 – انظر مخطوط الفاتيكان عدد 1130 (2، 4، 5)، الورقات 113-128، و128-139. أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 134.
W. Madelung, The idendity of two yamanite historical manuscripts, in *J.N.E.S*, pp. 179-180.

والنّساء القُرَشيّات المتزوّجات بيمنيّين؛ إلاّ أنّ أهمّ ما لفت انتباهنا في تلك النّصوص هو أنّ المعلومات المخصّصة للكعبة ومساجد المدينة والبصرة والكوفة ودمشق وكذلك لجغرافيّة شبه الجزيرة العربيّة، ولمواضيع أخرى متنوّعة كأيّام العرب في الجاهليّة وانتشار الأوبئة في العالم الإسلاميّ، ومِهَن كبار الأعيان، كلّها تذكّر بصفة غريبة بما ورد في مؤلّفات ابن حبيب (**كتاب المخبر**)، وابن رُسْتَه (**كتاب الأعلاق**)، وحتّى ابن قتيبة (**كتاب المعارف**). وهذا يعني أنّ الحَجُوريّ نهل كثيرا من هذه المصادر المختلفة المؤلّفة في القرنين الثّالث والرّابع والسّابقة لتصنيف كتابه.

أمّا كتاب الجَنَديّ **السّلوك في طبقات العلماء والملوك**[1] فهو يندرج في صنف كتب الطّبقات، وهو مكمّل على نطاق واسع لكتاب سلفه ابن سَمُرة. ويعتبر مصدرا ثمينا بالنّسبة إلى دراسة التّاريخ الإسلاميّ باليمن إذ لم يكتف مؤلّفه بذكر جميع فقهاء اليمن منذ الحقبة المحمّديّة إلى القرن السّابع بل تناول فيه أيضا الأحداث الواقعة في عهد الولاة، موضوع دراستنا، وضمّنه مادّة تاريخيّة في منتهى الجدّية خاصة ما يرتبط منها بالأسر المالكة المستقلّة كالزّياديّة والحَوَاليّة في القرن الثّالث، وحقبة القرامطة وغيرها.

ويبدو أنّ ابن عبد المجيد[2] صنّف كتابه **بهجة الزّمن في تاريخ اليمن** بطلب من السّلطان الظّاهريّ المؤيّد (696-721/1297-1322)، وقد أدمجه النّويريّ المصريّ في موسوعته **نهاية الأرب**. واطّلعنا على مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس[3]، فلاحظنا فروقا طفيفة بينه وبين ما نقله النّويريّ إلاّ أنّ هذه الموسوعة تنقصها الفصول الثّلاثة التّالية: «**تسمية اليمن**»، و«**قصر غمدان**» و«**بناء جامع صنعاء**». وقد حَبَا ابن عبد المجيد في هذا التّاريخ العام لليمن طبعا العهدَ الرّسوليّ باهتمام خاصّ (حوالي 626-724)، إذ لم يخصّص غير عشر ورقات لعهد الولاة وعشر أخرى للأسر المالكة المستقلّة مثل الزّياديّين والزّيديّين والقرامطة وغيرهم. وهو من ناحية أخرى يقتصر على الأحداث السّياسيّة العسكريّة ناقلا عن سابقيه وخاصّة منهم عُمارة، ولا يذكر مصادره إلاّ نادرا إذ أحال إلى وهب بن منبّه مرّة واحدة في الفصل الأوّل. ومع ذلك زار هذا

1 - انظر بخصوص الجَنَدي أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 139 وما بعدها. واطّلعنا أيضا على مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس عدد 2127.

2 - انظر بخصوص ابن عبد المجيد أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 142 وما بعدها. ونُشِر مؤلَّفُه اعتمادا على مخطوط للنّويريّ حقّقه م.حجازي، القاهرة، 1965.

3 - انظر النّسخة عدد 5977، وهو عمليّا المخطوط الوحيد المنسوب إلى ابن عبد المجيد.

الأخبـاريّ المولـود بعدن[1] بلدانا كثيرة مثل مصر والشّـام ومكّـة، ومارس وظيفته «كاتـب الـدَّرْج» لدى المؤيَّد، ثم صـار معلّم ابنه المجاهـد. وكان ابن عبد المجيد مشـهورا في مصر وسوريا ولكن يبدو أنّه لم يشتهر بصفته مؤرّخ اليمن بقدر ما اشتهر بملَكتـه النحويّة ومؤلّفه «**تاريخ النحاة**» وببراعته ناثـرا. ومع ذلك يعتبره المؤلّفون اليمنيّون اللاّحقون مثل الخزرجيّ وابن الديبع واحدا من مصادرهم التّاريخيّة الأساسيّة.

وقبل أن نصل إلى هذين الأخباريَّيْن، نتكلّم بإيجاز عن الحاكم الرّسـوليّ الأشرف إسـماعيل[2] الذي ارتبط اسـمه بكتابين ألّفهما في القرن السّابع، الأوّل بعنوان **العَسجد المسبوك** المنسوب أيضا إلى الخزرجيّ، والثّاني بعنوان **فاكهة الزّمان أو مرآة الزّمن في أخبار اليمن** الذي يتناول تاريخ اليمن العام إلى سـنة 802. ومهما كان الأمر فإنّ هذين الكتابـين لا يهمّاننا بنفس الدّرجة التي يهمّنا بهـا كتاب الخزرجيّ **الكفاية والإعلام** الذي لم يصلنا منه غير المجلّدين الرّابع والخامس، وفيه تناول تاريخ اليمن العامّ من بداية الإسلام إلى بداية القرن التّاسع/ XIV[3] وتناول المجلّد الرّابع بالخصوص تاريخ الحكّام والأمراء الذين حكموا صنعاء وعدن[4]، ويتكوّن من عشرة فصول موزّعة كما يلي:

1-في فضل اليمن.
2-في ذكر إسلام اليمن وذكر عمّال رسول الله.
3-في ذكر عمّال اليمن بعد وفاة الرّسول.
4-في ذكر عمّال بني أميّة.
5-في ذكر عمّال الدّولة العبّاسيّة.
6-في ذكر القرامطة باليمن وذكر علي بن الفضل.
7-في ذكر الأمراء المتغلّبين على صنعاء.

---

1 - انظر ترجمة المؤلّف في كتاب **تاريخ ثَغر عدن** لبَامَخْرَمَة، II، 251-252.

2 - انظـر بخصـوص الأشرف وكتاباته س.م. عبـد المنعم، حياة الملك الأشرف اسـماعيل وجُهوده الثّقافيّة، **المؤرّخ العربيّ**، 8، 1978، ص 100- 116. وانظـر أيضا لنفس المؤلّف كتاب **العَسْجَد** الـذي تناول فيه تاريخ اليمن إلى سنة 805/ 1400.

3 - انظـر بخصوص الخزرجيّ أ. ف. السّـيّد، **مصادر**، ص 161 وما بعدها، واسـماعيل الأَكْـوَع، أضواء على مؤلّفـات علي بن حسـن الخزرجيّ مؤرخ اليمن، **المؤرّخ العربيّ**، 4، 1977، ص 123-129، ودراسـتنا: اليمن في عهد الولاة، **الكرّاسات التونسيّة**، العددان 107 و108، 1979، ص 1- 163 حيث قمنا بتحيين حياة الخزرجيّ ومؤلّفاته.

4 - كتاب الخزرجيّ **الكفاية والإعلام** لا يزال مخطوطا في المكتبة الوطنيّة بباريس رقم (2) 5832، وقد حقّقنا منه الفصول الخمسة الأولى (الورقة 5 قفا إلى الورقة 23 قفا) من الكتاب الرّابع، وهي تتعلّق بفترة الولاة (القرن الأوّل إلى الثّالث/ VII -IX)

8-في ذكر ظهور الدّولة الصّليْحيّة.

9- في ذكر ملوك صنعاء بعد الصُّليْحيّين.

10-في ذكر الدولة الزُّريْعيّة واستيلاء الزّريعيّين على عدن.

أمّا المجلّد الخامس[1] فإنّه مخصّص بأكمله لتاريخ مدينة زَبيد المحِليّ منذ تأسيسها سنة 204 من قِبَل محمّد بن زياد إلى حكم السلطان الرّسوليّ الأشرف إسماعيل (778-1400-1373/803). وهو مقسّم إلى اثني عشر فصلا تناول فيها:

1-تأسيس زبيد وانتصاب الزّياديّين.

2-3-مملكة النّجاحيّين: الملوك والوزراء.

4-المهديّون.

5-الدولة الأيّوبيّة.

6 إلى 12-الدّولة الرّسوليّة في عهد الحكّام السّبعة الأوائل.

وألّف الخزرجيّ كتابه هذا بأسلوب الحوْليّات معتمدا كتبَ الأخبار السّابقة للرّازيّ وابن سَمُرة والجَنَديّ وعُمارة، وهو لا يزال مخطوطا. ويبرز الكتابُ المظهرين السّياسيّ والأحداثيّ في تاريخ اليمن في عهد الرّسوليّين خاصّة. معنى ذلك أنّه ذكر بسرعة القرون الأولى من الإسلام. فكأنّ الخزرجيّ كان يريد بصفته رجلَ الأشرف الأمين ومؤرّخ الرّسوليّين، أن يقتصر على تاريخ اليمن وزَبيد في القرن الثّامن. وتمكّنّا بفضل معلومات الخزرجيّ الذي جمّع مؤلّفات سابقيه والذي سيستعمل كتابه بدوره الأخباريّون المتأخّرون مثل ابن الديبع وابن الحسين وبَامَخْرَمَة، مِنْ ضبط قائمة مفصّلة في ولاة اليمن وجدوا في تواريخ مباشرتهم لوظيفتهم وتواريخ عزلهم واعتزالهم طيلة الحقبة المحمّدية ثم الرّاشديّة والأمويّة واستعملنا أيضا الفصول الأولى من المجلّدين الرّابع والخامس لرسم الخطوط الكبرى لتاريخ إقليم اليمن السياسي في القرن الأوّل. وهذا يدلّ على أنّ مؤلّف الخزرجيّ، رغم بعده الأقصى عن الأحداث التي يذكرها، لا يمكن البتّة الاستغناء عنه[2].

هل يمكن أن نقول الكلام نفسه عن ابن الديبع وبَامَخْرَمَة وقد اشتهر الأوّل بأنّه كان قبل كل شيء مؤرّخ زَبيد، إلاّ أنّه كان في الوقت نفسه فقيها ومحدّثا وأخباريّا[3].

---

1 - انظر مخطوط باريس الورقات 23 قفا إلى 126.

2 - أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 161 و199.

3 - أ. ف. السّيّد، مصادر، ص204 وما بعدها؛ ودراستنا ابن الديبع مؤرّخ اليمن، حوليّات الجامعة التّونسيّة، 18، 1980، ص 31-74؛ V. Arendonk, in *E. I, III*, p.769.

وهـو من ناحية أخرى سـلفيّ مرموق وأحـد أنصار الحاكم الطّاهـريّ عامر بن عبد الوهّـاب (894-923/1489-1517) المتحمّسـين له. وكانت أغلـب مؤلّفاته التّاريخيّة المخصّصـة لتاريخ اليمـن ومدينة زَبيد يعرضهـا قبل نشرها بين النّـاس على الحاكم المذكـور لمراجعتها، فكان كثيرا مـا يلفت انتباه المؤلّف إلى بعض الثّغرات، بل بلغ بـه الأمر إلى إبداء ملاحظات تخـص جزئيّات غفل عنها. ويمكن القول إنّ ابن الديبع رجل له ثقافة واسعة جدّا، شديد التعلّق بمسقط رأسه زبيد، وإنّه كان نموذج مؤرّخ الملك والقـصر والأخباريّ المحلّيّ[1]. وإنّ كتابه الشّـامل **قُرّة العيـون في أخبار اليمن الَيمـون** صنّفه على طريقة كتاب **الكفاية** للخزرجي أي بأسـلوب الحوليّات وتناول فيه تاريخ اليمن منذ صدر الإسلام إلى 923/1517[2]. وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأوّل دراسـة في «فضائل اليمن» ومختلـف الحكّام الذين حكموا صنعاء وعدن، ينقسـم بدوره إلى عشرة فصول ويذكّرنا بالتخطيط الذي اتّبعه الخزرجيّ في المجلّد الرّابع من كتاب **الكفاية** الذي قدّمناه منذ حين. أمّا القسم الثّاني من هذا التّأريخ فإنّه يواكب عـن كثب تاريخ زَبيد المحلّيّ ويضـمّ ثمانيةَ عَشَر فصلا تتعلّق بالأُسَر التي تعاقبت على حكـم المدينـة منذ عهد الزّياديّين إلى عهد الرّسـوليّين. وقد عاد في هذا القسـم إلى ما ذَكره الخزرجيّ في المجلّد الخامس واستكمله في كلّ ما يتعلّق بالملوك الرّسوليّين الأواخر. أمّا القسم الثّالث والأخير والمكوّن من ثلاثة فصول فقط، فهو مخصّص بالطبع لملـوك بني طاهِـر (850-923/1446-1517) أي إلى الحقبة المعاصرة لابن الديبع. وفي الجملة فإنّ هذا التّأريخ جمهرة جمع فيها ما أخذه عن الخزرجيّ وعن المؤرّخين السّـابقين كالرّازيّ وعُمَارة والجَعْديّ والجَنَديّ وابن عبد المجيد.

أمّا كتاب ابن الديبع الثّاني **بُغية المستفيد في أخبار مدينـة زَبيد**[3] فهو مجموع أخبار مخصّـص لتاريخ زَبيد وتهامة المحلّيّ، وبدرجة أقلّ لجهات اليمن الأخرى كالمرتفعات وحضرموت، وقد خصّص ابن الديبع، بعد مقدّمة عامّة عن اليمن في عهد الولاة، عشرة فصـول كاملة لتاريخ زَبيد: اثنان منها للمدينة ولإقامة بني زياد بها سـنة 204/819، وآخـران لبـني نجاح وبني صُليْـح، وخامس لبني المهـدي، واثنان آخـران للأيّوبيّين والرّسوليّين والفصول الثّلاثة الأخيرة للحكّام الطّاهريّين الثّلاثة إلى سنة 901/1495.

---

1 - انظر سيرة ابن الديبع في دراستنا المذكورة، ص 38-47.

2 - اطّلعنا على مخطوطي هذا المؤلّف عدد 5821 و6068 بالمكتبة الوطنيّة بباريس وكذلك تحقيق م. الأَكْوَع، القاهرة، 1976.

3 - انظر طبعة صنعاء بتحقيق الحَبَشيّ وهي إلى الرّداءة أقرب، وطبعة يوسـف شـلحد، وهي أهمّ (1983)؛ وانظر كذلك مخطوطي المكتبة الوطنيّة بباريس عدد 6069 و5897.

والملاحظ أنّ هذا الكتاب المُهْدى إلى الحاكم الطّاهري عامر بن عبدِ الوهّاب، جلب لمؤلّفه جائـزة هامّة وخطّة مقرئ الحديث النّبويّ بجامع زبيـد. واضطُرّ ابن الديبع إلى استكماله بعد ذلك بكتاب آخر عنوانه «**الفَضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زَبيد**»[1] تناول فيه الحقبة الممتدّة بين سـنتي 1495/901 و1517/923 أي سـقوط عامر الثّاني واحتلال المماليك لليمن. ومن ناحية أخرى خصّ ابن الديبع مسـقط رأسه زَبيـد بقصيدة مطوّلة مكوّنة من 119 بيتـا تناول فيها الخطوط الكبرى لتاريخ زبيد منذ تأسيسـها سـنة 204/ 819 إلى سـنة 923/1517[2]. عموما فابن الديبع «مـؤرّخ بني طاهر الرّسـميّ» اهتمّ في مؤلّفاته بصفة خاصة بمدينة زَبيد. أمّا بخصوص فترة الولاة، موضوع عملنـا، فمـن الواضح أنّ المعلومة التـي يقدّمها ابن الديبع لا تضيف شـيئا ذا بال إلى ما ذكـره الخزرجيّ وعُمارة. إلاّ أن لها فضل إرشـادنا إلى الطّريقـة اليمنيّة في كتابة التّاريخ في القرن XV/X أي الاسـتعمال المطّـرد للنّصّ القرآنيّ والأحاديث النّبويّة عمادا وأساسـا للتّأليف[3].

وتنـاول بَامَخرمة[4] بالدّرس في كتابه المؤلّف بأسـلوب الطّبقات بعنوان **تاريخ ثغر عَدَن**، الوضعَ الاقتصاديّ والاجتماعيّ في عدن وفي بقيّة اليمن في القرون 7-9/14-15 ولا يقـلّ عدد التّراجم التي خصّصها للعلماء والصّلحـاء والحكّام والأمراء والوزراء والتجّار المولودين في مدينة عدن أو الذين زاروا مَرْفَأها في إحدى فترات وجودهم، عن ستّ عشرة ومائتين. ولاحظنا ضمنها عديد أسماء الشّخصيّات التي لعبت دورا هامّا في تاريخ اليمن في القرون الأولى بعد ظهور الإسلام. وكان بامَخرمة معاصرا لابن الديبع، فلا شـكّ في أنّه اسـتعمل مؤلّفات سـابقيه خاصّة منهم عُمارة والجَنَـديّ والخزرجيّ وجيّـاش، وهو ما يؤكّد اعتـماد الأخباريّين اليمنيّين في العصر الوسـيط المتأخّر على نفس المصـادر التّاريخيّة، وتناقلهم لنفس المعارف ونفس المعلومات -باسـتثناء بعض التّفاصيل- لكتابة تاريخ بلادهم اليمن، السّياسيّ والاجتماعيّ والثّقافيّ والدّينيّ.

4 - الأخباريّون اليمنيّون المتأخّرون (القرون 10-13/16-19)

إنّ المصـادر اليمنيّـة الأكثـر تأخّرا لا يـزال أغلبها مخطوطـا وأهمّيّتها بالنّسـبة إلى موضوعنا ثانويّة. ويتمثّل الاسـتثناء الوحيد في المؤلّف الزيّديّ يحيى بن الحسـين (المتوفّى

---

1 - انظر تحقيق يوسف شلحد، ص 227 وما بعدها، وكذلك طبعة الكويت بتحقيق صالحيّة، 1982.

2 - حقّقنا نصّ هذه القصيدة في دراستنا عن ابن الديبع، ن.م، ص 64- 74.

3 - انظر مقدّمة يوسف شلحد لكتاب بغية المستفيد، ن.م، ص 6؛ صالحيّة، ن.م، ص18 وما بعدها.

4 - انظر بخصوص بَامَخرمة أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 205 وما بعدها.

حوالي 1100/1689)[1]. وهو حفيد الإمام الزّيديّ القاسم بن محمّد (1006-1029/1598-1628). وقد ترك لنا مؤلّفات تاريخيّة عديدة أهمّها دون منازع كتاب **إنباء أبناء الزّمن في تاريخ اليمن** الذي تناول فيه تاريخ اليمن العامّ منذ بدايات الإسلام إلى 1046/1636، لم يُنْشر منه سوى القسم الخاصّ بالسّنوات 280-322/ 893-934[2]. ولدينا أيضا مختصر مكثّف لهذه الأخبار المكتوبة في شكل حوليّات بعنوان **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**[3]. وخلافا لسابقيه، لا يكتفي ابن الحسين في هذا الكتاب برواية الأحداث سنة بعد أخرى بل حاول أيضا أن يفسّرها وأن يجعلها في سياقها الاجتماعيّ والاقتصاديّ الدّقيق. وإنّ أهمّ ما في هذا التّأريخ العامّ والمتأخّر يَكْمُن في استعمال عديد المصادر التّاريخيّة السّابقة، عُمارة والهَمدانيّ والخزرجيّ والرّازيّ والأهْدل وابن الديبع وبَامَخْرَمة بالنّسبة إلى اليمن، والطّبريّ والمسعوديّ والذّهبيّ والسّخاوِيّ ومسكويه والسّيوطيّ والمقريزيّ بالنّسبة إلى الشّرق الإسلاميّ، فضلا عن كتب «السِّير» المخصّصة للأيمّة الزّيديّين[4].

والملاحظ أنّ جميع الأخباريّين في القرنين 12- 13/18-19 ينقلون عن ابن الحسين: ذلك شأن ابن الوزير (المتوفّى سنة 1147/1735) في كتابه **جامع المتون في أخبار اليمن الميمون**[5] الذي يشمل المرحلة الممتدّة بين بدايات الإسلام وسنة 1045/1635. ونفس الأمر ينطبق على الكِبْسيّ (المتوفّى سنة 1308/1891)، وقد ألّف كتبا عديدة لا تزال مخطوطة، اطّلعنا منها في مؤسّسة كايتاني (Caetani) بروما[6] على **كتاب اللّطائف السّنيّة في أخبار الممالك اليمانيّة** وكتاب **تاريخ الزّمان وسبب تفرّق النّاس في البلدان**[7]. ولم يفدنا هذا الكتاب المخصّص لتاريخ اليمن القديم إذ يذكّرنا بكتب عَبيد بن شريّة وكتب نشوان، ولكن أفدنا من الكتاب الأوّل الذي تناولت ستّة فصول فيه من ثلاثة عشر فصلا تاريخَ اليمن في عهد الولاة وفي نهاية القرن الثّالث/ العاشر، في عصر الدّولتين اليُعْفُريّة والقرمطيّة.

1 - انظر بخصوص هذا المؤلّف الزّيدي أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 246.

2 - تحقيق م. ماضي، برلين، ليبزيغ، 1936.

3 - طبعة القاهرة في مجلّدين بتحقيق س. أ. عاشور، 1968.

4 - أ. ف. السّيّد، مصادر، ص 246-248.

5 - ن. م، ص 264-266؛ اطّلعنا على مخطوط هذا المؤلّف في مؤسّسة كايتاني (Caetani) عدد 356، تريني (Traini).

6 - أ. ف. السّيّد، مصادر، ص307-309. يوجد المخطوط في مؤسّسة كايتاني تحت عدد 362.

7 - انظر مخطوط مؤسّسة كايتاني عدد 358.

أمّا الأخباريون الآخرون، الآنِسيّ والعراشيّ والأهْدَلِيّ والوِيسيّ، فإننا سنقدّمهم في قائمة المصادر والمراجع ضمن الأشـغال الحديثة المخصّصة لتاريخ اليمن الإسلاميّ. والحاصـل أنّ الأخباريّـين اليمنيّين الأكثر تأخّرا لا يضيفـون معلومات إضافيّة في موضوع دراستنا لأنّهم لا يزيدون على الإعادة والنّقل أو في أحسن الحالات يلخّصون مؤلّف ابن الحسـين وهو نفسـه نوع من التّأليف يقوم على كامـل الإنتاج التّاريخيّ اليمنيّ المصنّف بين القرنين الثّالث/التّاسع والعاشر/السّادس عشر.

وتسـنّى لنا رسـم صورة تاريخيّة تقوم في الوقت نفسـه على الأحداث والسّياسـة والمؤسّسات والجانب الاجتماعيّ باليمن في القرنين الأوّل والثّاني الهجريّين، بفضل جملة مـن المقارنات بين المصادر القديمة والمصادر اليمنيّة حتّى المتأخّرة منها. واسـتعنّا أيضا بمصادر أخرى بصفة حصريّة للتّثبّت من بعض التّفاصيل واستكمال مظهر ما، إلاّ أننا فضّلنا إدراجها ضمن البيبليوغرافيـا العامّة. ومهما كان الأمر فإنّ مُعْطيات المصادر، رغـم تركيزها عـلى الأحداث وحدها أو على الأخبار أو عـلى التّضخيم أحيانا، فإنّها تبقى أساسيّة لدراسة موضوعنا.

جغرافيّة اليمن[1]

يقـع اليمـن في الزّاوية الجنوبيّة الغربيّة من شـبه الجزيرة العربيّة، تحدّه من الشّـمال مرتفعات عسـير، وهي اليوم تابعة للمملكة العربية السّـعوديّة، ومن الجنوب خليج عدن وبحر العرب، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشّرق الخليج العربيّ الفارسيّ.

ونذكر بأنّ المؤرّخين القُدامى ونخصّ بالذّكر منهم اللاّتينيّين، كانوا يقسّمون شـبه الجزيـرة العربيّة إلى ثـلاث مناطق مختلفة: العربيّـة الصّخرية في الشّـمال الغربيّ، والعربية الصحراوية في الوسط، والعربية السّعيدة أي اليمن في الجنوب.

ونحن بالطّبع سنركّز اهتمامنا على العربية السّعيدة (*Arabia Felix*) كما نعتها القدماء.

ويشمل اليمن اليوم، بالمعنى الجغرافيّ للكلمة، الجمهوريّة العربيّة اليمنيّة، عاصمتها صنعاء وتمسح 200.000 كم مربّع، والجمهوريّة الدّيمقراطيّة والشّعبيّة لليمن الجنوبيّ،

---

1 - انظر بخصوص جغرافيّة اليمن المؤلّفات التالية:

L. Dubertret et J. Weulersse, *Manuel de géographie, Syrie, Liban et Proche-Orient*, Beyrouth, 1940, pp. 144-145.; P. Pirot et J. Dresch, *La Méditerranée et le Proche-Orient*, P.U.F., Paris, 1956, T. 2, pp. 429 et sqq.; J. J. Berreby, *La Péninsule Arabique, Terre Sainte d'Islam et empire du pétrole*, Payot, Paris, 1958, pp. 13-17.; R. Wepf, *Le Yamen, pays de la reine de Saba'*, Berne, 1967, pp. 89-104, (La géographie du Yamen par V.Wissmann). P. Bonnenfant, *La Péninsule Arabique aujourd'hui*, Paris, 1982, T.1, pp. 1-38 et T. 2, pp. 31-46; J. Chelhod, *L'Arabie du Sud*, *Paris*, 1984, *T.* 1, pp. 137 et sqq. *Voir la bibliographie détaillée in C.Robin, Corpus des Inscriptions et des Antiquités sud-arabes, Louvain,* 1977, *chap.*1,: *Le milieu naturel et ses occupants*, pp. 303-376;

م. العزّازي، **جمهوريّة اليمن العربيّة**، بيروت، 1971.
م. الأكوع، **اليمن الخضراء**، القاهرة، 1971.
ع. ثُور، **هذه اليمن**، صنعاء، 1969.
ن. الحَديثيّ، **أهل اليمن في صدر الإسلام**، بغداد، 1978.
م. أ. الذماريّ، **جغرافية اليمن**، د. ت.
هـ م. جوهر وم. س. أيّوب، **اليمن**، القاهرة، 1967، ص 137- 141.
م. م. شعبيني، **اليمن: الدّولة والمجتمع**، القاهرة 1975، ص 21 وما بعدها.

عاصمتها عدن وتمسح 300.000 كم مربّع[1] ومنطقة عسير وقد تمّ التّخلّي عنها لفائدة المملكة العربيّة السّعوديّة وتمسح 300.000 كم مربّع أيضا، وأخيرا ظُفار، وهو جزء من عُمان، دون أن ننسى الرّبع الخالي وتبلغ مساحته 700.000 كم مربّع.

وفي الجملة، يغطي اليمن الجغرافيّ والطّبيعيّ كما حدّده الهَمْداني في القرن الرّابع مساحة جمليّة تقدّر بـ 1.500.000 كم مربّع. وهو يقع بين الخطّ الثّالث عشر والثّامن عشر من خطوط العرض شمالا أي في حزام المدارات، وبين الخطّ الثّالث والأربعين والثّالث والخمسين من خطوط الطّول شرقًا[2].

ولكن ما أصل هذه التّسمية «اليَمَن»؟ وعَلامَ تنطبق؟ الحقّ أنّ جذر، ي. م.ن. يشمل في اللّغة العربيّة مفهومَيْ «اليَمين» و«اليُمن». وبالتّالي فإنّ اليمن هو في الوقت نفسه بلاد اليمين لأنّه يقع على يمين كعبة مكّة عندما نكون قبالة الشّمس، إذن قبالة الجنوب، وبلد السّعادة والرّخاء، أي ما كان يسمّيه القدماء «العربيّة السّعيدة». وقد جعله مناخه من أغنى جهات العالم القديم كما سنرى. وأكّد المؤرّخ اليمنيّ الهَمْدانيّ[3] في كتابه **صفة جزيرة العرب** أقوال المؤلّفين اللاّتينيّين واليونانيّين في حديثه عن «اليَمَن الخضراء» مبيّنا أنّ تسمية «اليمن الخضراء» تعود إلى كثرة أشجارها وثمارها وزروعها، وذلك في قوله:

«وإنّما سمّها بطليموس أرض الأعراب لأجل أن أكثر العرب بادية وسمّاها خصبة لأنها أكثر البلاد كلأ دون المزارع ولذلك اعتمد أهلها على المال السّارح (بمعنى الإبل والغنم والبقر) وحموها بالخيل إذ لا حصون لهم»

ولا ننسى أيضا ربط تسمية «اليمن» بسلالة قحطان الجدّ الذي سمّيت به القبائل اليمنيّة في نظر علماء الأنساب العرب، وهو يَمَن بن ثابت، الابن الأكبر الذي توجّه يمينا، أي جنوبا، حين انفصل عن بقيّة العرب[4].

---

1 - كان ذلك سنة 1995، تاريخ نشر الأطروحة في لغتها الأصلية. أمّا اليوم فقد تم توحيد الشّمال والجنوب (المترجم).

2 -Wepf, *op. cit.*, p. 90

3 - الهَمْداني، **صِفة جزيرة العرب**، تحقيق م. الأكوع، القاهرة، 1977. وفيه يقدّم لنا المؤلّف معلومات هامّة جدّا عن جغرافيّة اليمن.

4 - الهمداني، **الإكليل**، تحقيق م. الأكوع، القاهرة، انظر، ص 144.
الخَزرجي، انظر مقالنا اليمن في عهد الوُلاة، **الكرّاسات التونسية**، عدد 107- 108، 1979، ص 29.
انظر أيضا المسعوديّ، **مروج الذهب**، تحقيق شارل بلاّ، بيروت 1966، المجلّد الثّاني، ص190- 191، حيث يذكر المؤلّف مختلف أسباب تسمية اليمن.

وأخـيرا فإنّ لفظ «يَمْنات» يوجد أيضـا في النّصوص القديمة التي تذكر ألقاب ملوك حِمير ابتداء من حكم أسـعد كامل (في القرن الرّابع) «ملوك سبأ وذِيْدان وحضرموت ويَمْنات والبدو الرّحل الذين استقرّوا في المرتفعات وفي تهامة»[1].

فمفهوم «اليمن» إذن يشـمل في الوقت نفسـه واقعا جغرافيّا (ما يسـمّيه الهمدانيّ «اليمـن الطّبيعـيّ» وأوضاعا مختلفة، اقتصاديّة وتاريخيّة وثقافيّة تسـبّبت في شـهرته في العصر الميّنيّ والعصر السّبئيّ وحتّى الحِمْيريّ.

وسنحاول في هذه الدّراسة أن نحترم قَدْر الإمكان هذه الحقائق التي لم تَعد تنطبق على الواقع السّياسيّ والتّرابيّ في العصر الرّاهن.

فما هي الخصائص الجغرافيّة العامّة لهذا الموقع الكبير الذي يسمّى اليمن؟

I-طبقات الأرض

تنتمـي الجزيرة العربيّة إلى الكتلة القارّيّـة الإفريقيّة التي انفصلت عنها في العصر الجيولوجـيّ الثّالث إثرَ تصدّع الهضبة وتكـوّن أخدودين هما البحر الأحمر في الغرب وخليج عدن في الجنوب[2].

وتتكـوّن كتلة اليمـن القديمة مـن صخـور بلّوْرانيّة تخترقها قطـع الغرانيت والديّوريسـت، وتغطّيها رواسـب. وقد اقتحم المحيط أخـدود البحر الأحمر في الحقبة البيْجليديّـة (Interglaciaires) وما بعد الجليديّة[3]. وكان البحر الأحمر والخليج العربيّ الفارسيّ، حسب وِيزْمَان (Wismann)، نقطتي التّماس اللتين تربطان البحرين العتيقين اللذيـن تعلّم فيهما الإنسـان الملاحة، وهما المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسـط[4]. عموما، لئن كان اليمن جغرافيا يعتبر جزءا من القارة الآسـياويّة، فإنّ ذلك «يعزى إلى وهم بسـيط يرى في البحار حواجز طبيعيّة»، في حـين تعتبر القارّات عامل تقارب بين مختلف الشعوب»[5].

1- E. Renaud, L'Arabie du Sud pré-islamique, in *I.B.L.A.*, n° 139, 1977, p. 93

2- انظر فصلا قديما للامار (P. Lamarre) ولكنه مفيد جدّا، بعنوان:

L'Arabie heureuse, in *La géographie*, Juin 1924, n° 43, pp. 1-24

3- R. Wepf, *loc. cit.*, p. 90,; Lamarre, *loc. cit.*, p. 5

4- R. Wepf, *op. cit.*, p. 90

5- P. Lamarre, *op. cit.*, p. 2

والحقّ أنّ البحر الأحمر بالنّسبة إلى اليمن كان دوْما مسلكا رائعا من مسالك الاتّصال[1] لأنه لا تهبّ فيه عواصف بل تمرّ به رياح منتظمة هي الرّياح الموسميّة وما تحمله من تغيّرات مفيدة. وبالعكس من ذلك، فإنّ الرّبع الخالي[2] يمثل حاجزا يصعب اختراقه على اليمنيّين الرّاغبين في الاتصال بجيرانهم على السّواحل أي سكان عسير في الشّمال وسكّان حضرموت في الجنوب.

لذلك يلحق الجغرافيّ لامار[3] (P. Lamarre) اليمن جيولوجيّا وحتّى اقتصاديّا بالقارّة الإفريقيّة. وهو محق في ذلك.

II- الجهات

يقسم الجغرافيّون المعاصرون مثل لامار وويزمان وديوبرتري (Dubertret) اليمن إلى خمس مناطق جغرافيّة، تقع على مُنْحَدَر البحر الأحمر الغربي أو على خليج عَدَن الجنوبي رغم أنّ الظّروف المناخيّة تكاد تكون هي نفسها على السّفحين[4].

ويميّز ويسمان[5] بين خمس جهات تتّجه من الشّمال إلى الجنوب:

-سهل تهامة السّاحليّ القاحل في الغرب.
-جبال الغرب التّخوميّة التي تقطعها أودية وعرة.
-أشرطة الهضاب العالية.
-المنحدر الشّرقيّ الذي تخترقه أودية قادمة من الهضبة.
-سفح الجبال، وهو شريط من السّهول القاحلة في الدّاخل.

أمّا لامار[6]، فإنّه يتحدّث عن المناطق الخمس التّالية:

-تهامة السّاحل أو المنطقة السّاحليّة.

---

1 - انظر بخصوص البحر الأحمر:

G. Annequin, *Les civilisations méconnues de la Mer Rouge*, 1977, pp. 23 et sqq., A. Kammerer, *La Mer Rouge, L'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquité, Essai d'histoire et de géographie historique*, 3 vol., Le Caire, 1929. Du même auteur, La Mer Rouge à travers les âges, *in La Revue de Paris*, n°1, Mars 1925.

2 - P. Lamarre, *loc. cit.*, p.2

3 - ن.م، ص2.

4 - ن.م، 9؛ Wepf, *op. cit.*, p.94.

5 - Wepf, *op. cit.*, p.91.

6 - Lamarre, *loc. cit.*, p.9.

-تهامة الدّاخلية أو المنطقة الدّاخليّة
-المنطقة الوسطى المتضرّسة.
-السّراة السّفلى المتضرّسة جدّا.
-الهضبة العليا أو السّراة نفسها.

فلنتوقف قليلا عند الخصائص المرفولوجيّة لكلّ من هذه المناطق لنفهم التّجذّر البشريّ وتعمير اليمن في مختلف الأحقاب التّاريخيّة.

1 - تهامة

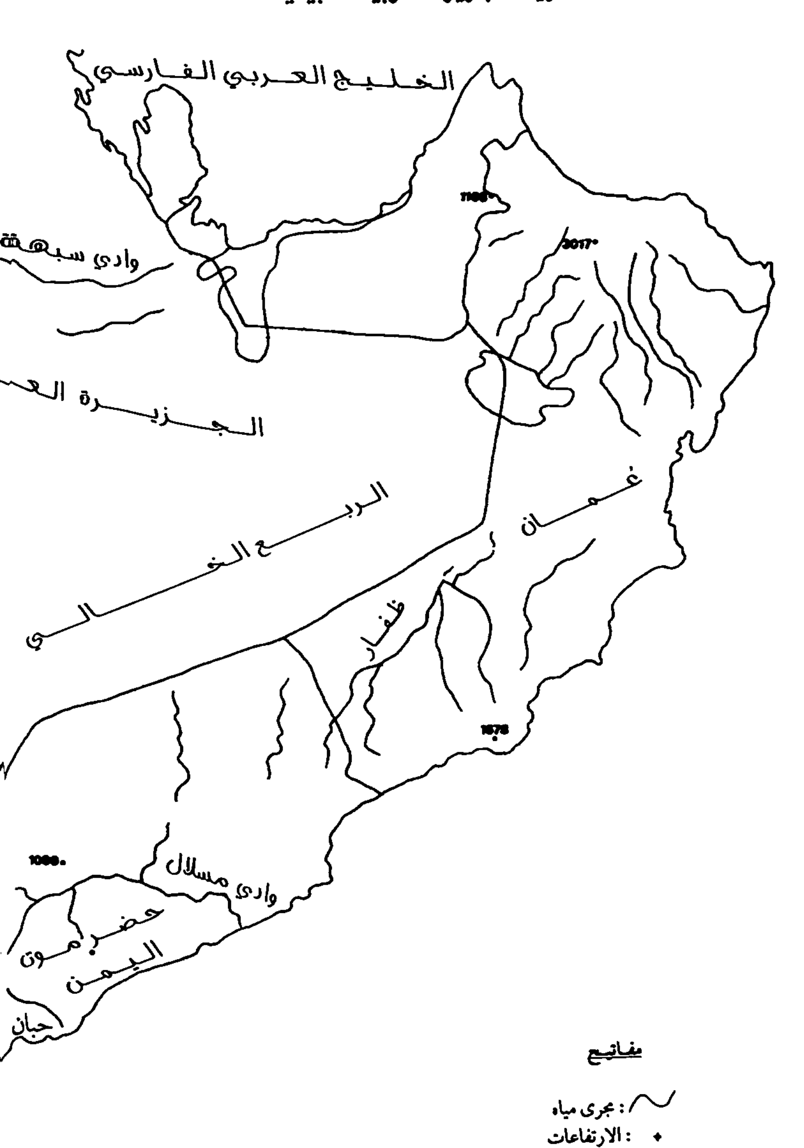
اسم تهامة[1] نفسه يدلّ على أرض منخفضة، ويمكن الحديث عن تهامة ساحليّة أو الغور، وهي جهة رطبة تكاد تخلو من الأمطار، وفي الأماكن التي تشحّ فيها السّماء عبارة عن سهل من الرّمال والحصى تكسوه في بقاع متفرّقة أجمات من النّجليّات الصّلبة أو الأدغال الشّائكة أو أيَاكِي السّنط. أمّا في الأماكن التي تخرج إليها من أودية الجبال جداول موسميّة، فإنّ تهامة تتناثر فيها بعض القرى. وبخصوص تهامة الدّاخليّة، فإنّها منطقة مصاطب كثيرة، عليها طَمْيٌ مسطّح تنجم منه رَوابٍ أو تلال أو كُتَل جبليّة صغيرة يتراوح ارتفاعها بين 100 و500 متر. وهذه منطقة فقيرة جدّا تكسوها نباتات عارية من السّنط والسّنديان.

عموما، فإنّ تهامة[2] السّاحليّة والدّاخليّة تحاذي البحر الأحمر على عرض يتراوح بين 30 و75 كم، وهي تدرك السّاحل على بعد 200 متر ومجاري الأودية السُّفْلَى على بعد 40 كم من البحر، ويبلغ طولها غربا 700 كم وجنوبا 800 كم.

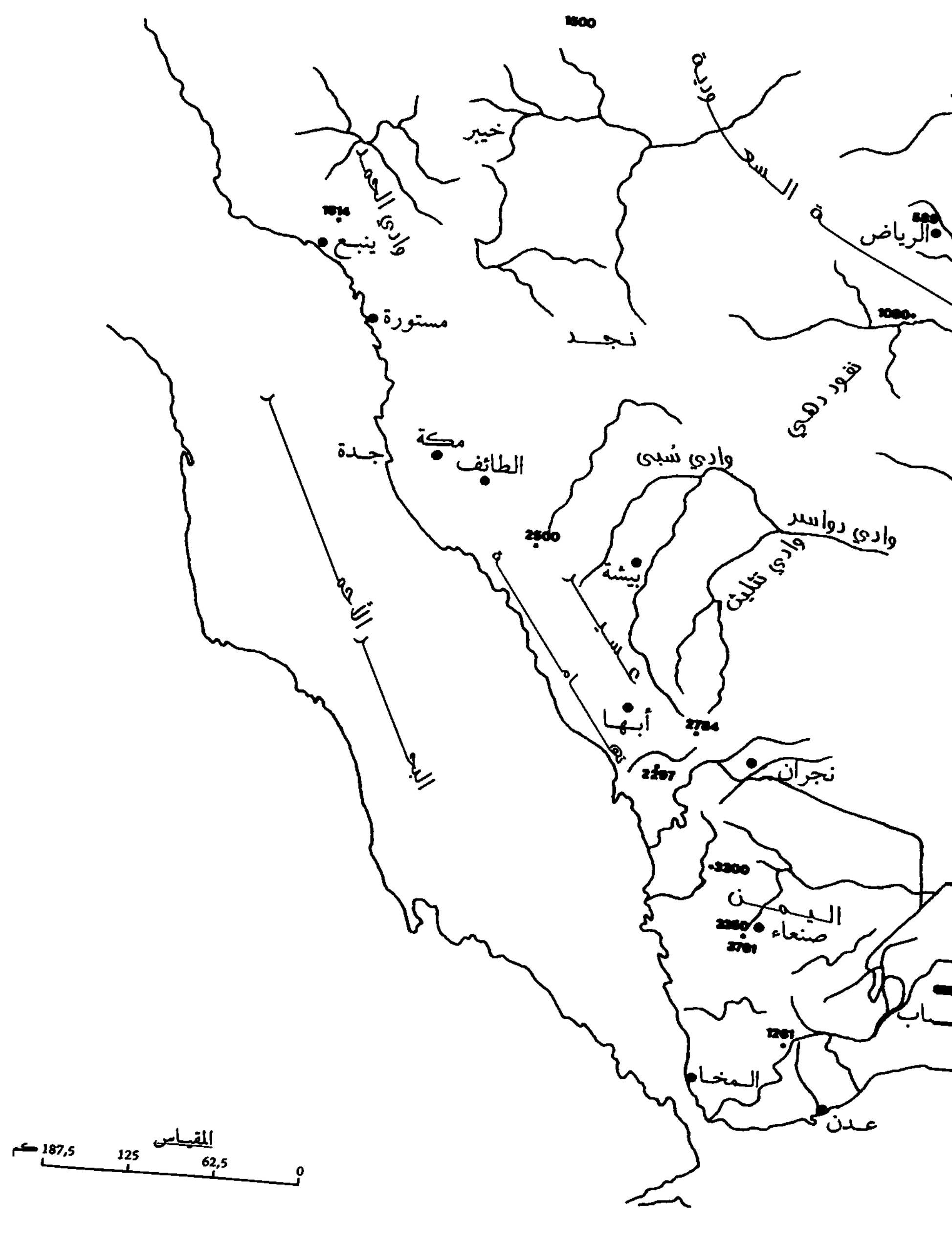
إنّ تحمّل المناخ صعب من أفريل إلى أكتوبر بسبب الحرارة الحارقة التي يبلغ معدّلها السّنوي 32 درجة مائوية. وقد تصل ذروتها أحيانا 55 درجة، وكذلك بسبب رطوبة الجوّ المضنية (80%). وحتّى في الشتاء فإن الحرارة تتراوح بين 25 و35 درجة مائوية، وتنزل الأمطار خاصّة في الشّتاء، من فيفري إلى مارس ولكن نادرا.

1 - انظر بخصوص تهامة فقرات الهمْدانيّ، **صفة**، ن.م، 59 -58.
Lamarre, *loc. cit.*, p. 9-10 ; Wepf, *op. cit.*, p. 91-92.
2 - الذماري، ن.م، ص7.

خريطة الجزيرة العربية الطبيعية



مخبر الخرائط بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس



خيبر
وادي الحمض
ينبع
مستورة
نجد
الرياض
نفود دهي
جدة
مكة
الطائف
وادي سُبى
وادي دواسر
وادي تثليث
بيشة
أبها
نجران
اليمن
صنعاء
المخا
عدن
المقياس
كم 187,5
125
62,5
0

إلاّ أنّ الأوديــة التي تذكّر بوديان شــمال افريقيا في عــدم انتظامها، فإنّها تنزل من الجبال وتتلاشى قبل أن تبلغ البحر فتغذّي مائدة مائيّة هامّة نسبيا يتراوح عمقها بين 15 و20 مترا، أهمّها وادي مَوْر، وهو يعتبر أهمّ مجرى مائيّ في اليمن، ووادي سَرْدُد، ووادي سهام ووادي رِمَع، ووادي زبيد، ووادي رَيْسَان.

وتمكّن كلّ هذه الظّـروف المناخيّة والجويّة الخاصّة بتِهامة من تعاطي الزّراعات السّـقويّة وخاصّة منها الزّراعات الغذائيّة، وقد توصّل اليمنيّون اليوم إلى زراعة القطن والتّبـغ والدُّخن. وإنّ أهم مدينة في تهامة الدّاخليّة هي زبيد، عاصمة الزّياديّين القديمة التي أصبحت اليوم مجرّد سـوق كبيرة مثلها مثل بيت الفقيه وبَجِيل. وعلى السّـاحل الجَدْب، يوجد باليمن الميناء العصريّ الوحيد، الحُدَيْدَة.

2 - الهضاب الوسطى

ثاني المناطـق الجغرافيّة الكبرى باليمن هي منطقة الهضاب الوســطى[1] التي يبلغ ارتفاعها ما بين 500 و1500 مترا، وهي المنطقة التي تطابق حســب لامار[2] جزءا كبيرا من قنوات تدفّق المياه في النظام السَّيْليّ الجارف الذي شكّل سَفْحَ جبال اليمن الغربيّ. وفيها كُتَل جبلية تقطعها أودية متعمّقة تتحوّل إلى مَخَانِق حقيقيّة. هذه الأودية كثيرا ما تكون فيها مياه غزيرة ونباتات وفيرة في واحات نخيل التّمر والموز، تترك المكان ابتداء من ارتفاع 500 مترا إلى شجر الخرّوب والتّين والكَلتوس والمنغا.

ويــزرع اليمنيّون على المصاطب المُدَرّجة طِبْقَ ارتفاع يتراوح بين 550 و1650 والتي تُسقى بواسطة قنوات، الحبوبَ (القمح والشّعير والدّرع)، والفواكه (التّفاح والخوخ) وشــجر القَات الشّـهير، والكروم ابتداء من 1600 متر والملاحظ أنّ الهَمْدانيّ يذكر عشرين صنفا من العنب.

أمّــا المنــاخ، أي الحرارة والرّطوبــة، فهو مناخ الجهات شــبه المَداريّــة، أي معتدل وضعيف المدى (10 درجات)، يبلغ معدّله صيفا 27 درجة مائوية في حين يكون شتاءً 19 درجة مائوية. وتبدو أمطاره الموســميّة غزيرة نســبيًا (300 إلى 500 ملّيمتر)، وهو ما يمكّن من الزّراعات الجافّة مثل زراعة الحبوب والكروم والقهوة والقات وغيرها.

1 - ن.م، ص7: 92-93 .Wepf, *op.cit.*

2 - .Lamarre, *loc. cit.*, p.9

3 - السَّرَاة السُّفْلى[1]

هي منطقة وسيطة تقع بين منطقة الهضاب المتوسّطة والهضاب العالية، وهي توافق أحواض تلقّي السّيول، وجِهَةَ أهمّ الهضاب العالية التي تخترقها أخاديد شاسعة، مكوّنة أودية كبيرة وسهولا يكون فيها تدفق المياه أبعد ما يكون عن السّيول الجارفة، وهي القيعان الشّهيرة التي يتكلّم عنها الهمْدانيّ مثل قاع رَحْبان وقاع البَوْن وقاع صنعاء وغيرها. وفي محيط الهضاب الانكساريّة تبدأ السّيول في التّدفّق عند منافذ الشِّعاب.

وهي من الناحية المرفولوجيّة منطقة متنوّعة. أمّا من النّاحية المناخيّة فإنّ الحدّ بين المنطقتين حدّ فاصل. وهي تتمتع بحكم وجودها بين 1200 و2200 مترا بحرارة مستساغة أكثر من المنطقتين السّابقتين. بعبارة أخرى، فإنّ الليالي فيها معتدلة البرودة والماء عذب والشّمس رائعة. وإنّ نعت «الجزيرة العربيّة السعيدة» الذي أطلقه عليها القدماء، ينطبق عليها أكثر من أيّ جهة أخرى. وتختصّ السّراة السّفلى بنباتات أهمّها التّين والسِّدر الشّائك؛ وينبت شجر القهوة في سفح جبل مَناخة. هذه النّباتات عموما شبيهة بما ينبت في منطقة البحر الأبيض المتوسّط. وهي أيضا منطقة القات وهو شُجَيْرة لأوراقها قدرة تنشيطيّة.

والحاصل أن منطقة السَّراة السّفلى هي أبرز منطقة في اليمن حبتها الطّبيعة بمناخ معتدل وأمطار غزيرة ومَواقع طبيعيّة جذّابة مثل وادي سهول ومدينة إب الواقعة على ارتفاع مائتي متر، إلاّ أنّها لا تخلو من أجزاء قاحلة يكثر فيها نبات اليَنوع الطّويل جدّا.

4 - الهضبة العليا أو «السّراة» نفسها[2]

وتقع في السَّراة أعلى منطقة باليمن إذ يتراوح ارتفاعها بين 2200 و3000 مترا؛ وأعلى قمّة فيها تقع على جبل النّبيّ شُعيْب على ارتفاع 3770 مترا على بعد أربعين كيلومترا غَرْب صنعاء. وعرْض الصّعيد من 100 إلى 150 كم وهو عبارة عن سلسلة من السّهول العالية تسمّى أيضا قيعانا ينغلق كلّ منها على جُرْف. ويمكّن نسق الأمطار النّاتج عن الرّياح الموسميّة من توفّر نباتات هامّة. فالزّراعات السّقويّة يستخرج لها الماء من مائدة مائيّة لا يتجاوز عمقها عشرة أمتار. وتُزرع فيها الحبوب وخاصّة الذّرة والحنطة والشّعير، وكذلك الكروم والأشجار المثمرة. والفوارق الحراريّة بين النّهار والليل قويّة جدّا تصل أحيانا إلى 30 درجة.

---

1 - الذماري، ن.م؛ Wepf, *op. cit.*, 93-94; Lamarre, *loc. cit.*, p. 10.

2 - الذماري، ن.م، ص 10-11؛ Wepf, *op. cit.*, p. 100 ; Lamarre, *op. cit.*, p . 9.

ويذكّر مناخ السّراة بمناخ المناطق المعتدلة، لذلك بُني الكثير من المدن في هذه المنطقة وخاصة صنعاء عاصمة اليمن الواقعة على ارتفاع 2350 مترا؛ وتوجد فيها أيضا مدينة يريم، حاضرة ناحية رُغيان، وذَمار حاضرة عَنْس، وصعْدة عاصمة المملكة الزّيديّة التي أسِّست في نهاية القرن الثّالث، وغيرها...

5 - هضاب الشّرق القاحلة[1]

وهي آخر مناطق اليمن الجغرافيّة، تبدأ على بُعد بضع كيلومترات من صنعاء وتمتد على 150 كم منحدرة في ارتفاع ألف متر إلى تخوم صحراء الرّبع الخالي.

والهضاب الشّرقية قليلة الأمطار، تمثّل الأودية حواجز لها : وادي مَذَاب الذي يخترق حوض الجَوْف، ووادي خارِد، ووادي دانه، ووادي حَريب. المناخ بها صحراويّ إذ تقلّ بها المياه والنّباتات باستثناء بعض الواحات الواقعة حول نِقاط الماء. وهي حاليا منطقة تربية الإبل والماشية والعنز. ومع ذلك كانت مقرّ الممالك الكبرى في التّاريخ القديم. ويعود رخاؤها الأسطوريّ الذي طالما مجّده المؤلّفون اليونانيّون واللاتينيون وأكّده بعد ذلك الهمْداني في القرن العاشر والرحّالة الحديثون مثل نِيبُور (C. Niebuhr) في القرن XVIII وڤلازار (Glazer) في القرنXIX، إلى نظام الرّيّ الشّديد الإحكام[2] وإلى سدودها وخاصة سدّ مأرب الذي أنذر انهياره بنهاية المملكة التي بقيت تعيش في رخاء خاصّة في سبأ إلى وقوع ذلك الحَدَث. وهي اليوم تمثّل الوجه الميّت من اليمن والجهة الأقلّ نموّا والأكثر فقرا، وكانت أهمّ مدنها بَيْحان ومأرب وحرب.

وتوجد صحراء الرّبْع الخالي في الجانب الأبعد من الشّرق. وهو مساحة من الرّمل شاسعة جدّا، في مثل حجم فرنسا، مكوّنة من كُتَل كثبانيّة وسهول من الحصباء، وقاحلة تماما. وهو يمثّل حاجزا صعب الاختراق يعزل اليمن عن بقيّة شبه الجزيرة العربيّة.

فاليمن إذن، رغم أنّه يقع بين خطّي العرْض الثّالث عشر والثّامن عشر شمالا، أي داخل حِزام المدارات، هو بلد مَداريّ بأتمّ معنى الكلمة.

وكلّ ما هو شديد الارتفاع أو متّجه نحو الصّحراء الدّاخليّة ينتمي إلى المناخ شبه المداريّ طقسا ونباتا وفلاحة. فسلامة البلاد جزئيّا من القحالة المحيطة بها يعود

---

1 - الذماري، د.م.

2 - J. Pirenne, La maîtrise de l'eau en Arabie du Sud antique, *Mémoires de l'A.I.B.L*, T.2, 239, Paris, 1979.

إلى تضاريسه. فالأمطار تنزل في الرّبيع (مارس – أفريل)، وفي الصّيف (جويلية إلى أكتوبر) على الهضاب وعلى الأطراف التي يتجاوز ارتفاعها 1500 مترا.

وليست الوديان مجاريَ مائيّة دائمة بل هي أودية قادرة على استيعاب مياه الأمطار وفوائض الموائد التي يمكّن نظامُ ريّ مجهّز بالآبار والقنوات والمواجل والمصاطب من الاحتفاظ بها وإعادة استعمالها. ومن المؤكّد أنّ هذه الخصوصيّات الجغرافيّة باليمن[1] المتمثّلة في تضاريسٍ وعرة ومناخ متغيّر حسب المناطق، وجبال يبلغها النّاس بصعوبة، وصحراء يصعب قَطْعُها، كلّها عوامل تفسّر عزلة القطر الجغرافيّة عبر العصور كما تُفسّر قُدْرةَ السّكّانِ على مقاومة الغزوات بسهولة، والحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم وطبائعهم الخصوصيّة.

1 - P. Marthelot, in Bonnenfant, *op. cit.*, T.1, pp.1 et sqq.; Obermeyer, *Ibid II*, p.30 et sqq
وفيه يتحدّث عن حماية البيئة سياسيّا ويقسّم اليمن خمس مناطق هضبة اليمن الدّاخليّة العليا، ومنطقة اليمن السّفلي، والمنحدر الجبليّ النّازل من المشرق، والمنحدر الجبليّ النّازل من الغرب نحو سهل تِهامة السّاحلي، وأخيرا سهل تهامة شبه القاحل.



الباب الأوّل

اليمن قبل الإسلام

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾

سورة «سبأ»، الآية، 15



اليمن قبل الإسلام

عرف اليمن أو (العربية السّعيدة)، في الحقبة القديمة تقدّما عجيبا أَظْهَرَتْه حفريّات شرع فيهــا منــذ القرن 19 عديــد علماء الآثار العــرب والأجانب فكشــفوا عن بُؤَر حضارات يمنيّة قديمة سابقة للإسلام مثل مَعين وقَتَبان وسبأ وحضرموت وأَوْسان[1] وما يرافقها من آثار ونقوش ومعالم لا يزال أشهرها إلى اليوم سدّ مأرب[2] بالطّبع.

ورغم ما أثاره اليمن القديم من شغف في نفوس المختصّين بمختلف أصنافهم، فقد بقي القطر مدّة طويلة بعيدا عن الأنظار. ويعود هذا الانغلاق عن الخارج أساسا إلى رغبة الأيمّة في المحافظة على سلامة بلادهم بعيدا عن الحضارة الغربيّة، وإلى الغَيْرة على ثرواتها وكنوزها الأثريّة وحفظها من التّلف. فضلا عن ذلك، لا ننسى أن الظّروف الجغرافيّة والمناخيّة الخاصّة باليمن، يسّرت طويلا هذا الانغلاق. ومع ذلك، فقد سافر إليه الكثير من الرحّالة الأوروبيّين[3]، بصعوبة لا محالة، أحيانا بصفة

---

1 - G. Ryckmans, De quelques dynasties sud-arabes, *Le Museum*, 80, 1967, pp. 269-300; J. Pirenne, *Le royaume sud-arabe de Qataban et sa datation d'après l'archéologie et les sources classiques*, Louvain, 1961; G. Ryckmans, *La chronologie des rois de Saba' et Raydan*, Istanbul, 1961.

باللغــة العربيّة انظــر بالخصوص ع. بافقيه، **تاريــخ اليمن القديــم**، بيروت، 1963 ؛ م. الأريانــي، **في تاريخ اليمن**، صنعــاء، 1973 ؛ جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإســلام**، بغــداد، 1968-1971، 7 مجلّدات ؛ انظر أيضا عددا خاصا من مجلة: Au pays fabuleux de la reine de Saba. *Les dossiers de l'archéologie*.

و أحدث منه كتاب بإشراف يوسف. شلحد

L'Arabie du Sud, Maisonneuve, Paris, T.1 et T.2 (1984), T.3 (1985)

2 - انظر بخصوص هذا الموضوع مقال R. L. Raikes بعنوان مأرب في مجلة:

Antiquity vol. 5 , 51 , 1977 , pp. 239-240.

وبخصوص انهيار السّدّ ياقوت، **معجم البلدان**، v ، ص.35-37. انظر أيضا :

J. Ryckmans, Le barrage de Ma'rib et les jardins du Royaume de Saba', in *Dossiers*, *loc. cit.*, pp. 28-30.

3 - نذكر بعض الأســماء الشّــهيرة J. Halevy , C. Niebuhr بالنّسبة إلى القرن الثّامن عشر، E. Glazer بالنّسبة إلى القرن التّاسع عشر، H. Ingrams et C. Ansalde بالنّسبة إلى القرن العشرين. انظر أيضا:

J. Pirenne, *A la découverte de l'Arabie* , *cinq siècles de sciences et d'aventures*, Paris, 1958.

ولمزيد المراجع في الموضوع، انظر:

E. Macro, *Bibliography of the Arabian Peninsula* , Miami, 1958; *Bibliography on Yemen and notes*, *Miami*, 1980;

سرّيّة، وأحيانا أخرى بموافقة الإمام شخصيّا، ونقلوا إلينا شهادات مفيدة عن ثروات «مملكة البخور» هذه، ثروات عجيبة تكاد تكون أسطوريّة، فضلا عن انطباعاتهم الشّخصيّة عن البلاد وسكّانها وعاداتها وتقاليدها وعن أهمّ أحداث تاريخها.

ومن ناحية أخرى فإنّ لقب العربيّة السّعيدة، الذي يستعمله بكثرة المؤرّخون اللاّتينيّون[1] واليونانيّون الذين عرفوا اليمن أو زاروه، شديد الدّلالة على رخاء البلاد الفلاحيّ والحِرَفيّ والتّجاريّ في العصر المينيّ والعصر السبئيّ والعصر الحِمْيريّ.

ورغم ذلك فإنّ البلاد -كما قلنا أعلاه - بلاد جبليّة يصعب اجتيازها، بها شريط كبير يفضي إلى الصّحراء العربيّة «الرّبع الخالي»، وإلى واجهة بحريّة على البحر الأحمر، وهي كذلك بلاد رطبة وحارّة (تهامة).

وكان للبلاد في العصور القديمة حسب المؤرّخين القدامى اليونانيّين واللاّتينيّين، ظروف معاشيّة أحسن بكثير من الظّروف الرّاهنة[2]. فالسّهل السّاحليّ أو تهامة، كان آهلا بالسكّان أكثر ممّا هو عليه اليوم، مثله مثل حضرموت وشرق البلاد اللذين يصنّفان اليوم ضمن المناطق القاحلة والمهملة[3].

ومن المفيد لبلورة الحقبة الإسلاميّة من تاريخ اليمن[4] أن نذكر أهمّ خصائص اليمن القديم السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وخاصة في القرن السّادس الميلاديّ.

R. Daghfous, Le Yaman vu par les voyageurs depuis Hérodote jusqu'à l'anthropologie moderne, in *C.T.*, n° 145-148, Tome XXXVII, pp. 43-82.

1 - يتعلّق الأمر خاصة بسترابون المتوفّى سنة 25 ق.م. وبلين المتوفّى سنة 79 م. انظر بخصوص هذا الموضوع:
M. Rodinson, L'Arabie du Sud chez les auteurs classiques, in J.Chelhod, *L'Arabie du Sud, op. cit.*, pp. 55-89.

انظر أيضا مقالنا المذكور أعلاه.

2 - انظر (C. Niebuhr) وهو دنماركي زار اليمن سنة 1762 وترك لنا نصّا بعنوان وصف اليمن، أمستردام، 1773-1776، باريس، 1779.

3 - انظر الهمدانيّ، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمّد الأكوع، الرياض، 1967.

4 - انظر خاصّة الخزرجيّ، الكفاية والإعلام، مخطوط باريس رقم (I) 5831، وقد حققنا منه قسما يتعلق بالقرون الثلاثة الأولى من الهجرة، كرّاسات تونسيّة، عدد 107-108، 1979، ص. 1-162، اليمن في عهد الولاة؛ انظر أيضا A. Rouaud, *Les Yaman et leurs populations*, Bruxelles, 1979, p. 25

I-اليمن القديم وأفوله

1 - الدّول اليمنيّة[1]

فلنلاحظ من الآن أن معرفة حضارة جنوب الجزيرة العربيّة وتاريخ اليمن قبل الإسلام، قد يسَّرَها التقدّم المحسوس المسّجل في العقود الأخيرة (1950- 1980) في مجال التّنقيب والحفريّات في الآثار.

وقد مكّنت هذه الحفريّات التي قامت بها بعثات مختلفة فرنسيّة وأمريكيّة وإيطاليّة وألمانيّة من الكشف عن مئات النّقوش تحوي تعاليم ونصوصا دينيّة والمطالبة بممتلكات، واحتفاءات[2]، وكذلك عن سلسلة من المعالم تتمثّل في معابد وقصور وغيرها، ومن التّحف كالتّماثيل وغيرها.

ونرجو أن يمكّن نشر نتائج حملات التّنقيب[3] هذه وشيكا من تحسين إلمامنا بخصائص التّاريخ اليمنيّ القديم. إلاّ أنّ الآثار تطرح مشكلَ تأريخ النّقوش والمعالم.

فبخصوص النّقوش، يرى كريستيان روبان (Ch. Robin)[4] أنّه يمكن معرفة تواريخها بطريقتين، إمّا باعتماد المضمون أو باعتماد الشّكل، وهذا موضوع علم قراءة النّصوص القديمة (paléographie). إلاّ أنّ مهّمة المؤرّخ لا تفضي بسهولة إلى ضبط تاريخ ثابت ونهائيّ. وأكبر نقطة تثير الجدل هي بالطّبع نقطة تأريخ أقدم النّقوش.

وهناك لمعالجة هذا الموضوع أطروحتان. أطروحة أ.جام (A.Jamme) الذي ينسب أقدم النّصوص إلى القرن الثّامن قبل المسيح، ويتعلّق الأمر بنقيشتين آشوريّتين مؤرّختين في 714 و685 تذكر كلّ منهما حاكما سبئيّا يوجد اسمه في نقوش جنوب الجزيرة العربيّة. أمّا الأطروحة الثّانية فهي أحدث وصاحبتها عالمة بلجيكيّة، ج. بيران (J.

---

1 - انظر أشغال G. Ryckmans, et J. Pirenne, *op. cit.*, E. Renaud, L'Arabie du Sud préislamique, in *IB.L.A.*, n° 139, 1977, pp. 93-107, R. Nyrop, D. Eghin, *Area Handbook for the Yaman*, Washington, 1977; G. Annequin, *Les civilisations méconnues de la Mer Rouge*, Genève, 1977; J. Chelhod, *L'Arabie du Sud*, Tome 1, *Le peuple yamanite et ses racines*, Paris, 1984; L'Arabie antique de Karib Il à Mahomet, in *R.E.M.M.M.*, n° 61, Edisud, 1991, sous la diredtion de Ch. Robin.

2 - *Dossiers de l'Archéologie*, *loc. cit.*, Ch. Robin, La civilisation de l'Arabie méridionale avant l'Islam, in J. Chelhod, *op. cit.*, I, 198.

3 - أنجزت ثماني حفريّات في المواقع التّالية: شَبْوَة ومَأرِب والحقّة (في شمال اليمن)، والخُرَيْد، وحجَر كهلان، وهَيْد بن عاقِل (في جنوب اليمن). انظر فصلنا اليمن في عيون الجغرافيّين؛ ن.م وك. روبان، ن.م. ص 20.

4 - Ch. Robin, *La civilisation..*, *loc. cit.*, J. Chelhod, I ,198

Pirenne) التي تقترح تسلسلا تاريخيًا أقصر تؤرّخ بواسطته أقدم النّصوص في القرن الخامس قبل المسيح.

فأ.جام[1] يجعل بدايته مملكة سبأ في القرن الثّامن، كما يجعل بداية ممالك جنوب الجزيرة العربيّة مثل مَعين وقَتبان في القرن الثّالث عشر قبل المسيح. وهو يرى أنّ مملكة مَعين اضمحلّت في القرن السّابع في حين تواصلت مملكة قَتَبان بالتّوازي مع مملكة سبأ إلى القرن الثّاني قبل المسيح. أمّا الحميريّون فقد يكونون بسطوا نفوذهم حوالي 115 ق.م وغزوا حضرموت حوالي القرن الرّابع الميلاديّ.

أمّاج.بيران[2] فهي بالعكس من ذلك تقدّر، اعتمادا على نقوش في جنوب الجزيرة العربيّة وعلى علم قراءة النّصوص القديمة، أنّ معيار تلك النّقوش الموجودة في المعالم الأثريّة تأثّر بمعيار النّقوش الإغريقيّة الكلاسيكيّة. بعبارة أخرى، فإنّها ترى أنّه «لا يُقبل جَعْلُ أقدم النّقوش المعينيّة سابقة لأوّل نقيشة فينيقية بثلاثة قرون كاملة»، وأنّه لا يخطر على بال، في نظرها، جعلُ القطع النقديّة السبئيّة في القرن السّابع أي سابقة بثلاثة قرون للنّموذج الإغريقيّ الذي تقلّده[3].

والحاصل أنّ ج. بيران تقرّ بأنّ مملكة مَعين ليست أقدم من مملكة سبإ. فالممالك الأربع، معين وسبأ وقَتَبان وأوْسان، تفرض نفسها شيئا فشيئا، وفي نفس الوقت، بنفس الكتابة على المعالم التّاريخيّة. فهي تقترح إذن النّزول بتاريخ الوثائق العربيّة الجنوبيّة المعروفة إلى حدّ الآن إلى نقطة انطلاق تقع في القرن الخامس قبل المسيح.

وفي ضوء هذه المعطيات الجديدة يقسّم الأخصّائيون تاريخ جنوب الجزيرة العربيّة القديم إلى ثلاث مراحل كبرى[4]:

---

1 - انظر أشغال أ. جام، قائمة مفصّلة في كتاب س. ناجي، *Selected and annotaded bibliography on Yaman*, August 1972, Kuwayt University, pp. 52-54, 58 et 74.

2 - انظر أشغال J. Pirenne وخاصّة مقاله A paleographical of the Sabean dated inscriptions, with reference to several areas, in *Procedings of the seminar for arabian studies*, vol. 4, 1974, pp. 118-130.

3 - J. Pirenne, Les royaumes arabes dans l'Antiquité, in *Dossiers de l'archéologie*, *op. cit.*, p. 208.

4 - Ch. Robin, La civilisation, *loc. cit.*, pp. 208. Du même auteur *Au Royaume de Saba'*, *Archéologie du Yaman*, Paris, 1980; R. Tuchscherer, Présentation de la R.A. du Yaman, in Bonnenfant, *La péninsule arabique d'aujourd'hui*, C. E. R. D. A. C., CNRS, Paris, 1982, T.2, pp.3-15 ; E. Renaud, *loc. cit.*, pp. 100 et sqq.

أ-العصر المتقدّم (من القرن الخامس إلى القرن الأوّل قبل الميلاد)

وهـي حقبـة ممالك القوافـل: سـبأ ومَعين وقِتَبـان وحضرمـوت، وهي ممالك مزارعـين وتجّار كانوا اسـتقرّوا في الحواضر التي أسِّسـت على الحـدود الفاصلة بين الجبل والصّحراء.

سبأ دولـة تمتدّ من الجَـوف إلى حضرموت، وهـي عبارة عن تحالف قبائل يسـيّرها قاض أو مجموعة قضاة يُسـمّون « مقرّب»[1]، عاصمتها مدينة مأرب. وتحتفظ كلّ قبيلة بملكهـا من النّبـلاء. وكانت عبادة الإله «ألْمَقه» هي اللّحمـة الرّابطة بين مكوّنات ذلك التّحالف. وقد أرْست هذه الدولة سياسة تهدف إلى مراقبة طريق القوافل، طريق البخور، مراقبة شـديدة. ثم انفصلت عنها ممالكُ مَعين (الجَوْف) وقَتَبان (وادي بَيْحان) وحضرمَوْت، وبعض الحواضر / الدّول في القرن الرّابع قبل المسـيح، دون أن يؤثّر ذلك في رخاء البلاد.

ومن ناحية أخرى، شرع السّـبئيّون في انتهاج سياسة توسعيّة خارج القطر اليمنيّ، وخاصّة في الحبشـة التي اسـتعمروها. وهكذا غـادر عديد القبائـل العربيّة الجنوبيّة بلادهم بحرا منذ القرن الرّابع ق.م. واسـتقرّوا في الحبشـة وأسّسـوا بها دولة عاصمتها مدينة أكسـوم. وكان مينـاء أدوليس على البحـر الأحمر نقطة التقـاء الباعة الهنود والأفارقة وعرب الجنوب من جهة، والتجّار المصريّين والبيزنطيّين من جهة ثانية. وليس من باب الصّدفة أن اكتشـف رحّالة وعلماء آثار كثـيرون على ضفتي البحر الأحمر نقوشـا باللّغة الحِمْيَريّة (أو العربيّـة الجنوبيّة) تثبت وجود علاقات تجاريّة نشـيطة بين اليمن والحبشة[2]. وسنعود لاحقا إلى هذا النّشاط التّجاريّ وإلى موقع الحبشة في مسالك البَخور[3].

---

1 - A. F. L. Beeston, Kingship in ancient South Arabia, in *J.E.S.H.O.*, XV,1972, pp. 256-268

2 - انظر حول العلاقات بين الحبشة والعرب

A. Krammer, *La Mer Rouge, l'Abyssine et l'Arabie depuis l'Antiquité, Essais d'hisoire et de géographie historique*, T1, Le Caire, 1929; *Les pays de la Mer Erythrée jusqu'a la fin du moyen âge*, 2 vol. Voir aussi Gawad Ali, *op. cit.* III, pp. 449-506. A. Abdin, *Bayna l'Arab wa-l-Habasha*, Le Caire, s.d. voir aussi M. Rodinson, *op. cit.*, p.51.

3 - J. Pirenne, La route de l'encens, in *Dossiers de l'Archéologie*, pp. 11 et sqq.; A.Rouaud, Yaman, la route des épices, in *Histoire*, Février 1980, n°20, pp. 57-66.; P. Crone, *Meccan trade of the rise on Islam*, Princeton, 1987, pp. 13-28.

وأسِّســت مَعين في القرن الرّابع ق.م وازدهرت في العصر الإغريقيّ (أي في القرنين الثّاني والأوّل ق.م.)، ولم تنقرض إلاّ قُبيل منعرج العهد المسيحيّ. وأكبر نجاح حقّقه المعينيّون يتمثّل في فرض مراقبتهم على مسالك القوافل المنطلقة من اليمن نحو شرق البحر الأبيض المتوسّط والخليج العربيّ الفارسيّ. وظهر رخاء المعينيّين من خلال روعة مَعالمهم وشهادات رحّالتهم على غرار ذلك المعينيّ الذي عبّر عن تقواه في معبد دلوس (Delos) الإغريقيّ في نهاية القرن الثّاني ق. م[1].

أمّا قَتَبان[2] فإنه اسـم قبيلة مسـتقرّة في وادي بَيْحان سـمّيت باسـمها كنفدراليّة شاسعة تمتدّ إلى المرتفعات، وكان ازدهارها في القرنين الثّالث والثّاني ق. م. وقد بيّنت أشـغال التّنقيب التي قام بها أمريكيّون في عاصمتهـا تِـمنع درجة التفنّن التي بلغتها الحضارة القَتَبانيّة في العصر الهلّينيّ وبعده. أمّا حضرموت فإنّها دولة لا نعرفها جيّدا في الوقت الرّاهن.

وقـد تخلّى حكّام سـبأ في القـرن الثّالث ق. م. عن لقب «مقـرّب» حاملين لقب «ملوك سبإ»، شأنهم في ذلك شأن بقية الحكّام في مَعين وقَتَبان وحضرموت.

ب-الحقبة البينيّة (من القرن الأوّل ق. م. إلى القرن الثّالث بعد المسيح)

هي حقبة «ملوك سـبإ وذي رَيْدان»، احتفظ فيها عرب الجنوب باحتكار تجارة البخور والأفاويه. وكانت هذه التّجارة تمارس برّا في المسـلك الشرقيّ. وفي المقابل، اكتشف الإغريق المسـلك البحريّ (هيبالوس) ثم الرّومان (رغم فشل حملة إليوس قليوس سنة 24 ق. م)[3] فلم يحتاجوا إلى الوسطاء من عرب الجنوب لإرشادهم إلى طريق القوافـل، وقد تأثّرت دول القوافل بهذا التّطوّر إذ كانـت تعيش بما تدرّه عليها هذه التّجارة. فانقرضت مَعين في بداية العصر المسـيحيّ وتحوّل مركز دولتي سـبأ وقَتَبان نحو مرتفعات التّلسـلة اليمنيّة أي منطقة الهضاب العليا[4]. وحافظت مملكة سَبأ على وحدتها بتأسيس عاصمة ثانية، صنعاء، عوضا عن مَأرَب، وانحلّت قَتَبان ثم اندَثرت في القرن الثّاني ب. م. بعد أن ضمّت إليها مَعين تحت سـيادة حضرموت ثم سـبأ في القرن الثّالث ميلاديّا.

---

1 - Ch. Robin, Au Royaume de Saba. *loc. cit*

2 - J. Pirenne, Le Royaume sud-arabe de Qatabàn, *op. cit*

3 - انظر بخصوص هذه الحملة

R. Fazy, Autour d'une expédition romaine en Arabie Heureuse, in *M.S.O.K.*, V, 1943, pp. 3-31.

4 - Ch. Robin, La civilisation.., *loc. cit.*, pp.212

وفي المقابل، برزت على الهضاب العليا قبائل قويّة مثل حِمْيَر مكان قَتَبان وأسَّسَت مملكة قويّة[1]. وتلقّب الملوك السَّبئيّون والحِميريّون بلقب «ملوك سبأ وذي رَيْدان».

واندلعت في القرن الثّالث الميلاديّ سلسلة من النّزاعات بين الممالك القائمة: سبأ وحِمْير وحضرموت. ففي 225 ميلاديّا أَسَرَ ملكُ سبأ ملكَ حضرموت واستولى على عاصمته شبْوَه. وفي 240-270 انتهى النّزاع بين سبأ وحِمْير بضمّ مملكة سبأ إلى مملكة حِمْيَر. ثم ضَمَّت أيضا مملكة حضرموت من 281 إلى 295 وبذلك بسطت سيطرتها على كامل الجزيرة العربيّة السّعيدة. ومن هنا جاءت تسمية ملوك حِمير منذ ذلك الوقت بـ«ملوك سبأ وذي الرّيْدان وحضرموت ويَمْنات والبدو الرحّل المقيمين على الهضاب العليا وفي تِهامة»[2].

ج-العصر المتأخّر (من القرن الرّابع إلى السّادس ميلاديّا) أو عصر السّيطرة الحِمْيَريّة[3]

وحّد جنوب الجزيرة العربيّة في هذا العصر الحكّام المدعوّون بالحِميريّين والمنتمون إلى تحالف حِمير القويّ وذلك إلى استيلاء الحبشة ثم الفرس على البلاد. وفي ذلك الوقت عُمِّمت عبارة الحضارة الحِميريّة على كامل بلاد اليمن.

وتمثّل أهمّ حَدَث في تلك الفترة في اعتناق الأسرة الحاكمة وعلى رأسها الحاكم أبو كَرِب أسْعد، الدّيانة اليهوديّة سنة 379[4]. ورغم بقاء الدّيانات القديمة، فإنّ توجّه المَملكة نحو أشكال توحيديّة جديدة سيسهّل بالطّبع اعتناق جنوب الجزيرة العربيّة الإسلام في القرن السّابع[5]. ومن ناحية أخرى «فإن تَسَرُّبَ بَدْو عرب قدموا من الصّحراء واسْتَعْمَلَهم الحكّام الحميريّون كمرتزقة، مكّن من تعريب المنطقة تعريبا بطيئا استبدلت به اللّغات القديمة»[6].

1 - R. Tuschscherer, Présentation.., *loc. cit.*, p.4

2 - Renaud, *loc. cit.*, p.104

3 - Ch. Robin Le Royaume de Himyar, in *Dossiers de l'Archéologie* pp. 56-57.,

4 - انظر نصّ هذه النّقيشة التي تدلّ على اعتناق هذا الملك الدّيانة اليهوديّة في: *Dossiers de l'archéologie, loc. cit.*, p.57.

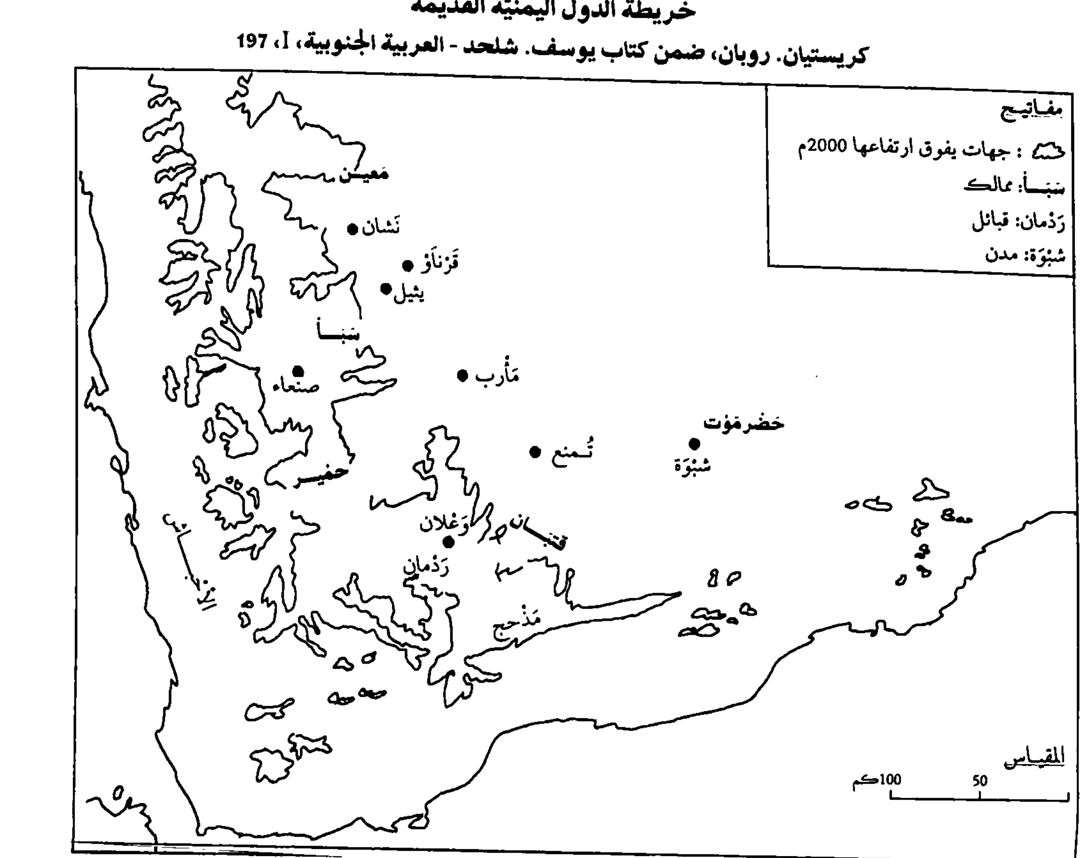
وتختم هذه النّقيشة المكتوبة بلغة جنوب الجزيرة العربيّة بالعبارة التّعجبيّة العبريّة «شلوم ! شلوم !».

5 - Ch. Robin, La civilisation.., *loc. cit.*, p.214.

6 - Tuchscherer, Présentation.., *loc. cit.*, p.4.

خريطة الدول اليمنيّة القديمة

كريستيان. روبان، ضمن كتاب يوسف. شلحد - العربية الجنوبية، I، 197



فلنلخّص:

سياسـيّا عرف اليمن في العصور القديمة ثلاث ممالك كبرى: مَعين وعاصمتها قَرْنَاوْ شـمالِيّ غربيّ صنعاء، وسبأ وعاصمتها مأرب ثم صنعاء، كما نذكر ثلاث دول أخـرى لم تدرس بعد كما ينبغي وهي قَتَبَان وأَوْسـان وحضرموت. وتبنّت كل هذه الـدّول النّظام الملكيّ الوراثـيّ مع تنقّل التّاج من الأب إلى الابـن وإمكانيّة تتويج الإخوة والنّسـاء[1]. وأحسن مثال على توارث سلالة النّساء هو مثال بلقيس ملكة سبأ الشّـهيرة. وكانت ممالك ذلك العصر أي الحقبة القديمة[2] ذاتَ صبغة دينيّة وكان يحكمها كما هي الحال في سـبأ ملوك يحملون لقب «مُكَرِّب» وكانوا نوعا من القضاة يلعبون دور الموحّدين للقبائل حول عبادة الإله أثتر. وخلافا لهمّل (Hommel) الـذي يعتبر المكـرّب ملكا كاهنا، فإنّ بيسـتون (Beeston) ينسـب إليه وظائف عسكريّة وجبائيّة ودينيّة وتشريعيّة في الآن نفسه[3].

ويتحدّث المؤرّخون اليمنيّون المعاصرون عن وجود ما يسـمونه «أدوارا» في تاريخ اليمن القديم[4].

فيوجد أوّلا دوْر يمكن نعته «بالأسـطوريّ» أو «البطـوليّ» لكثرة ما امتزجت فيه الأسـطورة بالواقع التّاريخيّ بصورة مُبْهمـة ومعقّدة. ويكفي الاطّلاع بخصوص هذا الموضوع على ما كتبه الأخباريّون اليمنيّون المبكّرون أمثال وَهْب بن مُنبّه وعبيد ابن شريّة والهمدانيّ، أو حتّى المؤرّخون العرب القدامى في القرون الأولى مثل الطّبري واليعقـوبيّ وغيرهـما، لندرك مدى صعوبة تخليص الشّـعرة من العجين بالنّسـبة إلى المحلّل العصريّ وتمييز الحدث التّاريخيّ الخالص من الرّواية الأسطوريّة.

واقترنت بقيّة حلقات التّاريخ اليمنيّ القديم عمليّا بأسـماء الدّول التي أسِّست على جـزء من الـتّراب اليمنيّ أو كلّه: فهناك حلقة نبطيّة عقبتهـا حلقة معينيّة، ثم حلقة حميريّة وفي النّهاية حلقة حبشيّة أو أثيوبيّة (525- 575) وحلقة فارسيّة (575- 632).

وقبل أن نعود بالتّفصيل إلى وضع اليمن في القرن السّادس، يحسن أن نقول كلمة عن تطوّر اليمن الاقتصاديّ والاجتماعيّ زَمَنَ أوْجِهِ.

1 - J. Ryckmans, *L'institution monarchique en Arabie Méridionale avant l'Islam*, Louvain, 1951

2 - E. Renaud, *loc. cit.*, p. 100

3 - A.F.L.Beeston, *loc., cit*

4 – ع. ثـور، ن. م، ص 98 ومـا بعدها؛ بَافَقِيه، ن. م. ص 15 ومـا بعدها؛ ك. المحامي، اليمن، بيروت 1968؛ أ. تَزْسِيسي، اليمن وحضارة العرب، بيروت، د. ت.

2 - تطوّر اليمن الاقتصاديّ والاجتماعيّ في العصر القديم[1]

أ-الأسس الاقتصاديّة

يمثّل اليمن السّعيد عند المؤرّخين اللاّتينيين في العصر القديم جسرا حقيقيّا بين الشّرق (الهند والصّين) والغرب (سواحل افريقيا الشّرقيّة) وكذلك بين الشّمال (بلدان البحر الأبيض المتوسّط) والجنوب (شرقيّ آسيا). وكان يتحكّم في طريق القوافل التي كانت تمكّن عند مرورها بعواصم الممالك اليمنيّة الخمس (مَعين وقتَبان وسبأ وحضرموت وأوْسان) من تمرير الأفاويه كالبخور والمرّ المكّاوي والأصباغ الطّبّيّة إلى البحر الأبيض المتوسّط ومنه إلى اليونان وروما ومصر والشّام. وكانت هذه التّجارة البحريّة والبرّيّة مُربحة ومُتّسعة إلى درجة أنّها يسّرت ازدهار المدن اليمنيّة الواقعة في مختلف الممالك المذكورة أعلاه وتطوّرها. وألحّ على هذا الرّخاء المؤرّخون القدامى خاصّة مثل إرَاتُسْتَان (Erathostène) في القرن3 ق.م.، وأغَاتَرْسِيد (Agatharcide) في القرن الأول ق. م.، وبلينيوس (Plinius) في القرن الأوّل الميلاديّ كما يلي: «من جهة الجنوب آخر الأراضي الآهلة بالسّكّان هي الجزيرة العربيّة، البلد الوحيد الذي يُنتج البَخور والمرّ المكّاوي والقرفة والكافور والصّمغ الرّاتنجيّ، وهذا كلّه، باستثناء الصّمغ، لا يتحصّل عليه العرب دون مشقّة. فالبخور مثلا، يستخرجونه عن طريق التّدخين بواسطة المَيْعة التي كان الفينيقيّون يصدّرونها إلى الإغريق، ذلك لأنّ الأشجار التي تحمل هذا البخور تحرسها ثعابين مجنّحة صغيرة الحجم مختلفة الألوان تتجمّع في أعداد غفيره حول كلّ شجرة، وهي نفس الثّعابين التي تهاجم مصر. ولا شيء غير دخان المَيْعة في إمكانه أن يُبعدها عن الأشجار. وهكذا يتحصل العرب على البخور. أمّا بالنّسبة إلى القرفة، فإنّهم يفعلون ما يلي: «يذهبون بحثا عنها بعد تغطية كامل الجسم والوجه – باستثناء العينين- بجلود البَقر وغيره. وهي تنبت في بُحيرة قليلة العمق يبدو أنّه تقيم فيها وحوْلها حيوانات مجنّحة تشبه الخفّاش وتُصْدِر صَيْحات فظيعة وتقاوم مقاومة شرسة...». «أمّا اللاّذن (أو الصّمغ الرّتنجيّ) فإنّ مصدره أكثر غرابة. فهو ذو رائحة طيّبة جدّا في حين أنّه يأتي من مكان نَتِن جدّا إذ يجدونه في لحية التّيس التي يتعلّق بها كالدّبق، آتيا من العيض. وهو يُستعمل في صنع كثير من العطور، وهو الذي يفضّل العرب حَرْقه».

---

1 – ع. ثور، ن.م.، ص 64 وما بعدها؛ أ. روو، ن. م.، ص 57. ولنفس المؤلّف، اليمن، ن. م.، ص 27-30؛ R. Fazy, *loc. cit.*, p. 11-12 ; J. Pirenne, Première mission archéologique française au Hadhramawt, in *C.R.A.I.B.L.*, 1975, avril-juin, p. 261-279.

ورغم صبغة هذه المعلومات العجائبيّة عن الأفاويه فإنّ فائدتها تتمثّل في الإشارة إلى أنّ كلّ هذه المنتوجات، أي البخور وغيره، كانت تأتي من جنوب الجزيرة العربيّة[1].

لذلك يمكننا أن نتحدّث بحقّ عن طريق البخور[2] التي تحاذي السّاحل انطلاقا من ظُفار، على طول ساحل المحيط الهنديّ إلى ميناء قَنَا (أو بير علي)، ثمّ تسلك مسلكا برّيّا في اتجاه شبوة عاصمة حضرموت، ثم رأس جسر طريق البخور هذه. ثم تعبر مملكة قتبان وخاصّة عاصمتها تِمنع قبل أن تصعد نحو الشّمال عَبْر سبأ ومعين (قَرْنَاو)، وولايات عَسير والحجاز الحاليّة، ثم تصل أخيرا إلى جهة الأنباط في البتراء ثم غزّة على ساحل البحر الأبيض المتوسّط. ويصل البخور أيضا إلى بلاد الرّافدين عبر طريق أخرى تنطلق من نبطيّة.

ونذكر أنّ أشجار البخور والمُرّ المكّاوي كانت توجد خاصة في حَضرموت وظُفار وكذلك في ضواحي قَتَبان. وكانت هذه المنتوجات مطلوبة جدا في العالم المتوسّطيّ إذ كانت من لوازم العبادة وصنع العطور والاستعمالات الطّبيّة والصّحيّة بالطّبع.

وكانت التّجارة تشمل أيضا منتوجات أخرى متنوّعة جدّا وذات استعمالات متعدّدة[3]. كما أنّها مُربحة جدّا بالنّسبة إلى التّجّار اليمنيّين الذين عرفوا كيف يحافظون على احتكارهم للمسالك البرّيّة والبحريّة للمبادلات وعلى سرّها وذلك بإقامة مراقبة صارمة عليها. ومن جهة أخرى فإن بلين وبطليموس (Ptolémée) لم يغفلا عن ذكر تفاصيل كثيرة تهمّ طريق القوافل الشّرقيّة، طريق البخور التي كانت أنشط جميع الطّرق التّجاريّة التي كان يسيطر عليها اليمنيّون وأهمّها.

وكان الوصول من تِمنع إلى غزّة بفلسطين – حسب بلين[4]- يحتاج إلى قطع 65 مرحلة (حوالي 65 يوما)، في حين كانت الطّريق الرّابطة بين ظُفار وميناء جرهة على الخليج العربيّ الفارسيّ قُبالة البحرين لا تحتاج إلى أكثر من أربعين يوما من السّفر حسب أقوال جاكلين سترابون (J. Strabon)[5].

---

1 - P. Crone, *Meccan trade, op. cit.*, pp.12 et sqq

2 - A. Rouaud, La route des épices, *loc. cit.*, p. 60 et sqq. Area hand book, *op. cit.*, p.11
E. Renaud, *loc cit.*, p. 94; Fazy, *loc. cit.*, p. 11

3 - ع. ثور، م.ن، ص.64؛ الويسي، اليمن الكبرى، القاهرة، 1962، ص 236 وما بعدها.
J. Pirenne, La route de l'encens, in *Dossiers de l'archélogie, loc. cit.*, p. 11; P. Crone, *Meccan trade, op. cit.*, p. 13 et sqq

4 - E. Renaud, *loc. cit.*, p. 94

5 - ن.م.

خريطة طريق البخور

وكانت الأرباح النّاجمة عن هذه التّجارة مُعْتَبَرة بالنّسبة إلى تجّار جنوب الجزيرة العربيّة وكذلك إلى مختلف المدن الواقعة على المسار الذي سبق وصفُه. وقد بيّنت ج. بيران (J. Pirenne) في نطاق مهمّة أركيولوجيّة في حضرموت، في اليمن الجنوبيّ وتحديدا في شَبْوة، أنّ ازدهار هذه المدينة وثرواتها الأسطوريّة لم تكن من صنع الخيال.

ومن البديهيّ أنّ مثل هذه الثّروات التي جمعتها الممالك العربيّة الجنوبيّة بفضل تجارة البخور والأفاويه، لم تكن غريبة عن تكوين حضارة مشرقة جدّا تدلّ عليها أساسا إنجازات باهرة وعظيمة نذكر منها على سبيل المثال المعابد والأسوار والسّدود دون أن ننسى المعالم الأخرى مثل القصر الملكيّ الذي كُشف عنه في شَبْوَة[1].

وزيادة على هذا النّشاط التّجاريّ الرّابح والمُربح، كان لليمن أيضا صناعة تقليديّة مزدهرة خاصّة في مجال صناعة الجلد والأسلحة كالسّيوف والدّروع وغيرها[2].

ولا شكّ في أنّ لكثرة الحديد والقصدير والذّهب والفضّة وكذلك الحجارة الكريمة في اليمن دَورا في هذا الازدهار الحِرَفيّ والتّجاريّ. وقد مدّنا الهَمدانيّ في رسالة مخصّصة للذّهب والفضّة بمعلومات ثمينة عن موقع مناجم الذّهب (في أشمّ وذَنْقان وقُفَاعة والمُخَلَّفة)، والفضّة (في الرَّضْراض وأرض بني مِذْحَج) وعن استغلالها في اليمن إلى العصر الإسلاميّ[3].

وأخيرا اشتهر اليمن السّعيد في المجال الزراعي بخصوبة أرضه وخاصّة في الجهة الجبليّة الواقعة في الجنوب الغربيّ والسّهول ومجاري الجداول، وبإحكام نظام الريّ فيه مثل حفر القنوات وتشييد السّدود والحواجز المائيّة لحفظ مياه الأمطار وتوزيعها طيلة السّنة على الأماكن الجافّة شرقيّ البلاد. وقد بُني سدّ مأرب، وطوله 800 متر لتعديل مياه وادي ذنه لأغراض زراعيّة[4]. فمنح هذا السّدّ حياة لذلك المكان المَنسيّ في القرن السّابع قبل المسيح إلى القرن السّادس بعده، تاريخ انهياره المحتمل أي طيلة 1200 سنة. ومن ناحية أخرى، فإنّ السّدود كانت تُستعمل لتخزين المياه[5]، وبالتّالي

---

1 - انظر مقالات بيران، *Dossiers de l'Archeologie* في ن. م.، ص. 26-27؛ الهمدانيّ، **الإكليل**، المجلّد 8، تحقيق ن. فارس، صنعاء، بيروت، د. ت.

2 - J. Pirenne, Première mission à Hadhramawt, *loc. cit.*, pp. 261-279.

ع. ثور، ص 64.

3 - الهمدانيّ، **كتاب الجوهرتين**، تحقيق ك.تول، أوبسلا، 1968، ص137 و199؛ **صفة**، ن. م.، ص 364.

4 - E. Renaud, *loc. cit.*, p. 102

5 - J. Pirenne, La maîtrise de l'eau en Arabie du Sud antique, in *Mémoire de l'A.I.B.L.*, Tome 3, Paris, 1977, 239. Burkner, *Yaman, péninsule arabique*, Paris, 1979, p.36

فـإن المتـوج الزراعيّ كان متنوّعا جـدّا ولا أدلّ على ذلك من شـهادة الهمدانيّ الـذي عدّد ما لا يقلّ عن عشرين صنفا من العنب فضلا عن عديد أنواع أخرى من الفواكه مثل الخوخ الحِمْيَريّ والخوخ الفارسيّ والرّمان واللّوز والجوز والسّـفرجل والتّين والإجّاص وعود القرنفل والصّمغ والمرّ المكّاوي والبخور[1] والمشمش والتفّاح والتّمور، وبعض الزّراعات مثل القطن والنُّقْل.

إلاّ أنّ هذا الرّخاء الذي شهد له منذ العصر القديم مؤلّفون لاتينيّون ويونانيّون مثل بلينيوس وهيرودوتس وغيرهما، وأكّده الهَمْدانيّ بالنّسبة إلى العصر الإسلاميّ، بدأ في الأفول منذ القرن الأوّل ق.م. على الأقلّ، لأسباب مختلفة سنعود إليها.

فحضارة جنوب الجزيرة العربيّة القديمة إذن، كانت تسـتند إلى أسّـيْن: الفلاحة وقد يَسّرها إقرار نظام متكامل لمنجزات الرّي وتقنياته، وتجارة القوافل، وخاصّة تجارة الأفاويه[2].

ب-التّنظيم الاجتماعيّ

لمجتمـع جنوب الجزيرة العربيّـة القديم في نظر كريسـتيان روبان (Ch. Robin) خاصيّـة تتمثل في أنّه مجتمع حضريّ وقبليّ في الآن نفسـه[3]. فهو يذكّر في تحليله المفيد للنّظام القبليّ القديم وتجدّده بعد أزمة القرن الأوّل الميلاديّ التي تسـبّبت في انهيار دول القوافل بجنوب الجزيرة العربيّة وبروز قبائل الهضاب العليا، بأنّ الإطار الرئيسيّ للحياة الاجتماعيّـة بجنوب الجزيـرة العربيّة هو التّحالف القبليّ. فيقابـل بين نوعين من البُنى القبليّة في اليمن القديم:

- الأوّل يقوم في نظره على القرابة بين عدد كبير من السّكّان المقيمين في مساحة محدودة، يستثمرون أراض زراعيّة شاسعة جدّا بواسطة الرّيّ الذي تشرف عليه الدّولة. ووُجدت هذه البنية في الأراضي المنخفضة عند ما لا يقلّ عن ستّ قبائل أشهرها مَعِين[4]. وتنقسم القبيلة، وتسمّى في جنوب الجزيرة العربيّة «شَعب»، إلى جملة من «الأهالي» والوحدات الصّغيرة أو «السّلالات» أي ما يقارب 18 أهلا بحساب روبان، كلّ منها

---

1 - الهمداني، صفة، ص.354.

2 - R. Tuschcherer, *loc. cit.*, p.33

3 - Ch. Robin, Esquisse d'une histoire de l'organisation tribale en Arabie du Sud, in *Bonnenfant, La péninsule Arabique*, *op. cit.*, T.1, p p.17-30.

4 - ن.م.

ينقسم بدوره إلى ما يقارب 26 فرعا بالنّسبة إلى أشهرها. وكلّ منها ينقسم بدوره إلى سلالات تبلغ الثّمانية بالنّسبة إلى أشهرها أيضا.

وبذلك قد يبلغ مجموع سكّان مَعين عدّة مئات آلاف نسمة مستقرّة على مساحة لا تتجاوز بضع مئات من الكيلومترات[1] حول ثلاث حواضر هي قَرْنَاوْ (أو مَعين)، وأثِيل (أو بَراقش)، ونشَانْ (أو السوداء) وتقع كلّها في جهة الجَوف.

فقبيلة مَعِين هذه التي يعود تنظيمها الموصوف آنفا إلى القرن II إلى غاية القرن الأوّل قبل المسيح، تمثّل أقدم القبائل في جهة الأراضي المنخفضة حيث كان يوجد «تنظيم جماعيّ متين» و«مؤسّسات حقيقيّة تابعة للدّولة».

أمّا النّوع الثّاني من البُنَى القبليّة فإنّه يتعلّق بجهة المرتفعات[2] حيث كانت وسائل الاتّصال غير مُتيسّرة. وتوجد فيها قبائل هي عبارة عن تجمّعات فلاحيّة صغيرة، عدد سكّانها منخفض، تستقرّ على مساحة ترابيّة شاسعة، وتتميّز بملكيّة الأرض. وتمثّل قبيلة سمأي التي تعود بنيتها إلى بداية العهد المسيحيّ (من القرن الثّاني ق.م. إلى القرن الأوّل الميلادي)، «أقدمَ دولة في جهة الأراضي المنخفضة» حسب روبان.

وتتميّز كلّ من هذه المجموعات القبليّة البدائيّة في المرتفعات بامتلاك مُجَمَّع أرباب خاصّ بها. فسمأي مثلا تملك مجمّع أرباب كان الإله الرّئيس فيه يسمّى ثعلب، في حين كانت لكلّ قبيلة من قبائل الأراضي المنخفضة مجمّعها الخاصّ وعلى رأسه إله ويكون معبدها مشتركا بين كامل القبيلة مثل عَثْتر ذي قَبْض بالنّسبة إلى معين[3].

إلاّ أنّ هذا النّظام القبليّ القديم بدأ في الانحلال منذ بداية العهد المسيحيّ. وهذا يمكن ربطه فيما يبدو بتحويل تجارة البخور والأفاويه نحو البحر أي المسلك البحريّ

---

1 - ن. م.، ص.22 وما بعدها.

2 - Ch. Robin, Mission archéologique et épigraphique au Yaman du Nord en automne 1978 in *C.R.A.I.B.L.*, 1979 (*Janvier–mars*), pp. 174-202.

انظر لنفس المؤلّف، **بلاد همدان وخولان قضاعة قبل الإسلام**، أطروحة المرحلة الثّالثة، مرقونة، جامعة باريس 1، 1977، مجلدان، 528 ص. ونشر هذه الأطروحة معهد التّاريخ والاثار الهولنديّ باسطنبول في جزئين، 184ص. و219ص. بعنوان *Les Hautes Terres du Nord du Yaman avant l'Islam*.

ويتحدّث روو في مقاله (Mission..، ن. م.، ص.177) عن «وجود سكّان حضريّين في الأراضي المرتفعة منظّمين ترابيّا في شكل هرم من التّجمّعات القبليّة المندمج بعضها في بعض» وينعت هؤلاء المتساكنين بأنهم «مجزّؤون» في حين يرى أنه يوجد في جهة الجوف «مجتمع قبليّ وقعت تجزئته».

3 - Ch. Robin, *Esquisse..*, *op. cit.*, p.22.

المباشر بين العالم المتوسّطيّ والهند وكذلك بأفول طريق القوافل التي كان يراقبها إلى ذلك التّاريخ عرب الجنوب. فقد بدأت تظهر بالتّوازي مع هذا الاضطراب في المبادلات التجاريّة وفي بُنى المجموعات القبليّة البدائيّة، «مراجعة الهياكل الدّينيّة لهذه المجموعات، وحركة إقطاعيّة في كامل اليمن»[1].

وبلور روبان هذه التّحوّلات في جهة المرتفعات أساسا التي تزخر بالوثائق، ملحّا على تجدّد النّظام القبليّ الذي بدأ «يقْرِن قبائل عرب الجنوب القديمة المنتظمة على أسس جديدة، والقبائل العربيّة التي استقرّت مستفيدة من تلك الحقبة المضطربة»[2]

وظهر في القرون المسيحيّة الأولى تجمّع قبليّ جديد إثر ظهور نخبة من الأعيان المحلّيين، وهم أمراء يحملون لقب أقيال، وكذلك إثر ضعف سلطة الحكّام. وأُسِّس هذا التّجمّع الجديد على قُدْرة فرد، يكون عادة قَيْلا، على فرض سلطته على جملة متفرّقة من القبائل دونَ مراعاة الطّقوس المعمول بها»[3]. وذكر المؤلّف عديد الأمثلة بخصوص هذه «التّجمّعات القبليّة» التي التفّت حول «أقيال»[4] مثل حلف بني يَزن، وحلف الأصَابِح، (جمع أَصْبَح)، وحلف بني رَيْدان. وعموما فإنّ مفهوم القبيلة الذي كان في البداية موازيا لمجمّع الأرباب المشترك، حلّ محلّه في القرن الأوّل الميلادي نظام تسوده علاقات الولاء لبعض الأنساب المجيدة[5]. ومن ناحية أخرى، فإنّ دخول مجموعات قبليّة عربيّة اللّغة انتدبها الحكّام والأقيال وألحقوها بجيوشهم، مثل دخول كندة في حضرموت، ودخول مَذْحِج في اليمن الأوسط، تسبّب في تعريب اليمن تدريجيّا، ويسّر في الوقت نفسه اعتناقه الإسلام، وفرض تصوّرا جديدا للنّظام القبليّ يقوم على علاقات النّسب المتفاوتة بين الأجداد الذين سمّيت القبائل باسمهم[6].

---

1 - ن.م، ص 26.

2 - ن.م، ص18.

3 - ن.م، ص 26.

4 - انظر بخصوص القَيْل ع. ثور، ن. م.، ص.171 وما بعدها؛ الويسي، ن. م.، ص.204؛ العبدليّ، هديّة الزّمن في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة، د.ت ؛ ع. ثور، ن.م، ص 171 وما بعدها، الوِيسي، ن. م، ص 204؛ العَبْدلي، هديّة الزّمن في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة.

A. F. L. Beeston, in *E.I.*, *IV*, 851; Ch.Robin, *Le pays de Hamdân*, *op. cit.*, T.1, p. 106

5 - ن.م، ص 28.

6 - ن.م، ص 29.

وهكذا فإنّ «حاشدا»، وهي أحد الائتلافات الثلّاثة المكوِّنة لتحالف «سمأي » الذي كان يقوده أقيال ينتسبون إلى هَمْدان، و«بكيل»، وهو مجموع قبليّ يضمّ «ذا رَيْدة» و«بنى مَوْدَع» و«بني ذي نَعَامة» و«بني رَزْمَة»، كلّ هذه القبائل تولّد عنها حلف كبير هو حلف «حاشد وبكيل»، أعْلِن عن تآخيهما ووُضعا تحت سلطة بني هَمْدان[1].

عموما، فإنّ جغرافيا اليمن القديم القبليّة رُسِمت ملامحها أثناء قرون العصر القديم المتأخر، في شكل تكتّلات قبليّة حول بعض الأنساب المجيدة[2].

وينقسم هذا المجتمع القبليّ إلى أربع طبقات اجتماعيّة[3] وهي: طبقة الجنود المحاربين الذين تتمثّل وظيفتهم في المحافظة على النّظام والدّفاع عن الحصون وخفر القوافل التجاريّة، وطبقة المزارعين المكلّفين بجميع الأشغال الفلاحيّة كالحرْث والبَذْر والرَّيّ وغيرها، وطبقة الحِرفيين الذين يتعاطوْن حرفا مختلفة مثل صناعة الجلد والمعادن الثّمينة وصنع الأسلحة كالسّيوف والدّروع وغيْرها، وأخيرا طبقة التجّار الذين يمارسون تجارة القوافل وتجارة البحار مع الأقطار المتوسّطيّة وبلاد الرّافدين والهند وشرقيّ آسيا والقرن الإفريقيّ.

ويمكن أن نقول بصفة عامّة إنّ البنية الاجتماعيّة اليمنيّة بنية معقّدة إذ حاولت التّوفيق بين تنظيم قبليّ تغيّر عبر العصور حسب روبان، وبين تراتبيّة تقوم على نشاط مهنيّ. كتب رُوُو[4] (Rouaud) بهذا الصّدد: «كانت القبيلة نواة تمدّ الدّولة بالقادة وكبار الملاّك، في حين كان القرويّون والخَدم المُكلّفون بخدمة الأراضي العموميّة وصيانة الأشغال الكبرى، يُنتدبون من بين القبائل المُنْضَمّة». ذلك هو وضع اليمن الاجتماعيّ والاقتصاديّ الذي كان في العصر القديم وينبغي الآن أن نرى عن كثب تطوّرات الأمور في القرن السّادس الميلاديّ أي قُبَيل ظهور الإسلام حتّى نحاول فهم السّيرورة التي أفضت إلى تقهقر ممالك جنوب الجزيرة العربيّة تدريجيّا وبالتّالي إلى تهميش اليمن منذ تلك الفترة.

---

1 - ن.م، ص 29، انظر لنفس المؤلف كتاب **بلاد همدان**، ن.م، مجلّد 1، ص 106 وما بعدها.

2 - Ch. Robin, *Esquisse*, *op. cit.*, p. 28

3 - ع. ثور، ن.م.، ص.191 وما بعدها؛ الويسي، ن.م.، ص.24.

R. Wepf, *Le Yaman*, Berne, 1967, p. 81.

4 - Rouaud, *Le Yaman..*, *op. cit.*, p.29.

3 - اليمن في القرن السّادس ميلادي وأسباب تقهقره[1]

تتعلّق الدّورة اليمنيّة بالمرحلة المتراوحة بين 115 ق.م و525 ب.م. فقد بدأت سيطرة قبيلة حِمْيَر تترسّخ في جهة الهضاب العليا بعد أن فقدت في المرحلة المتقدّمة الممالكُ الواقعة على تخوم الصّحراء (مَعين وسبأ وحضرمَوت وقَتَبان)، شيئا من تأثيرها. وكانت ألقاب الحكّام الحِميريّين في الكثير من الأحيان رَهينة درجة توسّعهم التّرابي أو تقلّص نفوذهم. كانوا في البداية يحملون لقب «ملوك سبإ وذي رَيْدان». ثمّ طال لقبهم فأدرج فيه «حضرموت ويَمْنَات والبدو الرّحّل المقيمين في الهضاب العليا وتهامة»، وهو ما يعكس دونَ شكّ أوْج سيطرتهم التّرابيّة على اليمن[2]. ونلاحظ بهذا الصّدد أنّ أوّل حاكم حِمْيَريّ حمل هذا اللّقب الجديد هو أسعد الكامل الذي حَكَم ابتداء من سنة 400 ميلاديّا. وفي الحقبة الحِميريّة بالذّات، بدأت تظهر «أزمة عامّة للسّلطة وبداية سَيْرورة تعريب اليمن». ولابدّ من التّوضيح أنّ هذه السّيرورة سابقة فعلا لظهور الإسلام وانتشاره في اليمن. وكتب روبان في هذا الموضوع مقالا حديثا عن الكتابات العربيّة الإسلاميّة بحروف جنوب الجزيرة العربيّة عُثِر عليها في أمّ ليلى في سبتمبر 1973 قال فيه: «لهذه النّقوش الأثريّة أهمّيّة كبرى بالنّسبة إلى تاريخ جنوب الجزيرة العربيّة. فهي تدلّ على تعريب هذا البلد. وقد بدأت بوادر هذا التّعريب في الظّهور حوالي القرن الثّاني ميلاديّا، كما تبيّن اعتناقه الإسلام»[3]. وتبيّن هذه النّقوش المؤرّخة سنة 640 ميلاديّا أنّ التّعريب كان متقدّما جدّا في القرن السّادس الميلاديّ وأنّه عمليّا تمّ في عصر الهَمْدانيّ (أي القرن 10).

لماذا الحديث عن تَقَهْقر يمنيّ؟ الحقّ أنّ عوامل هذا التّقهقر نُوقِشت كثيرا[4]. فليس من السّهل تغليب عامل على آخر. إلا أنّه يبدو من الثّابت أنّ منطلق هذا التّقهقر الذي كان لا رجعة فيه، وقع بالذّات في الوقت الذي بدأ فيه اليمنيّون – ونحن نفضّل هذا الإسم

---

1 - انظر بخصوص القرن السّادس S. Smith, Events in Arabia in the 6th century A. D., in *B.S.O.A.S.*, *XVI*, 1954, pp.425-468; J. S. Hart, Basic chronologie for a history of the Yaman, in *M.E.J.*, 1963, Washington, Vol. XVII, pp. 146.

2 - E. Renaud, *loc. cit.*, p. 104 et sqq. Ch. Robin, La civilisation.., *op. cit.*, pp. 213 et sqq. ; G. Annequin, *Les civilisations..*, *op.cit.*, pp. 223 et sqq.

3 - Ch. Robin, Résultats épigraphiques et archéologiques de deux brefs séjours en R.A. Yaman, in *Sémitica*, Cahiers de l'Institut des Etudes Sémitiques, C.N.R.S., XXVI, Maisonneuve, 1976, voir p.192 193-pp.176

4 - J. Chelhod, Problèmes d'anthropologie culturelle sud-arabe, in *L'Arabie du Sud*, *op.cit.*, pp.34-35; Ch. Robin, *La civilisation..*, *op. cit.*, pp. 213-214.



على عبارة عرب الجنوب- يخسرون احتكارهم الذي طالما ساهم في ثرائهم ورخائهم بعد أن كانوا أرباب تجارة البحار ومسالكها بدون منازع. وقد تسبّبوا بذلك في انخفاض مباغت لمبادلات القوافل نتجت عنه خسارة هائلة للأرباح المنجرّة عن تلك المبادلات. ونشطت فعلا التّجارة البحريّة كثيرا في البحر الأحمر، فازدهرت موانئ الحجاز على حساب موانئ اليمن.

وقد اكتشف النوتيّ اليونانيّ هيبّالوس (Hippalus) في القرن الأوّل بعد المسيح اتّجاه الرّياح الموسميّة في المحيط الهنديّ[1]، فمكّن الرّومان المسيطرين من قبل على مصر، من الاستغناء عن الوسيط اليمنيّ المزعج ومن التزوّد مباشرة من آسيا الشرقيّة والتخلّي عن النّقل البرّي عبر اليمن.

إذن، فقد بدأنا نشاهد منذ هذا العصر «اختطافا» حقيقيّا لتجارة القوافل لفائدة المسالك البحريّة المباشرة في البحر الأحمر والخليج العربيّ الفارسيّ. بعبارة أخرى، كان تغيير المسالك التّجاريّة هذا تمهيدا لانهيار الحضارة اليمنيّة المزدهرة، وتدنّي مستوى عيش اليمنيّين وعودة بعض القبائل إلى حياة التّرحال».

وإذا أضفنا إلى هذا العامل الاقتصاديّ الحاسم أنّ البخور، وهو المادّة الأساسيّة في تلك المتاجرة، لم يعد مطلوبا جدّا من قبل البلدان المتوسّطيّة والإفريقيّة كواحد من مستلزمات طقوسهم بسبب تطوّر المسيحيّة في القرنين الرّابع والخامس[2]، والتخلّي عن حرق جُثَث الموتى، فإننا نفهم بيسر «الضّربة القاضية» التي سُدّدت للنّشاط التّجاريّ باليمن، وبالتالي لنموّ المملكة الحِمْيريّة.

زد على ذلك أنّ مؤشّر أفول الحضارة اليمنيّة وتدهورها كان انهيار سدّ مأرب[3] الذي كان الرّئة الحقيقيّة التي تتنفّس بها الفلاحة اليمنيّة في المناطق الجافّة الواقعة على تخوم الصّحراء. وكان لهذا الانهيار الذي يؤرَّخ عادة حوالي القرون الأولى الميلاديّة، والذي كانت أسبابه محلّ جدل كبير، عواقبُ وخيمة جدّا على الدّولة الحميريّة وعلى سكّان اليمن بصفة عامّة. ولم تغفل المصادر العربيّة واليمنيّة عن ربط هذا الحادث بحركة النزوح التي دفعت قبائل مقيمة في اليمن إلى هَجْر ديارها بحثا عن ملجإ في

---

1 - E. Rouaud, La route.., *loc. cit.*, p. 60؛ ع. ثور، ن.م.، ص 150.

2 - ن.م.

3 - J. Ryckmans, Le barrage.., *op. cit.*, p.35; A. Grohmann, Ma'rab, in *E.I.*, *III*, pp.296 et sqq.; Ch. Robin, La civilisation.., *loc. cit.* p.215.

الشّمال (الجزيرة العربيّة وبلاد الرافدين والشّام). وهذا يهمّ خاصّة قبائل غسّان ولخم وكندة وطيّ[1] التي أسّست إمارات عربيّة على تخوم الشّام والعراق ونَجْد وسط الحجاز. وكان الغساسنة تحت نفوذ الرّومان في حين أدان اللّخميّون بالولاء إلى الفرس.

وممّا زاد في خطورة الوضع، التّطاحنُ في صلب المملكة الحميريّة، كالصّراعات التي كانت في القرن الرّابع الميلاديّ بين عناصر همدانيّة من حَاشِد وعناصر سبئيّة من بكيل[2]، ناهيك أنّ حكّام تلك الحقبة، عوض أن يعالجوا مسألة تقهقر المبادلات التّجاريّة ويحاولوا أن يجدوا حلولا لمشكلة النّزوح بعد انهيار سدّ مأرب، انشغلوا بالغزو وشنّ الغارات[3].

ونلاحظ أنّ الملوك الحِمْيريّين بدؤوا منذ ذلك الوقت يُلَقَّبون في المصادر بالتُّبَّع (جمعه تَبابِعة) وهو لقب يعادل عادة لقب قيصر عند الرّومان وكسرى عند الفرس.

ويرى ج. ريكمنس (J. Ryckmans)[4] أنّ لقب «تُبّع» هذا لم يكن يحمله الملوك لأنّ كلا منهم يخلف الآخر (أو يتبعه). ويعني جذع «تَبِعَ»: سار وراءه كما يعني «تشيّع له» أي كان من «أتباعه». وهو يرى أنّ التّقليد العربيّ حفظ، دون علمه، الإشارة إلى أنّ «ملوك حمير، منذ مملكة ظُفار الموحدّة، كانوا أتباع الإله الأوحد، خلافا لأسلافهم الوثنيّين». وأيّد فرضيّته هذه بملاحظة لِلِيفي دِلاّ فيدا(Lévi della Vida) مُفَادُها أنّ لفظ «تُبّع» قد يكون تَرْسًا (Calque) للفظ سريانيّ أو يونانيّ يُطلق على أتباع المسيحيّة أو إحدى طوائفها».

ويقترح المؤرّخ العربيّ المسعوديّ تفسيرا آخر للفظ «تُبّع»[5]. فمؤلّف التّنبيه يبيّن في تمييزه بين العرب الباقية والعرب البائدة أنّ لفظ «تُبّع» «سِمَة لا تنطبق إلاّ على» من مَلَك

---

1 - انظر بخصوص هذه القبائل والإمارات التي أُسّست الطّبري، تاريخ، II،ص.176 وما بعدها ؛ اليعقوبيّ، تاريخ، I، ص 206-220 ؛ جواد علي، المفصّل..، ن. م.، مجلد3، ص.155-314 (اللّخميّون)، ص 315-386 (بنو كندة) ص 387-448 (الغساسنة)؛ س. ز. عبد الحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، 1976، ص 201 وما بعدها؛ M. Rodinson, *Mahomet*, Le Seuil, Paris 1961, pp. 48-50

2 - G. Rent, Hashid et Bakil in *E.I.*, *III*, pp. 266-277 et de J. Schleifer, *E.I.I* (*Anc. Ed.*), pp. 302-304.

3 - انظر خاصّة الأصمعيّ، تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد 1959.

4 - J. Ryckmans, Le christianisme en Arabie du Sud préislamique, in *L'oriente cristiano nella storia della civilità* Rome 31 marzo-3aprile 1963.Firenze 4 aprile 1963. *Academica nazionale dei Lincei*, Anno CCCLXI, 1964, Problèmi attuali di scienza et di cultura, *Quaderno n°* 62, Roma, 1964, pp.413-453. Voir p.426.

5 - المسعوديّ، التّنبيه والإشراف، بغداد، 1938، ص 157.

اليمـن وحضرموت واجتمعَـتْ له طاعتُهم». ويضيف أنّ « تبّـع في رأي آخرين هو لفظ يعني في اللّغة العربيّة «الظّلّ»[1] لأنّ «الملوك السعداء ظِلٌّ لرعيّتهم وكهف لها ومَلْجَأٌ».

ومهـا كان الأمر، فـإنّ الفترة الممتدّة بين منتصـف القرن الرّابـع الميلاديّ وظهور الإسـلام تطابق مرحلة تركيز السّـلطة على مملكة حِمير، كرّسها خاصّة نقل العاصمة من مـأرب إلى ظفار والتخـلّي عن الوثنيّة لفائـدة ديانة توحيديّة. وهكذا فإنّ تفسـيري ج. ريكمنس والمسـعوديّ المتعلّقين بلفظ «تُبّع» يتكامـلان، إذ يلحّ الأوّل على فكرة التّوحيد في حين يؤكّد الثّاني على الوحدة الترابيّة لمملكة اليمن في ظلّ حاكم أوْحد.

فلنتوقّف عند هذا الجانب الدّينيّ الذي نعتبره أساسـيا لفهم السّيرورة التي أفضت إلى أفول الحضارة اليمنيّة وتدهور المملكة الحميريّة.

يرى ك. روبان أنّه «من المستحيل الكلام على دين واحد جنوب الجزيرة العربيّة لأنّ التنوّع يفوق التّوحيد سواء في تنظيم أماكن العبادة أو بخصوص الآلهة والمعابد»[2].

فقـد كان لكلّ تكتّل قبـليّ مجمع أربابه الخاصّ ومعابده وطقوسـه. وكانت لُحمـة كلّ تكتّل متمثّلـة في عبادة الـربّ المتفوّق في مجمع الأربـاب المحلّيّ خاصّة بمناسبة الحجّ السّنويّ الأكبر إلى المعبد الكنفدراليّ». كانت أهمّ الآلهة المشتركة هـي التّالية: المقه في سـبأ وَبكيل، وثعلب في سـمأي، وأثتر في مَعـين وحِمْير، وعَمْ في قَتَبان، وسَـيّن في حضرموت. كان بعضها من أصل كواكبيّ مثل القمر والشّمس وغيرهمـا. وكان يوجد أيضا جُملة من الآلهة المحلّيّين والقبليّين، أشـهر معابدها مَحْرَم بلقيس في مأرب.

وكان هذا الشّرْك القائم على عبادة الكواكب والشّـمس خاصة دين السّبئيّين والمعينيّين الرّسميّ. وابتداء من القرن الثّاني ميلاديّا بدا هذا الشّرك وكأنّه يتطوّر نحو نوع من التّوحيد، أي نحو دين يسـعى فيه أحد الأربـاب إلى إزاحة الآلهة الأخرى عند كلّ شعب من الشّعوب.

وعُـوّض في النّصف الثّاني من القرن الرّابـع باليهوديّة التي فرضتها العائلة المالكة وقد اعتنقتها قبل أن تَنْتشر المسيحيّة بدورها في الجزيرة العربيّة، بما فيها اليمن، خاصّة بعد حملة الاضطهاد التي عاشتها نجران[3]. فَلْنَرَ كيف فرض التّوحيد نفسه وأزاح الشِّرك.

---

1 – ابن دريد، **الاشتقاق**، ص 433، يشبّه التّبع بالظلّ لأنّه يتبع الشّمس.

2 – Ch. Robin, Au royaume de Saba', *loc. cit*

3 – E. Renaud, *loc. cit* p. 105; J. Ryckmans, Le christianisme.., *loc. cit.*, p. 445; A.F.L. Beeston,

دخلت المسيحيّة اليمن في شكلها المؤمن بوحدانيّة طبيعة المسيح (Monophysisme) انطلاقا من سوريا. وشجّع رومان بيزنطة أيضا على نشر هذا المذهب عن طريق حلفائهم الأحباش الذين اعتنقوا هم أيضا هذه العقيدة. وكانت غايتهم اقتصاديّة سياسيّة أكثر منها دينيّة، تتمثّل في إمكانيّة بسط نفوذهم على اليمن والاستيلاء على المسالك التّجاريّة التي كان اليمنيّون يسيطرون عليها. وفي هذا السّياق، أرسل الامبراطور كُنْسْطَنْس الثّاني (337-361) إلى الجزيرة العربيّة داعية من أصل هنديّ يدعى تيوفيل (Théophile) لنشر الأريانيّة (Arianisme)، وهو مذهب يجعل من المسيح كائنا ذا طبيعة إلاهيّة مرتبطة بالأب. ويبدو أنّ تيوفيل هذا لقي نجاحا في جنوب الجزيرة العربيّة مؤقّتا إذ أفضت مهمّته إلى بناء عديد الكاتدرائيّات في البلاد مثل عدن وظفار[1].

واستند كلّ من ج. بوكون (J. Beaucamp) وك. روبان[2] على كشوف مصادر مختلفة في علم النّقوش وعلم الآثار، وهي نقوش أثريّة وجدت في جنوب الجزيرة العربيّة وفي الحبشة، وكتابات إغريقيّة ورسوم للصّليب، وأثبتا أنّ المسيحيّة انغرست في نجران في القرن الخامس، ناهيك أنّها في القرن السّادس كانت تشغل موقعا مُهيْمنا جعل نجران تظهر في النّصوص مركزا رئيسيّا للمسيحيّة، قبل ظهور الإسلام، مساويا للحيرة عاصمة اللّخميّين في العراق الأدنى.

وأكّد ريكمنس من ناحيته أنّ ازدهار المسيحيّة الحقيقيّ بدأ في نجران حوالي منتصف القرن الخامس. وأوردت المصادر العربيّة حكايات «أسطوريّة» في الكثير من الأحيان، حول دخول المسيحيّة جهةَ نجران[3].

---

1 - M. Rodinson, *Mahomet*, *op.cit.* p.51 ;J. Ryckmans, Le christianisme.., *loc. cit.*, p. 418, ; Beeston, Judaisme and christianity in pre-islamic Yaman in *L'Arabie du Sud*, *op. cit.*, III, pp. 271-278. *loc. cit.*, p. 271.

2 - Ch. Robin, -J. Beaucamp, Le christianisme dans la péninsule arabique d'après l'épigraphie et l'archéologie, in *Travaux et mémoires*, n°8, du Centre de Recherche, d'histoire et de civilisation de Byzance, éd. Boccard, Paris, 1981, pp.45-61, voir p. 56; S. Smith, Events.., *loc. cit.*, pp. 462 et sqq.

3 - الطّبريّ، تاريخ، II 119-123؛ ابن هشام، سيرة، I، ص.20 وما بعدها؛ السهيلي، الرّوض، I، 30-35؛ ياقوت، معجم البلدان، بيروت، 1955، 5 مجلّدات، ص.266 وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، I، 426-430؛ الكلاعيّ، ن.م.، I، 164-173. انظر بخصوص نجران:

N. Pigulevskaja, Les rapports sociaux à Najran au début du VIième siècle de l'ère chrétienne, in *J.E.S.H.O.* 1960, , vol. III, 2 , pp. 113-130, vol IV, 1, pp. 1-14 ; J. Ryckmans, (Le christianisme.., .*loc.cit.*, pp. 440 et sqq).

حيث يذكر أعمال A.Moberg عن أساطير فيميون وعبد الله ثامر وكيف ربطها بمجموع يزدين-بثيون الفارسيّ وبحكايات اضطهاد مسيحيّ نجران (ص 442).

إلا أنّ الاختراق الأوّل للمسيحيّة سرعان ما تبعه ازدهار كبير لليهوديّة. ونذكّر أنّ هذه الدّيانة كانت موجودة في شمال الجزيرة العربيّة واليمن قبل القرن الرّابع بكثير. وتنسب المصادر العربيّة نشر اليهوديّة في اليمن إلى الملك الحِمْيريّ أسعد الكامل المُلَقَّب بتُبّع الأصغر؛ وقد هوّده حَبْران، ففرض الدّين الجديد على رعيّته. وذهب ابن قتيبة إلى أبعد من ذلك مشيرا إلى أنّ هذا الحاكم هو الذي أنجز حلفا بين ربيعة، وهي مجموعة قبائل عدنانيّة، واليمن (قبائل الجنوب)[1]. فكأنّ الحكّام الحِمْيريّين أرادوا أن يصدّوا دين خصومهم البيزنطيّين والأحباش القائم على وحدانيّة طبيعة المسيح، فشجّعوا على انتشار اليهوديّة في مملكتهم[2]. وبذلك تواجد في القرنين 5 و6 في الجزيرة العربيّة اليهوديّة في اليمن أساسا ويثرب وفي بعض واحات الحجاز مثل تيماء وخَيْبر، والمسيحيّة في نجران وغيرها، وبالطّبع الشّرك وعديد أشكال الوثنيّة.

وصَعَّدَ حُكْم ذي نُواس، آخر الحكّام الحِميريّين في القرن السّادس، الصّراعَ إلى أوجه بين المسيحيّين واليهود، وبالتّالي بين أنصار هؤلاء وأولائك». ويرى العرب أنّ ذا نُواس[3] كُنْية كُنِيَ بها لأنّه كانت له أقراط [أو خصلة شعر]. وكان اسمه الحقيقيّ

1 - ابن حبيب، **المحبر**، بيروت، د.ت، ص 367؛ الطبَري، **تاريخ**، II، 108-112؛ اليعقوبي، **تاريخ** I، 198؛ وهب بن منبّه، **كتاب التّيجان في ملوك حِمْير**، صنعاء، 305- 308؛ ابن قتيبة، **المعارف**، بيروت، 1970، ص 276؛ .J. Ryckmans, Le Christianisne..., *loc. cit*, 426- 427

2 - كتب (ك. روبان) في مؤلّفه «الحضارة...» (ن.م. ص 214) في هذا الموضوع: «إنّ أهمّ حدث جدّ في هذا العصر (القرن IV) هو اعتناق الأسرة المالكة الحميريّة اليهوديّةَ، وتبعها في ذلك الأُسَر الأميريّة الكبرى (بنو همْدان، وبنو يَزن، وبنو أصبح وبنو كِشبيان وبنو مرائد». ثم أضاف: «ويبدو أنّ اعتناق جنوب الجزيرة العربيّة اليهوديّة كان ردّا على اعتناق أثيوبيا وملكها أزانة المسيحيّة (قبل 360)، ويدلّ على إرادة حِمير عدم الوقوع في تبعيّة الامبراطوريّة الرّومانيّة التي كانت في ذلك العهد نشيطة جدّا في البحر الأحمر، وعلى الصّمود في وجه تحرّكات أثيوبيا حليفة روما».

3 - انظر بخصوص ذي نواس المصادر العربيّة التّالية: وهْب، ن.م، ص 312؛ ابن حبيب، ن.م، ص 368؛ ابن هشام، ن.م؛ I، 20؛ الطبري، **تاريخ**، II، 118-120؛ المسعودي، مروج الذهب، تحقيق شارل بلاّ، بيروت، 1966، II، 198 و210؛ ابن قتيبة، ن.م، ص 227؛ السُّهيْلي، ن.م، ص 230؛ الأصمعيّ، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ن.م؛ ابن الأثير، **الكامل**، I، 425؛ الدِّينَوَريّ، **الأخبار الطِّوَال**، طبعة بيروت، بغداد، د.ت، ص 62؛ وذكر لنا المؤلّف اسم ذي نُواس كاملا: زُرْعة بن زيد بن كعب كهف الظّلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن جُشَم بن وائل بن عبد شمس بن الغوْث بن جِدر بن قَطن بن عريب بن الرائش بن حِمير بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان. وروى لنا نادرة عن تهوّده في اليمن بواسطة يهود. ثم ذكر فترة اضطهاد مسيحيّي نجران وما انجرّ عنه من تدخل الرّوم والأثيوبيّين في اليمن. ويعتبر الهمْدانيّ (**الإكليل**، تحقيق الأكْوع، بغداد، 1980) ذا نواس سَليل تُبّع أسْعد أبي كرب، ويضبط نَسبه كما يلي: «زُرعة بن عمرو بن زُرعة الأوْسط بن حسّان الأصغر بن زرعة بن عامر بن

يوسف زُرْعة تُبّع الأصغر بن حسّان بن تُبّع بن أبي كرب، وكان شابّا جميلا، استولى على السّلطة متحاشيا الممارسات المثليّة التي كانت لسَلَفه لَخْنِيعَة يَنُوف ذي الشناتر إذ عمَد إلى قتله مخلّصا بذلك الشبّان اليمنيين مما كانوا يدفعونه من ضريبة جنسيّة[1]. ولاحظ مكسيم رودنسان[2] (Rodinson) أن لقب «يَثْأر» الذي وُجد على نقش يحمل اسمه، قد يكون نوعا من المبايعة.

عموما، حقّقت اليهوديّة نجاحا رسميّا باهرا بين نهاية حكم أبي كَرب ونهاية حكم يوسف نُواس، أي بين سنتي 440 و525. في هذا التّاريخ، عمد ذو نُواس إلى إبادة مسيحيّي نجران الذين رفضوا التّنكّرَ لعقيدتهم المسيحيّة واعتناقَ اليهوديّة. وهو صنيع لم يتردّد المسلمون في ربطه بقصّة «أصحاب الأخدود» و«النّار ذات الوَقود» المذكورة في القرآن (سورة «البروج»، الآيتان 4 و5)[3]. ومن ناحية أخرى، فإنّ موت ذي نواس المأسوي أنذر

حسّان بن أسعد تُبّع. كانت أمّه تسمّى سلمى بنت حَزْن بن زياد بن الحارث أو- حسب الأبرهيّ - مسكينة بنت زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة كعب الحارث بن كعب (ص 7-74) ويذكر من بين أسلافه خاله عبد المدان بن الدّيّن بن قطن، ومن بين الأخلاف أبا الهيثم السخطيّ من عشيرة السّخطيين التابعين لمنكث (ن.م. ص 75)، وأخيرا ينقل نشوان (**ملوك حمير وأقيال اليمن**، طبعة القاهرة، 1971)، نفس النّسب الذي ذكره الهمدانيّ مع اختلاف طفيف (ص 147-148). انظر أيضا الأزرقيّ، **أخبار مكّة**، ص 134-135؛ الدياربكري، **تاريخ الخميس**، بيروت، I، 194؛ الكلاعي، ن. م.، ص.175؛ ابن خلدون، **تاريخ**، بيروت، 1971، II، 59-60؛ الأصبهانيّ، **الأغاني**، بيروت، 1983، المجلّد 22، ص 345-345؛

Smith, Events.., *loc. cit.*, pp. 456–462; *J.* Ryckmans, *La persécution des chrétiens himyarites au VIème siècle d'après les récentes découvertes en Arabie Centrale*, Istanbul, 1956, pp.1–24 ;

انظر كذلك الأسود مقال ذو نواس في *E.I., II*, pp. 243-245.

1 - يروي المسعوديّ (**مروج الذهب**، II، 210) عن رواية لعبيد بن شرية أن ذا نواس يدعى غريب بن قطن، في حين يذكر ابن الأثير (**الكامل**، I، 429-430)، رواية لابن عبّاس مفادها أنّ ملك نجران الذي قد يكون اعترض على نشر المسيحيّة التي كان يدعو إليها راهب واعتنقها رجل يدعى عبد الله بن ثامر، لم يكن غير ذي نواس، واسمه الحقيقيّ يوسف بن شرحبيل. ولم ينعت في هذه الرّواية ذو نواس كما نلاحظ بأنّه يهوديّ رغم أنّه من أباد نصارى نجران؛ولا يطابق اسمه يوسف بن شرحبيل الاسم الذي ضبطه الأخباريّون اليمنيّون (الهمْدانيّ ونشوان وغيرهما). وأخيرا هناك تدقيق ينصّ على أنّ هذا الملك كان يحكم اليمن سبعين سنة قبل ميلاد محمّد أي منذ سنة 500. و بذلك دام حكمه 25 سنة وليس 89 كما ذكره المسعوديّ مخطئا (مروج، II، 210). ويبدو لنا هذا التّسلسل التاريخيّ بالطّبع غير ممكن خاصّة أنّ ريكمنس بين جيدا في مقاله (اضطهاد...، ن. م.، ص.21) أنّ ذا نواس حكم من 522 إلى 525. انظر بخصوص ذي نواس (لخنيعة)، وأعماله المثليّة، الكلاعي، ن.م.، I، 184؛ حمزة الأصفهانيّ، **كتاب سني ملوك الأرض والأنبياء**، تحقيق قوتولد (Guttwaldt)، ليبسياي (Lipsiae)، I، 132.

2 - M. Rodinson, *Mahomet, op cit.*, p.52

3 - أعاد ر.ب. سرجنت (R. B. Serjeant) في مقاله أخدود في مجلة (*B.S.O.A.S.*, 22 , 1959 , 572-573) ضبط

بنهاية ملك الحميريّين الذين حكموا اليمن منذ 114 ق.م ففقدت المملكة اليمنيّة نهائيّا استقلالها السّياسيّ لفائدة الأحباش.

II-احتلال الحبشة لليمن (حوالي 525/575)

من المعلوم أنّ العلاقات بين اليمن والحبشة سابقة للقرن السّادس الميلاديّ. ونذكّر بهذا الصّدد باستقرار عديد القبائل من جنوب الجزيرة بالحبشة منذ القرن 6 ق.م. وتأسيس السّبئيّين لمملكة أكسوم. وفي مجال التّجارة كانت الأنشطة مكثّفة خاصّة عَبْر ميناء أدوليس. ونعلم أيضا في مجال الدّين أنّ حكّام أثيوبيا الذين كانوا يحملون لقب «النّجاشيّ»، اعتنقوا المسيحيّة في النّصف الثّاني من القرن الرّابع ميلاديّا، وبذلك صاروا حلفاء بيزنطة الموضوعيّين ومنافسي الحِمْيَرِيّين المُهَوَّدين وقد كانوا في صفّ الفرس. ولا يمكن أن نفهم العمليات العسكريّة الأثيوبيّة في المملكة الحِمْيريّة في ذلك الوقت بالذّات إلاّ إذا تبيّنّا الواقع التّجاريّ والسّياسيّ والدّينيّ الذي جعل أصحاب أَكْسوم وأصحاب ظفار وجها لوجه.

فالأحباش الذين كانوا يريدون في نفس الوقت حماية طريق البحر الأحمر التّجاريّة وتوسيع رقعة ديانتهم الجديدة أي المسيحيّة التوحيديّة إلى اليمن، حاولوا ذلك في حملة أولى في النّصف الثّاني من القرن 4 م. هذه العمليّة العسكريّة الأولى التي قام بها الأثيوبيّون تمثّل ردّا مباشرا على محاولة الحاكم الحِمْيريّ شِمر يَرْعِشْ غزوَ أثيوبيا في بداية القرن4[1]. إلاّ أنّ الاحتلال الفعليّ لليمن من قِبل حكّام أَكْسوم الأحباش قد تمّ في القرن السّادس زمنَ حكم الحاكم الحِمْيريّ المُهَوّد ذي نُواس الذي تتمثّل جنايته في إبادة مسيحيّ نجران سنة 524[2]. وفي إمكاننا أن نعود بالتّفصيل إلى مفاصل

أصل كلمة «أخدود» اللغوي، وهو اسم موضع نسبه الهمدانيّ إلى مدينة نجران القديمة. انظر الدينوريّ، ن.م. ص.6؛ وابن هشام، ن. م.، ص.24؛ والسّهيليّ، ن. م.، ص.35؛ والدياربكري، ن. م.، I، 194؛ والكلاعيّ، ن. م.، I، 174.

1 - انظر دراسة ريكمنس بعنوان :

L'institution monarchique en Arabie méridionale avant l'Islam, Louvain, 1951, p.p. 318 rt 318 et P99.

2 - انظر بخصوص هذه المسألة: الطّبري، تاريخ، II، 124 وما بعدها؛ وهب، ن. م.، ص.314 وما بعدها؛ ابن قتيبة، ن. م.، ص.278؛ المسعودي، مروج، II، ص.200و ما بعدها وص.254-255؛ ابن الأثير، الكامل، I، 431-432، و442-448؛

M. Rodinson, *op. cit.*, p. 52; Ch. Robin, *L'Arabie antique*, *op.cit* p.150-152;

هـذا الاحتلال حتى نبيّن خلفيّة دوافعه والنّتائج التي أفرزها بخصوص تطوّر اليمن في القرن السّادس.

1 - قضيّة نجران ووصول الأحباش

يؤرّخ أ. ريكمنس[1] عمليّة إبادة ذي نُواس مسـيحيّي نجران سـنة 524 وليس سـنة 518 أي أشـهرا قليلـة بعد هجوم الحامية الأثيوبيّة وحرق كنيسـة ظفـار. ويُقال إنّ ذا نُواس أمر بحرْق 280 أثيوبيا لجؤوا إلى كنيسة ظفار، كما أمر بحرق كنيسة مُخَا قبل أن يهاجم مسـيحيّي نجران، معقل المسيحيّة التّوحيديّة الرئيسي، آمرا بحرق 427 من رجال الدّين والرّهبان والرّاهبات أحياء، وإعمال السّيف في 4252 مسيحيّا، مستثنيا 1297 طفلا وشابّا دون الخامسة عشرة من عمرهم وذلك قصد استعبادهم.

لماذا هذا الاضطهاد؟ وكيف نفسّره؟

يشـير ريكمنس إلى تفسـيرين محتملَيْن: هناك أوّلا تفسير كَسْكِل (Caskel) الـذي يرى أنّ غاية ذي نواس كانت «القضاء على الهيمنة المسـيحيّة في نجران وعلى علاقاتها مع أثيوبيا وفارس وسـوريا» وهي علاقات خارجة عن سيطرته. وكان يريد تأسـيس «جزيرة عربيّة غربيّة يهوديّة» كان يمكن له من أجل تكوينها الاسـتناد إلى اليهوديّة العسـكريّة بواحة خَيْبر مثلا، اللهمّ إلاّ إذا كان يعتزم مهاجمة سوريا في مرحلـة موالية من الصّراع بين بيزنطة وفارس». ثم هناك رأي أرتايْم (M. Artheim) الـذي يـرى، انطلاقا من بلوغ ذي نواس العرش بفضل مسـاندة المنـذر (514-529) بالحِيرة، أنّ «الاضطهاد قد يكون موجّها أساسا ضد الامبراطوريّة الرّومانيّة»[2].

ويرفض ج. ريكمنس وُجهتي النّظر هاتين معتبرا أنّ الاضطهاد ينبغي أن يُنظر إليه بعد ما يقارب القرن من السّيطرة اليهوديّة (440- 525) وليس من زاوية سيطرة قصيرة لليهوديّة صادفت اعتلاء ذي نواس العرش «فجنوب الجزيرة العربيّة، في نظره، يُحتمل أنّـه وجد تحت تأثير الفرس في الفترة اليهوديّة، وبذلك فإنّ الاضطهاد الذي مارسـه

---

1 - R. Ryckmans, Le christianisme.., *loc. cit.*, p.438; La persécution.., *loc. cit.*, pp. 18-20 ; G. Annnequin, *op. cit.*, p. 225; M. Rodinson, *Mahomet*, *op. cit.*, p. 53.

وتتحدّث المصـادر العربيّـة على 20.000 ضحيّـة. انظر ابن حبيـب، ن.م.، ص.338؛ ابن الأثـير، الكامل، I، ص.429؛ الدياربكري، ن.م.، I، 194.

2 - J. Ryckmans, Le christianisme.., *loc. cit.*, pp.447-448

ذو نواس لم يكن يشمل النّسطوريّين الذين كان يُتسامح معهم أحيانا ولكنّه يهمّ أصحاب الطبيعة الواحدة[1]».

ومهما كان الأمر فإنّ الحدث أثار استنكار الأحباش والبيزنطيّين، وجرّ اليمن إلى صراع مفتوح مع بيزنطة وحلفائها. والواقع أنّ الرّواية العربيّة التقليديّة[2] لم تخطئ حين أقامت علاقة سببيّة بين اضطهاد الملك اليمنيّ اليهوديّ ذي نواس للمسيحيّين وبين الغزو الأثيوبيّ للمملكة اليمنيّة بتشجيع من بيزنطة وحتّى بمساندتها. فلندقّق التّفاصيل.

يلحّ ابن خلدون على رواية ابن الكلبيّ[3] ومُفادها أنّ ما قام به ذو نُواس ضدّ مسيحيّي نجران كان نتيجة منطقيّة لطلب النّجدة الذي وجّهه إلى ملك اليمن يهوديّ من سكّان المدينة قَتَل المسيحيّون النجرانيّون ابنين له. بعبارة أخرى، تحاول هذه الرّواية المسانِدة لليمنيّين والتي نقلها نشوان[4]، تبريرَ اضطهاد المسيحيّين بتقديمه على أنّه حماية اليهوديّة من السّيطرة المسيحيّة في مدينة نجران.

ويزعم حمزة الأصفهانيّ[5] من ناحيته أنّ ذا نُواس الذي يعود اعتناقه اليهوديّة إلى زيارته ليثرب، قد دفعه يهود هذه المدينة إلى غزو نجران وامتحان أهلها. وبعد أن ذكر حادثة الخندق الذي أُلقي فيه المسيحيّون الذين رفضوا أن يرتدّوا، أشار إلى مسعى أحد النّاجين يُدعى ذا ثعلبان لدى نجاشيّ الحبشة، وبيّن كيف أعلم النجاشيّ (لعلّه إيّا أَشْبَا) امبراطور بيزنطة (جوستين الأوّل؟) بذلك الاضطهاد وبرغبته في غزو اليمن. المهمّ في رواية حمزة هذه أنّه يقدّم غزو الحبشة لليمن، وهو ما سنعود إليه بمزيد من التّفاصيل، كنتيجة مباشرة لاضطهاد مسيحيّي نجران. ومن ناحية أخرى، ذكر أنّ نجاشي الحبشة، قَبل أن يغزو اليمن على رأس جيش يعدّ

---

1 - ن. م.، ص.451.

2 - ابن حبيب، ن. م.، ص 368؛ ابن هشام، ن. م.، I، ص 25 وما بعدها؛ الطّبري، تاريخ، II، 124-126؛ وهب بن منبه، ن. م.، ص 312-313 ؛ الدينوريّ، ن. م.، ص 621؛ ابن الأثير، **الكامل**، I، 43.

3 - ابن خلدون، ن. م.، II، 60.

4 - نشوان، ن. م.، ص.148. انظر أيضا الرّواية التي نقلها هلال العسكريّ، **كتاب الأوائل**، بيروت، 1987، وفيها يروي الأحداث كما يلي: خاطبَ يهوديّ يدعى دوسا ذا نواس إثر قتل مسيحيّي نجران لابنيه لأنّهما أخذا من الماء كميّة تفوق ما يحتاجه سقي حقلهما. وقد أرجع المؤلّف قتل الولدين إلى غيرة المسيحيّين من ثراء اليهود. فاستجاب ذو نواس لاستنجاد دوس به وحاصر نجران وعقد معاهدة سلام مع سكّانها المسيحيّين ثم أخذهم على غرّة وقتلهم. والملاحظ أنّ هذه هي الرّواية الوحيدة التي تتحدث عن التّنافس الاقتصاديّ بين المسيحيّين وبعض يهود نجران.

5 - حمزة الأصفهانيّ، ن. م.، ص 122-123.

سبعين ألف جندي، دعاه امبراطور بيزنطة إلى تكليف ذي ثعلبان بإدارة مملكته. ولئن كانت هذه المعلومة ضعيفة الاحتمال، فإنّ وضع الحدث في سياق واسع يشمل اليمن والحبشة وبيزنطة لا يخلو من الأهمّيّة.

بعبارة أخرى، فإنّ الغزو الأثيوبيّ سنة 525 كان حلقة في الصّراع الماكر بين «القوّتين العظميين» في ذلك العصر، أي بيزنطة وفارس، وهو صراع كان رهانه لا يقلّ عن بسط النّفوذ السّياسيّ والاقتصاديّ على كامل الجزيرة العربيّة.

ولنذكّر بهذا الصّدد أنّ ذا نُواس، قبل أن يشرع في عمليّة اضطهاد مسيحيّي نجران، كان اعترض بشدّة على نشر البيزنطيين للمسيحيّة في مملكته. وقد تميّز الحاكم الحميْريّ أيضا برفضه الانصياع لأوامر جوستنيان بخصوص حماية القوافل البيزطية التي تعبر اليمن في طريقها إلى الهند[1].

ونضيف إلى هذه الوقائع الثّابتة نشاط السّاسانيّين الذين اتّخذوا جميع الإجراءات اللاّزمة لتعطيل الحركة التّجاريّة بين بيزنطة والهند وذلك للحيلولة دون وقوع الجزيرة العربيّة تحت نيْر أعدائهم البيزنطيّين.

وإذا أردنا أن نلخّص الوضع قلنا إنّ البيزنطيّين وحلفاءهم الأثيوبيّين تذرّعوا بمذبحة مسيحيّي نجران التي اقترفها ذو نواس للقضاء نهائيّا على وسيط تجاريّ لم يكن يرفض حماية قوافلهم المتّجهة إلى الهند فقط، بل كان أيضا يسمح لنفسه بمضايقتها خدمة لأعدائهم السّاسانيّين.

إذن فواقعة سنة 525 يبدو أنّ دوافعها اقتصاديّة وسياسيّة وأنّ الجانب الدّينيّ ليس إلاّ ذريعة إيديولوجيّة مثاليّة لتحقيق نوايا البيزنطيّين والأحباش الحقيقيّة. فقد كان هؤلاء يريدون فتح المسلك التّجاريّ الرّابط بين بيزنطة والهند عبر اليمن، ثم مراقبته مراقبة مباشرة، كما كانوا يريدون الحيلولة دون تحوّل البلاد إلى إقليم يَحْكُمه «مرزبان» فارسيّ. وبذلك حقّق البيزنطيّون والأحباش هدفين دفعة واحدة: القضاء على ذي نُواس وعلى مملكة الحميريّن، ثم الثّأر لمذبحة مسيحيّي نجران وجعل المملكة اليمنيّة تحت وصايتهم.

ولنعرض الآن أطوار تدخّل الأثيوبيّين في اليمن قبل أن نضبط تواريخ دقيقة لاحتلالهم البلاد. ولنسائل في البداية المصادر العربيّة.

---

1 - Ch. Robin, *L'Arabie antique*.., *op.cit.*, pp.150-151.

فمع أنّ كلاّ من وهب بن منبّه[1] واليعقوبيّ[2] خصّص في روايته جزءا للاحتلال الأثيوبيّ لليمن، فلا أحد منهما قدّم معلومات كافية شافية عن أطوار تدخّل الجيش وظروفه. وقد لامسها الدِّينَوَريّ[3] مجرّد ملامسة. وبالعكس من ذلك فللمسعوديّ[4] فضل الإشارة إلى أنّ الأسطول الأثيوبيّ أبحر من بَذيع، وتحديدا من مدينة الزّيْلع، ليَرسُو، بعد عبور البحر الأحمر طيلة ثلاثة أيّام، في غُلافِقَة وهي ميناء زَبيد في تِهامة.

والطّبريّ[5] هو الوحيد الذي مدّنا بمعلومات مفصّلة في الموضوع، أخذها عنه مؤلّفون متأخّرون مختلفون مثل أبي الفرج وابن الأثير ونشوان الحِميريّ[6]، واستعمل فيها كالعادة أخبارا عديدة لابن إسحاق وابن الكلبيّ وابن سعد تعود إلى القرن الثّاني الهجريّ/الثّامن ميلاديّا.

فلندقّق النّظر في مختلف هذه الأخبار. الرّجل الذي نجا من اضطهاد ذي نُواس حسب رواية ابن اسحاق[7] واسمه دَوْس بن ثعلبان، كان توجّه إلى إمبراطور بيزنطة ليطلب منه العوْن والحماية من تصرّفات الملك الحِمْيريّ المضطهِد. وسلّم إليه الامبراطور البيزنطيّ، وقد اكتُفي بنعته بالقيصر وهو في الحقيقة جُوسْتين الأوّل (518-527)، رسالة موجّهة إلى نجاشيّ أثيوبيا ألاّ أشيبا دعاه فيها إلى العمل على حماية مسيحيّي نجران من خصومهم وتسليط العقاب على المسؤولين عن المجزرة.

وقد أُرْسِل إلى اليمن جيشٌ متكوّن من سبعين ألف رجل بقيادة أرياط مكلّف بمهمّة خاصّة في صورة الانتصار تتمثّل في تدمير ثلث البلاد، وقتل ثلث السّكّان واستعباد ثلث النّساء والأطفال. وتمكّن ذلك الجيش الرّهيب الذي كان يضمّ فضلا عن دوْس بن ثعلبان وأرياط، رجلا يدعى أَبْرهة، من هَزْم الملك اليمنيّ ذي نواس وجَيْشه، ولم يعد السّلام إلى البلاد إلاّ بعد انتحار الحاكم اليمنيّ غرقا وانهزام

---

1 - وهب، ن.م.، ص 314 وما بعدها.

2 - اليعقوبي، تاريخ، ن.م.، I، 200.

3 - الدينوريّ، ن.م.، ص 62.

4 - المسعوديّ، مروج، II، 199.

5 - الطّبريّ، تاريخ، II، 124-143.

6 - نشوان، ن.م.، 148-149؛ ابن الأثير، الكامل، I، 43-433 و442-448؛ الكبسيّ، كتاب تاريخ الزّمان وسبب تفرّق النّاس في البلدان، مخطوط بمؤسسة كيتاني، رقم 358، الورقة 18 وجه؛ الأصبهاني، الأغاني، XVII،ص 224 وما بعدها.

7 - الطّبري، تاريخ، II، 124-171؛ ابن هشام، ن.م.، I، 25-29؛ الأزرقيّ، ن.م.، ص 136 وما بعدها؛ السّهيليّ، ن.م.، I، 34-40 ؛ الأصبهانيّ، الأغاني، XVII، 224-225.

جَيشه، مقابل إتاوة مُفرطة. وقد يكون أرياط[1] دمّر فعلا قلاع سِلْحِين وبَيْنُون وغُمْدان كما أمره به النجاشيّ، وهي قِلاع يصنّفها الهمْدانيّ من بين أشهر معالم بلاده في العصر القديم.

ومــن ناحية أخرى، كان عليه أن يحكم اليمن باســم حاكم أثيوبيا طيلة بضع سنوات قبل أن يزيحه أبرهة. وحُسِمَ الصّراع بين أرياط وأبرهة بمبارزة بينهما انتصر فيها أبرهة. وبذلك وُضِع حدّ للانشقاق الذي جَدَّ في صلب الجيش الأثيوبيّ[2].

وكان نجاشيّ أثيوبيا في البداية لا يعترف بســلطة أبرهة ولكنّه تصالح معه فيما بعد وأقرّه حاكما على اليمن[3].

أمّا الرّواية الثّانية فهي لهشام بن محمّد الكلبيّ[4]، وهي تختلف كثيرا عن الرّواية السّابقة لأنّهــا تذكر حملتين أثيوبيّتين على اليمن. الأولى يقال إنّها كانت على إثر اســتنجاد دَوْس بن ثعلبان بحاكم أكْسُــوم لمساعدة مسيحيّي نجران. وقد وعده النّجاشيّ بتوفير الجنود، وكتب في الوقت نفسه إلى امبراطور بيزنطة رسالة يطلب فيها منه أن يرسل السّفن اللاّزمة لنقل الجنود إلى اليمن. وأرسى الأسطول الأثيوبيّ الذي لم يُذكر عدد جنوده بالضّبط رغم أنّ نشــوان يتكلّم عن ثلاثين ألف رجل[5]، على السّاحل اليمنيّ باب المندب، وهذا ما دفع ذا نُــواس إلى الاتّصال بأمــراء الجهات (أو «المَقَاوِل») بدعوتهــم إلى تنظيم المقاومة الجماعيّة للتّدخّل الأجنبيّ[6]. إلاّ أنّ المَقَاوِل أجابوه أنّه على كلّ أمير أن يدافع عن منطقته بالوســائل المتوفّــرة لديه. وقبل أن يخرج لملاقاة الجيوش الأثيوبيّة في موضع إنزالها على السّــاحل، أمر ذو نواس بصنع مفاتيح كثيرة حملها على ظهور الجمال ليراها خصومه وأوهمهم أنّها مفاتيح كلّ المخازن التي تحوي ثروات اليمن وكنوزه وذلك قصْدَ تحاشي مواجهة مسلّحة غير متكافئة. ومن ناحية أخرى عرض على الأثيوبيّين ألاّ يضرّوا بالرّجال والأطفال.

وكتب قائد الحملة الأثيوبيّة الذي يسمّيه نَشوان كَلِب أو بَرْبَكه إلى سلطانه في الحبشة يُعلمه أنّ ذا نواس عرض عليه السّلمَ، فأذن له بقبول العرض وتخلّى عن القتال. ورافــق الملك الحِميريّ الأثيوبيّين إلى صنعاء وطلب من القائد «عَظيمُهم» أن يرســل

1 - الطّبريّ، تاريخ، II، 105.

2 - ن. م.، 128-129. وانظر أيضا ابن هشام، ن. م.، 28-29؛ الكلاعيّ، ن. م.، ص.186 وما بعدها.

3 - الطّبريّ، تاريخ، II، 130؛ الكلاعي، I، 18.

4 - الطّبري-، تاريخ، II، 123-128؛ نشوان، ن. م.، 147-148؛ ابن خلدون، II، 60-61.

5 - نشوان، ن. م.، 147.

6 - الطبري، II، 177.

أعوانه إلى مختلف الأقاليم اليمنيّة لتسلّم الكنوز المخفيّة في مخازنها. وكان ذو نواس قبل ذلك اتّفق مع المَقَاوِل[1] إذ كتب إليهم خلسة ودعاهم إلى قتل «الثّيران السّوداء» أي الأثيوبيّين في جهة كلّ منهم. وبفضل هذه الحيلة التي حاكها ونفّذها الملك الحِمْيَريّ يوسف ذو نُواس أُبيد الأثيوبيّون المنبثّون في كامل القطر اليمنيّ وفشلت حَملتهم[2]. ولمّا أُعْلم النّجاشي بمذبحة جنوده، جهّز حملة ثانية بلغت سبعين ألف رجل يقودها قائدان هما أبرهة وأرْياط[3].

وشعر ذو نواس بعجزه عن مقاومة جيش في مثل هذا العدد، ففضّل أن يُغرِق نفسه ملقيا بفرسه في البحر[4]. وفي المقابل، جمع والد سيف النّعمان بن عُفَيْر كثيرا من اليمنيّين لمواصلة القتال ضد الأحباش في منطقة السّحول إلى أن انهزم في حقل شرعة[5]. ومثّلت هذه الهزيمة علامة نهاية استقلالية المملكة الحِمْيريّة وبداية الاحتلال الأثيوبيّ لليمن.

أمّا القائد الحبشيّ أبرهة الذي يعتبره ابن الكلبي صانع هذا الانتصار الأثيوبيّ على الحِمْيَرِيّين، فإنّه تولّى السّلطة في اليمن، مقيما في صنعاء[6]، إلاّ أنّه لم يكلّف نفسه مشقّة إعلام حاكم أثيوبيا الذي اعتبر موقف منظوره تمرّدا حقيقيّا، فأرسل إليه جيشا بقيادة أرْياط[7] لإرجاعه إلى الطّاعة. فأراد أبرهة أن يجنّب الجنود الأثيوبيّين من الشّقين المتناحرين مذبحة مجانيّة، فعرض على خصمه أرْياط أن يُحْسَم الخلاف بينهما بمبارزة انتهت بانتصاره.

وذكر راوي هذا الخبر أنّ أبرهة كان اتّفق مع أحد عبيده، عَرْنَجْدة (أو عَتْرِيدَة)، أن يقتل أرْياط غِيلة. وطلب العبد مقابل ذلك أن يمنحه أبرهة «حقّ التفخيذ» أي افتضاض بكارة كل عرائس اليمن في ليلة زفافهنّ[8].

1 - نشوان، ن. م.، ص 147.
2 - الطبري، تاريخ، II، 127.
3 - نشوان، ن. م.، ص 147.
4 - الطبري، تاريخ، II، 127؛ الدياربكري، I، 195.
5 - نشوان، م.ن.، 149 ؛ الكبسي، ن. م.، الورقة 18.
6 - يضيف الجاحظ (رسائل، ن. م.، ص.101) أنّ ملك اليمن الأثيوبيّ كان يقيم في ذمار، في حين يذكر المسعوديّ (مروج الذهب، II، 211 أنّ ظفار كانت عاصمة اليمن في عهد آل ذي سحر وآل ذي كلاع وآل ذي أصبح وال ذي يزن.
7 - ا لإصفهانيّ، الأغاني، XVII، ص 225.
8 - الطبري، تاريخ، II، 128؛ ابن هشام، ن. م، I، 29، الكلاعيّ، ن. م، I، 188.

وكان النّجاشيّ أقسم أن يعاقب أبرهة لقتله أرْياط وأن تطأ قدماه التّراب اليمنيّ؛ فأراد أبرهة مصالحته فأرسل إليه إناء يحوي شيئا من دمه وكيسا مملوءًا بتراب اليمن، وهـذه طريقة ذكيّة لجعله يبرّ بقسـمه. فعفا الحاكم الحبشيّ عنـه وأقرّه في منصبه» [1] عـلى رأس مملكة اليمن. وأكّد المسـعوديّ [2] رواية الأحداث هذه إلا أنّه جعلها زمن حكـم قُبـاذ (488- 511)، كذلك فعل اليعقـوبيّ والكلاعـيّ والدياربكري [3]. وزعم الأزرقيّ [4] من ناحيته أنّ الأثيوبيّين زمنَ غزوهم لليمن كانوا يخضعون إلى قيادة مزدوجـة، تحت إمْـرَة أرْياط وأبرها، إلاّ أنّ أبرهة كان في المقام الثّاني في حين حكم أرْيـاط اليمن طيلة عامين ونصف قبل اندلاع الـصّراع بينهما. ويضيف صاحب أخبار مكّة أنّ مقرّ حكم أبرهة كان في الجند في حين كان مقرّ حكم أرياط في صنعاء.

وإنّ آخـر روايـة نقلها ابن سـعد عن ابن العبّـاس أقصر من الرّوايتين السّـابقتين بكثير [5]. فهي تكتفي بذكر إرسـال النّجاشيّ إلى اليمن جيشا يعدّ أربعة آلاف رجل بقيـادة المدعو أرياط بن سَـهْم الذي أخضع البلاد إلى سـلطته، ولكنّه وقتَ اقتسـام الغنائم بين جنود جيشـه، حابى «الأعيان» (وهو يسـمّيهم «الملوك») على حسـاب الفقـراء والضّعفاء. وردّ على هذا التّصرّف غـير المنصِف قائدٌ حبشيّ آخر يدعى أبرهة الذي قـاد حركة تمرّد في صلب الجيش انتهت بقتلِ أرياط واسـتحواذ القائد المتمرّد على السّلطة.

كيـف نفسّر المعطيات المختلفة التي تتضمّنها روايـات الطّبريّ وأخباريّين عرب آخريـن؟ كيف يمكـن الرّبط بينها قبل مقارنتها بما ورد مـن معلومات في المصادر الأخرى وخاصّة منها بروكـوب (Procope) والنّقوش الحِميريّة التي تعود إلى القرن السّادس والتي عثر عليها في اليمن؟

الحقّ أنّ ما يجمع بـين الرّوايات الثّلاث التي رواها الطّبريّ ونقلها مؤلّفون آخرون مثـل الدِّينَوَريّ والعسـكريّ وأبي الفـرج الأصبهانيّ وابن الأثـير [6] وغيرهم، هو أنّ

---

1 - الطبري، التّاريخ، II، 128؛ العسكريّ، ن.م، 18.

2 - بيّن المسعوديّ (مروج، II، 202) أن أبرهة بعث إلى النّجاشيّ هدايا كثيرة وكتب إليه مصرّحا له بخضوعه إلى سلطته ومبايعته.

3 - اليعقوبي، تاريخ، I، 200؛ الدّياربكري، ن.م، I، 195؛ الكلاعي، ن.م، 187-188.

4 - الأزرقي، ن.م، ص 136- 137.

5 - الطبري، تاريخ، II، 137-139.

6 - الدِّينوَري، ن.م، 62؛ الإصفهانيّ، الأغاني، XVII، 226-228؛ نشـوان، ن.م، 147. ابن الأثير، الكامل، I، 431-433؛ العسكريّ، ن.م، 18.

التّدخّل الأثيوبيّ كان نتيجة مباشرة لاضطهاد مسيحيّي نجران من قِبل يوسف ذي نُواس. ومن ناحية أخرى، يبدو لنا من البديهيّ أنّ تلك الحَملة أنجزت بموافقة بيزنطة حليفة أثيوبيا وحتّى بمساندتها العسكريّة والسّياسيّة. أمّا العمليّة العسكريّة نفسها فقد تكون دارت على مرحلتين: محاولة الإنزال الأولى على السّواحل اليمنيّة، ويبدو أنّها فشلت فشلا ذريعا. وهذا الفشل تُرجعه رواية ابن الكلبيّ المنحاز إلى اليمن دون شكّ، أكدّها نشوان، وهو أخباريّ يمنيّ متأخّر من القرن 12/6 إلى براعة ذي نواس الذي عرف كيف يُناور ليحمي مملكته من الاحتلال الأجنبيّ. في المقابل، فإنّ الحملة الثّانية أسقطت المملكة الحِمْيَرِيّة وفتحت الطّريق رأسا إلى الهيمنة الحبشيّة على اليمن بمباركة بيزنطة السّياسيّة. وكانت روايتا ابن إسحاق وابن الكلبيّ متّفقتين تقريبا إذ تذكران نفس عدد الجنود، وانتحار ذي نواس غرقا في البحر، وغزو الأثيوبيّين، الفعليّ لليمن وتدمير الكثير من المعالم وغير ذلك. وقد لاحظنا فرقا محسوسا بين الرّوايتين بخصوص اسم قائد الحملة الأثيوبيّة.

أمّا ابن إسحاق[1]، فهو يرى أنّ أرياط هو الذي صنع النّصر الأثيوبيّ بهزْمه الحميريّين، بينما أبرهة لم يتدخّل إلاّ بعد ذلك بكثير. إلاّ أنّ ابن الكلبيّ[2] ينسب إلى أبرهة دور المنتصر على اليمنيّين ولا يذكر أرياط إلاّ بوصفه ممثّلا للنجاشيّ الذي أرسله ليُخضع أبرهة إلى سلطته.

بقيت الرّواية الثّالثة، وهي رواية ابن سعد[3]، التي تتميّز رغم إيجازها بتأكيد رواية ابن إسحاق وذلك بإلحاحها خاصّة على تمرّد أبرهة على أرياط المتّهم بمحاباة كبار الجيش على حساب الفقراء وقتَ اقتسام الغنائم.

ونحن نميل إلى الاعتقاد بأنّ رواية الأحداث هذه، هي أقرب الرّوايات إلى المعقول لأنها لم تؤيّدها جلّ المصادر العربيّة القديمة وحتى المتأخّرة مثل الدِّينوريّ واليعقوبيّ والأزرقيّ والدياربكري وأبي الفرج الأصبهانيّ فحسب، بل أيّدها أيضا المؤرّخ البيزنطيّ بروكوب وكذلك نقوش القرن السّادس الحِمْيريّة. وأفادنا ج. ريكمنس[4] أنّه بعد انهزام يوسف ذي نواس وانتحاره حوالي 525، سلّم حاكم

1 - الطبري، تاريخ، II، 125، و128-129؛ الأزرقي، ن.م، ص 135؛ ابن هشام، ن.م، 25-26.

2 - الطبري، تاريخ، II، 127-128.

3 - ن.م، ص 137.

4 - R. Ryckmans, *L'institution monarchique...*, *op.cit.*, p.322

أكسوم ألاّ أشبيا»[1] المملكة الحِمْيريّة إلى حِميريّ مسيحيّ ذكره بروكوب باسم إيسِمْفيُّوس (Esimphaïos) حوالي سنة 530، كما ذكرته النّقوش الحِمْيريّة باسم سُمَيْفَع أشوَع[2]. وحَكم هذا الحاكم باللّقب المستعمل قبل 525 مع ذكر عبارة «مراقبون من ملوك أكسوم»، وكذلك فعل الوصيّان على العرش، وقد يكونان القائدين الأثيوبيّين أبرهة وأرياط اللذين ذكرتهما المصادر العربيّة. وبذلك لم تضمّ اليمن إلى مملكتها بل جعلت منه مملكة خاضعة لها[3].

ومن جهة أخرى، يذكر م.ج. كِشتر (M. J. Kister) نصّا مجهول المؤلّف بعنوان **نهاية الأرب في أخبار الفُرس والعرب**[4] يحوي معلومات هامّة عن أبرهة وعمله في اليمن.

ويظهر من هذا النصّ الذي يذكّرنا بروايتي **الأغانيّ** والدِّينَوَريّ أن أبرهة المُكَنّى بالأشرم أبي يَكْسُوم استحوذ على السّلطة في اليمن إثر صراع داخليّ في صلب الجيش الأثيوبيّ. واندلع هذا الصّراع بعد أن عمد أرياط، ولا ندري لماذا يسمّيه البيْهقيّ[5] «رَوْزَبَه ابن شقيق النّجاشيّ وهازم الحِمْيريّين»، إلى قسمة الغنائم بين قوّاد جيشه ونبلائه، مقصيّا العناصر الفقيرة ظلما. وتمرّد هؤلاء الفقراء على أرْياط وعيّنوا أحد القوّاد الأثيوبيّين أبرهة زعيما لحركتهم محدثين بذلك انشقاقا في صفوف الجيش. وانتهى الصّراع بين الشقّين، شقّ النّبلاء بقيادة أرياط، وشقّ الفقراء بقيادة أبرها، بانتصار أبرها. يبدو إذن أنّ تمرّد أبرهة هذا، أملاه هاجس المساواة بين جميع عناصر الجيش الحبشيّ. ونحن نجد هذا السّبب منصوصا عليه بوضوح في الرّسالة التي بعثها أبرهة إلى نجاشيّ

---

1 - هو بالنّسبة إلى بروكوب (Procope) هلّشترِوس (Hellestheraos) وفي المصادر السّريانيّة كَلَب. ويتحدّث نشوان أيضا (ن.م، ص 147) عن كلَب قائد الحملة الأولى التي شُنّت على ذي نواس والذي تسمّيه المصادر المسيحيّة دِمْيانُوس (Dimiamus).

2 - S. Smith, Events.., *loc. cit.*, p. 431 et sqq

ذُكر سُمَيْفَع أشوع، حسب ريكمنس (**اضطهاد**...، ن.م، ص 7 وما بعدها) في ثلاثة نقائش، الأولى في حِصن الغراب (2633 REP. EPI,) مؤرّخة في سنة 640 من التّاريخ الصّابي (حوالي سنة 525) تصف غزو الحبشة لليمن؛ وذكر سُمَيْفع على أنّه في شقّ الملك الحِمْيَري قبل أن يتحوّل إلى شقّ الغُزاة؛ ثم في النّقيشة عدد (REP EPI 4069)، وأخيرا في (C.I.H 621) وفيها يُسمّى سُمَيْفع ملك اليمن. انظر (OSMAMUS n° 281) نشرها ج. ريكْمَنس (جواد علي، ن.م، ص 459-460) وص 476-477)

3 - J. Ryckmans, *L'institution..*, *op.cit.*, p.323

4 - M. J. Kister, Some reports concerning Mecca from Jahiliyya to Islam, in *J.E.S.H.O*,XV, London, 1972, pp. 61-93 et in *Studies in Jahiliyya and earley Islam*, London, 1980, pp. 61 et sqq.

وقد وردت هذه الرّواية أيضا في الأغاني، XVII، ص.225-228، والدياربكري، ن.م.، 195، I.

5 - البَيهقي، **دلائل النّبوّة**، طبعة القاهرة، 1970، I، 56.

أثيوبيا يبايعه فيها: «قتلت أرياط لأنه غلّب أقوياء جيشك على الضّعفاء، منحرفا بذلك عن سيرتك»[1].

وتؤكّد رواية **الأغاني**[2] رواية **نهاية الأرب** مضيفة إليها بعض التّفاصيل الدالّة إذ ذكرت أنّ أبرهة لم يكن من أصل نبيل، وأنّ فقراء الجيش الأثيوبيّ لم يُحرَموا من العطايا فحسب، بل أهانهم أرياط وفرض عليهم أشغالا متعبة جدّا. ويدقّق الأصبهانيّ أيضا أنّ الفقراء الذين جنّدهم أبرهة لمواجهة أرياط وأنصاره كانوا يحملون أسلحة حادّة وأدوات مختلفة استعملت من قبل لتدمير مدن اليمن وفي المقابل، كان رفاق أرياط، وأغلبهم من أصل نبيل، يمتلكون أسلحة أكثر إتقانا وسبعة فيلة. فالجيش الحبشيّ إذن انشق إلى شقّين، النّبلاء والأغنياء من جهة، والفقراء والضّعفاء من جهة ثانية، وصرّح أبرهة في خطابه التّحريضيّ الموجّه إلى الجنود الأثيوبيّين قبل أن يبارز أرياط أنّه، إذا انتصر على منافسه، فإنّه يعيد العدالة والإنصاف بين كلّ عناصر الجيش الحبشيّ بقطع النّظر عن أصلهم الاجتماعيّ، وهذه طريقة بارعة من شأنها أن تجعل عددا أقصى من الجنود ينضمّون إلى جيشه وأن يُسْبغَ الشّرعيّة على تمرّده.

عموما فإنّ رواية **نهاية الأرب** تعيد أهمّ المعلومات الموجودة في روايتي ابن اسحاق وابن الكلبيّ، وتؤكّد جلّ التّفاصيل التي أضافَها كتاب **الأغاني** وكذلك الدِّينَوَريّ والدياربكري[3] والكلاعيّ.

وتُبيّن نقوش جنوب الجزيرة العربيّة[4] في القرن السّادس، أنّ الملك سُمَيْفَع أَشْوَع(؟) أزاح أبرهة عن السّلطة بعد تولّيه إيّاها بخمس سنوات تقريبا، حوالي 535. وثبت من النّقوش أنّ حكمه دام من جوان 542 إلى نوفمبر 553[5].

---

1 - M. J. Kister, *loc. cit.*, p. 62

2 - الإصفهانيّ، **الأغاني**، XVII، ص 226 وما بعدها.

3 - الدِّينَوَري، ن.م، ص 62؛ الدياربكري، ن.م، ص 195؛ الكَلاَعي، ن.م، 187-188.

4 - J. Ryckmans, *L'institution..*, *op.cit.*, p.322; La persécution.., *loc. cit.*, p. 7 et sqq

5 - Ch. Robin, La civilisation de l'Arabie méridionale.., *loc. cit.*, p. 214-215.
هناك نقيشتان تسجّلان حكم أبرهة هما (Glaser 618 ou C.I.H.541)؛ وهي نقيشة تتعلّق بترميم سدّ مأرب سَنَتي 657 و658 (542-543)؛ (Ryckmans 506) نقيشة ثانية مؤرّخة في 662 (547) تذكر حملة أبرهة ضد قبيلة معد، انظر جواد علي ن.م. ص 483 وما بعدها و ص 493 وما بعدها، بافَقِيه وروبان وبِيسْتُن، ن.م.

ونلاحظ أيضا أنّ النّجاشيّ «كَلِب ألاّ أشيبا»، المتوفّى سنة 536 حسب بروكوب، حاول أن يعيد بسط نفوذه على اليمن، ولكنّه لم يُفلح إذ شنّ حملتين سنة 534 ضدّ أبرهة وهو ما يدلّ على أنّ صاحب اليمن الجديد كان تخلّص من ربقة النجاشيّ الأثيوبيّ[1].

وإنّ عودته إلى لقب الحكّام الحِميريّين القدامى، واستقباله لسفراء عديد الدّول مثل بيزنطة وفارس وأثيوبيا نفسها، وعدّة ممالك مثل مملكة اللّخميّين في الحِيرة، وسيّد قبيلة غسّان الحارث بن جَبَلة حوالي 544 حسب بروكوب، لأكبر دليل على أنّ أبرهة كان يتصرّف بصفته ملكا مستقلاّ[2].

2 - حكم أبرهة باليمن في المصادر العربيّة

ومن المفيد أن نستعرض أهمّ الأحداث التي جدّت زمن حكم أبرهة باليمن بصفته حاكما مستقلاّ وخاصّة نشاطه التّنصيريّ وحملته على كعبة مكّة.

فرغم أنّ النّقوش لا تضيف إلينا شيئا بعد سنتين 554 و555، وهما آخر السّنوات المذكورة في النّقوش المؤرّخة[3]، فإنّ المصادر العربيّة التي سبق ذكرها توفّر لنا نُتَف معلومات عن حكم أبرهة وأخلافه في اليمن.

ونبدأ بأخبارٍ ثلاثة رواها الطبريّ وذكر فيها في كثير من التّفصيل، شأنه في ذلك شأن خبر ابن سعد[4] بالخصوص، أنّ أبرها، بعد أن اعترف نجاشيّ أثيوبيا بسلطته، بنى كاتدرائيّة تُسمّى «القَليس» (ecclesia) أو «بيعة». ودقّق الأزرقيّ، ومن بعده دياربكريّ والسُّهَيْليّ[5]، أنّها بُنيت بالحجارة والمرمر المأخوذين من قصر بلقيس بمأرب، وقد حملها الرّجال إلى صنعاء. وهذه مقاسات هذا المعلم: العلوّ: 60 شبرا: سياج على بعد 200 شبر من كل جانب من جانبي المحراب، عرض الجدار: 6 أشبار، باب من البرونز طوله عشرة أشبار وعرضه أربعة أشبار.

وبقيت هذه الكاتدرائيّة إلى أن دُمّرت في القرن الثّاني الهجريّ بأمر من الخليفة المنصور، دمّرها الوالي العبّاسيّ بن الرّبيع بن عبيد الله الحارثيّ الذي قيل إنّه أخذ منها كميّة هائلة من الأشياء الثّمينة(ذهب وفضّة وحجارة كريمة).

---

1 - J. Ryckmans, *L'institution..*, *op. cit.*, p. 323

2 - *Ibid.* p. 324 ; M. Rodinson, *op. cit.*, p.323

3 - Ch. Robin, La civilisation.., *loc. cit.*, p.323

4 - الطبريّ، تاريخ، II، 137.

5 - الأزرقي، ن.م، ص 138 وما بعدها، الدياربكري، ن.م، I، 188؛ السُّهَيلي، الروض، I، 40-41.

وذُكِـر في رواية ابن الكلبـيّ[1] أنّ امبراطور بيزنطة، لمّا علـم بمشروع أبرهة بناء كاتدرائيّـة في صنعاء، لم يتردّد في إرســال بنّائين مختصّين إليه ومــوادّ صالحة لزخرفة البناية المذكورة كالمرمر والفسيفســاء. وبعد انتهاء الأشغال كتب الحاكم اليمنيّ إلى النجاشيّ[2]، خليفة ألاّ أشــيبا، رســالة يُعلّمه فيها أنّه شـيّد له كاتدرائيّة لم يَحْظَ أيّ من أسلافه بمثلها، وأنّه كان يعتزم أن يجعل منها مكانا يحجّ إليه جميع عرب الجزيرة عوضا عن الكعبة المكّية. وبيّن ابن سعد[3] في روايته للأحداث، أنّ هذه الكاتدرائيّة أَمّتْهــا طيلة ســنوات قبائــلُ عربيّة كثــيرة كانت تأتيها لممارســة طقوســها الدّينيّة («يَتَعَبَّـدُون ويتألّهون») ولذلك فليس من الغريــب في مثل هذه الظّروف أنّ القبائل العربيّــة وخاصّة قريش التي كانت تجني أرباحا هائلة من الحجّ إلى الكعبة، رأت في عمل أبرهة خطرا مباشرا على معبدها المقدّس، وهذا في الحقيقة هو السّبب الذي تفسّر به الأخبار انتهاك حرمة القَليس. وسواء كان هذا الجرْم اقترفه رجل من سلالة بني فَقِيم المنتســبين إلى النَسَأة[4] الذين يعود نَسَبُهم إلى بني مالِك بن كنانة، حلفاء قريش، أم اقترفه خَثْعَميّ اسمه نُفَيل، فالنّتيجة واحدة إذ غضب الحاكم اليمنيّ أبرهة من هذا التّدنيس إلى درجة أن أقســم أن يدمّر الكعبة، لمعاقبة القرشــيّين وحلفائهم لِما اقترفوه من إثم، وتحويل وجهة حجّ العرب إلى صنعاء في الوقت نفسه[5].

وأورد صاحــب كتاب **نهاية الأرب**[6] في حديثه عن هــذا الموضع بعض التّفاصيل يؤكّد فيها أنّه كان يوجد في صنعاء وقتَ انتهاك حرمة القليس مجموعة من التجّار القرشــيّين من بينهم هشام بن المُغيرة الذي ســيتميّز فيما بعد بعدائه المعلن للنّبيّ محمّد. وفي مقابلة خصّصها أبرهة لهؤلاء القرشيّين، ذكّرهم بالحماية والكرم اللذَيْن ينعمون بهــما في مملكته لإنجاح أعمالهم التّجاريّــة، ولم يتردّد في أن يطلب منهم أن يوضّحوا له السّبب الحقيقيّ لانتهاك حُرْمَة الكاتدرائيّة ومن كان وراء ذلك[7]. ولمّا أجابوه أنّهم لم يكونــوا على علم بذلك الجُرم ردّ عليهم قائلا: «كنت أظن أنّكم فعلتم ذلك

1 - الطبري، تاريخ، II، 131.

2 - ن.م، ص130 ابن هشام، ن.م، I، 29؛ ابن الكلبيّ، كتاب الأصنام، ص 46-47؛ ابن خلدون، ن.م، II، 61.

3 - الطبري، II، 137.

4 - ابن هشام، ن.م، ص 29-30؛ المسعودي، مروج، II، 174؛ السُهَيْلي، ن.م، I416.

5 - الطبري، تاريخ، II، 130- 131؛ ابن هشــام، ن.م، I، 31؛ الدِينَــوَري، ن.م، ص62-63؛ الكَلاَعي، ن.م، I، 188-189؛ ذكر الدياربكري (ن.م، I، 188) رواية لمقاتل تنصّ على أنّ جماعة من العرب أحرقوا كنيسة صنعاء.

6 - M. J. Kister, Some reports, *loc. cit*, p. 65.

7 - ن.م، ص 65.

نكايـة من أجل معبدكم إثر قراري تعويضَـه مكانا عامّا للحجّ في الجزيرة العربيّة بالقَلِيس»[1] فصرّح الوجيه القُرَشيّ هشـام بن المغيرة قائلا: «إنّ معبدنا رغم أنّه مكان تجمّع كلّ الوحوش الضّارية، فإنّه يحمي كلّ من يحلّ به، أمّا معبدك فإنّه لا يزوره إلاّ المنتمون إلى دين واحد أي المسيحيّين. لذا فكلّ من يشارك العرب دينهم الوثنيّ، لاخيار له غير معبدهم، الكعبة»[2]. ومع أنّ هذه الرّواية تبدو منتحلة بعد وقوع تلك الأحداث، فإنّ كِسْتِر يعتبر ردّ هشـام مفيدا لأنّه من ناحية يكشف موقف وجهاء مكّة وخاصّة القرشيّين، ولأنّه يوضّح دور مكّة مركزا محايدا بالجزيرة العربيّة وحَمى محجّة جميع العرب[3].

ومهـما كان الأمر، فإنّ انتهاك حرمة القَلِيس كان الذّريعة المباشرة التي تذرّع بها أبرهـة لتنظيم حملة رَدعيّة عـلى الكعبة[4] والواقع أنّ هدف الحاكـم اليمنيّ كان جعل كنيسـته مركز الحجّ بالنّسـبة إلى كلّ عرب شبه الجزيرة وتحويل سوق مكّة التّجاريّة إلى صنعـاء عاصمة مملكته في الآن نفسـه[5]. لهذه الأسـباب كلّها شـنّ أبرهة حملة قويّة شاركت فيها عناصر حبشيّة أساسا، حسب ابن اسحاق[6]. أمّا كِسْتِر فإنّه يذكر أخبارا أخرى تشير إلى حضور أناس في تلك الحملة ينتمون إلى خَوْلان وإلى أشعريّين حسب أبي نُعَيم الأصفهانيّ[7]، أو إلى عَكّ وخَثْعَم وأَشْعر، وهذا خبر رواه مؤلّفان شيعيّان هما المجْلسيّ

---

1 - ن.م، ص 65.

2 - ن.م، 65.

3 - ن.م، ص 66.

4 - ابن هشام، ن.م.، I، ص.31 وما بعدها؛البلاذري، **أنساب الأشراف**، I، 67-68 (قصة الفيل)؛ السهيلي، ن.م.، ص.41 ومـا بعدهـا؛ انظر أيضـا: M. J. Kister, The campaign of Huluban. A new light on the expedition of Abraha, in *Le Muséum*, LXXVII, Louvain, 1966, pp. 425-436 et in *Studies in Jahiliyya..op.cit.*

5 - يلاحظ جواد علي، (ن.م، II، 516-517) مُحِقًّا أن السّبب الأساسيّ للحملة التي قرّر أبرهة شنّها على الكعبة لا يمكـن أن تكـون تدنيس القَلِيس من قبل عناصر من كِنانة أو خَثْعم، بل يرى أنّ حاكم اليمن الأثيوبيّ كان يريد أن يوحّد بهذه العمليّة غرب الجزيرة العربيّة وجنوبها تحت راية المسيحيّة، وبذلك يخوّل لحلفائه الرّوم أن يتخلّصوا من سـطوة الفرس الذين كانوا بصفتهم المتحكّمين في المسـالك يوظّفون أداءات مرتفعة جدّا على البضائع المستوردة من الشّرق الأقصى (سَيلان والهند). ويتساءل من ناحية أخرى: هل شجّعت بيزنطة أبرهة على غزو مكّة قصد تأسيس «جبهة مسيحيّة» موجّهة ضدّ الفرس وحلفائهم العرب أي اللّخميّين؟ ولا يمكن التّثبـت مـن هذه الحجج إلا إذا اعتبرنا أبرهة تابعا فعلا لأثيوبيا وبيزنطة، وهذا بعيد من الواقع، إنّما كان أبرهة حاكما محايدا وكان كلّ جيرانه يسعون إلى الحصول على دعمه. انظر م. رودنسون، ن. م، ص 54.

6 - الطبري، تاريخ، II، 132.

7 - يذكر كِستر (M. J. Kister, Some reports..., *loc. cit*, p.69) كتاب أبي نُعيم الإصفهانيّ **دلائل النبوّة**، حيْدرآباد، 1950.

والطّبَرْسيّ[1] وأقرّه مؤلّف سنّي هو البَيْهَقيّ[2]، وقد أكّدوا جميعا أنّ الأشعريّين وبني خَثْعم لم يشاركوا في الحملة على الكعبة وأنّهم نَجَوْا من الموت الذي قضى على جنود أبْرها.

وروى ابن حبيب[3] من ناحيته، أنّ أبرهة انتدب لحملته أناسا وضيعين وقطّاع طرق فضلا عن عناصر تنتسب إلى خثعم وبلحارث، يقودهم سيّد كلّ من القبيلتين نُفيل بن حبيب ومُنبّه بن كعب. ويُضاف إلى كلّ هذه العناصر الحبشيّة واليمنيّة من بلحارث وأشعر وخَثْعم وخَوْلان وعكّ، مُضَريّين جعلهم أبرهة تحت إمرة محمّد بن الخُزَاعيّ من حَزَبه الذكوانيّ السُّلَميّ، وبعث الحاكم اليمنيّ هذا القائد، حسب الطّبريّ[4]، لحثّ العرب على الحجّ إلى صنعاء وليس إلى مكّة، إلاّ أنَ رجلا من هُذَيل هو عُرْوة بن حياض المَلاَسيّ قتله، وهذا ما دفع أبرهة إلى التّقدّم في إنجاز مشروعه. فجلب فِيلاً أو عدّة فيلة من أثيوبيا وانطلق على رأس حملته على مكّة[5]. وهزم أبرهة وجيها يمنيّا وجيشه لأنّه كان معارضا لمبادرته وهو ذو نفْر الحِمْيَريّ، كما هزم نُفيل بن حبيب قائد شقّيّ خثعم شهران وناهس ثم احتفظ بالرّجلين أسِيريْن عنده[6]. وفي الطّائف كان همّ بني ثقيف[7] حماية معبدهم، فقدّموا له شواهد الطّاعة وأرسلوا إليه رجلا منهم رائدا هو أبو رِغال. وقد توقّف أبرهة في المُغَمَّس وأرسل إلى مكّة أحد رجاله الأسود بن مقصود على رأس كوكبة من الفرسان تمكّن من الاستيلاء على قُطعان لقريش كانت ترعى في تلك الجهة من بينها مائتا بعير للسيّد المكّيّ عبد المطّلب[8]. وبيّن الطّبريّ أنّ مفاوضات حقيقيّة جرت بين أبرهة وأهل مكّة، قريش وكِنانة وهُذَيل، بواسطة سفير لحاكم اليمن هو حَناطة الحِميريّ[9]. وبذلك

1 - يتعلّق الأمر بالطّبَرْسيّ، **مجمع البيان**، بيروت، 1961، وبالمجلسيّ، **بحار الأنوار**، طهران 1379، ص 69.

2 - يذكر البيهقيّ (ن.م، ص 57) من بين اليمنيّين الذين شاركوا في غزوة أبرهة خَثْعم والأشعريّين وعكّ. ولكنّ الأشعريّين والخثعميّين، لما وصلوا أمام مكّة تراجعوا عن القتال وكسّروا رماحهم وسيوفهم متخلّين عن أبرهة وأصحابه الذين كانوا يعتزمون تدمير الكعبة.

3 - يذكر كستر (ن.م. ص 70) فقرة لابن حبيب، **المنمّق**، ص 68-80.

4 - الطبري، **تاريخ**، II، 131.

5 - ن.م. ص 132 وص 138؛ الأزرقي، ن.م، ص 141 وما بعدها؛ الدياربكري، ن.م، I، 188.

6 - الطبري، **تاريخ**، 131-132؛ الأزرقي، ن.م، ص 142؛ ابن هشام، ن.م، I، 181؛ ابن هشام، ن.م، I، 31-32؛ الكلاعي، ن.م، I، 189- 190؛ الدياربكري، ن.م، I، 181؛ ابن الأثير، **الكامل**، I، 44.

7 - الطبري، **تاريخ**، II، 132؛ الأزرقي، ن.م، 142؛ الكلاعي، ن.م، I، 190؛ الدياربكري، ن.م، I، 181.

8 -الطبري، **تاريخ**، II، 132-133؛ ابن هشام، ن.م، I، 33. الكلاعي، ن.م، I، 190 الدياربكري، ن.م، 189، البلاذري، **أنساب**، I، 69.

9 - الطبري، **تاريخ**، II، 133- 134؛ الأزرقي، ن.م، I، 14؛ ابن هشام، ن.م، I، 33؛ الكلاعي، ن.م، I، 191 الدياربكري، ن.م، 189.

أُعلم السّـيّد المكّيّ عبد المطّلب بنوايـا أبرهة الحقيقيّة أي تدمير الكعبة وتأمين حياة المكّيّـين الذين لا يعارضون مبادرته. وفصّل المسـعوديّ[1] القـول، فذكر مقابلة بين أبرهة وعبد المطّلب في المخصّب، لم يتردّد السّـيد المكيّ أثناءها في المطالبة باسـترجاع إبله التي اسـتولى عليها الأسـود. وبخصوص هذه المقابلة التي ذكرها الطّبريّ أيضا فقد شـارك فيها وفد حقيقيّ نيابة عن أهل مكّة متكوّنٍ من ثلاثة أشـخاص هم عبـد المطّلب وعمرو بـن نُفَاثَه بن عَديّ وخُويلد بن واثلة الهُذَليّ، الأوّل سـيّد قريش، والثّاني سيّد كِنانة، والثّالث سيّد هُذيل. واقترح الوجهاء المكّيّون الثّلاثة على أبرهة أن يمنحـوه ثلث محاصيل تِهامة بشرط أن يتراجع عن هَـدم الكعبة. إلاّ أنّ الحاكم اليمنيّ رفـض هذا المقترح[2]. وبعد فشـل هذه «المفاوضات»، غادر القرشـيّون مكّة لاجئـين إلى الجبال المحيطة. وفجأة حدثت «المعجزة»: رفض الفيل المسـمّى محمود – وكان في طليعـة جيوش أبرها- أن يتقدّم في اتّجـاه الكعبة، في حين كانت «الطّير الأبابيل» القادمة من البحر ترمي جنود أبرهة «بحجارة من سـجّيل» متسبّبة في الموت الفوريّ للعديد منهم، ومجْبِرة البقيّة على الفرار في فوضى عارمة[3] وبذلك فشـلت حملة أبرها. وباستثناء القرآن الذي يفسّر هذا الفشل «بمعجزة الطّير الأبابيل»، فإنّ المصادر العربيّة ترى السّبب الرّئيسيّ لانهزام جيوش أبرهة على أبواب مكّة، كان ظهور وباء الجُدَري والحصبة[4] لأول مرّة في الجزيرة العربيّة. وقد أباد الجيش الحبشيّ، واضطرّ أبرهة نفسـه إلى العودة إلى اليمـن، ومات إثر عودته بمدّة قصـيرة متأثّرا بمضاعفات ذلك الوباء حوالي 570-571[5].

ولنتوقّف قليلا عند مسـألة الفيل هذه التي لا يطابق تأريخها كما جاء في الأخبار العربيّة مطلقا معطيات علم النّقوش إذ لم يعد اسـم أبرهة يظهر في النّقوش بعد سـنتي

1 - المسعوديّ، مروج، II، 254-255.

2 - الطـبري، تاريـخ، II، 134؛ ابـن هشـام، ن.م، I، 34؛ الأزرقـي، ن.م، 145. الكلاعـي، ن.م، I، 193؛ الدياربكري، ن.م، I، 189.

3 - الطبري، تاريخ، II، 134-135 و138-139؛ ابن هشام، ن.م، I، 35. بيّهقي، ن.م، I، 56 وما بعدها و62-65؛ الكلاعي، ن.م، 194-195؛ الدياربكري، ن.م، I، 190 ؛ ابن الأثير، الكامل، I، 445.

4 - الطبري، تاريخ، II، 138-139؛ ابن هشام، ن.م، I، 36، الأزرقي، ن.م، I، 148؛ وهب، ن.م، 314؛ الكلاعي، ن.م، I، 196؛ الدياربكري، ن.م، I، 191؛ ابن خلدون، ن.م، II، 62؛ انظر أيضا ابن دريد (الاشتقاق، ص 162) وفيـه يضيف أنّ الذين أصيبوا بالجُدَريّ أو بالحصْبة من جنـود أبرهة حاولوا معالجة أمراض لم تكن إلى ذلك الوقت معروفة، مستعملين بعض النّباتات والأعشاب مثل الحنظل والحرمل والعُصَر.

5 - الطبري، تاريخ، II، 137-139؛ الأزرقي، ن.م، 147-148؛ ابن الأثير، الكامل، I، 446، يذكر الكلاعيّ (ن.م، I، 196-197) أبياتا شـعريّة كثيرة نظمها شـعراء الجاهليّة مثل قيس الأسلط الأنصاريّ، والإسلام مثل الفرزدق في ما فعله أبرهة إزاء الكعبة.

553 و554. فالحملـة في حـدّ ذاتها غير مذكـورة في نقوش الجزيـرة العربيّة، وَحْدَها نقيشـة مُرَيْغـان (ريكمنس 506) تصف حَدَثـا أقدم يتمثّل في حَمْلـة أبرهة على أهل قبيلة مَعدّ المُوالية للّخميّين في وسـط الجزيرة العربيّة. فبيستون (Beeston) يستبعد تماما فرضيّـة مُفادهـا أنّ أبرهة ومملكته كانا من القوّة ما يسـمح لهما بتنظيم حملة في مثل هذا الحجم على مكّة في تاريخ متأخّر كتاريخ 570 ميلاديّا. أمّا كونتي روسّيني (C. Conti Rossini) فإنّـه يذكر فَرَضيّة أخرى مُفادُها أنّ الأمر يمكن أن يتعلّق بخلط بـين هجومين يمنيّين على مكّـة، أحدهما قام به أبرها، والآخر أقـدم منه بكثير قام به ملك الحبشـة أفِيلاَس[1] (Afilas) حـوالي 300 ميلاديّا. ونحن نرى أنّ هذه الفَرَضيّة تبـدو ضعيفة الاحتمال لأنّ المسـلمين في جميـع مؤلّفاتهم التي تعـود إلى القرنين الثّاني والثّالث الهجريّين/الثّامن والتّاسـع ميلاديّا طابقوا بين «عام الفيل»[2] وميلاد الرّسـول محمّد. والإمكانيّة الوحيدة التي يمكننا قبولها هي أنّ الحملة على الكعبة قد تكون وقعت في 570-571، ولكن بقيادة أحد أبناء أبْرَها.

ومهما كان الأمر فيجدر التّأكيد، حسـب كِشـتر[3]، على أنّ النّتائج الأساسـيّة لفشل الهجوم على الكعبة تتمثّل خاصّة في توسّع التّجارة المكّية، وإقرار تأثير مكّة في القبائل المحيطة بها، وتعويض المؤسّسات التي أحدثتها قريش في مكّة.

3 - خُلَفَاء أبرهة في اليمن

بخصوص المملكة اليمنيّة، لم يضع فشـل أبرهة حدّا للحضور الأثيوبيّ في البلاد. فقـد تواصل هـذا الحضور تحت حكم خَلَفيه يَكْسُـوم ومـسروق ودام إلى التّدخّل الفارسيّ. كيف انتهى الاحتلال الأثيوبيّ لليمن وكيف نؤرّخه؟

يـروي الطّبري عن ابن اسـحاق[4] أنّ أبرهة بعد أن «ملَّكـه» نجاشيّ أثيوبيا «على الحبشـة وأرض اليمن»، أرغم وجيها يمنيّا اسمه أبو مُرّة ذو يَزن، على أن يتنازل له عن زوجته المسمّاة ريحانة بنت علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان، التي كان أبوها من

1 - انظر فصل فيل.(J. Ruska et Ch. Pellat), in *E. I.*, *II*, 913-916

2 - يـرى الطّـبريّ (تاريخ، II، 154)- ويؤيّده في ذلك الدياربكري (ن.م، I، 187)، أنّ الحدث وقع في السّـنة الثّانيـة والأربعين من حكم كسرى الأوّل (531-579) أي سـنة 573، في حين يقترح المسـعوديّ (مروج، II، 200) السّـنة الأربعـين أي 571 وهو الأرجـح في رأينا. ويحدّد حمزة الإصفهانيّ (ن.م، 144) عام الفيل بخمسـة وعشرين عاما قبل بناء الكعبة الذي تمّ سنة 596 أي في السنة السادسة من حكم كسرى الثاني (590-628)، وبالتالي 596-25= 571 أي نفس تاريخ المسعوديّ.

3 - Kister, Some reports.., *loc. cit.*, pp. 75-76.

4 - الطبري، تاريخ، II، 130.

الأعيـان يلقّب بأبي جَدَنْ. وزيادة على ابنٍ لها من زوجها الأوّل اسـمه مَعْدِي كَرِب، أنجبت ريحانة من أبرهة طفلين. ولَد اسمه مسروق وبنت إسمها بَسْبَاسَة.

ويبيّن ابن الكلبي[1] من ناحيته أنّ أبا مُرّة الفَيّاض ذا يَزن، اضطرّ إلى مغادرة اليمن ليتّصـل بملك الحيرة اللّخميّ عمرو بن هنـد (554-559) طالبا منه أن يتدخّل لدى كسرى الأوّل لفائدته حتّى يتمكّن من تخليص بلاده من النّير الأثيوبيّ.

ولا شـكّ في أنّ يَكْسُـوم خَلَف أباه على رأس المملكة اليمنيّة. وتتّفق الأخبار العربيّة على القول إنّ الملك الجديد عامل الحِمْيريّين وسـائر القبائل العربيّة في اليمن، بالكثير من الاحتقار والقسـوة. فقد أمر بتزويج النّساء اليمنيّات من الأثيوبيّين وبقتل رجال البلاد واستعمال أبنائهم تراجمة بين العرب والأحباش[2].

وتواصـل اضطهاد اليمنيّين واسـتفحل في عهد خَلَف يَكْسُـوم أخيه غير الشّـقيق مـسروق إذ وُلـد عن زواج أبرهة وريحانـة بنت جَدَنْ. وأبرز كافّـة الأخباريّين العرب واليمنيّين هذه السّياسة المعادية للحميريّين التي انتهجها أبناء أبرهة وخَلَفَاه قصد التّنويه بدور سـيف بـن ذي يزن بصفته «محـرّر اليمن من الاحتلال الأثيـوبيّ». وتبيّن الأخبار المناصرة لليمن التي رواها ابن الكلبيّ[3] أنّ أبا مُرّة الفيّاض حلّ بعد فراره من اليمن ببلاط ملـك الحيرة اللّخميّ عمرو بن هند الذي صحبـه إلى كسرى الأوّل. إلاّ أنّ الحاكم الفارسيّ تذرّع ببعد بلاده وبصعوبات التّنقل بين فارس واليمن حتّى لا يستجيب لطلب المساعدة العسكريّة لمقاومة الأثيوبيّين. وتوفّي أبو مرّة في بلاط السّاسانيّين دون الحصول عـلى المسـاعدة المأمولة. وقيل إنّ ابنه مَعْدي كِرب الذي نشـأ في بـلاط أبرهة تخاصم يوما مع أخيه غير الشّـقيق مسروق فأعلمته أمّه ريحانة بالحقيقة المُرّة. فانتظر موت أبرهة ويَكْسوم ليغادر اليمن ويتّجه أوّل الأمر إلى امبراطور بيزنطة الذي لم يستطع الاستجابة لطلبه، ثم إلى حاكم فارس[4]. واسـتقبله ملك الملوك اسـتقبالا مُعْتَبَرا وأهداه مقدارا

---

1 - ن.م، ص 142.

2 - ن.م، ص139؛ انظر أيضا الدّينَوَري، ن.م، ص 63؛ المسعودي، مروج، II، 202؛ ابن الأثير، الكامل، I، 446.

3 - الطـبري، تاريخ، II، 142؛ والملاحظ أنّ الحاكم اللّخميّ عمرو بن هند، ابن المنذر الثالث، حكم من 554 إلى 570 تقريبـا. انظـر بهذا الخصوص جواد علي (ن.م، ص 304 وما بعدهـا)، وفيه ضبط قائمات حكّام الحيرة اعتمادا على عدّة مؤلّفين عرب.

4 - الطـبري، تاريخ، II، 144 ويدقّق الدّينوري (ن.م 63)، أمرا وهو أنّ سـيفا اتّصـل بالأمبراطور البيزنطي في أنطاكيـة ولكن دون جدوى. وقد أجابه اهذا الأخير قائلا: «إنّ الأثيوبيّين يعتنقون نفس الدّيانة (المسـيحيّة) التي نعتنقها، بينما أنتم (أهل اليمن) وثنيّون. لذا من المسـتحيل أن نقدّم لكم مسـاعدة على حسابهم». ويؤكّد اليعقوبي، (تاريخ، I، 200) أنّ سيفا قضّى في البلاط البيزنطيّ سبع سنوات ولكن دون جدوى. ويذكر نشوان بوضوح أنّ سيفا كان يهوديّا.

ماليّا ضخما (10.000 درهم)، إلاّ أنّ سيفا بمجرّد خروجه من القصر وزّعه على النّاس. ولما أُعْلِم كسرى بالأمر، جمع بطانته ومستشاريه ليناقشوا مسألة المساعدة العسكريّة التي يمكن مَنحها لمَعْدِي كرِب. وينسب إلى أحد أصحاب الرّتب العالية معروف بغزارة علمه، يسمّى مُوبَذ مُوبَذان[1] إيعازه إلى كسرى بإطلاق سراح 800 سجين من سجناء الحقّ العام وإرسالهم مع سيف كمساعدة عسكريّة لمقاومة الأحباش.

ويختلف الخبر الذي رواه ابن اسحاق[2] نوعا ما عن الخبر الذي رواه ابن الكلبيّ. فهو خال من ذِكر مسعى أبي مُرّة لدى الحاكم الفارسيّ. وبالعكس من ذلك، يقدّم ابن اسحاق تفاصيل أكثر عن طلب نجل سيف بن ذي يزن الحِمْيريّ الملقب أبا مُرّة وقد توجّه أوّل الأمر إلى امبراطور بيزنطة ووعده أن يضمّ اليمن إلى امبراطوريّته مقابل طرد الأحباش؛ إلاّ أن الجواب كان بالسّلب. ثم التفت بعد ذلك إلى الملك اللّخميّ النّعمان بن المنذر (583- 605) الذي وُصف بأنّه «عامِل كسرى على الحِيرة والأراضي العربيّة الملاصقة للعراق»، فاقترح عليه النّعمان أن ينتظر في بلاطه موعد زيارته السّنوية لكسرى. والملاحظ أنّ رواية ابن اسحاق هذه أيّدها الدِّينَوَريّ[3] تأييدا مطلقا. وثمّ أُدْخِل سيف على ملك الملوك الذي سمع طلبه ثم صرّح له أنّ اليمن بلاد بعيدة جدّا عن امبراطوريّته زيادة على أنّها فقيرة، ولذلك فهي لاتهمّه ولا يريد أن يغامر بإرسال جنوده إليها. إلاّ أنّ كسرى اضطرّ إلى الاستجابة إلى طلب ضيفه اليمنيّ، فقبل نصيحة رجل من بطانته بأن يرسل كتيبة متكوّنة من 800 رجل بقيادة شخص من أصل نبيل يُدعى وَهْرِز لاسترجاع اليمن من الأثيوبيّين[4]. وأقرّ رواية ابن اسحاق هذه بصفة عامة كلّ من وهب بن منبّه[5] واليعقوبيّ[6] والدياربكري والكلاعيّ[7]. ويبيّن ابن

---

1 - الطبري، تاريخ II، 144؛ ابن الأثير، الكامل، I، 448. هو المَوْبَذان مَوْباذ الذي ينعته اليعقوبيّ (تاريخ، I، 177) بأنّه عالم العلماء والعارف بتعاليم ديانة الفرس.

2 - الطبري، II، 137-140. الحاكم اللّخميّ المذكور في هذه الرّواية (النعمان الثالث)، حكم من 583 إلى 605، وهو ما يخوّل لنا تأريخ مبادرة سيف في فترة متأخّرة كثيرا من التّسلسل التّاريخيّ الذي ذكرته المصادر القديمة؛ ومن المعلوم أنّ الأثيوبيّين طُردوا من اليمن سنة 576 على أقصى تقدير، أي في الفترة التي كان فيها قابوس ملكا على الحيرة. (569-580) فهل هذا خَلْط في ذهن ابن اسحاق أم ينبغي أن نراجع من جديد التّسلسل التّاريخيّ لحكم اللّخميّين؟

3 - الدِينَوَري، ن.م، ص 63.

4 - الطبري، تاريخ، II، 140؛ ابن هشام، ن.م، 41-42.

5 - وهب، ن.م، 315.

6 - اليعقوبي، تاريخ، ص 165 وص 200.

7 - ألكلاعي، ن.م، 200-201، الدياربكري، ن.م، I، 192.

قتيبة من جهته أنّ سيفا لم يتّصل بكسرى أنو شروان بل بابنه وخليفته هُرْمِزْد الرّابع (579- 590) وأنّ المساعدة العسكريّة بلغت 7500 رجلا[1].

وروى المسعوديّ[2] مراحل التّدخّل الفارسيّ باليمن بطريقة مختلفة إذ ذكر أنّ سيف بن ذي يزن ذهب أوّل الأمر إلى البلاط البيزنطيّ حيث بقي سبعة أعوام دون أن يحصل على نُصرةِ قضيّته. وردّ الأمبراطور البيزنطيّ الذي نقله **كتاب الأغاني**[3] هو الذي يحسن ذكره، قال: «الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي، وأنتم على دين اليهود وفي الدّين لا ينبغي نصرة عدوّ على حليف» هذا الرّدّ يمثّل في نظرنا أكبر دليل على التّحالف السّياسيّ الموضوعيّ بين الأثيوبيّين والبيزنطيّين. ولمّا وجّه سيف الكلام إلى كسرى الأوّل استعمل حجّة أقلّ ما يقال فيها إنّها غريبة حين ذكر ما يربط بين الفرس واليمنيّين من قرابة عِرقيّة إذ كانوا جميعا بيضا بينما الأحباش سود. ويبدو أنّ المسعوديّ نبّه إلى أمر بديهيّ تماما ولكنّه مُغيّب من قِبل الأخباريّين العرب، وهو كره الأثيوبيّين الذي ما فتئ ينمو في اليمن في النّصف الثّاني من القرن السّادس. ولم تُمنح المساعدة التي وعد بها كسرى الأوّل إلاّ بعد أن جدّد مَعْدي كَرِب طلب أبيه لدى الحاكم الفارسيّ ونجح في ذلك[4].

تلك هي أهمّ الرّوايات التي نقلتها المصادر العربيّة بخصوص أسباب التّدخّل الفارسيّ في اليمن وإجراءاته. وسنعود إلى شهادة المصادر اليمنيّة عندما ندرس أطوار ذلك التّدخّل.

4 - التّسلسل التّاريخيّ للاحتلال الأثيوبيّ لليمن

يقدّر جلّ الأخباريّين العرب مدّة الاحتلال الأثيوبيّ لليمن باثنين وسبعين عاما موزّعة على فتراتِ حكم أربعةِ حكّام هم على التّوالي أرياط وأبرهة ويَكسوم ومسروق. كيف يمكن ضَبط تسلسل الأحداث بدقّة في عهد كلّ منهم؟ فلننظر في العلامات التّاريخيّة التي أقرّها المؤلّفون العرب.

---

1 - ابن قتيبة، ن.م، 278.

2 - المسعودي، مروج، II، 203؛ ينبغي مقارنة روايته برواية الدينَوري، ن.م، 63.

3 - الأصبهاني، الأغاني، XVII، 225؛ المَرْغَني، ن.م، 616.

4 - المسعودي، مروج، II، 203.

وضـع الطّـبري[1] أحداث اليمن في سـياق حكم كـسرى الأوّل(531-579) ملاحظـا أنّ الحَملة على مكّة وقعت في السّـنة الثّانيَـة والأربعين من حكمه أي سنة 573، وهي نفس السّنة التي وُلد فيها الرّسول محمّد، وتصادف أيضا السّنة التي حدث فيها «يوم جَبَلة»[2].

ويـؤرّخ البلاذريّ[3] وصول الأحباش قبالة مكّة في شـهر محرّم وعلى وجه التّدقيق شهرين قبل ولادة محمّد.

ويقـدّر الدِّينَوَريّ[4] مدّة حكم أبرهة بأربعين سـنة، ومدة حكم خلَفه يَكْسـوم بتسع عشرة سنة، وهو ما يبدو لنا غير مقبول. ثم يضيف العلامات التّالية:

-ميلاد الرّسول محمّد: في نهاية حكم كسرى الأوّل (531-579).

-إعلان النّبوّة: السّـنة السّادسـة عشر من حكم كسرى الثّاني (590-628)، أي سنة 606.

-هجرة المسلمين إلى المدينة: في السّنة التّاسعة والعشرين منه، أي سنة 619.

ويمكـن أن نقول بخصوص هذه العلامات أنّ الدّينَوريّ، رغم استناده إلى مصادر كثيرة تعتبر اليوم مفقودة مثل الهيثم بن عَدِي المتوفّى سنة 824/209[5]، والشّعبي المتوفّى سـنة 722/104، والأصمعيّ المتوفّى سـنة 841/227، رغم ذلك فقد أخطأ بثلاث أو أربع سنوات مقارنة بغيره من المؤلّفين العرب.

وأرّخ المسعوديّ[6] الحملة على الكعبة بعام 40 من حكم كسرى الأوّل (أي سنة 571)، ورأى أنّ أبرهة الذي دام حكمه 43 سـنة، تمرّد على أرياط واعترف به نجاشيّ الحبـّشي في عهـد قُبـاذ (488-531). ويمكّننا هذا التّدقيق الأخـير من جعل بدايات حكم أبرهة لليمن في حدود سـنة 528 وهو التّاريخ الذي نحصل عليه بإسـقاط 43

---

1 - جعـل الطّبريّ (تاريـخ، II، 104- 105) عنوان فصله كالتّالي: «عصر كسرى أنو شروان: إرسـال جيش فارسيّ إلى اليمن لقتال الأحباش وأسباب هذا الإرسال».

2 - انظر بخصوص «الأيّام» أو الحروب القبليّة قبل الإسلام: **العقد الفريد**، V، 132-268؛ ابن الأثير، **الكامل**، I، 583-587؛ أبـو الفضل ابراهيم، **أيّام العرب قبل الإسـلام**، بـيروت، د.ت؛ وانظر بخصوص «يوم جَبلة»، ص 349 وما بعدها.

3 - البلاذري، **أنساب**، I، 68.

4 - الدِينَوَري، ن.م، ص 63، وص 74.

5 - ن.م.

6 - المسعودي، مروج، II، 200.

من 571؛ وهذا لا يطابق التّسلسل الذي تقترحه المصادر المسيحيّة مثل بروكوب، ولا المعطيات التي توفّرها النّقوش الحمْيريّة في القرن السّادس. وجعل صاحب كتاب المروج مدة حكم أرياط عشرين عاما، وهو ما يبدو لنا غير معقول، وعامين ليقسوم (على الأرجح من 571 إلى 573)، وثلاثة لمسروق (من 573 إلى 576)، وهو ما يمكن اعتباره معقولا إلى حدّ ما[1]. إلاّ أنّ مجموع 72 عاما لكامل فترة الاحتلال الأثيوبيّ لليمن لا تطابق مجموع فترات الحكم المذكورة آنفا (20+43+2+3=68 سنة). لذا نتساءل ما إذا كان لتأريخ المسعوديّ مصداقيّة.

وهذا التّسلسل التّاريخيّ الذي يقترحه أبو الفرج الأصفهانيّ[2]: أرياط: عشرون سنة، أبرها: 23، يَكْسوم: 17، مسروق: 12. المجموع: 74 عاما.

بقي تأريخ حمزة الأصفهانيّ[3]. فهو يلفت انتباهنا إلى صعوبة تقدير فترة حكم مختلف الحكّام اليمنيّين والأثيوبيّين، ومع ذلك يقترح ما يلي: أرياط: 20 سنة، أبرها: 23، يَكْسوم: 17، مسروق: 12، المجموع: 72 عاما. وبخصوص العلامات الزّمنيّة التي تبنّاها، فهو ينطلق من ولادة الرّسول محمّد بعد عام الفيل ب 55 يوما، في السّنة الحادية والأربعين من حكم كسرى الأوّل (531-578) أي سنة 572. ويبيّن من ناحية أخرى أنّ وَهْرِز دخل اليمن بعد حرب الفِجَار بعشر سنوات، أي قبل بناء الكعبة بخمس سنوات لما كانت سِنّ محمّد ثلاثين سنة، وهذا ما يُفضي إلى التّواريخ التّالية:

-601 (571+30): وصول وَهْرز.
-596 (590-628):بناء الكعبة في السّنة السّادسة من حكم كسرى II
-591 (601-10): حرب الفِجار الثّانية.

ويضيف حمزة الأصفهانيّ أنّ سيفا سافر إلى فارس يوم كانت سنّ الرّسول عامين أي سنة 573.

ويظهر من هذا التّسلسل التّاريخيّ أنّ الملوك الأثيوبيّين الأربعة، أرياط وأبرهة ويَكسوم ومسروق حكموا طيلة 72 سنة على الأقلّ حسب ما ذكره الطّبريّ وابن هشام والمسعوديّ وابن الأثير والكَلاعيّ والدياربكري. إلاّ أنّ تفاصيل التّسلسل تطرح مشاكل عَصِيّة على الحلّ تتعلّق أوّلا بتاريخ حكم أبرهة وثانيا بنهاية الاحتلال الأثيوبيّ.

1 - ن.م، 202-203.
2 - الأغاني، XVII، 231.
3 - حمزة الإصفهانيّ، ن.م، I، 135.

إنّ دراسة نقوش جنوب الجزيرة العربيّة أثبتت أنّ ذا نواس المتوفّى سنة 525 عُوِّض بحِميَريّ متنصّر هو سُـميفع أشوع، وهو ما يقابل أَسِمَفَيُوس الذي ذكره بروكوب وربـما أرياط الذي ذكرته المصـادر العربيّة. ومعلوم أنّ أبرهة في الأخبار العربيّة أزاح أرياط بعد فترة حكم دامت طيلة خمس سنوات.

ودام حكـم أبرهة حسـب ما أثبتتـه النّقوش المذكورة أعـلاه على الأقلّ من 531 (باعتماد النّقوش التي اكتشـفت بمناسبة ترميم قلعة في حضرموت)، و553 (النّقيشة Ryck 506 de l'an 662)[1]. وبالتّالي فإنّ تاريخ 545 الذي اقترحته المصادر العربيّة (525+20) هو لاحق بكثير لبداية تولّي أبرهة السّلطة في اليمن سنة 530.

ومن ناحية أخرى فإنّ مدة الاحتلال الأثيوبيّ التي قُدّرت بـ72 عاما (525+72=597) لا يمكن أن تكون انتهت سنة 597 لأسباب عدّة:

أوّلا لأنّ المصادر العربيّة نفسـها تلحّ على مرافقة الفرس لسيف بن ذي يزن إلى اليمـن في عهد كسرى الأوّل، إذن قبل عام 579. ثانيا لأنّ هذه المصادر نفسـها تبيّن أنّ سـيفا اسْـتَقْبَلَ بعد تتويجه ملكا جديدا لليمن، في حفل مشـهود أُقيم في قصر غُمْدَان، عدّةَ وفود عربيّة وأجنبيّة جاءت تهنّئه بهذه المناسـبة، منها وفد قرشيّ يقوده عبد المطّلب جدّ محمّد. وإذا علمنا أنّ هذا السّـيد المكّي المجيد توفّي بكل تأكيد في السّـنة الثّامنة من عام الفيل حوالي 578-579[2]، فإنّه يمكن أن تكون زيارتـه لليمـن قبل هذا التّاريـخ. ويذكر الأزرقيّ[3]، اسـتنادا إلى خـبر رواه ابن عبّاس، أنّ سـيفا انتصر على الأحباش بعد ولادة الرّسـول محمّد بسنتين أي حوالي 573، وأنّه اسـتقبل بهذه المناسـبة عديدَ «وفود التّهنئة». وأكّد كلّ من البيهقيّ والدياربكري[4] هذا التّاريخ.

عمومـا يبدو أنّ التّواريخ التي اقترحتهـا مختلف المصادر العربيّة لا يمكن أن نثق فيها تماما باسـتثناء بعض ما قدّمه المسـعوديّ من معلومات تتعلّق خاصّة بفترة حكم كلّ من يكسـوم ومسروق[5]، وهي سنتان للأوّل وثلاث سنوات للثّاني. وما يمكن

1 - J. Ryckmans, *La persécution*..., p.11

2 - وهب، ن.م، 318- 319؛ المسعودي، مروج، II، 206- 207؛ نشوان، ن.م، 152- 155.

3 - الأرزقي، ن.م، 149.

4 - البَيْهقي، ن.م، I، 355؛ الدياربكري، ن.م، II، 239؛ انظر أيضا حمزة الإصفهانيّ، ن.م، I، 145.

5 - المسعودي، ن.م، مروج، II، 202-203.

قوله في ختام هذه الدّراسة أنّ السّيطرة الأثيوبيّة على اليمن، بدأت على الأرجح سنة 525 على إثر وفاة ذي نواس وانتهت على أقصى تقدير حوالي 575- 576. وبذلك فهي لم تدم 72 سنة بل ما يزيد على نصف قرن. وتميّزت هذه الفترة الطّويلة بحكم أبرهة (إلى 553-554) الذي حافظ عليه حسب مكسيم رودنسون[1] بفضل اتّخاذه موقفا انتظاريّا ومحايدا من الصّراع القائم بين القوّتين العظميين في القرن السّادس: بيزنطة وفارس[2].

وفي المقابل فإنّ أخلافه اتّبعوا سياسة معادية قطعا لفارس. وإذا وضعناها في سياق الصّراع البيزنطيّ الفارسيّ الظّاهر خاصّة في الحرب بين جوستين الأوّل وكسرى الأوّل سنة 572، فهمنا كيف يسّرت هذه السّياسة التّدخّل الفارسيّ سنتي 575- 576[3]. ونحن نرى أنّه ينبغي وضع مساعي أبي مُرّة الفيّاض والد سيف بن ذي يزن لدى الحاكم الفارسيّ كسرى الأوّل لدفعه إلى التّدخّل ضدّ الامبراطوريّة البيزنطيّة وحليفتها أثيوبيا كما ذكرت المصادر العربيّة[4]، في سياق هذا الصّراع البيزنطيّ الفارسيّ لنفهم لماذا لم يستجب ملك ملوك فارس لطلب ضيفه اليمنيّ. ويبّن الطّبريّ[5] بدقّة أنّ أبا مُرّة توفّي في بلاط بني ساسان بعد أن انتظر دونَ جدوى مساعدة عسكريّة فارسيّة لمواجهة الأثيوبيّين. إلاّ أن سيفا أعاد طلب والده وكان أكثر حظّا منه إذ قرّر كسرى I الأوّل بعد الكثير من التردّد سنة 575- 576 إرسالَ أسطول فارسيّ إلى اليمن بقيادة وَهْرِز لمواجهة الحصار البيزنطيّ دون شكّ، وتوصّل إلى وضع حدّ للحضور الحبشيّ في البلاد[6].

فَلْنر الآن عن كَثَب كيف تمكّن الفرس من طرد الأحباش من اليمن وحلّوا محلّهم طيلة نصف قرن تقريبا.

---

1 - م. رودنسون، ن.م، 54.

2 - Kawar, The arabs in the peace treaty of A. D. 561, in *Arabica, III*, 1957, pp. 181-183.

3 - رودنسون، ن.م، 54.

4 - الطبري، ن.م، II، 130- 140، و143-144، ابن هشام، ن.م، 41-42.

5 - الطبري، تاريخ، ن.م، II، 143.

6 - ن.م، 140-144.

III-التدخّل الفارسيّ واحتلال اليمن (حوالي 632/575)[1]

1-مقدّمات عامّة

ينسب المؤرّخون العرب واليمنيّون الفضل في تحرير اليمن من النّير الأثيوبيّ إلى سيف بن ذي يزن الحِميَريّ[2]. وسبق أن بيّنا كيف روت المصادر القديمة (الطّبريّ واليعقوبيّ والدّينَوَرِيّ والمسعوديّ وغيرهم) واليمنيّة (وهب بن منبّه خاصّة) ظروفَ التّدخّل الفارسيّ في اليمن بطلب وجّه إلى البلاط السّاساني من قِبل أبي مُرّة أولا، وهو وجيه يمني يحمل لقب «ذاء» ثم ابنه سيف.

ونذكّر في البداية أنّ قبيلة يزن التي ينتمي إليها سيف، قد تميّزت سنة 548 حسب النّقيشة (C. I. H. 541 GLASER 618) المتعلّقة بإصلاح سدّ مأرب[3]، بانتفاضتها إلى جانب قبائل أخرى محلّية ضد أبرهة الحَبشيّ. وساند هذه الانتفاضة التي قادها أحد ضبّاط الحاكم الأثيوبيّ يسمّى يزيد بن كبْشة، سيّد قبيلة كندة، كثير من الأقيال الذين يمثّلون، حسب جواد علي[4]، «الطّبقات الأرستقراطيّة القديمة في العصر السّبئيّ»، منها ذو سَحَر ومرّة وطَمامة وحَنش ومَرْثَد وحَنيف وآل ذي خليل وذو يزن ومَعْدِي كرِب بن سُمْيفَع وهَعَان.

وتمكّن أبرهة من قمع هذه الانتفاضة التي امتدّت إلى جهات كثيرة منها حضرموت، بفضل مساندة عديد القبائل مثل ذي مَعَاهِر وذي فيش وذي شَوْلَم وذي شعبان وذي شَعْب وذي رُعَيْن وذي هَمْدان وذي الكلاع. ومن ناحية أخرى عَمَد إلى إصلاح سدّ مأرب واستقبل بهذه المناسبة وفودا وسفراء كثيرين جاؤوا من أثيوبيا وبيزنطة وفارس والحِيرة والشّام[5] وغيرها. إلاّ أنّ الحملة على الكعبة وفشلها الذّريع، تسبّبا في إضعاف السّيطرة الأثيوبيّة على اليمن.

---

1 - انظر بخصوص الفرس في اليمن: الطبري، تاريخ، II، 140- 142، 144-148؛ اليعقوبي، تاريخ، I، ص165 وما بعدها، وص 200؛ وهب، ن.م، 315-316؛ الدينَوري، ن.م، 64-65؛ المسعودي، مروج، II، 203؛ التنبيه، ن.م، 266؛ نشوان، ن.م، 150- 152؛ ابن قتيبة، ن.م، 279؛ ابن الأثير، الكامل، I، 448-451، وص 492؛ الكبسيّ، ن.م، الورقة 8 ظهر، المزغني، ن.م، ص 615 وما بعدها؛ جواد علي، ن.م، III، 521- 538؛ ع. ثور، ن.م، 167-170.

2 - بخصوص سيف انظر خاصّة: ثريّا منقوش، سيف بن ذي يزن، د. ت، 35-63.

3 - جواد علي، ن.م، III، 473-488.

4 - ن.م، ص 487.

5 - ن.م، ص 489.

وأثارت سياسة خَلَفَيْه يَكْسوم ومسروق «المناوئة لليمنيّين» انتفاضات محلّية تزعّمها الأقيال والأذواء الذين كان لهم هاجس القضاء على الحضور الحبشيّ واستعادة استقلاليّتهم ونفوذهم القديم. وينبغي أن نضع في هذا الإطار تحرّك سيف ومسعاه النّاجح لدى ملك ملوك فارس.

وبعد أن استثمرنا بما فيه الكفاية معلومات المصادر العربيّة الكلاسيكيّة، ننظر في المصادر اليمنيّة (الهمدانيّ ونشوان الحِمْيريّ)[1] لمعرفة ما تضيفه بخصوص هذه المسألة حتى نفهم أكثر أحداث القرن السّادس.

الحقّ أنّ المصادر اليمنيّة تتميّز مقارنة بالمصادر العربيّة المذكورة، بثلاث إضافات أساسيّة. فهي قبل كلّ شيء توفّر لنا شجرة أنساب كاملة ودقيقة لسلالة يزن دون أن تترك أيّ مجال للشكّ في الموضوع. وضبطها الهمدانيّ[2] كما يلي: سيف بن النعمان بن عُفَيْر الأوسط بن زرعة بن عُفَيْر الأكبر بن الحارث بن النّعمان بن قيس بن عُبَيد بن سيف بن عامر بن أسلم بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغَوْث بن سعد بن عَوْف بن عَدِي بن مالك بن زيد بن سُدَد بن زرعة ويصل هذا النّسب بحمير.

وكان عامر بن أسلم جدّ سيف الملقّب ذا يَزن أحد كبار الأقيال الحِمْيريّين، تزوّج ابنة تُبّع أسعد بن أبي كرب بن المَلْكِ يكرِب، ويُنسب إليه خاصّة اختراع الأسِنّة التي تحمل اسم عائلته «الأسنَّة اليزنيّة»[3].

أمّا النّعمان بن قيس[4]، أحد أجداد سيف، فيذكر بدقّة أنّه زار بلاط بني ساسان، وبذلك وقع الالتباس بينه وبين النّعمان بن عُفَيْر والد سيف، وكيف تمكّن هذا الشخص بالاتّصال بالفرس. ومهما كان الأمر فإنّ الهَمْدانيّ بيّن أنّ النّعمان بن عُفَير[5]، ويسمّى أيضا المنذر، ويلقّب بأبي النّعمان نسبة إلى أحد أبنائه الأربعة نُعمان وسيف وعَمْرو وشُرَاحِيل، تميّز بتمرّده على الغُزاة الأثيوبيّين إثر وفاة الملك ذي نواس.

أمّا إضافة الهَمْدانيّ ونشوان الثّانية، فهي تتعلّق بكفاح أسرة سيف ضدّ الأثيوبيّين، كفاح بلورته النّقوش وخاصّة منها النّقيشة (C.I.H. 541) المذكورة

1 - الهمداني، الإكليل، III، 239-246، نشوان، ن.م، 150-152.
2 - الهمداني، الإكليل، II، 239-242.
3 - ابن دريد، (ن.م، ص 530) يبيّن أنّ العرب كانوا يستعملون قرون الثيران أسنّه للرّماح قبل أن تُخْتَرَعَ أَسِنّة حديدية.
4 - الهمدانيّ، III، 242.
5 - ن.م، 242.

أعلاه والتي تذكر أسرة ذي يزن من بين عديد القبائل والأسر الأرستقراطيّة اليمنيّة التي شاركت في حركة تمرّد يزيد بن كَبْشة على أبْرَها[1]. وذكر نشوان[2] في روايته للتدخّل الأثيوبيّ في اليمن جزئيّة هامّة لامسها الهَمْدانيّ، وهي أنّ النّعمان بنُ عفَيْر، والد سيف، كان جمع بقيادته، بعد وفاة ذي نُواس، حشْدا من اليمنيّين لمحاربة الأحباش في جهة السّحول[3] إلاّ أنّ النّعمان وصحبه عجزوا عن مواجهة الجيوش المعادية بسبب كثرتها، وانهزموا في حقل شِرْعة[4]، ودخل اليمن تحت النفوذ الأجنبيّ. ونضيف إلى ذلك معلومة ثمينة نقلها ابن سعد[5] عن الشّعْبِيّ تتعلّق بالقائد الهَمْدانيّ عامر بن شهر، مفادُها أنّ قبيلة هَمْدان لجأت لمقاومة الأثيوبيّين، إلى جَبل الحقل وبقيت فيه طيلة فترة الاحتلال الفارسيّ قَصْدَ تنظيم المقاومة ضدّ الأجانب إلى ظهور الإسلام واتّصال القائد عَامر بالرّسول محمّد.

والنّقطة الأخرى التي يجدر أن نتوقّف عندها نظرا إلى تميّزها عن الصّيغة التي قدّمتها بها المصادر العربيّة الأخرى، هي مسألة المساعي الدّيبلوماسيّة التي قام بها سيف لدى بلاط بني ساسان للحصول على المساعدة العسكريّة اللاّزمة لمقاومة الأثيوبيّين. ويبدو أنّ الهَمْدانيّ هو المؤلّف الوحيد الذي أشار إلى أنّ النّعمان بن عُفَير كلّف ابنيه سيفا المُكَنّى أبا منذر، وعمرو بمهمّة ديبلوماسيّة، الأوّل لدى ملك الفرس كسرى الأوّل، والثّاني لدى امبراطور بيزنطة والقبائل القحطانيّة بالشّام أي الغساسنة، وسلّم كلاّ منهما رسالة من المؤسف أنّ مضمونها لم يذكر بدقّة[6] ولكنّه يتعلّق بطلب يهدف إلى الحصول على مساعدة عسكريّة لمقاومة الحضور الأثيوبيّ في اليمن. ولإشارة الهمْدانيّ هذه، رغم إيجازها، ميزة التّأكيد على وجود علاقات بين آل ذي يزن، الوجهاء اليمنيّين، وبعض حكّام الجوار في بيزنطة وفارس وسوريا. وأمام عدم إمكانيّة تفسير طبيعة هذه العلاقات، ليس من المفيد إهمالها أو اعتبارها مجرّد وجهة نظر.

---

1 - جواد عليّ، ن.م، III، 487 وما بعدها.

2 - نشوان، ن.م، ص 149 وما بعدها.

3 - انظر بخصوص السّحول: الهَمْداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأَكْوَع، ص 102 و235.

4 - الهمْداني، الإكليل، II، 179- 188، يبيّن أنّ حقل شرعة موجود في أرض مذْحج.

5 - ابن سعد، طبقات، ن.م، IV، 28-29.

6 - الهمداني، الإكليل، II، 242.

ويعود نَشوان[1] إلى المهمّة التي كُلِّف بها سيف، ويرويها بنفس الطّريقة التي رواها بها ابن الكلبيّ ملحّا على توجّه سيف مباشرة إلى بلاط بني ساسان، دون المرور بالحيرة إذ وجد الحاكم اللّخميّ النّعمان بن المنذر صحبة كسرى. ويرى من ناحية أخرى أنّ عدد السّفن التي استعملت لنقل الجنود الفرس من عدن لم يكن ثمانية بل اثنتين فقط وهذا مبدئيّا غير مقبول[2].

ومهما كان الأمر فإنّه يظهر من هذه السّلسلة من التّفاصيل التي قدّمها الهَمْدانيّ وأكّدها نشوان، وخاصّة منها ما يتعلق بآل ذي يزن، أنّ هذه الأسرة اليمنيّة تميّزت في القرن السّادس بكفاحها المستمرّ ضد الهيمنة الأثيوبيّة.

وذكر صاحب «الإكليل»[3] رجلين من سلالة سيف. أوّلهما حفيده زُرعة بن عامر بن سيف[4] الذي بعث إليه الرّسول محمّد رسالة وأهداه ثوبا ثمينا تفوق قيمته ثمن عشرين ناقة. أمّا الثّاني فهو حفيده الأصغر عُفَيْر بن زرعة الذي هاجر بعد ظهور الإسلام إلى الشّام وصار في عهد معاوية[5] ثم في عهد عبد الملك[6] على التّوالي رئيس الحزب اليمنيّ ثم رئيس الحميريّين.

إذن يبدو أنّ آل ذي يزن، منذ النّعمان بن قيس الذي زار ملك ملوك فارس، إلى عُفَيْر بن زرعة الذي كان وجيها شهيرا في الشّام، سجّلوا حضورهم طيلة الفترة الممتدّة من القرن السّادس إلى نهاية القرن السّابع ميلاديّا على السّاحة السّياسيّة الدّاخليّة منها والخارجيّة، وأنّهم كانوا دوما على صلة مباشرة مع السّلطة سواء في اليمن، وذلك عبر مقاومتهم العسكريّة للأحباش خاصّة في عهد أبرها، أو في الخارج، وعلى وجه التّحديد في الشّام حيث لعب أحد أفرادهم دورا سياسيّا في المقام الأوّل إلى جانب بني أميّة.

كيف طُرِدَ الأحباش من اليمن؟

للإجابة عن هذا السّؤال الأساسيّ يجدر بلورة جملة من القضايا المتعلّقة ببعض التّفاصيل أهمّها عدد الجنود الفرس ومكوّنات الجيش الأثيوبيّ بقيادة مسروق، وشخصيّة القائد الفارسيّ وَهْرِز وأصله الاجتماعيّ، ونتائج الحملة ودَلالة غزو الفرس لليمن.

1 - نشوان، ن.م، ص 152.

2 - ن.م، ص 151؛ انظر أيضا ابن خلدون، ن.م، II، 62-64.

3 - الهَمْداني، **الإكليل**، II، 243.

4 - انظر بخصوص زرعة ابن سعد، **طبقات**، I، 265.

5 - الهَمْداني، **الإكليل**، II، 233- 244 وص 198.

6 - ابن دُرَيْد، ن.م، 531؛ ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص 436.

2-عدد الجنود الفرس ومجابهة الأثيوبيّين

تقدّر أغلب المصادر العربيّة عدد السّجناء الفرس الذين أرسلوا إلى اليمن بقيادة وَهْرِز بـ 800 شخص أبحروا في ثماني سفن لم يصل منها إلى سواحل عدَن أو حضرموت غير ستّ سفن. وابن قتيبة[1] هو الوحيد الذي يقدّر هذا العدد بـ 7500 شخص. ويتكلّم الجاحظ[2] عن 300 جنديّ فقط، في حين يذكر المرْغَنيّ[3] ألف سجين فضلا عن كتيبة صغيرة من التّرك والدّيْلم. في الواقع يصعب التّصديق أنّ 300 رجل أو حتّى 800 شخص، مات مئتان منهم غرقا أثناء الرّحلة، في استطاعتهم مجابهة جيش أثيوبيّ والانتصار عليه، جيش متكوّنٍ حسب ابن الكلبيّ والمسعوديّ[4] من مائة ألف جنديّ (وهو رقم بالطّبع يصعب قبوله) حتّى ولو أضفنا إلى هؤلاء الثّمانمائة فارسيّ الذين وصلوا سالمين كلّ العناصر اليمنيّة التي جنّدها سيف على عين المكان مثل السّكاسك وكندة وهمدان[5]. فالرّقم الذي ذكرته المصادر العربيّة واليمنيّة إذن لاشكّ في أنّه أقلّ من الرّقم الحقيقيّ للمشاركين في الحملة إلاّ أنّه لا يعقل من ناحية أخرى أنّ الفرس، بسبب بُعدهم عن اليمن وصعوبات النّقل كانوا قادرين على إرسال 7500 رجل كما يزعم ابن قتيبة[6]. وُضع هذا الجيش المتكوّن من سجناء «الحقّ العامّ»، حسب المسعوديّ، تحت قيادة وَهْرِز وأبحر في البداية من دجلة على مراكب، يصحبهم غلمانهم، فضلا عن خيولهم وأسلحتهم بالطّبع. وعند وصولهم إلى ميناء الأُبُلَّة نُقلوا في ثماني سفن أرست بهم على ساحل حضرموت وتحديدا في مَثْوَب[7].

أمّا بخصوص المواجهة العسكريّة نفسها بين الأحباش والفرس، فإنّ روايتي ابن اسحاق وابن الكلبيّ تختلفان تمام الاختلاف. ففي حين يكتفي ابن اسحاق[8] بالإشارة إلى أنّ المعركة اندلعت بسرعة بين الطّرفين ونتج عنها موت الحاكم مسروق وانهزام جيشه المكوّن بالخصوص من عناصر أثيوبيّة أمام حزم وَهْرِز وأصحابه الفرس دون

---

1 - ابن قتيبة، ن.م، ص 279.

2 - الجاحظ، رسائل، ن.م، I، 346.

3 - المرغني، ن.م، ص 617.

4 - الطبري، تاريخ، II، 144؛ المسعودي، مروج، II، 204؛ يتحدّث حمزة الإصفهانيّ، ن.م، ص 58 عن 30000 أثيوبيّ، وهو رقم معقول أكثر من غيره.

5 - ابن سعد، ن.م، IV، 28-29؛ نشوان، ن.م، 149- 152؛ ابن الأثير، الكامل، I، 449.

6 - ابن قتيبة، ن.م، 279.

7 - المسعودي، مروج، II، 203؛ المرغني، ن.م، 617.

8 - الطبري، تاريخ، II، 141-142؛ ابن هشام، ن.م، I، 43.

أن ننسى أنّ اليمنيّين الذين انتدبهم سيف ساعدوهم. وفي المقابل، فإنّ ابن الكلبيّ[1] الذي كانت روايته منحازة بوضوح إلى اليمنيّين، وصف مراحل المعركة مقدّما تفاصيل أكثر عن المفاوضات التي جرت بين وَهْرِز ومسروق قبل القتال نفسه وما آلت إليه. فهو يعلمنا خاصّة أنّ مسروقا لاحظ عدد الجنود المحدود المصابين لوهرز، فاقترح عليه ثلاث إمكانيّات: إمّا العودة إلى فارس، أو الدّخول فورا في المعركة، أو التّشاور مع أصحابه لاتّخاذ قرار نهائيّ. وكان وهرز من ناحيته واعيا بتفاوت القوى إذ كانت بضع مئات في مواجهة عدّة عشرات من الآلاف، فاختار حلّ التريّث أي عقد هدنة ببضعة أيام في انتظار بقية الأحداث[2]. ويمكن أن نتساءل لماذا منح الحاكم الأثيوبيّ وهرز الخيار بين هذه الحلول الثّلاثة وكيف قبل هدنة تدوم عدّة أيام قبل أن يقرّر مجابهة الفرس، في حين كان لديه جيش قويّ، يشمل الأثيوبيّين والحميريّين والأعراب الذين كانوا بدون شكّ من المرتزقة البدو الذين يُدفع لهم المال مقابل خدماتهم. فهل كانت غايته مزيدا من التّحضير للمعركة والاستخبار أكثر عن خصومه؟ أم كان ذلك من باب التّهاون والنّقص في التّكتيك الحربيّ؟ مهما كان السّبب فإنّ القتال اندلع حسب ابن الكلبيّ[3]، قبل انتهاء الهدنة، إثر مقتل أحد أبناء وَهْرِز يسمّيه ابن اسحاق[4] نَوْزاد خرج متجسّسا على جيش العدوّ.

فأقسم وَهْرِز أن يمتنع عن شرب الخمر وعن تخضيب شعر رأسه إلى نهاية الهدنة، ثم أحرق المراكب بما فيها، ولم يُبْقِ لرجاله غيرَ خيارين: الموت أو الانتصار على الأعداء[5]. واندلعت المعركة بين جيش مسروق[6] يدعمه اليمنيّون، وجيش وهرز يسانده أنصار سيف، ووصل الملك الحبشيّ إلى ساحة المعركة في طليعة عسكره راكبا فيلا، ثم ركب جملا، ثم فرسا، وأخيرا حمارا للتّعبير عن احتقاره الفرس. إلاّ أنه قُتل بنَبل صوّبه وَهرز – وقد اشتهر بأنه قنّاص ماهر – بين عينيه، في موضع الألْمَاسَة الحمراء التي كانت ترصّع تاجه الذّهبيّ[7]. وأثار موت الحاكم الأثيوبيّ فوضى عارمة في

---

1 - الطبري، تاريخ، II، 145.

2 - ن.م.

3 - ن.م، ص 145.

4 - ن.م، ص 141.

5 - ن.م، ص 141-142. المرغني، ن.م، ص 617؛ حمزة الإصفهانيّ، ن.م، 59-60.

6 - يتكلّم وهب (ن.م، ص 16) عن يَكْسُوم في حين أنّه مسروق وكنيته أبو يَكْسوم.

7 - انظر بخصوص وفاة مسروق: الطّبريّ، تاريخ، II، 142- 143؛ ابن هشام، ن.م، 43-44؛ الجاحظ، الرّسائل، ن.م، I، 346؛ المسعودي، مروج، II، 204؛ الكلاعي، ن.م، I، 202؛ الدياربكري، ن.م،ص 193؛ ابن الأثير، الكامل، I، 449.

صفـوف الأحباش اسـتغلّها جيّدا وَهْرز وأصحابه فهجموا بقـوّة على أعدائهم وقتلوا منهـم الآلاف، قدّرهـم – تقديـرا خاطئا- كلّ من المسـعوديّ وحمـزة الأصفهانيّ[1] بثلاثين ألفِ قتيل، في حين اضطُرَّ مَن بقي على قيْد الحياة إلى الفرار. ويبيّن ابن الكلبيّ أنّ كلّ «أسْـوَار» (أو قائد عسـكريّ) تمكّن من أسْر خمسـين إلى ستّين جنديّا من بين الأثيوبيّين والحميريّين والأعراب إلى أن أمر وَهرز بقتل الأسرى الأحباش وإطلاق سراح الآخرين[2].

وعجّل موت مسروق وانهزام عَسكره بنهاية الاحتلال الأثيوبيّ لليمن.

3 - نتائج التّدخّل الفارسيّ ضدّ الأثيوبيّين

يذكـر ابن اسـحاق أنّ النّصر الذي حقّقـه وَهرز ورجاله عـلى الأحباش، عقبه نشر السّـلم في البلاد وتتويج سـيف ملكا على اليمن بأمر من كسرى ودفع ضريبة مضاعفة لفائدة السّاسـانيّين: الجزية والخَـراج[3]. وبعث وهرز أيضا جزءًا من الغنائم إلى طيسـفون (Ctésiphon) قبـل أن يتّخذ طريق العودة. ويزعم ابـن الكلبيّ[4] أنّ القائد الفارسيّ دخل صنعاءَ وبسط نفوذه على كامل التّراب اليمنيّ ووزّع أعوانه أو مندوبيه على مختلف الأقاليم، واستشـهد لدعم روايته هذه بقصيدة لأبي الصَّلْت أبي أميّة بن أبي الصّلت الثّقفيّ يمجّد فيها تحرير اليمن من النّيْر الأثيوبيّ مُبرزا دور سـيف الأسـاسيّ والمساعدة الثّمينة التي منحها إيّاه كسرى لتحقيق هذه الغاية[5].

وهذه بعض أبيات من هذه القصيدة التي نقلها عدد من الأخباريّين مثل ابن هشام واليعقوبيّ ووهب والمَرْغنيّ والكلاعيّ[6].

لا يَطلُبُ الثّأرَ إلاّ ابنُ ذي يزَنِ
أقَـامَ في البَحْـر للأعْــداء أحـوالا
أتَى هِرَقْلَ، وقد شالَتْ نَـعَـامـتُـه
فلم يَجِدْ عندَهُ الأمْـر الـذي قـالا

1 - المسعودي، مروج، II، 204؛ حمزة، ن.م، I، 139.

2 - الطبري، تاريخ، II، 146.

3 - ن.م، ص 142.

4 - ن.م، ص 147.

5 - ن.م، ص 147؛ أيضا انظر العقد الفريد، ن.م، II، 23؛ الأغاني، XVII، 224.

6 - اليعقـوبي، تاريـخ، I، 200؛ وهــب، ن.م، 317؛ ابــن هشــام، ن.م، 44؛ الكلاعــي، ن.م، ص 618 (ترجمة زوتنبارڤ (Zutenberg).

ثمّ انتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بعد سابعةٍ
مِنَ السِّنِينَ، لقد أبْعَدت ايغالا
حتّى أتَى بَنِي الأحْرار يَقْدُمُهُم
اذهبْ إليك، لقد أسْرَعْتَ قَلْقَالا

وذكر المسعوديّ[1] من ناحيته أنّ كسرى الأوّل كان اشترط على مَعْدِي كرِب بن سيف بعض الشّروط مقابل مساعدته العسكريّة، منها دفع ضريبة في شكل خراج حسب الطّبريّ، والسّماح للفرس بالتزوّج من يمنيّات وعدم تزويج بنات الفرس يمنيّين.

والحقّ أنّ هذا الشّرط الأخير الذي يبدو غريبا ليس خاصّا باليمن. فقد اعتبره المسعوديّ في فصل من كتابه مروج الذّهب مخصّص لملوك فارس أمرا عاديّا عندهم إذ تعوّدوا التزوّج من بنات الملوك المجاورين دون أن يسمحوا لبناتهم بالتزوّج من أمراء أجانب[2] لسبب بسيط وهو أنّهم يعتبرون الفرس أناسا أحرارا كراما[3]. ويذكر المسعوديّ لدعم هذا الشّأن أمثلة دقيقة مثل تزوّج كسرى الأوّل من فقَام بنت خاقان الأتراك، وقد أنجبت هذه الزّيجة هُرْمِزْد الرّابع (579-590)[4]، كذلك تزوّج كسرى الثّاني برويز من ماري، ابنة موريس امبراطور بيزنطة وتُوّج هذا الزّواج بميلاد الملك الذي سيسمّى كواذ الثّاني (628)[5].

---

1 - المسعودي، مروج، II، 204-205.

2 - ن.م، I، 318، يشبّه المؤلّف هذه العبادة الفارسيّة بعبادة قرشيّة تسمّى «الحُمْس» وتعني التعلّق الأعمى بالشّعائر. وإذا تزوّج غير قُرَشيّ قريشيّة حُمْصًا، فإنّ ذرّيتها ينبغي أن تكون كالأمّ حُمْصًا.

3 - إنّ مفهوم «أحرار» قد ركّز عليه أبو زُمْعة الثّقفيّ في قصيدة له ألقاها بحضور سيف إثر تتويجه ملكا على اليمن وكذلك بحضور موفَدي القبائل التي جاءت لتهنئته بهذه المناسبة. انظر المسعوديّ، مروج، II، 207. وبيّن صاحب الأغاني (ن.م، XVII، 222) من ناحيته أنّ لفظ «أحرار» كان يطلق على الفرس الذين ساعدوا سيفا على هزم الأثيوبيّين، ويدلّ في القرن الرّابع على الفرس المقيمين في صنعاء في حين أنّ الفرس المقيمين في كامل اليمن يطلق عليهم لفظ «الأبناء» وهو الأكثر انتشارا. وهناك ألفاظ أخرى تستعمل للفرس المقيمين في الكوفة (الأحارمة)، وفي البصرة (الأسَاورة) وفي الجزيرة (الحضارمة) وفي الشّام (الجراجمة). انظر الأغاني، XVIII، 466؛ والعقد الفريد، II، 23؛ وبلغ السُّهَيْلي، (الروض، ن.م، II، 55)، على أنّ الفرس يُنعتون بالأحرار لأنّهم لم يدفعوا قط ضرائب خضوع لسلطة أجنبيّة. ويعرّف العِصَاميّ الصنعانيّ (مسالك الأبصار، تحقيق الأكوع، بيروت، 1985، ص 71) لفظ «نجْد (وجمعه أنجاد)، بأنّه عندما يطلق على الفرس مرادف لحرّ (مفرد أحرار).

4 - المسعودي، مروج، II، 132.

5 - ن.م، 316-317.

وزيّن صاحب المروج روايته للغزو الفارسيّ لليمن بأبيات انتقاها من عديد الشّعراء (فارسيّ، وثقفيّ وهو أبو الصّلت المذكور أعلاه، والشّاعر الشّهير البحتريّ)[1].

ويبدو حسب الأخباريّين اليمنيّين، خاصّة منهم نشوان الذي نقل عنه الكِبْسيّ[2]، أنّ كسرى الأوّل سلّم إلى وَهْرِز حين بعثه إلى اليمن، تاجا وخِلعة ومِنْطقة وأوصاه أن يتثبّت على عين المكان من نَسب سيف بن ذي يزن الملوكيّ، فإذا ثبت ذلك توّجه ملكا، وإذا لم يَثْبُتْ فينبغي على وَهرِز أن يزيحه ثم يَنْكَبُّ على إِحْلال السّلام بالبلاد في انتظار تعليمات جديدة. فنفّذ القائد الفارسيّ أوامر حاكمه ونصّب سيفا ملكا على اليمن، وأثبت التّاج على رأسه، وخلع عليه الخلعة الشّرفيّة والمنطقة قبل أن يعود إلى طيسفون بهدايا ممّا يختصّ به اليمن من منتوج.

فهذا العرض للأحداث مع بعض الاختلافات عند الأخباريّين العرب واليمنيّين يثير جُملة من التّساؤلات التي يحسن توضيحها.

قبل كلّ شيء ما دلالة غزو الفرس؟ ومن هو وَهْرِز الذي أنجز عسكريّا ذلك الغزو؟ ثمّ كيف يمكن «تقييم» دور سيف بن ذي يزن وهل يمكن الحديث عن «تحرير» اليمن من الهيمنة الأجنبيّة، هيمنة الأحباش، في حين تذكر الأخبار العربيّة واليمنيّة مع بعض المواربات لامحالة استيلاء الفرس الفعليّ على السّلطة وجعل البلاد تحت نفوذهم خاصّة بعد موت سيف إلى ظهور الإسلام؟

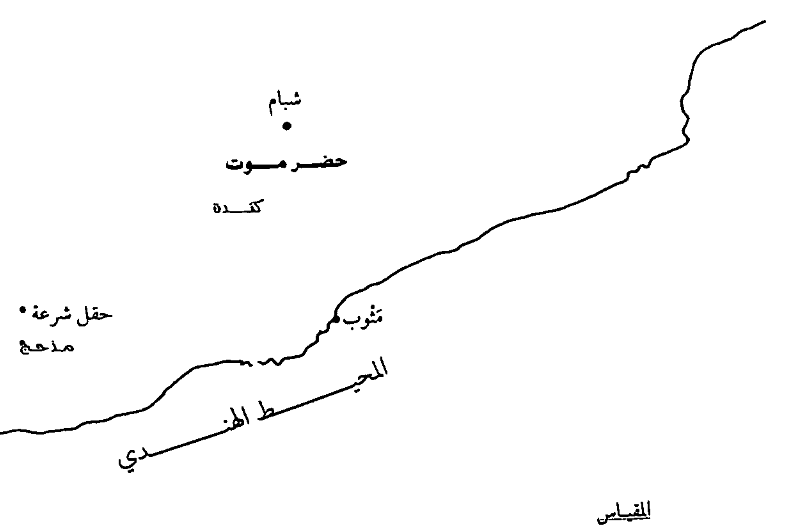
1 - ن.م، 205-206.

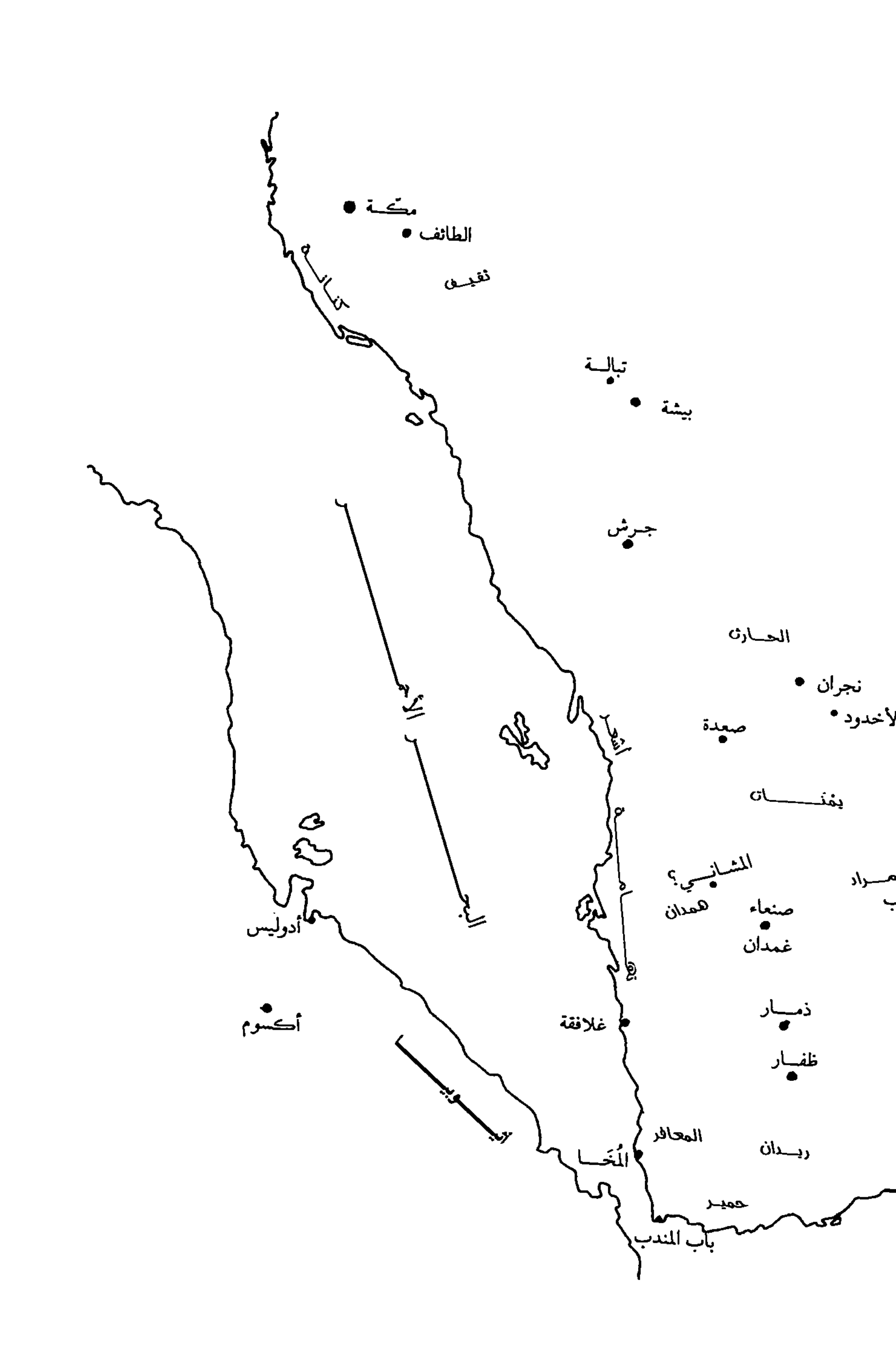
2 - نشوان، ن.م، ص 151. الكبيسيّ، ن.م، الورقة 18 ظهر.

خريطة القبائل ومراكز السلطة

في بلاد العرب في القرن السادس







مكّة
الطائف
ثقيف
تبالة
بيشة
جرش
الحارث
نجران
صعدة
يمنات
المشاني؟
همدان
صنعاء
غمدان
ذمار
ظفار
غلافقة
المعافر
ريدان
المُخَا
حمير
باب المندب
أدوليس
أكسوم

4 - دَلالة احْتلال اليمن وشخصيّة المحتلّ

الواقـع أنّ غـزو الفرس العسـكريّ لليمـن وحلولهم محلّ الأثيوبيّـين يندرج في سـياق عام من الأعـمال الحربيّة التي قام بهـا الامبراطور كـسرى الأوّل في النّصف الثّاني من القرن السّـادس ومكّنته من فرض الاعتراف بسـلطته على عديد الشّعوب المجـاورة لامبراطوريّته مثل الهياطلة (Hephtalites) والأتراك والصينيّين واليهود في آسيا الوسـطى وفي الشّرق الأقصى وكذلك في مجال الامبراطوريّة الرومانيّة بالشّرق وذلك بغزو عديد المدن السّوريّة مثل أنطاكية وأقاليم واقعة قبل هرقليّة (Héraclée) وبعد أرمينيا تصل إلى الخَزَر[1]. فالأمر يتعلّق دون شـك بعمل يُعتبر جزءًا من التوسّـع الـتّرابيّ ونهضة الامبراطوريّة الفارسـيّة في عهد كسرى الأوّل المتميّز بالحيويّة على إثر عهـد الامبراطور قُباذ (488-531) المتميّز بالضّعـف. فمن قام بهذه العمليّة؟ ما أصله وكيف كانت شخصيّته ومن هو وَهْرِز.

يرى ابن اسـحاق[2] ومن بعده وهب واليعقوبيّ ونَشْـوان[3] أنّ وَهرز كان حين عيّنه كسرى لقيادة الحملة الفارسـيّة في اليمن رجلا مُسنّا، ينتمي إلى وسط اجتماعيّ رفيع. ويلحّ ابن الكلبيّ[4] ومن بعده اليعقوبيّ[5] نسـبيّا، على خصاله العسـكريّة التي دفعت كـسرى إلى اختيـاره على رأس الكتائـب المخصّصة لمعاضدة سـيف في حربه ضدّ الأحباش إذ كان يعتبره في مقام ألف «أُسْوَار»[6] (أو قائد جيوش)[7].

ويوفّـق الدِّينَوَريّ[8] بين هاتـين الرّوايتين مبيّنا أنّ وَهْرز ناهز عمره القرن وأنّه ينتمي إلى وسـط نبيل، وقد عُرِف عنه جُزم ولكنّه مع الأسف لم يُحدّد، وهو يسميّه وهرز بن الكَمَجَار في حين يسمّيه الجاحظ[9] وَهْرِز بن بهرام الفارسيّ.

---

1 - المَرْجاني، ن.م، 614- 615.

2 - الطبري، تاريخ، II، 141.

3 - اليعقوبي، تاريخ، I، 165؛ وهب، ن.م، ص 316؛ نشوان، ن.م، 151.

4 - الطبري، تاريخ، II، 114.

5 - اليعقوبي، تاريخ، I، 200.

6 - ن.م، ص 177، وفيها يعرّف لفظ «أسوار» على أنّه يعني قائدا عسـكريّا. أمّا بالنّسبة إلى العِصَامي الصنعاني فإنّه يعني أميرا مرموقا.

7 - الطبري، تاريخ، II، 144.

8 - الدينَوري، ن.م، ص 64.

9 - الجاحظ، رسائل، I، 409.

أمّا المسعوديّ فإنّه يثبت روايتين مختلفتين، فيذكر في الأولى[1] أنّ «أبناء صنعاء» هم الذين رافقوا إلى اليمن رجلا يُدعى خُرْزَاد بن نَرْسي بن جَمَاسِب، شقيق قُبَاذ الأوّل ابن الملك فيروز. وقد أسند إليه أنو شروان لقب وَهرِز وقتَ إرساله إلى اليمن مع سيف. وأيّد ابن حزم[2] هذه الرّواية ملاحظا أنّنا نجد من بين ذرّيّة جَماسِب شقيق قُبَاذ وَهرز وبَاذان وشَهْر ودَاذَوَيْه وفيروز بن الدّيْلميّ. كذلك فعل حمزة الأصفهانيّ مبيّنا في مقدّمة كتابه أنّ المعلومات المتعلّقة بالفرس جمعها كتاب **خَدَاي نامة** (تاريخ ملوك فارس) وأنّه لمّا التقى بمراغة المؤلّفَ اليمنيّ الهَمْدانيّ، ضبط معه التّسلسل التّاريخيّ للملوك الأشغانيّين والسّاسانيّين[3] وهم ملوك الجيلين الثّالث والرّابع. ذكر حمزة أنّ السّجناء الثّمانمائة وتسعة الذين أرسلهم كسرى الأوّل إلى اليمن كانوا من سلالة بَهَافَرِيدُون بن ساسان بن بَهْرام بن اسْفَنْدَيار وأنّه كان يحمل اسم خُرْزاد بن نَرْسي[4].

ويضيف المسعوديّ في **كتاب التّنبيه** أنّ وَهْرِز كان يلقّب بالدّيلميّ[5] ليس نسبةً إلى الدّيْلم التي كان ينتسب إليها فعلا، بل إلى وظيفة «مَرْزُبان الدَّيلم» التي كان يَشغلها في عهد كسرى الأوّل.

ويزعم المسعوديّ[6] في كتابه التّاريخيّ **مروج الذّهب** أنّ وَهْرز كان يشغل وظيفة اسْبَهْبذ الديّلم، وهي إحدى أكبر ولايات الامبراطوريّة السّاسانيّة.

ويجدر أن نوضّح كلّ هذه النّقاط.

وأوّل ما نلاحظه أنّ وَهْرِز ليس اسم عَلَم بل اسم «مرتبة من مراتب كبار النّاس»[7] بفارس تغلّب على الاسم الحقيقيّ لصانع افتكاك اليمن من الأحباش. كان اسمه الحقيقيّ خُرْزاد بن نَرْسي بن جَمَاسَب. وَجَمَاسَب هذا يُحتمل أنّه جدّه وهو شقيق الملك قُباذ الأوّل، ابن فيروز. ومن المفيد أنّ نذكر أن قُباذ أو كُوَاذ الأوّل خَلَفَ أباه فيروز سنة 488 وحكم إلى سنة 531، واعتنق المزدكيّة سنة 488، وخُلع وسُجِن وعوّضه أخوه جَماسَب الذي خُلِع بدوره بعد فترة قصيرة من الحكم سنة 498- 499،

1 - المسعودي، التنبيه، 226.

2 - ابن حزم، جمهرة، ن.م، ص 511-512.

3 - حمزة، ن.م، ص 17.

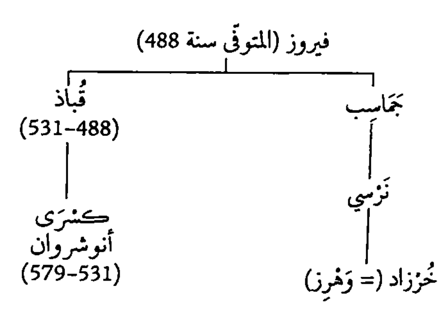
4 - ن.م، ص 59.

5 - المسعودي، التنبيه، ص 226.

6 - المسعودي، مروج، 203.

7 - حمزة، ن.م، ص 139.

وعفا عنه الملك الشّرعيّ قُباذ الذي استرجع عَرْشه منذ فترة قصيرة[1]. وإذا صدّقنا رواية المسعوديّ هذه التي أكّدها ابن حزم والاصفهانيّ فإنّ وَهْرِز، واسمه الحقيقيّ خُرْزاد بن نَرْسِي، قد يكون حفيد الملك جَمَاسِب، ابن نَرْسي وابن عم الشّاه الحاكم كسرى الأوّل من الدّرجة الثّانية (ابن قُباذ الأوّل).



عموما، يستنج من المصادر العربيّة[2] أنّ وَهْـرِز- وإن كان عمره يبدو مبالغا فيه- يُرجّح أنّه سليل الأسرة السّاسانيّة المالكة بصفة غير مباشرة. ولا شكّ في أنّ هذا الأصل الملكيّ لم يكن غريبا حسب الدّينَوَريّ عن حَبْسه من قِبل كسرى الأوّل أحد أبناء عمومته الأبعدين. ومن ناحية أخرى فإنّ اللّقب التّشريفيّ الذي أسنده كسرى الأوّل إلى وَهْرِز كان، حسب حمزة الإصفهانيّ[3]، أحد الألقاب الكثيرة التي كان الملك السّاسانيّ يُغدقها على كبار وجهاء امبراطوريّته. ولاحظ كريستنسن أنّ وَهرز أُسند إليه أيضا لقب «هَازَرْمَرْد»، ويعني «قائد الألف»، وكان يُسنَد إلى أشهر القوّاد العسكريّين الفرس[4]. إذن فإنّه من المحتمل بل من الثّابت أنّ ما أشار إليه الطّبريّ[5] من أنّ كسرى كان يعتبر وَهْرِز في مقام «الألف أسوار» أو القوّاد العسكريّين، يطابق معنى اللّقب «هَزارْمَرد» الّذي ضبطه كريستنسن. كذلك رقم ألف شخص الذي اقترحه المرْغَنّي[6] تقديرا لعدد الجنود الذين وُضعوا تحت إمْرة وَهْرِز حين أرسل إلى اليمن، يمكن أيضا تقريبه من معنى «هَزَارْمَرْد».

1 - Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*, Copenhague, 1936 وقد اطّلعنا على التّرجمة العربيّة، القاهرة، 1957، ص. 394.

2 - انظر بالخصوص: الدِينَوَري، ن.م، ص 64.

3 - كريستنسن، ن.م، 394؛ حمزة، ن.م، I، 139.

4 - ن.م، ص 394.

5 - الطبري، تاريخ، II، 144.

6 - المرغني، ن.م، ص 614.

ومن ناحية أخرى، ليس من المستبعد أنّ هذا القائد المدعو وَهْرِز شغل، قبل أن يسجن بسبب جُرْم ما له علاقة دون شكّ بأصوله المَلَكيّة، وظيفةَ رئيس لإقليم الدّيلم (اسبَهْبَذ)، وهي وظيفة في منتهى الأهمّيّة. ولنذكّر بهذا الصّدد أنّ الامبراطوريّة السّاسانيّة كانت مُقسّمة إلى أقاليم يسيّرها مَرَازِبة يُختارون عادة من بين كبار النّبلاء ويُوضَعون تحت سلطة الحاكم مباشرة[1]. ووزّع كسرى الأوّل في نطاق إصلاحاته العسكريّة والجبائيّة، وظيفة «الإرَنْبَهْبَذْ» (Eranpahbadh) على أربع قواد كبار يُسَيِّرُ كلّ منهم شؤون رُبُع مساحة الامبراطوريّة بمساعدة «مَرْزبان»[2].

هذه الأقاليم الأربعة المُكوّنة للامبراطوريّة الفارسيّة والتي يُسيّر كلاّ منها – حسب اليعقوبيّ[3]- إسْبَهْبذ، هي خراسان في الشّرق وأَذَرْبَيْجان في الشّمال، وفارس والأهواز في الجنوب، والعراق أو مَغرب في الغرب. وقد يكون وَهْرِز سيّر في عهد كسرى الأوّل الإقليم الثّاني المكوّن من كُوَرِ الجَبل، ومنه اشتُقّت نسبته «الدّيْلميّ» نسبةً إلى الدّيلم[4]. ولاحظ المسعوديّ[5] في حديثه عن التّنظيم الإداريّ وتنظيم البلاد في الامبراطوريّة الفارسيّة، أنّ خاصّة الحاكم السّاسانيّ تتكوّن من ثلاثة أصناف متراتبة تراتبا جيّدا: الأوّل يتكوّن من «الأساورة» وأبناء الملوك، والثّاني من قوّاد «المرازبة» وهم ملوك الكُوَر، و«الاسْبَهْبَذيّة». أمّا الصّنف الثّالث فهو الأدنى ويضمّ المهرّجين والأشخاص المكلّفين بتسلية الامبراطور والتّرفيه عنه. وقد يكون وَهْرِز منتميا إلى الصّنف الثّاني أي الاسْبَهْبَذِيّة التي يشير إليها حمزة الاصفهانيّ. ونضيف إلى هذا ملاحظة الطّبريّ ومُفادُها أنّ وظيفة «اسْبَهْبَذيّة» بمعنى قيادة الجند كانت قبل عهد كسرى الأوّل تحت رقابة رجل واحد[6] ثم قسّمها أنو شروان في نطاق إصلاحاته، إلى أربعة «اسبَهبَذيّين»: «المشرق» أو اسْبَهْبذ الشّرق وهو يطابق إقليم خراسان وما يتبعه، واسبَهبَذ «المَغرب» أو العراق، وأَذَرْبَيْجان وملحقاته، وأخيرا ما يسمّيه «النّيمَروز» أو اليمن. عموما، هذا التّقسيم التّرابيّ على أساس عسكريّ كما ذكره الطّبريّ، يختلف قليلا عن التّقسيم السّابق الذي ذكره كلّ من اليعقوبيّ والمسعوديّ بما أنّه يجعل اليمن أحد «الاسْبَهْبَذين» الأربعة مثلها مثل فارس والأهواز. ووظيفة اسبهبذ

---

1 - A. Ducellier, B. Martin, *Le Proche Orient médiéval*, Paris, 1968, p.26.

2 - ن.م، ص 36.

3 - اليعقوبي، تاريخ، I، 176-177.

4 - *E.I., II*, p. 196 (art. Daylam par Minorsky)

5 - المسعودي، مروج، I، 286-287.

6 - الطبري، تاريخ، II، 99.

نفسها – وهو لفظ يعني في نظر اليعقوبيّ[1] الرّئيس- كانت تتمثّل في نصح الحاكم. و«الاسْبَهْبَذيّون» الأربعة الذين يساعدهم أربعة مرازبة مؤهّلين لخلافتهم، كان من واجبهم القيام بهذا الدّور، كلّ منهم في ربع الامبراطوريّة الذي جُعل تحت مسؤوليته.

عموما، فائدة هذه الإشارات التي ذكرها المسعوديّ وأكّدها حمزة الأصفهانيّ، في أنّها تلفت انتباهنا إلى أهمّيّة المهمّة التي كلّف بها كسرى الأوّل سنة 575-576 وَهْرِز قصد افتكاك اليمن من الأحباش. وإنّ الأحداث التي جدّت باليمن في نهاية القرن السّادس الميلاديّ والتي سنعود إليها ستثبت ذلك بوضوح جليّ.

5 - دور سيف بن ذي يزن في غزو اليمن وطرد الأثيوبيّين

بعد أن تُوّج سيف ملكا على اليمن بموافقة السّاسانيّين، اختار الإقامة في قصر غُمْدان بصنعاء. وبصفته حاكما جديدا، استقبل بمناسبة طرد الأثيوبيّين من اليمن وفودا عديدة جاءت لتقديم التّهاني[2] إليه باسم قبائلها. وتذكر المصادر[3] ممثّلين بالخصوص عن بني سعد وقبائل شهاب وخَوْلان وثقِيف وهوازن (نصر وجُشَام) وسعد بن بكر وعَدْوان وفهم وغَطَفان وتميم وأسد وقضاعة والأزد وبالطّبع قريش. ونذكر من بين وجهاء مكّة ضمن الوفد القرشيّ عبد المُطّلب جدّ الرّسول محمّد وسيّد بني هاشم، وأميّة بن عبد شمس بن عبد مناف من بني أميّة، وخُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَي وكذلك أبا زمعة البَلَوِيّ[4].

ومن ناحية أخرى يصف المسعوديّ وأخباريّون عرب آخرون البلاط اليمنيّ مركّزين خاصة على صورة سيف حاملا التّاج على رأسه، ومتقلّدا سيفا، ولابسا ثوبا من الحرير، تفوح منه رائحة المسك والعنبر، ويحفّ بعرشه الملوك وأبناء الملوك وأبناء المقاويل اليمنيّين (أو الأعيان)، في الوقت الذي كان فيه الخطباء ورؤساء الوفود والشّعراء يلقون الخطب والأشعار في حضرته احتفاء بمجده ومدحا لفضائله بصفته محرّرا لليمن من نَيْر الأحباش[5]، ويُروى أنّ جميع المدعوّين استقبلوا بحفاوة بالغة وأنّ سيفا جازاهم بسخاء كبير إذ منح لكلّ ممثّل قبليّ ما لا يقلّ عن عشرة عبيد ذكور،

---

1 - اليعقوبي، تاريخ، I، 177.

2 - وهب، ن.م، 318؛ نشوان، ن.م، 152- 155؛ المسعودي، مروج، II، 206-207.

3 - الهمْداني، الإكليل، II، 345؛ الأزرقي، ن.م، 149؛ الأغاني، XVII، 231-235؛ العقد الفريد، II، 23 وما بعدها.

4 - المسعودي، مروج، II، 206؛ الأغاني،XVII، 231؛ العقد الفريد، II، 24؛ الدياربكري، ن.م، I، 240.

5 - المسعودي، مروج، II، 206-207، نشوان، ن.م، 152-153؛ البَيْهَقِي، ن.م، I، 255؛ الأزرقي، ن.م، 150؛ الأغاني، XVII، 231؛ العقد الفريد، II، 24؛ الدياربكري، I، 240.

وعشر نساء سوداوات، ومائة بعير، وكسوتين شرفيّتين، ومن خمسة إلى عشرة أرطال من الذّهب، وعشرة أرطال من الفضّة وآنية مملوءة بالعنبر[1]. وعبد المطّلب هو الوحيد الذي نال هديّة قيمتها عشرة أضعاف وكان محلّ حفاوة خاصّة من قِبل الحاكم اليمنيّ. ويطيب للمصادر العربيّة واليمنيّة إبراز المقابلة الخاصّة بسيّد بني هاشم، وهي التي بشّره فيها سيف بميلاد طفل في أسرة (بني هاشم) وقبيلته (قريش) ومدينته (مكّة)، طفل ينتظره مصير عظيم[2]. ويبدو أنّ سيفا أوْصى ضيفه المكّيّ به خيرا ونصحه بأن يحميه من اليهود والقرشيّين.

ولا شكّ في أنّ الأمر يتعلّق بحكاية لها ملامح الأسطورة، انتحلها الأخباريّون اليمنيّون في القرن الثّاني/الثّامن قَصْد إبراز الدّور الأساسيّ والمبكّر الذي لعبه اليمنيّون في نشأة الإسلام في عصر فَقَدَ فيه بَلَدهم القديم وتحوّل فيه المشعل في المجالين السّياسيّ والاقتصاديّ على حدّ سواء إلى جهة الحجاز بقطبيها الرّئيسيّين يثرب ومكّة[3] وحتّى غيرهما.

والحقّ أنّ إرسال وفود إلى اليمن ليس بالضّرورة حدثا من ابتداع الرّواة العرب. فقد لاحظنا سابقا أنّ علم النّقائش في جنوب الجزيرة العربيّة أكّد وجود مثل هذه الوقائع الديبلوماسيّة في القرن السّادس وخاصّة نقيشة C.I.H المتعلّقة بإصلاح سدّ مأرب[4] من قِبل أبرهة، وهي نقيشة ذكرت بنفس المناسبة وصول عدّة سفارات أجنبيّة إلى مأرب. وألحّ ابن عبد ربّه كثيرا على حضور عدّة وفود عربيّة وهنديّة وحتى صينيّة[5] في البلاط السّاسانيّ. ولا ننسى أيضا انتظام العلاقات التّجاريّة والدّيبلوماسيّة في القرن السّادس بين اليمن وجيرانها وخاصّة منها مكّة. ألم يرْو المجلسيّ عن الواقديّ[6]، أنّ سيف بن ذي يزن أرسل أحد أبنائه، قد يكون اسمه عامرا[7]، لتمثيله في مكّة؟ ويبرز هذا الحدث بالخصوص تمثل الأخباريّ المدينيّ الواقديّ (المتوفّى سنة 207/ 822)، مؤلّف

1 - الأزرقي، ن.م، 153؛ البَيْهقي، ن.م، 359-360؛ الكلاعي، I، 246؛ الدياربكري، I، 241؛ **الأغاني**، XVII 234؛ **العقد الفريد**، II، 28.

2 - وهب، ن.م، 319-320؛ نشوان، I، 243-246؛ **الأغاني**، XVII، 233-234؛ الأزرقي، ن.م، 152-154؛ الكلاعي، I، 243-246؛ **الأغاني**، XVII، 233-234؛ **العقد الفريد**، II25-26، الدياربكري، I، 241.

3 - جواد علي، ن.م، III، 489-491.

4 - ن.م.

5 - **العقد الفريد**، IV، ص 4 وما بعدها.

6 - Kister, *Sources reports.., op. cit.*, p. 71.

7 - الهمداني، **الإكليل**، II، 243.

عديد الكتب الضّائعة أحدها بعنوان عام **الحَبَشة والفيل**، لميزان القوى الذي كان في ذلك العصر لصالح اليمن. عموما بقي اسم سيف بن ذي يزن مرتبطا رأسا بنهاية الحضور الأثيوبيّ باليمن[1]. وبالتّالي، فليس من باب الصّدفة أن صَنَعت له الأسطورة الشّعبيّة سلسلة حقيقيّة من القصص البطوليّة بنجاحاته العسكريّة وقدراته الحربيّة في كفاحه المسلّح ضدّ الأحباش[2] في نهاية القرن السّادس. وتذكّر هذه السلسلة بدون شكّ بالسّلسلة التي اختلقت للشّاعر الجاهليّ الأسود عنترة بن شداد وكذلك بما ألّف لتمجيد صلاح الدّين الأيّوبيّ وأبي زيد الهلاليّ والظّاهر بيبرس، إلاّ أنّه من الثّابت أنّ سيفا ليس مجرّد شخصيّة أسطوريّة بل وُجد فعلا ملكا لليمن وإن كانت المصادر العربيّة غير متّفقة على مدّة حكمه إذ ينصّ ابن الأثير[3] على خمس عشرة سنة في حين يذكر المسعوديّ أربعة أعوام فقط[4]. ونحن نعلم أيضا أنّ سيفا سخّر نفسه طيلة مدّة حكمه غير المعروفة جيّدا، لإزالة كلّ أثر للحضور الأثيوبيّ في مملكته، غير متردّد حتى في قتل النّساء اليمنيّات الحاملات من أزواجهنّ الأحباش[5]. ونعلم أيضا أنّ سيفا، حسب وهب بن منبّه وابن قتيبة كان بقي على صلة بكسرى الأوّل، يعلمه بانتظام عن طريق المراسلة بنشاطه مطبّقا حرفيّا أوامره إلى وفاته التي يُقال إنّها حدثت فجأة أثناء عمليّة قنص. ولكن يبدو حسب ابن اسحاق[6] أنّ الحاكم اليمنيّ كان ضحيّة أفراد من الأحباش استعبدهم في خدمته كَرُماة[7]. فوقعت مملكة اليمن من جديد إثر هذا الاغتيال تحت سيطرة أثيوبيّ سفّاك للدّماء قبل أن يقرّر الأمبراطور الإيرانيّ إرسال قائده وَهْرِز للمرّة الثّانية في ظرف سنوات قليلة على رأس جيش متكوّن من أربعة آلاف شخص لاسترجاع اليمن وقَطْع دابر كلّ أثر للأحباش. وخلافا لرواية ابن اسحاق، يؤكّد وهب وابن قتيبة[8] أنّ سيفا قُتل لأنّه استعْبَد الأحباش واتّخذهم

1 - ث. منقوش، سيف...، ن. م، I. وهو تحليل ماركسيّ للاحتلال الأثيوبيّ لليمن ولدور سيف في تحرير بلاده. ويرى المؤلّف أنّ الحركة التي تزعّمها ابن ذي يزن، ليست حركة عنصريّة مناهضة للسّود وللأثيوبيّين، ولا حركة دينيّة مناهضة للمسيحيّة، بل هي حركة قبليّة وشعبيّة في الوقت نفسه، ذات منزع وطنيّ وقوميّ، (ص 62 وما بعدها)

2 - انظر بخصوص أسطورة سيف: ف. خورسي، سيف بن ذي يزن، القاهرة، 1967.

3 - ابن الأثير، الكامل، I، 450.

4 - المسعودي، مروج، II، 208.

5 - الطّبريّ، تاريخ، II، 148.

6 - ن.م، ص 148.

7 - وهب، ن.م، ص 317؛ ابن قتيبة، ن.م، ص 278.

8 - ن.م.

لخدمتـه، وأنّ القتلـة أُلْقِي القبض عليهم وقُتلوا، وأنّ البلاد دخلت في فوضى سياسـيّة عارمة تذكّر بملوك الطّوائف بسبب ظهور أسياد محلّيين من سلالة حِمْير[1]. ويلاحظ المسـعوديّ[2] أنّ الاغتيال وقع في رَحْبة صنعاء بعد أن غادر سـيف قصره بغُمْدان، وإثر ذلك سَيَّرَ المملكةَ اليمنيّـة مؤقّتا، «خليفة» لوَهْرِز كان نصّبـه مع عناصر إيرانيّة أخرى في بلاط سيف. وتكفّل هذا «الخليفة» بقتل الأثيوبيّين الموجودين في المملكة وإخماد الفتن في البلاد في انتظار وصول وَهْرِز على رأس جيش يتكوّن من أربعة آلاف جنديّ[3] لتسيير شؤون البلاد.

إلى أي حدّ يمكن قبول هذه الرّواية للأحداث المتعلّقة باغتيال سـيف؟ وكيف يمكن وصف وَضع اليمن السّياسيّ غداة هذا الحادث؟

يندرج اغتيال سيف في نظرنا، حسب هذه الصّورة التي قدّمته بها الرّواية العربيّة في نطاق «سـيناريو» اختلقه في القرن السّابع الرّواة اليمنيّو الأصل (وهب وابن الكلبيّ وغيرهما) لإبراز دوره الحاسم في مكافحة الأثيوبيّين وإظهاره في صورة الضّحية البريئة لمؤامـرة دبّرهـا أعداؤه. إلاّ أنّ قراءة أكثر تمعّنا في روايتي ابن اسـحاق والمسـعوديّ[4] تسـمح لنا بالشّكّ في صحّة هذا «السّيناريو» وفي واقعيّة الدّوافع التي أفضت إلى قتل سيف. وأسباب هذا الشّكّ عديدة: قبل كل شيء ينبغي أن نلاحظ أنّ الأثيوبيّين لم تقع تصفيتهم تصفية تامّة بعد انتصار وَهْرِز على مسروق؛ هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الفرس، باسـتثناء القائد وبعض الضبّاط الذين عادوا إلى بلاط طيسـفون، بقوا في اليمن وتحديدا في صنعاء. لذا نعتبر إشارة المسعوديّ[5] إلى بقاء خليفة على رأس مجموعة مـن الفرس لدى الحاكم اليمـنيّ مَعْدِي كَرِب، معقولة. ويمكن أن نفهم من هذه الجزئيّـة أنّ سـيفا الذي تُوِّج ملكا على اليمن كان يتمتّـع بالمُلْك ولكنّه لم يكن يمارس الحكم، ومن ناحية أخرى فإنّ علامات عديدة تؤكّد أنّ سيفا كان في وضع تبعيّة سياسـيّة لكسرى الأوّل ولفارس عموما. ونذكر خاصّة دفع الجزية والخراج، وتنفيذ التّعليمات والتّراسل المنتظم مع طيسفون وغيرها.

---

1 - ن.م.

2 - المسعودي، مروج، II، 208-210.

3 - ن.م، ص210.

4 - الطبري، تاريخ، II، 148.

5 - المسعودي، مروج، II، 210.

وأكّد حمزة الأصفهانيّ أنّ سيفا كان ملك اليمن في نفس الوقت الذي كان فيه وَهْرِز يعلو شأنه في تلك الظّروف[1].

ولكن كيف نفسّر مقتل سيف ومن كان «المنظّم» الحقيقيّ لهذا الاغتيال؟

ترى ث. منقوش[2] أنّ الفُرس المنتصرين على الأحباش لم يقبلوا بسهولة المكانة التي اكتسبها سيف بعد تتويجه حاكما جديدا لليمن، وأنّهم أرادوا وضع حدّ له بواسطة الأحباش حتى يزيلوا منافسا خطيرا ويجْنُوا ثمرة جهودهم الشّخصيّة. وقد بيّنت بوضوح عودة وَهْرز إلى اليمن على رأس فيلق يضمّ أربعة آلاف جنديّ فارسيّ وأنّ غايتهم تحقّقت، وأنّ اليمن بعد فترة حكم قصيرة لسيف، وقع تحت نفوذ طيسفون المباشر لمدّة طويلة دامت أكثر من نصف قرن بقليل. وليس من باب الصّدفة أن عمد الجاحظ[3] إلى تغييب دور سيف واعتباره وَهْرز هازم الجيوش الأثيوبيّة التي وُضعت تحت قيادة مسروق، المؤتمَنَ الحقيقيّ على السّلطة السّياسيّة في اليمن باسم سيّده كسرى الأوّل. وتنطبق الملاحظة نفسها على الطّبريّ[4] الذي يلحّ كثيرا في روايته المخصّصة لفترة حكم كسرى أنوشروان على نشاطه العسكريّ والجبائيّ. فذكر أوّلا إرسال جيش فارسيّ إلى اليمن هزم الأثيوبيّين وأخضع البلاد إلى سلطته. ثم أشار إلى بعثة عسكريّة أخرى إلى سيلان (جزيرة سرنديب) استوْلت على الجزيرة وألحقتها بالامبراطوريّة السّاسانيّة وعادت منها إلى فارس بغنائم هامّة.

فمن المرجّح أنّ حكم سيف هو أبعد ما يكون عن كوْنه حدثا أسطوريّا بل هو مجرّد فترة قصيرة بين مدّتين طويلتين من الاحتلال الأجنبيّ لليمن، الأولى هي الاحتلال الحبشيّ (حوالي 525-575) والثّانية هي الاحتلال الفارسيّ (حوالي 578- إلى 628-630). هذان الاحتلالان الأجنبيّان للمملكة الحِمْيريّة في ظرف قرن واحد، يعكسان دون شكّ، أفولا لقوّة الجزيرة العربيّة بدأ منذ مدّة طويلة، كما يدلاّن على ضعف بيّن جدّا مقارنة بالدّول اليمنيّة العظيمة التي سادت في العصور القديمة. وقد تحدّث مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson)[5] عمّا ارتبط بذلك من دعم

---

1 - حمزة، ن.م، ص 136.

2 - ث. منقوش، ن.م.

3 - الجاحظ، تاريخ، II، 409.

4 - الطبري، تاريخ، II، 153؛ ابن خلدون، تاريخ، II، 65.

5 - م. رودنسون، ن.م، ص 56.

لإقطاع صغار الأسياد كالأذواء والمقاويل والأقيال، أكّدته على أحسن ما يُرام عبارة «ملوك الطّوائف»[1] التي تعود باستمرار على لسان بعض الأخباريّين العرب.

6 - اليمن في عهد وَهْرِز وأخلافه (حوالي 578-579/ حوالي 628-630)

صارت البلاد بعد مقتل سيف وعودة وَهْرِز بأمر من كسرى لاسترجاع السّيطرة على أوضاع اليمن، إقليما فارسيّا أو سطربة يدير شؤونه مرزبان باسم الامبراطور السّاسانيّ. فقد استقرّ وَهْرِز في صنعاء[2] وكُلّف خاصّة بجباية الجزية والخراج وإرسال المحصول إلى طيسفون. وذكر ابن الكلبيّ حَمُولةً أُرسلت من اليمن تحوي منتوجات محلّية أهمّها تحف من الفضّة والألماس[3]. وكانت محمولة على ظهور الإبل، ويروى أنّ بني تميم سَطَوْا عليها في مناطق بني يَرْبوع ببادرة من سيّد القبيلة صعصعة بن ناجية بن عِقال المُشاجعيّ. وذكرت مصادر أخرى[4] أنّ نهب القافلة الفارسيّة حدث في نجد في عهد كسرى الثّاني وعامله على اليمن باذان، فتسبّب في مواجهة بين العرب والفرس خلّدتها المصادر العربيّة في أدب «أيّام العرب» باسم «يوم الصّفقة»[5]. فلنتوقّف لحظة للتأمّل في هذه الحلقة التي تمثّل إلى جانب «يوم ذي قار» المناسبتين اللّتين وقعت فيهما المواجهة العسكريّة المباشرة بين الفرس والعرب قبل الإسلام[6]. فبعد نهب القافلة من قِبل بني

---

1 - وهب، ن.م، 317؛ ابن قتيبة، ن.م، ص 278؛ جواد علي، ن.م، II، 521 وما بعدها؛ يبيّن حمزة (ن.م، I، 129) أنّ الطّوائف اليمنيّة، كانت تسمّى، على غرار الطّوائف الفارسيّة، «أقيالا» أو «أذْوَاءَ».

2 - الطبري، تاريخ، II، 148، المسعودي، II، 210، ابن الأثير، الكامل، I، 450.

3 - الطبري، تاريخ، II، 169.

4 - ابن دريد، ن.م، 226؛ ابن الأثير، الكامل، I، 620-621؛ يتكلّم حمزة (ن.م، I، 143). عن قافلة أرسلها باذان إلى كسرى II.

5 - الأغاني، XVII، 238- 240؛ العقد الفريد، V، 224، ياقوت، معجم البلدان، ن.م، V، 368-369 وVIII، ص 296 (طبعة القاهرة)؛ ابن الأثير، الكامل، I، 612- 622؛ انظر أيضا الميْدانيّ، مجمع الأمثال، مجلّدان.

6 - انظر بخصوص أيّام العرب: أ. ف. إبراهيم، ن.م، ص 2. 5 (يوم الصفقة)، وص 6. وما بعدها (يوم ذي قار). ابن الأثير، (الكامل، I، 62)، يجعل يوم الصّفقة بين 610 و622، في الوقت الذي كان فيه محمّد(ص) لا يزال في مكّة. أنظر أيضا: ابن خلدون (ن.م، II، 65)، وهو يذكر أنّه كانت توجد بين اليمن وطيسفون في عهد وهْرز علاقات تجاريّة منتظمة بواسطة القوافل.وكانت هذه القوافل تسير إمّا في طريق الحجاز، محمّلةً بالعطور وبضائع أخرى مختلفة، أو في طريق البحرين. وتسبب اعتراض بني تميم لقافلة البحرين التي كان يخفرها قيسي في «يوم الصّفقة» (من فعل صَفَقَ أي أغلق)، وذلك في حصن المشـقّر، وقد قتّل فيه المُكَعْبِر والي البحرين السّاساني، التّميميّين. وفي المقابل نَهَب بنو كنانة قافلة الحجاز التي بعثها (كما جاء في العقد الفريد، V، 253) حاكم الحِيرة اللّخميّ إلى سوق عكاظ يخفرها شريف من هوازن يُدعى عُرْوة. وقد تسبّب هذا الحادث في حرب الفِجار بين قيس وكنانة. وقد جدّ هذا الحادث الثّاني، حسب حمزة (ن.م، I، 145) في الوقت الذي كانت فيه سنّ محمّد إمّا أربعة عشر عاما (571+14= 585) أي في عهد هُرْمِزْد IV، أو عشرين سنة (571+20= 591)، أي في عهد كسرى II (590- 628).

تميـم، التجأ أصحابها، فيما يقول ابن الكلبيّ[1]، عند السّـيّد الحنفيّ هَوْدة بن عليّ[2] الذي يقدّمه لنا الأخباريّ ابن الأثير[3] على أنّه عربيّ مسيحيّ في خدمة الفرس وخاصّة فيما يتعلّق بخفـر قوافلهم التّجاريّة التي تعبر منطقته في اتّجاه اليمن، وحمايتها. وكان هَوْدة يزوّدهم بالملابس والموادّ الغذائيّة قبل أن يصطحبهم إلى البلاط السّاسانيّ[4] حيث يَهَبُه الامبراطور لشـكره تُحفا ثمينة ويضع على رأسـه تاجا. ومـن هنا جاءت تسـميته «ذو التّاج»[5]. ثم أَرْسـل السّـيّد الحنفيّ إلى عامله في البحرين الـذي تلقّبه المصادر العربيّـة «المُكَعْبِر»[6] ليشـاركه في العقاب الذي عزم على تسليطه على بني تميم لنهبهم قافلَتَه. وتعوّد بنو تميم على ارتياد سـوق هَجَر للتزوّد بالموادّ الغذائيّة، فنصب لهم المكعبِر كمينا واستمالهم إلى قصر المُشَـقِر. وباستثناء مائة تميميّ سـلّمهم المكعبِر إلى هَوْدة حتى يفكّ أسرَهم[7]، فإنّ بقيّة الأسرى قُتلوا جميعا وأُرسِلَ أطفالهم بحرا إلى فارس حيث تمّ إخصاؤهم[8].

وتـدلّ حلقـة الصّفقة في المصادر العربيّـة الأخرى[9] التي روتهـا بصفة مختلفة، على انتظـام العلاقات التجاريّة بين اليمن وفارس في نهاية القرن السّـادس، كما تدلّ على

1 - الطبري، تاريخ، II، 169.

2 - انظر بخصوص هَوْذة الحَفي، ابن حزم، جَمْهرة، ص 310؛ العقد الفريد، II، 244، ابن هشام، ن. م، II، 971؛ الدياربكري، ن.م، II، 289-290.

3 - ابن الأثير، الكامل، I، 621.

4 - الطبري، تاريخ، II، 169.

5 - العقد الفريد، II، 224.

6 - هو في نظر الطّبريّ (تاريخ، II، 169)، أزاد فيروز بن جُشَيش، الملّقب بالمُكَعْبِر لأنه تعوّد قطع أيدي أعدائه وأرجلهم. ويسمّيه صاحب الأغاني (XVII، 240) جَوَر يُدَن من رجال أرْدَشير خُرَّه.

7 - الطبري، تاريخ، II، 171.

8 - ن.م، 169- 170.

9 - انظـر الميْدانـيّ، مَجمع، ن.م؛ الأغاني، XVII، 238. كانت القافلة التي بعثهـا الحاكم الفارسيّ إلى باذان، عامله في اليمن، تحمل خشـبا لصنع الأقواس والنّبال، حسـب أبي الفرج، عن رواية لابن الكلبيّ. وقد انطلقت من طيسـفون في حماية فرسـان من الفرس، وتكفّل بها في الحِيرة النّعمان، الذي أوْدعها إلى عناصر من بني ربيعة ومُضر لخَفَرها إلى اليمامة. وفي هذا المؤضع كان هَوْده مُكلّفا بإخراجها من أراضي بني حنيفة ليتولّى السّعديّون مـن تميم تسـليمها في اليمـن إلى باذان مقابل أُجْـرة معلومة. ذلك هو مَسـار هذه القافلـة؛ إلاّ أنّ هَوْدَة فضّل الاسـتحواذ على الأجـرة التي دُفِعت في وقتها العـاديّ إلى التّميميّين، وتكفّل بخفر القافلة بنفسـه إلى وجهتها الأخيرة أي اليمن. ولكنّ بني تميم هاجموا هَوْدة في طريقه بين هَجر في البحرين واليمن، في موضع يُسـتمى نِطَع. فنُهبت القافلة، وقُتل من كان يخفرها من الفرسان الذين كان أغلبهم من الفرس، وأُسر هَوْده نفسه، ولم يطلق سراحه إلاّ مقابل فِدْية بثلاثمائة بعير دُفعت إلى بني سعْد. وإثر عملية السّطو هذه، قرّر كسرى تأديب التّميميّين. فـكان «يـوم الصّفقة». أما صاحب يوم الصّفقة (ص 24)، فإنّه يـرى أنّ تلك القافلة كانت بالأحرى تحمل

وضع التّحالفات التي كان الحكّام الفرس يعقدونها مع بعض القبائل البدويّة في الجزيرة العربيّة مثل بني حنيفة وسيّدهم هَوْدة. ويحسن لتأكيد هذا الأمر ذكر حدث آخر رواه ابن عبد ربّه[1] يتعلّق بإرسال ملك الحِيرة اللّخميّ إلى الامبراطور كسرى الثّاني عددا من الوفود القبليّة العربيّة[2] كتميم وبَكر وعامر وسُلَيم وزُبَيْد ومُرّة وغيرها، لإعلامه شخصيّا بميزات العرب وفضائلهم، ويُستنتج من هذه الرّواية المفصّلة عن المقابلة التي تمّت بين الحاكم الفارسيّ وتلك الوفود أنّه كانت توجد في القرن السّادس علاقات ديبلوماسيّة حقيقيّة في مستوى الوفود، وتجاريّة في مستوى القوافل وحتّى في مستوى الأفراد من التجّار[3]، بين فارس (كسرى الأوّل وكسرى الثّاني) وقبائل الجزيرة العربيّة (قريش) واليمن. ولا نَنسَ من جهة أخرى أنّه كانت للامبراطوريّة الفارسيّة مستعمرات حقيقيّة في الجزيرة العربيّة[4] نذكر منها عُمان واليمن الذي احتلّ حديثا، والحِيرة في عهد اللّخميّين، والبحرين وقد كانت تحت نفوذ المُكعْبر. أمّا حلفاؤهم في صلب القبائل البدويّة فإنّهم كانوا يحمون قوافلهم التّجاريّة المتنقّلة بين طيسفون واليمن. ويذكر حمزة الأصفهانيّ[5] من جهته أنّ الفرس كانوا استعمروا مناطق عربيّة كثيرة استعملوا لإدارتها ما لا يقلّ عن ستّة عَشرَ مرزبانا مثل سَخْت وسَنْدَد والهُمُرْز ونَكْهَن وروزَبه بن ساسان والمُكعْبِر ووَهْرِز.

أمّا الأديب الجاحظ، فقد ألّح في **رسالة البغال** على انتظام خَدَمات البريد الرّابط بين البلاط السّاسانيّ في طيسفون وأبعد المناطق عن الامبراطوريّة الفارسيّة وخاصّة منها اليمن منذ عهد وَهْرِز إلى عهد باذان[6].

ويَرْوي ابن الكلبيّ[7] - وأكّد الدِّينَوَريّ شهادته - أنّ وهرز طلب قُبيل وفاته قوسه ونِباله، وأمر أن يُحفر قبره في المكان الذي سيسقط فيه النّبل الذي سيصوّبه.

العنبر والمسك والماس وأنّها كانت تسير في الاتجاه المعاكس أي من اليمن إلى طيسفون. انظر ياقوت، **معجم**، V، 368-369 وVII، 296 (نطع). وكانت قوافل أخرى تسافر أيضا من طيسفون إلى اليمن محمّلة بالملابس والعطور والهدايا والتحف مُوجّهة إلى الوالي باذان (انظر **الأغاني**، VX، 134).

1 - **العقد الفريد**، II، ص 5 وما بعدها.

2 - ن.م، ص 9.

3 - ن.م، ص 21.

4 - انظر بخصوص المستعمرات الفارسيّة في الجزيرة العربيّة: جواد علي، ن.م، II، 647-650.

5 - حمزة، ن.م، I، ص 137 وما بعدها.

6 - الجاحظ، **رسائل**، II، 190.

7 - الطبري، **تاريخ**، II، 171.

وسقط النّبل وراء دَيْر يرجّح المؤلّف أنّه كنيسة نُعم، وكان يُسمّى في عصره مَقْبرة وَهْـرز[1]. إلاّ أنّ الجاحـظ[2] يؤكّـد أنّ وَهْرِز طلب من ابنه شِـيرّزاد أن ينقل تابوته إلى اسطخر، وهو ما قد يدلّ على أنّه دُفن في اليمن وأنّ نقل تابوته إلى فارس تمّ بعد ذلك بفـترة طويلة. غير أنّه يبدو أنّ وَهْرِز تُـوفّي في أواخر حكم كسرى الأوّل[3]، أي قبل سنة 579 وعوّضه على رأس اليمن «أُسْوَار» يُدْعى وَيْن أو زَيْن.

ونُعِت بأنّه ظالم وسـفّاح فعزله حاكم فارس الجديد هُرْمـزْد الثّاني (579- 590) وعيّن مكانَه شخصا يسمّيه ابن الكلبيّ «المَروَزان» الذي امتدّ حكمه في اليمن إلى عهـد كسرى الثّاني (590- 628)[4]. ونحن لا نعرف إلاّ القليل عن إدارة هذا المَرْزُبان باسـتثناء خبر يَتعلّق بما يمكن أن نسـمّيه «التّصرّف الماليّ»[5]. فابن الكلبيّ يروي أنّ متساكني قلعة في جبل المصانع الكائن شمال غربيّ صنعاء[6] دخلوا في مواجهة مفتوحة مع المرزبـان ورفضوا إعطاءه ما كان يطالب به من خراج. وكان التّطرّق إلى تلك القلعة التي كان يفصلها عن صخرة ملاصقة لها فضاء صغير صعبا، باسـتثناء جانب واحد كان يحرسه رجل. ومع ذلك قرّر المرزبان اقتحامه بجيشه لإخضاع المتمرّدين. فصعد إلى الصّخرة المجاورة وتوصّل إلى بلوغ المصانع بواسطة قفزة في منتهى الخطورة على فرسه بين المَضيق الفاصل بين شَعْفَتي الجِبل. وانبهر حِمْيريّو القلعة بجرأته وشجاعته واعترفـوا بهزيمتهم، وقُتل الكثير منهم، وأُسِر الباقي، وقُيّدوا وأُجْبروا على التّخلّي عن القلعة[7]. وإثر هذا أمر الحاكم الفارسيّ كسرى الثّاني واليه على اليمن أن يختار خليفة له وأن يعود إلى طيسـفون[8] ورغم أنّ هذا الحدث يبدو في شـكل طرْفة، فإنّه يوضّح أمريـن: أوّلا الأهمّيّة التـي كان يوليها الأباطرة السّاسـانيّون للضّرائب التي كانوا يوظّفونها على مسـتعمراتهم العربيّة كاليمن، والوسائل التي كان أعوانهم مستعدّين إلى اللّجوء إليها لاستخلاص تلك الضّرائب؛ ثانيا: الرّقابة الصّارمة المفروضة من قبل

1 - الدِينَوَرِي، ن. م، ص 64.

2 - الجاحظ، II، 409 (رسالة في الحنين إلى الأوطان).

3 - الطبري، تاريخ، II، 171.

4 - ن. م، ص 172.

5 - ن.م، ص 214؛ ابن الأثير، الكامل، I، 492.

6 - انظر بخصوص هذا الحصن. الهمداني، الإكليل، II، 22.

7 - الطبري، تاريخ، II، 214-215؛ ابن الأثير، الكامل II، 492.

8 - ن.م.

السّلطة المركزيّة الفارسيّة على التصرّف الجهويّ في الأقاليم ووجوب إعلام المرازبة حاكمَهم عن طريق المراسلة.

ويعلمنا ابن الكلبيّ[1] من ناحية أخرى، أنّه كان للمروزان ابنان: الأوّل مولود باليمن اسمه خُرَّ خُسْرُو، وكان يتكلّم العربيّة جيّدا ومُغرما بالشّعر. والثّاني قائد عسكريّ أو «أُسْوَار» كان، خلافا للأوّل، يتكلّم الفارسيّة وينتمي إلى صنف النّبلاء الصّغار أو «الدّهاقين». وعيّن المروزان قبل أن يلتحق بالبلاط السّاساني في طيسفون ابنه المفضّل خُرّ خُسْرو، لخلافته في اليمن[2]. إلاّ أنّ هذا الأخير سرعان ما عزله كسرى الثّاني وعوّضه بباذان[3]. وتُرْجِع هذه الرّواية عزل خُرَّه خُسْرو إلى تربيته وثقافته العربيّة.

ومهما كان الأمر، فإنّ باذان كان آخر ممثّل لفارس في اليمن[4]. فلنلخّص:

كان الولاة الفرس في اليمن، حسب ابن الكلبيّ[5]، ستّة:

-وَهْرِز الذي توفيّ قبل نهاية حكم كسرى الأوّل.

-أُسْوَار ويُدْعى وَيْن؛ عزله هُرْمِزْد الرّابع.

-المرْزُبان الذي سيّر شؤون اليمن إلى أن دعاه كسرى الثّاني إلى العودة إلى فارس.

-خُرَّه خُسْرُو، ابن المرزبان الذي عزله كسرى الثّاني.

-وأخيرا بَاذَان الذي كان آخر مَرْزبان في اليمن قبل ظهور الإسلام. وقد بايع محمّدا، على الأرجح سنة 628 واعتنق الإسلام وصار أوّل عامل مُسلم في صنعاء.

وتقترح رواية ابن اسحاق[6] التي نقلها كلّ من ابن هشام والدياربكري والكَلاَعيّ وابن خلدون[7] قائمة مختلفة من خمسة مَرازبة تكوّن عائلة مالكة حقيقيّة من سلالة وَهرِز:

---

1 – الطبري، تاريخ، II، 215.

2 – ن.م.

3 – ن.م.

4 – ن.م، II، 171-172.

5 – ابن الأثير، الكامل، I، 451.

6 – الطبري، تاريخ، II، 148.

7 – ابن هشام، ن.م، I، 46؛ الكلاعي، ن.م، I، 204؛ الدياربكري، ن.م، I، 193، ابن خلدون، II، 65.

-وَهْرِز إلى وفاته.

-ابن المَرْزُبان إلى وفاته أيضا

-البَيْنَجان (أو التَّيْنُجان)[1] بن المَرْزُبان.

-خُرَّه خُسْرو بن البَيْنجان وهو الذي عزله كسرى الثّاني.

-باذان الذي بقي باليمن إلى سنة 628.

أمّا المسعوديّ[2] فإنّه اقترح قائمة متكوّنة من ثمانية مَرَازِبَة هذه أسماؤهم:

-وَهْرِز إلى وفاته.

-ابنه النُّشَجان إلى وفاته.

-صُبْهَان (أو سَيْهان).

-خُرَّزاد، ودام حكمه ستّة أشهر.

-ابن صُبْهان.

-المَرْوَزان، وهو أصيل بيت مَلَكي.

-خُرَّه خُسْرو المولود باليمن.

-باذان بن ساسان وقد بقي إلى ظهور الإسلام.

ويذكر الدِّينَوريّ[3] والِيَـيْن فقط، الأوّل وهو وَهْرِز، والأخير، وهو بَاذان، في حين يكتفي ابن قتيبة[4] بذكر باذان وهو آخر مَرْزُبان يحكم باسم كسرى، مُحاطا بقائدَيْن فارسيّين هما فيروز ودَاذَوَيْه، وقد اعتنقوا جميعا الإسلام.

وتتضمّن قائمة حمزة الأصفهانيّ[5] ثمانية أسماء:

-وَهْرِز ويدعى خُرْزاد بن نَرْسي.

---

1 - ابن هشام، ن.م، I، 64.

2 - المسعودي، مروج، II، 64.

3 - الدينوري، ن.م، ص 64.

4 - ابن قتيبة، ن.م، ص 278.

5 - حمزة، ن.م، I، 139.

-وَلِسَجَان.

-خُرْزَدَان شَهْر.

-النُّشَجان.

-خُرَّه خُسْرُو.

-بَاذَان بن ساسان الجَرُون، ويُدْعى أيضا باذان بن مُهرَان ملك اليمن، زمن إعلان نُبوّة محمّد سنة 610.

-دَاذوَيْه بن هُرْمُز بن فَيْروز ابن شقيق باذان.

ونشير أخيرا إلى قائمة القَلْقَشَنْديّ[1]. فقد ذكر مؤلّف **صبح الأعشى** في نطاق الأُسَر المالكة العشر التي حكمت جهة «التّهائم» المقابلة لجهة «النُّجود»، الأسرة الخامسة المعروفة باسم أسرة «الفُرس» حسب التّرتيب التّالي:

-وَهْزَر (هو وَهْرِز).

-ابنه المَرْزُبان.

-خُود خُسْرو بن سَيْحان بن المرزبان المعزول.

-باذان الذي اعتنق الإسلام وثبّته الرّسول في منصبه إلى مماته.

كيف يمكن التّوفيق بين هذه القائمات التي تختلف من حيث عدد الولاة وكذلك من حيث أسماؤهم؟ إنّ هذا السّؤال جدير بأن يُطرح خاصّة أنّ حمزة الإصفهانيّ وابن الأثير[2] ألحّا كثيرا على غياب إجماع بين الأخباريّين العرب بخصوص هذا الموضوع بالذّات، إلى درجة أنّهما فضّلا عدم العودة إلى التّفاصيل.

وفيما يخصّنا نلاحظ أنّنا سجلنا اتّفاق جميع المصادر العربيّة حول اسمي واليَيْن على الأقلّ: الأوّل وَهْرِز والأخير باذان.

حكم وهرز اليمن بعد مقتل سيف وذلك إلى نهاية حكم كسرى الأوّل (531- 579) وقُبَيل وفاته. وإذا ما قبلنا رواية المسعوديّ[3] الذي يقدّر حكم سيف

---

1 - القَلْقَشَنْدِي، صُبح الأغشى، V، 25.

2 - حمزة، ن.م، I، 139؛ ابن الأثير، الكامل، I، 451.

3 - المسعودي، مروج، II، 208.

بأربعة أعوام (حوالي 575- حوالي 579). يحتمل أنّ وهرز لم يحكم اليمن إلاّ أشهرا قليلة إذ كانت وفاته قبل وفاة كسرى الأوّل (سنة 579). وفي المقابل، لو قبلنا معلومة الدّينَوَريّ[1] التي يوضح فيها أنّ وَهْرِز حكم اليمن طيلة خمس سنوات، فإننا إمّا أن نُدرج في هذه المدّة حكم سيف، وإمّا أن نعتبر أنّ حكم سيف كان فعلا قصيرا جدّا لا يتجاوز بضعة أشهر.

أمّا باذان فإنّه حكم إقليم اليمن في عهد كسرى الثّاني (590- 628)، على الأرجح ابتداء من سنة 610 كما يوعز بذلك حمزة الإصفهانيّ[2]، وربما قبل هذا التّاريخ.

وذكرت المصادر واليا ثالثا ولكن مع فوارق هامّة تتعلّق بأصله. إنه خُرَّه خُسْرو. فابن اسحاق[3] يعتبره ابن البَيْنَجان وابن حفيد وهرز، في حين يبيّن ابن الكلبيّ[4] أنّ الأصّح أنّه ابن المَرْوزان وأنّه مولود باليمن. ويجعله حمزة[5] في المرتبة السّادسة بعد المَرْوَزان وقبل باذان في حين ينسب إليه القَلْقَشَنْديّ اسما مختلفا هو خود خُسرو بن سيْحان بن مَرْزبان اليمن قبل الأخير وأنّه ابن مَرْزُبان[6]. وأخيرا فإنّه بالنّسبة إلى المسعوديّ[7] مَرْزبان اليمن قبل الأخير وهو ابن المَرْوَزَان.

إجمالا، تتّفق المصادر على عزل كسرى الثّاني له. فالشّاه الإيرانيّ حسب ابن اسحاق[8] بلغت به درجة الغضب من خُرّه خسرو إلى القَسَم بوجوب إتيان اليمنيّين به إلى طيسفون على أكتافهم. وعند وصوله، استقبله أحد الأعيان الفرس وسلّمه سيْفا كان على ملك والد الامبراطور، قصد إهدائه إلى كسرى الثّاني لتخفيف غضبه ولكنّه عَزَله وعوّضه بباذان. وابن الكلبيّ[9] هو الوحيد الذي ذكر تفاصيل مفيدة بخصوص أسباب هذا العزل. وينبغي من جهة أخرى أن نلاحظ أنّ العداوة بين العرب والفرس بدأت في الاستفحال في نهاية القرن السّادس، وبلغت أَوْجها

1 - الدِينَوَري، ن.م، 64.

2 - حمزة، ن.م، 148.

3 - الطبري، تاريخ، II، 148.

4 - ن.م، 215.

5 - حمزة، ن.م، I، 139.

6 - صبح الأعشى، V، 25.

7 - المسعودي، مروج، II، 210.

8 - الطبري، تاريخ، II، 210.

9 - ن.م، ص 215.

يـومَ الصّفقة أوّلا، ثم يومَ «ذي قـار»[1]. فَخُرَّه خُسْرو عُزِل لأنـه تلقّى تربية وثقافة عربيّتين لم تروقا للحاكمَ السّاسانيّ.

وهنـاك وال آخر يبـدو أنّ الأخباريّـين لم يتّفقوا جميعا على اسـمه ولا على أصله العائـليّ: فهو المَرُوزان عند ابن الكلبيّ[2]، والمَرْزُبان عند ابن اسـحاق[3]، والمَرْوَزان عند حمزة[4] والمسـعوديّ[5] الذي يعتبره من سـلالة ملكيّة في حين يرى ابن اسـحاق أنّه ابن وَهرِز. وقد يكون حَكَم اليمن طيلة سـنوات طويلة إلى أن أعاده كسرى الثّاني إلى بلاده وعوّضه بابنه خُرّه خُسْرو المذكور.

وبالنّسـبة إلى ولاة اليمن الفرس الآخرين، فإنّ المصـادر العربيّة بعيدة من الاتّفاق حول أسمائهم وأصولهم ومدّة بقائهم في خططهم. فحسب ابن الكلبيّ[6]، عُوّض وَهَرز بعد وفاته بأُسْوار، ويُدعى «وين» أو «زَيْن»، ويحتمل أنّه تولّى الوظيفة بصفة انتقاليّة في انتظار تعيين الحاكم الفارسيّ لَمرزبان جديد هو المَرُوزَان؛ ويسمّيه ابن الأثير[7] «زرِين» مشيرا إلى قسوته وموضّحا أنّ عَزله كان في عهد خليفة كسرى الأوّل، هُرْمزْد الرّابع (579-590).

أمّا المسـعوديّ[8] فإنه يتكلّم على ابنِ لوهْرز هو النُّشَـجَان الذي يجعله حمزة الإصفهانـيّ[9] في المرتبة الرّابعة من قائمته في حـين يذكر الجاحظ رجلا يُدعى سَيْرزاد الذي نقل تابوت والده وهرز إلى اصطخر[10] بعد وفاته. ويُحتمل أنّ الأمر يتعلّق بنفس الشّـخص حتى وإن لم يذكر صاحب **الرّسـائل** تسـميته بمَرْزبان اليمن.

---

1 - **العقد الفريد**، II، 4-21.

2 - الطبري، **تاريخ**، II، 215.

3 - ن.م، 148.

4 - حمزة، ن.م، I، 139.

5 - المسعودي، **مروج**، II، 210.

6 - الطبري، **تاريخ**، II، 171.

7 - ابن الأثير، **الكامل**، II، 451.

8 - المسعودي، **مروج**، II، 210.

9 - حمزة، ن.م، I، 139.

10 - الجاحظ، **رسائل**، II، 409.

ونشير أيضا إلى الولاة الآخرين الموجودين على قائمات المسعوديّ[1]، وهم سيْحان أو سُبْحان وابنه، وخُرَّزاد، وكذلك على قائمات حمزة الإصفهانيّ[2] وهما وَلِشَجان وخَرْزَدان شَهر، والياان لا نعرف عنهما شيئا، مثلهما مثل البَيْنجان أو الثيْنجان حفيد وَهْرِز حسب ابن اسحاق وابن هشام[3]. والقَلقَشَنْديّ[4] هو الوحيد الذي يذكر أنّ سيْحان والد خُرَّه خُسْرُو، في حين يُحتمل حسب المسعوديّ أن يطابق خُرّزاد الذي دامت ولايته ستّة أشهر اسم خَرْزَدَان شَهْر الموجود على قائمة حمزة.

وحمزة هو الوحيد من بين جميع المصادر العربيّة الذي يذكر واليا أخيرا عُيّن بعد وفاة باذان[5]. وذكر ابن قتيبة أيضا هذا الاسم بصفته أحد قوّاد كسرى الثّاني لدى باذان[6]، وذُكر أيضا بصفته رسوله إلى المدينة حاملا رسالة منه إلى محمّد، ولكن لم يُذكر قطّ على أنّه وال.

هل كان حمزة مخطئا إلى هذا الحدّ أم كان يشير إلى الصّراع القائم في صنعاء من أجل السّلطة زمَنَ تمرّد الأسود العنسيّ، بين «الأبناء الفرس الذين ينتمي إليهم دَاذَوَيْه وفيروز حَلِيفي الدّعاة المسلمين من جهة، وبعض اليمنيّين مثل قيس المَكْشوح وعَمرو بن مَعْدِي كَرْب الزّبيديّ من جهة ثانية؟

وأخيرا، فإنّ الاحتلال الفارسيّ لليمن تواصل طيلة نصف قرن (578-628) إلى حين اعتناق باذان الإسلام، وهو آخر مرزبان، وقد أقرّه الرّسول محمّد كأوّل وال مسلم بصنعاء. ونحن لا نمتلك عن هذه الفترة الطّويلة غير معلومات موجزة جدّا ومتناثرة في عديد الحالات، فنعرف بصفة محدودة جدّا أنّ «المرازبة» أو «الولاة» كما تسمّيهُم المصادر العربيّة كانوا يقيمون في صنعاء، وخاصّة وَهْرِز، وأنّهم كانوا على صلة منتظمة مع البَلاط السّاسانيّ في طيسفون بواسطة البريد، وأنّهم كانوا يجمعون باسم حاكمهم الضّرائب من اليمنيّين وخاصّة الخراج، وأنّهم كانوا مُطالَبين بإرسال عدد من المنتوجات اليمنيّة كالملابس والسّيوف والعطور وغيرها إلى فارس على أنّها هدايا وهبات أو منتوجات تجاريّة. وملك الملوك نفسه هو من كان يعيّنهم في مناصبهم،

---

1 - المسعودي، مروج، II، 210.

2 - حمزة، ن.م، I، 139.

3 - الطبري، تاريخ، II، 148؛ ابن هشام، ن. م، I، 46.

4 - صُبح...، V، 25.

5 - حمزة، ن.م، I، 139.

6 - ابن قتيبة، ن.م، 278.

وهـو أيضا من كان يعزلهم كما فعل لِوَين خُرَّه خُسرو، أو يُعيدهم إلى فارس، ومثال ذلـك مَـرُوزان، ويعوّضهـم بغيرهم بصفة نهائيّة. ولا نعرف شـيئا عـن طريقتهم في الحكم باسـتثناء ما ذكر في خبر المصانع[1]، ولا عن مدى امتداد المساحة التّرابيّة التي كانت تحت سـلطتهم. فلا شكّ في أنّهم مارسـوا نفوذهم على صنعاء وضواحيها في أحسـن الحالات، في حين كانت السّـلطة الفعليّة في الأقاليم الأخرى يمارسها أعيان يمنيّون من سـلالة الملوك هم «الأقيال» و«الأذواء». ولنا في الموضوع شـهادة ثمينة للـرازيّ[2]. فقد ذكـر اجتماعا في مَذاب بالجَوْف حضره مجموعـة من الأعيان القبليّين كانوا يخطّطون لاندلاع الحرب ضدّ باذَان، المرْزُبان الفارسيّ بصنعاء. وباسـتثناء أحد أسـياد القبائل شـهاب بن الحُسين وفرسانه الذين رفضوا المشـاركة في الحرب، فإنّنا نجد من بين هؤلاء الأسياد الأشخاصَ التّالية أسماؤهم: عَمرو بن مَعْدي كرِب (من زُبَيد)، وعَنْبَسة بن زيد من خَوْلان، والحسين بن قَنان بن يزيد، ويزيد بن عبد المَدان من بـني الحارث. ولمّا علم باذان بهذا التّجمع القبليّ اليمنيّ، غادر صنعاء على رأس كتيبة من الفرسان (الأساورة) للتصدّي له، والتحق به جيش متكوّن من عشرة آلاف رجل من سلالة هَمدان بقيادة قائدين هما عمرو بن الحارث بن الحسين الشّاكريّ وعمرو بن يزيد بن الرّبيع الحاشـديّ اللذين عرضا خدمتهما على الوالي الفارسيّ، فعُقِد حلف بين الفرس والهَمدانيّين. وتنُصُّ هذه الاتّفاقيّة التي احتفظ الجَنَديّ والرّازيّ[3] بنصّها كاملا على أنّ الطّرفين تحالفا على محاربة جميع خصومهما معا. والملاحظ أنّ هذا التّحالف بقي ساري المفعول إلى ظهور الإسلام ومبايعة باذان محمّدا.

ويلـحّ هـذا النّصّ الثّمين في كتاب الـرّازيّ على نقطتين أساسـيّتين، أوّلا: وجود معارضة قويّة للاحتلال الفارسيّ لليمن تقودها القبائل اليمنيّة شـماليّ صنعاء مثل زبَيْد وخَولان وبني الحارث، رغم وجود قبائل متحالفة مع الفرس. وبخصوص قبيلة هَمْدان التي عقدت حلفا مع باذان، يجدر الإشـارة إلى أنّ بعض الهمدانيّين، حسـب رواية ابن سـعد[4] المذكورة، كانوا يقودون من ذلك الملجإ الجبليّ مقاومة شرسـة للفرس إلى ظهور الإسلام.

1 - الطبري، تاريخ، II، 214.

2 - الرازي، تاريخ صنعاء، ن.م، 37-38.

3 - ن.م، ص 37- 38؛ الجندي، السلوك، ن.م، الورقة 22 قفا.

4 - ا بن سعد، طبقات، VI، 28-29.

وقد يدلّ هذا على أنّ تجمّع «ماذاب» الذي يتحدّث عنه الرّازيّ، وقع على الأرجح وقتَ اعتناق باذان حلفائه الهمْدانيّين الإسلامَ. ومن ناحية أخرى، من الواضح، حسب الـرّازيّ، أنّ والي اليمن الفارسيّ باذان، لم تكن له سلطة إلاّ على صنعاء وضواحيها، وأنّ جلّ التّراب اليمنيّ لم يكن تحت نفوذه.

وسجّل ابن منبه ما نقله عنه ابن قتيبة[1] أنّ اليمن بعد مقتل سيف سادَتْه الفوضى، وأنّ سكّان كلّ «ناحية» أمّروا عليهم رجـلا من حِمْير، فتكوّن بذلك نظام «ملوك طوائف» حقيقيّ أو بعبارة أخرى «إقطاع أسياد صِغار»[2]، وذلك إلى ظهور الإسلام.

ويتبنّـى الأخبـاريّ الجَنَديّ[3] نفس الـرّأي مبيّنا أنّ النّفوذ في صنعـاء كان موّزعا بين الفرس، أصحاب السّـلطة المَلَكيّة («الفرس الملوك»)، وبين الحِمْيَريّين، («حِمْير المُديرون للبلاد والسّـائقون للخَراج والدّافعون للفساد»). عموما، يتعلّق الأمر بتقاسم المسـؤوليّات كانت بمقتضاه السّـلطة السّياسـيّة للفرس والإدارة الماليّة والاقتصاديّة والمحافظة على النّظام للحِمْيريّين.

وطرح ابن خلدون[4] الإشـكال في مستوى جميع العرب قبل الإسـلام، فرأى أنّ العرب بعد وفاة سـيف باليمن، فقدوا كلّ سـلطة سياسـيّة حقيقيّـة («مُلْك») في كامـل الجزيرة العربيّة باسـتثناء اللّخميّين والغساسـنة. فالأقيال المنتسـبون إلى حِمْير حافظـوا في اليمـن على نوع من النّفوذ على قبائلهـم البدويّة إلاّ أنّهم كانوا في نظره لا يمثّلون غير «أسياد محلّيّين» و«عائليّين» لا أهمّيّة لهم.

وأخـيرا، فـإنّ الاحتلال الفارسيّ لليمن، حتّى ولـو كان محصورا في جهة صنعاء وبعض الجهات السّاحليّة مثل عَدَن، لم يكن قليل الأهمّيّة في نهاية القرن السّادس وبداية القرن السّـابع. فكان يوجد في كلّ المناطق الأخرى «رؤسـاء محلّيون» سـيفاجئهم ظهور الإسـلام سواء على رأس قبائلهم وعشـائرهم أو على «مناطق محدّدة». وعدّدت المصـادر العربيّـة وخاصّة منها كتب «الطّبقات» و«السِّـيَر» مختلـف الوفود اليمنيّة التـي كان يقودها «أقيـال» أو «أذْوَاء» أو «عبَاهِلة» (حِمْير وهَمْدَان، وبنو الحارث بن كعب وحضرموت ومذْحج وغيرها)، جاءت إلى المدينة لمبايعة محمّد (صلعم) سياسيّا

1 – وهب، ن.م، ص 317؛ ابن قتيبة، ن. م، 278.

2 – استعمل العبارة رودنسون، محمّد، ن.م، ص 56.

3 – الجنَدي، السلوك...، الورقة 22 قفا.

4 – ابن خلدون، تاريخ، II، 65.

ولتعرِض عليه بنفس المناسبة اعتناقَها الإسلامَ. وسنعود في الوقت المناسب إلى هذه الظّاهرة لتقديم مزيد من التّفاصيل.

الخاتمة

خلافا لفترة الاحتلال الحبشيّ التي تركت لنا بعض الشّهادات الثّمينة في صورة نقوش ومعالم وغيرها مفيدة جدّا لمعرفة اليمن في السّنوات من 525 إلى 575، فإنّ فترة الاحتلال الفارسيّ لم تترك لنا نصوصا مكتوبة ولا أشياء مادّية من شأنها إعطاؤنا معلومات كافية عن الوضع السّياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ في الرّبع الأخير من القرن السّادس والثّلث الأوّل من القرن السّابع.

ويمثّل غياب الوثائق هذا، أحدَ الأسباب الرّئيسيّة لجهلنا شبه التامّ بهذا الجانب الهامّ من تاريخ اليمن، أي «الحِقبة الفارسيّة»، التي سَبَقَت الإسلام مباشرة. ومن حسن الحظّ أنّنا تمكّنّا من جَمْع بعض الشّذرات التي وجدناها في مؤلّفات الأخباريّين العرب واليمنيّين في القرنين الثّامن والتّاسع، وهي معلومات غامضة في أغلب الأحيان، تتخلّلها طرائف تتعلّق بتلك الفترة الحاسمة، ومع ذلك يمكن أن تجوّد معرفتُها فهْمَ التطوّر اللاّحق لليمن الإسلاميّ على جميع الأصعدة، السّياسيّ منها والاقتصاديّ والاجتماعيّ والدّينيّ والثّقافيّ.

ويتمثّل العنصر الأساسيّ في نظرنا في تكَوُّن صنف اجتماعيّ اثني يسمّى «الأبناء» أي سَلِيلُو الفرس الذين قَدِموا إلى اليمن مع وَهْرِز في نهاية القرن السّادس، أنجبهم آباءٌ فرسٌ وأمّهاتٌ يمنيّات. وهؤلاء «الأبناء» سيلعبون دَورا رئيسا في العصر الإسلاميّ سواء في المجال السّياسيّ مثل المشاركة في السّلطة وفي الصّراعات التي تواترت في مجرى أحداث القرن الأوّل الهجريّ كحروب الرّدّة والصّراعات على صعيد الخلافة، أو في المجال المؤسّساتيّ مثل تقلّد مهمّة ولاة اليمن في عهد الرّسول ومن جاء بعده، أو الاقتصاديّ مثل الأنشطة الحِرَفيّة والتّجاريّة في صنعاء خاصّة، وفي عدن، أو الثّقافيّة مثل ظهور العديد من العلماء والمحدّثين والفقهاء والشعراء داخلَ هذه المجموعة.

خاتمة عامّة حول اليمن قبل الإسلام

لقد تحوّلت السّلطة في جنوب الجزيرة العربيّة في بضعة قرون من ممالكها الواقعة على تخوم الصّحراء إلى الهضاب العليا في مرحلة أولى، ثم تحوّلت في القرن السّابع إلى شمال الجزيرة العربيّة، الحجاز تحديدا. والواقع أنّ هذا التحوّل وقع بالتّدرّج وعلى مراحل. ففي مرحلة أولى (حوالي منتصف القرن الرّابع)، وقع تكريس الهضاب العليا مركزا جديدا للسّلطة في اليمن وقد تزامنت مع التّخلّي عن الوثنيّة لفائدة دين توحيديّ جديد[1]. وفي المرحلة الثّانية أي الثّلث الأوّل من القرن السّابع، تصدّر الحجازُ، بقُطبَيْه الأساسيّين يثرب ومكّة[2]، المشهدَ السّياسيَّ والاقتصاديّ بالجزيرة العربيّة في نفس الفترة التي ظهر فيها الإسلام، وذلك على حساب اليمن خاصّة. فبحكم هذا الظّرف الجديد، صار لِليمن، بعد أن كان مهْدَ حضارةِ جنوبِ الجزيرة العربيّة، دورٌ ثانويّ بل هامشيّ داخل القوّة الإسلاميّة الجديدة في القرنين الأوّلَ والثّاني للهجرة بالخصوص.

ولكن إلى أيّ مدى يمكن أن ننسب إلى الإسلام وحده هذا التّهميش الذي بدأ منذ عدّة قرون؟ سبق أن أشرنا إلى العوامل الرّئيسيّة لأفول قوّة جنوب الجزيرة العربيّة وهي التّخلّي عن المسلك البحريّ في الجنوب، وانهيار سدّ مأرب، دون أن ننسى بالطّبع تأثير الاحتلالين الأجنبيّين للبلاد في القرنين السّادس والسّابع. لذا لن نعود إلى هذه الظّواهر التي سبق للمختصّين في تاريخ اليمن القديم أن درسوها[3]. فغايتنا إنّما هي النّظر في كيفيّة تفاعل البلاد مع التّوسّع الإسلاميّ.

فدراسة تطوّر اليمن، ولو بعد تقلّصه إلى إقليم حزاميّ من أقاليم الامبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة، في القرنين الأوّل والثّاني للهجرة، تمكّننا من الإجابة عن هذه التّساؤلات، وتخوّل لنا تقييما أفضل لدور اليمن ومساهمته في بناء هذه الامبراطوريّة وفي إنشاء الحضارة الإسلاميّة.

وسيتسنّى لنا أيضا التّساؤل، هل حافظ هذا الإقليم اليمنيّ رغم إدماجه في الدّولة المركزيّة التي استقرّت على التّوالي في المدينة ثم في دمشق ثم في بغداد، على خصوصيّته أو على الأقلّ على عدد من ملامح ماضيه القديم الأصليّة.

---

1 - E. Renaud, *op. cit*, p. 105

2 - انظر أعمال هـ لَـمِنْس (H. Lammens) عن الجزيرة العربيّة قبل الإسلام.

3 - انظر أعمال ج. ريكْمَنْس (J. Ryckmans) وك. روبان (Ch. Robin)، الخ...

الباب الثّاني

اليمن في عصر الرّسول محمّد

اليمن في عصر الرّسول محمّد

«الحكمة شأن يمنيّ، والإيمان شأن يمنيّ»

كان اليمن في مطلع القرن السّابع تحت سيطرة الفرس الّذين حلّوا محلّ النّفوذ الأثيوبيّ بعد فاصل زمنيّ قصير حَكَم فيه البلاد سيف بن ذي يزن[1].

ولم تغفل المصادر العربيّة واليمنيّة عن الإلحاح على دَور الوجيه الحِمْيَري سيف في تحرير بلاده من النّير الأجنبيّ مع ربط الصّلة بين تاريخ حكمه وتاريخ الحجاز ومكّة في نهاية القرن السّادس[2].

ومن المفيد أن نذكر بخصوص هذا الموضوع أن القرشيين كانت لهم علاقات تجاريّة دائمة ونشيطة مع جيرانهم الأحباش في الغرب، والسّوريّين في الشّمال الغربيّ، والعراقيّين في الشّمال الشّرقيّ، واليمنيّين في الجنوب. وذكر ابن حبيب[3] اعتمادا على عَديد الأخباريين العرب المتأخّرين[4] جملة من المعاهدات أو الالتزامات المسمّاة «بالإيلاف» أو

1 – ت منقوش، ن، م. وهو تحليل وثيق الصّلة بالموضوع للصّراع البيزنطيّ الفارسيّ الهادف إلى إخضاع مجموع الجزيرة العربيّة لهيمنتهم والاستيلاء على المسالك التّجاريّة، الأرضيّة منها والبحريّة وقد حلّلت المؤلّفة بحيويّة كبيرة السّياق التّاريخيّ السّائد في اليمن والشّرق الأوسط عموما في نهاية القرن السّادس تمهيدا لدراسة أسطورة سيف.

2 – انظر الفصل أعلاه عن اليمن قبل الإسلام.

3 – ابن حبيب، **كتاب المُحبر**، ص 162–156؛ ابن حبيب، **كتاب المُنَمّق**، ص 169–170، ذكره حميد الله، الإيلاف أو العلاقات الاقتصاديّة الديبلوماسيّة في مكّة قبل الإسلام، ضمن كتاب:

Mélanges Louis Massignon, I. F. Damas, 1972, II, 293–311

وبخصوص مكّة قبل الإسلام، انظر فصلا عن أعمال لَـمَّنْس (H. Lammens)، جواد علي، **تاريخ العرب في الإسلام**، ص 36–74.

4 – البلاذري، **أنساب الأشراف**، ن. م، I، 59 وما بعدها؛ الكلاعي، ن. م، I، 207–208.؛ القالي، **كتاب النّوادر**، بيروت، II، 199–200، الميداني، **مجمع الأمثال**، ن. م، 61 (مثل «أَقْرش من المُحَبّرين»)؛ يبيّن السُّهيْليّ، (**الرّوض**، ن. م، ص 48) أنّ رحلة الإيلاف تقتضي من كلّ مشارك أن يكون مالكا لما لا يقلّ عن ألف رأس (إبل وغنم وبقر).

«العُهود» أو حتى «العِصَم»، موقَعة بين عشيرة عبد مناف القرشيّة من جهة، وحكّام بيزنطة واليمن وأثيوبيا والعراق من جهة أخرى. أمّا الموقِعون على هذه المعاهدات فهم هاشم بن عبد مَنَاف، والمطّلب بن عبد مَنَاف وعبد شمس بن عبد مناف ونوفل بن عبد مناف، الأوّل مع ملك سوريا (أي امبراطور بيزنطة)، والثّاني مع ملك اليمن (تُبّع سليل حِمْير)، والثّالث مع ملك أثيوبيا (النّجاشي)، والرّابع مع ملك العراق (الأمر يتعلّق هنا بكسرى). والسُّهيْليّ[1] هو الوحيد الذي يزعم، مخطئا دون شكّ، أن نوفل وقّع عقدا مع حاكم مصر وأن عبد المطّلب وقّع آخر مع كسرى.

وكانت هذه المعاهدات مصدر ثروة آل عبد مناف الذين كانوا حسب البَلاذُري[2] يقومون برحلة في الشّتاء في اتّجاه العراق واليمن وأثيوبيا («رحلة الشّتاء»)، في حين كانت «رحلة الصّيف» تتّجه نحو سوريا البيزنطيّة. فهاتان رحلتان كان لهما من الأهمّية بالنّسبة إلى المكّيّين ما جعل القرآن بعد ظهور الإسلام يذكرهما في سورة قريش[3] (رقم 106) كما يلي: «لإيلاف قريش/ إيلاَفِهِمْ رِحلة الشّتاء والصّيف/ فليعبدوا ربَّ هذا البَيْتِ/ الذي أَطْعَمَهم من جوع وآمَنَهم من خوْف».

وكانت مصداقيّة هذه المعاهدات كما ورد في المصادر العربيّة، محلّ شكّ مؤخّرا من قِبل المؤرّخة باتريسيا كرون (P. Crone) في كتاب لها عن التّجارة المكّيّة صدر حديثا[4] دافعت فيه عن الأطروحة التّالية: ليست تجارة مكّة الدّوليّة المزعومة التي يمارسها القرشيّون سوى تجارة محلّية تتناول بضائع عربيّة صِرفا.

ولا نعتزم في هذه الدّراسة دحضَ هذه الأطروحة التي نراها أقرب إلى الاستدلال النّظري منها إلى التّحليل الموضوعي لمضمُون المصادر العربيّة، بل ننوي التوقّف على الأقلّ عند ما يهمّ العلاقات التّجاريّة بين اليمن والحجاز. وقد ألحّت المصادر العربيّة حتى المتأخّرة منها على هذا الموضوع إلحاحا يغنينا عن إعادة النّظر فيه. فلا يمكن البتّة الاعتقاد بأنّ المكّيّين لم يتجاوزوا في تجارتهم مع اليمن مدينَة نجران[5]. فالمؤلّفون المسلمون ليسوا على هذه الدّرجة من الجهل بالجغرافيا حتّى يخلطوا بين صنعاء، عاصمة

---

1 - السُّهيْلي، ن.م، I، 48.

2 - البلاذري، أنساب، I، 59.

3 - قرآن، سورة قريش، ترجمة بلاشار (Blachère)، I، ص 11-12، السّورة CVI؛ ابن هشام، سيرة، ن.م، 37.

4 - P. Crone, *Meccan trade and the rise of Islam*, Princeton, 1987

5 - ن.م، 120-124.

آخـر مملكة بجنوب الجزيرة العربيّة في القديم، والتي سـتصبح عاصمة اليمن بصفته ولاية إسلاميّة، وبين نجران التي كنّا أبرزنا دوْرَها في القرن السّادس الميلاديّ.

ومـن ناحية أخرى، فإنّ التّقليل من شـأن دور القرشـيّين في التّجـارة الدّوليّة قبل الإسـلام سـواء مع الفـرس والبيزنطيّين أو مـع اليمنيّين والأثيوبيّـين، يعني تخلّي ب. كرون عن المعطيات التـي تقدّمها المصادر العربيّة، واحتفاظها فقط بالمعلومات التي تؤيّد أطروحتها.

فلـماذا وقع الإلحـاح في هذا الموضوع بالـذّات على علاقات مكّـة مع نجران في حين أُهملت الإشـارات التي تذكر مُدُنا يمنيّـة أخرى مثل صنعاء وعَدَن[1]؟ وكيف نفـسّر حضور وَفْد مكّيّ في بلاط الحاكم الأثيوبيّ أبرهة يقوده المغيرة[2] جاء لتدارس حاجيّات التّجارة؟ كيف نفسّر أيضا زيارة وفْد مكّي آخر لصنعاء يقوده عبد المطّلب وتحديدا لقصر غُمْدان[3] قصْد تهنئة سـيف بانتصاره على الأحباش وتتويجه ملكا على اليمن؟ هل يمكن اعتبار كل هذه الإشـارات ليس لها أساس تاريخيّ؟ وهل ينبغي أن نسـتبعد أيضا معطيـات ابن عبد ربّه[4] عن العلاقـات التّجاريّة بين البلاط الفارسيّ بطيسـفون في عَهْدَي كسرى الأوّل وكسرى الثّاني، وبـين قبائل الجزيرة العربيّة بما فيها قريش؟

الواقع أن اليمن كانت له علاقات تجاريّة مع الحجاز ومكّة قبل ظهور الإسـلام بمـدّة طويلة. فَجَعْلُ هذه العلاقات رسـميّة في نطاق معاهدات سـميّت «إِيلَافا»[5] أو عهودا، ليس من شأنه أن يُفرط في إثارة استغرابنا. ولدينا نصوص أخرى نقلها أخباريّ كوفيّ هو هشـام بن محمّد الكلبيّ تلحّ على وجود منظومة أسـواق سنويّة في الجزيرة العربيّة[6] يقع فيها تبادل منتوجات مختلفة عربيّة ومسـتَوردة على حدّ سواء. ونذكر من

---

1 - انظر بخصوص هذا الموضوع P. Crone, *Meccan trade..*, pp. 120-121.

2 - انظر الفصل أعلاه.

3 - انظر الفصل أعلاه.

4 - **العقد الفريد**، II، 21.

5 - انظر الهامشين 3 و4 في هذا الفصل.

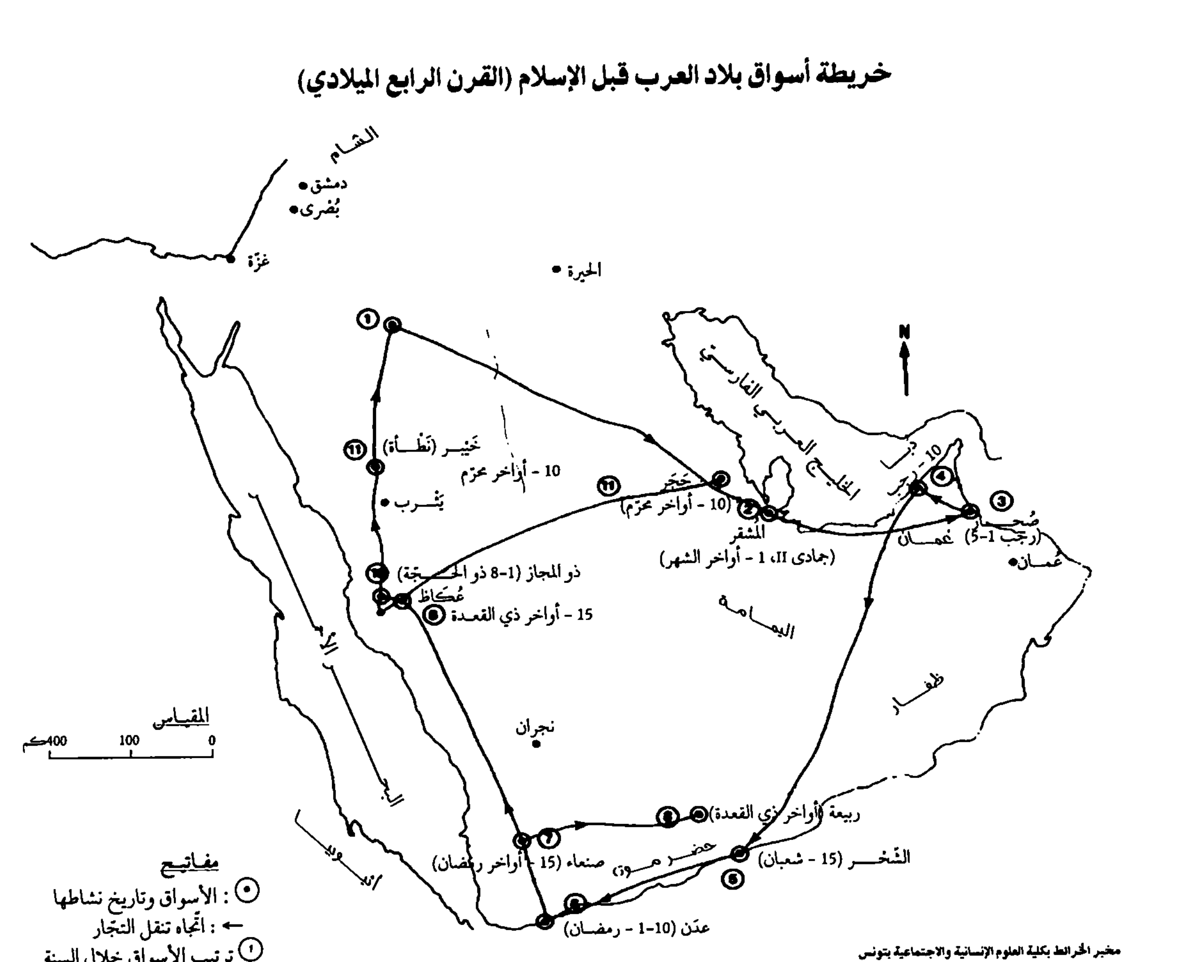
6 - انظر بخصوص أسـواق العرب قبل الإسـلام: اليعقوبي، تاريخ، II، 270-271؛ ابن حبيب، **كتاب المُحَبر**، ص 263-266؛ انظر أيضا: الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص 332؛ القلقشـندي، **نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب**، القاهرة، 1959، ص 464؛ م. حميدُ الله، رسول الإسلام، II، 599؛ وهو يذكر: المرزوقي، **كتاب الأزمنة والأمكنة**، حَيْدَرآباد، 1332، II، 161-170؛ سعيد الأفغانيّ، **أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام**، دمشق، 1960، ص 232-238.

بين هذه الأسواق العشر – أو تزيد – ما كان ينتظم منها في اليمن وهي أسواق صنعاء وعدن والرّابية في حضرموت؛ وكانت سوق صنعاء تلتئم من منتصف شهر رمضان إلى نهايته. وكان «الأبناء» فيها يجمعون أداء العُشور، والصّفقات تعقد بالملامسة أي لمس البضاعة باليد، وهي المنتوجات المستوردة من عدَن مباشرة بعد انتهاء سوقها، كالقطن والزّعفران والأصباغ وبضائع أخرى كالأقمشة والحديد. أمّا سوق عدن فكانت تنتظم من أوّل شهر رمضان إلى اليوم العاشر منه. وكان «الأبناء» يجمعون فيها العشور ولكنّهم لا يشاركون في عمليّات البيع والشّراء. وينبغي أن نضيف إلى التّجار الذين يذهبون إلى عَدَن مباشرة من الشّحر (في بلاد مَهْرَة)، التجّارَ القادمين بحرا حسب المرزوقيّ (القرن الخامس)، ممّن تبقّى لديهم بعض البضائع من الجلود والأقمشة أو ممّن غابوا عن الأسواق السّابقة. وكانت البضاعة التي تختصّ بها سوق عدن هي العطور (أو الخَلُوق المصنوع بالزّعفران) التي يحملها معهم باعة ما وراء البحار إلى أقاصي السّند والهند والتّجار القادمون عن طريق البرّ إلى فارس وبيزنطة (بلاد الرّوم).

فهذه الأسواق العربيّة[1] التي كانت تنتظم سنويا في تاريخ محدّد والتي كانت تختلف عن الأسواق الجهويّة (بَدر مثلا) كانت تتنقّل في كامل أنحاء شبه الجزيرة العربيّة وتجلب إليها باعة من الجهة وكذلك من الخارج مثل فارس والحِيرة والهند والصّين. وهذا يدلّ بصفة قاطعة على أن الجزيرة العربيّة «تحالفت اقتصاديّا قبل ظهور الإسلام» وأن العلاقات التّجاريّة بها كانت هامّة وخاصّة بين اليمن وجيرانه.

وكانت القبائل التي تَعبر القوافل التّجاريّة ترابها تتحصّل جرّاءَ ذلك على منافع شتّى (نفقات الإيواء ذهابا وإيّابا وأغذية وماء وخشب وعَلَف تزوّد به التجّار بأسعار مرتفعة)، وكانت بضائعها معفاة من تكاليف النّقل، كلّ ذلك مقابل الحماية التي كانت تلك القبائل تؤمّنها للتجّار الذين يعبرون أراضيها. وهذا ما يجرّنا إلى طرح مشكل الجغرافيا القبليّة في اليمن قُبَيْل ظهور الإسلام.

1 – العبارة لحميد الله، رسول الإسلام، II، 606.



خريطة أسواق بلاد العرب قبل الإسلام (القرن الرابع الميلادي)
الشام
دمشق
بُصْرى
غزّة
الحيرة
خَيبر (نَطَاة)
10 - أواخر محرّم
يثرب
حَجَر
(10 - أواخر محرّم)
ذو المجاز (1-8 ذو الحجّة)
عُكاظ
15 - أواخر ذي القعدة
المشقر
(جمادى II، 1 - أواخر الشهر)
الخليج العربي الفارسي
دبا
10 - رجب
صُحار
(رجب 1-5)
عُمان
عُمان
اليمامة
ظفار
نجران
ربيعة (أواخر ذي القعدة)
حضرموت
صنعاء (15 - أواخر رمضان)
الشّحر (15 - شعبان)
عدَن (1-10 - رمضان)
N
المقياس
0
100
400كم
مفاتيح
: الأسواق وتاريخ نشاطها
: اتّجاه تنقل التجّار
مخبر الخرائط بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

فقد كانت التجمّعات القبليّة في مطلع القرن السّابع في اليمن موزّعة على النحو التّالي[1]: كانت مِذْحج بمختلف عشائرها تعيش في تِهَامة أي في السّهل السّاحليّ الواقع غَرْبَ صنعاء، في حين كانت هَمْدان في الشّمال والشّرق، وحِمْيَر في الجنوب، وكِندة بفرعيها الرّئيسَيْنْ أي كندة المَلَكيّة أو بني معاوية، وبني الأشرس المعروفين بأسماء الصّدف والسّكون وتُجِيب، كانت تقيم بحضرموت خاصّة شمال شِبَام رفقة القبائل التي تحمل نفس الاسم ورفقة «يَحَابِل» (إحدى عشائر هَمْدان)، وجُعْفي (إحدى عشائر مَذْحِج). ونُضيف إلى هذه التجمّعات الرّئيسيّة القبليّة القحطانيّة، قومَ مَهْرَة المقيمين شرقَ حضرموت، كما نضيف اليمنيّين المستقرّين في نجد (كندة في غَمْرِ كندة إلى حضرموت)، وفي الحجاز مثل أَزْد السَّراة وخَثْعَم وبَجِيلة...، وفي عُمَان (الأَزْد).

عموما، رغم أن اليمن كان قبل ظهور الإسلام يدور في فَلَك الفرس فإنّه كانت له علاقات تجاريّة منتظمة مع جيرانه وخاصّة منهم الحجاز ومكّة. فكيف سيتعامل مع مولد الإسلام وتكوين دولة إسلاميّة في المدينة بقيادة الرّسول محمّد؟

لِلإجابة عن هذا السّؤال، يجدر أن نوضّح مظهرين هامّين: الأوّل، عمل الرّسول محمّد في اليمن وعلاقاته مع اليمنيين قبائل وأفرادا وسلطة فارسيّة منتصبة منذ مطلع القرن السّابع، والثّاني هو موقف القبائل اليمنيّة من الدّولة المَدينيّة وخاصّة قضيّة اعتناق الإسلام كما تظهر في ما يُسمّى بعام الوفود.

الإشكاليّة التّأريخيّة

إنّ دراسة ما يسمّيه الأخباريّون المسلمون بـ«أسْلَمة اليمن» في العصر المحمّدي تقتضي قبل كلّ شيء معرفة الجهاز الوثائقيّ أي المصادر العربيّة المكتوبة التي تطرّقت إلى هذا الموضوع. ويحسن في ضوء الوضع الحاليّ للبحوث تقسيم هذا الجهاز إلى صنفين: أوّلا: الوثائق المتعلّقة بالرّسول أو الصّادرة عنه مثل الرّسائل وخطب مبعوثيه وغيرها؛ ثانيا: المصادر المتعلّقة بالقبائل اليمنيّة في حدّ ذاتها وروايتها أخبار اعتناقها الإسلام، ذاكرةً مختلفَ الوفود المُرسلة إلى المدينة بخصوص هذه المسألة.

وقد كان عمل الرّسول في اليمن وعلاقاته مع اليمنيين وخاصة منهم رؤساء القبائل أو العشائر والأذواء والأفراد وغيرهم، يندرج في إطار عام يضبط السّياسة

---

1 - انظر في هذا الموضوع: الهَمْداني، صفة...؛ البكريّ، مُعْجَم، I، ص 5 وما بعدها؛
J. Chelhod, *L'Arabie du Sud*, II, p. 16

المحمّدية في الجزيرة العربيّة قبل فَتح مكّة وبعدَه. ففضلا عن القرآن والحديث اللذين يمدّاننا بالقليل من المعلومات العمليّة في الموضوع، فإنّ لدينا مصادر متأخرة بصفة عامّة وذات أصناف عديدة منها كتب السِّيَر، وكتب الطّبقات، وكتب الأنساب وكتب التّاريخ حرّرها أصحابها في القرنين الثّاني والثّالث/الثّامن والتّاسع اعتمادا على أخبار تعود إلى القرن الأوّل تمكّنوا من جمعها عبر قنوات مختلفة سواء في المدينة أو في الكوفة أو في بغداد. وقد اطّلعنا على نصوص هؤلاء المؤلّفين فلاحظنا أنّ ابن هشام وابن سعد والبَلاذُريّ والطبريّ... أهمّهم. والحقّ أن سيرة ابن هشام كتاب ألّفه ابن اسحاق في القرن الثّاني في عهد المنصور ولكن أعيدت صياغته فيما بعد[1]. وهو يتضمّن عددا من الوثائق المنسوبة إلى الرّسول نفسه. كذلك الشّأن بالنّسبة إلى مؤلّف ابن سعد (المتوفّى سنة 844/230) وهو أكثر ثراء وتفاصيل[2]. وتضمّ مراسلات الرّسول[3] كما تظهر في كتب السّيرة والطّبقات المذكورة، وثائقَ كثيرة منها رسائله إلى الحكّام المجاورين مثل امبراطور فارس، وإلى القادة اليمنيين (مثل الأذواء وغيرهم)، كما تضمّ إقطاعات وهِبات إلى بعض الأعيان القبليين. فإلى أي حدّ يمكن قبول هذه الوثائق المختلفة وتصديقها؟ نقرّ أن مشكل تاريخيّة هذه المراسلات النبويّة يبقى مطروحا. فالوثائق التي تهمّ الدّين، من المستحيل رفضها جملةً وتفصيلا. ونحن نرى أنه لابدّ من التّمييز بين شكل هذه الوثائق، وخاصة أسلوب تحريرها الذي يبدو لنا منتميا إلى عصر متأخّر، وبين مضمونها الذي لا يمكن الشّك فيه تماما خشيةَ المسّ بجوهر الفعل المحمّديّ نفسه. بعبارة أخرى كلّ دراسة تتعلّق بعمل الرّسول في اليمن وغيره تبدو لنا افتراضيّة وذات مزالق إذا ما اعتبرنا تلك الوثائق مزيّفة أو غير صالحة **للاستعمال**. فلا نرى نفس الرّأي بخصوص المصادر المتعلّقة باعتناق القبائل اليمنيّة الإسلام. الرّوايات المتّصلة بالوفود القَبَليّة اليمنيّة التي تنقّلت إلى المدينة قبل فتح مكّة وخاصّة بعدَه، جديرة بمزيد التعمّق في تحليلها. والمؤلّفون الذين جمعوا مختلف الرّوايات المتعلّقة بالوفود، مثل ابن هشام وابن سعد ومفسّري السّيرة المتأخّرين، عاش أغلبهم بعد الأحداث نفسها بقرنين أو ثلاثة قرون. ثمّ إن الرّوايات التي تلقّوها عن طريق الإسناد (أي سلاسل المحدّثين) بعيدة جدّا من المصداقيّة، وبالتّالي فإنّها تهمّ العصر الذي دُوّنت وجُمعت فيه (القرنان الثّاني والثّالث/الثّامن والتّاسع بصفة عامّة) بقدر

1 - انظر بخصوص ابن هشام. (M.Watt) in *E.I.*, *II*, 824.

2 - انظر بخصوص ابن سعد: ش. مصطفى، **التاريخ العربيّ**، 166-168.

3 - انظر بخصوص هذا الموضوع:

M. Hamidullah, *Documents sur la diplomatie musulmane à l'époque du prophète et des califes orthodoxes*, Paris, 1935

م. الأكوع، **الوثائق السياسيّة**، بغداد، 1976.

ما تهمّ العصر المحمّديّ نفسه. فالأمر يتعلّق بذاكرة قَبَليّة تكوّنت في مختلف أقاليم الامبراطوريّة (كالعراق والشّام وغيرهما)، لدَعْم الإسقاطات التّبريريّة التي أنجزت في الماضي. فالمعلومات التي تتضمّنها الرّوايات المتعلّقة باعتناق القبائل للإسلام (مع كل التّفاصيل عن الوفود وعدد القادة والأفراد الذين تحوّلوا إلى المدينة، وأسمائهم وتاريخ اعتناقهم الإسلام الخ...)، كأنّها جُمعت في القرنين الثّاني والثّالث/ الثّامن والتّاسع، للاستجابة للرّهانات السّياسيّة والمصالح القبليّة الرّاهنة، مثل تبْرير موقف قبيلة ما، أو وجيه قبليّ ما، أثناءَ حدث ما (ردّة أو فتنة أو توسّع أو غير ذلك). ومهما كان الأمر فإنّنا استعملنا لدراسة «الوفود اليمنيّة» لدى الرّسول محمّد، نُصوص ابن هشام وابن سعد[1] وقارنّاها بنصوص أكثر منها تأخّرا في الزّمن، فلاحظنا أن الرّوايات التي تتواتر عند ابن سعد ثلاث: يذكر مؤلّف **الطّبقات** في المقام الأوّل روايات مدينيّة تعود إلى شيخه محمّد بن عُمر السُّلميّ (المتوفّى سنة 823/208) الذي يبدو أنه كتب عديد المؤلّفات تعتبر اليوم ضائعة مثل **مغازي الرّسول والطّبقات وفتوح الشّام والعراق**[2].

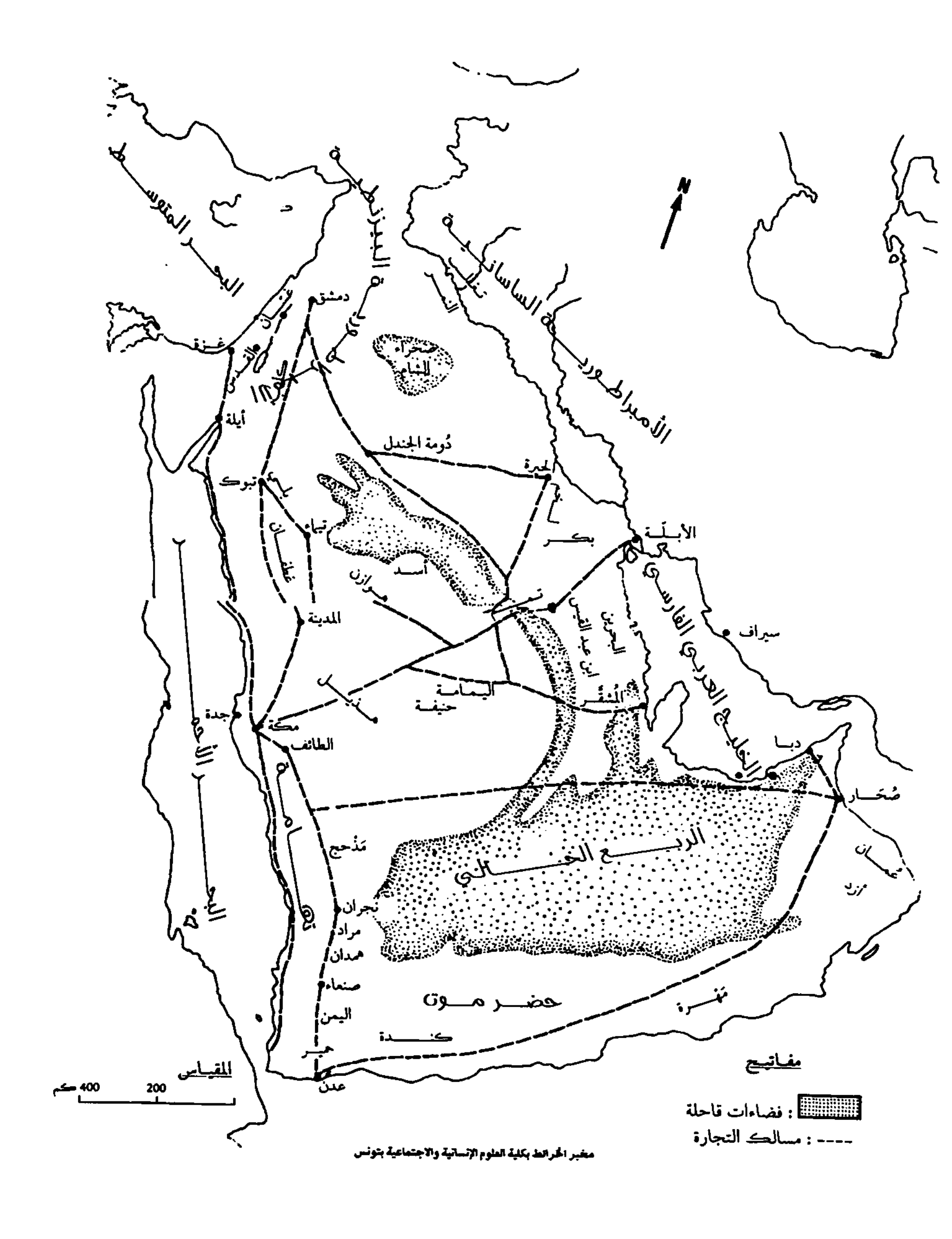
وكان ابن سعد كاتب الواقديّ الذي جَمّع بدوره معلوماته عن وفود بَجيلة وكندة ومَذْحِج وأَزْد وحِمير وخَوْلاَن بالاعتماد على الزّهريّ (المتوفّى سنة 124/ 700) رئيس «المدرسة المَدِينيّة في الحديث»، وعلى عبد الله بن عمر بن زهير، ومحمّد بن عُمَارة بن خُزَيْمة بن ثابت، ومحمّد بن عبد الله (ابن شقيق الزُّهريّ)، وكذلك على أناس من قبيلة الصّدف (عمر بن يحيى بن سهل بن أبي حَثَامة وشُرَحْبيل بن عبد العزيز الصَّدَفِيّ). فالأمر يتعلّق إذن بروايات أغلبها عن قُضاعة والصّدف. ويذكر ابن سعد أيضا راوية كوفيّ من أصل يمنيّ هو هشام بن محمّد بن السّائب الكلبيّ (المتوفّى سنة 819/204) الذي عُرِف بمؤلّفاته في الأنساب مثل كتاب نَسَب اليمن الكبير وكتاب نسب ربيعة وكِندة3. وقد جمع في الكتاب الثّاني سلسلة من الرّوايات عن وفود هَمْدان ومذْحج وحضرموت وجُهَيْنة وعُذْرة وجُذام وطيء وغيرها استنادا إلى أناسٍ من جُعْفي (من قبيلة مذْحج) مثل أبي بكر بن قيس الجُعْفيّ، والوليد بن عبد الله الجُعْفِيّ، ومن همدان مثل هَبّان بن هانئ بن مسلم بن قيس بن عمرو بن مالك بن لُؤَيّ الأَرْحَبيّ، ومن كندة مثل عمرو بن مهاجر الكنديّ. وأخيرا فالمصدر الثّالث من مصادر ابن سعد هو علي بن محمّد بن أبي سيف القُرَشيّ الذي نقل أخبارا عن الوفود اليمنيّة من نجران وهمْدان وخَثعم والأشعر والأزد ودوْس وحضرموت الخ..

1 - ابن سعد، **الطّبقات الكبرى**، I، ص 321 وما بعدها.

2 - انظر بخصوص الواقديّ، ش. مصطفى، ن.م، I، 163-166.

3 - انظر بخصوص ابن الكلبيّ، أ.ف. سيّد، مصادر التّاريخ في العصر الإسلامي، ص58-59.

خريطة بلاد العـرب في القرن السابع بعد الميلاد



وفي ضوء هذه الرّوايات المختلفة التي جمعها ابن سعد واستعملها المفسّرون المتأخّرون مثل السُهَيْلي (المتوفّى سنة 1184) والحَلَبِيّ (المتوفّى سنة 1635) والدياربكري (القرن السّادس عشر)، يبدو لنا جمعُ الوفود اليمنيّة في مركّبات جهويّة قبليّة عملا حاذقا، خاصّة أنّ هذه المجموعات تتطابق مع أهمّ المجموعات التي استقرّت في اليمن في بداية القرن السّابع. وسنرى أيضا أن هذه المركّبات تميّزت بمواقف مشتركة أثناء الردّة والفتوحات وحتّى أثناء الفتنة. ولكن قبل ذلك ننظر في السّياسة المحمّديّة في اليمن بمظهريها: الرّسائل والمبعوثين.

I-السّياسة المحمّديّة في اليمن[1]

قد يكون الرّسول محمّد قبل فتح واحة خيبر في محرّم من السّنة السّادسة للهجرة/ ماي 628، بعث عددا من المندوبين من بين صحابته يحملون كتبا إلى حاكمَي فارس وبيزنطة وإلى بطريق الأقباط في الاسكندريّة ونجاشيّ الحَبَشة وكذلك إلى الأمراء الغساسنة بالشّام وإلى أمير اليمامة، وإلى مَلِكي البحرين وعُمان دون أن ننسى الرّسائل الموجّهة إلى مختلف رؤساء القبائل في شمال الجزيرة العربيّة[2] وشرقها وجنوبها. وهذه الرّسائل التي يبدو أن تحريرها يعود إلى القرنين الثّاني والثّالث الهجريين، ينبغي أن نضعها في إطار الحركة الديبلوماسيّة المعمّمة والهادفة إلى قَطع كلّ إمكانيّة لأيّ مساعدة خارجيّة للمكّيين، ونذكر من بين هذه الرّسائل مثلا، الرّسالة التي بعثها محمّد إلى كسرى أنوشروان عن طريق المكّيّ عبد الله بن حذافَة السَّهْميّ الذي كان دون شكّ يعرف فارس. وهذا نصّ تلك الرّسالة[3] التي بلغته بواسطة أحد الولاّة الفرس شرقيّ الجزيرة العربيّة وذلك بعد هدنة الحُديبيّة (ذو القعدة 6/ ربيع 628):

1 - انظر بخصوص هذا الموضوع: M. Watt, *Mahomet à Médine*, Paris, Payot, 1971, p.157

2 - انظر بخصوص رسائل الرّسول: ابن سعد، **طبقات**، I، ص 258 وما بعدها؛ ابن هشام، **سيرة**، II، 971-972؛ الطّبري، **تاريخ**، II، 644-657؛ اليعقوبي، **تاريخ**، II، 77-78؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، I، 531، الأزدي، **فتوح الشام**، ن.م، II، 29 وما بعدها. وبالنّسبة إلى نصوص الرّسائل، انظر المصادر نفسها وكذلك: السهَيْلي، **الروض**، ن.م، I، ص 54 وما بعدها، 355-359؛ صَفْوت باشا، **جَمْهرة رسائل العرب**، القاهرة 1937، I، ص 53 وما بعدها؛ الأكوع، **الوثائق**، ن.م، ص 83-119.

3 - انظر بخصوص مبعوثي الرّسول إلى حكّام بيزنطة وفارس ومصر وعُمان واليمامة والبحرين والشّام: البلاذري، **أنساب**، 531؛ الطبري، **تاريخ**، 644-657؛ ابن هشام، ن.م، 971؛ اليعقوبي، **تاريخ**، 77-78؛ الدياربكري، **تاريخ الخميس**، ن.م، 29-30 وما بعدها؛ الحَلَبيّ، **السّيرة الحلبيّة**، 270 وما بعدها؛ السهَيْلي، **الروض**، ن.م، 54 وما بعدها.

«بســم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّـد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلامٌ على مَن اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إلاه إلاّ الله، وأنّي رسول الله إلى النّاس كافّة، ليُنذِرَ مَنْ كان حيًّا. أسْلِمْ تسلَم، فإنْ أبيتَ فعليك إثم المجوس».

وقد أجمعت كلّ المصادر العربيّة[1] على القول إنّ الرّسالة لمّا بلغت الامبراطور، أمر بقراءتها له، إلاّ أنه قاطع مترجمه قبل نهايتها ومزّق الوثيقة غاضبا شديد الغضب لأنّه لم يجد بداية الرّسالة في مقام عظمته الامبراطوريّة. ولما أُعلم الرّسولُ بما لحق رسالته من إهانة اكتفى بالقول: «دمّر الله ملكه».

أمّا بخصوص اليمن فيجدر التّدقيق بأن الاستراتيجيّة النبويّة كانت قبل كل شيء استراتيجيّة إقناع مبنيّة على ما يسميه م. واط (M. Watt) «الاستعمال الموسّع للطرق الدّيبلوماسيّة»[2]، بعبارة أخرى هي إرسال الرّسائل والمبعوثين.

1 - رسائل النّبيّ محمّد إلى اليمنيّين

لم يَكْتَفِ النّبيّ محمّد بالنّسبة إلى اليمن بمراسلة باذان الوالي الفارسيّ المُقيم في صنعاء ولكنه ربما عُنِيَ بالاتّصال بعدد من الوجهاء المحلّيّين، وهم من تسمّيهم المصادر «ملوك حِمْير وهَمْدان» و«ملوك كندة المتوّجين»، و«أقيال حضْرَموت». وهم كذلك الأمراء الكثيرون الذين يحملون لقب «أذْوَاء» أو «عبَاهِلة»[3].

وحتى ولو كانت هذه الرّسائل الموجّهة إلى كلّ هؤلاء اليمنيّين لا تَحْظى بإجماع كامل المختصّين في الموضوع، فإنّها تدلّ على أنّ الرّسول محمّدا لم يكن فقط

1 - الطبري، تاريخ، 655؛ المسعودي، كتاب التنبيه، ن.م، ص 225؛ ابن سعد، ن.م، ص 259-260؛ الدياربكري، ن.م، 35؛ انظر أيضا الأهْدَلي، الدرّ المنثور، ص 60-61.

2 - M. Watt, *Mahomet à Médine*, Paris, Payot, 1971, p.157.

3 - يذكر المسعوديّ (التّنبيه، ن.م، ص 158) في نطاق تاريخ اليمن قبل الإسلام، وجودَ ما يسمّيه «التبابعة» (جمع تبّع) أي الحكّام الحميريّين ومختلف «المراتب الملوكيّة» مثل «الأقيال» و«الأذواء» و«العباهلة». وهو يضيف مع ذلك أن الأذواء لم يكونوا يكوّنون طبقة، بل كان اللّفظ يدلّ على سِمَة الحكّام الحِمْيَريّين، مثال ذلك: ذو الأذعر، ذو المنار، وذو الكَلاَع، وذو الأصْبَح، ويبيّن في مروج الذّهب، II، ص 212، أن سِمات ملوك اليمن مثل ذي نواس، وذي يزن قد أضيفت إمّا إلى أسماء مواضع، أو إلى أعمال، أو إلى حروب، لتمييزهم عن الملوك الآخرين وعن بعضهم البعض. انظر كذلك بخصوص الأسياد المحلّيّين: الْوِيسي، ن.م، ص 104؛ االعبدلي، هديّة الزّمان، ص45-51؛ ع. ثور، ن.م، ص 171؛ الهمداني، الإكليل، II، 401-409، الخ... م. الأكوع، اليمن الخضراء مهْد الحضارة، القاهرة، 1971، ص 109.

على علم بتفتّت السلطة السّياسيّة والتمزّق التّرابي باليمن في بداية القرن السّابع، بل كانت له استراتيجيّته الخاصّة التي تختلف عن التي مُورِسَت مع قبائل شمال الجزيرة العربيّة وشرقها[1]. ويُروى أن أولى الرّسائل بُعثتْ ابتداء من محرّم سنة 7 هـ (ماي 628): في البداية رسالة وُجّهت عن طريق المهاجر بن أبي أُميّة المخزوميّ إلى الملك الحميَرَيّ الحارث بن عبد كِلال، ثم رسالة أخرى كُلِّف وَبَر بن يُحَنِّس الخُزاعي بحملها إلى مجموعة «الأبناء» بصنعاء[2]. وفي الحالتين يدعو محمّد (صلعم) المُرْسَل إليهم إلى اعتناق الإسلام والاعتراف بسلطته على الجزيرة العربيّة. ولكن يبدو أنّ الرّسالة الثّانية أُرْسِلت بعد وفاة الوالي باذان. ونلاحظ بهذا الصّدد أن المصادر العربيّة تجعل اعتناق باذان الإسلام مباشرة بعد اغتيال الامبراطور الفارسيّ كسرى الثّاني أي في سبتمبر 628، وتذكر أنّ الرّسول أبقاه في منصب وال. فلنتوقف عند هذه الجزئيّة قبل أن نطرح مشكل التّسلسل التّاريخي للعلاقات الدّيبلوماسيّة بين الرّسول و«الأبناء» بصنعاء.

ذكر الطّبري[3] في الرّواية التي خصّصها لـ «معجزة» اعتناق باذان و«الأبناء» في صنعاء الإسلام، رسالةً وجّهها الأمبراطور كسرى الثّاني أنوشروان إلى مرزبانه في اليمن يأمره فيها بإرسال أعوان إلى المدينة لإحضار محمّد ببلاط طيسفون الامبراطوري. وأضاف أن القائدين الفارسيين فيروز بن الدَّيْلميّ وخرّه خُسْرو بَابَويه (قد يكون هذا الإسم تحريفا لدَاذَويه) تَوَجّها إلى المدينة والْتَقَيا بالطائف وَجِيهَيْن قُرشِيَّيْن هما أبو سفيان وصَفوان بن أميّة. ووعد محمّد بالردّ على رسالة باذان من الغد، ومن الغد صرّح من بين ما صرّح به: «... هذه اللّيلة قَتَل مولاي مولاك بواسطة ابنه الأمير شيرويه...» وسجّل المبعوثون التّاريخ وعادوا إلى اليمن، ولمّا بلغهم خبر مقتل الامبراطور، مؤكّدا تنبُّأ الرّسول، اعتنق الوالي باذان ورجاله من حاشيته مثل فيروز وداذويْه وغيرهما، الإسلام[4]. فأقرّ محمّد (صلعم) باذان في منصبه واليا على اليمن ورئيسا لمجموعة «الأبناء».

---

1 - م. واط، ن.م، ص 144.

2 - الخَزرجي، الكفاية، اليمن في عهد الولاة، الكرّاسات التونسيّة، ص 107-108، 1979، ص 34.

3 - الطبري، ن.م، II، 655؛ الكلاعي، ن.م، I، 204 (المعجزة تنبّؤ الرّسول محمّدا بقتل كسرى من قبل ابنه، الأهدلي، ن.م، 60-61.

4 - الدياربكري، ن.م، II، 55-57، حميد الله، رسول الإسلام، II، 236؛ اعتنق باذان الإسلام عام 10هـ حسب الطبري (تاريخ، II، 158) ومن بعده ابن الأثير، الكامل، II، 304.

ومن البديهيّ أنّ أسبابا أخرى تكمن وراء المظهر «الأسطوريّ» و«الإعجازيّ» لاعتناق باذان وأصحابه الإسلام، لها علاقة بالوضع العامّ السّائد في الجهة في ذلك الوقت. ونحن نرى أنّ هذه الأسباب تتعلّق بالحروب ضدّ بيزنطة وبهزيمة الفرس في نِنِيف (ديسمبر 627) أمام جيوش هِرقل، هزيمة زعزعت سلطة السّاسانيين المركزيّة، وأثارت هَلَعا داخل المستعمرات الفارسيّة في الجزيرة العربيّة بما في ذلك اليمن. ومن ناحية أخرى، فإنّ مقتل الأمبراطور كسرى الثاني أنو شروان (في جُمادى الأولى سنة 7/سبتمبر 628)[1] من قِبل ابنه قُباذ الأوّل (628)، والصعوبات المُنجرّة عن خلافته، دفع كلّ ذلك في نظرنا أنصار الفرس في أغلب مدن السّاحل الشّرقيّ والجنوبيّ للجزيرة العربيّة، إلى البحث عن مُساندين خارجيّين. وفي هذا السّياق المضطرب اتّجهت تلك الفصائل إلى محمّد، سيّد المدينة، وإلى الإسلام، الدّين الجديد الذي كان في ذلك الوقت في أوْج ازدهاره. فإذا كان اعتناق باذان الإسلام يعود حقّا إلى سنة 628، فلماذا انتظر محمّد كلّ ذلك الوقت للاتّصال بـ«أبناء» صنعاء؟ الواقع أنّ الأحداث تبدو من خلال رواية الخزرجيّ وغيره من الأخباريين المتأخّرين مِثل ابن الديبع وابن الحسين وغيرهما، غائمة جدّا. ونحن نرى أن وَبَر مثله مثل جرير، أرْسلا بعد المُهاجر بمدّة طويلة. ويُحتمل أن وَبَر أرْسل إلى صنعاء بعد اندلاع انتفاضة الأسود العَنْسيّ لتحريض «الأبناء» على مقاومتها بكلّ حزم. سنتعرّض لاحقا إلى هذه النّقطة عند دراسة موضوع الرّدّة.

وما يمكن أن نستخلصه من هذه الاتّصالات «الدبلوماسيّة» الأوّليّة بقبائل الجنوب التي قام بها الرّسول، هو أنّ تلك الحركة يُرجّح أنها بدأت سنة 628 بعد اغتيال كسرى الثّاني ثم تطوّرت غداة فتح مكّة وبلغت أوْجها عام 9/ 630 المسمّى «عام الوفود».

هل كان إذن من باب الصّدفة أنّ المصادر، على غرار الطّبري[2]، لم تغفل عن الإلحاح على أمر هام وهو أنّ قبائل شبه الجزيرة قرّرت إثر خضوع قريش لسلطة المدينة سنة 630، وبعد أن كانت في حالة انتظار (Wait and see كما يقول شعبان)[3]، أن تنسج على منوال قريش التي كانت إلى ذلك الوقت أخطر أعداء الرّسول محمّد وأكثرهم تصدّيا له، وزعيمة العرب المطلقة، وذلك بإرسال وفود إلى محمّد إمّا لمبايعته

1 -انظر فيما يتعلق بالفرس الدراسات التالية:

Hamidullah, *Le Prophète..*, II, p. 242. *Sur les Perses*, voir Christensen, *L'Iran sous les Sassanides*

2 – الطبري، تاريخ، II، ص 61 وما بعدها.

3 – A. Shaban, *Islamic History*, *op. cit*.

أو لمشاهدة عن كثب مدى ما بلغه الإسلام، أو لاعتناق الدّين الجديد والدّخول في حمايته (أهل الذّمّة)، عاجزةً في وضعها ذاك عن التصدّي له وعن معارضة مخطّطاته بنجاعة كما نصّ على ذلك الدياربكري[1] (من القرن السادس عشر)؟

ولخّص حميد الله[2] الوضع جيّدا كما يلي: «صار تأثير الدولة المدينيّة بعد فتح مكّة سائدا في شبه الجزيرة العربيّة، وصار الناس من كل حَدْب وصوب يرغبون في الخضوع إلى سلطتها. ولا يمكن لليمن في ذلك الظّرف أن يبقى بمعزل عن التّأثير الإسلاميّ. وبما أن السّلب والنّهب صارا من الأحداث اليوميّة، اعتنقت عديد القبائل الإسلام لتحتمي به من ثأر جيرانها المحتمل». وهو يرى أنّ اعتناق «الأبناء» الإسلام تمّ بعد إرسال سفارة إلى اليمن في الوقت الذي كانت فيه الجاليّة الفارسيّة تَيْأس من الحصول على أيّ شيء من الامبراطوريّة السّاسانية التي كانت «منشغلة بالحروب البيزنطيّة ضدّ هِرقل وكذلك بحروب الخلافة على السّلطة»[3].

2 - رُسُلُ محمّد (صلعم) إلى اليمن

سبق أن ذكرنا بخصوص رُسُل النبيّ محمّد إلى اليمن إرسالَ المهاجِر بن أميّة إلى «أقيال» حِمْير (الحارث بن عبد كلال ومسروق)، ووبَر بن يُحَنّس إلى «الأبناء» في صنعاء. ونضيف إلى هاتين المهمّتين مُهِمّاتٍ أخرى كلّف بها بعض الصّحابة المشهورين مثل خالد بن الوليد المخزوميّ وعليّ بن أبي طالب ومَعَاذ بن جبل الأنصاريّ وأبي موسى الأشعريّ وجرير بن عبد الله البَجَلِيّ. فماذا حدث؟

أ-مهمّة وَبَر

تؤرّخ المصادر العربيّة (الطبري وابن خيّاط وابن الأثير) اعتناق باذان الإسلامَ سنة 631/10 وتربطه بالمهمّة التي كُلِّف بها وَبَر بن يُحَنّس الذي نزل بمجرّد وصوله إلى صنعاء، حسب الواقدي، في بيت بنات النعمان بن بُزرج الأبْناويّ[4]. ويَعود الفضل في قبول عديد الوجهاء الفرس مثل فيروز بن الدَّيْلَميّ ومَرْكَهُود وابنه عَطاء ووهب بن منبّه اعتناق الإسلام إلى ما فعله وَبَر. إلاّ أننا نرى أنّ للمهمّة التي كلّف بها الرسول وَبَر بن يُحَنّس لها علاقةً باندلاع ردّة الأسود بصنعاء. وهو ما سنعود إليه بأكثر تفاصيل.

1 - الدياربكري، ن. م، II، 121.

2 - حميد الله، وثائق...، ن. م، ص 77-78.

3 - ن. م.، ص.78، ولنفس المؤلف، رسول الإسلام، I، ص 243.

4 - الخزرجي، ن.م، ص 34.

فهل يكون الطبريّ ألحّ لهذا التسبب على الدّوْر الأساسي الذي لعبه «الأبناء» في نَشر الإسلام وتعميقه ونشر التعاليم القرآنيّة باليمن في القرن الأوّل/ السّابع؟.

ب-مهمّة خالد بن الوليد.

الحقّ أنّ المصادر العربية تذكر مهمّتين كلّف بهما الرّسولُ خالد بن الوليد باليمن.

المهمّة الأولى[1] التي ارتبطت بمهمّة عليّ بن أبي طالب لدى همْدان، تبدو ذات إشكال إذ توّجت، بعد ستّة أشهر من الجهود لإقناع همْدان باعتناق الإسلام، بالفشل الذّريع. وسنعود لاحقا إلى لهجة الانتصار لعليّ كما تظهر من خلال الرّواية التي تتحدّث عن عمل عليّ التبشيريّ في اليمن.وفي المقابل، تبدو حَمْلة خالد لدى بَلْحارث بن كعب من نجران[2]، في ربيع الأوّل أو ربيع الثّاني أو جمادى الأولى سنة 10 هـ أكثر احتمالا. ثم إنّه من المفيد أن نلاحظ بهذا الصّدد أن قوم بلحارث خضعوا بعد ثلاثة أيّام من الإنذار دون قتال، لمبعوث النبيّ وأرسلوا وفدا إلى المدينة لملاقاة محمّد وإعلامه باعتناقهم الإسلام. وبالتالي هل ينبغي أن نعود إلى هذه النّقطة في دراستنا للعلاقات بين محمّد وكفّار نجران؟.

ج-مهمّات علي بن أبي طالب باليمن[3]

أحصى المؤرّخ اليَمَني الأهدلي[4] أربع مهمّات لعليّ باليمن كانت على التّوالي لدى هَمْدان (سنة 629/8)، ومَذْحِج (سنة 631/10) وزُبَيْد والنّجرانيّين.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 131-132؛ الدياربكري، ن.م، II، 195؛ الحلبي، II، 260؛ ابن الأثير، الكامل، II، 300؛ الخزرجي، ن.م، ص 38؛ الأهدلي، ن.م، ص 72-73.

2 - ابن هشام، ن.م، I، 958-960؛ ابن سعد، ن.م، I، 339-340، II، 169؛ الطبري، تاريخ، III، 126؛ المسعودي، التنبيه، ن.م، ص 45؛ ابن الأثير، الكامل، II، 293 و300.

3 - انظر بخصوص مهمّتي عليّ باليمن: ابن هشام، ن.م، II، 999؛ ابن سعد، ن.م، I، 340-341؛ II، 169-170، ص. 337، ص 340؛ الطبري، تاريخ، III، 131-132، 147-149؛ ابن حبيب، كتاب المحبر، ن.م، ص 125؛ الكلاعي، كتاب الاكتفاء، I، 437؛ الواقدي، ن.م، 1079-1083؛ ابن سلّام، ن.م، ص 284؛ المسعودي، كتاب التنبيه، ن.م، ص 238-239؛ الدياربكري، ن.م، II، 144-145؛ ابن الأثير، الكامل، II، 300-301؛ الجَندي، ن.م، ص 15-16؛ الخزرجي، ن.م، ص 38، وص 53-54؛ الأهدلي، ن.م، ص 73-77؛ حميد الله، وثائق، 58-60؛ انظر أيضا مخطوط المكتبة الوطنية بتونس: فتوح اليمن أو رأس الغول الذي يعرض غزو علي لليمن في شكل أسطوري غير محتمل تاريخيا.

4 - الأهدلي، ن.م، ص 73-77.

ولكنّنا إذا تمعّنا في الرّوايات التي نقلتها المصادر العربيّة في هذا الموضوع، يبدو أن عليّا أُرْسل إلى اليمن مرّتين على أقصى تقدير: في المرّة الأولى إلى همْدان (في شهر رمضان من سنة 10هـ/631)، وفي الثّانية إلى مناطق مَذْحِج ونجران.

***مُهمّتُه لدى همْدان**

يلاحظ الطّبريّ[1] في حديثه عن أحداث السّنة العاشرة/631، ناقلا رواية البَراء بن عازب، أنّ محمّدا بعث في شهر رمضان عليّا بن أبي طالب على رأس حَملة عسكريّة لتعويض خالد بن الوليد الذي كان أُرْسل منذ ستّة أشهر في ربيع الأوّل وفشل في محاولته دفع هَمْدان إلى اعتناق الإسلام. وكان عليّ أسعد حظّا من خالد بما أنّ قبيلة همدان اعتنقت الإسلام في يوم واحد إثر سماعها رسالة النبيّ. وإنّ الحديث المنسوب إلى الرّسول محمّد حال بلوغ نبإ اعتناق هَمْدان الإسلام إليه: «سَلاَمٌ على هَمْدان»، يدلّ دلالة واضحة على أهمّية الحدث بالنّسبة إلى السّلطة المدينيّة.

إلى أيّ حدّ يمكن قبولُ رواية البَراء هذه مع أنّ ابن حبيب والمسعوديّ[2] أكّداها، ونَسبت إلى عليّ فضل الفوز بإسلام همْدان سلميّا؟

نرى أنّ رواية البَراء[3] التي جَمَّلت جُهودَ عليّ من أجل أَسلمة هَمدان، نُحِلت فيما بعد لنفس الأسباب التي جعلت هَمْدان تنحاز لنُصرة علّي في صراعه مع معاوية. وليس من باب الصدفة أنّ البَراء بن عازب الذي روى هذه الرّواية وساهم بنفسه في حملة عليّ المزعومة ضد هَمْدان، قد نعته مؤلّف كتاب **الاستيعاب**[4] بأنه خزرجيّ شارك في حروب الجمل وصِفّين ونهروان في صفّ عليّ. بعبارة أخرى من المشروع تسجيل شكّنا في هذه الشّهادة المفرطة في تمجيد عمل عليّ التّبشيريّ باليمن.

***مُهمّة عليّ الثّانية باليمن**

إنّ موقفنا من المهمّة الثّانية التي كلَّف بها محمّد صِهرَه وابن عمّه مختلف إذ تبدو لنا أكثر مصداقيّة. ورواية الواقديّ[5] وحدَها هي التي تستحقّ من بين كلّ المصادر

---

1 - الطبري، تاريخ، II، 131-132؛ الحَلَبي، ن.م، II، 260 وما بعدها.

2 - ابن حبيب، ن.م، ص 125؛ المسعودي، التنبيه، ص 238-233.

3 - الطبري، تاريخ، III، 131-132.

4 - الاستِيعاب، ن.م، I، 155-157.

5 - الواقدي، ن.م، 1079-1083؛ الحلَبي، ن.م، II، 232-233، ابن الأثير، الكامل، II، 301.

التي ذكرت هذه المهمّة أن نتوقّف عندها مطوّلا خاصّة أنّ الطّبريّ وابن سعد والحَلَبي أكّدوها[1].

فالواقدي يقدّر عدد المشاركين في هذه الحَملة العسكريّة بثلاثمائة رجل ويؤرّخها في شهر رمضان سنة 10هـ. فلننظر عن كثب في الرّوايتين اللّتين يرويهما بخصوص هذا الموضوع.

توضّح الرّواية الأولى المنسوبة إلى أبي رافع[2] أن محمّدا أوصى عليّا ألاّ يقاتل اليمنيّين إلاّ إذا هاجموه، كما أوصاه أن يعرض عليهم اعتناق الإسلام بصفة تدريجيّة، فيقتصر على دعوتهم إلى الاعتقاد بأن لا إله إلّا الله، وأداء الصّلاة، ودفع الزّكاة. وبمجرّد دخول جُنده تراب مَذْحِج شمال اليمن حتّى انتشروا في كامل الجهة وتوصّلوا إلى جمع غنائم من الإبل والغنم والثّياب فضلا عن الأسرى من النّساء والأطفال[3]. وأودعت هذه الغنائم عند بُرَيْدة بن الحُصيْب قبل اندلاع المعركة ضد اليمنيّين الذين لم يقتصروا على عدم الاستجابة لدعوة عليّ لاعتناق الإسلام بل بادروا بمهاجمة الجند الإسلاميّ. فسلّم عليّ الرّاية إلى مسعود بن سِنان السّليمي الذي قاتل رجلا من مَذحِج اسمه الأسود بن الخُزاعي وهَزمه. وبذلك افْتُتح القتال بين المعسكريْن. وانتهت المعركة لصالح المسلمين الذين قتلوا عشرين من خصومهم ودفعوا الباقي إلى الانهزام. إثر ذلك قبِل اليمنيّون عَرَض عليّ بالخضوع له وباعتناق الإسلام. فبايعه البعض من قادتهم باسمهم الخاصّ وباسم قبائلهم، بل أكثر من ذلك عَرَضوا عليه أن يؤدّوا له الزّكاة على ممتلكاتهم[4]. وأضاف الواقدي إلى هذه الرّواية جزئيّة تبيّن طبيعة عليّ المتشدّدة، قائلا إنّه وزّع الغنائم حسَب القواعد المعمول بها واحتفظ بالخمس في مكان آمن قائلا إلى أصحابه إنّ الرّسول من حقّه أن يُعطيه إلى من يشاء. وفي طريق العودة توقّف عليّ في «الفُتُق» وهي قرية قريبة من الطّائف؛ وكلّف أبا رافع بقيادة الجيش وبحراسة الخُمُس موصيا رجاله بعدم ركوب جِمال الصّدقات. ثم عاد مسرعا إلى مكّة لمشاركة الرّسول الحجّ سنة 10/ 631. فطلب الجنود من أبي رافع أن يُعطيهم أثوابا يمنيّة من الخُمُس الذي أمّنه عليّ عنده، فلم يقدر على رفض طلبهم وسلّم كلاّ منهم ثوبَيْن. وعند وصول الجيش قرب مكّة استقبله عليّ وخلع ثياب الجنود التي وزّعها عليهم أبو

1 - ابن سعْد، ن.م، 169، 170؛ الطبري، تاريخ، III، 148-149؛ الحلَبي، ن.م، II، 232-233.

2 - الواقدي، ن.م، 1079.

3 - ن.م، 1080.

4 - ن.م، 1080.

رافع مثيرا بذلك غضب الجميع. إلاّ أنّ ذلك الغضب سرعان ما أزاله الرّسول، وقد نُسب إليه حديث يمجّد عليّا ويعترف بنزاهته وبعمله في نُصرة الله[1].

تلك هي تقريبا رواية أبي رافع التي استكملها الواقديّ اعتمادا على رواية سالم مؤلى ثابت[2] الذي أضاف تفاصيل تتعلّق باختيار علي بُرَيْدة عونا له بعد خضوع اليمنيّين وإرساله إلى محمّد رسالة إعلاميّة. وفي هذه الرّسالة التي كلّف عبد الله بن عَمرو بن عوف المُزَني بحمْلها إلى مكّة أخبر عليّ الرسولَ بما فعله ضد الزبيديّين وقبولهم، إثر هزيمتهم العسكريّة، أن يؤدّوا الزّكاة ويتعلّموا التّعاليم القرآنيّه[3]. وإثر وصول هذه الرّسالة أمر النبيّ عليّا، عن طريق عبد الله بن عوْف، بالعودة مباشرة إلى مكّة لمشاركته مناسك الحجّ سنة 10/ 631. وتفسّر لنا هذه الجزئيّة الأخيرة في رواية سالم تعجّلَ عليّ الذّهابَ إلى مكّة بعد أن جعل جيوشه تحت قيادة بُرَيْدة.

بصفة عامّة، رواية الواقديّ بصيغتيها، أكّدها الطّبري الذي عاد أيضا إلى ابن اسحاق[4] ولكنّه لم يقدّم تدقيقات بخصوص عمل عليّ العسكريّ ضدّ آل مِذْحَج وآل زُبَيد، ولا بخصوص التّراسل بينه وبين الرّسول بعد انتهاء مهمّته.

إلاّ أنّ الطّبري[5] يذكر مهمّة كلّف بها محمّد عليّا سنة 10هـ، مهمّة جمع الضّرائب بنجران: الزّكاة بالنّسبة إلى المسلمين والجزية بالنّسبة إلى المسيحيّين[6]. وهي مهمّة دُعي صهر الرّسول إثر انتهائها إلى مكّة قَصْد ذبح الأضاحي والقيام بمناسك الحجّ.

فنحن نعتبر إذن حملة عليّ باليمن على مِذْحج (رمضان سنة 10هـ) كما رواها الواقديّ، ومهمّته في نجران لجمع الضّرائب كما وصفها الطبريّ والأخباريّون الآخرون[7]، مهمّتين مترابطتين وتندرجان في نطاق أنشطة عليّ باليمن. ومن ناحية أخرى، فإنّ جعل المهمّتين في نفس التّاريخ (رمضان سنة 10 هـ) دليل على عدم الفصل بينهما وعدم اعتبارهما مهمّتين مختلفتين.

---

1 - ن. م، 1080. انظر أيضا: الطبري، تاريخ، III، ص 149؛ حميد الله، رسول الإسلام، ن. م، I، 420.

2 - الواقدي، ن. م، ص 1082.

3 - ن. م، ص 1082.

4 - الطبري، تاريخ، III، 149.

5 - ن. م، ص 147.

6 - ن. م، ص 147؛ ابن الأثير، الكامل، II، 301.

7 - الطبري، تاريخ، III، 147؛ البلاذري، أنساب، I، 384؛ ابن الأثير، الكامل، II، 301.

فمن المفيد ملاحظة المطابقة بين رواية الواقديّ المتعلّقة بمهمّة عليّ في أراضي مذحج، ورواية ابن سعد[1] وحتى رواية ابن الأثير[2] المتعلقتين بالمهمّة التي كلّف بها محمّد عليّا لدى بَلحارث بن كعب بنجران. فالأخباريّون المسلمون، نقل كلّ منهم على حِدة أنشطة عليّ العسكريّة باليمن وكأنّها مهمّات منفصلة بعضها عن بعض، في حين لم يستطع عليّ القيام بهاتين المهمّتين في شهر رمضان من عام 10هـ والالتحاق إثر ذلك بمكّة قبل موسم الحجّ.

والنقطة التي تُجمع عليها كامل المصادر إجماعا تامّا هي بالذّات مشاركة عليّ في حجّ السّنة العاشرة للهجرة مباشرة بعد عودته من اليمن[3]. فرواية الواقديّ تتضمّن الجزئيّات الهامّة التّالية: فهو من جهة يذكر اللقاء بين عليّ وكعب الأحبار واعتناق كعب الإسلام[4]، ويذكر من جهة أخرى خطابا ألقاه عليّ بحضور مجموعة من اليهود في مكان ما من اليمن، من الأرجح أنّه عَدَن أَبْيَن، على الأقلّ حسب رواية البخاريّ[5]. ويُروى أيضا أن محمّدا بعث عليّا إلى صنعاء صحبةَ بُرَيْدة الأسْلميّ والبَرَاء بن عازب قُبيل حجّة الوداع في موفّى سنة 10 هـ وقيل إنّ عليّا قاتلته أثناء هذه الحملة قبائل تِهامة (عَكّ) بـذُؤال والمَعْقِر، (قرية قرب زَبيد)، قبل أن يتمكّن من التغلّب عليها وقتل عدد كبير منها وأَسَر عدد آخر. ويذكر الخزرجيّ[6] من بين الأسرى الأكثر شهرة زهير بن محمّد بن مالك بن ذُؤال، جدّ الزهيريّين حكّام محلّ ولِهام.

إلى أيّ مدى يمكن قبول هذه المعلومات؟

هل يمكن تصديق أنّ عليّا تمكّن من اختراق اليمن إلى عَدَن أَبْيَن؟ أم هل ينبغي أن نصدّق بكلّ بساطة أنّ هذا النشاط العسكريّ الذي قام به عليّ ضد قبائل تِهامة وخاصّة منها قبيلة عَكّ يشمل أيضا المهمّة التي ذكرها الواقدي ضدّ قوم مِذحج وزُبَيد القاطنين في السّهل السّاحليّ؟

1 - ا ابن سعد، ن، م، II، 169-170.

2 - ابن الأثير، الكامل، II، 301.

3 - الطبري، تاريخ، III، 147؛ البلاذري، أنساب، I، ابن الأثير، الكامل، II، 301؛ الواقدي، ن. م، 1079-1081.

4 - الواقدي، ن. م، 1082.

5 - الخزرجي، ن. م، ص 38.

6 - ن. م، ص 38.

وفي الجملة فإنّ نشــاط عليّ في اليمن يتلخّص في بعثتين منفصلتين[1]، كانت الأولى سـلميّة خُتمت باعتناق هَمْدان الإسـلام؛ حتّى وإن كان الاعتناق «الجماعيّ» وشـبه «المعجزيّ» قد نُحت بصفة بَعْدية، فلا يمكن أن ننكر تماما الإرسـال الحقيقيّ لمثل هذه البعثة بقيادة عليّ.

أمّـا البعثة الثّانية التي يُدرجها الكثير من الأخباريّين المسـلمين في نطاق أنشـطة الرّسـول العسـكريّة (سَرَايا وبُعوث)[2] وبالتّدقيق سـنة 10هـ، فإنّها مكّنت عليّا من التّوغـل في تهامة وحتّى في صنعاء وعَدَن لإخضاع القبائل اليمنيّة التي كانت لا تزال متمنّعة، إلى السّلطة المدينيّة.

ولكن بالتّوازي مع هذا النّشـاط العسـكريّ الذي قام به عليّ، يجب أن نذكّر أيضا بنشاطه القضائيّ والجبائيّ. وإذا عدنا ثانية إلى رواية الواقديّ، لاحظنا أنّه يؤكّد اعتمادا على رواية لأبي سعيد الخدريّ[3] أنّ عليّا كان يجمع الصّدقة في اليمن على الماشية (الإبل والغَنَم والبقر)، وعلى المنتوجات الزراعيّة في الآن نفسه (الذّرة والزّبيب)، ويوزّع نصيبا منها على الفقراء وعلى مستحقّيها. ويؤكّد الطّبري[4] أيضا أنّ عليّا كلّف بجمع الصّدقة في نجران من الكفّار الذين أسـلموا وبجمع الجزية من المسـيحيّين من قوم بَلحارث بن كعب.

أمّـا بخصوص عمل عليّ القضائيّ في اليمـن، فقد رُوي لنا اعتمادا على رواية رجاء بن حَيَوَه[5]، أنّه حَدَّد بمناسبة النّظر في مَظلمة رُفعت إليه مقدارَ الدّيّة بحسب ممتلكات المتقاضين كما يلي: مائة بعير، أو ألفا نعجة، أو مائتا بقرة، أو ألفا ثوب من المَعَافِر.

وملخّص القول أنّ عمل عليّ القضائيّ والجبائيّ في اليمن يؤكّد نشاطه العسكريّ والدّينيّ ويكمّله سـواء لدى همْدان أو غيرها مـن القبائل (مَذْحِج وعكّ وبَلحارث وزُبَيد وغيرها).

---

1 - ابن حبيب، ن.م، ص 125؛ ابن الأثير، الكامل، II، 300، 301.

2 - ابن سعْد، II، 69-70؛ الطبري، تاريخ، III، 130-132.

3 - الواقدي، ن.م، 1085.

4 - الطبري، تاريخ، III، 147.

5 - الواقدي، ن.م، 1085.

د-مهمّة جرير بن عبد الله البَجَلي[1]

نذكّر قبل كلّ شيء أنّ جرير بن عبد الله كُلِّف بُعَيد وصوله إلى المدينة في شهر رمضان عام 10هـ/ديسمبر 631 برئاسة وفد بَجِيلة، والاتّجاه إلى تُبالة لتدمير معبد ذي الخُلَصَة. وذكر ابن الكلبيّ[2] أنّ المعبد المذكور كانت تؤمّه عديد القبائل مثل بَجِيلة وخَثْعَم، وأنه دُمّر وأحرق بعد أن قُتل ثلاثمائة من عَبَدته وسَدنَته. ويرى ابن حبيب[3] أنّ جَريرا بُعِث إثر ذلك إلى سيّدَيْن حِمَيَرّيين هما ذو الكلاع وذو عمرو قصدَ دعوتهما إلى الإسلام. وأدرج صاحب المُحَبر مهمّة جرير هذه في نطاق ما سمّاه «عمل رُسُل النبيّ إلى الملوك والأعيان»[4] أي لها نفس المنزلة التي كانت للمهمّات التي كلّف بها الرّسول، بُعيد ظهور نبّوته، مبعوثيه المسلمين إلى حكّام بيزنطة وفارس والحبشة وغيرها.

ويجدر لتقدير مهمّة جرير حقّ قدرها أن نعرف شخصيّة متلقّيَيْها ذي عمرو وذي الكلاع.

فقد أكّد ابن حبيب أنّ ذا عمرو رجل يهوديّ قال لجرير: «إذا كان من أرسلك على حقّ، فلا بدّ أنّه تُوفّي اليوم لأننا وجدنا في كتبنا أنّ آخر نبيّ في الدنيا سيموت في يوم كذا». ويضيف نفس الأخباري أنّ ذلك التّاريخ سُجّل وأنّه بعد بضعة أيام وصل خبر وفاة محمّد. لذلك اعتنق القائدان اليمنيّان ذو عمر وذو الكَلاع الإسلام[5]. وكان ذو الكَلاَع، واسمه الحقيقيّ السُّمَيْفَع بن ناقور بن عمرو بن يَعْفُر بن زيد الجُمهور أحَد أفراد عشيرة بني إبَاضة التّابعة لآل زَيْد الجُمهور من سلالة قبيلة حِمْير[6]؛ وذكره الطّبريّ[7] كواحد من القادة اليمنيّين الذين اتّصل بهم أبو بكر زمنَ انتفاضة قيْس بن المَكْشوح المراديّ لمساندة الأبناء في صنعاء والانضمام إلى صفّ العامل المسلم الجديد فيروز الدّيْلميّ. ويبدو أنّ قيس بن المكشوح أيضا طلب منه أن

---

1 - البلاذري، أنساب الأشراف، I، 384؛ ابن الأثير، الكامل، II، 304.

2 - ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ص 35-36.

3 - ابن حبيب، كتاب المحبر، ص 75.

4 - ن.م، ص 75-77.

5 - ن.م، ص 75.

6 - الهمداني، الإكليل، II، 248؛ ابن حزم، ن.م، ص 434؛ القلقشندي، نهاية، ص 34؛ الذَهَبي، تجريد، I، 170.

7 - الطبري، تاريخ، III، 323.

يناصره ضدّ خصومه الفُرس. وأعلمنا الهَمْدانيّ[1] من ناحية أخرى أنّ ذا الكَلاع كان صانع توحيد قبيلتَي ذي الكَلاع وحِمْير وباني قلعة المصنع في الشّمال الغربيّ من مدينة إب. ونقل الدياربكري[2] عن الأصمعيّ أنّ ذا الكَلاع توجّه، بعد أن ساند المسلمين وقتَ قمع رِدّة اليمن مساندة فعّالة، إلى المدينة صحبة ثمانية آلاف من عبيده، اضطرّ إلى تحريرهم بأمر من الخليفة. باختصار، كلّ هذه المعلومات تبرز المرتبة الاجتماعيّة السّاميّة التي كان يشغلها ذو الكَلاع قبل الإسلام في بلاده.

وقد اشتهر ذو الكَلاع أيضا في العصر الإسلامي بمشاركته في غزو الشّام أوّلا، ثم بموقفه المناصر لمعاوية في صراعه ضدّ عليّ في معركة صِفّين.

ونعود إلى مهمّة جرير لنشير إلى أنّ لقاءه مع القائدين الحِميريّين تمّ بعد وفاة الرّسول بثلاثة أيّام[3]. وعاد ذو الكَلاع وذو عَمرو إلى اليمن بعد أن طلبا من جرير أن يُعلم الخليفة أبا بكر الذي انتقلت إليه السلطة في المدينة منذ وقت قصير، بأنّهما سيعودان لزيارته لاحقا.

عموما، أدّى جرير البَجَليّ بنجاح المُهِمّتَين اللّتين كلّفه الرّسول بهما سنة 10هـ/631 رغم أنّ مهمّته الثانية لدى القائدَيْن الحِمْيَريّين انتهت بعد وفاة محمّد.

هـ-مُهِمّة أبي موسى الأشعري[4]

تذكر المصادر اليمنيّة نقلا عن البخاريّ أنّ مهّمة أبي موسى الأشعري تندرج في نطاق المهمّة التي كلّف بها الرّسول معاذ بن جبل والمتمثّلة في دفع اليمنيّين إلى اعتناق الإسلام وتلْقِينِهم التّعاليم القرآنيّة[5]. ويُرْوَى أن أبا موسى الأشعريّ – وهو من أصل يمنيّ- أعلم الرسول أنّه كان يوجد باليمن مشروبان أحدهما مستخرج من الشّعير ويُسمّى «المِزْر»، والثّاني من العسل وأن محمّدا أجابه «كلّ مُسْكِر حَرَام»[6].

---

1 - الهمداني، الإكليل، II، 248.

2 - الدياربكري، ن.م، II، 145؛ الأهدلي، ن.م، 81.

3 - الجندي، طبقات فقهاء اليمن، ن.م، 19-20.

4 - ابن سعد، ن.م، II، 344-355؛ IV، 105-106؛ الجعدي، ن.م، ص 8-9؛ الدياربكري، ن.م، II، 184؛ الخزرجي، ن.م، 37-41.

5 - الجندي، ن.م، ص 17؛ الخزرجي، ن.م، ص 41.

6 - الجندي، ن.م، ص 17.

وكُلّف أبو موسى خاصّة بتسيير جهة مَأرب قبل اندلاع انتفاضة الأسود العَنْسيّ، وقبل أن يُضطرّ إلى العودة إلى المدينة قبيْل حجّة الوداع[1]. وليست غايتنا رسم مسيرة أبي موسى الهامّة في عهد الخلفاء الرّاشدين بل ما يشدّ انتباهنا في نشاط هذا العامل المتحمّس للإسلام في عهد الرّسول محمّد هو خاصّة دوره كمعلّم للقرآن لمنظوريه اليمنيّين واشتهاره حافظا جيّدا للكتاب المقدّس[2].

و-مُهمّة مَعاذ بن جَبَل[3]

وكان العمل الذي باشره صحابي آخر من أصل يمني هو معاذ بن جبل، بأمر من الرّسول أكثر حَسما خاصة في مجالات التّبشير والتّعليم والقضاء، وإنّ لكثرة الأخبار التي جمعها العلماء المسلمون في هذا الموضوع بليغ الدّلالة على أهمّية هذا العمل وعلى خصال معاذ السّاميّة كالاستقامة والطّيبة والنّزاهة والعلوم ومعرفة القرآن والسّنّة وقد سخّرها لخدمة الإسلام في اليمن خاصّة.

وبعث الرّسول معاذا لزيارة مختلف أقاليم اليمن ومراقبة تعليم الدّين والقرآن بها عن كثب، وممارسة القضاء بأكثر ما يمكن من العدل وكذلك بالطّبع المساهمة في انتشار الإسلام بين اليمنيّين.

ومثل هذه الوصايا تعطينا فكرة عن أكبر هواجس محمّد بخصوص نشر التّعليم، وهو شرط لا مَحِيدَ عنه لفهم النّصّ القرآنيّ والعمل بتعاليم الإسلام ونشر العدالة.

وورد في خبر عن يزيد بن هارون[4] بخصوص نشاط معاذ بن جبل القَضَائيّ، أن محمّدا نصح مبعوثه قبل انطلاقه إلى اليمن باستعمال الإقناع واللّين لاستمالة قلوب اليمنيّين للإسلام. ومن ناحية أخرى اشتهر معاذ بمعارفه الفقهيّة والعلميّة (أحكام

---

1 - ن.م، ص 23-24.

2 - ابن سعد، ن.م، IV، 108-109؛ II، 345.

3 - انظر بخصوص معاذ ابن سعد، ن.م، II، 347-350؛ 583-590؛ الأزدي، تاريخ فتوح الشام، القاهرة، 1970، ص7، 19، 89، 91،100، 101، 115، 137، 161، 180، 198، 212، 217، 222، 270، 273؛ الجعدي، ن.م، ص 17-18؛ الدياربكري، ن.م، II، 143-144؛ الخزرجي، ن.م، 41-44؛ الأهدلي، ن.م، 78-80؛ الأكوع، الوثائق، ن.م، ص 125 وما بعدها.

4 - ابن سعد، III، 574؛ الخزرجي، ن.م، ص 41.

القضـاء وعلوم القرآن) ممّا جعل النّاس ينسـبون إلى الرّسـول هذا الحديث في شـأنه: «معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام، معاذ إمام العلماء وغير ذلك»[1].

وتوجّه معاذ حسَـب الأخباريّين اليمنيّين[2]، أوّل الأمر إلى صنعاء ثم إلى الجند حيث كلّف بتبليغ رسالة من النّبيّ إلى وجهاء الإقليم بني الأسود سادَةِ حِمْير والسَّكاسِك.

وبيّن الخزرجيّ خصوصا أن الرّسالة المذكورة سُلّمت فعلا في شهر جمادَى الثّانية سـنة 10هـ/سـبتمبر 631 قُبيل وفاة الرسول، إلى بني الأسـود الذين اعتنقوا الإسلام بدون شـك ولكن بصفة سـطحيّة. فقد توصّل في اجتماع عُقِد في شـهر رجب سنة 11هـ في مسـجد الجند إلى إقنـاع جميع بني الأسـود باعتناق الإسـلام بفضل أجوبته الحصيفة على الأسئلة التي طرحها عليه اليهود المنتمون إلى تلك القبيلة.

ورغـم انتماء هذه الحكاية التي رواها الخزرجيّ على علاّتها عن البيهقيّ، إلى طبيعة النّادرة[3] فـإنّ أهمّيتها تكمن في إبراز بقاء اليهوديّة بين قبائل اليمن الحِمْيَريّة تحديدا في إقليـم الجَنَد. ويثبت العـالم اليمنيّ الأكْوَع[4] أنّ الاحتفال في جامـع الجَنَد يومَ الجمعة الأوّل من شهر رجب لإحيَاء ذكرى أَسْلَمة بني الأسود الجماعيّة صار عادة يحتفل بها اليمنيّون سنويّا بصفة منتظمة إلى اليوم.

يتلخّص إذن نشـاط مَعَاذ بن جبل في اليمن في عصر الرّسـول في ثلاث كلمات: التّعليم والعدالة وجمع الضّرائب.

وبخصوص الجباية[5] طُلب من مَعاذ أن يأخذ تَبِيعا عن ثلاثين بقرة، وبقرة مُسِنّة عن أربعين رأسـا أي مقدار الصّدقة المفروضة على مُسلمي اليمن وحَضْرموت؛ وفي المقابل يُطالب أهل الذّمّة وخاصّة منهم اليهود، بدفع دينار عن كلّ رجل راشـد أو ما يقابله من المعافر على أنّه جِزْية. أمّا بخصوص المنتوجات الخاضعة للصّدقة فإنّه يذكر التّمر والذُّرَة والشّـعير والزّبيب والحْنطة، بمقدار العشر أو جزء من 20 جزءًا بحسـب نوعيّة السَّقي.

---

1 - ابن سعْد، ن.م، II، 347؛ III، 586.

2 - الخزرجي، ن.م، ص 42-48؛ الجعْدي، ن.م، ص 17-18.

3 - الخزرجي، ن.م، ص 42 وما بعدها.

4 - انظر ملاحظة م. الأكْوَع محقّق قُرّة العيون، لابن الديبع، I، ص 59.

5 - البلاذري، فتوح البلدان، ص 95-98؛ ابن سَمُرة الجَعْدي، ن.م، 18-19. وانظر مقالنا النظام الجبائي والتنظيم المالي في اليمـن في عهـد الوُلاة (من القرن الأوّل إلى القرن الثالث/IX - -VII م)، الكرّاسـات التونسـية، المجلد XXXXI - XXXXII، عدد 151-154، ص 65-120.

هؤلاء في نظرنا هم أهمّ مبعوثي الرّسول إلى اليمن. أمّا بخصوص الأعوان المسلمين الآخرين الذين تذكرهم المصادر (المهاجر وخالد بن سعيد وزياد بن لَبيد ويَعْلى بن أميّة وطاهر بن أبي هَالة وعامر بن شهر وشهر بن باذان وغيرهم) والذين نجدهم إمّا على رأس قبيلة أو على رأس جهة من جهات اليمن، فقد فضّلنا دراسة أنشطتهم في الفصل المخصّص لإدارة الإقليم اليمنيّ في العصر المحمّدي.

ولنتحوّل الآن إلى دراسة ردّ فعل القبائل اليمنيّة إزاء الإسلام بصفته دينا جديدا يدعو إليه محمّد وإزاء السّلطة المنتصبة في المدينة منذ الهجرة سنة 622م. فالأمر يتعلّق بمشكل أسلمة اليمن واعتناق قبائله العقيدة الإسلاميّة. وهو مشكل خلافيّ جدّا. فهل نقبل في هذا السياق ما ذكرته المصادر المتأخّرة وخاصّة منها ابن هشام وابن سَعْد والبلاذُري الذين اتّفقوا جميعا على أنّ اعتناق اليمن الإسلامَ كان في الوقت نفسه سريعا وسلميّا وتلقائيّا؟ أم هل يكون أقربَ إلى المنطق الشكُّ في تلك المعلومات فنستبعد كونَها عبّرت عن موقف القبائل اليمنيّة الحقيقيّ من الإسلام في العصر المحمّدي بل كانت بالعكس من ذلك إسقاطات تبريريّة تمّت في الماضي.

II-موقف قبائل اليمن من الإسلام

إنّ ما تنعته المصادر العربيّة واليمنيّة بأنّه حركة أَسْلَمة لا يعدو كونه مبايعة سياسيّة لنظام ناشئ انتصب في المدينة سنة 622م وتوصّل في بضع سنوات إلى الحصول على موالاة العديد من قبائل الجزيرة العربيّة[1] وأحسن طريقة لضبط موقف القبائل اليمنيّة من الإسلام ومن الرسول محمّد، تتمثل في ذكر مختلف الأخبار التي جُمعت في موضوع الوفود في القرنين الثّاني والثّالث/ الثّامن والتّاسع وخاصّة من قِبل أخباريّين مسلمين.

ينبغي قبل كلّ شيء التذكير بأنّ الوِفَادة كانت تقليدا معروفا جدا ومنتشرا جدّا بين القبائل العربيّة في الجاهليّة[2]. فالمصادر العربيّة وتحديدا كتب الأدب، تذكر إرسال قريش وقبائل أخرى من شمال الجزيرة العربيّة وجنوبها مندوبينَ أو «سفراءَ» إلى حكّام الجوار. ونذكر على سبيل المثال البعثات العربيّة إلى بلاط طيسفون الامبراطوريّ في القرن السّادس في عهد كسرى I وكسرى II، أو إلى بلاطات الأمراء اللخميّين بالحيرة والغساسة بالشّام وكذلك بيزنطة وأثيوبيا دون أن ننسى البعثات المكّية إلى اليمن في عهد أبرهة ثم سيف بن ذي يزن. وكانت هذه البعثات تهدف إمّا إلى تقرّب هذه

---

1 - انظر بخصوص هذا الموضوع عديد الدراسات عن فترة الرسول محمّد في المدينة وخاصة منها:
M. Watt , *Mahomet à Médine* , Payot , 1978

2 - ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، II، ص. I وما بعدها ؛ المسعودي ن. م، مروج، ن. م، 206.

الوفـود القبليّـة من الحكّام الذين يزورونهم والحصـول منهم على رخص تمكّنهم من التّجارة مع ممالكهم أو نَيل الحظوة لديهم والحصول على هدايا وأعطيات تسـتجيب لما ينتظرونه منهم وتلبّي في بعض الحالات حاجيّاتهم.

وبخصـوص الوفود المُرسـلة إلى المدينة سـنتي 9هـ و10هـــ/630-631 لا ينبغي وضعها في هذا الإطار الدبلوماسيّ الاقتصاديّ المحدود جدّا لأنها دون شكّ كانت لها غايات أخرى تتمثّل في الرّغبة في الاستجابة لدعوة الإسلام واعتناقه ومبايعة محمّد، وقد صار منذ سنة 630م سيّد الحجاز بدون منازع، ومشاهدة نبيّ الإسلام عن كَثَب وسـماع القرآن والاستفسـار على عين المـكان، في المدينة، عن الوحـي وعن التّعاليم الإسـلاميّة، وبالطّبع نيل الأعطيات والهدايا وحتّى القيادات القبليّة[1] خاصّة بالنّسبة إلى البدو.

وتؤكّـد المصادر أنّ محمّدا كان كلّما اسـتقبل وفدا قبليّا، يلبس ثيابا جميلة مثل الملابـس اليمنيّة[2] معبّرا بذلك لضيوفه عن مـدى الأهمّية التي كان يوليها لزيارتهم. ويُروى[3] أنّ الرّسـول كان يجلس لاسـتقبال ضيوفه في مسـجد المدينة قرب «سارية الوفود» المسـمّاة «مَجلـس القِلادة». ومن ناحية أخـرى، كان بالمدينة عدد من الدّور المخصّصـة لاسـتقبال الوفود ولإقامة ضيوف الرّسـول، منها دار رملـة بنت الحارث النّجاريّـة[4] أو دار حامِـد بن عبد الرحمان بن عوْف التي بناها أحد المهاجرين إلى المدينة وتسمّى «دار الضّيفان»[5].

ووصلـت جلّ الوفـود اليمنيّة إلى المدينة خلال سـنة 9هـ أي بعـد فتح مكّة. ولا تقتـصر غايتنا على اسـتعراض أهمّ «وِفـادات أهل اليمن» كما قدّمـت في المصادر بل تتعدّاها إلى بيان موقف أهمّ المجموعاتِ الجهويّة القبليّة في اليمن من الإسـلام في ضوء قـراءة نقديّـة للرّوايات. ونذكر أن الروايـة الأكثر تفصيلا للوفـود القبلية توجد في مؤلّفات ابن هشام وابن سعد. فقد ذكر ابن سعد في كتابه **الطّبقات** ما لا يقلّ عن 44 مجموعـة يمنيّة مبيّنا في كلّ مـرّة الرّوايات التي أمكن له جمعها بخصوص كلّ منها. وتشـمل هذه الوفود الأربعة وأربعـون القبائل القاطنة باليمـن والقبائل التّابعة للغصن القحطانـيّ على حدّ سـواء. وهذا ينجرّ عنـه أنّ الكثير منها لا يهمّنـا. إجمالا، يمكن

---

1 - العَلَوي، تاريخ حضرموت، I، 124.

2 - ن.م، ص 124.

3 - السّمْهودي، وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى، القاهرة، 1954-1955، II، 450.

4 - ابن سعد، طبقات، ص 324 (خولان)، 344 (الرّهَا...)

5 - السّمْهودي، ن.م، II، 728.

أن نجمّــع هذه الوفود ضمن مجموعات جهويّة قبليّة هي التي ســنلقاها في وقت لاحق، بعدَ الردّة منضمّة إلى حركة التّوسّــع في العراق والشّــام ومصر خاصّة، ومشارِكة في أحــداث الفتنة الأولى. هذه المجموعات في نظرنا هي التّالية: أوّلا هَمْدان التي ســنجدها في الكوفة إلى جانب حِمْير؛ ثم مِذْحَج التي ستشارك في الردّة مشاركة فعّالة، أو على الأقلّ البعض من عشــائرها كعَنْس ومُراد، مثلها مثل كندة (حول الأشــعث) وقومِ حضرمــوت فضلا عن يمنيّين آخرين كانوا في مطلع القرن السّــابع يقطنون إمّا شــمالَ اليمن مثل أزد الشَراة وبَجِلية وخَثْعَم، أو شرقَه مثل أزد عُمان ومَهْرة وغيرهم.

1-هَمْدان وحِمْير

أ-هَمْدان[1]

تَــرْوي المصــادر العربيّة بخصوص ظــروف اعتناق هَمْدان الإســلام أنّ رجلا من بَكيل يُدعى قيس بن مالك بن ســعد بن لؤيّ الأرحبيّ، التقى الرّســول في المدينة واقترح عليه أن يحميه معلنا في الوقت نفســه اعتناقه الإســلام. ثم عاد إلى قبيلته باليمن ليحثّها على قَبول الدّين الجديد قبل أن يعود إلى محمّد ويبشّره بالحدث السّــعيد. ويبدو حســب رواية أخرى لابن الكلْبيّ[2]، ذكرها أيضا ابن اســحاق[3]، أنّ الرّســول نفسه هــو الذي اقترح على عدد من القبائل العربيّة بمناســبة الحــجّ إلى مكّة، أن تحمِيه من خصومــه. ونذكر من بين هــذه القبائل بني حنيفة وكِندة وبــني كُلَيْب وبني ذُهل وبني شَيْبان بن ثعلبة[4]، وكذلك همْدان. ويبدو بخصوص هذه القبيلة اليمنيّة الأخيرة أنّ المُقــترح وُجّــه إلى رجل يُدْعى عبد الله بن قيس بن أم غزال من عشــيرة أرحب بن بكيل الذي اعتنق الإسلام ووعد محمّدا(صلعم) بالحماية التي طلبها إلاّ أنّه تخوّف من اســتنكار قبيلتــه لفعله ذاك فانصرف ولكنّه قُتِل في طريق العــودة من قِبل زُبَيْدِيّ يدعى ذباب. فثأر له قومه من بني الأرْحب وقتلوا قاتله. وهذه الرّواية لا تناقض الأولى

---

1 - انظــر بخصــوص وفْد همْدان ابن هشــام، ن. م، II، 963-964؛ ابن ســعد، طبقــات، I، 340-341؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 79؛ الواقدي، فتوح البلدان، ص 1079-1083، الحَلَبي، سيرة، II، 259؛ الطبري، تاريخ، III، 131-132 و149؛ ابــن عبد البرّ، الدّرر، 312-314؛ ابن الأثير، الكامل، II، 300؛ المســعودي، التنبيه، 238-239؛ الجعدي، طبقــات، ن. م، ص 13؛ الخزرجــي، ن. م، ص 39؛ الدياربكري، ن. م، II، 145 و195. انظر أيضا الأهدلي، ن. م، ص 83-85.

2 - ابن سعد، طبقات، I، 413.

3 - ابن هشام، ن. م، I، 281-283.

4 - ن. م، انظر أيضا السُهَيْلي، الروض، I، 246-265.

إذ يُذْكَـر فيهـا موت الأزْحبيّ وهو ما قد يدلّ على أنّ قيْسـا بـن مالك تدخّل بعد ذلك لدى الرّسول وأقنع قبيلته بمبايعته وباعتناق الإسلام.

وفي رواية ثالثة نقلها الشـعبيّ[1] (المتوفى سـنة 105/ 723)، يبدو أنّ عامر بن شَـهْر الهَمْدانـيّ، وهو أحـد وجوه همْدان نديم الملـوك، هو الذي طَلَبَتْ منـه قبيلته بُعيْد ظهور الإسلام، أن يتّصل بمحمّد ويَستَفْسر عن الدّين الجديد الذي كان يدعو إليه، قبل أن يحدّد موقف قبيلته منه. وفي هذا السّـياق، توجّه إلى المدينة ثمّ إلى أثيوبيا لزيارة صديقه النجاشيّ الـذي كان خطابه لا يختلف كثيرا عن خطاب محمّد. عند ذلك اقتنع بصحّة الدّعوة الإسـلاميّة وأقنع بدوره قبيلته باعتناق الإسـلام وكانت همْدان تقطن منذ الغزو الأثيوبيّ موقعا محصّنا يُسـمى جَبَل الحقل، فنزلت إلى السّهل وأقامت بـه. وهـذه الرّواية هامّة جدّا لأنها تقرن أسْـلمةَ همدان بتغيير مـكان إقامتها ونزولها إلى السّـهل بعد أن شَـغَلت موقعا مُحصّنا طيلة ما يقارب القرن (حوالي 525 إلى حوالي 628 م). ويمكن أن نذكّر أيضـا اعتمادا على الرّازي[2] بالتّحالف الذي أبْرَمَتْه همْدان مع باذان وأنْ نتسـاءل عن العلاقة بين ثلاثة أحداث هامّة هي أَسْـلَمة همْدان واعتناق الفرس الإسـلام، وبالطّبع تخلّي همدان عن جَبَل الحلق كملجإ زمنَ الاحتلال الحَبشيّ ثم الفارسيّ لليمن.

وأخـيرا نرى أنّه مـن المفيد أن نذكر روايـة أخيرة جاءت في كتاب **المَيْمون**، نسـبها الدياربكري إلى رجل نَكِرة يُدعى العُقْبي[3] وهو مؤلّف كتاب بعنوان **الكنوز**. ماذا نجد في هـذه الرواية؟ ،إنّها تؤكّد على أنّ أَسْـلَمة همْدان تمّت بفضل مـا فعله عليّ بن أبي طالب الذي نجح فيما فشـل فيه سَـلَفه خالد بن الوليد رغم ما بذله من جهود طيلة سـتّة أشـهر. والملاحظ أنّ حملة عليّ العسكريّة في اليمن تؤرّخ بشهر رمضان سنة 10هـ/ ديسمبر 631م. فهذه الرّواية التي تنسـب إلى عليّ دورا رئيسا في اعتناق همْدان الإسلام، وتمجّد ما قام به من دَعـوة في اليمن، لابدّ أنّها نُحِلَت في وقت متأخّر لتفسـير انحياز همْـدان إلى عليّ أثناء الفتنة الأولى ومناصرة قضيّته وشِيعته.

---

1 - ابن سعْد، طبقات، VI، 28-29.

2 - الرازي، ن.م، 37-38.

3 - الطبري، تاريخ، III، 131-132؛ ابن سعد، ن.م، II، 169-170؛ المسعودي، التنبيه، 238-239؛ الدياربكري، ن.م، II، 145؛ الخزرجي، ن.م، ص 38.

ومهما كان الأمر، فإنّ محمّدا عيّن قيسًا بن مالك سَيّد شَعْب همْدان الذي يشمل في رأي ابن سعد[1] أهل القُرى أو الأحْمُور[2] مثل قُدَم، وآل ذي مَرّان، وآل ذي لَعوَة، وآل ذي بارِق، وآل ذي هَدّان، وآل ذي رَضوان، كما يشمل فلاّحين يقطنون الرّيف أو بَدَوا رُحّلا (الأعراب أو أهل البادية) مثل عشائر أرْحَب، ونِهم، وشاكر، ووَداعة، ويَام، ومُرْهِبَة، وخَارِف، وعُذَر، وحَجُور، ودَالاَن، ويشمل أخيرا أشخاصا يُقيمون بينها وكذلك خُلطَائها ومَوَاليها.

ومنح محمّد(ص) إلى كلّ هؤلاء حماية الله ورسوله ما داموا يحافظون على أداء الفرائض وإيتاء الزكاة[3]، كما منح قيسا «طُعْمَة» تقدّر بثلاثين فَرقا، كلّ منها يزن سِتّة عشر رطلا، مائتان منها تؤخذان من خَيْوَان، نصفها زبيب ونصفها الآخر من الذّرة، ومائة فَرَقٍ من القمح تؤخذ من عِمرَان الجَوْف. وكانت كلّ هذه الكمّيات متأتّية من بيت المال على الدّوام، والملاحظ أنّ هذه العطيّة بقيت سارية المفعول في سلالة قيس إلى أواخر القرن الثّاني/ بداية التّاسع إلى أن حذفها الخليفة العباسيّ الهادي[4].

ويتعلّق الأمر في نظر م. واط (M. Watt)[5] بحالة نادرة دعّم فيها محمّد مقارباته الديبلوماسيّة إزاء قبائل جنوب مكّة بامتيازات اقتصاديّة ليجازي همْدان على موقفها الصّريح المناصر للإسلام. فضلا عن ذلك أرسلت همْدان للتّعبير عن انخراطها الفعليّ في الإسلام وفدا إلى المدينة يتكوّن من مائة وعشرين شخصا فيهم الكثير من أعيان القوم خاصة منهم أبا ثوْر مالك بن نَمَط الأرْحَبي (من أرحب) الملقّب ذا المِشْعار، ومالك بن أيْفع (من نَاعِط)، وذِمام بن مالك (من سلامان)، وعُمَيْرة بن مالك (من خارِف). ووصلوا المدينة راكبين إبِلا أرْحبيّة ومَهْريّة مُرتَدين أثوابا يمنيّة من القطن والكتّان، ومُتَعَمِّمين بعِمامات من عَدَن[6]. والتقَوْا الرّسولَ عند عودته من

---

1 - ابن سعد، **طبقات**، I، 340-341؛ VI، 247؛ لفظة شعب تعني في اللغة القديمة قبيلة، وليس الشعب بالمفهوم الحديث.

2 - س. أمين، **اليمن**.. ن. م، ص 67 يدقّق في الهامش رقم7 أنّ من عادات العرب نعت بياض البشرة بالأحمر. الحقّ أن الأحْمور هو جمع حِمْيَرتين وهذا يعني أن قبيلة همدان تتكون من الحميريين أي اليمنيّين الّذين ينتسبون إلى ثقافة جنوب الجزيرة العربية وإلى البدو الرّحّل.

3 - انظر نص المعاهدة في كتاب اليعقوبي، **تاريخ**، II، 81. م. حيد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت، 1987، ص 232-233.

4 - ابن حزم، **جمهرة**، ن. م، ص 396. انظر بخصوص نَمَط بن قيس: الهمْداني، **الإكليل**، ص 220.

5 - م. واط، ن. م، ص 151.

6 - ابن هشام، ن. م، ص 964-967؛ ابن سعْد، **طبقات**، I، 340-341؛ الخزرجي، ن. م، ص 39.

تَبوك (رجب سنة 9هـ/ أكتوبر 630م) وأعلموه بتغلغل الإسلام في أقاليم خَارِق ويَام وشاكر، وبقَطْعهم نهائيّا مع الوثنيّة.

وعيّن محمّد(ص.) مالكا على رأس منظوريه الذين اعتنقوا الإسلام وسلّم إليهم الميثاق التّالي[1]:

«بسم الله الرّحمان الرّحيم... » هذا الكتاب من محمّد رسول الله لمخلاف خارف ويام وأهل جناب الهضب وحقاف الرّمل مع وافدها ذي المشعار لمالك بن النمط ولمن أسلم من قومه.

لكم فراعها ووهاطها وعزازها (ما أقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة)، تأكلون علافها وترعون عفائها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلّموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصّدقة الثّلب والناب والفصيل والفارض والدّاجن والكبش الحوريّ وما عليهم فيها الصّالغ والقارح»[2].

ويمكن أن نذكر أيضا رسالتين بعثهما الرّسول إلى سيّدين من همْدان[3] الأولى إلى عُميْر ذي مَرّان، والثّانية إلى عكّ ذي خَيْوان الذي كان يملك قرية كاملة بها ممتلكات وعبيد. ومنحه محمّد(ص) ميثاقا يقرّ ما كان يتصرّف فيه من أراضٍ ومال وعبيد وغير ذلك.

إجمالا، اعتناق همْدان الإسلام قد تمّ على الأرْجَح سنة 9/ 630؛ ومع ذلك فإنّ بعض المصادر مثل المسعودي[4] تؤرّخه سنة 10/ 631 ملحّة في الوقت نفسه على دوْر عليّ وعلى تأثير هذا الاعتناق في قبائل اليمن الأخرى. وما علينا إلاّ أن نذكّر بالأقوال المنسوبة إلى الرّسول لندرك مدى أهمّيّة اعتناق همْدان الإسلام. واعتُبرت همْدان «شَعْبًا» وهو لفظ يعني في اللغة القديمة «قبيلة» تشمل عديد العشائر وتضمّ في الوقت نفسه أهل القرى والبدو الرّحل وحتّى الموالي والخُلطاء (Gens métissés) أي كلّ اليمنيّين المنتمين إلى ثقافة جنوب الجزيرة العربيّة والبدو الرّحّل. ونذكر من بين أقوال الرّسول[5] حديثا قاله إثر علمه باعتناق همْدان الإسلام بواسطة رسالة وجّهها إليه عليّ،

---

1 - انظر نص المعاهدة في كتاب حميد الله، **مجموعة الوثائق...**، ن.م، ص 233؛ الأكوع، **الوثائق**، ص 111؛ زكي صفوت، **جمهرة**، I، 56-57؛ الأهدل، ن.م، ص 66.

2 - الملاحظ أن نص المعاهدة كما جاء في كتاب ابن هشام (ن.م، II، 862-863)، جاء قصيرا.

3 - ابن سعد، **طبقات**، VI، 29.

4 - المسعودي، **التنبيه**، ص 238-239.

5 - الأهدل، **الدرّ**، ن.م، ص 42 وما بعدها.

هذا نصّه: «السّلام على همْدان»، كرّرها ثلاث مرّات. «وقد عُرِفت همدان بسرعة اعتناقها الإسلام وبصبرها على الجهد».

فهذه في نظرنا أحاديث منحولة وُضعت في وقت متأخّر لإبراز مزايا همْدان ونسبة دوْر ريادي إليها في الأحداث التي جدّت في فجر الإسلام.

إن جلّ الإشارات المتعلّقة بإسلام همْدان منذ سنة 630/9 أو 10/ 631، قدّمها هشام بن الكلبيّ، وهو كوفيّ من أصل يمنيّ (توفيّ سنة 204/ 819)، ورواها عن أناس ينتسبون إلى همْدان مثل هبّان بن هانئ.. الأرْحبيّ (من أرحب) أو اسماعيل بن ابراهيم[1]، فكلّ هذا يدلّ على أنّ تاريخ همْدان في عصر محمّد لا يُعْرَف جيّدا. وفي المقابل، نعلم أنّ هذه القبيلة ستتميّز بعد وفاة محمّد بعدم مشاركتها في الرّدّة وبإرسالها سفارة إلى المدينة للتعبير لأبي بكر[2] عن تمسّكها بالدعوة الإسلاميّة. وسنرى كذلك أن بني همْدان سيساهمون في الفتوحات، خاصّة في العراق، وسيشاركون مشاركة فعّالة في الحياة السياسيّة للامبراطوريّة العربيّة في القرن الأوّل / القرن السّابع.

وماذا عن حمير التي كانت أسْلمتها مبكّرة كأسلمة همْدان حسب المصادر العربيّة أو على الأقلّ حسب الإشارات التي جمعها الواقديّ[3] اعتمادا على روايات نقلها عمر بن محمّد بن صُهْبَان، وعن زمل بن عمر وشِهاب بن عبد الله الخَوْلاني؟

ب-حِمْير[4]

أرسلت حِمْيَر حسب ابن اسحاق[5] في شهر رمضان سنة 9/ ديسمبر 630/ جانفي 631، بُعَيْد غزوة تبوك، رسالة عن طريق مالك بن مُرّة الرُّهاويّ[6]، باسم أحد وجوهها

---

1 - ابن سعد، **طبقات**، I، 340-342.

2 - يدقّق الأهدلي (ص 84-85) أنّ همدان، رغم وجود عشيرة «سفهاء» بينهم، قد احتفظوا بعد وفاة الرسول بإخلاصهم للإسلام. ويرجع الفضل في ذلك بالخصوص إلى أحد رؤساء القبيلة عبد الله بن مالك الأرْحبي، الذي عرف كيف يقودهم في تلك السّبيل.

3 - انظر ابن سعد، **طبقات**، I، 356.

4 - انظر بخصوص حِمير: ابن هشام، ن.م، II، 955-956؛ ابن سعد، ن.م، I، 356؛اليعقوبي، **تاريخ**، II، 976؛ الطبري، **تاريخ**، III، 120-122؛ ابن حبيب، **كتاب المحبر**، ن.م، ص 75؛ الخزرجي، ن.م، 46-47؛ الحلَبي، ن.م II، 258؛ ابن عبّد البرّ، **الاستيعاب**، III، 519؛ ابن الأثير، **الكامل**، II، 286؛ القلقشندي، **نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب**، القاهرة، 1959، ص 280؛ الأهدلي، ن.م، ص 88، وص 114؛ الأكوَع، **الوثائق**، ن.م، ص105؛ حيد الله، **وثائق**، ص 55-57؛ م. واط، ن.م، ص 146.

5 - ابن هشام، ن.م، 955-956؛ ابن سعْد، ن.م، I، 356؛ الطبري، **تاريخ**، III، 120.

6 - انظر بخصوص مالك ابن حزم، ن.م، ص 412؛ **الاستيعاب**، ن.م، III، 1358؛ ابن حبيب، يبيّن في كتاب

زُرعة بن عامر بن سيف بن ذي يزن[1]. وهذه الرسالة التي تُعلم محمّدا باعتناق «ملوك حِمْيَر» الإسلام (حارث بن عبد كِلال ونُعَيْم بن عبد كِلال والنعمان وهم رؤساء ذي رُعَيْن والمعافر وهمْدان)، جاءت في نظرنا إِثْر بعث محمّد سنة 7هـ/ 628 واحدا من مندوبيه، المهاجر بن أبي أميّة المخزوميّ، إلى الحاكم الحارث لدعوته وقبيلته إلى الانضمام إلى الإسلام[2]. ونقل الدياربكري[3] هذه المعلومة، مؤكّدا أنّ الحارث بن عبد كِلال قرّر بعد شيء من التردّد وبعد توافقه مع بعض وجوه حِمْير مثل زرعة، أن يرسل سنة 9هـ عن طريق مالك بن مُرّة، رسالة إلى النّبيّ يُعلمه فيها باعتناق مجموع قبيلة حِمْير الإسلام.

وبمجرّد تأكّده من انضمام حِمير إلى الإسلام، بعث محمّد رسالتين الأولى إلى الحارث بن عبد كِلال، والثّانية إلى زُرعة بن عامر.

وورد في الرّسالة الموجّهة إلى الحارث بن عبد كِلال ونُعَيْم بن عبد كِلال والنّعمان سيّد ذي رُعَين والمعافر وهَمْدان[4]، ما يلي:

> أمّا بعد ذلكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد: فإنّه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين.
>
> وإن الله قد هداكم بهداه، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وأتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم الرّسول وصفية، وما كتب على المؤمنين من الصّدقة من العقار: عشر ما سقت العين وسقت السّماء، وعلى ما سقت الغرب نصف العشر.
>
> وإن في الإبل الأربعين ابنة لبون، وفي الثّلاثين من الإبل ابن لبون ذكر. وفي كل خمس من الإبل شاة. وفي كل عشر من الإبل شاتان. وفي كلّ أربعين من البقر بقرة. وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة. وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة.

المحبّر (ن.م، ص 32)، أن مالك بن مرّة اعتنق الإسلام بعد أن سمع يهوديّا حِمْيَريّا اعتنق هو الآخر الإسلام، يقول إنه يوجد ستّة أنبياء ولِدوا مختونين، سادسهم محمّد، أمّا الخمسة الآخرون فهم هود وصالح وشعيب، ونبيّ حَضُور ونبيّ الرّسّ.

1 - انظر بخصوص هذا الحفيد لسيف: الهَمْداني، الإكليل، II، 245.

2 - الخزرجي، ن.م، ص 34.

3 - الدياربكري، ن.م، II، 138.

4 - انظر نص هذه الرّسالة في: ابن هشام، ن.م، II، 955-956؛ ابن سعد، ن.م، I، 282-283؛ البَلاذُري، فتوح، ن.م، ص 95-96؛ الطبري، تاريخ، III، 120؛ الدياربكري، ن.م، II، 138؛ الخزرجي، ن.م، ص 47؛ الأكوَع، الوثائق، ص 105؛ ز. صفوت باشا، ن.م، I، 53-55.

وإنهـا فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصّدقة فمن زاد خيرا فهو خير له. ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على المشركين، فإنّه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وله ذمّة الله وذمة رسوله.

وإنّه من أسلم من يهودي أو نصراني، فإنّه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنه لا يردّ عنها وعليه الجزية: على كل حالم -ذكر أو أنثى حرّ أو عبد- دينار واف من قيمة المعافر أو عرضه ثيابا. فمن أدّى ذلك إلى رسول الله فإنّ له ذمّة الله وذمة رسوله. ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله[1].

وكتب النبيّ في الرّسالة الثّانية الموجّهة إلى زرعة بن عامر بن ذي يزن[2] ما يلي[3]:

أمّا بعد: فإنّ رسول الله محمّدا النّبيّ أرسل إلى زرعة ذي يزن، أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا -معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن مرة، وأصحابهم.

وأن اجمعوا ما عندكم من الصّدقة والجزية من مخاليفكم وأبلغوها رسلي. وأنّ أميرهم معاذ بن جبل، فلا ينقلبنّ إلاّ راضيا.

أمّا بعد فإنّ محمّدا يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّه عبده ورسوله.

ثم إنّ مالك بن مرّة الرّهاويّ قد حدّثني أنّك أسلمت من أوّل حمير، وفارقت المشتركين. فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا.

ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإنّ رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم. وإنّ الصّدقة لا تحلّ لمحمّد ولا لأهل بيته، إنّما هي زكوة يزكّي بها على فقراء المسلمين وابن السّبيل.

وإنّ مالكا قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب، وآمركم به خيرا.

وإنّي قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم وآمركم بهم خيرا فإنّهم منظور إليهم.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

1 - انظر م. حميد الله، ن.م، ص 220-221؛ انظر دراستنا عن النّظام الجبائيّ في اليمن، ن.م، ص 56 وما بعدها.

2 - انظر نص الرّسالة الثّانية في: ابن هشام، ن.م، II، 956-957؛ البَلاَذُرِي، فُتوح، ص 94؛ ابن سلاّم، كتاب الأموال، ص 259-260؛ الطبَرَي، تاريخ، III، 120-122؛ الدياربكري، ن.م، II، 138؛ الخزرجي، ن.م، ص 47-48؛ الأكوع، ن.م، ص 106؛ الأهْدَلِي، ن.م، ص 63-68.

3 - انظر م. حميد الله، ن.م، ص 221-222.

وذكر ابن سعد أيضا رسالة ثالثة بعثها الرّسول، على الأرجح قبل أسْلمة حِمْيَر، إلى ثلاثة رؤساء قبائل يُدْعَوْن الحارث ومسرور ونُعَيْم بن عبد كِلال هذا نصّها[1]:

«سِلْم أنتُم ما آمَنتُم باللهِ ورَسُولِهِ وأَنّ اللهَ وَحْدَه لا شَريكَ له بَعَثَ موسَى بآياتِه وخَلَقَ عيسى بكَلِمَاتِهِ قَالَت اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ وقَالَتِ النَّصارَى اللهُ ثَالِثُ ثَلاثةٍ عيسى ابنُ اللهِ.

ويبدو أنّ هذه الرّسالة بُعثت، حسب رواية الزّهْريّ[2]، عن طريق عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ الذي كان الرّسول طلب منه أن يدخل تراب حِمْيَر نهارا، وأن يؤدّي الفرائض، ويُعلّمهم القرآن، وأن يقبل اعتناقَهم الإسلام، وأن يُطالبهم بالسّيوف الثّلاثة التي كانت في حَوزتهم ليشعل فيها النار. ويَبدو أنّ عوْن محمّد (صلعم) نفّذ كلّ هذه التّعليمات وأن حِمْير قَبلتها دون تذمّر.

ومن ناحية أخرى، يُلمّح الخزرجيّ[3] إلى رسالة أخرى عَهد بها الرّسول إلى مبعوثه معاذ بن جَبل ليسلّمها إلى بني الأسود، وهم أعيان حِمْيَريّون من الجند. ومع أنّ نصّ هذا الكتاب غير معروف، فإنّنا نعلم أنّه أوْصى فيه مَعاذ بدعوة يَهود حِمْير والسكاسك[4] بإقليم الجند إلى اعتناق الإسلام. وهذه المعلومة بالطّبع هامّة جدّا إذ تدلّ على أنّ الدّين اليهوديّ كان مُتجذّرا جدّا في بعض قبائل اليمن[5]. وكنّا أشرنا إلى هذه النّقطة عند الحديث عن مهمّة جرير البَجَليّ.

ونعلم أيضا، عن الهَمْدانيّ[6]، أنّ السّيّد الحِمْيَريّ الحارث بن عبد كِلال استُقبل في المدينة بكثير من التّبجيل، وأنّ محمّدا أجْلسه على بُرْدته، وهذا دليل بَيّن على تقديره له، وعلى «حِنكته الدبلوماسيّة». وذكر أيضا مؤلّف **الإكليل**[7] من بين اليمنيّين الآخرين الذين خُصّوا بنفس القبول الحسن، الأبيض بن حَمَل، وجرير البَجَليّ، ووائل بن حُجْر الحَضْرَميّ وأبْرهة بن شُرحْبيل بن أبْرهة بن الصّبّاح.

---

1 - ابن سعد، **طبقات**، I، 282. انظر كذلك م. حميد الله، ن. م، ص 219.

2 - ابن سعد، ن.م، I، 282؛ **العقد الفريد**، ن.م، II، 50-51.

3 - الخزرجي، ن.م، ص 42-43.

4 - السّكاسِك بطن من حِمْيَر، انظر القلقشَنْدي، نهاية، ن.م، ص 59.

5 - ابن حزم، ن.م، ص 42-43.

6 - الهَمْداني، **الإكليل**، I، 238 و327.

7 - ن.م، ص 228 و327.

وبالنّسبة إلى القائد زُرعة بن مالك بن ذي يزن، يبدو أنّه تلقّى من محمّد جزاءَ اعتناقه الإسلام، هديّة ثمينة جدّا تتمثّل في ثوب تفوق قيمته ثمن عشرين ناقة[1].

إجمالا، وَرَد اعتناق حِمْيَر الإسلام أساسا في روايات المدرسة المدينيّة (الزّهريّ المُتوفّى سنة 124/ 741، وابن اسحاق المُتوفّى سنة 152/ 769، والوَاقديّ المتوفّى سنة 207/ 823). ومَهّدت له كما بيّنا، اتّصالاتٌ بين النّبيّ وبعض القادة الحِمْيَريّين الذين جُوزُوا بعد ذلك بإقطاعهم أراض ومنحهم هدايا. فقد تمّت الأمور إذن وكأنّ الشّهادات المدوّنة في القرنين الثّاني والثّالث/ الثّامن والتّاسع بخصوص حِمْيَر، كان القصد منها تخليد ذكرهم قبل الإسلام وإبراز مساهمتهم بعدَه في التّصدّي للمنشّقين عنه والعمل على توسّع المسلمين في العراق والشام. وإنّ استقرارهم مع همْدان في نفس الأمكنة سواء في الكوفة أو في الجِيزة ليس إلاّ امتدادا لإقامتهم السّابقة في اليمن.

ومن ناحية أخرى، لنا أن نتساءل: هل كان وجود عناصر يهوديّة في صلب هذه القبيلة الكبيرة حِمْير، كما هو الحال في قبائل يمنيّة أخرى مثل كندة، عاملا يَسّر دخولها الإسلامَ.

2-مذْحِج وسكّان نجران

لدينا بخصوص قبيلة مَذْحِج ومختلف عشائرها وأنسابها صنفان من الشّهادات تتعلّق بمسار اعتناقها الإسلام: من ناحية هشام بن الكلبيّ الذي جمع روايات عديدة عن سَعْد العشيرة وجُعْفي وعَنس والنَخَع، ومن ناحية ثانية الواقديّ وتتعلّق روايته بصدَاء والرهَا، ومُراد، وزُبَيد والحارث بن كعب. وينبغي تمييز اعتناق أشْعر الإسلام كما رواه عليّ بن محمّد القرشيّ عن روايات نقلها أبو مَعْشر ويزيد بن رُومان ومحمّد بن كعب[2].

***الأشعريُّون.**

تتحدّث المصادر عن وصول وَفد متكوّن من 58 شخصا إلى المدينة، يضمّ بالخصوص أبا موسى الأشعريّ وأخويه أبا بُرْدة وأبا رخم، وأمّه طُوفيّة بنت وَهب الكعبيّة ورجلين آخرين من عكّ. والتقى هذا الوفد الذي أبْحر من تِهامةَ، مجموعةَ

---

1 - ن. م، ص 249؛ **العقد الفريد**، III، 370.

2 - ابن سعْد، ن. م، I، 348-349؛ الجعْدي، ن. م، I، 8-9؛ الخَزْرجي، ن. م، ص 36-37؛ الدياربكري، ن. م، II، 194؛ الأهدلي، ن. م، II، 83؛ الحلبي، ن. م، II، 241.

من المسلمين في جدّة يقودهم جعفر بن أبي طالب وكانوا عائدين من الحبشة بعد أن قضّوا مدّة في ضيافة النّجاشيّ هروبا من اضطهاد المكّيّين لهم[1]. والتقى الأشعريّون محمّدا في خَيْبر في محرّم سنة 7هـ/ ماي 628، ونالوا نصيبا من الغنائم التي جمعها المسلمون في تلك الغزوة.

ويبدو أنّ الرّسول محمّدا ألقى في أعضاء هذا الوفد كلمة بارك فيها منطقتي وادي زبيد ووادي ريمة[2]، وأنّه شبّه الأشعريّين بـ«كيس حُشيَ مِسْكا»[3]، وهذه طريقة ذكيّة لإطراء طِيبتهم والتّعبير لهم عن عميق امتنانه لاعتناقهم الإسلام.

وأخذ هشام بن الكلبيّ روايته عن أعيان أو شيوخ قبائل، نذكر منهم بالخصوص أبا بكر بن قيس الجُعْفِيّ، والوليد بن عبد الله الجعفيّ وعبد الرحمان بن أبي صبرة الجُعفيّ، وأبا كِبْران المُرادي وهو محدّث من الطّبقة الرّابعة وأبا ظافر الكلبيّ.

*سَعد العشيرة

ويبدو أنّ الفضل في اعتناق سَعد العشيرة[4] الإسلام يعود إلى رجل يُدْعى ذباب بن الحارث، من سلالة بني أنس الله. فقد ذهب هذا الرّجل لملاقاة محمّد في مكّة وكلّمه على تدمير صَنم قبيلته المسمّى فرّاض.

*جُعْفِي

أمّا بالنّسبة إلى جُعْفِي[5]، فالأمر يتعلّق بوصول رجلين إلى المدينة ثم ثلاثة آخرين. وفي الحالة الأولى يذكر قيس بن سَلَمه بن شُرَاحِيل[6] من بني ذُهل بن مَرَّان، وسَلَمة بن يزيد بن مَشْجَع بن المُجَمّع أخوي مُلَيْكة بنت الحُلْوِي بن مالك من الأم[7]، وقد ذهبا لملاقاة محمّد في المدينة قصد إعلان إسلامهم له. وحرّر الرسول، كما يقول ابن سعْد، كتابا باسم سلَمَة يُعيّنه فيه عاملا على جملة من العشائر هي مُرّان وهارون وكُلاب، وتتكوّن كُلاب بدورها من أوْد وزُبَيْد، وجَزء وأيْدَ الله بن سعد وعائذ بن سعد وبني

1 - ابن هشام، ن. م، II، 780 وما بعدها.
2 - الخزرجي، ن. م، ص 33-37؛ الأهدلي، ن. م، ص 152.
3 - ابن سعد، ن. م، I، 349.
4 - ن. م، 342؛ الأهدلي، الدّرّ، ص 110؛ م. واط، ن. م، ص 152.
5 - انظر بخصوص جُعْفي: ابن سعد، ن. م، I، 324؛ الأهدلي، ن. م، ص 111. و114؛ م. واط، ص 144-152.
6 - ابن حزم، جمهرة، ن. م، 409.
7 - ابن سعد، ن. م، I، 325. حميدُ الله، ن. م، ص 114.

سُلاءة من سلالة بني الحارث بن كعب، وموالي كلّ منهم[1]، «الذين يؤدّون الفرائض ويؤتون الزّكاة ويساهمون بأموالهم ويطهّرونها». إلاّ أنّ قيسا امتنعت من آداء دوْرها[2].

كيف نفسّر هذا القطع للعلاقات بين قيس والرّسول محمّد؟ يروي ابن الكلبيّ[3] أن قوم جُعْفِي كانوا متعوّدين على تحاشي أكل قلوب الحيوانات. فصرّح محمّد(ص) لقيس وسلَمة أنّ قبولهم الإسلام لن يكتمل ماداموا يتحاشون أكل قلب الحيوان، وأمر بالإتيان بقلب وطَهْيِه وأكرههم، رغم انزاعجهم، على القطع مع ذلك المحظور الغذائيّ «الوثنيّ». الذي كان من خصائص الجاهليّة، ومن ناحية أخرى، طُرِح على محمّد(ص) سؤال يتعلّق بمصير الأقربين الذين ماتوا وهم مُشركون، فأجاب أن مصيرهم جهنّم. عند ذلك فارَقَتْه قيْس وسَلَمَة[4] قائلين إنهم لا يستطيعون قبول دين يَسمح بأكل قلوب الحيوانات ويتوعّد الأقربين والأجداد المشركين بجهنّم. وفي طريق العودة، أقدم الرّجلان على شدّ وثاق رجل كان متوجّها إلى المدينة يقود قطيعا من مال الصّدَقات، ثم سَرَّحوا الجِمَال[5].

وكانت المجموعة الثانية من الجُعْفيّين الذين قَدِموا إلى المدينة لملاقاة محمّد تتكوّن من ثلاثة رجال[6] هم أبو صَبْرة يزيد بن عبد الله بن الذُّؤيْب (من بني ذُهْلِ من مَرّان)، وابناه صَبرة وعزيز. ويبدو أنّ محمّدا أشفى عِلّة كانت في يَد يزيد وغيّر اسم عزيز فجعله عبد الرّحمان، ومَنَحهم أيضا واديا باليمن يُسمّى وادي جَرْدان. وأكّد ابن سعد[7] خبر مَنْح هذا الوادي الجُعفيّن مضيفا أنّهم كانوا من قبل يُقيمون فيه مع الصّدف. ولهذا السّبب جاء الجُعْفيّون والصَّدفيّون من حضرموت إلى المدينة ضمن نفس الوفد.

وأخيرا، يذكر البخاري[8] أن حَفيدا لعبد الرحمان يُدعى شُرَحْبِيل الجُعْفِي قيل إنّه حَكَم إصْبَهان زار المدينة مَنْدوبا للحجّاج.

1 - ابن سعد، ن.م، I، 324-325.

2 - م. واط، ن.م، ص 145.

3 - ابن سعد، ن.م، I، ص 324-325.

4 - ن.م.

5 - ن.م.

6 - ابن حزم، ن.م، 409-410؛ ابن سعد، ن.م، I، 325-326؛ الأهدلي، ن.م، 111.

7 - ابن سعد، ن.م، I، 326؛ العلوي، تاريخ حضرموت، ن.م، I، 132.

8 - البخاري، تاريخ، II، 2، ص 251.

وفي نهاية الأمر، إذا كانت المعلومات التي ذكرتْها المصادر بخصوص عشيرة الجُعْفِي لا تتكلّم على اعتناق هذه العشيرة الإسلام بصفة جماعيّة، فإنها تدلّنا على «الوسائل» التي استعملها محمّد في علاقاته مع القبائل اليمنيّة، خصوصا محاولاته مساندةَ بعض الفصائل المحلّية[1]، كما تدلّنا في الوقت نفسه على أسباب التّحالفات المُبْرَمَة بين الرّسول وقبائل جنوب مكّة بصفة عامّة.

النَّخَعِيّون[2]

قبل قُدوم وفد يتكوّن من مائتيْ نُخَعِي يقودهم عَمرو بن زُرَارة إلى المدينة في النّصف الأوّل من محرَّم سنة 11/ مارس- أفريل 632[3]، استقبل الرسول رَجُلين من قبيلة النّخَع، هما أَرْطَأَة بن شُرَحْبيل بن كعب (من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النّخَع)، والجحيْش الأرقم (من بني بكر بن عوْف بن النّخَع)، وذلك قبل سنة 9/ 630 وحَظِي الرّجلان بمباركة الرسول إِثْرَ إعلامه بوجود مجموعة في قبيلتهما تتكوّن من سبعين رجلا ينتمون إلى الطبقة العليا ويتحكّمون في كلّ شيء[4]. بل أكثر من ذلك، تمّت ترقية أَرْطَأَة فعيّن رئيسا لمجموعته وتسلّم راية. وبهذه الصّفة سنجده مرفوقا ببعض مَنْظوريه الذين اعتنقوا الإسلام، ضِمْنَ جيش محمّد في فتح مكّة[5].

فمن البديهيّ إذن أنّ الوفد النَّخَعي الذي زار الرسول قُبَيْلَ وفاته، كان له من الوقت بين 9/630 و11/ 632 لتعلّم التّعاليم الإسلاميّة، وأن يَعْتنق الإسلام أمام مبعوث محمّد إلى اليمن (معاذ بن جَبل)، وأن يبايعه[6]. وتؤكّد الرسائل التي بعثها الرّسول إلى أربعة من أعيان النّخَع[7] هم أَرْطَأَة بن شُرَحْبيل والأرقم بن كعب وزُرارة بن عَمْرو وقيس بن عمر، هذا الواقع.

---

1 - م. واط، ن.م، ص 152.

2 - انظر بخصوص النّخع: ابن سعد، ن.م، I، 346؛ الطبري، تاريخ، III، 240؛ الدياربكري، ن.م، II، 198؛ الأهدلي، ن.م، ص 95-96، وص 102-103، م. واط، ن.م، ص 145؛ الحلَبي، سيرة، II، 269 -270.

3 - الطّبري، (تاريخ، III، 140) هو الذي قدّم هذا التدقيق الزمني. ابن سعد، ن.م، I، 346؛ الدياربكري، ن.م، II، 195.

4 - ابن سعد، ن.م، I، 346؛ الأهدلي، ن.م، ص 95؛ م. واط، ن.م، ص 145.

5 - م. واط، ن.م، ص 145.

6 - الطبري، تاريخ، III، 140؛ ابن سعد، ن.م، I، 346؛ الدياربكري، ن.م، II، 198؛ الأهدلي، ن.م، ص 102-103.

7 - حميد الله، وثائق، ن.م، ص 63-64؛ الأكوع، الوثائق، ن.م، 113.

ويبدو من جهة أخرى أنّ إشارة ابن سعد إلى أنّ زُرَارَة بن قيس بن الحارث بن أَدّه كان مسيحيّا[1]، تدلّ على أنّ «خَمِيرةَ الإسلام» فَعَلت فِعْلَها بامتياز في قبيلة النّخع منذ زيارة النّخَعَيْن المذكورَيْن أعلاه (أَرْطَأة والأرقم) قبل سنة 9هـ ويرى وَاط[2] مُحِقّا أن محمّدا بَدَا مستعدًّا لمساندة عامّة هذه القبيلة التي كانت آخر من بعثت وفدا إلى المدينة، ضدّ خاصّتها من الأشراف، «بخلاف السّياسة التي اتّبعها إزاء القبائل اليمنيّة الأخرى» (حِمْيَر وكندة وحَضْرَموت).

تلك هي روايات هشام بن الكلبيّ.

أمّا الواقديّ فإنّه استند إلى رجال من الرّها مثل أبي هَزّان بن سعيد الرَّهَاوِيّ، ومن تَيم مثل عبد الله بن عَمرو التَّيْمِيّ، ومن مَخْزُوم مثل إبراهيم بن موسى المخْزُومي فضلا عن مراجعه المهعودة التي سبق ذكرها (عبد الله بن عَمْرو بن زُهير ومحمّد بن عُمارة بن خُزَيْمة بن ثابت). وقد حدّثنا بالخصوص عن عشائر مَذْحِج التي سنتعرّض لها وهي مُراد وزُبَيد والرّهَا، ونتوقّف مُطَوّلا أكثر ممّا سبق عند موقف عشيرة بَلحارث بن كعب وأهل نجران الذين لنا عنهم روايات أخرى كثيرة.

*المُرادِيون[3]

وصل وفد مُراد إلى المدينة سنة 10/ 631 قُبَيل وفد زُبَيد. وكان يقوده أحد أعيان القبيلة فَرْوَة بن مُسَيْك الذي وضع حدّا للتّحالف مع كندة منذ فترة قصيرة بعد أن هُزمت قبيلته ضدّ هَمْدان يومَ الرّزْم[4]. واستقبل سعدُ بن أبي عُبادة[5] فرْوَةَ قبل أن يَدْعُوه الرّسول محمّد إلى استعمال الإقناع واللّين ليدفع قبيلته إلى اعتناق الإسلام[6]، ويَهَبَه اثنتي عشرة أوقيّة وثوبا عُمَانيّا[7]. ويبدو أنّ تعيينه عونا لمحمّد لدى قبائل مراد ومَذْحِج وزُبَيد

1 - ابن سعد، ن.م، I، 346.

2 - م. واط، ن.م، ص 146.

3 - انظر بخصوص عشيرة مُراد: الطبري، تاريخ، III، 134-135؛ اليعقوبي، تاريخ،II، 80؛ ابن هشام، II، 950-951؛ ابن سعد، ن.م، I، 327؛ الجَعْدي، ن.م، ص14؛ الخزرجي، ن.م، ص 34-35؛ ابن الأثير، **الكامل**، II، 295-297؛ الأهْدلي، الدّرّ...، ص92-93؛ م. واط، ن.م، ص 145.

4 - انظر بخصوص هذا اليوم: الطبري، تاريخ، II، 134-135؛ **الأغاني**، XV، 163-165؛ ابن الأثير، **الكامل**، II، 296.

5 - الدياربكري، ن.م، II، 194.

6 - الخزرجي، ن.م، ص 35.

7 - ابن سعد، ن.م، I، 327.

تمّ، حسب م.وَات[1]، بعد انتفاضة الأسود العَنْسيّ، جزاءَ الخدمات التي قدّمها في قتال هذا المتمرّد، وليس وقتَ اعتناق المُراديّين الإسلام.

* الزُّبَيديّون[2]

وصل الوفد الزُّبَيْدي المتكوّن من مائة عُضو تقريبا المدينةَ بقيادة عمرو بن معدي كرب[3] بعد أن رفض أحد وجوه قبيلة قيس بن المكشوح، ابن شقيق عَمرو[4]، الانضمامَ إليه ومبايعة الرّسول محمّد. ويبدو أنّ قيْسا بلغ به الأمر إلى نظم قصيدة يتهكّم فيها على عَمرو ويُشَهِّر بدخوله الإسلام. إلاّ أنّ م.وات[5] يشكّ كثيرا في سفر عمرو إلى المدينة سنة 10هـ وفي اعتناقه المزعوم للإسلام خاصّة أنه أُرْسل سنة 632/11 وفد زُبَيْديّ ثان. فلم يعرض الزّبيديون على سعيد، أحدِ أعوان محمّد، أن يرسلوا وفدا إلى المدينة لإعلان انضمامهم الجماعيّ إلى الإسلام، إلاّ بعد أن كلّف الرسول فَرْوة بنَ مُسَيْك وسعيدا بنَ العاص بالذّهاب إلى اليمن لجمع صدقات القبيلة[6].

* الرَّهَاوِيُّون[7]

كانت الزّيارة التي أدّتها، حسب ابن سعد[8] مجموعة من الرَّهَاويّين متكوّنةً من خمسة عشر عضوا إلى الرّسول بالمدينة وأهدته فيها فَرسا يُدعى المِرْوَاح[9]، تمّت سنة 629/9. وبعد اعتناقهم الإسلام، حفظوا القرآن والتّعاليم الإسلاميّة ثم عادوا إلى

---

1 - م. واط، وثائق، ص 145.

2 - انظر بخصوص بني زُبَيد ابن هشام، ن.م، I، 951-953؛ ابن سعد، II، 329؛ الطبري، تاريخ، III، 132-133 الجعدي، ن.م، ص 11؛ الخزرجي، ن.م، ص36. الأغاني، III، 132-133؛ ابن الأثير، الكامل، III، 297-298؛ الأهدلي، ن.م، 93-95 و109-110؛ الدياربكري ن.م، II، 198؛ الحلبي، II، 256.

3 - انظر بخصوص عمرو ديوانه الذي جمعه هاشم الطّاقان، طبعة بغداد، 1970، 278 صفحة؛ السُهَيْلي (ن.م، I، 39) يدقّق أن معدي كرب بالحميريّة يعني وجه الفلاّح؛ والكرب هو الفلاّح.

4 - الأهدلي، ن.م، ص 94.

5 - م. واط، ن.م، 145.

6 - انظر بخصوص هذا الوفد الثّاني الأهدلي، ن.م، 109-110؛ الزّبير بن بكّار، المُوَفَّقِيّات، ط. بغداد، 1975؛ انظر بخصوص التّفاصيل المتعلّقة بعمرو بن معدي كرب الزُّبيديّ (ص 166، 481-482) وبحجّ زُبيد إلى مكّة وكيف علّمهم الرّسول عبارات التّلبية. وهذا قد يدلّ على أن بني عمرو وبني زبيد اعتنقوا الإسلام في حياة الرّسول.

7 - انظر بخصوص الرَّهاوِيّين: ابن سعد، ن.م، I، 344-345؛ الطبري، تاريخ، III، 139؛ ابن الأثير، الكامل، II، 298؛ رسول الإسلام، ن.م، I، 421؛ م. واط، ن.م، ص 151.

8 - ابن سعد، ن.م، I، 344.

9 - انظر بخصوص خيل الرّسول: ابن الكلبي: أنساب الخيل، القاهرة، 1965، ص 19 وص 133.

بلادهم. ومنحهم الرّسول منحة سنويّة بمائة حمل من تمر خَيْبر وهديّة تُقدّر باثنتي عشرة أوقيّة ونَشّـا. وفَسّر م. واط[1] سخاء محمّد إزاء الرَّهَاوِيّين بعودة البعض منهم إلى المدينة، وأداء مناسك الحجّ إلى مكّة صحبته، وبقائهم إلى جانبه إلى وفاته سنة 632/11. وفي رواية للطّبَرَانيّ[2]، لم يكن رئيس هذه المجموعة مالك بن مُرّة الرَّهَاوِي كما جاء في كلام واط[3]، بل كان رجلا يُسمّى قَتَادة.

ومهما كان الأمر، فإنّ الرّهاويّنين تلقّوا من الرسـول عهدا لم يصلنا نصّه، يضمن لهم عطاءً سنويّا من الحبوب لإيلافهم، ولكنّهم تخلّوا عنه في عهد معاوية[4].

ويذكر ابن سـعد أيضا أنّ رَهاويّا يُدْعى عمرو بن سُـبَيْع[5] تلقّى من الرّسول راية سيحملها في معركة صِفّين في صفّ الشّاميّين.

*الصُّدائيّون[6]

وكان اعتناق الصُّدائيّين الإسـلامَ مباشرة بعد عودة محمّد من الجُعُرّانة سـنة 8/ 628، واتّخاذه قرارا بإرسال كتيبة تتكوّن من أربعمائة رجل بقيادة قيس بن عُبادة إلى المنطقة التي كانـوا يقيمون بها. إلا أنّ الحملة أُلْغِيت بطلب من زياد بن الحارث الصُّدائيّ الذي تدخّل لدى الرّسول لفائدة قومه. فاتّجه وفد يتكوّن من خمسة عشر عضوا من رجال القبيلة لملاقاة محمّد في المدينة ومبايعته وإعلان إسـلام صُداء. فاختار الرّسـول زياد بن الحارث وعيّنه على رأس القبيلـة وأعطاه ميثاقا وجزءًا من الصّدقات. وبهذه الصّورة انتشر الإسـلام في القبيلة. وهذا ما يفسّر حضور مائة صُدَائيّ في حَجّة الوداع صحبة محمّد في مكّة حسب الواقديّ[7].

*وَضْع نجران

تقـع نجران على طريق القوافل الرّابطة بين اليمن ومداخل البحر الأبيض المتوسّـط، وكانت ثريّة بفضل صناعتها المزدهرة في مجال الأقمشـة والجلود[8]. وكنّا رأينا أنّ اسـم

1 - م. واط، ن.م، ص 151.
2 - الأهدلي، ن.م، ص 109.
3 - م. واط، ن.م، ص 151.
4 - ابن سعد، ن.م، I، 344؛ م. حميد الله، ن.م، ص 235-236.
5 - ابن سعد، ن.م، I، 325و 345.
6 - انظر بخصوص صُداء ابن سعد، ن.م، I، 326-327؛ البُخاري، ن.م II، 314-315؛ ابن عبد الحكم، ن.م، ص 313؛ الدياربكري، ن.م، II، 197؛ الحلَبي، ن.م، 98-100.
7 - ابن سعد، ن.م، ص 326؛ الدياربكري، ن.م، II، 197.
8 - انظر بخصوص نجران دراسة Pigulevskaya في كتابها ن.م، ص113 و130.

هــذه المدينة بقي مقترنا بفترة اضطهاد الملك الحِمْيريّ اليهوديّ يوســف يَثْأر ذي نواس للمســيحيّين، وهذا حدث خلّده القرآن في ســورة الأُخدود. وبالرغم من أنّ الكثير من سـكّان المدينة، وهم عنـاصر من بَلحارث بن كعب، إحدى عشـائر قبيلـة مَذْحِج، كانوا وقت انتشار الإسلام[1] في بداية القرن السّابع مسيحيّين، فإنّ وادي نجران لم يكن بأكمله مواليا للمسيحيّة. وربّما طال ما فعله محمّد إزاء قبائل جنوب مكّة جميعَ سكّان نجران، المسيحيّين منهم والوثنيّين.

نصارى نجران

وجّه محمّد(ص) في البداية إلى أسـاقفة نجران رســالة يؤرّخها حَمِيدُ الله بين ســنتي 8هـ و9هـ، وتحديدا زمنَ حَملة تبوك[2] (رجب سنة 9/ أكتوبر 630)، وقبل عَقد صلح نجران، هذا نصّها:

> من محمّد رسول الله، إلى أساقفة نجران:
>
> بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب
>
> أمّا بعد: فـإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولايــة الله من ولايــة العباد. فإن أبيتم فالجزيــة، وإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام[3].

وهذا «إنذار» حقيقي يخيّرهم فيه بين الإسلام والولاء له ودفع الجزية بصفتهم أهل ذمّــة من جهة، والحرب من جهة ثانية[4]. فســارع النّجرانيّون بإرســال وفد يتكوّن من سبعين عضوا، أربعة عشر منهم وجوه المدينة[5]، يقوده ثلاثة رؤساء: الأسقف (الحارث بن علقمة من بني ربيعة المتنسبة إلى بكر بن وائل)، والقسّ أو الوكيل (العاقب عبد المســيح من كندة)، ورئيس القافلة (السّـيّد الأيهم شُرَحْبيل، أصيل قبيلة بلحارث).

---

1 - م. حميد الله، رسول الإسلام، ن.م، I، 415-417.

2 - ن.م، 413-414.

3 - اليعقــوبي، تاريـخ، II، 81، م. حميد الله، مجموعة الوثائق...، ن.م، ص [illegible]؛ رسـول الإسـلام، I، 413-414؛ الأكوع، وثائق، ن.م، ص 94.

4 - م. واط، ن.م، ص 154.

5 - انظـر بخصــوص وفد نصارى نجران ابن هشـام، ن.م، I، 401 ومـا بعدها؛ اليعقوبي، تاريـخ، II، 82-83؛ الطـبري، تاريخ، III، 139؛ الحلبي، ن.م، II، 239-240؛ الدياربكري، ن.م، ص 195؛ الجعْدي، ن.م، ص 10؛ ابن الأثير، الكامل، II، 293-294؛ ابن سلاّم، كتاب الأموال، ص 67.

ووصل الوفد النجرانيّ خلال سنة 9هـ[1]. ويرى ابن حبيب[2] أن السّيّد والعاقب كانا من سلالة حاكم نجران الأسبق الأفعى بن الحسين.

ويذكر ابن سعد [3] من بين أعضاء الوفد الآخرين أبا كوز (شقيق الأسقف أبي حارثة بن عَلقمة)، والسّيّد أوْس بن الحارث، وزيد بن قيس، وشيْبَة، وخُوَيْلد، وخالد، وعمرو وعُبَيْد الله، في حين يرى ابن هشام[4] أنّهم أوْس والحارث وزيد وقيس ويزيد ونُبَيْه وخُوَيْلد وعمرو وخالد وعبد الله ويُوحَنِّس.

وقيل إن أهل المدينة انبهروا بملابس النّجرانيّين الذين جاؤوا لمقابلة محمّد، وبجمالهم. وبعد نِقاشات مُطوّلة في المواضيع الدينيّة وخاصّة منها موقف الإسلام من المسيح[5]، قرّر النّجرانيّون عقد صُلح مقابل خضوعهم السّياسيّ والتّعهّد بدفع الجزية. وحُرِّر عقد الصلح وإن كان نصّ هذا العقد ليس صحيحا بأكمله كما يرى مكسيم رودنسون[6]، فإنّ هذه الوثيقة تتضمّن تشجيعات أصليّة. فقد كانت تلك المعاهدة[7] تضمن مصالح رجال كنيسة نجران، وتؤمّن للنجرانيّين حريّة العقيدة والعبادة كما تضمن لهم سلامة أشخاصهم وممتلكاتهم. وفي المقابل تعهّد أهل نجران بدفع ضريبة سنويّة بألف ثوب تقدّر قيمتها بألْفَي أوقيّة، ألف في رجب وألف في صفر[8]، وبتمكين الحكومة الإسلاميّة من الأسلحة (ثلاثون فرسا وثلاثون جَمَلا) في صورة نشوب اضطرابات باليمن، كما تعهّدوا بترك الرِّبا.

وهذا نصّ المعاهدة:

بسم الله الرحمان الرحيم

هذا ما كتب محمد النبي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لأهل نجران:

إذا كان عليهم حكمه في كلّ ثمرة، وفي كلّ صفراء وبيضاء ورقيق،

---

1 - يرى م. واط (ن.م، ص 154) أنّ عبد المسيح كان كالوالي المدني، وأن السّيّد بن الحارث كان صاحب نجران.

2 - ابن حبيب، **كتاب المحبّر**، ص 132.

3 - ابن سعد، ن.م، I، 357-358؛ انظر أيضا **الأغاني**، ن.م، XII، 4-7.

4 - ابن هشام، ن.م، I، 402.

5 - ن.م، ص 403-410.

6 - م. رودنسون، ن.م، ص 307.

7 - يوجد نصّ المعاهدة في كتاب ابن سعد المذكور، I، 287-288؛ ابن سلاّم، ن.م، ص 244؛ انظر أيضا م. حميد الله، **مجموعة الوثائق...**، ن.م، ص175 وما بعد؛ **رسول الإسلام**، ن.م، I، 415-417؛ الأكوَع، **وثائق**، ن.م، ص94-96.

8 - م. حميد الله، **رسول الإسلام**، I، 414؛ م. واط، ن.م، 154-155.

فأفضلَ ذلك عليهم، وترك ذلك كله لهم، على ألفي حُلَة من حُلَل الأواقي: في كلّ رجب ألف حلّة، وفي كل صفر ألف حلّة، كلّ حلّة أوقية من الفضّة. فما زادت على الخراج، أو نقصت على الأواقي فبالحساب، وما قضوا من دروع، أو خيل، أو ركاب، أو عروض أخذ منهم بالحساب. وعلى نجران مؤنة رُسُلي، ومتعتهم، ما بين عشرين يوما فما دون ذلك، ولا تحبس رسلي فوق شهر. وعليهم عارية ثلاثين درعا، وثلاثين فرسا، وثلاثين بعيرا، إذا كان كيد باليمن ومعرّة. وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع، أو خيل، أو ركاب، أو عروض، فهو ضمين على رسلي، حتى يؤدّوه إليهم. ولنجران وحاشيتهم، جوار الله وذمّة محمّد النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملّتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وبِيَعِهم، وكلّ ما تحت أيدهم من قليل أو كثير. لا يُغَيّر أسقف من أسقفيّته، ولا راهب من رهبانيّته ولا كاهن من كهانته. وليس عليهم ربّية، ولا دَم جاهليّة. ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش ومن سأل منهم حقّا فبينهم النّصف غير ظالمين ولا مظلومين. ومن أكل رِبا من ذي قبل فذمّتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر.

وعلى ما في هذا الكتاب جِوار الله، وذمّة محمد النّبيّ رسول الله (ص) حتى يأتي اللهُ بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مُثْقِلين بظلم.

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف من بني النّصر والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة بن شعبة وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبي بكر[1].

ولا شكّ في أنّ لهذه المعاهدة أهمّية كبيرة إذ تضبط توجّها قارّا في السّياسة الإسلاميّة إزاء غير المسلمين، رغم أن محمّدا (ص) كان سلك نفس السّياسية مع اليهود في البحرين وخيْبر وتبوك؛ إلاّ أنّ معاهدة نجران أولتها صبغة نهائيّة وذلك بتطبيقها أيضا على نصارى أيْلة وأذْرُح وأَذرِعات[2].

وينبغي أن نشير إلى أنّ هذه المعاهدة جدّدها أبو بكر خليفة محمّد (ص) كما يلي:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم،

هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر، خليفة محمّد النبي رسول الله (ص) لأهل نجران:

---

1 - انظر النّصّ في كتاب البلاذريّ فتوح، ن.م، 87-88؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 83.

2 - البلاذري، فتوح، ن.م، ص 92؛ م. حميد الله، مجموعة الوثائق...، ن.م، ص 175-176.

أجارهم بجوار الله، وذمّة محمّد النّبيّ رسول الله (ص) على أنفسهم، وأرضهم، وملّتهم، وأموالهم، وحاشيتهم، وعبادتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأساقفتهم، ورهبانهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير، لا يحشرون. ولا يغير أسقف من أسقفيّته، ولا راهب من رهبانيّته، وفاء لهم لكلّ ما كتب لهم محمّد النّبيّ (ص) وعلى ما في هذه الصّحيفة جوار الله وذمّة محمّد النّبيّ (ص) أبدا، وعليهم النصح والصّلاح فيما عليهم من الحقّ.

شهد المستورد بن عمرو -أحد بني القين- وعمرو مولى أبي بكر، وراشد بن حذيفة، والمغيرة وكتب[1].

إلا أنّ الخليفة عمر قرّر في نطاق سياسته الهادفة إلى تطهير الجزيرة العربيّة من كلّ حضور لغير المسلمين، أن يُرَحِّل نصارى نجران إلى العراق[2].وسنعود لاحقا إلى هذه النّقطة بالذّات لكن لا ننسى أن النّجرانيّين الذين كانوا عقدوا صلحا مع محمّد، سُمح لهم بتعيين مُسلم للبتّ في خلافاتهم الماليّة. ووقع اختيار الرسول على أبي عُبَيْدة بن الجرّاح[3] الذي طُلب منه أن يُطَبّق القانون.

واعتنق الإسلام نجرانيّون آخرون خاصة منهم السّيّد والعَاقِب عضوي الوفد وعادا إلى المدينة لإعلان عقيدتهم[4]. كذلك فعل حسَب السُّهَيْلي، قسّ نجران الذي ما إن أعْلمه أعضاء الوفد بفحوى محادثاتهم مع الرّسول حتى ذهب لملاقاته وأهداه سيفا وبُرْدةً وكُوبا[5].

وتذكر المصادر الإسلاميّة رسالة أخرى بعثها الرّسول إلى نصارى نجران وأسقفهم[6] يؤكّد فيها لنصارى نجران أنّهم في حماية الله ورسوله وكذلك ممتلكاتهم وطقوسهم الدينيّة ما داموا خاضعين لسلطة المسلمين، هذا نصّها:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

من محمّد النّبيّ، إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ومن تبعهم، ورهبانهم:

---

1 - م. حيد الله، مجموعة الوثائق...، ن. م، ص 191-192.

2 - ن. م، ص 191-192؛ م.واط، ن. م، ص 155.

3 - انظر بخصوص أبي عُبيدة ابن سعد، طبقات، II، 411-412؛ ابن هشام، سيرة، ن. م، ص410-411؛ الدياربكري، ن. م، II، 146؛ الأهدلي، الدرّ، ص 35.

4 - ابن سعد، ن. م، I، 358؛ لا يذكر اليعقوبي سوى الأيهم (تاريخ، II، 83). م. واط، ن. م، ص 155.

5 - السهيّلي، الروض، ن. م، II، ص 50.

6 - ابن سعد، I، 266؛ م. حيدُ الله، مجموعة الوثائق...، ن. م، ص 179. رسول الإسلام، I، 47؛ الأكوع، وثائق، ن. م، ص 96.

إنّ لهـم ما تحـت أيديهم، من قليـل وكثير من بِيَعهـم، وصلواتهم، ورهبانيّتهم، وجوار الله ورسوله. لا يغيّر أسقف من أسقفيّته، ولا راهب من رهبانيّته، ولا كاهن من كهانته. ولا يغيّر حقّ من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شـيء ممّا كانوا عليـه. (على ذلك جوار الله ورسولـه أبدا)، ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين. وكتب المغيرة

إجمالا، إنّ سياسـة محمّد (ص) إزاء نصارى الجنـوب بصفة عامّة، ونصارى نجران بصفة خاصّة، كانت، حسَب واط[1]، نفس السّياسة التي سلكها مع أهل شمالي المدينة ومكّة، رغم أنّ موقف هؤلاء من الامبراطوريّة الفارسيّة كان مختلفا عن موقف أهل ملّتهم في الشّـمال من بيزنطة. فقد كانوا غير متعلّقين بفارس رغم كونهم نسطوريّين يشـتركون مع فارس في استنكار وحدانيـةّ طبيعة المسـيح، ولم يمنعهم ذلك من الارتبـاط بعلاقات سياسـيّة مع يهود اليمـن. ومهما كان الأمر فإن مسـيحيّي نجران صاروا، بحكم عقد الصلح الذي أبرموه مع الرّسـول، حلفاء المسـلمين، يدورون في فَلَك ما يسمّيه واط « Pax Islamica»[2] (السّلم الإسلاميّة) (أو المنظومة الأمنيّة المدينيّة)، وهو ما ينعته شعبان بـ«كُمُنْوِلْث المدينة» (Commonwealth de Médine)[3].

*** مُشْرِكو نجران**

كانت سياسـة محمّد إِزَاءَ مُشركي نجران مختلفة تمام الاختلاف. فمنذ سنة 10هـ، في ربيـع الأوّل أو ربيـع الثاني أو جمادى/ جـوان- جويلية- أوت 631، بعث الرّسـول كتيبة تتكوّن من أربعمائة رجل بقيادة خالد بن الوليد إلى فرع آخر من قبيلة بلحارث يسـمّى عبـد المَدان، كانوا بدون شـكّ مشركين، وأسـند إليها مهمّـة دعوتهم إلى الإسـلام في أجـل لا يتجاوز الثّلاثة أيّام قبل أن يقاتلهم[4]. ونـرى أنّ هذه البعثة كانت عِقابية أرسـلها محمّد لوضع حدّ للغزوات والأعمال العدوانيّة التي كان يقوم بها هؤلاء المنتسبون إلى عبد المَدان والتي جعلت منهم جُناة[5]. وهي إحدى البعثات الثّلاث المندرجة بحقّ ضمن نشاط محمّد العسكريّ ضد قبائل الجنوب، إلى جانب الكتيبتين الأخريين اللّتين أرسـلهما على التّوالي إلى خَثعم (في صفر سـنة 9هـ/ ماي – جوان 630)، ومَذْحِج

---

1 - م. واط، ن.م، ص 153.

2 - ن.م، ص 147.

3 - Shaban , *Islamic Histoy* , *op. cit.* , I , 17 et 21.

4 - انظر بخصوص هذه الغزوة ابن سعد، طبقاتI، 339-340؛ ابن هشام، ن.م، II، 958-960؛ الطبري، تاريخ، III، ص 126؛ المسعودي، التنبيه، ن.م، ص 238؛ ابن الأثير، الكامل، II، 294؛ الخزرجي، ن.م، ص 45.

5 - م. حميد الله، رسول الإسلام، I، 428.

وزُبَيد (في شعبان سنة 9هـ/ ديسمبر 630). ويرى واط أنّ هذه البعثات الثّلاث لم تكن في الواقع سوى «سَنَد خفيف للأنشطة الديمبلوماسيّة»[1].

ومهما كان الأمر، فإنّ مهمّة خالد نجحت دون الحاجة إلى قتال عبد المَدان. وبقي مبعوث النّبيّ معهم لتلقينهم التّعاليم القرآنيّة وتعليمهم أركان الإسلام. وقد احتفظ ابن هشام[2] بالمراسلات التي تبادلها خالد مع الرّسول بخصوص اعتناق عبد المَدان الإسلام.

وصرّح خالد في الرّسالة التي بعثها إلى محمّد (ص) لإعلامه بنجاح مهمّته لدى عبد المَدان قائلا[3]:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم،

لمحمّد النّبيّ رسول الله من خالد بن الوليد.

السّلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، يا رسول الله: فإنّك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم، وعلّمتهم معالم الإسلام، وكتاب الله وسنّة نبيّه، وإن لم يسلموا قاتلتهم.

وإنّي قدمت إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وبعثت فيهم ركبانا: يابني الحارث أسلموا تسلموا. فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم، آمرهم بما أمر الله به، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلّمهم معالم الإسلام، وسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتى يكتب إليّ رسول الله.

والسّلام عليك يا رسول الله.

وجوابا على هذه الرّسالة أمر الرّسول محمّد عامله خالدا بالعودة إلى المدينة مصحوبا بوفد عبد المدان. وهذا نصّ رسالة النبي إلى خالد حسب رواية ابن هشام[4]:

---

1 - م. واط، ن.م، ص 150.

2 - ابن هشام، ن.م، II، 958-960.

3 - ن. م، ص 959؛ انظر أيضا م. حميدُ الله، مجموعة الوثائق...، ن. م، ص 165-166 الأكوع، وثائق، ص 42. انظر أيضا: الدياربكري، ن.م، II، 144.

4 - ابن هشام، ن. م، II، 959-960؛ الدياربكري، ن.م، II، 144؛ م. حميدُ الله، مجموعة الوثائق...، ن. م، ص 166، الأكوع، ن. م، ص 91.

«بسم الله الرّحمن الرّحيم،

من محمّد النّبيّ رسول الله، إلى خالد بن الوليد:

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أمــا بعد: فإن كتابك جاءني مع رسولــك، يخبرني أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم من الإسلام، وشهدوا أنّ لا إلــه إلا الله، وأنّ محمّــدا عبــده ورسوله، وأن قــد هداهم الله بهداه. فبشّرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم.

والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.»

ما مصداقيّة مجموع هذه المراسلات بين محمّد(ص) وخالد بن الوليد؟

دون أن نشكّك تماما في تاريخيّة هذه الرّسائل، لا يمكن استبعاد تحوير أسلوبها من قبل المعلّقين اللاّحقين. فليس من شــأن هذه الوثائق غير تأكيد استعمال الرّسول الواســع في «سياسته إزاء الجنوب» للطّرق الديبلوماسيّة قصد بسط تأثيره السياسيّ في جهة نجران ونشر تعاليم الإسلام بها.

ومــن المفيد ذكر أهم الوجهاء الحارثيّين الذين كانوا ضمن وفد[1] عبد المدان إلى المدينة (في شوال- ذي القعدة سنة 10هـ/ جانفي –فيفري 632). وهذه أسماؤهم: قيس بن الحسين بن يزيد بن قنان الملقب «ذو الغُصّة»[2]؛ يزيد بن عبد المدان[3]؛ يزيد المُحَجِّل؛ عبد الله بن قُرَد الزيادي؛ شدّاد بن عبد الله القُنَاني؛ عمرو بن عبد الله الضّبابي[4].

وحضر رجال عبد المدان لدى محمّد (ص) فســأل، حسب ابن هشام[5]: «من هؤلاء النّاس الذين يشــبهون شعوب الهند؟[6]: فأعلم الرّسول باعتناقهم الإسلام، وعيّن قيس

---

1 - ابن هشام، ن.م، II، 958-959؛ ابن سعد، ن.م، I، 339-340؛ الطبري، تاريخ، II، 79؛ الدياربكري، ن.م، II، 195؛ السهيلي، ن.م، II، 347.

2 - انظر بخصوص ذي الغُصّة، الاستيعاب، III، 1285؛ السُهَيْلي، II، 347؛ الذّهَبي، تجريد، I، 170.

3 - الاستيعاب، IV، ص 1578؛ الأغاني، XII، 8. وفيه بيّن المؤلّف أن يزيد بن عبد المَدان بن الدّيّان كان سيّد مذْحِج في نجران وأنّه كان أوّل من أقام بها من بين عشيرة بلحارث، انظر نَسَبه في كتاب ابن حزم المذكور، ص 416.

4 - السهيلي، III، 347؛ الأهدلي، ن.م، ص 96.

5 - ابن هشام، ن.م، II، 958-960.

6 - ابن هشــام، ن.م، II، 960؛ ويلاحظ حميد الله بهذا الصّدد في كتابه رسـول الإسلام المذكور (I، 419)، أن الهنود تعوّدوا ارتياد أســواق جنوب شرقي الجزيرة العربية (II، 599-604) وأن الرّســول أقام في هذه الجهة، وقد يكون هذا ســبب معرفته بالهنود. انظر بقيّة الحوار بين محمّد (ص) والنجرانيّين في كتاب ابن هشام المذكور (II، 958-960) وكتاب ابن سعد (ن.م، I، 339-340)؛ الخزرجي، ن.م، 45-46.

بن الحسـين ذا الغصّة رئيسا عليهم قبل أن يعودوا إلى نجران في أواخر شهر شوّال سنة 10هـ[1].

وبعـث محمّـد (ص) عمرو بن حزم واليا على نجـران وزوّده بجملة من التّعليمات[2] المتعلّقة في الآن نفسه بالمجال الدّينيّ مثل تطبيق التّعاليم القرآنيّة وأوقات الصلاة وتعليم الدّين الإسـلاميّ، وبالمجال القضائيّ مثل تطبيق مبادئ القضاء الإسلاميّ، والتّسامح إزاء غير المسلمين، والعمل على تحوير قانون القِصاص، وبالمجال الجبائي مثل الضّرائب المفروضة على المسلمين وعلى أهل الذّمّة الذين يعيشون معهم، والمجال الأخلاقيّ مثل مراقبـة آداب السّـلوك ومَنْع كلّ أصنـاف الفحش... وسـنعود بالتفصيل إلى هذه التّعليمات في دراسة الصّلاحيّات التي أسندها الرّسول إلى ولاة اليمن.

ومـن ناحية أخرى، يذكر ابن سـعد تسـعة عهود سـلّمها محمّـد (ص) إلى بني الحارث[3]: اثنان منها إلى عضوين في وفد عبد المدان قدِما إلى المدينة مع خالد بن الوليد هما قيس بن الحسين ويزيد بن المُحجّل، وثلاثة أخرى إلى يزيد بن الطّفيل الحارثيّ وعبد يغوث بن وعلةالحارثيّ وعاصم بن الحارث؛ والأربعة الأخيرة سُـلّمت إلى عشـائر بني ضِباب بن الحارث وبني قَنان بن يزيد وبني زياد بن الحارث وابن قَنان بن ثَعْلبة.

ومـا كلّ هذه العهود إلاّ لأنّ قبيلة بني الحارث غير موحّدة سياسـيّا[4] وقد تحصّل منهم محمّد مقابلَ مـا مَنحهم من هدايا وإقرار لملكيّتهم الأراضي والعيون، على تعهّد بالوفاء المطلق لتعاليم الإسلام وقطع تامّ مع الوثنيّين.

وهذه نصوص تلك العهود المختلفة[5]:

*بالنّسـبة إلى قيس بـن الحصين ذي الغُصّة، كان العهـد يهدف إلى ضمان حقوق سلالة والده من بني الحارث ولصالح بني نهد:

> «إنّ لهـم ذمّـة الله وذمة رسولـه، لا يحشرون ولا يعشـرون ما أقاموا الصّـلاة، وآتوا الزّكاة، وفارقوا المشركين، وأشهدوا على إسلامهم، وأنّ في أموالهم حقًّا للمسلمين.

---

1 – ابن هشام، ن.م، II، 960؛ ابن سعد، I، 340؛ الخزرجي، ن.م، II، 45-46.

2 – انظر نصّ هذه التّعليمات المفصّل في كتاب ابن هشام، ن.م، II، 961-962.

3 – ابن سعد، ن.م، I، 266-269.

4 – م. حميدُ الله، رسول الإسلام...، ن.م، 419.

5 – انظر نصوص هذه المعاهدات في كتاب ابن سعد، ن.م، I، 266-269؛ الأكوَع، ن.م، ص 92-94؛ م. حميدُ الله، مجموعة الوثائق...، ن. م، ص 168 وما بعدها.

وكتب إلى يزيد بن المُحجّل من قبيلة الحارث بن كعب:

«إنّ لهم نمرة ومساقيها، ووادي الرّحمان من غابتها. وإنّه على قومه بني مالك وعقبه، لا يُغزَوْن ولا يُحشَرون، وكتب المغيرة بن شعبة.

وقد سجّل رسول الله كتابيّا لفائدة يزيد بن الطّفَيل من قبيلة بني الحارث بن كعب ما يلي:

«أنّ له المضّة كلّها، لا يحاقّه فيها أحد ما أقام الصّلاة، وآتى الزّكاة، وحارب المشركين. وكتب جُهيم بن الصّلت.

وفي العهد المسلّم إلى عبد يغوث بن وعلة الحارثيّ نصّ على ما يلي:

«إنّ له ما أسلم عليه من أرضها وأشائها -يعني نخلها- ما أقام الصّلاة، وآتى الزّكاة، وأعطى خمس المغانم في الغزو، ولا عشر ولا حشر، ومن تبعه من قومه. وكتب الأرقم بن أبي الأرقم المخزوميّ.

وجاء في عهد عاصم بن الحارث من قبيلة الحارث بن كعب:

«إنّ له نجمة من راكس لا يحاقّه فيها أحد، وكتب الأرقم.

وكتب لصالح بني ضِباب المنتسبين إلى قبيلة بني الحارث ما يلي:

«إنّ لهم سارية ورافعها، لا يحاقّهم فيها أحد ما أقاموا الصّلاة، وآتوا الزّكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وفارقوا المشركين وكتب المغيرة».

وسجّل رسول الله كتابيّا لفائدة بني قَنان بن ثعلبة المنتسبين إلى قبيلة بني الحارث بن كعب ما يلي:

«إنّ لهم مجسا وأنّهم آمنون على أموالهم وأنفسهم. وكتب المغيرة.

وكتب لفائدة بني قَنان بن يزيد المنتسبين إلى قبيلة بني الحارث بن كعب ما يلي:

«قالوا: إنّ لهم مِذْوَدًا وسَوَاقِيَهُ ما أقاموا الصّلاة وآتوا الزكاة، وفارقوا المشركين، وأَمَّنُوا السبيل، وأشهدوا على إسلامهم.

وكتب لفائدة بني زياد بن الحارث المنتسبين إلى قبيلة بني الحارث بن كعب ما يلي:

«إنّ لهم جَمّاء وأَذْنِبَة، وأنّهم آمنون ما أقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة، وفارقوا المشركين، وكتب عليّ.

عموما، منح محمّد(ص) هذه العهود ملحّا في كلّ مرّة على فكرتين هامّتين: قمع الفَوْضى والتفكير في الهاجس الأمنيّ أوّلا، ثم نشر التّعليم والتّفكير في مصالح الشّعب الرّوحيّة والماديّة.

وبالنّسبة إلى العهد الذي سلّمه إلى عبد يغوث والذي ينصّ خاصّة على إعفائه من الزّكاة يبدو أنّ الأمر يتعلّق بامتيازات «اقتصاديّة» «منحها الرّسول لهذا الوجيه الحارثيّ ليجازيه على موقفه الصّريح من نصرة الإسلام»[1]. وكلّ هذه العهود والمواثيق رواها ابن سعد عن الهيثم بن عَدِيّ[2] (المتوفّى سنة 747/207)، وهو أحد الرّواة والنّسّابين المنتمين إلى المدرسة العراقيّة، له مؤلّفات عديدة في الأنساب وفي تاريخ الإسلام والفقهاء والمحدّثين. وهناك أيضا روايات أخرى تعود إلى ابن إسحاق والزّهريّ، وكلاهما ينتمي إلى مدرسة المدينة، والشّعبيّ التّابع للمدرسة العراقيّة. معنى ذلك أنّ هذه الوثائق هي في منتهى الأهمّية لدراسة السّياسة المحمّديّة إزاء قبائل الجنوب.

فما هو موقف بقيّة القبائل اليمنيّة من الإسلام؟

يمكن تمييز مجموعة أولى تضمّ قبائل كندة ومَهْرة وحَضْرَمَوت التي كانت تسكن قبل الإسلام جنوب اليمن وجنوبه الشّرقيّ. أمّا المجموعة الثّانية فتضمّ القبائل اليمنيّة في ما يُسَمَّى بالتخوم أي شمال نجران (الأزد وبجيلة وخَثْعم وغيرها). ومن الأهمّية بمكان لفت الانتباه إلى أنّ هذه المعلومات التي يقدّمها ابن سعد خاصّة فيما يتعلّق بهم، تستند إلى الأخبار التي جمعها عليّ بن محمّد القُرشيّ[3] باستثناء البعض منها. وهو يُحيل بدوره إلى ثلاثة رواة هم أبو مَعْشر، واسمه الحقيقيّ عبد الرحمان بن الوليد بن هلال، وهو مولى أم موسى زوجة الخليفة المنصور وأمّ المهدي، وقد اشتهر بالتّأليف في مغازي الرّسول وسِيَر الصّحابة وتاريخ الخلفاء إلى سنة 170/786[4]. وكان أبو معشر أحد مصادر الواقديّ وابن سعد وحتّى الطبريّ. وتوفّي بعد سنة 170هـ في بغداد. المحدّث الثّاني هو يزيد بن رومان الأسديّ، وهو مولي العائلة الزبيريّة، توفّي سنة 130/747، وقد روى أحاديث عُروة والزّهريّ وألّف كتابا في المغازي استعمله الواقديّ وابن سعد والطبريّ[5].

---

1 – م. واط، محمّد، ص 151.

2 – انظر بخصوص الهيثم بن عدي، انظر ش. مصطفى، التاريخ، ن.م، I، 162.

3 – ابن سعد، طبقات، I، 328 وما بعدها.

4 – انظر بخصوص أبي مشعر الهنديّ، انظر ش. مصطفى، ن.م، I، 162.

5 – ن.م، I، 157.

ويذكر ابن سعد أيضا محمّد بن كعب الأنصاريّ، وهو تابعيّ من الجيل الثّاني، توفيّ – كما يبدو – يومَ الحَرَّة (ذو الحجّة 63/أوت 683)[1]، وهو شقيق عبد الله، العالم الكبير المتخصّص أيضا في المغازي. عموما، إنها معلومات صادرة عن المدرسة المدينيّة. وبالعكس من ذلك فإنّ اعتناق كندة الإسلام رواه الواقديّ عن الزّهريّ، وإسلام بجيلة رواه الواقديّ عن أسامة بن زيد وزيد بن ثعلبة.

فلننظر بالتفصيل في هذه الرّوايات المختلفة.

3 - كندة وحضرموت ومَهرة

* بالنّسبة إلى كندة[2]، يجدر التّمييز بين سلالة السّبعين أميرا، وهي التي يسمّيها النّسّابون بني معاوية، عشيرة الأشعث بن قيس، وبين سلالات الأشرس الأخرى مثل السّكون التي يُذكر من بين فروعها تُجِيب أي عَدِي وسعد ابنَي السّكون بن الأشْرس بن كندة.

***بنو معاوية[3]**

حلّ وفد بني معاوية الكنديّ – وكان عدده بين 60 و80 عضوا[4]– بالمدينة سنة 10هـ لمبايعة الرّسول وإعلان اعتناق القبيلة للإسلام، يقوده الأشعث بن قيس الكندي آخر ممثل لسلالة السّبعين أميرا[5].

ومنح محمّد(ص) لكلّ من أعضاء الوفد عشر أواقٍ من الفضّة ولرئيسه اثنتي عشرة أوقيّة، وهذه هدايا تختلف عمّا يسمّيه واط «الامتيازات الاقتصاديّة» التي كان يمنحها الرّسول إلى حلفائه من قبائل الجنوب[6].

---

1 - ابن سعد، **طبقات**، V، 280.

2 - انظر بخصوص كندة ابن هشام، I، م، I، 953-954؛ ابن سعد، I، 328؛ الطبري، **تاريخ**، II، 138-139؛ الحلَبي، ن. م، II، 256-257؛ الدياربكري، ن. م، II، 195؛ العسكريّ، **كتاب الأوائل**، II، 50-53؛ الجعْدي، ن. م، ص 11؛ الخزرجي، ن. م، ص 35؛ ابن الأثير، **الكامل**، II، 238؛ الأهدلّ، **الدرّ**، ص 8-89؛ 113-114؛ 119-121؛ 121-122؛ واط، ن. م، ص 146.

3 - انظر بخصوص أشجع ابن هشام، II، 953-954؛ ابن سعد،I، ن. م، 328، الطبري، **تاريخ**، II، 138-139؛ ابن الأثير، **الكامل**، II، 298.

4 - يرى ابن هشام أنهم ثمانون كنديّا (ن. م، II، 953)، في حين يقلّص الطّبريّ، عدد أعضاء الوفد إلى ستّين شخصا (**تاريخ**، II، 138).

5 - الطبري، **تاريخ**، III، 138؛ البلاذري، **أنساب**، I، 456-458؛ **الاستيعاب**، I، 35-133؛ الميداني، ن. م، ص 200؛ انظر فصل الأشعث في: EI, I, 718.

6 - واط، ن. م، ص 150.

والملاحظ أنّ الأشعث اشتهر بعد وفاة الرّسول محمّد بقيادته لتمرّد كندة على أعوان أبي بكر متحصّنا بقلعة النُّجَير[1]. وردّة هذا القائد الكنديّ، التي سنعود إليها بأكثر تفاصيل، تثير المشكل الأعمّ المتعلّق بعلاقات محمّد مع كندة وحضرموت. وتذكر المصادر قدوم كنديّ إلى المدينة يُدعى النّعمان بن الأسود بن شَرَاحِيل بن الجَوْن بن حُجْر بن معاوية الكنديّ[2]، وكان اعتنق الإسلام بَعْدُ وأراد تزويج ابنته أسماء المشهورة بجمالها الأخّاذ من الرّسول. وحُدّد المَهر باثنتي عشرة أوقيّة ونشّ من الفضة، إلاّ أن الزواج لم يتمّ لأسباب مختلفة هي أبعد ما يكون عن إجماع الرواة في شأنها. وكان من المفروض أن تتزوّج المُهاجر بن أبي أمَيّة ثم قيس بن المكشوح المُراديّ. وزارَ الرسولَ في المدينة أشخاص آخرون كنديّون من سلالة بني معاوية نذكر منهم خاصّة حُجر بن عَديّ وابراهيم بن قيس الكنديّ ويزيد بن الأسود الكنديّ ويزيد بن الأسود بن سَلَمة وأباه الأسود وامرئ القيس بن عَابس بن المنذر الكنديّ وغيرهم...[3].

وقيل إنّ عددا كبيرا منهم وخاصة شُرَحْبيل والسّمط وامرئ القيس حافظوا على إخلاصهم للإسلام[4] وقتَ ردَّة كندة وحضرموت، وساعدوا المسلمين على القضاء على التمرّد، ولنا شهادات جيّدة حول تغلغل الإسلام تدريجيا في بني كندة وكان فيهم حسب ابن حزم عدد من اليهود. وعيّن الرّسول شقيق الأشعث، سيفَ بن قيس، مؤذّنا[5] لدى منظوريه وذلك إلى وفاته.

---

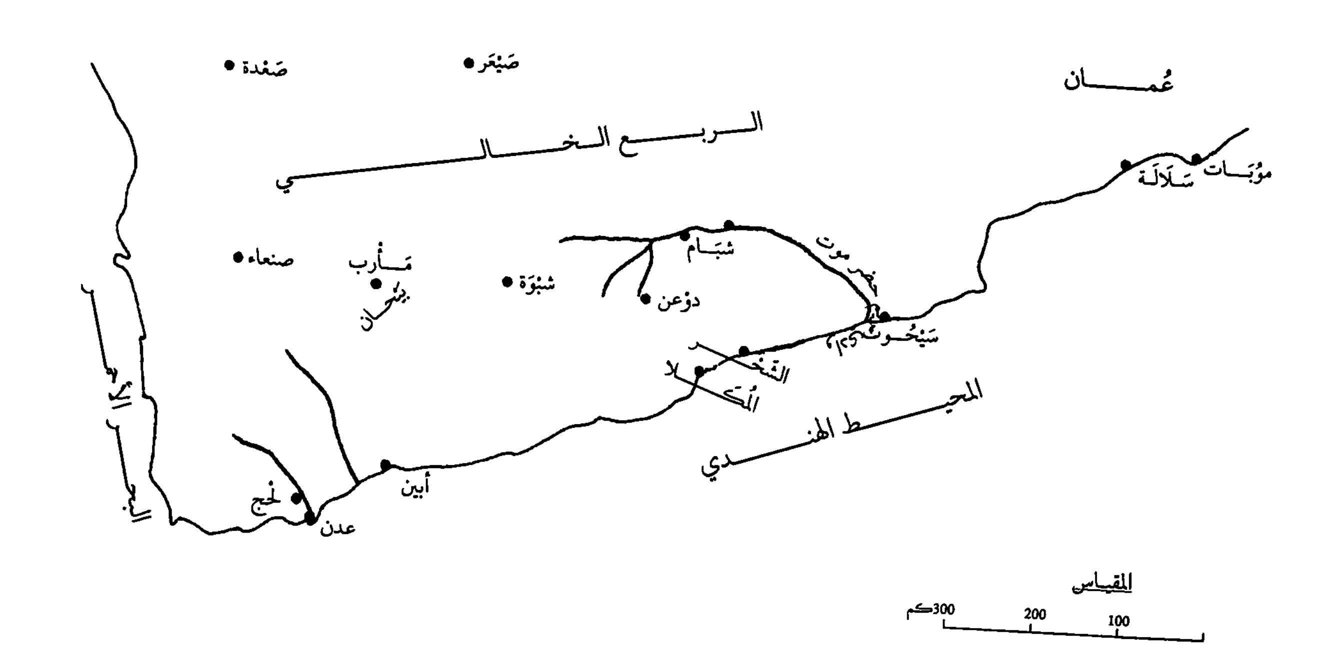
1 - انظر الفصل المتعلّق بالردّة.

2 - ابن حبيب، ن.م، ص 94-95؛ الطبري، تاريخ، III، 167؛ 340 و337؛ البلاذري، أنساب، I، 456-458.

3 - انظر بخصوص حُجْر: ابن حزم، ن.م، ص 426-427؛ وبخصوص ابراهيم بن قيس الكنديّ الذهبيّ، تجريد أسماء الصّحابة، I، ص 2 وما بعدها؛ الأهدليّ، ن.م، ص 113-114.

4 - الطبري، تاريخ، III، 334.

5 - ابن حزم، ن.م، ص 424.



خريطة حضرموت في فجر الإسلام
صَعْدة
صَيْعَر
عُمان
الربع الخالي
صنعاء
مأرب
بيحان
شبْوَة
دوْعن
شبَام
حضرموت
سَيْحُوت
الشحر
المُكلا
سَلالَة
مؤبات
المحيط الهندي
لحج
عدن
أبين
البحر الأحمر
المقياس
100
200
300كم

*** بنو تُجيب (عشيرة السّكون من سلالة الأشرس بن كندة)**

قـدم إلى المدينـة سـنة 9/ 630 ثلاثة عشر عضـوا من تجيب لتسـليم الصّدقات عن ممتلكاتهـم إلى محمّد(ص). فاسـتقبلهم الرّسـول كـما ينبغي ومنحهم مـا منح الوفود الأخرى[1]. وفي السّـنة الموالية، سـنة 10/ مارس 632، نجدهم إلى جانب الرّسول في منى يشـاركون في مناسك الحجّ، وهذا ما يدلّ أيضا على اعتناقهم الفعليّ للإسلام وقبولهم التّعاليم القرآنيّة.

*** حضرموت[2]**

تشـير المصادر إلى الصّدف[3] وبني وَلِيعة ونَهد فضلا عن بعض الرؤسـاء الحضرميّين مثـل وائل بـن حُجر وغيره. وصل وفد الصّـدف الذي يعدّ عشرة أعضـاء إلى المدينة لمبايعة الرّسول محمّد[4] سنة 10/ مارس 632، وتجمع رواية أخرى عن تشريك الصّدف وجُعفي الذين تمّ التفويت في وادي جَردان في حضرموت لفائدتهم[5].

*** وفد بني وليعة[6]**

وهـم ملـوك حضرموت القدامى، وصـل وفدهم المدينة في نفـس الوقت الذي وصل فيه وفد بني معاوية بن كندة، وهو يتكوّن من الملوك الأربعة مِخْوَس ومِشْرَح وجَمْد وأبْضعَة، وأختهم العَمَرَّدَة. وبايعوا محمّدا واعتنقوا الإسـلام، فمنحهم الرّسـول بالخصوص عطاءً يؤخذ من صدقات حضرموت. إلاّ أنّ مشـاركة القادة الخمسـة في ردّة كندة إلى جانب الأشعث تسبّبت في قتلهم جميعا.

---

1 - ابن سعد، ن.م، I، 323، الدياربكري، ن.م، I، 196؛ الحَلَبي، ن.م، II، 260؛ الأهدلي، ن.م، ص 90-91.

2 - انظر بخصوص حضرموت ابن سعد، طبقات، I، 349-351؛ ابن حزم، ن.م، ص 428؛ ابن سَمُرة الجعدي، ن.م، ص 27؛ الأهدلي، ن.م، ص 103، 108، 112؛ العلَويّ، تاريخ حضرموت، ص 130 و132.

3 - انظـر بخصوص الصّدف: ابـن حزم، ن.م، 461 و478؛ الطبري، تاريخ، III، 139؛ ابن الأثير، الكامل، II، 298؛ العلَوي، ن.م، I، 132.

4 - ابن سعد، طبقات، I، 329.

5 - الطبري، تاريخ، III، 139.

6 - انظر بخصوص بني وَليعة ابن سـعد، طبقات، I، 349-351؛ ويسمّيهم ابن حزم (ن.م، ص 428) بني مَعْدِي كرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية... بن كندة.

*** وضع وائل بن حُجر**[1]

كان من أواخر المنتمين إلى سلالة ملوك حضرموت. وتذكر المصادر أنّه على إثر اعتناقه الإسلام سلّمه محمّد(ص) عهدا ينصّ على الاعتراف بحقوقه المتعلّقة بالأراضي والقلاع التي كانت بحوزته في حضرموت.

وهذا نصّ العهد[2]:

> وذلك أنّك أسْلَمتَ وجَعَلْتُ لكَ ما في يديك من الأرضين والحصون، وأنّه يؤخذُ منك من كلّ عشرة واحد ينظر في ذلك ذوا عدل، وجعلت لك أن لا تُظْلَمَ فيها ما قام الدّين والنبيّ والمؤمنون عليه أنصار.

ووجّه محمّد(ص) رسالة إلى وائل يُسانده فيها ضدّ الأشعث في حين كان كلاهما يطالب بحقوقه بخصوص وادي في حضرموت. جاء في تلك الرّسالة[3]:

> بسم الله الرّحمن الرّحيم
>
> من محمّد رسول الله إلى المهاجر بن أبي أميّة
>
> أن وائلا يستسعي ويترفّل على الأقيال حيث كانوا من حضرموت.

وتذكر المصادر نصّ عهد آخر، لاشكّ أنّه جاء بعد العهد السّابق، وجّهه محمّد إلى وائل وقومه[4] هذا نصّه[5]:

> بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد رسول الله إلى وائل بن حجر والأقيال العباهلة والأرواع المشابيب من حضرموت:
>
> باقام الصلاة المفروضة، وأداء الزكاة المعلومة عند محلها. على التيعة شاة، لا مُقوّرة الألياط، ولا ضناك. والتيمة لصاحبها. وأنطوا الثبجة. وفي السيوب الخمس. لا خلاط، ولا وراط، ولا سياف (مهملة في الخطية شناق؟)، ولا جلب، ولا جنب، ولا شغار في الإسلام. ومن أجبأ فقد أربا. وكل مسكر حرام. ومن زنا منكم بكرا فاصقعوه مائة، واستوفضوه عاما. ومن زنا (مم) ثيب فضرّجوه بالأضاميم. ولا توصيم في الدين ولا غمة في

---

1 - انظر بخصوص وائل ابن سعد، ن.م، ص 79 ؛ اليعقوبي، **تاريخ**، II، 79 الجعدي، ن.م، ص 127؛ الهَمْداني، **الإكليل**، II، 228 و337-338؛ الأهدلي، ن.م، ص 107-108؛ العلَويّ، ن.م، I، 130-132.

2 - ابن سعد، ن.م، I، 287 وص 349؛ م. حميدُ الله، **مجموعة الوثائق...**، ن. م، ص251؛ الأهدلي، ن.م، ص 65.

3 - ابن سعد، ن.م، I، 287 وص 349؛ م. حميدُ الله، **مجموعة الوثائق...**، ن. م، ص247؛ الأكوع، ن.م، ص 115.

4 - ابن سعد، ن.م، I، 283؛ الجعْدي، ن.م، ص 27؛ الهَمْدانيّ، **الإكليل**، II، 238؛ **العقد الفريد**، II، 48.

5 - م. حميدُ الله، **مجموعة الوثائق...**، ن. م، ص 250، الأكوع، **وثائق**، ن.م، ص 116-117.

فرائض الله. لكل عشرة من السرايا ما يحمل القراب من التمر. ووائل بن حجر يترفّل على الأقيال، أمير أمّره رسول الله (ص) فاسمعوا وأطيعوا.

ويشير حَميدُ الله إلى روايات أخرى لهذه الرّسائل التي وجّهها الرّسول إلى قوم حضرموت[1].

بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد رسول الله إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب: وفي التّيعة شاة لا مقورّة الألياط، ولا ضناك. وأنطوا الثّبجة. وفي السّيوب الخمس. ومن زنى من بكر فأصقعوه مائة واستوفضوه عاما، ومن زنى من ثيب فضرجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدّين، ولا غمّة في فرائض الله تعالى. وكل مسكر حرام. ووائل بن حجر يترفّل على الأقيال.

ويُستنتج من كلّ هذه الرّسائل أنّ الاتّصالات بين محمّد (ص) ووائل بن حُجر كانت مُجدية، وأنّ الرّسول سَعِد كثيرا باعتناق السّيّد الحضرميّ الإسلام إلى درجة أنّه أجلسه عند وصوله إلى المدينة، على بُرْدته وجعله يَعْتَلي مِنْبَر المسجد، وهذه طريقة ذكيّة في الاعتراف بسلطته[2] قبل أن يأمر معاوية بإسكانه في بيت الحَرّة[3].

فالأمر يتعلّق – كما نرى – بشهادة إضافيّة عن سياسة تحالف الرّسول محمّد مع بعض وجهاء القبائل. فقد كان لهذه السّياسة هدف مزدوج: إقناع هؤلاء القادة باعتناق الإسلام مع شعوبهم، وجعلهم حلفاء يعوّل عليهم لمقاومة خصومه عند الاقتضاء. وكان محمّد (ص) اتّصل بقادة آخرين لحضرموت مثل ربيعة بن ذي مَرْحب وإخوانه وأعمامه وسلّمهم العهد التّالي[4]:

وكتب صلّى الله عليه وسلّم لربيعة بن ذي المَرْحَب الحضرميّ، وإخوته، وأعمامه: أنّ لهم أموالهم ونخلهم ورقيقهم وآبارهم وشجرهم ومياههم وسواقيهم ونبتهم وشراجهم بحضرموت، وكلّ مال لآل ذي مرحب. وأنّ كلّ رهن بأرضهم يحسب ثمره وسدره وقضبه من رهنه الذي هو فيه. وأنّ كلّ ما كان في ثمارهم من خير فإنّه لا يسأله أحد عنه، وأنّ الله ورسوله برآء، وإنّ نصر آل ذي مرحب على جماعة المسلمين. وأنّ أرضهم بريئة من الجور. وأنّ أموالهم وأنفاسهم وزافر حائط الملك الذي كان يسيل إلى آل قيس، وأنّ الله ورسوله جار على ذلك. وكتب معاوية[5].

1 - انظر المعاهدات في كتاب م. حميدُ الله، **مجموعة الوثائق...**، ن. م، ص 246-249.

2 - الأهدليّ، ن.م، I، 351.

3 - ابن سعد، I، 351.

4 - ن.م، I، 286؛ الأهدليّ، ن.م، ص 63-64؛ هـ الأكوع، **الوثائق**، ن.م، ص 114.

5 - انظر م. حميدُ الله، **مجموعة الوثائق...**، ن. م، ص246.

*** بنو نهد من حضرموت**

أرسلت قبيلة نهد[1] إلى المدينة وفدا يتقدّمه طِهفة بن أبي زهير النّهديّ لإعلان إسلامهم ونبذهم الشّرك. فأعطاهم الرّسول عهدا هذا نصّه[2]:

«إلى طِهفة بن أبي زهير من قبيلة بني نهد وإلى قومه. بسم الله الرّحمان الرّحيم، من محمّد رسول الله إلى بني نهد بن زيد، السّلام عليكم، من أقام الصّلاة كان مسلما، ومن آتى الزكاة كان محسنا، ومن شهد أن لا إله إلاّ الله كان مخلصا، لكم يابني نهد ودائع الشّرك ووضائع الملك، لا تلطّط في الزّكاة ولا تلحد في الحياة، ولا تثّاقل في الصّلاة؛ لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم العارض والفريس، وذو العنان الرّكوب، والفلو الضّبيس. لا يمنع سرحكم، ولا يعضد طلحكم، ولا يحبس درّكم ما لم تضمروا الرّماق، وتأكلوا الرّباق. من أقرّ بما في هذا الكتاب فله من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الوفاء بالعهد والذّمّة، ومَن أبى عليه فعليه الرّبوة»[3].

متفرّقات

وذكر ابن سعد حدثين يتعلّقان بقوم حضرموت: إرسال امرأة تُدعى تَبْنَات بنت كُلَيب إلى محمّد ثوبا صنعته بنفسها وذلك بواسطة ابنها كُلَيب بن أسد بن كُلَيب الذي توجّه إلى المدينة وأعلم الرّسول باعتناقه الإسلام ونظم فيه قصيدة روى مؤلّف **كتاب الطّبقات** بعض أبياتها[4].

ويُذكر أيضا وصول نَفِر بن مالِك بن عامر الحَضرَميّ إلى المدينة مصحوبا بابنة له تزوّجها الرّسول. وهناك من يذكر بعض التّفاصيل تتعلّق بنفِر الذي أراد أن يتوضّأ قبل الصلاة مبتدئا بالمضمضة لكنّ الرّسول نصحه بالإعراض عن ذلك[5].

بصفة عامّة كلّ الإشارات التي تمكّنّا من جمعها بخصوص حضرموت، قبائلَ وأفرادا، تؤكّد وجود علاقات متواصلة بل قويّة بين محمّد(ص) وهؤلاء الناس إلى غاية اعتناقهم التدريجيّ للإسلام خاصة سنتي 10/ 632 و11/ 631. وقد وجدنا مخطوطا بعنوان **أخبار وادي حضرموت** يتناول مسألة أسلمة هذه الجهة من جهات اليمن. ولئن كان تقديم المعلومات تمّ بطريقة «أسطوريّة»، فإنّ المؤلّف، المقريزيّ الشّهير، يصرّح

---

1 - يرجّح الأكوع أن الأمر يتعلّق بعشيرة نهد، سليلة مالك بن حِمْير، فهي إذن عشيرة حِمْيَرِيّة.

2 - الأهدلّ، ن.م، ص 104.

3 - انظر م. حميدُ الله، مجموعة الوثائق...، ن. م، ص173.

4 - ابن سعد، ن.م، I، 350.

5 - الأهدلّ، ن.م، ص 114-115.

بأنّه استقى معلوماته في الموضوع سنة 839 / 1435 بمناسبة زيارته لمكّة رأسا لدى علماء مكيّين كانوا زاروا حضرموت[1]

*** قبيلة مَهْرة**

زار وفد مهرة الرّسول في المدينة يتقدّمه مهريّ بن الأبيض وعرض عليه اعتناق القبيلة الإسلام. فكتب لهم محمّد(ص) رسالة هذا نصّها:

> هذا كتاب من محمّد رسول الله، لمهريّ بن الأبيض، على من آمن من مهرة: إنّهم لا يؤكلون، ولا يغار عليهم، ولا يعركون. وعليهم إقامة شرائع الإسلام. فمن بدّل فقد حارب الله، ومن آمن به فله ذمّة الله وذمّة رسوله. اللّقطة مؤدّاة، والسّارحة منداة، والتّفث السّيئة والرّفث الفسوق.
>
> وكتب محمّد بن مسلمة الأنصاريّ[2].

وذُكر في رواية عن ابن الكلبيّ أنّ أحد سكّان الشّحر يدعى زهير بن قِرْضِم بن العُجَيْل بن قبث بن قمُومَة بن نَقْلان العبديّ، قدِم إلى المدينة فأحسن الرّسول وِفادتَه. ولمّا عزم على العودة إلى بلاده، سلّمه الرّسول رسالة احتفظت بها قبيلته إلى القرن الثّاني/ الثّامن؛ إلاّ أنّ نصّ هذا العهد ضاع مثلما ضاعت الرّسالة التي سلّمها إلى رجل يسمّى ذَهْبان بن قرضم، حسب ما ورد في **الإصابة**.

4 - قبائل التّخوم

هي جميع القبائل الأخرى التي كانت تُقيم في شمال اليمن وتحديدا في شمال نجران. وهي قبائل خَوْلان وبَجِيلة وجَيْشان والأزد وكلّ من يمتّ إليها بنَسب. وأدْمجناها ضمن قبائل اليمن بسبب الرّوابط التّاريخيّة التي كانت تجمعها بها والدّور المشترك الذي لعبته معا في أحداث القرن الأوّل الهجري/ السّابع م.

---

1 - إنه مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس، رقم (4) 465، الورقة 76 قفا، 81 وجه، طُبع الكتاب ببرلين سنة 1866 نشره المستشرق Ed. Paul.

2 - انظر بخصوص مهرة: ابن سعد، ن. م، 286، 355، 356؛ الأهدلي، ن. م، ص 64؛ الأكْوَع، ن. م، ص118؛ م. حميدُ الله، مجموعة الوثائق...، ن. م، ص252.

* خَوْلان[1] قُضَاعة

قدم إلى المدينة في شــهر شعبان ســنة 10هـ/ نوفمبر 631م. عشرة خَوْلانيّون بايعوا باسم كامل قبيلتهم محمّدا. وتعلّموا طيلة إقامتهم في المدينة في بيت رملة بنت الحارث، تعاليـم القرآن ووعدوا الرّسـول بتدمـير صنمهم عم أَنَس حـال وصولهم إلى ديارهم. ومنحهم محمّـد(ص) هدايا فضيّـة ذات 12 أوقيّة ونشّ وأوْصاهم باحـترام التزاماتهم وبالمحافظـة على إخلاصهم للإسـلام والكفّ عن الظّلم. ويذكـر الواقديّ في خبر له أنّ قوم خَوْلان حطّموا فعلا صنَمهم ونفّذوا توصيّات الرّسـول. وقد مُنِح اثنان من رؤساهم ميثاقين، الأوّل إلى مَعْدِي كَرِب بن أبْرهة[2] جاء فيه أنه يحتفظ بكلّ ما كان يملك في أرض خَوْلان وقتَ اعتناقه الإسلام. أمّا نصّ الميثاق الثّاني الممنوح إلى رجل يسمّى أبا مِكْنف[3] فلم يرد مع الأسف في المصادر.

* قبيلة بَجِيلة[4]

تذكر المصادر قدوم وفديْن من بَجيلة إلى المدينة. الأوّل متكوّن من 150 إلى 200 نفر يقوده جرير بن عبد الله البَجليّ، وصل إلى المدينة في رمضان من عام 10هـ (ديسمبر 631)[5]. وأمره الرّسول بعد أن تقبّل بيعته بأن يسير إلى تُبالة ويدمّرَ صنم «ذي الخُلَصَة» الذي كانت تعبده قبائل بَجيلة وخثعم وأزْد السّراة وزُبَيْد والحارث بن كعب وجَرْم والغَوْث بن مرّ بن عاد وبني هلال[6].

ويزعم البخاريّ[7] أنّ «ذا الخلَصة» لم يكن وثَنا بأتمّ معنى الكلمة بل معبدا يسمّى «الكعبـة اليمانيّة» ويضمّ عدّة أوثان كانت تعبدها قبيلة أنهار القاطنة شـمال نجران أي خثعم وبَجيلة.

1 - انظر بخصوص خَوْلان: ابن سعد، ن.م، ص 324؛ الطبري، تاريخ، III، 140؛ الحَلَبي، ن.م، II، 266-267؛ الدياربكري، ن.م، II، 197؛ ابن الأثير، الكامل، II، 298؛ الأهدل، ن.م، 87-88.

2 - ابن سعد، I، 266؛ حميد الله، وثائق، ن.م، ص 61؛ الأكوع، ن.م، ص 112؛ الأهدل، ن.م، ص 63.

3 - حميد الله، وثائق، ص61؛ الأكوع، ن.م، ص 113؛ الأهدل، ن.م، ص 63.

4 - انظر بخصوص بجيلة: ابن سـعد، ن.م، ص 347؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 79؛ الطبري، III، 158؛ البَلاَذُري، أنساب الأشراف، I، 384؛ الدياربكري، ن.م، II، 198؛ الجندي، ن.م، ص 19؛ ابن الأثير، الكامل، II، 304؛ الأهدل، ن.م، ص 108 وما بعدها، ص 116-117.

5 - البلاذري، أنساب، I، 384.

6 - ابن حبيب، المحبر، ص 316-318؛ ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ص 34-35؛ ابن حزم، ن.م، ص493.

7 - الدياربكري، ن.م، ص 198.

ومهما كان الأمر فإنّ الكتيبة التي كان يقودها جرير والمتكوّنة من مائتي فارس تمكّنت من حرق المعبد وقتلت ضحايا كثيرين من بين عَبَدَته وخَدَمه. ويذكر ابن الكلبيّ سقوط مائة قتيل من باهِلة ومائتين أخريين من بني قُحَافَة بن عامر بن خَثْعَم[1].

ومن ناحية أخرى، بيّن ابن سعد[2] أن جريرا التزم في عهد بيعته الرّسول باحترام جميع التّعاليم الإسلاميّة عقيدةً وشعائرَ وزكاة وصوْما وغيرها، وأن يكون نَصُوحا للمسلمين وأن يطيع الوالي ولو كان عبْدا حَبَشيّا. ويبدو أنّ هذا العنصر الأخير أضيف بعد وفاة الرسول إذ لا وجود له في أيّ من العُهود التي سلّمها محمّد إلى مختلف رؤساء الوفود الذين زاروه في المدينة. وبالعكس من ذلك فإنّ إشارة البَلاذريّ[3] إلى أنّ جريرا قدِم إلى المدينة بعد اعتناقه الإسلام تدلّ على مدى التّقدّم الذي حقّقه الإسلام في الجهة الكائنة شمال نجران. ومن ناحية أخرى، فإنّ تدمير معبد «ذي الخُلصَة»، رغم أنّه جاء متأخّرا بالنّسبة إلى القضاء على الأصنام القبليّة الأخرى، فإنه كرّس نهائيّا أفولَ الوثنية كما كرّس انتشار الإسلام في الجزيرة العربيّة وبالخصوص في اليمن.

أمّا بخصوص الوفد البَجَليّ الآخر المتكوّن حسب ابن سعد[4] من مائتين وخمسين فارسا من سلالة أَحْمَس، إحدى عشائر بَجِيلة، فكان على رأسه قَيْس بن عرَارَة الأَحْمَسي. وإننا نُرَجّح أنّ المصادر خَلَطت بين الوفد المذكور أعلاه والذي قَدِم إلى المدينة بقيادة جرير، وبين الكتيبة المتكوّنة من مائتي فارس والتي أرسلها محمّد(ص) لتدمير معبد «ذي الخُلَصَة». بعبارة أخرى لا مجال إلى الاعتقاد بأنّ بَجيلة أرسلت وفديْن متتاليين إلى المدينة. فاليعقوبيّ[5] لا يذكر غير الوفد الذي كان يترأسه قيس. وابن حزم[6] يذكر كتيبة متكوّنة من مائة وخمسين فارسا من أَحمس قد تكون الكتيبة التي جُعلت تحت قيادة جرير ليتَولّى تدمير معبد «ذي الخُلَصَة». وممّا لا

---

1 - ابن الكلبي، ن.م، ص 34-36.

2 - ابن سعد، ن.م، I، 347؛ الدياربكري، ن.م، II، 198؛ الأهدلي، ن.م، ص 116-117.

3 - البلاذُري، أنساب، I، 384.

4 - ابن سعد، ن.م، I، 347

5 - اليعقوبي، تاريخ، II، 79.

6 - ابن حزم، ن.م، 388.

شك فيه أنّ الحملة العسكريّة على «الكعبة اليمانيّة» هي التي دفعت قبيلة خَثْعم إلى اعتناق الإسلام.

* خَثْعَم[1]

كان وصول وفد خثعم إلى المدينة بقيادة عثعَاث بن زَهر وأنس بن مُدرك وعَميس بن عَمْرو غَداةَ تدمير جرير معبد «ذي الخُلَصة». وبعد اعتناق خَثْعم الإسلام، كتب الرّسول لهم، بحضور رئيس قبيلة بجيلة جرير بن عبد الله، عهدا[2] يُعفيهم من ديّة كلّ من قَتَلوا قبل الإسلام ويأمرهم بدفع الزكاة على الأملاك التي يملكونها.

وما ينبغي ملاحظته هو أنّ هذا العهد الذي أُعطي إلى أهل المَدَر من بيشة وإلى بَدوها على حدّ سواء، ورد في رواية لعليّ بن محمّد القُرَشي مُسْنَدا إلى يزيد بن عياض الزّهريّ.

* جَيْشان[3]

قَدِم رجل يُدعى أبا وَهْب الجيشانيّ إلى المدينة لإعلام الرّسول باعتناقه الإسلام، وجرى الحديث حول استعمال المشروبات المستخرجة من العسل (البِتْع في اليمن) أو من الشّعير (المِزر)، فقال له الرّسول: «كُلُّ مُسْكِر حَرَام». ووجدنا عديد المرّات في العهود التي كتبها محمّد(ص) لرؤساء القبائل التّنصيص على تحريم استهلاك المسلمين للمشروبات المُسْكِرة[4].

---

1 - انظر بخصوص خثعم ابن سعد، I، 348؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 79.و يذكر ابن حزم (جمهرة، ص 391) أن ذا الأنف بن عبد الله بن جابر بن وهب بن الأقيصر هو الذي كان قائد فرسان خثعم الذين أدّوا زيارة لمحمّد (ص).

2 - انظر النّصّ في كتاب ابن سعد المذكور (I، 286)؛ وقد اعتمدنا حميد الله، وثائق، ص 82؛ رسول...، ن. م، I، 335. انظر أيضا الأكوع، ن. م.، ص.84، الأهدلي، ن. م.، ص 64.

3 - انظر بخصوص جيشان ابن سعد، ن. م، I، 359؛ الجعدي، ن. م، ص 17.

4 - انظر بخصوص المُسْكِرات : البخاري: [صحيح]، تحقيق كريل (Krell)، جُوينْبل (Juynball)، 1908، المجلّد الرّابع، القسم الأوّل، ص 28 وما بعدها؛ العقد الفريد، ن. م، ص 355؛ حميد الله، وثائق، ص 81؛ روى أسيْد بن جُعفي ما يلي: «كنت عند الرّسول لمّا كتب إلى أهل الطائف: كلّ ما يُستخرجُ من الجُبيْراء حرام». انظر أيضا ما ورد في العهد الذي كتبه إلى أهل حضرموت: «كلّ مُسْكِر حرام» انظر الجعديّ، ن. م، ص 17، وفيه أنّ أبا موسى الأشعريّ قال إنّ في اليمن أشربة تُنْتَبَذ من المِزْر والعسل (البِتع)، فأجابه الرسول كلّ مُسْكِر حرام».

ألم يخصّص البخاريّ في صحيحه الجامع للأحاديث النبويّة[1] بابا كاملا لهذا الموضوع، وفيه خاصّة حديث بإسناد ابن عمر حول صنع الخمر من خمس مواد هي الزّبيب أو العنب، والتّمور، والعسل، والشّعير، والذُّرَة.

*** الأزْد**

تتحدّث المصادر الإسلاميّة عن عديد العشائر الأزديّة التي أرسلت وفودا إلى المدينة لمبايعة الرّسول وإعلان اعتناقهم الإسلام، نذكر منها بالخصوص أزْد شَنُوءَة وأزْد السراة وفيها عشائر دوْس وغامِد وغافق وبارق وثُمَالة وهمْدان فضلا عن عدد من الأفراد الذين أدّوا زيارات لمحمّد(ص) بصفة شخصيّة وتسلّموا منه مقابل خضوعهم لسلطته عهودا سنأتي على ذكرها لاحقا.

*** أزْد شَنُوءَة**[2]

استقبل الرّسول بالمدينة في غضون سنة 10هـ/ 631م وفدا من أزْد شَنُوءَة يتكوّن من سبعة أشخاص أو خمسة عشر شخصا. وبعد أن تلقّى إعلان إسلامهم، اختار سُرد بن عبد الله الأزديّ وجعله رئيسهم وأمرهم بمكافحة المشركين والوثنيّين في منطقة جُرَش التي كان يقطنها عديد القبائل اليمنيّة. وفي الأثناء كان الجُرشيّون أرْسلوا مندوبين عنهم إلى المدينة للتّحاور مع محمّد(ص) والتّعرّف على الإسلام.

وكان لحَمْلة بني سُرد على جُرَش التي حاصَروها ما يقارب الشّهر قبل أن تسقط بيد المسلمين، عواقب دامية. فقد ظنّ الجُرَشيّون أنّ الجيش الإسلاميّ شرع في الرّحيل، فخرجوا لملاحقته إلاّ أنهم هُزِموا هزيمة قاسية إذ سقط منهم على أرض المعركة الكثير من القتلى. ودفع هذا النّصر سكّان جُرَش إلى التّخلّي عن عدائهم للإسلام وإلى اعتناقه. فعاد الوفد الذي أرسلوه إلى المدينة لإعلان خضوعهم لسلطتها بنصّ الميثاق التّالي:

هذا هو العهد الذي سلّمه الرّسول محمّد لصالح سكّان جُرَش[3]:

---

1 - يروي البخاريّ حديثا عن الزّهريّ بن عائشة: «سئل الرّسول عن البِتْع فقال: «كلّ مُنْكِر حرام».
2 - انظر بخصوص الأزد ابن هشام، ن.م، II، 954-955؛ ابن سعد، ن.م، ص 337-338؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 79؛ الطبري، تاريخ، III، 130-131؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 306-307؛ الدياربكري، II، 197؛ الحلَبي، II، 257؛ ابن الأثير، الكامل، II، 295؛ انظر أيضا: الأهدلي، ن.م، ص 97-98؛ م.واط، ن.م، ص 146.
3 - انظر نصّ العهد في كتاب ابن هشام المذكور، II، 954-955. ؛ م. حميد الله، رسول الإسلام...، ن.م، I، انظر أيضا الأكوع، ن.م، ص 83.

> هذا كتاب من محمّد النّبيّ لأهل جرش أنّ لهم حماهم الذي أسلموا عليه، فمن رعاه بغير بساط أهله فما له سحت، وإنّ زهيرا بن الحماطة فإنّ ابنه الذي كان في خثعم فأمسكوه فإنّه عليهم ضامن.
>
> وشهد عمر بن الخطاب وكتب معاوية بن أبي سفيان».

وكان هذا الميثاق يُقرّ حقّ الجُرَشيّين في الملكية ويفرض عليهم حقّ الضيافة لصالح المسافرين المسلمين، وفضلا عن ذلك كانت توظّف على الرُّشّد من أهل الكتاب في تلك النّاحية جزية سنويّة مقدارها دينار واحد.

ويبيّن البخاريّ[1] من جهة أخرى أنّ رجلا يُدعى ضِمَاد، من أزْد شَنُوءَة، كان صديقا لمحمّد منذ الجاهليّة، تحوّل إلى مكّة ليعتنق الإسلام ويبايع الرّسول أصالة عن نفسه ونيابة عن قبيلته، وذلك بُعَيْد إشهار محمّد(ص) نبوّته، وقبل هجرته إلى المدينة. وتتضمّن هذه المعلومة وجود روابط شخصيّة متينة بين محمّد وبعض الأزديّين، يسّرت خضوع قبيلة أزْد السياسي لسلطة المدينة. ونذكر أيضا عهدين منحهما محمّد(ص) إلى أزْدِيَّيْن هما خالد بن ضِماد الأزْديّ (وقد يكون ابن ضِماد الآنف الذكر)، وجُنادة.

وهذا نصّ العهد الذي سلّم إلى خالد[2]:

> «أنّ له ما أسلم عليه من أرضه على أن يؤمن بالله لا يشرك به شيئا، ويشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، وعلى أن يقيم الصّلاة، ويؤتي الزّكاة، ويصوم شهر رمضان، ويحجّ البيت، ولا يأوي مُحْدِثا، ولا يرتاب، وعلى أن ينصح لله ولرسوله، وعلى أن يحبّ أحبّاء الله، ويبغض أعداء الله، وعلى محمّد النبيّ أن يمنعه ممّا يمنع منه نفسه وماله وأهله، وأن لخالد الأزديّ ذمّة الله وذمّة محمّد النبيّ إن وفى بهذا، وكتب أبيّ».

وتَلَقّى جُنادة الأزديّ من جهته هذا العهد[3]: قالوا:

> «وكتب رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، كتابا لجُنادة الأزدي وقومه ومن تبعه، ما أقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وأعطوا من المغانم خمس الله وسهم النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وفارقوا المشركين، فإنّ لهم ذمّة الله وذمّة محمّد بن عبد الله، وكتب أُبَيّ بن كعب».

---

1 - البخاري، التاريخ الكبير، II، 341.

2 - ابن سعد، I، 267؛ الأهدلي، ن.م، ص63؛ الأكوع، ن.م، ص 86.

3 - ابن سعد، I، 270؛ ابن عبد الحكم، ن.م؛ 306-307؛ الأهدلي، ن.م، ص 63؛ الأكوع، ن.م، ص 86.

***قبيلة دوْس[1]**

اعتنقت قبيلة دوْس الأزديّة الإسلام بعد أن جاء أحد رؤسائها الطُّفيل بن عَمرو الدَّوْسيّ لملاقاة الرّسول بمكّة قبل الهجرة، وعرض عليه مبايعته رغم تحذير القُرَشيّين له. ويروي ابن هشام أنّ السّيّد الدّوسيّ عاد إلى قبيلته إلاّ أنها حافظت على عبادة وثنها «ذي الشّرى»، باستثناء أبيه وزوجته اللذين اعتنقا الإسلام[2]. وأوصاه محمّد(ص) بعد عودته إلى مكّة بأن يستعمل مع قومه وسائل الإقناع وأن يدفعهم تدريجيّا إلى التخلّي عن الممارسات الجاهليّة (خاصّة منها الرِّبا والزّنا)، وإلى اعتناق الإسلام.

وكما يُلاحظ، فإنّ الحديث عن إسلام دَوْس يشبه الحديث الذي سبق ذكره عن إسلام هَمْدان. ونحن نشعر أنّ الأمر يتعلّق بخطّة مُحْكَمَة رتّبها المحدّثون للتأكيد على الدّور الأساسيّ الذي لعبه بعض رؤساء القبائل لدى أفرادها لكن دون التّشكيك في حِذق محمّد(ص) الذي مكّنته معرفته الجيّدة بعادات العرب القبليّة من استغلالها جيّدا لصالحه وصالح رسالته.

وإثر اعتناق دوْس الجماعيّ للإسلام، ذهب الطُفَيل على رأس وفْد متكوّن من سبعين إلى ثمانين أهل بَيت أو أعيان نذكر منهم أبا هريرة وعبد الله بن أُزِيهَر الدَّوْسي[3]، لملاقاة الرسول في خيْبر في محرّم من سنة 7هـ/ ماي 628م. ويزعم البعض أنّ رجال دوْس رافقوا الرّسول إلى المدينة بعد أن تحصّلوا على نصيب من غنائم خيْبر، بل أكثر من ذلك يؤكّد ابن سعد[4] أنّ عبد الله بن أَزِيهَر طلب من الرسول أن يجعله على رأس القبيلة ولكنّه فضّل أن يستجيب لرغبة طُفَيْل في عدم فصْله عن منظوريه، فجعل الدَّوْسِيّين يستقرّون بِحَرَّة الدَّجاج.

---

1 - انظر بخصوص وفد دوْس ابن هشام، I، 252-255؛ ابن سعد، **طبقات**، I، 353؛ البلاذري، **أنساب**، I، 382؛ ابن حزم، ن.م، ص 383؛ المسعودي، **التنبيه**، ص 233؛ **الأغاني**، XIII، 220-222؛ الحَلَبي، **سيرة**، II، 226؛ الأهدلي، **الدّرّ**، ص 85-87.

2 - انظر بخصوص هذا الصّنم ابن الكلبي، **كتاب الأصنام**، وهو يذكره على أنّه لبني الحارث بن يشكر بن مبشّر، (من الأزد).

3 - ابن هشام، I، 253؛ ابن سعد، I، 353؛ ابن حزم، ص 382.

4 - ابن سعد، ن.م، ص 353.

ويُــرْوى من جهة أخــرى أنّ محمّدا(ص) بَعث في أواخر الســنة الثامنة للهجرة، على الأرجح في شوّال/ جانفي 630، الطّفَيْل على رأس كتيبة صغيرة[1] لتدمير «ذي الكفّين» وهو الوثن المشترك بين دوْس وخزاعة[2].

والتحق رئيس قبيلة دوْس بالرّسول لمساعدته على غزْو مدينة الطّائف ضدّ ثقيف مرفوقــا بأربعمائة من رجالــه كانوا أخذوا معهم آلات حربيّــة ومنجنيقات. وهذه المعلومــة الأخيرة للالدياربكري[3] تُفيد أنّ إســلام بــني دوْس كان مبكّرا وأنّهم شــاركوا إلى جانب محمّد في الحمْلات العســكريّة الموجّهة ضدّ أعدائه قبل فتح مكّــة. ولدينا روايتان أخريــان لابن الكلبي تتعلّقان بــدَوْس. تذكر الأولى[4] أنّ حكيــما من دوْس يُدْعى حبيب بن عمرو بن حثمة الدوْسيّ، بمجرّد أن علِم بدعوة محمّد، ســارع إلى ملاقاته في جمْع متكوّن من 75 شــخصا ليعلنوا له جميعا اعتناقهم الإســلام. وتتعلّــق الرّواية الثّانية[5] بكاهن يُدعى ســواد بن قريــب الدّوْسيّ كان اعتناقه الإســلام تجســيما لثلاث رُؤى تبشّر بظهور نبيّ من بني هاشــم. وسواد هذا، لعب دورا حاســما بعد وفاة محمّد(ص) حتى يحافظ قومه على إسلامهم ويمنعهم من الــرّدّة. وأخيرا من المفيد ذكر مثال الحارث بــن عبد الرحمان بن أبي دَباب الدَّوْسي الذي أدّى زيارة للرســول في المدينة وبايعه واعتنق الإســلام. ويذكر البخاريّ[6] أنّه كان عامل أبي بكر وعُمر وأنّ الفضل في سَــن الخليفة عمر الزكاة (العُشر) على العَسل، يعود إليه.

إجمــالا، كلّ هذه الوقائع تدلّ عــلى أنّ قبيلة دوس التي ذُكرت عديد المرّات في الحديــث النبــويّ[7] كانت من أولى القبائل اليمنيّة التي اعتنقت الإســلام وذلك قبل فتح مكّة بمدّة طويلة.

---

1 - البلاذري، أنساب، I، 382؛ ابن هشام، I، 253؛ ابن سعد، **طبقات**، I، 159-160.

2 - ابن حبيب، المحبر، ن.م، 316-318؛ ابن الكلبي، ن.م، ص 37.

3 - الدياربكري، ن.م، II، 109.

4 - الأهدلي، ن.م، ص 87.

5 - ن.م، ص 117-118.

6 - البخاري، ن.م، II، 2، ص 269-270.

7 - يذكر الأهدلي (ن.م، ص 46-47) أحاديث عديدة للرّسول تتعلّق بالأزد، منها قوله: «الأزد رجال أصفياء القلوب والعقيدة».

*** غامد[1]**

تحوّل إلى المدينة وفد غامد المتكوّن من عشرة أعضاء في شهر رمضان عام 10هـ/ ديسمبر 631م.؛ وعرض على محمّد اعتناق القبيلة الإسلام. وبعد أن تحصّل الغامديّون على هدايا وحفظوا التّعاليم القرآنيّة من أُبَي بن كعب، عادوا إلى ديارهم بميثاق قواعد الإسلام.

وتذكر المصادر العربيّة عَهدين أعطاهما محمّد إلى سيّدين من غامد، الأوّل إلى أبي ذبيان بن الحارث[2] جاء فيه:

> أمّا بعد: فمن أسلم من غامد فله ما للمسلم حرم ماله ودمه ولا يعشّر ولا يحشر وله وما أسلم عليه من أرضه.

نصّ العهد الثّاني الذي أُعْطي إلى عمرو بن عبد الله لم يُرْوَ مع الأسف[3]. ومع ذلك ينبغي أن نشير إلى أن أَسْلمة غامد وإرسال وفد إلى المدينة خلال عام 10هـ/631م، حدثا حسب ابن الكلبيّ[4]، إثر الرّسالة التي بعثها محمّد إلى أبي ذبيان وقبيلته يدعوهما فيها إلى الإسلام. وكان وفد غامد يضمّ بالخصوص مِخنف وعبد الله وزهير بن سليمان، وعبد شمس بن عفيف بن زهير الذين ذهبوا لملاقاة الرّسول في مكّة، كما ذهب لملاقاته في المدينة الجهين بن المرقّع وجندب بن زهير، وجُندب بن كعب. وذُكر أيضا وفد يضمّ أربعين رجلا من غامد لاقوا الرسول في مكّة على الأرجح وقت حَجّة الوداع صحبة سيّد القبيلة الحكم بن مُحَفّل.

*** عشيرة غافق[5]**

وأرسل الغافقيّون من جهتهم وفدا إلى المدينة يقوده جُلَيْحة بن شجّار بن صخر الغافقيّ لإعلام الرّسول باعتناقهم الإسلام وبجمع الصّدقات من منظوريهم. وتخوّل لنا هذه المعلومة الأخيرة جَعْلَ وصول وفد غافق في نهاية عام 10هـ متزامنا مع وصول

---

1 – انظر بخصوص غامد ابن سعد، I، 345؛ الطبري، تاريخ، III، 130؛ الدياربكري، ن.م، ص197؛ الأهدلي، ن.م، ص101.

2 – ابن سعد، ن.م، I، 280؛ الأهدلي، ن.م، 63؛ الأكوع، ن.م، ص 88.

3 – انظر م. حميدُ الله، مجموعة الوثائق...، ن. م، ص241.

4 – ابن سعد، ن.م، I، 279-280؛ الذَهَبي، تجريد، I، 91؛ الأهدلي، ن.م، ص 63-115؛ ابن حزم، جمهرة، ص 378.

5 – ابن سعد، I، 352.

الغامديّين والأزديّين بصفة عامّة ودون شكّ بعد إرسال محمّد (ص) إلى مختلف قبائل شبه الجزيرة العربيّة أعوانا لجمع الصّدقات.

* عشيرتا ثُمالة والهدّان[1]

وصل إلى المدينة بعد فتح مكّة وفد عن ثمالة يقوده عبد الله بن عَلَس الثّمالي، وآخر عن الهُدّان يقوده مُسَيْلمة بن حِزّان الهُدّانيّ لمبايعة الرّسول، فكتب إليهما عهدا هذا نصّه[2]:

> هذا كتاب من محمّد رسول الله لبادية الأسياف ونازلة الأجواف ممّا حازت صحار ليس عليهم في النّخل خراص ولا مكيال مطبّق حتى يوضع في الفداء وعليهم في كل عشرة أوساق وسق. وكاتب الصّحيفة ثابت بن قيس بن شمّاس، شهد سعد بن عبادة ومحمّد بن مسلمة.

* عشيرة بارق[3]

كذلك العهد الذي أعطاه الرّسول محمّد إلى أعضاء وفد بارق الذين جاؤوا لمبايعته وإعلامه باعتناقهم الإسلام، هذا نصّه:

> هذا كتاب من محمّد رسول الله لبارق أن لا تجذّ ثمارهم وأن لا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق ومن مرّ بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام. فإذا أينعت ثمارهم فلابن السّبيل اللّقاط يوسع بطنه من غير أن يقتثم. شهد أبو عبيدة بن الجرّاح وحذيفة بن اليمان، وكتب أبيّ بن كعب[4]

إجمالا، أرسل الأزديّون إلى المدينة عديد الوفود باسم مختلف عشائرهم. وتلقّوا مقابل اعتناقهم الإسلام وخضوعهم لسلطة المدينة السّياسيّة جملة من العهود ضبط فيها محمّد حقوقهم وواجباتهم بصفتهم مسلمين، مقرّا لهم بالمناسبة نفسها بعض الضّمانات المتعلّقة بأشخاصهم وأملاكهم.

ومن ناحية أخرى، ذكرت المصادر الإسلاميّة عديد الأزديّين الذين جاؤوا إلى المدينة فُرادى لإعلان إسلامهم. وسبق أن ذكرنا اسمي ضامد وابنه خالد. ويمكن

---

1 - ن.م، ص 353؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 79؛ الأهدلي، ن.م، ص 114-115.

2 - ابن سعد، ن.م، I، 286؛ الأهدلي، ن.م، ص 66.

3 - ابن سعد، ن.م، I، 109؛ الأهدلي، ن.م، ص 109.

4 - ابن سعد، ن.م، I، 286؛ الأهدلي، ن.م، ص 64؛ الأكوَع، ن.م، ص 83.

أن نذكر أيضا سعد بن مالك بن العُبَيْد الذي سلّمه محمّد راية سوداء رُسم فيها هلال أبيض[1].

ولا يقلّ أهمّيّة عن ذلك مثال الأبيض بن حَمَال المَأْرِبيّ الأزديّ[2] لأنّه أدّى زيارة إلى الرّسول بالمدينة صحبة ثلاثة كِنْدِيّين كانوا عبيدا له في الجاهليّة. ويبدو أنّ الأبيض حسب ما ذكره الهَمْدانيّ[3] كان جدّ بني الكَرَنْديّ، ملوك المَعَافر من أصل حِمْيَرِيّ. ونعلم أيضا أنّ الرّسول محمّدا منحَ الأبيض ماءً بمَأرِب[4]، إلاّ أن الوجيه الأزْديّ أعاده صدقةً بعد أن لفت الأقْرع بن حَابس التّميميّ انتباه محمّد إلى كونه زار ذلك المَورد في الجاهلية، وبذلك فهو صار بحكم الأسبقيّة من حقّه. وبخصوص هذا السّيّد الأزديّ أيضا، يُرْوى[5] أنّ محمّدا عَقد معه اتّفاقا يقضي بأن يُعطى أهلُ مأرب بعنوان الصّدقة، عوضا عن دفع ضريبة على محاصيل القطن، سبعين ثوبا تضاهي قيمتُها المَعافِر. والملاحظ أنّ هذا التّوافق الذي كان من المفروض أن يبقى ساري المفعول إلى وفاة الرّسول، ألغاه الوُلاة ثم أعاده أبو بكر وحوّله إلى زكاة الصّدقة.

ونذكر أيضا مثال سُوَيْد بن الحارث الأزْدي الذي وصل إلى المدينة صحبة وفد يتكوّن من سبعة أزْديّين[6] قد يكون نفس وفد سُرَد المذكور أو وفدا آخر أرْسل بعد أن بعث الرّسول إلى الأزد مندوبين مسلمين. وقد يكون محمّد(ص) أوصى هؤلاء الأزديّين بتطبيق تعاليم الإسلام.

وآخر مثال نذكره يتعلّق بعبد الرّحمان الأزديّ الملقّب بأبي الرّشيد الذي وصل على رأس مجموعة متكوّنة من مائة فرد[7]. وحظّه الرّسول باستقبال يليق بمرتبة الشّريف التي كانت له بين قومه. وخلع عليه بردته وسلّمه دُرَّته، كل ذلك ليعبّر له عن تقديره له. فبايع أبو رشيد محمّدا إلاّ أن مرافقيه انقسموا حول الموقف الذي ينبغي اتّخاذه من الرّسول، فبعضهم فضّلوا العودة إلى ديارهم والبعض الآخر قرّروا أن يلاقوه لإعلامه باعتناقهم الإسلام.

---

1 - الأهدلي، ن.م، ص 116.

2 - انظر بخصوص الأبيض البخاري، تاريخ، II، 59-60؛ الجعدي، ن.م، ص12؛ الخزرجي، ن.م، ص 36؛ الأهدلِ، ن.م، ص 122.

3 - الهَمْداني، **الإكليل**، ص 228-229.

4 - ابن سلاّم، ن.م، ص 350-351.

5 - الأهدلي، ن.م، ص 112؛ انظر أيضا ملاحظة الهمداني في كتاب **الإكليل**، 228-229.

6 - الأهدلي، ن.م، ص 92.

7 - ن.م، ص 112-113؛ الأكوع، **الوثائق**، ص88.

ويُستنتج من دراسة موقف مختلف المجموعات القبليّة اليمنيّة أنّ عام فتح مكّة (629/8) كان منعرجا سياسيّا بالنّسبة إلى الدّولة المدينيّة وإلى قبائل جنوب الجزيرة العربيّة على حدّ سواء. فقد سارعت هذه القبائل، على غرار أغلب القبائل الأخرى في شبه الجزيرة العربيّة، إلى إرسال وفود إلى المدينة لتقديم مبايعتهم السّياسيّة لمحمّد وإعلامه في الوقت نفسه باعتناقهم الإسلام، وتسلّمت منه عهودا كتابيّة تؤمّن أملاكهم ومواردهم ومحاصيلهم الزراعيّة، وتحدّد ما ينبغي دفعه إلى حكومة المدينة وأعوانها المُرسَلين من قبل محمّد من ضرائب (الزّكاة على المواشي والعشر على ما تنتجه الأرض). والجدير بالذكر أنّ اعتناق الإسلام كما يظهر في هذه الوثائق شمل الكفّار والوثنيّين والمشركين (خاصة منهم قوم بلحارث بن كعب). ولكنّ بعض المسيحيّين (من النَخَع...) واليهود (حِمْيَر وكندة وهمدان...) الذين فضّلوا البقاء على دينهم، أُجْبِروا على دفع الجزية، وهي ضريبة ترمز إلى خضوعهم السّياسي لسلطة المدنية.

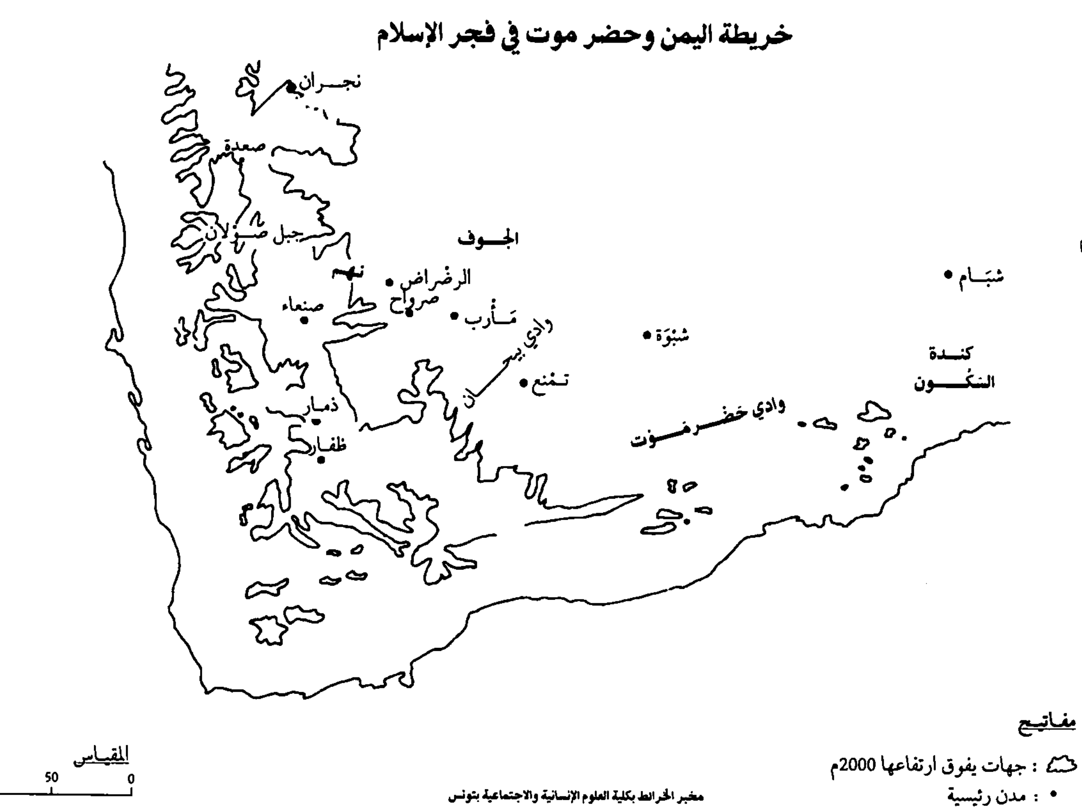
وبالتّوازي مع هذا الاعتناق الجماعيّ للإسلام، تذكر المصادر الإسلاميّة من حين إلى آخر حالات متعلقة بإسلام بعض الأفراد، وهذا الأمر يتعلّق في أغلب الأحيان بوجهاء أو رؤساء قبائل اتّصلوا بمحمّد(ص) بالرّغم من موقف قبائلهم لمبايعته بصفة فرديّة. وهذه بعض الأمثلة التي لاحظناها في مصادرنا[1]:

-الأبيض بن حَمّال بن مُرْثِد (من بني عوْف بن عَدِي، من الأزد).
-أبْرَهة بن شُرَحْبيل بن أبْرهة وابنه أبو شَمِر وكذلك عَريب بن زيد ذي بحر (أَصَابِح).
-عبد الله بن عامر وذَمام بن زيد (حاشد).
-أبو رَخم بن مُطْعِم (أَرْحَب) وأبو وهب (جَيْشان).
-عمرو بن سعد، وربيعة (عَنْس)، وعمرو بن سُبَيْع (الرّها) والأَصْبَغ بن سعد (خَوْلان).
-كُلَيْب بن نَفَر بن مالك بن عامر (حضرموت).
-يزيد بن مالك وابناه (سعد العشيرة).
-عبد الحَجر بن عبد المَدان (بلحارث بن كعب).
- سعد بن مالك بن الأبيض (من الأزد).

---

1 - انظر بخصوص اعتناق اليمنتين الإسلام بصفة فرديّة الهمدانيّ، **الإكليل**، I، 155؛ II، 228-266 و268؛ ابن حزم، **جمهرة**، ص 409-410؛ ابن سعد، **طبقات**، I، 342-343؛ القلْقشندي، **نهاية**، ن.م، ص 34-35؛ 55؛ 280؛ 433؛ 439.

خريطة اليمن وحضر موت في فجر الإسلام



مخبر الخرائط بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

III-إدارة شؤون اليمن في العصر المحمّدي

اقتضى بناء دولة من قبل محمّد ما لا يقلّ عن عشر سنوات، منذ هجرته إلى يثرب (المدينة) إلى وفاته سنة 11 هـ/632م. وكانت هذه الدّولة تقتصر في بدايتها على المدينة ثم أخذت شيئا فشيئا تتوسّع باستمرار إثر سلسلة من الحملات والغزوات (أو السّرايا) وقعت في شمال الجزيرة العربيّة (مثل ضم واحات خيبر ووادي القُرى وفدَك)، وفي شرقها (مثل نجد والبحرين وعُمان)، وجنوبها (مثل تهامة واليمن وحضرموت)[1]. باختصار، إن شبه الجزيرة العربيّة التي تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين كيلومتر مربّع فتِحت على الأقلّ من النّاحية السّياسيّة، في عشر سنوات. وكان على محمّد، لتسيير مناطق في هذا الاتّساع، أن يجد حلولا عاجلة في البداية فعمد إلى تكليف قادة أو «أعوان» لدى القبائل الرّئيسيّة أو بطون من قبائل أو تجمّعات قبليّة، بمهمّات محدّدة، قضائيّة وجبائيّة وثقافيّة ودينيّة. إلاّ أنّه منذ قرّر إرسال «مُصدِّقين» يجمعون الضّرائب من مختلف مناطق الجزيرة العربيّة في سنة 9هـ/ 630م[2]، صار لا مفرّ من ظهور تقسيمات إداريّة تدريجيّا، تتفاوت من حيث التّحديد التّرابيّ، ستعتبر لاحقا «أقاليم» حقيقيّة. يكفي أن نلاحظ أسماء القادة أو الأعوان الذين ذكرتهم المصادر الإسلاميّة[3] حتى نعرف «حدود» الأقاليم في الدّولة المدينيّة الجديدة.

ويميّز حميدُ الله بين صنفين من القادة في التّراتبيّة الإداريّة في العصر المحمّدي[4]:

-«الرّؤساء الوراثيّون» الذين عيّنهم محمّد أو أقرّهم على القبائل أو بطون القبائل التي بايعته وأرسلت إلى المدينة وفودا.

-«الرّؤساء الوقتيّون» مثل الجُباة والقضاة والمكوّنين وغيرهم من الأعوان الذين كثيرا ما كان الرّسول يبعثهم من المدينة.

---

1 - حميد الله، رسول الإسلام، ن.م، II، م.وات، محمّد في المدينة، ن.م، ص 70 وما بعدها؛ م. رودنسن، محمّد، ن.م، ص 288 وما بعدها.

2 - بيّن الطبري (تاريخ، III، 123) أنّ الرّسول فرض على المسلمين الصّدقات سنة 9هـ وعيّن أعوانا لجبايتها في نواحي الجزيرة العربيّة التي دخلت الإسلام (ن.م، III، 147)؛ البلاذري، أنساب، I، 530-531؛ الدياربكري، II، 202-203.

3 - الطبري، تاريخ، III، 147؛ ابن حبيب، المُحبر، ص126؛ ابن خيّاط، تاريخ، I، 72-73؛ البلاذري، أنساب، I، 529؛ فتوح، ن.م، ص 92-94.

4 - حميد الله، رسول، ن.م، 435.

تلك هي الصّورة العامّة لتنظيم الدّولة المدينيّة. وفي المستعمرات الفارسيّة القديمة كاليمن والبحرين وعُمان، حافظ محمّد(ص) على ممالك حقيقيّة ليضمن نوعا من الاستمراريّة في مجال الإدارة وحتّى في مجال السّياسة، كما أراد أن يحترم نوعا من «الاستقلال الجهويّ».

1 - اليمن في الدّولة المدينيّة

بخصوص اليمن نفسه، المُدْمَج في صلب الامبراطوريّة الفارسيّة منذ وفاة سيف إلى سنة 628م، والمنظّم في شكل سطربة أي إقليم يحكمه مرزبان تابع لحاكم طيسفون، فمن البديهيّ أن تكون إدارته في عصر محمّد أسهل من إدارة مناطق مثل نَجْد أو اليمامة كانت حدودها في حاجة إلى الضبط وإن كانت البلاد بأكملها مُجَزَّأة إلى وحدات ترابيّة (مخاليف ومَحَافد وقصور) يسيّرها أسياد يحملون ألقاب «قَيْل» و«ذو» و«عبْهل» مثل «ذو يَزِن» و«ذو الكلاع» (حِمْيَر) ووائل بن حجر (حضرموت).

وينقسم نشاط الرّسول الإداريّ في اليمن إلى مرحلتين:

-الأولى تطابق المرحلة الواقعة بين عام 7هـ/628م، وهو يمثّل البداية المُفْترضة لإسلام باذان والأبناء حسب بعض المصادر العربيّة واليمنيّة، وبين عام 9هـ/ 630م، وهو عام الوفود. وتمثّل هذه المرحلة بالنّسبة إلى محمّد(ص) مرحلة إقرار رؤساء القبائل المحلِيّين على أراضيهم قَصْد تحْسين وضعهم ضمن «نظام أمْنيّ مَدينيّ» والمحافظة على مراقبتهم بصفة مباشرة. وهؤلاء هم الذين يسمّيهم حميد الله القادة الوراثيّين[1].

ويمكن أن نجعل ضمن هذا الصّنف باذان بعد اعتناقه الإسلام وابنه الذي خَلَفه في صنعاء (شهر بن باذان). وتمّ أيضا إقرار أبي موسى الأشعريّ في المنطقة المنخفضة من اليمن بين وادي زَبيد ووادي رمَع، كما تمّ إقرار التّنظيم الكَنَسيّ في نجران بعد قبول المسيحيّين الخضوعَ إلى سلطة المدينة. وأخيرا أُقِرَّ زُرْعة بن ذي يَزن على رأس حْمَير شريطة أن يساند عمل مبعوثي الرّسول الآخرين وأن يمدّهم بالعوْن اللازم لجمع الضّرائب (الصّدَقات والجزية).

-أمّا المرحلة الثّانية فإنها تتعلّق بعامي 10-11/631-632 اللذين عَمَد فيهما محمّد(ص) إلى تعيين «قادة مُؤقّتِين» للقيام بأعمال محدودة مثل تلقين تعاليم الإسلام وجمع الصّدقات والجزية، ونشر الدّين الإسلاميّ، ونسف بعض أوثان الكفّار

1 - ن.م، ص 433.

ومعابدهم والقضاء، والحملات العسكريّة الهادفة إلى إخضاع بعض التجمعات السكنيّة المناهضة، وغير ذلك.

ونذكّر في هذا النطاق بما قلناه سابقا عن معاذ بن جبل الأنصاريّ الذي كلِّف بتلقين اليمنيّين القرآن وتدريبهم على استيعاب تعاليم الإسلام، والقضاء بينهم، واستخلاص الضّرائب منهم. كان ذلك شأن عليّ بن أبي طالب أيضا الذي كلّف بثلاث مهّام: إخضاع هَمْدان ومَذْحِج لسلطة الإسلام، والقضاء بين اليمنيّين الذين اعتنقوه، وجمع الصّدقات والجزية في نجران ولا نَنسَ أيضا السّيّد المُرادي فَرْوة بن مُسَيْك الذي دُعي إلى إقناع من بقي من منظوريه من زبيد ومُرَاد ومَذحج على اعتناق الدّين الإسلاميّ. ولنذكر أيضا جرير بن عبد الله البَجَليّ الذي كلّف بتدمير معبد بَجيلة وخثعم المسمّى بتبالة «ذو الخلصة»: سرد بن عبد الله الأزدي البجلي الّذي كُلّف من جهته بنفس المهمّة الموكولة لفروة بين أهله «أزد شنُوءة». ويجدر أن نذكر أيضا مهمّات كلّ من أبي موسى الأشعريّ لدى بني زبيد، ووَبَر بن يَحَنَّس لدى «الأبناء» الفرس، وخالد بن الوليد لدى بلحارث بن كعب.

باختصار، فإنّ المصادر الإسلاميّة تذكر إرسال مندوبين حقيقيّين أو «عمّال» إلى مختلف أقاليم اليمن في أواخر عام 10هـ وتحديدا بعد حجّة الوداع (مارس 632) وقبل وفاة الرّسول ببضعة أشهر.

وهذه قوائم هؤلاء العمّال كما ضبطها الأخباريّون.

قائمة الطّبري[1]:

-صنعاء: شهر بن باذان.
-همدان:عامر بن شهر الهَمْدانيّ
-نجران:عمرو بن حزم
-بين نجران ورِمع وزبيد: خالد بن سعيد بن العاص
-مَأرِب: أبو موسى الأشعريّ
-عك والأَشْعَرِيّون: الطاهر بن أبي هالة
-الجند: يعْلَى بن أميّة
-حضرموت: زياد بن لبيد البَيَّاضيّ

1 - الطبري، تاريخ، III، 228-229 وص 318؛ ابن الأثير، الكامل، II، 336؛ الجَعْدي، ن.م، ص 21-23؛ الخزرجي، ن.م، ص 48-50.

-السّكَاسِك والسّكون: عُكاشة بن ثوْر بن أصفر الغَوْثيّ
-بنو معاوية بن كِنْدة: المُهاجر بن أميّة
وكُلِّف معاذ بن جبل بمهمّة التنقّل من منطقة إلى أخرى باليمن وحضرموت بصفته ملقّنا ومعلّما للمذهب.

ويمكن التّمييز في هذه القائمة التي رواها سيف بن عمر بين بلدين: اليمن وحضرموت، وبين قيادتين أو «إمارتين»، وعشرة «أعوان» أو مندوبين. وأوْكَل محمّد(ص) إلى صاحبه اليمنيّ مَعَاذ بن جبل مهمّة «معلِّم البلَدَين»، مبيّنا بذلك أنّ هاجسه الأساسيّ كان نشر التّعليم الدّينيّ بين الشّعوب التي أسلمت حديثا.

قائمة ابن حبيب[1]:

-كندة والصّدف: المُهاجر بن أبي أميّة المخزوميّ
-حضرموت والصّدقات: زياد بن لبيد الأنصاريّ
-زَبيد ورِمَع عَدن والسّاحل: أبو موسى الأشعريّ
-الجَنَد: مَعاذ بن جبل الأنصاريّ
-نجران: أبو سفيان بن حَرْب
-صنعاء: خالد بن الوليد

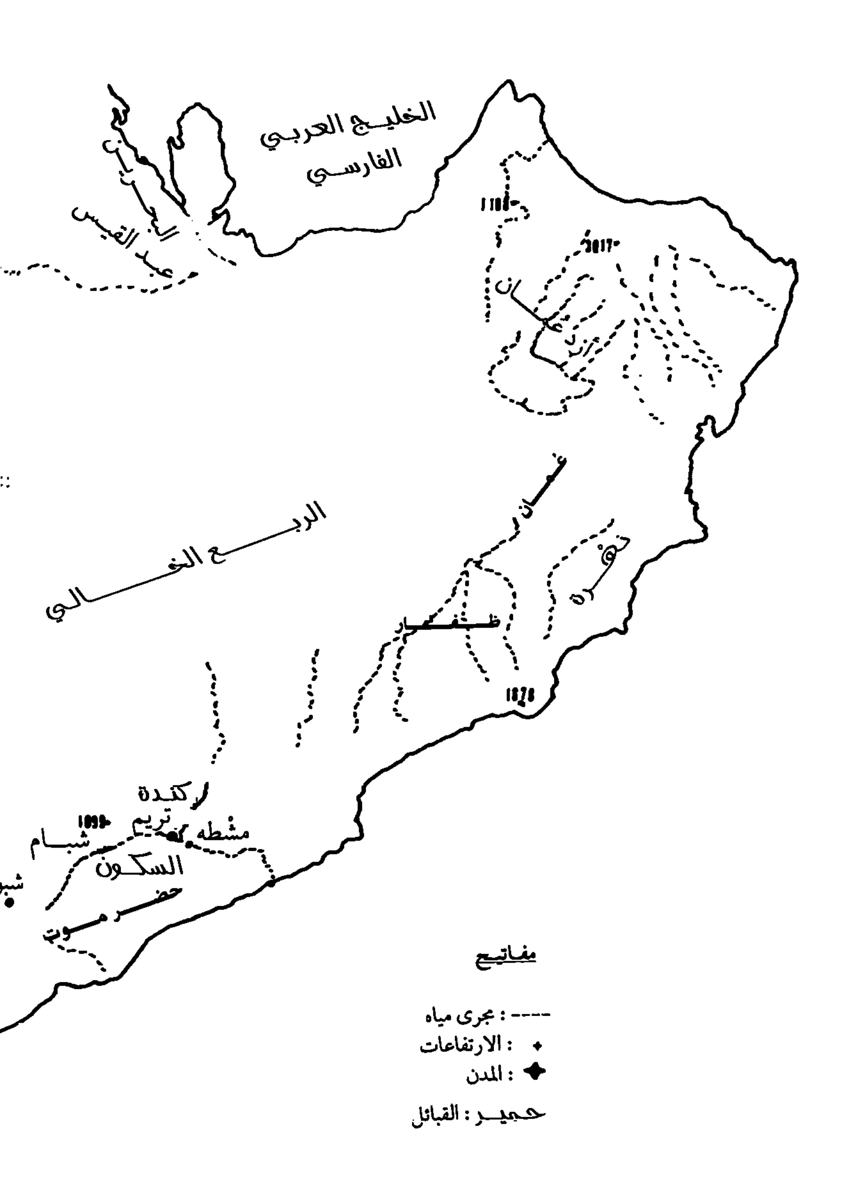
فهذه القائمة أكثر اختصارا من قائمة الطبريّ، وتندرج في نطاق قائمة أشمل لأعوان الرّسول في الجزيرة العربيّة. وهي تتضمّن أسماء أعوان أو «عمّال» لا تتطابق البتّة مع من ذكروا في القائمة السّابقة.

وفي المقابل، يتبنّى كلّ من ابن خيّاط[2] والبلاذريّ هذه القائمة نفسَها مع بعض الفروق البسيطة. ويمكن أن نضيف إلى قائمة ابن خيّاط هذه، إسم عمرو بن حزم على رأس قبيلة بلحارث بن كعب، فضلا عن تدقيقات تتعلّق بمهمّة معاذ المعيّن بالجند، ولكن للاهتمام أيضا بالقضاء وتلقين تعاليم الإسلام وكذلك القرآن زيادة على جمع الصّدقات.

---

1 - ابن حبيب، كتاب المَحبر، ن.م، ص126.
2 - ابن خيّاط، تاريخ، I، 72-73.

خريطة بلاد العرب في عهد الرسول محمّد



المدينة
نجد
مكّة
جدة
الطائف
ثقيف
بجيلة
بيشة
خثعم
أزد السراة
مذحج
نجران
همدان
مراد
معين
رَيْدة
صنعاء
مأرب
خولان
ذمار
غلافقة
المخا
الجند
المعافر
عدن
أدوليس
أكسوم
البحر الأحمر

المقياس
18,5 كم 12,5 62,5 0

أمّا البلاذريّ[1]، فإنّه يذكر عَمرو بن حزم بنجران عوضا عن أبي سفيان بن حرب المكلّف بجمع الصّدقات من خَوْلان وبجَيلة. وفي رواية أخرى، يذكر يزيد بن أبي سفيان بنجران وكذلك والدَه أبا سفيان. كيف نفسّر هذه الاختلافات بين أخباريّ وآخر؟ الواقع أنّ كلّ أخباريّ لم يزد على التجّميع في قائمة واحدة لأسماء أعوان اصطفاهم الرّسول باليمن وباقي الجزيرة العربيّة تجميعا عامّا دونَ تدقيق تاريخ تعيينهم. وهذا أمر لا يستغرب كثيرا.

فهذه القائمات التي كنّا بصدد ذكرها، موجودة في آخر الفصل المخصّص للرّسول محمّد(ص) في كلّ من المصادر المذكورة. بعبارة أخرى، إنّ كلّ أخباري أراد أن ينقل في شكل حصيلة عامّة لأعمال الرّسول أسماءَ جميع العمّال أو الأمراء، أي كلّ الأعوان والكتّاب وغيرهم الذين قاموا بمهمّة ما سواء في المدينة أو خارجها، دون تقديم توضيحات عن كلّ من هؤلاء الأعوان وعن المهمّة المُسندة إليه. ومهما كان الأمر فإنّ ما يهمّنا أكثر في هذه القائمات المختلفة جدّا، ليس أسماء الأعوان بقدر ما هي صلاحيّاتهم والمناطق المنوطة بعهدتهم. وما يلفت الانتباه بخصوص هذا الموضوع هو أنّ اليمن وحضرموت ليسا مقسّميْن إلى مجموعات ترابيّة فحسب، مثل صنعاء والجند ومأْرِب وعَدن والساحِل ونجران وحضرموت، بل نجد أيضا مجموعات قبليّة مثل الصّدف والسَّكاسِك وكندة والسّكون وبلحارث. وقد جُعل على رأسها أعوان محدّدون. هذا التّقسيم المزدوج، الجغرافيّ والبشريّ، لإقليم اليمن، يجعل دراسة إدارة البلاد أكثر تعقيدا ويَحول دون ضبط الصلاحيّات التي يُعهد بها إلى كلّ عَوْن من الأعوان أو مندوب أو ممثّل للسّلطة، ضبطا دقيقا.

ومع ذلك نلاحظ أنّ جميع المصادر تلحّ على المهمّة التي عُهد بها إلى مَعاذ بن جبل بصفته عوْنا متنقلا في مجموع الإقليم (اليمن وحضرموت) مكلّفا بتعليم قواعد الإسلام وتلقين تعاليمه، وكذلك بالقضاء وجمع الضّرائب.

2 - صلاحيات عُمّال الرّسول في اليمن

إنّ ضبط السّلطات الحقيقيّة التي يتمتّع بها وال أو عامل من عمّال الرّسول باليمن ضبطا دقيقا هو مهمّة صعبة بسبب تشتّت المعلومات الواردة في المصادر الإسلاميّة ومحدوديّتها.

---

1 - البلاذري، أنساب، I، 529؛ فتوح، ص92-94.

فالطــبري مثلاً[1] يجعل إســلام بــاذان آخر مرزبان فــارسي باليمن ســنة 10/631[2] ويكتفي بتســجيل أنّ الرّســول أقرّه في منصبه بصنعاء لإدارة اليمن ومختلف أقاليمه، ولا يذكــر أيّ تفاصيــل أخرى حتّى ولــو كان الأمر يخصّ اتّفاقــا مُبْرما بين محمّد وباذان[3]. فلا نســتغرب أنّ الرّســول بعد وفاة الوالي الفارسيّ، قسّــم اليمن إلى جملة من المناطــق وزّعها على عدّة عمّال اصطفاهم من بــين صحابته، أغلبهم من أصل يمني هم الذين كنّا بصدد ضبط قائمتهم.

وتلقّــى أحد هــؤلاء العمّال، وهو عامر بــن حزم الأنصاريّ الــذي عُيّن على رأس منطقة نجران، عهدا يتضمّن جملة من التّعليمات الكتابيّة تتعلّق بطريقة إدارة إقليمه.

وإن نــصّ هذا الميثاق الذي دوّنته مختلف المصــادر، حتّى وإن حُذفت منه أجزاء أو وقع تمطيطه في مختلف عمليّات نَقْله[4]، يمثّل بالذّات وثيقة رائعة دون شــك لدراســة السّــلطات التــي عَهِد بها محمّد(ص) إلى أعوانه المعيّنين عــلى رأس جهة ما من جهات الجزيرة العربيّة.

فلننظر عن كثب في هذه الوثيقة الاســتثنائيّة[5]. الحــقّ أنّ الأمر يتعلّق بوثيقة يدفع فرْط دقّتها إلى التّشــكيك في صحّتها. فقد بيّن محرّرهــا المتأخّر أنّ العامل من واجبه الاهتمام بإدارة القضاء، والتّعليم العموميّ، وجمع الضرائب، ونشر العقيدة الإســلاميّة. فهي إذن صلاحيّات دينيّة وروحيّة وقضائيّة وجبائيّة وثقافيّة في الآن نفسه.

وكان عــلى عمرو بن حزم أيضا، بصفته عامل الرّســول في نجران، أن يعمل على ملازمة التّسامح الكامل إزاء الرّعايا غير المسلمين أي المسيحيّين سليلي قبيلة بلحارث الذين احتفظوا بعقيدتهم، وفي المقابل قبلوا دفع الجزية إلى المســلمين. وكان من ناحية أخــرى مكلّفــا بمراقبة الأخلاق ومنــع كلّ مظاهر الفحش. وســيُعهد لاحقا بهذه المهمّة إلى محتسب عندما تؤسّس الحسبة.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 227.

2 - ن.م، ص 147؛ ابن خيّاط، تاريخ، I، 74.

3 - م. واط، ن.م، ص148.

4 - حميد الله، رسول...، ن.م، I، 418.

5 - انظر نصّ هذا العهد في كتاب حميد الله، وثائق، ص 52-53، وانظر أيضا الطّبريّ، تاريخ، III، 128-129.

وتتضمّن التّعليقات أيضا حشــدا من المعلومات تتعلّــق بالحياة الدينيّة اليوميّة مثل أوقات الصّلاة، والفرائض والسُّنن، والحجّ، وطريقة أداء الصّلاة، والوضوء، واللّباس، وغيرها.

ولا تخلو هذه الوثيقة من توضيحات تهمّ تصوّر العدالة الإســلاميّة وقطع الرّسول في هذا المســتوى مع العدالة الجاهليّة. فقد وقع تعديل قانون القِصاص تعديلا جوهريّا فحذفت قاعدة «العين بالعين والسّــن بالسّن» وعُوّضت بدِيّة ماليّة إذا كانت الجراح بدنيّة، فجُعلت قيمة السنّ خمسة جِمال، وقيمة العين أو الذّراع أو السّاق خمسين جملا[1].

وينبغي أن نلاحظ أنّ هذا الإصلاح القضائيّ كما جاء في هذه الوثيقة المسلّمة إلى عمــرو بــن حزم، وُصف وصفا جيّدا في نصّ للواقديّ أيضا يتعلّق بنشــاط عليّ بن أبي طالب في اليمن[2]. ورُوي أنّ عليّا جدّد ديّة القتيل كما يلي: مائه بعير أو ألف شاة أو ألفا ثوب من أثواب المَعافر أي ديّة تختلف بحسب طبيعة ممتلكات المتقاضين.

وتُعدّد الوثيقة من جهة أخرى الضّرائب التي كانت مفروضة على المسلمين وعلى أهل الذّمّة في الآن نفسه في نجران. فكان على المسلمين دفع الزّكاة على قطعان الإبل والغنــم والبقر، والعُشُر على منتوجــات الأرض، والخُمُس على الغنائم الحربيّة، في حين كان المســيحيّون واليهود خاضعين للجزية[3] وتتمثّل في دينار واحد على كلّ شخص بالغ، رجلا كان أو امرأة، حرّا أو عبدا، أو ما يعادله أقمشةً.

وتتطابق هذه التّعليمات الجبائيّة مع تلك التي أعطاها الرّسول إلى معاذ بن جبل[4]، وقــد كان عونــا متنقّلا في أرجاء اليمــن. ونذكّر أنّ معاذا دُعــي إلى جباية الزّكاة من المســلمين على الماشية بمعدّل شــاة على عشرة رؤوس من الغنم، وأربع بقرات على أربعــين بقــرة، والعشر على منتوجات الأرض[5] مــن التّمور والذّرة والشّــعير والزّبيب والحنطة بحسب نوعيّة سَقْي الأرض (10% بالنّسبة إلى الأراضي التي تسقيها الأمطار، و20% بالنّســبة إلى الأراضي السقويّة بواسطة الآبار» الخ...) إجمالا فإنّ النّصّ المتضمّن التّعليمات التي أســداها الرّســول إلى عامله بنجران عمرو بن حزم، يمثل وثيقة رئيسيّة لمعرفــة صلاحيّات الولاة باليمــن، على الأقلّ كما كانت تُتَصَــوَّر في القرن الثّاني/

1 - حميد الله، ن.م، ص 55.

2 - الواقدي، كتاب المغازي، ن.م، ص 1085.

3 - حميد الله، وثائق، ن.م، ص 53.

4 -البلاذري، فتوح، ص 97؛ الجعْدي، ص 18؛ الطبري، كتاب الجزية، ص 208-211.

5 -البلاذري، فتوح، ص 98؛ انظر مقالنا عن النّظام الجبائي، ن.م، ص 69 وما بعدها.

الثّامن. ومــن ناحية أخرى، تكمن أهميّة هذا الميثاق في كشـفه التّغييرات الجوهريّة التي أدخلها محمّد(ص) على حياة العرب في مسـتوى القضـاء والجباية والحياة اليوميّة وتبيّن حرص الرّسول على تطبيق هذه المستجدّات تطبيقا صارما.

3 - الوضع الإداريّ في اليمن بعد وفاة الرسول

بعد وفاة الرّسـول ظهر توزيع جديد للوظائف بين ممثّلي السّـلطة المدينيّة باليمن، فعهد بنجران ومنطقتها إلى عونيْن حسـب الطّبريّ[1]: عمرو بـن حزم مكلّفا بالصّلاة (والي الشّـؤون الدينيّة) وأبو سفيان بن حرب مكلّفا بالجباية (عامل على الصّدقات). وحتى وإن كان اسم والد معاوية يبدو مضافا من قبل الأخباريّين في فترة متأخّرة دون شكّ لإبراز دور الأمويّين ومساهمتهم المبكّرة في إدارة الشّؤون السّياسيّة والاقتصاديّة للأمّة الإسـلاميّة، فإنّ هذا لا يمنع من الإقرار بأنّ لنا في نجران مثالا محسوسا لتقسيم وظائف الوالي والفصل بين ما يتعلّق منها بالشّؤون الدّينيّة وما يهمّ الشّؤون الاقتصاديّة والجبائيّة. وسـيكون هـذا التّطوّر أوْضح في عهد الولاة الأمويّين والعبّاسـيّين. ومهما كان الأمر، فإن جباية الضّرائب يبدو أنّها كانت ذات أولويّة بالنّسبة إلى الأعمال التي كلّف بها العمّال الذين عيّنهم الرّسول في مختلف جهات الجزيرة العربيّة في السّنتين 10 و11 هـ/ 631-632 م، وهم أعوان يحملون حسـب المصادر[2] لقب «عامل» أو «أمير» أو «والي». وينصّ الطّبريّ[3] على أنّ اليمن كان يسيّره بعد وفاة الرّسول ثلاثة أعوان:

-المُهاجر بن أبي أميّة بصنعاء.

-وزياد بن لبيد البيّاضي بحضرموت.

-وعلي بن أبي طالب بنجران.

وبالعكـس من ذلك يرى البلاذريّ[4] واليعقوبيّ[5] أنّ صنعاء كانت تحت سـلطة خالد بن سـعيد بن العاص وفي حين كانت الثّانية تحت سـلطة أبي سفيان بن حرب أي كانتا بيد أمويّين.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 318.

2 - ن.م، 147؛ ابن الأثير، الكامل، II، 291 و301.

3 - الطبري، تاريخ، III، 147.

4 - البلاذري، أنساب، II، 529-530.

5 - اليعقوبي، تاريخ، 76.

وتذكر المصادر اليمنية ثلاثة عُمّال في اليمن[1] هم:
-أَبَان بن سعيد بن العاص بصنعاء وأقاليمها.
-ومعاذ بن جَبَل بَالجند وأقاليمه.
-وزياد بن لبيد بحضرموت والمناطق التّابعة بها.

ولا يهمّنا أسماء العمّال بقدر ما يهمّنا عددهم ووظائفهم. فالمهمّ في ذلك أنّ اليمن غداة وفاة الرّسول كان بصفته إقليما من أقاليم الدّولة المدينيّة مقسّما ترابيّا بين ثلاثة عمّال مستقرّين على التّوالي بصنعاء والجند وحضرموت. والواقع أنّ تقسيم البلاد إلى ثلاثة أعمال يُرجّح أنّه يُنسب إلى أبي بكر، وأنّ عُمر وعثمان وعليّا أقرّوه قبل أن يراجعه الأمويّون، وسنتعرّض لاحقا إلى هذه المشكلة.

خاتمة

في ختام هذه الدّراسة عن اليمن في عهد الرّسول محمّد ينبغي تدقيق الأسباب التي دفعت اليمنيّين قبائل وعشائرَ وأفرادا إلى الاتّصال بصاحب المدينة ومبايعته. ومن جهة أخرى، سنحاول ضبط الخطوط الكبرى للسّياسة المحمّدية إزاء قبائل اليمن قبل أن نحاول تفسير ما اتّفقت المصادر الإسلاميّة على تسميته بـ «أَسْلَمة أهل اليمن».

فقد كتب مَكْسِيم رودنسون (Maxime Rodinson) بخصوص علاقات الرّسول بالقبائل العربيّة الواقعة غرب المدينتين المقدّستين مكّة والمدينة، وشرقهما وجنوبَهما ما يلي[2]:

«كان في إمكان محمّد(ص) أن يَحُلّ مشاكل قريش ليس بالوسائل التقليديّة فحسب، بل بدعوتها إلى الإقرار بالقدرة الإلاهيّة التي نَصَرَتْه، وبإغرائها بالطّمأنينة الباطنيّة، وبالغنائم المتوفّرة في الخارج. وقد برع محمّد(ص) في شراء ذِمم الشّخصيات المؤثّرة بمَنْحهم الهدايا المناسبة لكلّ منهم، وانتهاج سياسات حقيقيّة تستغلّ طموحاتهم ونَهَمهم وغرورهم وخوْفهم وأحيانا قليلة حاجتهم إلى مثل أعلى وإلى تفاني الرّجال. وقد اعتنق بعضهم الإسلام صادقين.. إلا أنّ أغلبهم انخرطوا فيه بفتور.. ولكنّ كلّ

1 - الخزرجي، ن.م، ص 52-53؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزمان، مخطوط، باريس الورقة 4؛ ابن الديبع، قُرة العيون، I، 67.

2 - م. رودنسن، محمّد، ن.م، ص 305.

تلك القبائل المنتمية إلى الصّحراء الممتدّة شرقي المدينتين المقدّستين، كانت تعيش بوصفها كياناتٍ سياسيّة مرتبطة بمحمّد(ص)».

وأضاف في حديثه عن قبائل جنوب الجزيرة العربيّة وعن «الأبناء»[1]: «لم يرسل محمّد(ص) كتبه إلى تلك الجهة باستثناء سريّات قليلة العدد كان يوجد بها أعوان له وكان يساند بعض رؤساء القبائل أو بعض الإقطاعيّين الذين كانوا يعترفون بالإسلام. وكان يحرّضهم على العمل معه ضدّ غير المسلمين، وهو ما انجرّ عنه اتّساع نفوذهم وممتلكاتهم، في نفس الوقت الذي كانت تتّسع فيه المنطقة التي كان الرّسول ينشط بها».

ويلتقي هذا الحكم المعتدل لمكسيم رودنسون مع حكم م. واط (M. Watt) الذي ذكرناه بمناسبة الحديث عن سياسة محمّد(ص) إزاء قبائل الجنوب[2]. وأبدى مؤخّرا عالم الإناسة يوسف شلحد (J. Chelhod)[3] رأيا مغاليا، لافتا في نفس الوقت الانتباه إلى التّشكيك الذي أبدَيْناه إزاء المصادر الإسلاميّة وخاصّة منها المصادر اليمنيّة المتأخّرة، قائلا: «إن اعتناق جنوب الجزيرة العربيّة العقيدة الدينيّة الجديدة توصّل إلى إنجاز فتوحات فرديّة. ولكن الاتّفاقات التي أبرِمَتْ مع القبائل كانت ذات طابع سياسيّ ولا تهمّ غير جزء من المجموعة المُمَثَّلة. وكان من اعتنقوا الإسلام يقبلون خاصّة دفع إتاوة إلى محمّد(ص). وفي المقابل كانوا يتمتّعون بهيبة القوّة الجديدة المنتصبة في المدينة التي صار يُقرأ لها ألف حساب، وفضلا عن ذلك فإنّ الإسلام كدين لم يكن معروفا جيّدا لدى مَن دخلوه من اليمنيّين».

ونحن نرى أنّ هذا المشكل يحتاج إلى مزيد التعمّق. فالرّسول حتّى بعد انتصاره السّاحق على القُرَشيّين في رمضان عام 8هـ لم يكن في مستطاعه أن يتوقّع طفْرة في اعتناق الإسلام، خاصّة من قِبل قبائل جنوب الجزيرة العربيّة. والأخباريّون المسلمون تَحدّثوا لا محالة بكثير من التّفاصيل عن أصل القبائل وأسماء أعضاء الوفود وصفاتهم ومنزلتهم الاجتماعيّة وعن هذا الحدث المتمثّل في قدوم الوفود القبليّة دون انقطاع إلى المدينة من كلّ جهات شبه الجزيرة العربيّة. ولكن، حتّى ولو كانت رواياتهم حُرّرت بصفة متأخّرة (في القرون 2 و3 و4 هـ/8 و9 و10)، وأعيد تشكيلها بمقتضى السّياق السّياسيّ الرّاهن مثل الصّراعات القبليّة، والتّناحر بين مضر واليمن، والانحياز

---

1 – ن.م، ص 171-179.

2 – م. واط، محمّد في المدينة، ن.م، II، ص 20.

3 – J. Chelhod, *L'Arabie du Sud*, *op. cit.*, II, 20

إلى بني أميّة أو إلى الشّيعة أو إلى العبّاسيّين، فإنّه لا يمكن رفضها بدعوى أنّ ما ذكرته ليس جديرا بالثّقة بل هو مشكوك فيه. وليس لنا في الوقت الحاضر وإلى أن يأتي ما يخالف ذلك مصدر تاريخيّ آخر قادر على مدّنا بمعلومات كافية ومقنعة في الموضوع. وبالتّالي ينبغي تحليل الرّوايات التي بين أيدينا (لابن سعد وابن هشام والطّبريّ والواقديّ والأزديّ والبلاذريّ وغيرهم) بكثير من الحذر ولكن دون تجريدها من كلّ قيمة تاريخيّة. وهذا ما حاولنا فعله عندما ذكرنا مختلف الأخبار التي نقلها إلينا هؤلاء المؤلّفون ونظرنا في أسانيدها.

وما يمكن أن نستنتجه من دراستنا لمختلف الوفود اليمنيّة التي تحوّلت إلى المدينة، وخاصة بعد فتح مكّة، هو أنّ محمّدا(ص) نجح أيّما نجاح في بسط سلطته وسلطة الدّولة المدينيّة على معظم التّراب اليمنّي. ولذلك فإنّ م. واط على حقّ عندما ينعت النّظام الأمنيّ المدني بأنّه «سلام إسلاميّ» (*Pax islamica*)[1] ملحّا على نجاح محمّد(ص) في توحيد العرب[2].

كيف نفسّر إرسال اليمنيّين وفودا إلى المدينة؟

نرى أنّه توجد حزمة من الأسباب والدّوافع جعلت اليمنيّين يتّصلون بمحمّد(ص) ويرسلون إلى المدينة وفودا على مستوى القبائل والعشائر والمجموعات القائمة على الأنساب، والبطون وحتّى الأفراد. أوّلا هناك أسباب سياسيّة بديهيّة وواضحة جدّا. فالقبائل اليمنيّة كانت تريد، على غرار القبائل الموجودة شمال المدينتين المقدّستين وشرقَهما وغربَهما، تقديم مبايعتها السّياسيّة للرّسول والاعتراف له في الوقت نفسه بالسّلطة التي اكتسبها بصفته «رجل دولة» على رأس حكومة مدينيّة لم تتوصّل فحسب إلى تحقيق التّوافق بين قبيلتين كانتا دوما في خصام أبديّ هما الأوس والخزرج، بل نجحت كذلك في مقاومة القرشيّين وحلفائهم رغم عدم تكافئ القوى المتصارعة. ومن ناحية أخرى، فإنّ وضع اليمن السّياسيّ في مطلع القرن السّابع لم يكن بمعزل عن تلك الإرادة الظّاهرة عند اليمنيّين، قبائل وأفرادا، لقبول محمّد بصفته «قائدا منتصرا» والدّخول في طاعة نظام فرغ على التوّ من تركيزه في المدينة، مفضّلين كلّ ذلك على البقاء تحت هيمنة الفرس. والأسباب الدّينيّة أيضا لم تكن غائبة تماما إذ قبل الكثير من القبائل والعشائر والأفراد التّعاليم الإسلاميّة كالشّعائر

---

1 - م. واط، ن.م، ص 147-153.

2 - ن.م، ص 171-179.

والصّدقة وغيرها كما جاء في العهود والمواثيق التي سلّمها محمّد(ص) إلى بعض «الزّعماء القبليّين» وشعوبهم[1]. وحتّى وإن لم يكن الجميع يفهمون جيّدا الإسلام ويستوعبونه على أنّه دين جديد، فإنّ هذا القبول يدلّ على أنّ محمّدا(ص) لم يكن يَقْنَع بتحالفات سياسيّة صِرفة وأنّه لم يكن يشترط شروطا دينيّة[2].

والدّليل القاطع على أهمّيّة العنصر الدّينيّ في إرسال وفود يمنيّة إلى المدينة، يتمثّل بالطّبع في تفاوت المعاملة التي كان محمّد يعامِل بها الوثنيّين مثل قبيلة بلحارث بن كعب وغيرها، و«أهل الكتاب» مثل اليهود والمسيحيّين وغيرهم. فقد كان مع الشقّ الأوّل في نجران مثلا صارما جدّا إذ لم يترك لهم من بديل لاعتناق الإسلام وقبول العقيدة الإسلاميّة غير الحرب أو الموت. وفي المقابل، ظهر الرّسول إزاء اليهود والمسيحيّين وحتى مجوس اليمن أكثر مرونة طبقا للنّصّ القرآنيّ دون شكّ الدّاعي إلى الاحتماء بالله ورسوله مقابل دفع الجزية والالتزام بالأمانة والإخلاص للمسلمين وللقضيّة الإسلاميّة.

وذكر البَلاَذُريّ[3] في «فتوح البلدان» أن اعتناق اليمنيّين الإسلام تمّ بعد أن أرسلوا وفودا إلى المدينة وتحصّلوا من الرّسول على ضمانات تهمّ أشخاصهم وأراضيهم وممتلكاتهم. وأرسل محمّد(ص) من جهته عمّالا وأمراء إلى اليمن لتدريب اليمنيّين على شعائر الإسلام وجباية الضّرائب وخاصّة الزّكاة بالنّسبة إلى المسلمين والجزية بالنّسبة إلى أهل الذّمّة أي اليهود والمسيحيّين والمجوس الذين فضّلوا الاحتفاظ بعقيدتهم.

ويظهر من هذه الرّواية أنّ «غزْو» اليمن تمّ بطريقة سلميّة، دون حرب ولا حملات عسكريّة من صنف البعثات التي بعثها الرّسول إلى قبائل شمال الحجاز وشرقه[4]، وأنّ البلاد صنّفها الفقهاء أَرْضًا عُشريّة»[5] في مقابل البلدان التي فُتحت «عنْوَة» بقوّة السّلاح، كما يظهر منها أنّ اليمنيّين أُرْغموا على دفع ضرائب نوعيّة حسب السنّ والوضع الدّينيّ، وعلى الأملاك العقاريّة وأحيانا حسب الجنس. وهي ضرائب لم يغفل مؤلّفو كتب الفقه مثل ابن سلاّم وأبي يوسف[6] من تعدادها وتفصيل القول فيها.

---

1 - م. حميد الله، **وثائق**، ن.م، ص 512 وما بعدها.

2 - م. واط، ن.م، ص 151-152.

3 - البلاذري، **فتوح البلدان**، ص 92-93.

4 - م. واط، **محمّد في المدينة**، ص 150.

5 - البلاذُري، ن.م، ص 102.

6 - أبو يوسف، **كتاب الخراج**، د.ت؛ ابن سلاّم، **كتاب الأموال**، القاهرة، 1975.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأسباب السّياسيّة والدّينيّة الثّابتة، دوافع ثانويّة لاشكّ في أنّها لعبت دورا في اعتناق اليمنيّين الإسلام أو على الأقلّ يسّرت تلك الظّاهرة. وتتمثل في ما يسمّيه واط «الامتيازات الاقتصاديّة»[1] أي الهبات والهدايا التي منحها محمّد(ص) رؤساءَ الوفود الذين قدِموا إلى المدينة لأداء الزّيارة له. وتصرّف الرّسول بمقتضى معرفته الجيّدة بالذّهنيّة القبليّة وبالطّرق التي كان العرب القدامى يجتذبونها والتي كانت لا تزال سارية المفعول بين بَدوْ شبه الجزيرة العربيّة بما في ذلك اليمن، فتحتّم عليه استعمال تلك الوسائل بحذق لجلب بعض رؤساء القبائل وإقناعهم بالانخراط في الدّعوة الإسلاميّة. ويكفي أن نعود إلى مضمون العهود التي سلّمها إلى رؤساء القبائل والعشائر لإدراك أهمّية هذه «الوسائل الاقتصاديّة» المتمثّلة في الهبات والهدايا. ولا نَنسى من ناحية أخرى الرّغبة البيّنة لبعض العناصر وخاصّة من البدو والبدو الرحّل في الحصول مقابلَ دخولهم في الحِلف المدَينيّ والاعتراف بالرّسالة المحمّدية، على مناصب «مندوبين» أو «عمّال» على رأس قبائلهم أو على بعض البطون والعشائر القبليّة. ونذكّر في هذا المجال بأمثلة «ذي الغُصّة قيس بن الحُصين، وفروة بن مُسَيْك المُراديّ، وسُرَد بن عبد الله الأزديّ ووائل بن حُجر الحَضْرميّ... إذ عُيّن الأوّل على رأس قبيلة عبد المَدان، والثّاني على زُبَيد، والثالث على أزْد السّراة والأخير على كِندة.

إجمالا، إذا كانت كلّ هذه الأسباب السّياسيّة والاقتصاديّة والدّينيّة تفسّر إرسال أغلب قبائل شبه الجزيرة العربيّة واليمن، وفودا إلى المدينة، فهي لا يمكن البتّة أن تكون دليلا قاطعا على الصّدق في اعتناق الإسلام.

ونحن نرى أنّه من الأجدر البحث عن دوافع الانخراط السّلميّ والتّدريجيّ للقبائل اليمنيّة في الدّعوة الإسلاميّة في تاريخ الجزيرة العربيّة واليمن قبل ظهور الإسلام وبالتّدقيق خلال القرن السّادس وأوائل السّابع. فهناك من ناحية «الأسباب الظرفيّة» المرتبطة ببعض الأحداث السّياسيّة في بداية القرن السّابع مثل المواجهة بين البيزنطيّين والفرس، وهزيمة الفرس في نصيبين سنة 627، ووفاة الامبراطور كسرى أنوشروان الثّاني سنة 628، وفتح المسلمين مكّة سنة 630، وانضمام قريش إلى الدّفاع عن قضيّة محمّد(ص)... ومن ناحية أخرى هناك «أسباب أكثر عمقا» تتجاوز الظّرف المباشر وتتعلّق بالأحرى بما يسمّيه شلحد «جذور الشّعب اليمنيّ». وقد احتفظنا بثلاثة أسباب هي أوّلا: تعلّق اليمنيّين باستقلاليتهم ورفضهم لأيّ شكل من أشكال الاحتلال

1 – م. واط، محمّد في المدينة، ص 150.

الأجنبيّ. والحال أنّ اليمن كان بعد فتح المسلمين مكّة يرزح تحت هيمنة الفرس بعد أن فرض عليهم الأحباش نفوذهم طيلة خمسين سنة (525 – 575)[1]. فبدا الخضوع إلى سلطة عربيّة، وإن كانت منتصبة في الحجاز، أفضل بالنّسبة إلى اليمنيّين من الخضوع إلى السّلطة الفارسيّة. ومن ناحية أخرى، سنرى لاحقا أنّ كره الفرس الدّائم»[2]، على الأقلّ كره صنف «الأبناء»، سيكون حاسما في تمرّد الأسود العنسيّ وتمرّد قيس بن المكشوح إلى درجة أنّ هاتين الانتفاضتين لا يمكن اعتبارهما حركتَي ردّة بالمعنى الدّينيّ للكلمة بل تعبيرا عن انتفاضة «وطنيّة» قام بها القادة اليمنيّون ضدّ الهيمنة الفارسيّة المجسّمة في شهر بن باذان وفيروز ودَاذَويْه... وكلّهم من «الأبناء». ونلتقي هنا مع المؤرّخين اليمنيّين المعاصرين[3] الذين استبعدوا استنقاصَ الأخباريّين المسلمين القدامى والمتأخّرين الأسودَ، مفضّلين التّركيز على الجانب المزدوج، «الوطنيّ» والسّياسيّ، لحركة التمرّد التي قام بها[4].

ومن ناحية أخرى، ينبغي التّذكير بالصّراع بين المسيحيّين واليهود الذي ميّز التّاريخ اليمنيّ في القرن الرّابع خاصّة في الفترة الشّديدة الدّلالة التي ارتكب فيها الملك الحِمْيريّ ذو نواس مجزرة ضدّ مسيحيّي نجران، وبقيت ذكراها حيّة في ذاكرة اليمنيّين[5]. فكان إذن من المنطقيّ أن يكون الإسلام متميّزا بكوْنه دينا ذا روح عربيّة، يدعو إليه قُرَشيّ شهير هو محمّد بن عبد الله حتّى ولو كان دينا جديدا يضرب شِرْك الجدود الأوائل في الصّميم.

ولا ننسى في نطاق الاتّفاقيّات التّجاريّة – وما بالعهد من قدم – بين اليمنيّين والمكّيّين، وهي معاهدات تسمّيها النّصوص «إيلاف»[6]، عقدها أبناء عبْد مَناف.

والعامل الأخير يتعلّق بالحروب بين الأشقّاء، وبالصّراعات القبليّة وكذلك داخل القبيلة الواحدة، وبالغزوات التي ميّزت تاريخ اليمنيّين في الجاهليّة. فمن البديهيّ أنّ سكّان اليمن أرادوا الاقتداء بقريش ووضعَ حدّ لهذه الاضطرابات التي يسّرت

---

1 – انظر الفصل السابق عن اليمن قبل الإسلام.

2 – حميد الله، **وثائق**، ص 77.

3 – J. Chelhod, *L'Arabie du Sud*, *op. cit.*, II, 21. وفيه يستشهد بعمل م. أ. نعمان، **الأطراف المعنية في اليمن**، 1956، ص 86.

4 – إ. شوفاني: E. Shoufani, *Al-Ridda and the muslim conquest of Arabia*, 1972, p. 89-95

5 – انظر الفصل السابق عن اليمن قبل الإسلام.

6 – انظر ابن حبيب، **كتاب المنَمّق**، ص 169-170، الميْداني، **مجمع الأمثال**، I، 61؛ السُهيْلي، **الروض**، ن. م، I، 48.

دون شك الاحتلال الأجنبيّ لبلادهم وتسبّبت في أفول اقتصاده وتجارته في حين كان ازدهارها إلى ذلك الوقت مضرب الأمثال.

ونذكر بعض الأحداث البارزة : نذكر قبل كلّ شيء «يوم غَيْمان»[1] الذي واجه فيه الملك سيف بن ذي يزن تحالفا قبليّا متكوّنا من الأشباء والصّدف وحضرموْت، وقد سانده في هذه المواجهة الأقْيال مُرّ بن عامر الكَلاَعي، وابن ذي فائش والحسين وميمون ابني حريز الخِنْفري)، كما ساند عمرو بن يزيد سيّد عوْف وخولان.

ثم هناك «يوْم الرّزم»[2] المتزامن مع غزوة بدر، وكانت المواجهة فيه بين مُراد وهَمْدان وانتهت بانهزام المراديّين ورحيلهم إلى شمال اليمن في جوار كندة في الغَمْر، تاركين مساكنهم في الجَوف للمنتصرين الهَمْدانيين بقيادة الأجْدَع بن مالك. ويتحدّث ابن حزم[3] أيضا عن الحروب بين همدان وزَبيد.

وكانت لهذه الحروب القبليّة بالطّبع عواقب وخيمة، بشريّة وديمغرافيّة، إذ سقط فيها الكثير من القتلى والجَرحى، كما كان لها مضاعفات اقتصاديّة (مثل التخلّي عن أراضي المسالك)، واجتماعيّة سيّئة جدّا تتمثّل خاصّة في رحيل القبائل المهزومة القَسْريّ إلى مواضع أخرى مثلما حصل مع قبيلة مُراد. وهو ما نتج عنه تحوير في خارطة اليمن القبليّة قُبيْل ظهور الإسلام، ووجود مجمّعات حقيقيّة، جهويّة قبليّة مثل همدان وحِمْير ومَذْحِج والأشباء والصّدف وحضرموت وكندة الخ. وقد قبلوا الدّخول في الإسلام، وإن كان ذلك يبدو عن غير اقتناع ؛ ولكن لا ندري هل يمكننا فتح صدور النّاس للحكم على مدى صدق عقيدتهم؟[4] فكان اليمنيّون في نهاية الأمر يبحثون عن تحكيم ليس بالضرورة قبليّا ولكن تحت راية دولة عربيّة متمركزة في المدينة حول قيادة سياسيّة دينيّة جديدة، هي قيادة محمّد(ص).

وفضلا عن كلّ هذه الأسباب، ينبغي عدم التّغاضي عمّا تميّزت به عمليّة إدخال النّاس في الإسلام من دون إقناع، وعن بساطة الدّين الإسلاميّ نفسه وبساطة تعاليمه، وعن جاذبيّة هذا الدّين الجديد الدّاعي إلى حماية أهل الكتاب المسيحيّين واليهود الرّاغبين

---

1 - الهمداني، الإكليل، I، 278-279 وص 328.

2 - انظر الهامش المتعلّق بيوم الرزم.

3 - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 397.

4 - م. واط، ن.م، ص 157.

في الاحتفاظ بعقيدتهم، وكذلك ضعف الوثنيّة اليمنيّة العاجزة عن التصدّي بنجاح إلى دين في مثل ذلك الثّراء وذلك العمق مع أنّ تعاليمه على غاية من البساطة[1].

باختصار، كل هذه العوامل ساهمت في اعتناق اليمنيّين الدّيانة الإسلاميّة الجديدة.

وإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية المدينة، يمكن أن نؤكّد أن سياسة الرّسول إزاء اليمن أمْلَتْها غاية مزدوجة[2]:

-أوّلا، كسب نُصرة اليمن للدّعوة الإسلاميّة، أي أكثر جهات الجزيرة العربيّة ثراءً وسكّانا وتحضّرا، والموطن الأصليّ لأهل المدينة من الأوس والخزرج[3].

-ثانيا، ضمان السّيطرة على أحد المسالك الرّئيسيّة للتّجارة الدّوليّة وهو المسلك الذي تَعْبُرُهُ منتوجات الهند والشّرق الأقصى بصفة عامّة.

سنرى إلى أيّ مدى ستدخل هذه الغاية المزدوجة للسّياسة المحمّديّة في صراع مع إرادة المنشقّين اليمنيّين وخاصّة منهم الأسود العنسيّ، وقد كانوا لا يريدون فقط إعادة بسط نفوذهم على اليمن بل كذلك إعلاء ما كان لوطنهم من هيبة.

وفي النّهاية يمكن القول إنّ اليمن في حياة محمّد لم يعد مستعمرة فارسيّة بل أُدْمِج جيّدا في صلب دولة المدينة ولكن دون أن يكون هذا الإدماج مرادفا بالضرورة لأسْلمة نهائيّة وعميقة لمجموع سكّانه، والدّليل على ذلك هي الرّدة التي اندلعت في صنعاء ثم في حَضْرَمَوْت عند بني كندة. فلا بدّ إذن من دراسة هذه المسألة من جميع جوانبها قبل النّظر في مضاعفاتها على اليمن واليمنيّين.

1 – س. أمين، اليمن...، ن. م، ص 50-51.

2 – J. Chelhod, *L'Arabie du Sud*, I, 18

3 – Shaban, *Islamic History*, I, p. 2 et sqq



الباب الثّالث

من الرّدّة إلى الفتنة

من الرّدّة إلى الفتنة
أو
اليمن في مواجهة الإسلام ثمّ في خدمته

«ردّة» و«فتُوحات» : هذان لفظان متناقضان في الظّاهر ولا شيء يربط بينهما. ومع ذلك، عندما ندرسهما عن كثب، ندرك أنّ هذا غير صحيح خاصّة إذا تعلّق الأمر باليمنيّين. ففي ظرف سنوات معدودة، سيتحوّل اليمن من موقف معارِض للإسلام ونبيّه محمّد معارضة قويّة مُدَمِّرة، إلى موقف مؤيّد سيظهر في المساهمة النّشِطة في الفتوحات وفي التوسّع الإسلاميّ في سوريا والعراق وفلسطين والأردن ومصر. وقد اندلعت حركة الرّدّة قبل وفاة الرّسول محمّد وامتدّت سنة 632/11 تدريجيّا إلى جهات عديدة من شبه الجزيرة العربيّة مهدّدة مُنْجَز محمّد السّياسيّ، ومثيرة بوضوح قضيّة إسلام القبائل في الجزيرة العربيّة. ونحن نعلم أخبار حركة الانشقاق هذه بفضل معلومات في المصادر الإسلاميّة القديمة (الطبَريّ واليعقوبيّ والبَلاَذُريّ والمسعوديّ)، والمتأخّرة (ابن الأثير وابن خلدون والنُّويْريّ والدياربكري)، والشّيعيّة (ابن الأعْثم وابن أبي حَديد)، والأندلسيّة (الكَلاَعي وابن حُبَيْش) على حدّ سواء. ويستند جميع هؤلاء المؤلّفين إلى روايات قديمة يعود أغلبها إلى القرنين الثّاني والثّالث (سيف بن عُمر وأبو مِخْنف والمدائني ووَثِيمة بن موسى وغيرهم). ولا يمكن القول إنّ هؤلاء الأخباريّين عالجوا قضيّة الرّدّة دون خلفيّات سياسيّة أو اجتماعيّة أو قبليّة. وبصفة عامّة، فإنّ المرتدّين أُدِينوا بشدّة واتُّهموا بأنّهم عرّضوا الإسلام وتعاليمه للخطر. ونُعت «المنشقّون» بأنّهم «أنبياء كذّابون» أو «منافقون» أو «أعداء الإسلام والمسلمين».

وسنرى إلى أيّ مدى كانت هذه الأحكام ذات مصداقيّة.

أمّا بخصوص ما يسمّى بحركة الفتوح التي تقترن بالرّدّة عند أغلب الأخباريّين الذين تحدّثوا عنها مثل البلاذُريّ والطّبريّ وابن حُبَيش والكَلاعيّ، نلاحظ أنّه تولّد عنها نوع خاصّ من الكتابة التاريخيّة في القرنين الثّاني والثّالث هو ما يسمّى بأدب

الفتوح. ولم يغفـل مؤلّفو تلك الكتابات عن التأكيد على أنّ الفتوح نتيجة مباشرة للرّدّة. بعبارة أخرى إلى أيّ مدى كان التوسّـع الإسلاميّ مخطّطا له قبل وفاة الرّسول بمـدّة طويلة؟ وينبغـي أن نبيّن أيضا هل كانـت الدّعوة التي وجّههـا أبو بكر إلى اليمنيّين لِحثّهم على المشـاركة في الفتوحات في الشّـام والعراق مباشرة بعد نهاية الرّدّة في حضرموت، تسـتجيب لخطّة محدّدة للانتشـار خارج الجزيرة العربيّة أم الأمر يتعلّق فقط بإرادة تشريك اليمنيّين، أو على الأقلّ مَن بقي منهم مخلصا للدّعوة الإسلاميّة، في الجهاد ضدّ الرّوم ليغنموا منه المجد والغنائم والشّهادة. فكلّ ما يهمّنا إذن ليس دراسة الفتوحات في حدّ ذاتها بل في علاقتها بالرّدة. ولم يشارك في مرحلة أولى من التوسّع في فتح الشّام والعراق غير اليمنيّين المخلصين للإسلام. وفي خلافة عُمر اتّسعت الحركة لتشـمل المرتدّين التّائبين الذين سيُسـمح لهم بالالتحاق بقومهـم في الجبهتين العراقيّة والشاميّة ولكن دون تكليفهم بقيادات عسكريّة.

عموما، التوسّع الإسلاميّ يهمّنا من ناحية جمعه بين يمنيّين من أصل يمنيّ وآخرين مـن التّخوم، وكذلـك من ناحية تمكين الآلاف من الأشـخاص، رجالا ونسـاء وأطفالا وعبيدا وموالي، من الهجرة إلى أقطار الهلال الخصيب، وقد غادر هؤلاء اليمنيّون بلادهم ليسـتقرّوا نهائيا في البلدان المفتوحة، لذلك طُرح الإشكال بخصوص هذه الهجرة لمعرفة إلى أيّ مدى كانت لها انعكاسـات مباشرة على اليمن نفسه سواء على المستوى البشريّ أو الدّيمغرافيّ أو السّياسيّ والاجتماعيّ. هل يمكن أن نقول إنّ تلك الحركة تسبّبت في إفراغ اليمن من سكّانه، وزادت اقتصاده تدهورا، وتقلّص تجارته بحدّة، وأفضت إلى تهميش الإقليم سياسيّا في نطاق الامبراطوريّة العربيّة؟

الفصل الأوّل

الرّدة أو اليمن في مواجهة الإسلام[1]

إنّ تعيين أعوان سنة 631/10 مكلّفين بجمع الصّدقات في جهات الجزيرة العربيّة التي دخلت الإسلام، تسبّب بعد وفاة الرسول محمّد في سلسلة من حركات التّمرّد سمّيت بالرّدّة. وقد ظهرت حالات التّمرّد هذه عقب اندلاع ثلاث حركات باليمن في نفس الوقت بزعامة الأسود العنسيّ، ونَجْد بزعامة طُلَيْحة الأسَديّ، واليمامة بزعامة مُسَيْلَمة الحَنَفيّ. وينبغي أن ندرس كيف اندلعت هذه الحركة في الجزيرة العربيّة. وهذا يقتضي قبل ذلك معرفة الوضع العامّ في شبه الجزيرة العربيّة قُبَيْل وفاة محمّد وبعدها مباشرة. وسنرى أيضا خصوصيّات حركات «الرّدّة اليمنيّة» ونحاول ضبط تسلسلها التّاريخيّ وتصنيفها. فنبدأ بحركة الأسود العنسيّ ثم تمرّد قيس بن المكشوح المُراديّ وعمرو بن معْدي كِرب الزُّبيْديّ المسمّاة «ردّة اليمن الثّانية»، وأخيرا حركة قبيلة كندة في حَضرَمَوت بقيادة الأشعث بن قيس الكندي. وسنحاول في نهاية الأمر تفسير مختلف هذه الحركات وتأويلها قبل أن نحلّل هدفها ونربطها بحركة عامّة ستُربك تاريخ الجزيرة العربيّة والإسلام ألا وهي حركة الفتوحات.

***سياق الرّدّة التّاريخيّ في الجزيرة العربيّة.**

ينبغي التّمييز بين جهات الجزيرة العربيّة العديدة (الحجاز – نجْد – اليمامة – تِهامة – اليمن – حَضْرموْت – البَحريْن – عُمان- الخ..) والتّذكير ولو بإيجاز بالعلاقات القائمة

---

1 - انظر بخصوص الرّدة في اليمن الطبري، **تاريخ**، III، 185-187؛ 227-252؛ 318-329؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، ص 131-148؛ اليعقوبي، **تاريخ**، II، 128-132؛ ابن الأثير، **الكامل**، II، 336-341؛ 374-383؛ النويري، **نهاية الأرب**، XIX، 49-60؛ الدياربكري، **تاريخ الخميس**، II، 155-157؛ و201-202؛ ابن حبَيْش، **الرّدّة**، ص 155-204؛ الكلاعي، الردة، ص 151-185؛ انظر أيضا: م.هـ آل يَاسين، **نصوص الرّدّة في حوليّات الطّبري**، بغداد، 1973.

بين محمّد وأهمّ القبائل التي تسكنها. وقدّم م. واط[1] (M. Watt) في دراسته محمّد في المدينة نُبذة عن تقسيم الجزيرة العربيّة إلى خمس مجموعات جهويّة كبرى وثلاثة تجمّعات قبليّة رئيسيّة تقيم بها. فذكر على التّوالي القبائل الموجودة غَرْب المدينتين المقدَّستيْن، المدينة ومكّة، وشرقَها، ثم القبائل الموجودة في الشّمال والجنوب، وأخيرا بقيّة قبائل الجزيرة العربيّة. وبعد ذلك بيّن أنّ القبائل التي تعيش قرب مكّة والمدينة كانت من أهمّ مناصري محمّد بعد المهاجرين والأنصار (خُزاعة وكنانة وبكر ومُزَيْنة وجُهَيْنة وأَزْد شَنُوءَة)[2]. كذلك كان موقف قبائل الوسط وتلك التي كانت تعيش على حافّتي طريق العراق. أمّا في اليمن، وفي بقيّة الجنوب الغربيّ، فقد كانت توجَد تجمّعات كثيرة متحالفة، تمثّل على الأرجح أكثر من نصف السّكان. وفي المقابل، كانت النّسبة في الجنوب الشرقيّ أقلّ، في حين كانت القبائل المسيحيّة التي تعيش على امتداد طريق الشّام مرتبطة بالامبراطوريّة البيزنطيّة[3].

ونضيف إلى حَرَكتي مُسَيْلمة وطُلَيْحة، حركات سَجَاح من بني تميم في اليمامة، وربيعة في البحريْن ضد المنذر بن سَاوَا حليف محمّد(ص)، ولقيط بن عامر في عُمان[4]، فضلا عن حركات الرّدّة في اليمن.

إذن كانت أهمّ بُؤَر الرّدّة بالجزيرة العربية ستّا: ثلاث منها في الجهات السّاحليّة، وهي اليمن والبحريْن وعُمان، وثلاث في نجد وهي بنو حنيفة وبنو تميم وأسَد غَطفان.

ويرى إ. شُوفَاني (E. Shoufany)[5] أنّ هذه الحركات الستّ تُصنّف ثلاثة أصناف، الأوّل يضمّ رِدَّتي سَجَاح وطُلَيْحة، والثّاني يقتصر على حركة مُسَيْلمة، والثالث يشمل الرّدّات الثّلاث في الجهات السّاحليّة وفي المستعمرات الفارسيّة السّابقة أي اليمن والبحريْن وعُمان. ويُضاف إلى هذه الحركات الرّئيسيّة رِدّات أخرى ثانويّة ذكرها الطّبريّ[6]، وسنعود إليها لاحقا، فهل يمكن إيجاد صلة ما بين هذه الحركات خاصّة أنها جميعا اندلعت بعد وفاة الرّسول محمّد (ص)؟

---

1 - م. واط، محمّد في المدينة، ص 102.

2 - م.ن، ص 108.

3 -ن. م، ص 178.

4 -انظر فصول سَجَاح (E.I., IV, 46) وطُلَيْحة (E.I., IV, 875)؛ ومُسَيْلمة (E.I., III, 796-797)؛ انظر أيضا بخصوص مُسَيْلمة (F. Dole , in *J.E.S.H.O.*, 1967, n° 10).

5- E. Shoufany, *Al Ridda and the muslim conquest of Arabia*, Toronto, 1972, pp. 97-98.

6 - الطبري، تاريخ، III، 249 وما بعدها.

خريطة الجغرافيا القبلية - الردّة في جزيرة العرب

مفاتيح

مكة : مدن رئيسية

كندة : قبائل اليمن

مخبر الخرائط بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

ميّز شـوفاني تمييزا واضحا بين القبائل التي أرسل إليها محمّد «مُصَدِّقين» فرفَضت أن تدفـع إليهم الـزّكاة فاعتُبرت مرتدّة[1]، والقبائل التي لم يُرْسَـلْ إليها أعوان الجباية ولم تشـارك في حركة الرّدّة، واسـتنتج أنّ حركتي سَجاح وطُلَيْحة بنجد وحدهما يمكـن نعتهما «بالرّدّة»، في حين كانت حركة مُسـيْلمة محاولة قـام بها بنو حنيفة لتأسـيس دولة باليمامة[2] على غرار الدّولة التي أسّسها الرّسـول بالمدينة. أمّا بالنّسبة إلى الحركات التي اندلعت في الجهات السّـاحليّة، بـما في ذلك اليمن، فيبدو أنّ القبائل المحلّيـة تمرّدت على قادتها الذين كانوا متحالفين مع الفرس ثم مع محمّد، لذلك لا يمكن اعتبار حركتها «ردّة» حقيقيّة خاصّة أنّه لم تكن تربطها علاقات بالرّسـول إلاّ عَبْر رؤساها.

هذه الأطروحة الهامّة جدّا التي تبنّاها شـوفاني يجـدر مراجعتها خاصّة فيما يتعلّق باليمـن. ولكن فلننظر قبل ذلك في التّمييز بـين القبائل أو بالأحرى الوصف الذي فضّلنا أن نسمّيه «الجغرافيا القبليّة للرّدّة» كما جاءت في المصادر العربيّة.

فمـن المفيد أن نلاحـظ في البداية، أنّ اليعقوبيّ[3] يصنّف عرب شـبه الجزيرة أربعة أصنـاف هي: «من جاهـروا بنبوّتهـم»، و«من ارتـدّوا»، ومن وضعـوا التّيجان على رؤوسهم»، وأخيرا «من رفضوا دفع الزّكاة».

أمّا المؤلّفون الأندلسيّون، مثل ابن حُبَيْش والكَلاَعيّ[4]، الذين لا تُستعمل مؤلّفاتهم بكثرة من قِبَل مَنْ دَرَسـوا الرّدّة، فإنّهم يذكرون في كتاباتهم مواقف مختلفة اتّخذتها القبائل أو بعض بطونها غَدَاةَ وفاة محمّد. وقد صنّفنا من شـارك في هذه الرّدّة بِحَسَب مواقفهم على النّحو التالي:

1- E. Shoufany , *op. cit.* pp. 97-98

2 - ن.م، ص 98.

3 - اليعقوبي، تاريخ، II، 128.

4 -انظر بخصوص ابن حُبَيْش *E. I.* , *III*, 826-827 و Dunlop in *J.R.A.S.H.*, 194 pp. 359-362
ابن حُبَيْش مؤلّف أندلسي شغل وظيفة خطيب في بلنسيّة ومرسيّة ثم عُيّن قاضيا بمرسيّة سنة 1179/575 إلى وفاته سنة 1188/584. كلّفه الخليفة الموحّدي يعقوب يوسف بكتابة مؤلّف عن «غارات الرّسول والخلفاء الرّاشدين الثّلاثة الأوائل وغزواتهم»، وذلك في وقت كان مسـلمو اسـبانيا يكافحون فيه المسـيحيّين في نطاق ما يسمّى بحروب الاسترجاع (*La Reconquista*)وقد خصّص في هذا الكتاب فقرات هامّة تتعلّق بالرّدّة في الجزيرة العربيّة، مسـتعملا مصادر تعتبر اليوم مفقودة لسـيف بن عمر (كتـاب الرّدة والفتـوح)، وللواقديّ، وكذلك كتاب فتـوح الشّـام الذي لم يذكر اسـم مؤلّفه، فضلا عن حوليّـات الطّبريّ بالطّبع. وكان الكلاعـيّ البَلَنْسيّ أحد تلاميذ ابن حُبَيْش، شـغل وظيفة خطيب في جامع بلنسـية الكبير، وقاض؛ توفّي سنة 1237/634. وقد ترك لنا مؤلّفا عن غزوات الرّسـول والخلفاء الرّاشـدين الثّلاثة الأوائل، أعاد فيه أهمّ ما جاء في كتاب شيخه ابن حُبَيْش في الموضوع نفسـه، مسـتعملا مصادر قديمة عن حروب الرّدّة مثل سـيف بن عمر والواقديّ والزهريّ ووثيمة، كما استعمل كتبا للطّبريّ وابن اسحاق.انظر بخصوص هذا المؤلّف الأندلسيّ (C. Pellat) in *E. I.*, *IV*, 489.

-أوّلا من ارتدّوا سواء دينيّا وذلك بتصريحهم أنّ الرسول الحقيقيّ لا يموت أبدا، أو اقتصاديّا برفضهم دفع الزّكاة مع التّمادي في الإيمان بالله وبنبوّة محمّد وأداء شعائر الصّلاة.

-ثم هناك من صرّحوا بأنّ النّبوّة خُتِمت بوفاة محمّد، لذا امتنعوا من طاعة أيّ كان بعده وخاصّة أبا بكر الذي عيّنه المهاجرون في اجتماع سقيفة بني ساعدة خليفة وقد اتّخذوا هذا الموقف خشية استحواذ قريش على السّلطة وفرض احتكارها لها على سائر القبائل الأخرى: فهذه ردّة سياسيّة.

-وأخيرا هناك مجموعة من النّاس والقبائل التي تردّدت في اختيار موقف لها مناصر لأحد الطّرفين، فهي «تقدِّم رجلا وتؤخّر أخرى» كما يقال، وبذلك اتّخذت موقفا حَذِرا في انتظار توضّح الأمور[1].

في الواقع، يمكن التّمييز بين ثلاثة أنواع من الرّدّة : المرتدّون بالمعنى الدّينيّ (الموقف الأوّل)، والمرتدون بالمعنى الاقتصاديّ (الموقف الثّاني)، والمرتدّون بالمعنى السّياسيّ (الموقف الثّالث). وفي المقابل فإنّ الموقف الرّابع، أي موقف المُتَرَبّصين [2]، يكشف عن انتهازيّة مؤكّدة تُترجم عن قلق إزاء تطوّر الأحداث وخاصّة منها وفاة الرّسول واختيار أبي بكر خليفة له، وتدلّ على أنّ اعتناقهم الإسلام كان سطحيًّا.

بصفة عامّة، تضبط المصادر[3] قائمة القبائل التي ارتدّت بطريقة ما كالتّالي: أسد-غطفان-بعض عناصر من أشجَع- مجموع تميم- مجموعات أو طوائف من بني سُليْم- أسيَّة وعُمَيْرة ابنا خَفاف- بنو عوْف بن امرئ القيس- ذَكْوان- بنو جارية أو حارثة- كامل أهل اليمامة أي بنو حنيفة- كامل سكّان البحرين ودُبَا أي أزْد عُمان- بنو بكر بن وائل- النَّمِر بن قاسِط- كلب وأجوارها من قضاعة – مجموع بني عامر بن صعصعة ومنهم علقمة بن ألاثة بن عَوْف بن الأَهْوَس.

ويضيف الواقديّ[4] إلى هذه القائمة قبيلة فزارة وينصّ على أنّ بني عامر بن صعصعة كانوا مع قادتهم ووجهائهم من بين القبائل «المتربّصة».

---

1 - ومقدّمة كتاب خورشيد تاريخ الرّدّة، المنشور بدلهي سنة 1970.

12 ابن حُبيْش، ن.م، ص 21-25؛ الكلاعي، ن.م، ص 2-3؛ الدياربكري، ن.م، II، 201.

2 -ابن حُبيْش، ن.م، ص. 25؛ الكلاعي، ن.م، ص 2.

3 - ابن حُبيْش، ن.م، ص. 25؛ الكلاعي، ن.م، ص. 5-6؛ الدياربكري، ن.م، II، 202.

4 - ابن حُبيْش، ن.م، ص 26.

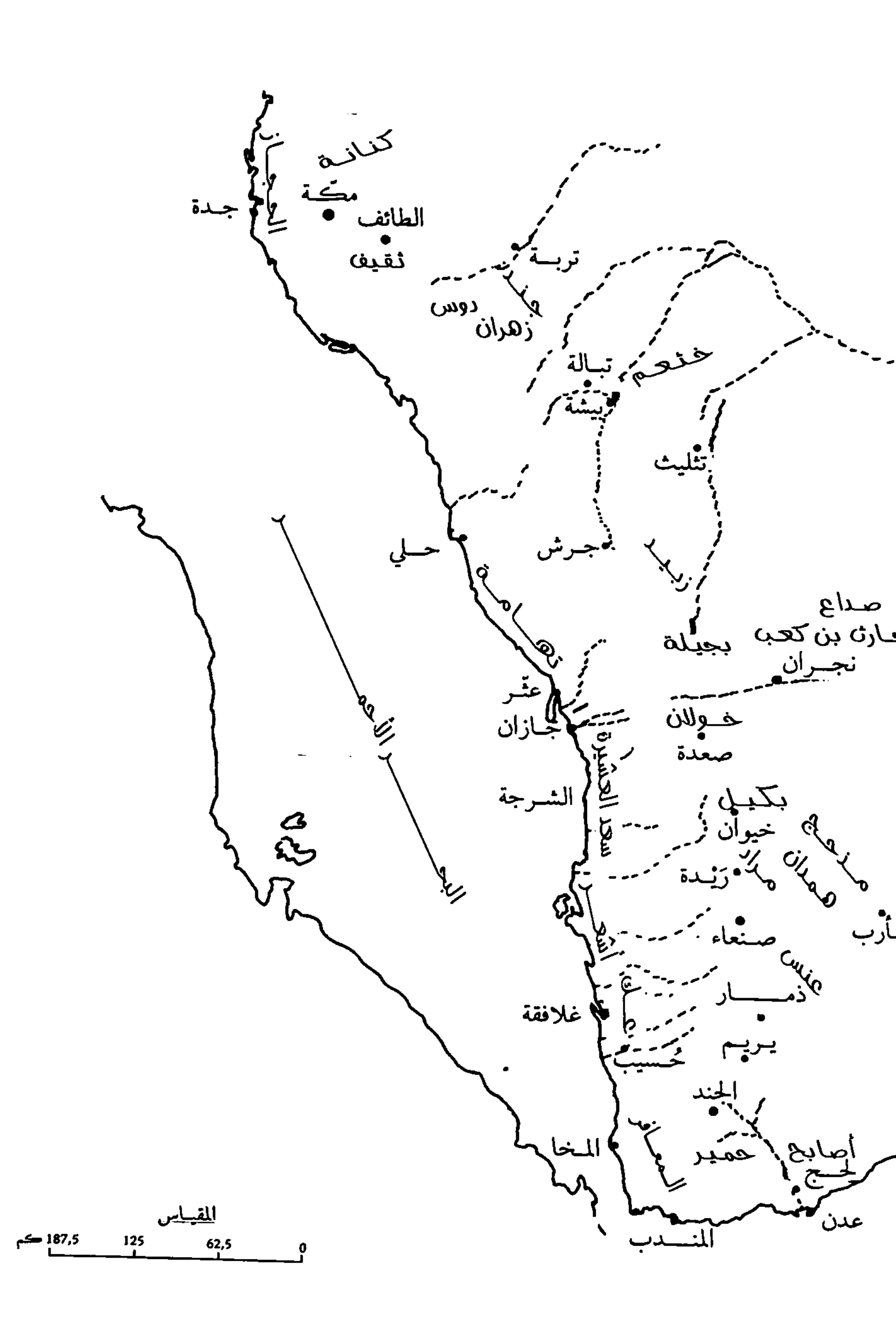
خريطة الجغرافيا القبليّة لردّة اليمن



مفاتيح

◆ صنعاء: مدن

حمير: قبــائل



كنانة
مكة
جدة
الطائف
ثقيف
تربة
دوس
زهران
تبالة
خثعم
بيشة
تثليث
حلي
جرش
تهامة
صداع
بجيلة
نجران
عثر
جازان
خولان
صعدة
الشرجة
بكيل
خيوان
همدان
ريدة
صنعاء
عنس
ذمار
غلافقة
يريم
خسيب
الجند
حمير
أصابح
لحج
المخا
المندب
عدن
المقياس
187,5 كم
125
62,5
0

أمّــا القبائــل التي بقيت مخلصة للإســلام فهي التّالية[1]: ســكّان الجهة الواقعة بين مكّــة والمدينة- عَبْس- أسْــلم- غِفار- جُهَيْنة- مُزَيْنــة- كعب بن عامر من خُزاعة- ثَقِيف- طَيء- هُذَيْل- قوم السَّراة- بَجِيلة- خَثْعَم- السكّان المجاورون لتِهامة من قبيلة هَوَازِن (نَصر وجشــم وسعد بن بكر وعبد القيْس). يُضاف إليها في رواية لأبي هريرة رواها الواقديّ عنه[2] الدِّيْل وكِنانة وأشْجع ودَوْس..

وبخصــوص القبائل اليمنيّة التي بقيت وفيّة للإســلام نذكر تُجِيب من مجموعات مَذْحِج (أو الطّوائف)، وهَمْدان، والأبناء وهم الفرس القاطنون باليمن، وبنو الجند من زبيد ورِمَع، ودوْس[3].

وفي المقابــل، نلاحظ أنّ القبائــل اليمنيّة القاطنة باليمن التي ارتدّت وشــاركت جدّيــا في حركة الرّدّة هي كنــدة بحضْرَموت، وعَنْس وبنو زُبَيْــد المنتمية إلى قبيلة مَذْحِج الكبرى وبنو عامر[4]. وهي غير القبائل اليمنيّة بالشّتات.

وميّز وَثِيمة بن موســى ومن بعده ابن حَجَر[5] ســتّة مراكز جغرافيّة للرّدّة في شــبه الجزيرة العربيّة هي التّالية:

أَسَــد وغطفــان وفَزَارة وطَــي وهَوَازِن وعامر بــن صَعْصَعَة وسُــلَيم وتميم في نَجد والحجاز.

بنو حَنيفة في اليمامة.

ربيعة وعبد القيس في البَحريْن.

الأزْد في عُمان.

عَنْس وهَمْدان وحِمْيَر في اليمن.

كِندة في حضْرَموْت.

ولا نعتزم دراســة كلّ هاته الحركات بل سنركّز تحليلنا على ما يهمّ منها اليمن قبل وفاة الرّسول محمّد وبعدها، محاولين تفسير الأسباب ودلالة هذه الانتفاضات التي مثّلت أمرا في منتهى الخطورة بالنّسبة إلى دوْلة المدينة والدّعوة الإسلاميّة.

---

1 - ن.م، ص25-26؛ الكلاعي، ن.م، ص 6-7؛ الدياربكري، ن.م، II، 202.

2 - ابن حُبَيْش، ن.م، ص27-28.

3 - ن.م، ص26؛ الكلاعي، ن.م، ص 8؛ الدياربكري، ن.م، II، 202.

4 - ابن حُبَيْش، ن.م، ص.26؛ الكلاعي، ن.م، ص8.

5 - Watima's, *Kitâb ar–Ridda aus Ibn Hagar's'Isâba, Akademie des wissenshften und der literatur, abhandlungen*,1951, n°4, par Wilhelm Hoenerback, Meinz, 1951, pp.3–108, texte arabe pp. 1–40

*** سياق الردّة اليمنيّ**

إنّ قراءة المصادر الإسلاميّة التي ذكرت الرّدّة تفضي بنا إلى تمييز ثلاث حركات تمرّد باليمن: حركة الأسود العَنْسيّ التي اندلعت قُبَيْل وفاة الرّسول والتي ينعتها الطّبريّ بأنها «ردّة اليمن الأولى»؛ ثم انتفاضة قيْس بن المكْشوح المُراديّ وعَمرو بن مَعْدِي كرب الزُّبَيْديّ وسُمّيت «ردّة اليمن الثّانية»[1]؛ وأخيرا حركة كندة بحضرموت بقيادة الأشعث بَن قيس الكنديّ. وهذه الانتفاضة الأخيرة وُصفت في نصّ أكثر تفصيلا من روايات الأخباريّين الكلاسيكيّين رغم أنّه ملئ بعناصر أسطوريّة خالصة. وهو لمؤلّف كوفيّ توفّي سنة 314، اسمه ابن الأعثم المعروف خصوصا بميوله العلويّة. ويعالج هذا المؤلّف، وعنوانه **كتاب الفتوح**، الأحداث بأسلوب قَصَصيّ[2] أفرز الجانب الأسطوريّ الذي يقترب أحيانا من الخرافيّ ويطغى في الكثير من الأحيان على الرّواية التاريخيّة الصرف.

وسنرى على التّوالي هذه الحركات الثّلاث بالرّجوع إلى المعطيات الموجودة في المصادر دون أن نغفل عن بعض النّصوص الأقلّ شهرة مثل نصوص ابن حبيب والفَسَوي ووثيمَة بن موسى وغيرهم، التي قد تكون إضافاتها أحيانا حاسمة.

I-حركة الأسود العَنسيّ أو ردّة اليمن الأولى (ذو الحجّة 10هـ/ مارس 632 إلى أواخر ربيع الأوّل سنة 11 هـ / جوان 632)

كان اسمه الحقيقي عيْهَلة أو عبْهلة[3] وهذا لقب يُخصّص عادة لحكّام حضرموت[4]. وهو ابن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عَنْس بن مَذحِج، أصيل عشيرة عَنْس التي تنتسب إلى القبيلة اليمنيّة الكبيرة مَذْحِج. وكان يُلقّب أيضا بـ«رحمان اليمن» على غرار مُسَيْلمة الملقّب بـ«رحمان اليمامة»، ويعرّف أيضا «بذي

---

1 - الطبري، **تاريخ**، II، 185-187؛ 227-240؛ 323 وما بعدها. ابن الأثير، **الكامل**، II، 336-341 و374-383.

2 - ابن الأعثم الكوفي، **كتاب الفتوح**، طبعة الهند، 1968، I، 55-84. انظر بخصوص ابن الأعثم ش. مصطفى، **التّاريخ والمؤرّخون**، بيروت، 1979، II، 42-43.

3 - انظر بخصوص اسم الأسود البلاذري، **فتوح**، ص 146؛ المسعودي، **التّنبيه**، ص 240؛ يتكلّم ابن حزم في **جمهرة أنساب العرب**، ص 405، عن عبهلة بن غَوْث بن سعْد بن مالك بن عَنْس. ويسمّيه المسعوديّ في **مروج الذّهب**، 44، عبهلة، مبيّنا أنه أعرض عن ذكر حركة الأسود في هذا الكتاب العامّ، وكذلك حركات الرّدّة الأخرى من باب الإيجاز.

4 - انظر بخصوص هذا الموضوع المذكور أعلاه : الجَنَدي، **طبقات فقهاء اليمن**، بيروت، 1957، ص 27

الخـمار» أو «ذي الخِمار» أي الملثّم[1]. وزعمـوا أيضا أنّه كان أسـود البشرة ومن هنا جاءت تسميته «الأسود»[2]. فاليعقوبيّ يسمّيه الأسود بن عَنْزة العنسيّ[3].

فـإلى أيّ مدى يمكن القول إنّ الحركة التي اندلعت باسـم الأسـود، قُبَيْل وفاة الرّسول محمّد، متزامنة مع حركتي مُسَيْلمة في اليمامة وطُلَيْحة في نجد، كانت حركة ردّة بالمعنى الدّينيّ للكلمة في حين لم تتحدّث المصادر قطّ عن اعتناق عَبْهلة الإسلام؟

فهل يتعلّق الأمر خِلافَ ذلك بمجرّد تمرّد قائد يمنيّ على سـيطرة الدّولة المدينيّة وحقّها في جمع الزّكاة؟ وفي هذه الحالة تُعتبر حركةً سياسيّة تقترن بها حركة رفض دفع الزّكاة إلى الأعوان المسلمين.

ولابـدّ من الإشـارة إلى أنّ بعـض المؤرّخين اليمنيّين المعاصرين بلـغ بهم الأمر إلى اعتبار الأسـود مثل سَلَفه سـيف بن ذي يزن بَطَل الاستقلال الوطنيّ، بَطلا غيورا من الدّور الذي أسندَتْه السلطة المدينيّة إلى «الأبناء»، ويريد بالتّالي استرجاع سيادة اليمنيّين في وطنهم وقطرهم[4].

وقبل أن نحلّل بالتّفصيل مُجْرَيَات الأحداث ومراحل تمرّد العَنْسيّ، يجدر أن نلاحظ أنّ هذه الحركة سـبقتها سلسـلة من الأحداث الصّغيرة اعتبرها س. أمين[5] علامات تدلّ على أنّ اعتناق القبائل اليمنيّة الإسلام كان ناقصا وسطحيّا، ومؤشّراتٍ على تنوّع البلاد التي لم توحّد بَعْدُ تحت الرّاية الإسـلاميّة. ونتج هذا التنوّع عن شسـاعة مساحة اليمـن التّرابيّة وفي الآن نفسـه عن مكوّناتـه العرقيّة والقبليّة الشّـديدة التّعقّد فضلا بالطّبع عن خصائص تضاريسه التي مثّلت دوْما سواء قبل الإسلام أو بعده عاملا مثاليّا استغلّه المتمرّدون بمختلف أصنافهم.

1 - علاماتُ استشرافِ انتفاضةِ الأسود

فلنـشر بادئ ذي بدْء إلى رفـض رجل يُدعى الأصْبغ بن سـعد من قبيلة خولان، اعتناقَ الإسـلام على غرار إخوته عُمر ويَعْلى ومالِك وهشـام ويزيد، وإلى إرادته قتلَ

---

1 - البلاذري، ن.م، ص 46.

2 - ن.م.

3 - اليعقوبي، تاريخ، 130.

4 - يوسف شلحد، جنوب الجزيرة العربيّة، ن.م، II، 22؛ س. أمين، اليمن، ن.م، ص 50.

5 - س. أمين، ن.م، ص 49-50.

عامل محمّد باليمن مُعاذ بن جَبل[1]. فحتّى وإن كانت محاولة الأصبغ فاشلة، فإنّها تمثل علامــة دالّة جدّا عــلى الصّعوبات التي ما زالت كبيرة جــدّا والتي لقيها بالفعل نشر الإسلام في أعماق اليمن.

ولنذكر أيضا مثالا آخر سَــبق ذكره يتعلّق برجلين من عشــيرة جُعْفي، ســليلة قبيلة مَذْحِج، اعتنقا الإســلام بالمدينة بحضور الرّســول محمّد، وأكلا مُكْرَهَيْن من شواءِ قلب حيوان، ثمّ تَبَذا الإسلام عند عودتهما إلى اليمن رافضيْن ما عُرِض عليهما من قيادة أهل عشيرتهما نيابة عن محمّد[2].

ولا يقلّ مثال قيس بن المَكْشــوح المراديّ[3] أهميّة إذ رفض مرافقة عَمْرو بن مَعْدي كَــرِب الزُّبَيْديّ ضمن وفْد مُراد وزُبَيْد الذي كان متّجهــا إلى المدينة لِتقديم مبايعة العشــيرتين المذْحِجّيتــين محمّدا، واعتناقهما الإســلامَ في الوقت نفســه. ويبدو حســب المصادر أنّ قَيْسا أنّب في أبيات شهيرة عَمْرو ابنَ أخيه لاعتناقه الإسلام وقبوله الخضوع لسلطة المدينة[4].

ففي هذا المثال أكثر من علامة ســابقة لالتحاق قيس المتأخّر بانتفاضة الأســود، إلاّ إذا كان الأمــر يتعلّق بتأليف لاحق لقصّة وضعها الأخباريّون العرب المســلمون لتصديق «ردّة» قيس إثر وفاة الرّسول وتفسير تحالفه مع الأسود.

وأخيرا من المفيد أن نشير إلى مثال أكثر دلالة، هو مثال قوم بلحارث بن كعب، وهم وثنيّون من نجران أَســلموا تحت التّهديد المســلّح الذي مارســه عليهم خالد بن الوليــد والسَّرِيَّة التي جعلهــا محمّد[5] تحت تصرّفه. وكلّ الدّلائل تشــير إلى أنّ ذلك الاعتناق للإسلام تحت الضّغط كان هشّا وخاليا من الاقتناع. وهذا المثال أيضا مؤشّر لانــدلاع انتفاضة العَنْسيّ في جهة نجران بالذّات، وانضمام عديد العناصر من عشــيرة بلحارث بن كعب إلى حركته إذ تتحدّث المصادر عن ستّمائة أو حتّى سبعمائة فارس انتدبهم عَبْهلة من بين هؤلاء النّجرانيّين[6].

---

1 - الهمْداني، الإكليل، I، 266-268.

2 -ا بن سعد، طَبقات، ن.م، I، 324-325.

3 - ن.م، I ؛ الطبري، تاريخ، III، 132-133.

4 - الطبري، تاريخ، III، 133.

5 - ن.م، III، 126-127.

6 - ابن حُبَيْش، ن.م، ص 195؛ الكلاعي، ن.م، ص 152 الدياربكري، ن.م، II، 156.

ويمكننا الإكثار من مثل هذه الحالات لنبيّن أن الأمور جرت بصورة مختلفة، أو لنثبت على الأقلّ أنّ «الأسلمة المزعومة» لليمن، لم تشمل جميع أفراد القبائل، وذلك خلافا للانطباع الحاصل من قراءة المصادر الإسلاميّة الكلاسيكيّة التي سبقت دراستها[1] (ابن سعد وابن هشام الخ...) والتي بالغت دون شكّ في الإشارة إلى أنّ اعتناق اليمنيّين الإسلام كان شاملا وسريعا إذ كانت تكنّ للأسود عداوة بلغت حدّ المَقْت جعلتها تنعته بالكذّاب.

2 - انتفاضة الأسود في المصادر العربيّة

نذكر أوّلا أنّ أخبار الطّبريّ المتعلّقة بالرّدّة رواها أربعة مؤلّفون من القرن الأوّل إلى القرن الثّالث للهجرة[2]: أولهم سيف بن عُمر، وهو تميميّ توفّي سنة 796/180، ألّف كتابا بعنوان **كتاب الفتوح الكبير والرّدّة** نقله إلينا إمّا الزّهريّ، وهو أخباريّ مدنيّ توفّي سنة 835/220، أو السريّ بن يَحيى ؛ ثمّ أبو مخنف (لوط بن يحيى الأزديّ المتوفّى سنة 786/170)، وهو مؤلّف كتاب بعنوان **كتاب الرّدّة** رواه أخباريّ كوفيّ هو هشام بن محمّد الكلبيّ (المتوفّى سنة 819/204) ؛ ثمّ ابن حامد بن حيّان (المتوفّى سنة 862/248) عن سَلَمة (المتوفّى سنة 805/190) وابن اسحاق (المتوفّى سنة 767/150) ؛ وأخيرا أبو زيد عن المدائنيّ (المتوفّى سنة 830/215).

فلننصت إلى رواية الطّبريّ التي أعادها ابن الأثير والنويْريّ، ولنحاول أن نستكملها بروايات وَثِيمة وابن حُبَيْش والكَلاَعي.

فقد وُلدت الحركة في كهف خبّان، وهو المكان الذي يُظنّ أنّه مسقط رأس الأسود، وفيه يوجد بيته، ثم توسّعت تدريجيّا إلى سائر القطر اليمنيّ. فانتشرت في البداية بفضل مساندة عشيرة عَنْس وعامّة مَذْحِج[3]، في مدينة نجران التي احتلّت بعد ذلك بعشرة أيّام. فأُجبِر العاملان المسلمان عمرو بن حزم (في نجران نفسها) وخالد بن سعيد بن العاص (في الجهة الواقعة بين نجران ووادي رِمع وزَبيد)، على التخلّي عن منصِبَيْهما والعودة إلى المدينة[4]. وهو ما حَصُل لفَرْوَة بن مُسَيك المراديّ الذي اضطّر إلى الفرار من رجل من عشيرته منافس

---

1 - انظر الفصل السّابق المتعلّق بالوفود اليمنيّة؛ ابن سعد، ن.م، I، 321 وما بعدها.

2 - انظر بخصوص م. آل ياسين، ن.م، ص17 وما بعدها. هؤلاء المؤلّفين الذين اعتمدهم الطّبريّ ش. مصطفى، I، 149 وما بعدها.

3 - الطبري، تاريخ، III، 185، وهي رواية سيف نقلها الزّهريّ؛ والملاحظ أن خَبّان (وتسمى اليوم خَبّ) وادي كبير بين الجوْف ونجران، وهذا ما يخوّل لنا معرفة موضع قبيلة عنْس في القرن السّابع.

4 - ن.م، ص 185، النُوَيْري، ن.م، ص50؛ ابن الأثير، II، 337.

له هو قيس بن عبد يغوث المُراديّ، والذّهاب إلى الرّسول لإعلامه بتمرّد الأسود، ورحل مع من تبقّى من المسلمين المنتمين إلى قبيلة مُراد والتجأ إلى موضع يُسمّى الأحساء[1].

وغادر الأسود نجران متّجها إلى صنعاء على رأس سَرِيّة متكوّنة من مشاة وسبعمائة فارس[2] ساحقا في طريقه، في قرية الشّعوب[3] جيشا متكوّنا من «الأبناء». خاصّة يقوده العامل شهْر بن باذان. ومكّنت هذه المواجهة المسلّحة التي وقعت بعد الخروج من خبّان بعشرين يوما، المتمرّد العَنْسيّ من قتل القائد الأبْنَاوِيّ شهر ومن احتلال مدينة صنعاء وجعْلها عاصمة سلطته التي ستشمل شيئا فشيئا مناطق أخرى من اليمن[4].

وروى الدياربكري[5] أنّ الأسود سانده بنو مَذْحِج الذين كانوا عَقَدوا في عَهْد باذان (أواخر القرن السّادس) معاهدةً مناهضة للفرس تجمع بني زَيْد وخولان قضاعة وحِمْيَر، بلغ عددهم أربعة آلاف رجل، إلاّ أنه لم يُضف تفاصيل أخرى.

وأمام هذا الاكتساح الذي حقّقه عبْهلة، لجأ عامِلُ الرّسولِ المتجوّلُ باليمن معاذ بن جبل إلى مَأرِب قبل أن يتحوّل صحبة عاملها أبي موسى الأشعريّ إلى حضرموت[6]. ونزل معاذ عند السّكون، وتزوّج امرأة سليلة بني بَكْر اسمها رملة كان بنو زَنْكِيل أَخْوالها[7]. أمّا أبو موسى، فقد توجه إلى السّكاسِك قرب موضع يُسمّى «المُفوّر»[8]، والتحق بقيّة الأعوان المسلمين في اليمن بعامل الرّسول في تِهامة في جيرة عكّ والأشعريّين والطّاهر بن أبي هالة[9].

---

1 – الطبري، تاريخ، III، 185.

2 – ن.م، III، 230.

3 – شعوب قرية في شمال صنعاء؛ انظر الهمْدانيّ، صفة جزيرة العرب، تحقيق م. الأكوع، الرياض، 1977، ص 154؛ الإكليل، II، 101؛ الطبري، III، 229.

4 – الطبري، III، 229؛ ابن الأثير، II، 337؛ النويري، XIX، 51.

5 – الدياربكري، ن.م، II، ص 174؛ انظر أيضا: الحَديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، ن.م، ص 115.

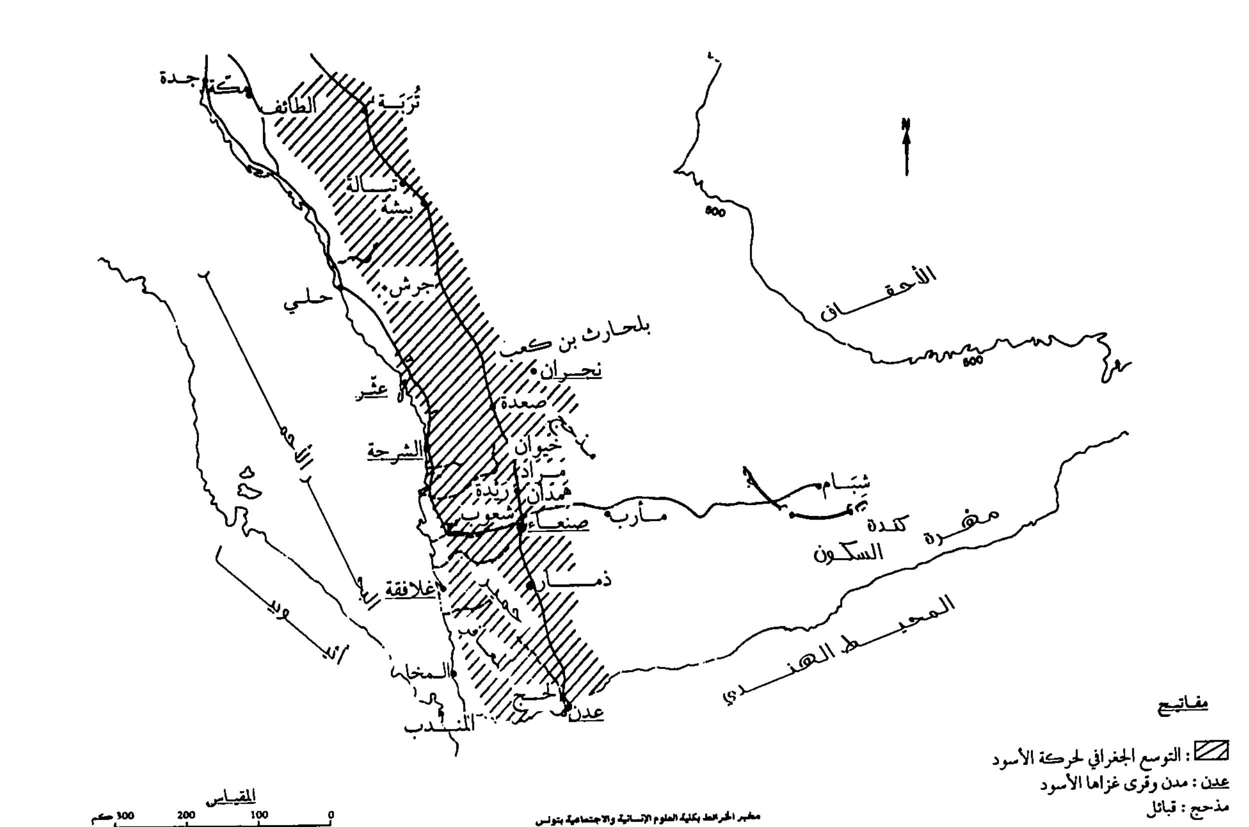
6 – الطبري، تاريخ، III، 229–230؛ ابن الأثير، II، 337؛ النويري، XIX، 51–52.

7 – انظر بخصوص بني زنكيل: ابن حزم (ن.م، ص 325)، وفيه يؤكّد معلومة الطّبري مضيفا أن معاذا كان صهر رجل يُدْعى أبا الزّبير من السّكاسِك.

8 – الطبري، تاريخ، III، 230.

9 – ن.م، انظر أيضا ابن الأثير، ن.م، II، ص 337.

خريطة ردّة الأسود العنسي



وامتدّ نفوذ الأسود حسَب سيف بن عمر من الطّائف في الشّمال إلى بادية حضرموت (مَفَازة صَهيد) في الجنوب، والبحريْن في الشّرق، وإلى عدن في الجنوب الغربيّ[1]. ويمكن أن نشكّ كثيرا في هذه الرّواية التي نقلها الزّهريّ لأنّ المصادر الأخرى تذكر موقف عديد القبائل اليمنيّة القاطنة في هذه الجهات التي يزعم البعض أنّ الأسود يسيطر عليها. ونذكر خاصّة قبيلة عكّ القاطنة في تِهامة، وهمْدان وجُعْفيّ والنَخَع ودَوْس[2] التي تُقيم في شمال اليمن وشرقه والتي حافظت على إسلامها.

ونحن نرى أنّ الزعيم العَنْسيّ بَسَط نفوذه على اليمن السّاحليّ على أقصى تقدير، وبالخصوص المنطقة الواقعة بين الطّائف في الشّمال وعدَن في الجنوب أي تِهامة ينقصها بعض الجيوب التي بقيت بأيدي الأعوان المسلمين ولكنّها تشمل مع ذلك المدن والقرى المسمّاة عثّر[3]والشَرَجَة[4] والجِرَدَة[5] وغُلافِقَة[6] زيادة على بعض مدن اليمن الدّاخليّة مثل نجران وصنعاء والجند والعُلَيْب[7].

وينحدر مساعدو العَنْسي العسكريّون من عدّة عشائر قبليّة. فَقيْس بن عبد يَغوث المراديّ الذي عيّنه العنسيّ «خليفتَه على جُنْدِه»، ومعاوية بن قيس الجَنبيّ، ويزيد بن مُحرَّم، ويزيد بن حُسين الحارثيّ، ويزيد بن الأَفْكل الأزْديّ[8] زيادة على فيروز الدَّيْلميّ

1 - الطبري، تاريخ، III، 230، ابن الأثير، ن. م، II، النُوَيْري، XIX، 52؛ انظر بخصوص صحراء حضرموت (مفازة صَهيد) الهمْدانيّ، صفة، ن. م؛ وفيه يتكلّم عن صَيْهد؛ والوِيسي (اليمن الكبرى، القاهرة، 1962، ص 178)، وفيه يذكر مغارة صَيْهد في صحراء الرُّبع الخالي شرقي اليمن. وتسمية البحرين يمكن أن تنطبق ليس على المنطقة الواقعة في الخليج العربيّ الفارسيّ بل على البحرين (البحر الأحمر والمحيط الهندي) اللذين يحفّان باليمن غربا وجنوبا.

2 - ابن حُبَيْش، ن. م ص 26؛ الكلاعي، ن. م، ص8. الدياربكري، ن. م، II، ص 202؛ انظر أيضا ياقوت (معجم البلدان) وفيه يذكر المناطق اليمنيّة التي شملتها انتفاضة الأسود وهي مَذَار (معجم، IV، 449)، الرَّحْبة (ن. م، II، 762)، المِضْمَر ومِنْقَل (ن. م، IV، 559) قرب صَعْدة وحبّان (ن. م، II، 670) قرب نجران، وكذلك الشَرَجَة (ن. م، II، 239)، وحِرَضَة (ن. م، III، 275) على ساحل البحر الأحمر؛ ن. الحديثي، ن. م، ص 116.

3 - عَثّر قرية تقع في بَلَد حَكَم، وهي مركز سوق؛ الهمْدانيّ، صفة، ص 63؛ 76-77؛ و243.

4 - الشَرَجة تقع أيضا على ساحل بَلَد حَكَم. الهمْدانيّ، صفة، ص 68 و258.

5 - تَقع الجِرَدة على ساحل المَهْجَم، الهمْدانيّ، صفة، 68 و258.

6 - غُلافِقة: هي مَرْفَأ مدينة زبيد، الهمْدانيّ، صفة، ص 68 و258.

7 - العُلَيْب قرية في مِخْلاف جَهْران، الهمْدانيّ، صفة، 243.

8 - الطبري، تاريخ، III، 231؛ ابن الأثير، ن. م، II، 337؛ النُوَيْري، XIX، ص 52.

وداذَوَيْه الفارسيّ اللذين يمثّلانه لدى «الأبناء»، وعمرو بن مَعدي كرِب الزّبَيْديّ الذي كان يحكم باسمه مَذْحِج[1].

ويلاحظ الأخباريّ الأندلسي ابن حُبَيْش[2] وكذلك تلميذه الكَلاَعيّ[3] أنّ الأسود، لمّا اندلعت انتفاضته، ضافَتْه قبيلة بلحارث بن كعب التي ارتدّت رغم اعتناقها السّابق للإسلام ومَدَّته بكتيبة تقدَّر بستّمائة فارس مكّنته من الاستيلاء على مدينة صنعاء. ومن ناحية أخرى، كان يرافقه، عند وصوله إلى نجران أربعة آلاف حِمْيريّ في تقدير الدياربكري[4]. وتدقّق رواية الزّهريّ المدينيّة عن أبْنَاويّي صنعاء أنه لم يكن من حلفاء الأسود[5] لا بنو النَخَع ولا بنو جُعْفي من عشائر مَذْحِج بل لقي الأسود مساندة من زُبَيد ومذْحِج، وعَنْس وبلحارث وأوْد ومُسْليّة والحَكَم[6].

كيف نفسّر انخراط كلّ هذه العشائر والفروع القبليّة في حركة الأسود؟ بخصوص قبيلة مَذْحِج الكبيرة ومختلف عشائرها (عَنْس وحكَم وزُبَيْد وبنو الحارث وغيرها...)، سبق القول إنها لم تُسْلِم بأكملها[7] وإنّ بعض قادتها، ومنهم قيس بن المَكشوح من عشيرة مراد، اشتهروا بمعارضتهم لعَمرو بن معْدي كِرب من عشيرة زُبيْد وقْتَ ذهابه سنة 9 إلى المدينة صحبة وفد مراد وزُبَيد لمبايعة الرّسول. فكان قيس سيّد عامّة مَذْحِج وخصوصا عشيرة عنس وقائد جيش العَنْسيّ. أمّا عمرو بن معدي كرِب فإنّه رغم إسلامه المزعوم، فإنّه انضمّ أيضا مع عشيرته زُبَيد إلى حركة الأسود، بل أكثر من ذلك عيّنه الأسود ممثّلا شخصيّا له لدى بني مُراد مكانَ منافسه فرْوَة. ويبدو أنّ مشاركته في التّمرّد على المدينة وعلى العمّال المسلمين باليمن، إلى جانب الثّائر العنسيّ، كانت بدافع التّنافس بينه وبين فروة ومعارضته لتعيين محمّد له رئيسا لعشيرة مُراد[8].

---

1 - ن.م.
2 - ابن حُبَيش، ن.م، ص 195.
3 - الكلاعي، ن.م، ص 51.
4 - الدياربكري، II، ن.م، ص 156.
5 - ابن حبيش، ن.م، ص 195.
6 - ن.م.
7 - انظر ما جاء سابقا في هذا الفصل.
8 - م. واط، ن.م، ص145.

ولمزيد فهم الأسباب العميقة لانضمام كلّ هذه العشائر اليمنيّة (مَذْحِج وغيرها من القبائل) إلى حركة الأسود، ينبغي التّذكير ببعض الوقائع التي تعود إلى الجاهليّة وتحديدا إلى عهد باذان الفارسيّ، والتي تتعلّق خاصّة بالعلاقات بين القبائل. فالمصادر تذكر باستمرار تحالفات قبليّة نَجِد فيها نفس العشائر التي انضمّت إلى انتفاضة الأسود. فقد ورد في بعض أبيات منسوبة إلى عَمرو بن معْدي كرب رواها الطّبريّ[1]، ذِكْرُ تحالف أوّل جمع بين جُعْفي جَزَء وزبيد وأَنَس الله، وكلّها بطون تنتسب إلى قبيلة مَذْحِج الكبيرة. ويذكر ياقوت الحمويّ[2] أيضا تحالفا قبليّا آخر بين أوْد وزُبَيد والحكَم وهي ثلاثة بطون من سلالة مَذْحِج.

ويذكر القالي[3] من ناحيته، عن الأصمعيّ، وجود تحالف قبائل يمنيّة يتكوّن من زُبَيد، ومُراد المنتمية إلى مَذْحِج، وثُمالة، ودوْس من الأزد، بمناسبة الصّراع القائم بين هذا التّحالف وتحالف آخر عدنانيّ متكوّن من بني عامر وجُشَم وسُليْم ونصْر. وينبغي التّدقيق بأنّ ذلك الصّراع الذي انتهى بانتصار اليمنيّين خلّدته أبيات شهيرة لعمرو بن معْدي كِرب الزُّبيْديّ. وأخيرا لا نَنْسى شهادة مفيدة جدّا للأخباريّ اليمنيّ الرازيّ الذي نصّ في كتابه عن تاريخ صنعاء على اجتماع في مَذَاب، النّهر الذي يسقي الجَوْف[4]، لتحالف واسع بين القبائل البدويّة المنتسبة إلى مَذْحِج (زُبيد وبلحارث بن كعب وبنو عبد المدان وخوْلان قُضاعة) حكمها على التّوالي عمرو بن معْدي كرب والحُسَين بن قَنان بن يزيد الحارثيّ ويزيد بن عبد المدان وعَنْبَسة بن يزيد الخَوْلانيّ، وشهاب بن الحُسَيْن. وكان ذلك التّحالف يَهدف إلى الكفاح معا ضدّ الفُرس الذين كان يقودهم باذان بن ساسان والي السّاسانيّين على اليمن. ويضيف الرّازيّ أنّ الفُرس ساندتهم بهذه المناسبة كتيبة متكوّنة من ألف هَمْدانيّ يقودهم عمرو بن الحارث بن الحسين الشّاكريّ وعَمرو بن يزيد بن الرّبيع الحَاشديّ. وعقد الفرس اتّفاقية تحالف مع همْدان، بالذات لمواجهة حِمْير وعشائر مَذْحِج المجتمعة في مَذَاب. ونلاحظ أيضا أنّ قبيلة مُراد التي هزمَتْها همْدان يوم الرّزم، واضطرّت إلى ترك مساكنها الواقعة في شمال اليمن بجوار كندة في جهة الجَوْف بالذات، انضمّت إلى تحالف مَذَاب المعادي للفرس بحكم خصامها مع

1 - الطبري، تاريخ، III، 381.

2 - ياقوت، معجم البلدان، II، 381.

3 - القالي، ذيْل الأمالي، I، 147.

4 - الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص 37-38.

همْدان حليفة الفرس. وكانت الغاية من معركة الرّزم التحكّم في الجَوْف الغربيّ الـذي كانت همْدان تحتلّه. وبذلك تكون مرحلة في المواجهة بين البدو والحضر، تقـترن بهـا مكافحة بين همْدان، القبيلـة اليهوديّة المناصرة للفـرس، ومُراد، القبيلة المناهضة للفرس والقريبة من مسيحيّ نجران.

إذن نستنتج من ذكر مختلف هذه التّحالفات التي تعود إلى أواخر القرن السّادس وبدايـة القرن السّـابع، أنّ حركة الأسـود التي وجدنا فيها نفس العشـائر والبطون أعضاءَ في هذه التّحالفات، هي امتداد منطقيّ لأحداث الجاهليّة.

ومن الملاحظ أنّ القوى القبليّة التي سـاندت عبهلة في تمرّده على السّـلطة المدينيّة وحلفائهـا اليمنيّـين تتكوّن عمليّا من العشـائر المنحدرة من مَذْحِـج أي مُراد وزُبَيد والحارث بن كعب، وهي نفسـها التي تجمّعت من قبل في حِلف مناهض للفرس مع قبائل وعشائر أخرى مثل أوْد ومُسْلِية والحكَم وجَنَب والأزد وخَوْلان قُضَاعة بالطّبع. وأغلبهـا قبائل بدويّـة تقطن مناطق صحراويّـة فقيرة ينقصها المـاء[1]. فهناك تواصل محيّر يُفسّر في نظرنا بجُملة من الاعتبارات لا تقتصر عـلى التّضامن القبليّ إذ كانت جـلّ العشـائر تنتمي إلى قبيلة مَذْحِج الكبرى، ولا على نمـط الحياة إذ كانت جلّها بدويّة فقيرة تقطن منطقة هامشـيّة، بل تتجاوز ذلك إلى موقف سـياسيّ إذ هي جميعا قبائل معارِضة للسّـيطرة الفارسيّة وللفرس حتى بعد إسـلامهم وتحالفهم مع السّلطة الإسلاميّة، وإلى موقف دينيّ بما أنّ تلك القبائل تَنَصَّرَت بدرجات متفاوتة وناهضت الحلف المتكوّن من القبائل المنتمية إلى اليهوديّة أو الإسلام.

وخلاصة القول إنّ انخراط عامّة مَذْحِج ومختلف بطونها، باستثناء جُعْفِي والنَّخَع، في حركة الأسـود قبل وفاة الرّسـول محمّد، كانت فرصة انتهزها الوجهاء لتأكيد عزمهم على ممارسة دورهم كرؤساء قبليّين لا يتوانَوْن في تحقيق طموحهم فيشاركون في حركة موجّهة ضدّ الأعوان المسلمين الموجودين في اليمن مثل قيْس بن المَكْشوح المراديّ وعمرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبيْديّ الطّموحَين جدّا، وقد خاب أملهما في السّلطة المدينيّة لأنّها لم تخترهما للقيادة السّياسيّة على رأس عشيرتَيْهما مُراد وزُبَيْد.

وبخصـوص بلحارث بن كعب[2]، سـكّان نجـران فإنّ انضمامهـم إلى انتفاضة الأسود يفسّر في الوقت نفسـه باعتناقهم القهريّ للإسلام، وبانضمامهم مع مَذْحِج إلى

---

1 - ن. الحديثي، ن.م، ص 120.

2 - انظر ما جاء سابقا في هذا الفصل.

الحلـف المناهض للفرس والذي عُقِد في مَذاب. ولا نَسـتَبْعِد أنّ رواية أبناويّي صنعاء كـما نقلها الزّهريّ[1] والتي تنصّ على المشــاركة الفعليّة لسـتّمائة فارس من بلحارث من مجموع يقدّره سـيف بن عُمر بسـبعمائة[2] في معركة شُعوب إلى جانب الأسود، قد تكون موضوعة لاتهام النّجرانيّين بالرّدّة ولإبراز دور الفرس في الدّفاع عن الإسلام.

وممّا يزيد هذه الفرضيّة احتمالا أنّ وثيمة بن موسى[3] ذكر في حديثه عن ردّة اليمن الثّانية ما قام به رئيســان حارثيّان هما عبد الحارث بن أنس أو عبد الرحمان بن الحارث وعُمَـيْر بن الحسـين النجرانيّ، لدى أهــل قبيلتهما بني الحارث الذين ارتــدّوا إثر وفاة الرّســول محمّد، لحثّهم على الإخلاص للإسلام وقيل إنّ النّجرانيّين تراجعوا عن الرّدّة. فكيف نفسّر إذن مشــاركتهم في حركة الأســود في حياة محمّد بعد أن عبّروا عن التزامهم بالدّعوة الإسلاميّة؟

وقد ذكر نفس المؤلّف[4] أخوين أزديَّين سَلِيلَي ثمالة هما عبد الرحمان ويزيد بن ذي الآجرة اللذين شــاركا في محاربة الأســود عملا بتعليمات الرّســول. وسنعود إلى هذه المسألة لاحقا.

أمّا بخصوص «الأبناء» الذين هزمهم الأســود في معركة شُــعوب، فإنّ هناك من يؤكّد أنّ المتمرّدين عاملوهم معاملة سـيّئة لأنهم رفضوا الاعتراف بنبوّة العَنْسي[5]. فكيف نفسّر، والحال تلك، تعيين رئيسيْهم فيروز وداذَويْه ممثّلين للأسود لدى الجالية الفارسـيّة بصنعاء؟ الحـقّ أنّ الأمر يتعلّق في نظرنا بانضــمام تكتيكيّ وظرفيّ لهذين الوجيهين الأبناويّين إلى حركة الأســود. فما مشــاركتهم النّشيطة بعد مدّة قصيرة في التّآمر على عبهلة إلاّ تأكيد في منتهى الوضوح لهذا الانطباع.

3 - نهاية تمرّد الأسود وتفسيرها

عُرف الأســود الذي أجمعت المصادر الإسلاميّة على نعت حركته بالرّدّة، بقُدراته في مجالي الســحر والشّــعوذة[6] التي ضاعفت تأثيره في بنى قومه. وهو يدّعي أنّه كاهن

---

1 - ابن حُبيش، ن.م، ص 195.

2 -الطبري، تاريخ، III، 230.

3 - وَثِيمة، ن.م، ص 34.

4 - ن.م، ص28؛ يذكر الطّبريّ (تاريخ، IV، 505) ذا الآجُرة الحِمْيري على رأس يمنيّ البصرة، سنة 36، وقتَ الإعداد لمعركة الجَمَل.

5 - ابن حُبَيْش، ن.م، ص 195؛ الكلاعي، ن.م، ص 152؛ البلاذري، فتوح، ص 146.

6 -الطبري، تاريخ، III، 185.

ويتكلّم باسم الله ويُدعوه الرّحمان، ومن هنا جاءت تسميته بـ«رحمان اليمن». وينص البلاذريّ[1] على أنّه كان له حمار مروّض ترويضا جيّدا إذ كلّما أمره سيّده بالسّجود والصّلاة لربّه، فعل؛ لذلك لُقِب بذي الحمار. وروى الدياربكري[2] من ناحيته أنّ «حمار» كان في الواقع اسم شيطانه، ويؤكّد في رواية أخرى أنّه كان لعبْهَلة شيطانان هما شهيق أو سَحيق وشريق أو شفيق كانا يعلمانه بانتظام بكلّ ما كان يحدث حوله. ونذكر أيضا النّادرة التّالية التي رواها النّوَيْريّ[3] بخصوص نشاط الأسود. فقد دعا إليه أبا مسلم عبد الله الخَولانيّ وسأله هل يصدّق نبوّته ونبوّة محمّد. ولّما أجابه أنّ محمّدا بحقّ رسول الله، أمر الأسود بإلقائه في نار أعدّها لحرقه ولكن دون جدوى، ثم قرّر طرْده من اليمن حتى لا يتمكّن من إثارة شكّ أنصاره في نبوّته. وما إن وصل أبو مسلم المدينة بعد وفاة الرّسول محمّد حتّى صار محلّ إجلال حقيقيّ. ويبدو أنّ عمر بن الخطّاب نفسه صرّح له: «الحمد لله الذي مدّ في أنفاسي حتى أرى مُسلما سلّطت عليه نفس المحنة التي سلّطت على إبراهيم الخليل».

فالوقائع التي سبق ذكرها وإن كانت في شكل نوادر، تقيم الدّليل على أنّه كان للأسود مَلَكات سحريّة لم تكن غريبة عن الجزيرة العربيّة في العصر الجاهليّ، إلى جانب اعتقاده في وجود إلاه واحد. ويرى م. وات[4] أنّ التّوحيد في عقيدة الأسود جاءه على الأرجح من المسيحيّة أو اليهوديّة المنتشرتين في اليمن وليس من الإسلام لأنّه لم يُذْكر قط أنّه اعتنقه. ويروي البلاذريّ[5] عن يمنيّين لم يذكر مع الأسف أسماءهم، أنّ محمّدا قد يكون أرسل سنة وفاته أي 11هـ مبعوثه جرير بن عبد الله البَجَليّ إلى عبْهلة لدعوته إلى الإسلام ولكن دون نتيجة ثابتة. ونحن نرى أنّ معلومة البلاذريّ هذه، تبدو لنا غير جديرة بالثّقة، فلا يمكن تبنّيها خاصّة أنّه لم يؤيّدها أيّ من المصادر الأخرى. فالأفضل ألاّ نعتبر حركة الأسود ردّة بالمعنى الدّينّي للكلمة تأكيدا لرأي واط وشُوفَاني في الموضوع. فوَاط[6] يرى أنّ حركة الأسود عمليّة موجّهة ضدّ النّظام السّياسيّ القائم في المدينة (السلم الإسلاميّة *Pax islamica*) وليس ضدّ الفرس

1 - البلاذري، فتوح، ص 146.

2 - الدياربكري، ن. م، II، 155-156.

3 - النويَري، XIX، 60.

4 - M. Watt, *E. I.*, 750

5 - البلاذري، فتوح، ص146.

6 - M. Watt , *loc. cit.*, p. 749; *Mahomet à Médine*, p. 156.

بصفتهم فرسا لأنّ عددا منهم مثل فيروز وداذَوَيْه[1] احتفظوا بأوضاع هامّة في صنعاء. إذن فالأسود لمّا رأى الرّسول محمّدا يوزّع أقاليم اليمن بين أعوانه، أحبّ أن يعترض على هذه السّيطرة السّياسيّة المباشرة للسّلطة المدينيّة على بلاده. أمّا عبد الحيّ شعبان[2]، فإنّه ينزّل حركة الأسود ضمن سلسلة أحداث القرن السّادس، ملحّا على أنّ المتمرّد العَنْسيّ كان يظنّ أن بلاده اليمن كانت قادرة على الانسحاب من دائرة التّأثير الفارسيّ واسترجاع استقلاليّتها. وقد يكون أنصاره في معظمهم أصيلي الجاليات الزراعيّة في حين كان خصومه يساندون النّظام المدنيّ ويرون مصالحهم في التّجارة. لذلك ربّما كانوا مستعدّين لمواجهة أهل قبيلتهم من أجل إعادة فتح المسالك التّجاريّة الرّابطة بين اليمن والشّام. ويضيف شعبان أنّ العشائر التي كان خصوم عنْهلة يُنْتدبون منها، قد تكون أدركت أنّه «بدون مشاركة المدينة ومساعدتها، فإنّ الطّريق التي تصلهم بالعالم الخارجيّ لا يمكن إعادة فتحها، وأنّ الثّمن الذي ينبغي دفعه لم يكن في الواقع في مستوى النّتائج».

ولننظر الآن في موقف الأسود من الأبناء. فخلافا لوجهة نظر م. واط بأنّ حركتَه لم تكن موجّهة ضدّ الفرس بصفتهم فُرسا[3]، فإنّنا نرى أنّه من الأفضل أن نعيد قراءة النّصوص بتمعّن، وخاصّة منها نصوص الطّبريّ وابن حُبَيْش وابن حبيب حتّى يكون إدراكُنا للمسألة أقرب إلى الواقع التّاريخيّ. فلننظر أوّلا في فحوى الرّسالة التي وجّهها الأسود إلى خصومه المنتصبين في الجند في الوقت الذي كان يتهيّأ فيه للذهاب إلى مدينة نجران. يروي الطّبريّ نصّ هذه الرّسالة التي لها في نظرنا أهمّية كبرى، كما يلي[4]: «أيّها الغرباء بيننا، كفّوا عن غزو أراضينا وأعيدوا...» (نص ص. 336)

فنحن نرى أنّ هذه الرّسالة تؤكّد طبيعة حركة الأسود السّياسيّة وحتّى «الوطنيّة»، وتمثّل دليلا قاطعا على إرادة القائد العَنْسيّ البيّنة لوضع حدّ للهَيْمنة السّياسيّة والاستغلال الاقتصاديّ لبلاده اليمن لصالح عناصر غير يمنيّة ينعتها بالغرباء.

فقد كان الأسود يهدف من وراء تمرّده إلى تحرير بلده من النّيْر الأجنبيّ حتّى يسترجع ما كان له من استقلال. فهل نستغرب، والحال تلك، إلحاحَ الأخباريّين العرب

1 - الرازي، ن.م، ص 80.

2 - A. Shaban, *Islamic History*, London, 1971, p. 21

3 - م. واط، ن.م، ص 749.

4 - الطبري، تاريخ، III، 229؛ النويري، ن.م، XIX، 51.

الأندلسيّين مثل ابن حُبَيْش والكَلاَعيّ[1]، على سوء معاملة الأسود بعد غزوه مدينة صنعاء لخصومه الأبناويّين حتّى في صورة ربطهم بين هذا التّصرّف للقائد العنسيّ والمبادرة التي اتّخذها محمّد بإرسال عامله وَبَر بن يُحَنّس إلى الفرس لحثّهم على مقاومة عبْهلة.

ويزعم البلاذريّ[2] من ناحيته أنّ الرّسول محمّدا لم يعيّن لهذه المهمّة الدّيبلوماسيّة وَبَرا بل قيْس بن المَكْشوح وفَروَة بن مُسَيْك المتسبَيْن إلى عشيرة مُراد. ويبدو لنا أنّ هذه الرّواية بعيدة عن الواقع لأنّ قيسا كان في ذلك الوقت أحد مساعدي الأسود العسكريّين وأنّ فرْوة كان لاجئا بالأحساء[3].

وروى الأخباريّ ابن حبيب[4] في كُتَيِّب له بعنوان **كتاب المغْتالين من الأشراف** بطريقته الخاصّة، خبَرَ مقتل الأسود الذي سنعود إليه لاحقا موضّحين أنّ القائد العَنْسي كان هدّد الأبناء فعلا. ومزيّة هذا التّوضيح هي تقديم تفسير معقول لانقلاب فيروز ودَاذَوَيه المفاجئ[5] إذ سَيَتَحوّلان من حليفيْن وفيّين للقائد العنسيّ إلى خصمَين لَدُودَين عازمَيْن على التخلّص منه مهما كان الثمن.

فإشارة ابن حبيب هذه هي – حسَب علمنا – الإشارة الوحيدة الموجودة في المصادر التي تبيّن بمنتهى الوضوح موقفا للأسود مناهضا للفرس. وهي بذلك تؤكّد جيّدا الفَرَضية التي عبّرنا عنها بخصوص حركة الأسود إذ رأينا أنّها في الوقت نفسه «حركة موجّهة ضدّ أعوان السّلطة المدينيّة»، وعَمَلٌ «وطنيّ» يهدف إلى التّخلّص من الفرس، وهم جماعة من الأجانب فضلا عن اعتناقهم الإسلام وتحالفهم مع محمّد.

ولذلك فإنّ إ. شُوفَاني[6] على حقّ في عدم تنزيله حركة الأسود ضمن حركات الرّدّة بالمعنى الدّينيّ للكلمة بل في نطاق صراع من أجل السّلطة في صنعاء، وهو صراع يُقال إنّه يجمع بين أطراف ثلاثة: الأسود وأنصَاره، وقيس بن المكشوح المُراديّ ورجال القبائل، وأخيرا الأبناء. ففي مرحلة أولى قضى التّكتّل الجامع بين قيس والأبناء

---

1 - ابن حُبيش، ن.م، ص196؛ الكلاعي، ن.م، ص 153؛ البلاذري، ن.م، ص 146؛ الدياربكري، II، ن.م، ص156.

2 - البلاذري، ن.م، ص 147.

3 - الطبري، تاريخ، III، 185؛ النويري، XIX، 50؛ ابن الأثير، II، 337.

4 - ابن حبيب، **كتاب أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام**، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة، 1954، ص 151-153.

5 - ن.م، ص 151.

6 - إ. شوفاني، ن.م، ص 93-95.

على تمرّد الأسـود. ثم قـرّر قيس في مرحلة ثانيـة الانقلاب على حلفائـه الأبناء قصد الاستحواذ بمفرده على السّلطة في صنعاء. وبلغ به الأمر إلى إرادة ترحيلهم من اليمن.

ويجـدر أن نعود ثانيـة إلى رواية المصادر القديمة والعربيّة الأندلسـيّة لوصف نهاية حركة الأسود وصفا جيّدا، دون أن نغفل عن مؤلّفات ابن حبيب والفَسَوِي[1] (المتوفّى سنة 890/277) والهَمْدانيّ.

إنّ مقاومـة تمرّد الأسـود في اليمن والحركتين الأخريَـين اللتين قام بهما كلّ من طُلَيْحة ومُسَـيْلمة في نجْد واليمامة، نظّمها الرّسول محمّد نفسه مباشرة إثر إرساله إلى () شـمال المدينة بعثةً عسكريّة ضدّ الروم بقيادة أسامة بن زيد، مستعملا طريقتين تتمثّل الأولى في كتابة الرّسائل، والثّانية في إرسال مبعوثين عنه[2].

فبمجرّد أن أعلمه عامله فروة بن مُسَـيْك باندلاع «ردّة» الأسـود باليمن، بعث رسـائل إلى أهمّ القـادة اليمنيّين الذين كانوا مخلصين أوفياء للدّعوة الإسـلاميّة وهم عامر بن شـهْر الهمْدانيّ[3]، عامله على همْدان، ووجهاء آخرون أو أذواء مثل سـعيد ذي زُود بن العاقب[4]، وعُمر أو أَفْلح ذو مُرّان[5]، وسُمَيْفع ذي الكَلاَع[6] وحَوْشَب ذي ظُلَيْم[7]. وكتب محمّد أيضا إلى متساكني نجران «عَرَبهم وساكني الأرض من غير عَرَبهم»،

1 - الفَسَـويّ، كتـاب المعرفـة والتّاريخ، ط، بيروت، III، 262، وفيه يروي المؤلّف مقتل الأسـود، عن يزيد بن المبارك الّذي يروي بدوره عن أبناويّ هو النعمان بن بُزرج؛ وبالتالي ينبغي تقبّل هذه الرّواية بحذر شديد.

2 - الطبري، تاريخ، III، 187.

3 - انظر بخصوص عامر بن شـهر الهمْدانيّ الطبري، تاريخ،II، 228-229، و232-318؛ النويري، XIX 54؛ ابن الأثير، II، 336.

4 - انظر بخصوص ذي زود الطّبري، تاريخ، III، 232 و323؛ النويري، XIX، 54 ؛ ابن الأثير، II، 338 و386.

5 - انظـر بخصوص ذي مرّان الطبري، تاريخ، III، 232 و323؛ النويري، XIX، 54؛ ابن الأثير، II، 338 و386؛ وانظر أيضا: ابن حزم (ن.م، 393)، وهو يسمّيه عُمَيْرة بن أَفْلح بن شراحيل بن ناعط قيل ذي مرّان، سليل عشيرة حاشد من قبيلة همْدان؛ ابن حَجَر، الإصابة، III، 2، ص 239.

6 - انظر بخصوص ذي الكَلاع (سُمَيْفَع بن ناكور بن عَمرو بن يَعفر بن يزيد بن النعمان الطبري، تاريخ، III، 232 و323؛ النوَيْري، XIX، ص 54؛ ابن الأثير، II، 338 و386؛ انظر أيضا: ابن دُرَيْد، كتاب الاشتقاق، ص525؛ ابن حزم، ن.م، ص 434؛ ابن عبد البرّ، الاسْتِيعَاب، II، 471؛ ابن حبيب (كتاب المُحَبر، ص232-233) يصنّفه ضمن رجال مكّة الذين كانوا مضطرّين، بسـبب جمالهم، إلى تغطية وجوههم لحجْبها عن النّساء. وهو حِمْيري من أحاظة قُتل في صفّين في صفوف معاوية.

7 - انظـر بخصـوص ذي ظُلَيْم (حَوْشَـب بن عَمرو بـن شُرَحْبيل بن عبيد بن عمرو بن حَوْشـب بن الأضْلوم بـن أَلْهان بن سَـدَد بن زُرْعة بن قيس بن صَناء الأصغر): ابن حـزم، ن.م، ص 432؛ الطبري، تاريخ، III، 232؛ النُوَيـري، XIX، 54، ابـن الأثير، II، 333 و386؛ ابن عبد الـبر، II، 774، والملاحظ أنّ ذا ظُلَيْم قُتِل في صفّين في صفوف معاوية. انظر أيضا: ابن مَاكُولاَ، الإكمال، V، 280.

حسب عبارة النّوَيْريّ[1]. ويبدو أنّهم استجابوا لدعوته. ويذكر وثيمة بن موسى[2] أيضا اتّصال الرّسول محمّد بقائدين حارثيّيْن هما عبد الرحمان وأخوه يزيد بن ذي الآجرة قصد تشريكهما في قتال الأسود. ويضاف إلى كلّ هؤلاء المبعوثين عوْن آخر يسمّيه ابن حبيب، خطأً بدون شكّ، يُحنّس بن وَبْرة الأزديّ[3] في حين أنّه وَبَر بن يوحنّس[4] الذي أرْسل إلى «أبناء» صنعاء حاملا رسالة تحثّهم على المحافظة على ولائهم للدّعوة الإسلاميّة والتّصدّي للقائد العنسيّ الأسود سواء بالمكر أو بالسّلاح[5]. وينبغي أن نلاحظ أنّ الرّسول أوصى «الأبناء» في الرّسالة التي سلّمها إلى وبَر يطلب فيها مساعدة بني تميم وبني قيس الذين كتب إليهم مؤخّرا، ومساعدة وجهاء حِمْير وهمْدان أيضا.

وذكر الطّبريّ أيضا قادة آخرين مثل جرير بن عبد الله البَجَليّ والأقرع بن عبد الله، فأرسل الأوّل إلى زعيمَي حِمير ذي الكَلاع وذي ظلَيْم وزعيمَي همْدان ذي زُود وذي مرَّان[6].

أمّا معاذ بن جَبل الذي استجار في حضرموت بقوم السّكون، فإنّ الرّسول كلّفه بجمع الرّجال لتنظيم القتال ضدّ الأسود وأنصاره[7]. وتذكر المصادر انضمام عديد الوجهاء اليمنيّين الذين استعان بهم معاذ لهذا الغرض وبالخصوص عبد الله بن شافع الرُّعيْنّي العَبْليّ الذي تلقّى الأمر بمحاربة المتمرّدين في ذي حَقْرين[8]، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى عبليّ آخر يُدْعى جَنَب بن مُرْثِد بن زيْد أبا هانئ الرُّعَيْنيّ الذي بايع معاذا باليمن[9]، وكذلك خنَافِر بن التّوْأم الحِمْيَريّ وهو كاهن سابق اعتنق الإسلام[10].

فهذا النّشاط الدّيبلوماسيّ المزدوج إذن، قام به الرّسول عن طريق الرّسائل والمبعوثين لمواجهة تمرّد العنسيّ باليمن، أفضى إلى تكوين تحالف واسع مناصر للمسلمين يجمع بين همْدان وحِمير والأبناء والنّجرانيّين، ويهدف إلى القضاء على حركة الأسود. وفي

---

1 – النّوَيْري، XIX، 54.
2 – وثيمة، ن.م، ص 28.
3 – ابن حبيب، كتاب أسماء المغتالين، ن.م، ص 151.
4 – الطبري، تاريخ، III، 187.
5 – ن.م، III، 232؛ النويري، XIX، 53؛ ابن الأثير، II، 338.
6 – الطبري، تاريخ، III، 187.
7 – ن.م، 231؛ النويري، XIX، 53.
8 – ابن مَاكُولَا، الإكمَال، IV، 85.
9 – ن.م، 421 IV.
10 – القالي، ذَيْل الأمالي، II، 134–135.

هذا السّياق، اتّصل قادة أبناوِيّي صنعاء، فيروز ودَاذَويْه وجُشَيْش، بأذواء هَمْدان وحِمْيَر، قصد دعوتهم إلى أن يمهلوهم فترة من الزّمن حتى يتمكّنوا من وضع خطّة مناسبة[1]. ومن ناحية أخرى، تمكّنوا من الحصول على مناصرة قائد قوّات الأسود، قيس بن المكْشوح المراديّ، لقضيّتهم. وسارع قيس بالانضمام إلى الجيش المناصر للمدينة[2]، متخلّيا عن حليفه العَنْسيّ السّابق، إمّا خوفا من عبْهلة أو بدافع الانتهازيّة.

وروى سيف بن عمر[3] خبرا ينصّ على أنّ القائد الفارسيّ جُشَيْش اتّصل بامرأة الأسود، آزاد أرملة شَهْر بن باذان وابنة عمّ فيروز، قصد تشريكها في المؤامرة التي كانت تُحاك ضدّ القائد العنْسيّ. ولمّا نبّهه جواسيسه بالمؤامرة التي كان خصومه يَحوكونها ضدّه، عزم على التّخلّص من الأبناويّين الثّلاثة، فيروز ودَاذَويه وجُشَيْش، وكذلك من حليفه المراديّ السّابق قيْس بن المَكْشوح.

فأوّل محاولة تهدف إلى تصفية الأسود كانت بالذّات ببادرة من قيس الذي حاول بمساعدة عشرة من رجاله من مَذْحِج وهمْدان قتل خصمه ولكن دون جدوى. وهذا يدلّ على أنّ الأسود احتاط لذلك[4]. وفي نطاق نفس هذه المحاولة الفاشلة بالذّات، روى الطّبريّ الطّرفة التّالية: أمر الأسود بذبح قطيع متكوّن من مائة دابّة (إبِلا وبَقَرا) وأمر فيروز بتوزيع لحومها على جميع سكّان صنعاء[5]. ففعل مطبّقا حرفيّا تعليمات القائد العَنْسيّ. وتتجلّى من هذه الحكاية التي رواها سيف أجواءُ الرّيبة التي كانت تسود حاشية الأسود وتولّد الهلع عند خصومه بما فيهم الفرس وقادتهم.

ومهما كان الأمر فإنّ مؤامرة تهدف إلى تصفية الأسود الجسديّة حاكها القادة الأبناويّون الثّلاثة متواطئين مع القائد المراديّ قيس وأرملة شَهْر آزاد[6]. ويضيف الفَسَويّ إسم جُرْجست (وقد يكون تحريفا لجَشِيش أو جُشيْش)، وخُرْزاد بن بُزرج، متغافلاَ عن اسم قيس وكأنّه أراد أن ينسب إلى الفرس وحدَهم فضْل تصفية القائد

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 23؛ النويْري، XIX، 54؛ ابن الأثير، II، 338؛ انظر بخصوص فيروز: **الإصابة**، III، 417-418؛ وبخصوص دَاذَوَيْه، II، 980-981.

2 - الطبري، تاريخ، III، 232.

3 - ن. م، ص231؛ النّوَيْري، XIX 53-54؛ ابن الأثير، II، 338؛ انظر بخصوص جُشَيْش: **الإصابة**، II، 533ح ابن مَاكُولَا، III، 152.

4 - الطبري، تاريخ، III، 232.

5 - ن. م، ص233 و237-238. انظر أيضا هذه النّادرة في كتاب النّويريّ المذكور، XIX، 53-54؛ ابن الأثير، II، 339.

6 - الفَسَوي، ن. م، III، 262.

العَنْسيّ[1]. وبالنّسبة إلى البلاذريّ الذي تختلف روايته لقتل الأسود عن رواية الطّبريّ، فإنّ القائد العَنْسي قتله إمّا قيس أو فيروز[2]. أمّا الأخباريّان الأندلسيّان ابن حُبَيْش والكَلاعيّ[3] فإنّهما يُلحّان بالعكس من ذلك على الدّور الذي لعبه قيس وفيروز ودَاذَوَيْه وكذلك زوجة الأسود التي يسمّيانها مَرْزُبانة.

وقد وجدنا في حديث ابن حبيب تفاصيل دالّة تتعلّق بالمؤامرة وطرُق تنفيذها. فمؤلّف **كتاب المغتالين**[4] بيّن بالفعل أنّ المتآمرين (قيس وفيروز وداذَوَيْه وامرأة الأسود التي يعتبرها أخت فيْروز) تطرّقوا إلى قصر العَنْسيّ عَبْر رواق تحت الأرض كانوا أمروا بحفره في الحديقة ليُفضيَ مباشرة إلى الغرفة التي كان الأسود ينام فيها. ويضيف ابن حبيب أنّه بعد مقتل الأَسود، خاف أحد المتآمرين (قيس) من أهل عشيرة عنس المنتمية إلى قبيلة عبهلة، إلى درجة أنّه قرّر أن يقتل صاحبيه المتواطئيْن معه، الأبناوِيّيْن فيروز وداذويه، حتّى يخفّف من غضبهم.

أمّا الأخباريّ اليمنيّ الهمْدانيّ، فإنّه ذكر مقتل القائد العَنْسيّ مرّتين. فهو يرى في كتابه **الإكليل**[5]، أنّ المراديّ فرْوَة بن مُسيْك هو المحرّك الرّئيسيّ للمؤامرة التي استهدفت الأسود، وهو ما لم يذكره أيّ مصدر آخر، وأنّ منافسه المنتمي إلى قبيلته شارك في العملية جاعلا موت الأسود بعد وفاة محمّد. فهذه الرّواية الأولى إذن لموت الأسود تبدو لنا غير مقبولة، مثلها مثلُ ما ذكره الهمْدانيّ في قصيدته بعنوان **القصيدة الدّامغة**. فقد بيّن المؤلّف اليمنيّ في حديثه عن ردّة الأسود أنّ الرّسول اتّخذ قرار قتله وعهد بتنفيذه إلى المراديّيْن فروة وقيس، فنجح قيس في الحصول على ثقة «الأبناء» ثم دخل مدينة صنعاء على رأس مجموعة متكوّنة من حِمْيَر وهمْدان، وتمكّن من قتل الأسود، مستجيبا لإرادة الرّسول، بمساندة فيروز وداذويْه اللذين استطاع تشريكهما في تلك العمليّة إلى جانب القائد الحِمْيري ابن ذي جُرّة.

ثم جاء بعد ذلك بقليل دوْر داذَويه الذي كان افتخر لدى سكّان صنعاء بأنّه قاتِل الأسود، فقتله بدوره رجل من بني غُطَيْف مثيرا بذلك ردّ فعل مواطنيه

1 - ن.م، III، 262.

2 - البلاذري، فتوح، ص148.

3 - ابن حُبَيش، ص 196-197؛ الكلاعي، ن.م، ص 153.

4 - ابن حبيب، **كتاب أسماء المغتالين**، ص 151-152.

5 - الهمْداني، الإكليل، VIII، 21.

«الأبنـاء» الذين اتهموا قيْسـا بأنّ الاغتيال كان بطلب منه. ولمّا اسـتقدم الخليفة أبو بكر قيسا إلى المدينة بُرّئَ من الجريمة التي نُسِبت إليه فيما يبدو.

وأقـلّ ما يمكن قوله بخصوص رواية الهَمْدَانيّ هذه[1]، أنّ عيْبها يتمثّل في انحيازه البيّن جدّا إلى قيس على حساب «الأبناء» عموما، ويغلب الظنّ أنّ مؤلّف **الإكليل** لم يُرد من خلال نسـبة فضل تصفية الأسود إلى رجل ينتمي إلى قبيلة قيس بن المكشوح المراديّ، أن يقلّل من دور الفرس في المشـاركة في ذلك القتل ومن مساندتهم الثّابتة للدّعوة الإسـلاميّة فقط، بل كان يريد أيضا تغييب تمرّد قيس اللاّحق على السّـلطة المدنيّة تغييبا كاملا، وهو ما يسـميه الطّبريّ بـ«ردّة اليمن الثّانية». بعبارة أخرى، لا تبدو لنـا أيّ من الرّوايتين ذات مصداقيّة كافية لتفسـير الوقائع التي أفضت إلى قتل الأسود، تستوي في ذلك رواية الفَسَوِيّ المنحازة إلى الفرس ورواية الهَمْدانيّ المنحازة إلى اليمنيّين والمناهِضة للفرس.

وما يبدو لنا ثابتا أكثر من غيره بخصوص المؤامرة التي دُبّرت ضدّ القائد العنسيّ، هـو أنّ عدّة أطراف شـاركت فيها، الأبنـاء والوجهاء القبليّون مثـل قيْس المُراديّ، وأذواء حِمْيَر وهمْدان، فضلا عن كلّ الرّجال الآخرين الذين انتدبهم العمّال المسـلمون باليمن لتنفيذها.

فقد طُبّقت بالفعل الخطّة التي رُسِـمت. فتح المتآمرون، مهما كان عددهم، كوّة في الجـدار الخلفـي للغرفة التي كان عبهلـة نائما فيها، وتطرّق منهـا فيروز مجرّدا من سـيفه. ولمّا دخل، سأل امرأةَ الأسود من أيّ جهة يوجد رأس زوجها. فأيقظ حوارهما القائد العنْسيّ، فنهض من فراشـه ورأى فيروزا. وخشي فيروز أن ينادي حرّاسه فارتمى بسرعة عليه- وكان الأسود لا يزال سكرانا- وركّز ركبتين على كتفيه، وجذب رأسـه إلى الوراء وقَصَم عنقه. فقضى الأسـود. ثم خرج فيروز لإعلام أصحابه[2] فقرّروا قطـع رأسـه. وفي الوقت الـذي كانوا ينتزعون فيه رأسـه، خار الأسـود كأنّه ثور ذبيح. حيّر ذلك الخوار الحرّاس فطمأنتهم آزاد قائلا: «إنّ رسـول الله يئنّ تحت وطأة الوحـي النّازل عليه من السّـماء»[3]. وخـرج المتآمرون من كُوّة الجـدار حاملين رأس الأسـود وقضّوا بقية الليل يتشـاورون في مـا ينبغي فعله غدا لإعـلام أنصارهم. ثم

---

1 – الهمْدانيّ، القصيدة الدّامغة، تحقيق م. الأكوع، القاهرة، 1978، ص 360 وما بعدها.

2 – يبيّن الفَسَوي (ن. م، III، 262) أنّ فيروز هو الذي قَصَم رقبة الأسود، في حين تكفّل الفارسي الآخر خُرزاد بن بُزُرج بطعنه بالخنجر، وبذلك يصادق على الرّأي القائل إنّ الأبناء هم الذين دبّروا مقتل الأسود دون مساعدة قادة يمنيّين آخرين.

3 – الطبري، تاريخ، III، 235؛ النويري، XIX، 57؛ ابن الأثير، II، 340؛ البلاذري، ن. م، ص17.

أُذّن للصّلاة باسم الله ورسوله محمّد مع الإشارة إلى أنّ عبْهلة كان كذّابا[1]. وفي غمار حيرة الجنود إزاء هذا الأذان، قُذِف برأس الأسود على الأرض، ممّا أثار فوضى واضطرابا استغلّها الطّرفان لأخذ الأسرى من بين خصومهم. وهكذا أخذ ما لا يقلّ عن سبعمائة أسير من أطفال المسلمين وسبعون من أنصار العَنْسي[2]. ولكن بعد مفاوضات بين شقّي النّزاع وقع تبادل الرهائن واضطُرّ جنود الأسود إلى مغادرة صنعاء، وأخذوا في النّهب والسّلب في جهة واقعة إلى الشّمال بين العاصمة اليمنيّة ونجران[3]، واسترجع العمّال المسلمون مناصبهم ودخلت مدينتا صنعاء والجند من جديد تحت نفوذهم[4]. إلاّ أنّ المتآمرين سرعان ما دخلوا في صراع من أجل السّلطة في صنعاء قبل أن يقرّروا الاتّصال بمعاذ بن جبل لتحكيمه في مسألة إمامة الصّلاة[5]. ومع ذلك لم يهدأ الوضع في الجزيرة العربيّة واليمن لأنّ خبر وفاة محمّد وصل من المدينة، فاندلعت اضطرابات جديدة في كلّ مكان مثيرة حركات ردّة أخرى[6]. وقبل أن ندرس هذه «الرّدّة الثّانية باليمن»، يجدر أن نعرف إلى أيّ مدى كان محمّد قبل موته المحرّضَ على التّمرّد على الأسود.

يعتبر م. واط أنّ هذه الرّواية التي تبنّتها أغلب المصادر الإسلاميّة وحتّى اليمنيّة، قد وضعت لاحقا. قال: «يصعب القول إلى أيّ مدى كان عمّال محمّد مسؤولين عن المؤامرة التي قضت على الأسود»[7]. ونحن مع تسليمنا أنّ حديث مقتل القائد العنسيّ حُرِّر في وقت متأخّر عن وقوع الأحداث، فإنّنا نرى أنّ الرّسول محمّدا عرف كيف يستفيد من الانشقاقات والخلافات التي مزّقت مختلف العشائر اليمنيّة المتناحرة وتمكّن من الفعل بمقتضى ذلك، مشجّعا على إنجاز ما يقضي على خصمه العَنْسيّ. فلا يمكن أن نتصوّر أنّ الأسود الذي تمكّن من بسط نفوذه السّياسيّ

1 - الطبري، تاريخ، III، 235.

2 - الطبري، تاريخ، III، 235 و239. وهو يذكر روايتين: الأولى لجُشَيش تتكلّم عن 700 رهينة، والثّانية لعبد الله بن فيروز تقلّص الرقم إلى ثلاثين فقط.

3 - الطبري، تاريخ، III، 235؛ النويري، XIX، 58.

4 - النّويري، XIX، 58.

5 - الطبري، تاريخ، III، 235؛ النويري، XIX، 58. ابن الأثير، II، 341؛ يرى ابن حُبَيْش (ص197) والكلاعيّ (ص153) أنّ السّلطة سلّمها دَاذَويه وفيروز بعد القضاء على الأسود إلى قيس بن المَكْشوح المراديّ. انظر أيضا: الرازي، ص71-73 و80.

6 - الطبري، تاريخ، III، 323. ابن الأثير، II، 375.

7 - م. واط، محمّد في المدينة، ص156 *E. I., I*, 750.

على جزء كبير من القطر اليمنيّ، قضى عليه أعوانه ومساعدوه الشّخصيّون (قيس وفيروز ودَاذَويْه) دون أن يشارك من قريب أو من بعيد، العمّال المسلمون الباقون باليمن مثل معاذ وفـرْوَة وغيرهما، وكذلك أذواء حِمْيَر وهمدان الذين حافظوا على إخلاصهم لدعوة محمّد، في المؤامرة التي حيكت ضدّ المتمرّد العَنْسيّ، ولو كان الأمر خلاف ذلك لكان من الصّعب تفسير فشل «الرّدّة الثّانية».

وخلاصة القول إنّ انتفاضة الأسود التي دامت بين ثلاثة وأربعة أشهر على أقصى تقدير، انتهت بموت زعيمها في أواخر شهر ربيع الأوّل أو الثّاني عام 11/جوان 632 أي قبل وفاة الرّسول محمّد بخمسة أيّام. هذا وقد وصل خبر مقتل الأسود إلى المدينة بعد مبايعة أبي بكر بعشرة أيّام. فلا يُستغرب إذن اعتبار الأخباريّين المسلمين ذلك أوّلَ فتح للخلافة الجديدة[1].

II-ردّة اليمن الثّانية (11- 12 / 632- 633)

يُوزَّع عمّال محمّد على مختلف مناطق الجزيرة العربيّة وقتَ وفاته كما يلي[2]:

-عتّاب بن أَسِيد: مكّة وقطرها.

-الطّاهر بن أبي هالة: عكّ والأشعريّون.

-عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوْف النّصري : في الطّائف ومنطقتها، الأوّل يهتمّ بالمدن وأهل المَدَر والثّاني يُشرف على أهل الوَبر وأَعْجاز هَوَازن.

-عمرو بن حزم وأبو سفيان بن حرب: نجران ومنطقتها مع تقاسم المسؤوليّات، الصّلاة للأوّل والصّدقات للثّاني.

-خالد بن سعيد بن العاص: المنطقة الواقعة بين رمع وزَبيد إلى نجران.

-عامر بن شهر: همْدان.

-فيروز الدّيلمي وقيس بن المَكْشوح ودَاذَوَيه: صنعاء.

-يَعْلى بن أميّة: الجند.

-أبو موسى الأشعري: مَأْرِب.

-معاذ بن جبل: يعلّم القرآن في جميع أقاليم اليمن.

---

1 -البلاذري، ن.م، ص 148.

2 - انظر قائمة هؤلاء العمّال الذين عيّنهم الرسول في كتاب الطّبريّ، تاريخ، III، 318؛ ابن الأثير، II، 374.

خريطة توزع الأعوان المسلمين في اليمن عند وفاة الرسول محمّد

1: <u>مكة</u>: عتاب بن أسيد

2: <u>الطائف</u>: عثمان بن أبي العاص

مالك بن عوف النصري

3: <u>نجران</u>: عمرو بن حزم

أبو سليمان بن حرب

4: <u>عك وأشعر</u>: المهاجر بن أبي هالة

5: <u>رمع وزبيد</u>: خالد بن سعيد بن العاص

6: <u>همدان</u>: عامر بن شهر

7: <u>صنعاء</u>: فيروز وداذويه وقيس بن المكشوح

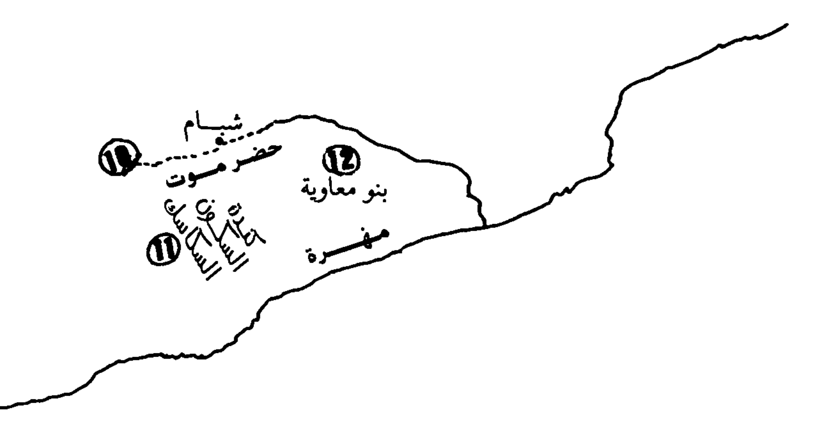
8: <u>الجند</u>: يعلى بن أمية

9: <u>مأرب</u>: أبو موسى الأشعري

10: <u>حضر موت</u>: زياد بن لبيد

11: <u>السكون والسكاسك</u>: عكاشة بن عمرو

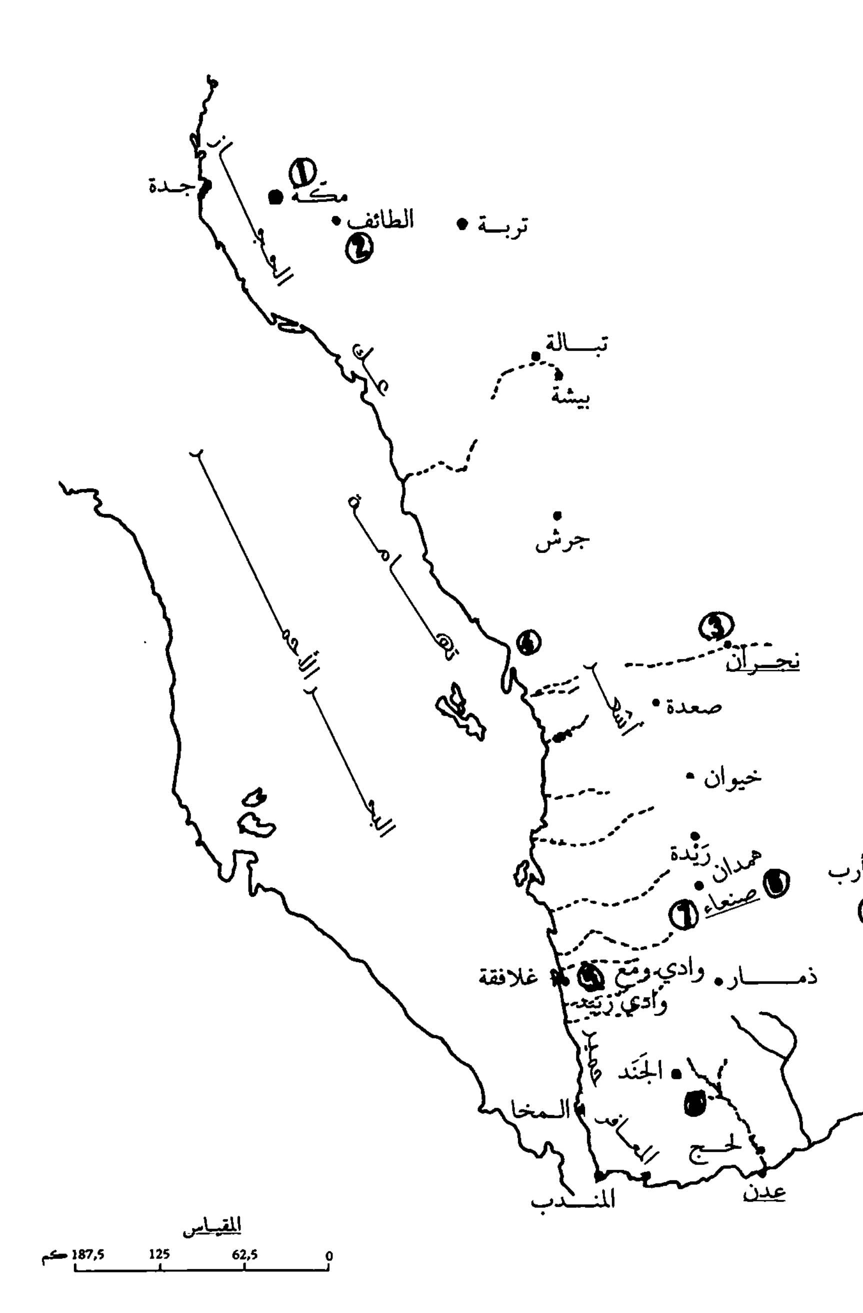
12: <u>بنو معاوية</u>: المهاجر



<u>مفاتيح</u>

◆ : مدن رئيسية

1: مناطق وضعت تحت نفوذ أعوان الرسول محمّد



جدة
مكة
الطائف
تربة
تبالة
بيشة
جرش
نجران
صعدة
خيوان
ريدة
همدان
صنعاء
ذمار
وادي رمع
غلافقة
وادي زبيد
الجَنَد
المخا
لحج
عدن
المندب
المقياس
0
62,5
125
187,5 كم

وأثـارت وفاة محمّد كما ذكرنا أعلاه، حركة تمرّد واسـعة جدّا سـتنتشر في كامل أنحاء الجزيرة العربيّة، مهدّدة بصفة جدّية السّـلطة المدينيّة ومعرّضة الدّعوة الإسـلاميّة للخطر. وينبغي أن نضيف إلى متمرّدي اليمامة (مُسَيْلَمة)، ونَجْد (طُلَيْحة وسَـجَاح) حركات البحريْن (ربيعة)، وعُمان (الأزد)، دون أن ننسى قبائل هَوَازِن وسُلَيْم وغَطَفان وغيرها فضلا عن حركات التّمرّد في اليمن وحَضْرموت وغيرهما[1].

1-الوضع السّياسيّ في اليمن غَداة وفاة الرسول محمّد

إنّ مـا يهمّنـا قبل كلّ شيء هو بالطّبع الوضع الذي كان سـائدا في اليمن غَداة وفاة الرّسول وتصفية الأسود العَنْسيّ الجسديّة.

فقد اندلعت – حسَـب الطّبريّ[2]- عدّة انتفاضات صغيرة في اليمن في نفس الوقت نذكر منها انتفاضة عكّ والأشعريّين في تِهامة، وانتفاضة بَلحارث في نجران، وخثعم وخاصّة قيس بن المكشوح المُراديّ وعمرو بن مَعْدي كِرب الزُّبيْدي.

ووقعت أولى العمليّات في تهامة بين قبائل عكّ والأشـعريّين التي وُضعت في عهد الرّسول تحت قيادة الطاهر بن أبي هالة. وشمل العصيان العامّة (أو التّخارير)، في مقابل الخاصّة، من سلالة عكّ والأشعريّين[3] وهمْدان، وكان موقع التقائها في موضع يسمّى الأعلاب على الطّريق السّـاحليّة. وقد وجّه عامل المنطقة الطاهر بن أبي هالة رسـالة في الموضوع إلى الخليفة أبي بكر. ودون انتظار تعليماته، تمكّن من هزْم المتمرّدين بمساعدة القائد العكّي مسروق ومن بقي من أهل قبيلته على إخلاصهم للإسـلام. وعبّر الخليفة أبو بكر في ردّه على رسـالة عامله الطاهر، عن موافقته على العمليّة العسـكريّة التي وُفّـق في إنجازهـا ضـدّ المتمردّين، وطلب منه في الوقت نفسـه أن يجعـل في الأعْلاب حامية عسكريّة لتأمين الطّريق السّاحليّة الرّابطة بين اليمن والمدينة وحمايتها ممّن نعتهم «بالأخابيث»[4]. ونحن نرى أنّ رسـالة الخليفة هذه لا تَعْدُو كوْنَها تؤكّد الأهمّية التي تُوليها السّـلطة المدينيّة، منذ عهد الرّسـول محمّد، إلى أمْن الطريق السّاحليّة بين الحجاز واليمن، وتشير في الوقت نفسه إلى أنّ أبا بكر يصرّ على تقديم المساعدة اللاّزمة لجميع اليمنيّين الرّاغبين في مواصلة هذه الطّريق دورَها التّجاريّ الذي كان لها من قبل.

---

1 – انظر بخصوص هذا الموضوع إ. شوفاني، ن.م، ص77 وما بعدها.

2 – الطبري، تاريخ، III، 318 وما بعدها.

3 – ن.م، ص320–321، ابن الأثير، II، 375.

4 – انظر الرّسـالة التي وجّهها أبو بكر إلى المتمرّدين (الطبري، تاريخ، III، 250–251)، والتي وجّهها إلى القوّاد المسلمين المكلّفين بالقضاء على انتفاضات الرّدّة (ن.م، III، 251–252).

سكّان نجران[1]:

تقدّر المصادر عدد سكّان نجران بأربعين ألف نسمة من سلالة عشيرة بني الأفعى الذيـن بعثوا إلى المدينة وفدا لملاقاة أبي بكر وتجديـد العهد الذي عقدوه من قبل مع الرّسول محمّد[2].

وبيّن من ناحية أخرى الأخباريّ الأندلسيّ ابن حُبَيْش[3] وكذلك من بعده تلميذه الكَلاَعيّ، أنّ القائد الأصفر العكّيّ أجبر دونَ قتال وبمسـاعدة أهل عشيرته الذين بقوا أوفياء للدّعوة الإسلاميّة، قومَ بلحارث الذين كانوا تنكّروا للإسلام وانضمّوا إلى جيوش الأسود العَنسيّ، على اعتناق الإسلام من جديد والإقامة بنجران.

وأخيرا، ذكر وَثيمة[4] في السّـياق نفسـه الجهود التي بذلها القائدان الحارثيّان عبد الحـارث بـن أَنَس وعُمَيْر بن الحسـين النّجرانيّ لإقناع أهل عشـيرتيهما بعدم التّنكّر لعقيدتهم الإسلاميّة وعدم الانضمام إلى شقّ المرتدّين غداة وفاة محمّد.

تمرّد خثعم[5]:

كان قوم خثعم غير راضين عن تدمير جرير البَجَليّ لمعبدهم ذي الخُلَصة بأمر من الرّسـول محمّد، فحاولـوا إعادة بنائه ولكنّ الخليفة أبا بكر أرسـل إليهم من جديد القائـد البَجَليّ للتصـدّي لهم، فلم يلق صعوبات كبيرة لقمـع تلك الانتفاضة التي وُلدت ميّتة قبل أن يتوجّه إلى نجران.

وذكر الطّبريّ[6] أيضا رسالة بعثها أبو بكر إلى العامليْن عَتّاب بن أَسِيد وعثمان بن أبي العاص يوصيهما فيها بتحصين أراضيهما ضدّ كل تمرّد محتمل، وهو ما يدلّ على أنّ النّظام المدينيّ كان عازما على سَـحق كلّ حركة عصيان مهما كانت دوافعها في جميع نواحي الجزيرة العربيّة واليمن التي كانت تدور في فَلَكه.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 321-322.

2 - انظر رسالة أبي بكر إلى النجرانيّين في كتاب الطّبريّ، تاريخ، III، 321-322؛ م. حميد الله، مجموعة الوثائق...، م. ن، ص 191-192.

3 - ابن حُبَيش، ص201؛ الكلاعيّ، ن. م، ص156.

4 - وثيمة، ن. م، ص34.

5 - الطبري، تاريخ، III، 322؛ ابن الأثير، II، 375.

6 - الطبري، تاريخ، III، 319-320.

2 - تمرّد قيس بن المكشوح

إلاّ أن الانتفاضة الحقيقية التي يَنعتها الطبري[1] بـ «ردّة اليمن الثانية» اندلعت بقيادة القائد المُرادي قيس بن المكْشوح. فقد اندلعت هذه الحركة مباشرة بعد وفاة الرّسول في الوقت الذي كانت فيه إدارة المدينة بأيدي ثلاثي متكوّن من الأبناويّيْن فيروز وداذَويه وقيْس نفسه أي من المتآمرين الثّلاثة الذين شاركوا في المؤامرة الّتي أفضت إلى القضاء على الأسود.

كيف نفسّر تمرّد قيس هذا ولماذا يُنعت بالرّدة؟

تُجمع المصادر الإسلاميّة على أنّ تمرّد قيس هو نتيجة مباشرة لإقرار الخليفة أبي بكر فيروز الدَّيْلميّ عاملا جديدا على صنعاء. ونقل الطّبريّ روايتين لسيف في الموضوع[2]: وَرد في الأولى بكل وضوح أنّ قيْسا ما إن عَلِم بوفاة الرّسول حتى أراد القضاء على القادة الأبناويّين الثّلاثة (فيروز وداذويْه وجُشَيْش). وفعل ذلك دون شكّ ليتفرّد بالحكم في صنعاء. أمّا الرّواية الثّانية التي تبنّاها الأخباريّان الأندلسيّان ابن حُبيْش والكلاعيّ[3]، فإنّها تجعل صلة مباشرة بين تمرّد قيس وتعيين أبي بكر لفيروز عاملا جديدا له على صنعاء.

وابن حبيب[4] هو الوحيد الذي بيّن في حديثه عن مقتل الأسود أنّ قرار قيس بتصفية أصحابه القُدامى فيروز وداذَوَيْه وجُشَيْش جسديّا، أمْلَته عليه رغبته في امتصاص غضب العشيرة العنسيّة وبالتّالي إنقاذ حياته.

فالأمر لا يتعلّق بدوافع التمرّد بل بالنّتيجة المباشرة للقضاء على القائد العنسي كما نرى. بعبارة أخرى إن قيسا خاف على حياته خوفا شديدا بعد مقتل الأسود فأراد التّخفيف من غضب عنس موهما أنّ القادة الأبناويّين هم وحدَهم المسؤولون عن هذا الاغتيال، ومقرّرا معاقبتهم على جرمهم. بذلك أراد أن يصيب هدفين بحجر واحد: عدم جلب عداوة أنصار العَنْسيّ الذين ما يزالون أقوياء وخطِرين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى التّخلّص من منافسين سياسيّين يمثّلون عائقا، فضلا عن كونهم أجانب إذ كانوا من الفرس. فالثّابت أنّ انتفاضته كانت قبل كلّ شيء عملا سياسيّا موجّها ضد السّلطة المدينيّة، أي ضدّ الخليفة أبي بكر ولكن مع بُعْد مناهض للفرس.

---

1 - ن. م، ص323؛ ابن الأثير، II، ص 375.

2 - الطبري، تاريخ، III، 323، ابن الأثير، ن. م. II، ص 376.

3 - ابن حُبَيْش، ن. م، ص 197؛ الكلاعي، ص153.

4 - ابن حبيب، كتاب أسماء المغتالين، ص151.

وينبغي بهذا الصّدد ذكر المراسلة بين أبي بكر ووجهاء حمير وهمْدان من جهة، وقيس وذي الكَلاَع الحِمْيَرِيّ بخصوص مجموعة الأبناء بالذّات من جهة ثانية.

ففي رواية سيف الأولى، ذكر الطّبريّ أنّ الخليفة أبا بكر كتب إلى الأعيان اليمنيّين عُمَير ذي مُرّان، وسعيد ذي زُود، وسُمَيْفع ذي الكَلاَع، وخَوْشب ذي ظُليم، وشهر ذي يَنَف، يطلب منهم أن يحافظوا على إخلاصهم للدعوة الإسلامية، وأن يُؤدّوا الشّعائر الدّينيّة في انتظار أن يُرسل إليهم جنودا، وقال لهم بالخصوص ما يلي: «ساندوا الأبناء ضدّ خصومهم، وساعدوا فيروزا وأطيعوه لأنّي عهدت له بالقيادة»[1].

ومن ناحيته، اتّصل قيس- وقد أُعْلم بهذه المراسلة بين الخليفة والأعيان اليمنيّين المذكورين- بذي الكَلاع وصرّح له ما يلي[2]: «إنّ الأبناء نُزّاع في بلادكم، ونُقَلاَء فيكم، وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم؛ وقد أَرَى من الرّأي أن أَقْتُلَ رؤوسهم وأُخرجهم من البلاد» وبيّن قيس في الرّواية الثّانية أنّ الأذْواء اليمنيّين فضّلوا المحافظة على موقف محايد في هذا الصّراع القائم بين قيس والأبناء، متحاشين في الوقت نفسه مساندة أيّ من الطّرفين وصرّحوا بما يلي: «نحن لا دخل لنا في ذلك، فأنت صاحبهم وهم أهلك»[3] واتّخذ القائد المراديّ قيس هذا الموقف المحايد إثر فشل هذه «المبادرة الدّيبلوماسيّة» لدى قومه اليمنيّين، مقرّرا تصفية حساباته مع الأبناء، فاتصل سرّا بجنود الأسود الذين كانوا مستمرّين في قطع المسالك، ناهبين قاتلين كلّ من يحاول مقاومتهم بأيّ شكل من الأشكال في الجبال الواقعة شمال صنعاء. فأراد أن يضمّهم إلى حركته واقترح عليهم أن يتّحدوا معه ليعملوا جميعا على طرد الأبناء من اليمن ثم اقتسام السّلطة في صنعاء. وحظي هذا المقترح بموافقتهم[4]، وحتّى لا تنكشف مَكيدته تظاهر باستشارة فيروز ودَاذَوَيْه بخصوص ما بدأ يشيع في صنعاء عن وصول وشيك لأنصار العَنْسيّ. وضبط خطّة للتّخلّص من القادة الأبناويّين الثّلاثة[5]. إلاّ أن دَاذَوَيْه هو الوحيد الذي قُتل بمجرّد عودته من ثات إذ كان أوّل من وصل إلى المأدبة التي دُعي إليها مع صاحبيه[6].

1 - الطبري، تاريخ، III، 323.

2 - ن.م، ص 323.

3 - ن.م، ص323.

4 - ن.م، ص 323-324.

5 - ن.م، ص324.

6 - ابن حُبَيش، ص197، والملاحظ أنّ ثات، إمّا أن يكون اسم الرجل (ثات بن ذي الحرّة) الذي تمكّن قيس بن المكشوح، مبعوث الرّسول إلى اليمن، من إقناعه باعتناق الإسلام كما قال البلاذريّ (فتوح، ن.م،

أمّا فيروز وجُشَيْش فإنّهما نُبّها في الوقت المناسب إلى ما كان ينتظرهما لمّا كانا في طريقهما إلى قيس الذي كان في انتظارهما، فتمكّنا من مغادرة صنعاء واللّجوء إلى مرتفعات خَوْلان، تلك القبيلة التي كان فيروز ينتسب إليها من جهة الأمّ[1].

وجاهر قيس بتمرّده على إثر وصول فرسان أنصار العنْسيّ، فغزا مدينة صنعاء ونظم جباية الضّرائب في المنطقة التي دخلت تحت نفوذه. وسانده مجموع القبائل التي اتّصل أبو بكر بقادتها طالبا منهم مساعدة الأبناء، إلاّ أنهم فضّلوا – كما ذكرنا أعلاه – اتخاذ موقف محايد من طرفي النّزاع[2]. فهذا التّوضيح الذي قدّمه سيف يُستنتج منه أنّ حِمْير وهَمْدان وبالطّبع مَذحِج كانت طرفا مناصرا لقيس في التّمرّد الذي قاده ضدّ الأبناء وضدّ العمّال المسلمين باليمن.

وفي الشّق المقابل، نجد الأبناء بالطّبع وكذلك حلفائهم من خوْلان[3] أخوال فيروز، وقبائل أخرى سنعود إليها لاحقا.

ولننظر في مراحل التّمرّد:

وزّع قيس، بصفته حاكم صنعاء الجديد، الأبناءَ ثلاث مجموعات منفصلة، أوّلا مجموعة متكوّنة من جميع الفُرس الذين لم يغادروا مساكنهم ولم ينضمّوا إلى فيروز؛ وهؤلاء لم يشملهم قرار التّرحيل. ثم نجد في المجموعتين الأخريين أقرباء الفرس الذين فرّوا إلى فيروز عند خوْلان، وجُمّع هؤلاء ووجّهوا مَخْفُورين إلى بلدهم الأصليّ، فارس[4]، بعضهم بحرا عبْر عدَن، وهم أهل داذويْه، وبعضهم الآخر برّا، وهم أهل فيروز.

وأوْرد الشّعبيّ[5]، الأخباريّ الكوفيّ من أصل حِمْيريّ (المتوفّى حوالي 105/ 723)، رواية مفيدة جدّا بخصوص إجراء ترحيل «أبناء» اليمن إلى فارس،[6] هذا نصّها:

ص447)، أو اسم إقليم يمنيّ يقع حسب الهمْدانيّ (صفة، ص 188)، في بلَد عَنس الذي كانت تسكنه عدّة بطون: النهديّون، والقَرَويّون، واللمْسيّون، واليَامِيّون. انظر لنفس المؤلّف: **الإكليل**، II، 161 وما بعدها.

1 – الطبري، **تاريخ**، III، 324؛ ابن الأثير، II، 376.

2 – ن.م.

3 – يبيّن البلاذريّ (فتوح، ص 139)، أنّ خولان ارتدّت بعد وفاة الرّسول، إلاّ أنّ الخليفة أبا بكر أرسل إليها فيْلقا مسلّحا يقوده يَعْلى بن مُنيَة الذي تمكّن من إعادتهم إلى الإسلام. هي خولان قضاعة.

4 – الطبري، **تاريخ**، III، 324؛ ابن الأثير، ص 154.

5 – انظر بخصوص عامر بن شُرَحْبيل الشعبيّ، وهو قَيْل حِمْيريّ سابق ابن خلّكان، **وَفَيَات الأعيان**، ط. بيروت، III، 12-16.

6 – ابن حُبيش، ن.م، ص 198؛ الكلاعيّ، ن.م، ص 154.

«باليمن رجلان لو ينْبَغَى لأحد أن يَسْجد لدون الله لسجد: سيف بن ذي يزن الذي طرد الأحباش وقيس بن المكشوح الذي اعتزم إخراج الأبناء من صنعاء، وكان خالد بن سعيد بن العاص في ناحية أرض مراد فسار يَؤُمّ صنعاء».

ولئن كانت هذه الرّواية رواها مؤلّف اشتهر في الكوفة بعدائه للموالي (أي غير العرب) وبالتّالي ليس جديرا بالثّقة، إذ «الأبناء» لم يُرحّلوا قطّ من اليمن. وحتّى لو بدت لنا موضوعة بعد الأحداث، فإنّ لها على الأقلّ فضل الإلحاح على طبيعة تمرّد قيس المُعادي للفرس، وهذا ما لم يبيّنه م. واط[1] بكلّ وضوح في دراسته عن «ردّة اليمن الثّانية» هذه.

كيف تفاعل فيروز مع قرار قيس ترحيلَ أهل بلده من اليمن؟ وكيف كان موقف السّلطة المدينيّة من هذا التّمرّد المفتوح لقيس وحلفائه بين كتلة القبائل اليمنيّة؟

أمام الخطر الذي كان يهدّد أهل بلده وأقاربه أرسل فيروز مبعوثين، الأوّل إلى بني عُقَيْل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والثّاني إلى عكّ، طالبا من القبيلتين أن تقدّما له المساعدة اللاّزمة لمواجهة قيس وأنصاره، وأن تعملا على تخليص الأبناء الذين حُشروا في مراكب قصد ترحيلهم من اليمن مخفورين[2]. فاستجابت القبيلتان لندائه، بنو عُقَيل بقيادة واحد من مواليهم يُدعى معاوية[3]، وعكّ بقيادة رئيسها مسروق[4]، فلاحقتا فرسان قيْس وحرّرتا «الأبناء» الذين كانوا بصدد التّرحيل إلى فارس.

وكافح المتمرّدون أيضا أبو بكر الذي بمجرّد أن أعلمه فيروز باندلاع حركة قيس، كلّف عامليه الطاهر بن أبي هالة والقائد العكّيّ مسروق بنجدة فرس صنعاء ضدّ خصومهم[5].

وكان القائد الأبناويّ مدعوما بالفرق العسكريّة التي جمعها حين كان لاجئا عند خولان، فأضاف إليها التّعزيزات التي أرسلها إليه بنو عُقَيْل وعكّ وتمكّن من

1 - كتب م. واط (محمّد في المدينة، ص 157) في هذا الموضوع: «لم يكن هروب الأبناء من قيس ناتجا عن موقفه المناهض للفرس بل عن معارضته لمحمّد وللإسلام.

2 - الطبري، تاريخ، III، 325؛ ابن الأثير، II، 377.

3 - الطبري، تاريخ، III، 325.

4 - ن.م، ص 326.

5 - ن.م، ص 328.

مباغتــة قيس وحلفائه من قبائل اليمن أمام صنعــاء، وكبّدهم هزيمة ثقيلة وأجبرهم على الانسـحاب والانتشـار في المنطقة التي كانت معقل جند الأسـود والواقعة بين العاصمة اليمنيّة ومدينة نجران[1].

إلاّ أن حركة قيس لم يُقْضَ عليها إلاّ بعد وصول فرسان المهاجر بن أبي أميّة الذي انطلق من مكّة وسحق عند عبوره الطّائف ثم نجران اللّحْجيّة (وهو الإسـم الذي يطلق على جنود الأسـود القدامى) ومزّقهم إربا إربا في بلدة «عجيب» وعلى طريــق الأخابيث[2] قبل أن يدخل مدينة صنعاء حيث توقّف ليعلم الخليفة بما فعل وينتظر تعليماته الجديدة. وينبغي أن نلاحظ مع ذلـك أنّ السّـلطة في صنعاء آلت إلى فيروز إثر هزيمــة قيس الذي اعتقل وأرسـل مقيّدا مـع صاحبه عمرو بن مَعْدي كِـرِب إلى المدينة ليحاكمه أبو بكر.

فكيـف كان موقف القبائل اليمنيّة الأخرى (زُبَيد وهمدان وحِمير) من السّـلطة المدينيّة غداة وفاة الرّسول وتولية أبي بكر؟

3 - موقف زُبيد وهمدان وحِمْير

زُبَيْد

ترى المصادر أنّ قبيلة بني زُبيد انشـقت منذ اندلاع تمرّد الأسـود إلى شقّين أحدهما مناصر للسّـلطة المدينيّة والثّاني من خصومها، ففي شقّ المناهضين للدّعوة الإسلاميّة، نجد بالخصوص القائد عمرو بن معْدِي كرِب الذي كان مناصرا للأسـود العَنْسيّ وممثّـلا له – كما بيّنّا – لدى مراد وبني زُبيد، مزيحا منافسـه مـن أهل قبيلته فروة بن مُسَيْك الذي بقي مخلصا لمحمّد.

ويبدو –حسـب الطّـبريّ[3]- أنّ عَمْرا، كان قبل أن يلتحـق بأصحاب العنسيّ في معقلهم الواقع في الجبال شـمال صنعاء، مع خالد بن سعيد بن العاص، ولكنّه تخاصم معه وترك له راكبته وسيفه الشّهير «الصّمصامة».

---

1 - ن.م، ص 326.

2 - ن.م، ص326.

3 - ن.م، ص328-329؛ ابن الأثير، II، 377.

ويضيف ابن حُبيش والكلاعيّ من ناحية أخرى[1]، أنّ عَمْرا وأهل قبيلته الزُبَيْديّين الذين تبنّوْا قضيّته، هزمهم خالد بن سعيد، وكان على رأس جيش يتكوّن من جميع عناصر مُراد ومَذْحِج الذين بقوا مخلصين للدّعوة الإسلاميّة. وأسَر خالد في المعركة نساءً زبيديّات كثيرات منهنّ زوجة عمرو، المدعوّة جلالة، وأرغم بصفته منتصرا خصومَه بني زُبيد على اعتناق الإسلام من جديد والاعتراف بالسّلطة المدينيّة.

وفي الشقّ المقابل أي أنصار المسلمين، نذكر بالاعتماد على وثيمة[2] إسْمي الوجيهين عمرو بن فُضَيْل وعمرو بن الحجّاج اللذين نذكّر أنّهما كانا عضوي الوفد الذي ذهب إلى المدينة في حياة محمّد لإعلامه بقبولهم الإسلام وبخضوعهم لسلطته. ولم يتميّز هذان القائدان الزُّبَيْديّان بإخلاصهم للدّعوة الإسلاميّة فحسب بل أيضا بمناهضتهم البارزة لردّة أحد رجال قبيلتهم عمرو بن معدِي كرِب وبدعوتهم المتكرّرة بني زُبَيد للامتناع من إنكار عقيدتهم ومن الرّدّة. ومهما كان الأمر فإنّ الانشقاق في صلب قبيلة بني زُبيد بين أنصار عمرو والمخلصين للإسلام انتهى بهزيمة المرتدّين وخضوع قادتهم. ولنا بخصوص هذه النّقطة الأخيرة شهادة ثمينة رغم أنّ المصادر العربيّة بالأندلس[3] قدّمتها في شكل نادرة، ذُكِر فيها أنّ القائد الزّبيديّ عمرا الذي أُعْلم بوقوع زوجته جلالة سبيّة لدى خالد بن سعيد أثناء المعركة التي خسرها أهل قبيلته، أراد أن يستعيدها ويسألها عن معاملة المسلمين لها. ولمّا أجابته أنّ عقيدة خالد تمنعه من المسّ بشرفها وأنّ المسلمين أحسنوا معاملتها، اقتنع عمرو بصدقِ ديانةٍ تعامِلُ السّبايا بتلك الطّريقة وذهب لملاقاة القائد المسلم ليُعبّر له عن خضوعه له وفي الوقت نفسه إعلامه باعتناق الإسلام. وأهدى عمرو خالدا عند عودته إلى المدينة سيفه «الصّمْصامة» تعبيرا عن شكره له.

وللطّبريّ رأي آخر في نهاية ردّة عمرو وبني زُبَيْد. فقد ذكر عن رواية لسيف نقلها السَّرِيّ[4] أنّ قيس بن المكشوح، فضّل التّحوّل إلى عمرو بن مَعْدِي كرِب حتّى لا يقع في قبضة عِكْرِمة بن جهل الذي أرسله الخليفة أبو بكر إلى اليمن لقتال المرتدّين. إلاّ أنّ القائدين سرعان ما اختصما، فكان عمرو يعيب على قيس خيانته

1 - ابن حُبَيش، ن.م، ص 201-202؛ الكلاعي، ن.م، ص 157.

2 -**وثيمة**، ن.م، ص 32.

3 -ابن حُبيش، ن.م، ص 202؛ الكلاعي، ن.م، ص 157-158؛ انظر أيضا بخصوص السّيد الزّبيديّ عمرو بن معدي كَرِب: القالي، **ذيل الأمالي**، I، 144-147؛ يدقّق المؤلّف (I، 147) أنّ عمرا ابن خالة السّيد التّميميّ الزبرقان بن بدر.

4 -الطبري، **تاريخ**، III، 327-328.

الأبنـاء وقَتْلَ أحد وجهائهم دَاذَوَيْه وفراره مـن جيوش فيروز، في حين دافع قيس عن نفسه مستشهدا بالإخلاص في خدمة قبيلته مُراد من خلال مشاركته في الكفاح ضد الفـرس معتبرا بذلك أنّ تمرّده كان قبل كلّ شيء حركـة مُناهضِة للفرس. وفي النّهاية فارق عمرو قيسـا متجها إلى القائد المسلم المهاجر طالبا مغفرته. فاعتقل المهاجر قيسا وعَمْرا وأرسلهما مُقيّدين إلى المدينة حيث أنّبهما بشدّة الخليفة أبو بكر على تمرّدهما على الإسلام ثم عفا عنهما وأعاد كلاّ منهما إلى قبيلته[1].

ومـن الواضح جدّا أنّ هـذا الاختلاف الحادّ بـين رواية الطّـبريّ ورواية المصادر العربيّة بالأندلس بخصوص نهاية تمرّد قيس بن المكشوح وعمرو بن مَعْدِي كَرِب، لا ينبغي أن يمنعنا من التّنبيه في نهاية التّحليل إلى وجود انشـقاق لا رَيْب فيه في صلب قبيلتـي زُبَيْد ومـراد بين خصوم الدّعوة الإسـلاميّة وأنصارها، وهو انشـقاق نرى أنّ أعوان النّظام المدينيّ مثل خالد والمهاجر وفيروز وغيرهم استغلّوه جيّدا لدعوة الجميع إلى التعقّل ولإرجاع سلطة الخليفة على القبيلتين المعنيّتين.

همدان

يبدو – حسب وثيمة-[2] أنّ بني همدان، لمّا بلغهم نَبَأ وفاة الرّسول محمّد، أرسلوا إلى المدينة وفدا يضمّ بالخصوص عبد الله بن سلَمة للتّعبير للخليفة أبي بكر عن أساهم ومشاركة المسـلمين عَزَاءهم. وقيل إنّ بعض عناصر القبيلة الذين نُعِتوا بالسُّفَهاء كانوا يعتزمون التنكّر للإسلام، إلا أنّهم سرعان ما تخلّوا عن ذلك، بفضل ما قام به بعض الوجهاء مثل مُرّان ذي عُمَيْر بن ذي مُرّان الهمْدانيّ ومِشعر بن ذي مِشْـعَل الهَمْدانيّ[3] بل إنّ مشـعرا، «ملِكَ ناحيته»[4]، أرسـل إلى الخليفة أبي بكـر مبعوثا يُدعى مـسروق بن ذي حرب الأرْحَبيّ (من عشـيرة أرحب) ليُطمئنه بخصوص إخلاص أهل قبيلته للإسـلام. ويقـرّ الطّبريّ موقف همْدان هذا المُخلص للإسلام ذاكرا مراسلة بين الخليفة أبي بكر وبعض وُجهاء هَمْدان مثل عُمير بن أفْلح ذي مُرّان وسـعيد بن العاقب ذي زود، وقعت وقت انتفاضة قيس المُرادي[5].

---

1 – ن.م، ص 329-330.

2 – وثيمة، ن.م، ص 29.

3 – ن.م، ص 31.

4 – ن.م، ص 31.

5 – الطبري، تاريخ، III، 323.

حِمْير

لم يكن إخلاص حِمْير للدّعوة الإسلاميّة – حسب المصادر الإسلاميّة- محلّ شكّ قطّ سواء وقتَ تمرّد الأسود أو غداة وفاة محمّد.

فقد ذكر وثيمة[1] أنّ مبعوث حمير المدعو زرعة بن أبي عقبة، وصل المدينة بعد وفاة الرّسول حاملا رسالة من قبيلته إلى الخليفة أبي بكر. وألحّ المؤلّف نفسه[2] أيضا على أنّ خبر وفاة محمّد الذي وصل عن طريق شخص يُدعى أحوذ بن إيّاد الأزديّ إلى حمير، تلقّته القبيلة بكثير من الحزن والأسى وهو ما يترجم عن شدّة تمسّكها بالإسلام وبالسّلطة المدينيّة. وذكر الطّبريّ من جهته، نقلا عن رواية لسيف[3]، أنّ القائد المسلم عِكْرِمة بن أبي جهل الذي كان يقود فرق الجنود المنتدبين من قبائل عربيّة مختلفة (مَهرة، وسعد بن زيد، وناجية، وعبد القيس وهمّدان وبنو مالك بن كِنانة وعمرو بن جندب من الأنبار)، توقّف عند وصوله إلى اليمن، قادما من مَهرة، بأبْين حيث تأكّد على عين المكان من موقف النَخَع، وهي عشيرة من مَذْحِج، وموقف حِمير الشّديد الإخلاص للإسلام. ولا نَنسى التنصيص أيضا على أنّ عديد الوجهاء من حِمير كذي الكَلاع وذي ظُلَيْم رفضوا عندما ظهر تمرّد قيس بن المكشوح أن ينحازوا إلى شقّ القائد المُراديّ في القتال ضدّ الأبناء[4]، حلفاء النّظام المَدينيّ، مفضلين ملازمة موقف محايد في صراع كانوا يعتبرونه غريبا جدّا عن اهتماماتهم.

ومهما كان الأمر، فإنّ حمير، وكذلك همْدان والنَخَع ودَوْس والأبناء كانوا جميعا من اليمنيّين الذين ظهروا بمناسبة اندلاع حركات «الرّدّة» في بلادهم (حركات الأسود وقيس وغيرهما...) أكثرَ النّاس إخلاصا للدّعوة الإسلاميّة.

خاتمة

إنّ حركة قيس بن المكْشوح المُراديّ التي تبدو أهمّ حركة من بين كل الانتفاضات التي اندلعت في اليمن بعد وفاة محمّد، تمثّل في نظرنا تمرّدا سياسيّا موجّها ضدّ الأعوان المدينيّين وحلفائهم في اليمن أي الأبناء ممّا جعلها ذات طابع مناهض

1 - وثيمة، ن.م، ص 32.

2 - ن.م، ص 32.

3 - الطبري، تاريخ، III، 327.

4 - ن.م، ص 323.

للفـرس بلا منـازع، كما تمثل «ردّة» بالمعنـى الدّينيّ للكلمة. وهـي امتداد منطقيّ لحركة الأسود التي كانت هي الأخرى محاولة فاشلة لتحرير اليمن من النّيْر الأجنبيّ أي الفرس المتحالفين مع المدينة، رغم أنّ انتفاضة العنسيّ كانت أحسـن إحكاما في الجانب المذهبيّ، وأكثر خطورة بالنّسبة إلى الدّعوة الإسلاميّة وإلى بقاء النّظام المدينيّ قائما. وهذا لا يمنع من أنّ هذه الانتفاضة فشـلت فشـلا ذريعا، وأنّ هذا الفشل كان مُتَوَقّعا نظرا إلى طبيعتها وخصوصيّتها ومراحلها.

وقد تميّز رهان هذه الانتفاضة بخصائص جعلت المسلمين، وعلى رأسهم أبو بكر لا يقدرون على التّهاون بها. إلاّ أنّ إخلاص كثير من القبائل والعشـائر والأعيان من سلالة حِمْير وهمْدان والنّخَع ودَوْس وبَلحارث وعكّ والأزد ساعد نظام المدينة كثيرا على القضاء عليها.

III-ردّة كندة في حضرموت (11-12/632-623)

ولإدراك أسـباب حركـة الرّدّة في حضرمـوت[1] وتطوّرها ونهايتها، سـنذكر تِباعا رواية المصادر الإسـلاميّة القديمـة والمتأخّرة، ثم رواية الأخبـاريّ الكوفيّ ابن الأعثـم، وهي أكثر تفصيلا، مُحاوِلين أن نرى ما بينها من تكامل ونقارن بين مختلف المعلومات التي تتضمّنها الرّوايتان.

1 - رواية المصادر العربيّة القديمة والأندلسيّة

يبدو حسب رواية سيف بن عمر[2] أنّ قبيلة كندة ارتدّت في حياة الرّسول وساندت الأسـود حتّى أنّ محمّدا وبّخ ملوكها الأربعة (جَمَد ومِخْوَس ومِشْرَح وأبْضَعة) سـليلي وليعـة، وهي عشـيرة تنتسـب إلى بني عمرو بـن معاوية بن كندة، قيـل إنّهم كانوا يملكون أودية في حضرموت[3]. وكان بنو معاوية بن كندة أدّوا سنة 10 هـ زيارة إلى الرّسول في المدينة وبايعوه وأعلنوا له اعتناقهم الإسلام.

---

1 - انظر بخصوص ردّة كندة في حضرموت: الطبري، تاريخ، III، 330-342؛ البلاذري، فتوح، ص 139-145؛ اليعقـوبي، تاريخ، II، 132؛ ابن الأعثم، كتاب الفتوح، I، 55-87؛ العسـكريّ، كتـاب الأوائل، III، 50-53؛ ابـن الأثـير، II، 378-382؛ ابـن أبي حديد، شرح نهج البلاغـة، I، 292-297؛ ابن حُبَيـش، ن.م، ص 205-222؛ الكلاعيّ، ن.م، ص 159-173؛ ياقوت، معجم البلدان، II، 269-272؛ العَلَوي، تاريخ حضرموت، I، 146-157

2 - الطبري، تاريخ، III، 330؛ ابن الأثير، II، 378.

3 - ياقوت، مُعجم...، II، 269.

وربط الطّبريّ هذه الردّة مباشرة بمشكلة الصّدقات. وينبغي التّوضيح بخصوص هذا الموضوع أنّ الرّسـول، كان قرّر إثر تلقّيه إعلانَ كندة وحضرموت إسلامَهما، أن يعطي جزءا من الصّدقات إلى حضرموت والسّكون. وكان يهدف من وراء هذا الإجـراء إلى توحيد مختلف القبائـل القاطنة نفسَ المنطقة التّرابيّة في حضرموت. إلاّ أنّ بني وليعة، العشـيرة التّابعة لبني عمرو بـن معاوية من كندة، كانوا صرّحوا – دائما حسب رواية سيف – أنّهم يفضّلون، نظرا إلى أنّهم لا يملكون دوابّا لحمل الصّدقات إلى مسـاكنهم، أن يقبل الحضرميّون تسـليمها إليهم في مكان سكناهم. وقد وعد هؤلاء الرّسـول – فيما يبدو – بالاسـتجابة إلى هذا الطّلـب إذا تبيّن أنّ بني كندة لا يملكون فعلا دوابّا.

وإثر وفاة الرّسـول اتّصلت كندة بعامل حضرمـوت زياد بن لبيد لتطلب منه أن يُوصِل جزءًا من صدقات الحضرميّين إلى موطنهم؛ لكن هؤلاء أجابوهم بأن يوصلوها بأنفسهم بما أنّهم كانوا يمتلكون الدّواب. عند ذلك اتّهم بنو كندة زيادا بانحيازه إلى الحضرميّين وبعدم احترامه للوعود التي كانوا قطعوها للرّسول، فعادوا إلى ديارهم ولَزموا موقف التّرقّب «مقدّمين رجلا ومؤخّرين أخرى»[1]. ذلك هو السّـبب المباشر لردّة كندة حسـب رواية سيف. والملاحظ أنّ المصادر العربيّة بالأندلس (ابن حُبَيش والكَلاعـيّ) تذكر رواية الواقـديّ[2] التي تنصّ على أنّ محمّدا مَنَح بني وليعة هبة من محاصيل حضرموت الزّراعيّة بمناسبة زيارتهم المدينة سنة 630/9.

كيف تطوّرت الأمور بعد ذلك؟

1 - الطبري، تاريخ، III، 331؛ ابن الأثير، II، 379.

2 - ابن حُبيش، ن. م، ص 205. حسـب ابن أبي حديد (شرح، I، 293-294)، امتنع بنو وليعة بمناسـبة زيارتهم مكّـة للقيام بمناسـك الحجّ، من نصرة الرّسـول الذي كان في ذلك الوقت يواجـه معارضة قريش له؛ ثم اعتنقوا الإسـلام على غرار القبائل الأخرى ببلادهم وتلقّوا من الرّسـول هبة اقتطعها من صدقات حضرموت. ولكنّ الوالي زياد بن لبيد رفض تسليمهم ذلك الجزء من الصّدقات الذي وعدهم به الرّسول، فبعثوا وفدا إلى المدينة للتّشـكّي لدى محمّد من تصرّفه. وكتب زياد من ناحيته إلى محمّد للتّشـهير بتصرّفهم. ويبدو أنّ محمّدا وبّخهم شـديد التّوبيخ وهدّدهم بأن يرسـل إليهم إذا تمادوا في عصيانهم، عليّا لإعدام مقاتليهم وسـبي نسـائهم وأطفالهم. وتسـلّمهم وقت عودتهم إلى حضرموت رسـالة إلى زياد، ولكنّهم وصلوا إلى بلادهم بعد وفاة محمّد. وهكذا ارتدّ بنو وليعة، وصبغ بعض نسائهم (بغايا) أيديهنّ بالحنّاء وغنّيْن أمام الجميع مبتهجات احتفالا بموت محمّد تلك هي رواية ابن أبي حديد لردّة كندة. وقد روى كذلك مؤلّف شرح البلاغة الذي لم يكن يخفي انحيازه للشّـيعة وبالخصوص لعليّ، عن ابن حبيب، إنّ إسـلام بني وليعة كان هشّا وأنّ ردّتهم كانت متوقّعة حتّى في حياة محمّد (ن. م، I، 294).

نلاحظ بادئ ذي بَدْء أنّ منطقة حضرموت كانت وقتَ وفاة الرّسول محمّد[1] مقسّمة بين عُمّالٍ ثلاثة هم: زياد بن لبيد البيّاضيّ قائما بشؤون قبيلة حضرموت وعكاشة بن مِحْصَن على رأس السّكاسك والسّكون، وأخيرا المهاجر بن أبي أميّة عاملا على كندة. إلاّ أنّه في الوقت الذي عُيّن فيه عاملا على كندة، كان المهاجر مريضا في المدينة، ففوّض إلى زياد أن ينوبه مؤقّتا، ولم يتمكّن من الالتحاق بمنصبه إلاّ بعد وفاة محمّد وتولّي أبي بكر خلافته، وتحديدا وقت اندلاع ردّة كندة. بعبارة أخرى، اندلعت ردّة كندة في الوقت الذي كانت فيه هذه القبيلة تحت نفوذ زياد بن لبيد. فانكبّ زياد على جمع الصّدقات منها بنفسه، وكانت توظّف على الماشية والخيل والنّوق المسِنّة وكذلك على الدّروع والمحاصيل الزراعيّة[2]. وذكر ابن حُبَيْش والكَلاعِيّ أنّ أبا هند مولى بني بيّاضة، أُرْسِل إلى حضرموت حاملا إلى زياد رسالة هذا نصّها[3]:

> «بسم الله الرّحمان الرّحيم من أبي بكر خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى زياد بن لبيد: سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو.
>
> أمّا بعد،
>
> فإنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم توفّي، فإنّا لله وإنّا لله راجعون، فانظر، ولا قوّة إلاّ بالله، أن تقوم قيامَ مثلك وتبايعَ من عندَك، فمن أبى وطئته بالسّيف، وتستعين بمن أقبل على من أدبر، فإنّ الله مُظهِر دينه «على الدّين كلّه ولو كره المشركون»».

فهذه الرّسالة إذن، تتضمّن تعليمات دقيقة موجّهة إلى زياد الذي قرأها على الحضرميّين المجتمعين في مسجد تَريم للصّلاة. فأثارت بين الحاضرين موقفين متباينين : موقف الوجيه الكنديّ امرئ القيس بن عابس الذي حثّ القائد الأشعث على مبايعة الخليفة الجديد على يدي زياد أمام الجميع حتى يكون قُدوة لأهل قبيلته[4]. وموقف الأشعث السّلبيّ الذي لم يكتف بالتّصريح بأنّ «قبائل الجزيرة العربيّة الأخرى عادت

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 330؛ ابن الأثير، II، 378.

2 - ابن حُبَيش، ن.م، ص205؛ انظر بخصوص زياد بن لبيد: ابن سعد، **طبقات**، III، 598؛ ابن حزم، ص.356-357، ابن عبد البرّ، **الاستيعاب**، II، 533-544؛ ص العَلَوي، I، 135-136.

3 - ابن حُبَيش، ن.م، ص 206؛ الكلاعي، ن.م، ص 159-160.

4 - ابن حُبَيش، ص 206-207؛ ابن حزم (ن.م، ص 428-429) وهو يبيّن أنّ هذا الوجيه (امرؤ القيس بن عَبيس بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن الحارث بن معاوية بن ثور بن معاوية بن كندة) ينتمي إلى عشيرة بني الحارث بن معاوية.

إلى ســالف معتقداتها» وأنّ بني كندة القاطنين بعيدا جدّا عن المدينة كانوا يخشــون العامل المسلم زيادا»، بل تجرّأ على مطالبة أهل قبيلته بالامتناع عن تسليم الصّدقات إلى مبعوثي المدينة في انتظار تطوّر الأحداث. عموما، هذا موقف يقوم على التّرقّب ويلتقي مع الموقف الذي اتّخذته بعض القبائل العربيّة غداة وفاة محمّد.

كيف كان موقف زياد إزاء هذا الوضع؟

تلـح المصادر بالخصوص عـلى أنّ زيادا فضّل انتظار وصــول المُهاجر إلى حضرموت قبل أن يشرع في اســتعمال القوّة ضدّ كندة وبالخصوص ضدّ بني وليعة المتردّدين، وقرّر مـع ذلـك أن يعمد إلى جمع الصّدقات مــن بني عمرو بن معاوية[1] فذهب إلى بســاتينهم وأمســك بناقــة على ملك رجــل اختلفت الآراء في إســمه[2] وقيّدها ثم وَسَــمها بخاتم الصّدقــة (هذا نصيب الله). ولكن تبيّن أنّ الدّابّة لم تكن على ملك الشّــابّ الخاضع للأداء (شــيطان بن حُجْر حســب ســيف) بل على ملك أخيه العدّاء[3]. فاقترح على زياد أن يســلّمه مكانها ناقة أخرى، وهو اقتراح رفضه العامل المســلم متّهما الرّجل الكنديّ بالتّحيّل وبعدم احترام تعاليم الإســلام[4]. وأثار هذا الحادث رغم بساطته خصومة كبيرة بــين زياد الــذي رفض إرجاع النّاقة الموســومة بخاتم الصّدقة، وبين أهل عشــيرة العدّاء وخاصّة منهم أبو السُّمَيْط حارثة بن سُراقة بن مَعْدِي كـرِب[5]. وتمكّن العدّاء من تحرير الدّابّــة، رغــم معارضة العامل المدينيّ، ســاخرا أمام عموم النّاس مــن خصمه في أبيات ذكرها الطّبريّ. وردّ حلفاء زياد من شــباب حضرموت الفعل فاعتقلوا حارثة وشيطان والعــدّاء بني حُجر وحجزوا النّاقة من جديد. أمّا بنــو معاوية فإنّهم هبّوا جميعا لنُصرة من اعتقلهــم زياد من أهل عشــيرتهم[6]، وصار الطّرفان عمليّا على أهبة الحــرب. فَأَوْعَز إليهم زيــاد بإلقاء السّــلاح والدّخول في طاعته، ولكنّ بني معاويــة رفضوا أن يخضعوا له قبل

1 – الطبري، تاريخ، III، 331.

2 – هو عند الطّبري (تاريخ، III، 331) شَــيْطان بن حُجر، في حين أنّ الفتى في نظر ابن الأعثم (كتاب الفتوح، ص57) يسمّى زياد بن معاوية القَشيريّ.

3 – الطبري، تاريخ، III، 331.

4 – ن.م، انظر أيضا : ابن أبي حديد، شرح، I، 294.

5 – الطــبري، تاريخ، III، 332، انظــر بخصوص حارثة بن سُراقة بن معدي كــرب بن وليعة بن شُرحبيل بن معاوية بن حجْر الحارث الولاّدة: ياقوت، معجم، II، 269-271. يرى البلاذريّ (فتوح، ص140) أنّ الأشعث هو الذي طلب من زياد أن يعيد النّاقة الموســومة بخاتم الصّدقة إلى صاحبها، ولكنّ موقف العامل المدنيّ المتشدّد والصّارم أثار تمرّد بني كندة، باستثناء السّكون الذين بقوا مخلصين للإسلام.

6 – الطبري، تاريخ، III، 333؛ ابن الأثير، II، 380.

استرجاع أسراهم الثلاثة. وفي نهاية الأمر عمل زياد بنصح حلفائه من السّكون، فهاجمهم ليلا وقتل الكثير منهم مُجبرا البقيّة على الاستسلام، ثم أطلق سراح الأسرى. كان ذلك يوم النّاقة[1]. وعند عودة هؤلاء الأسرى إلى ديارهم، قرّر بنو معاوية بعد التّشاور أنّه لم يعد في استطاعتهم أن يقيموا في نفس الفضاء الذي يقيم به خصومهم (السّكون وحضرموت)[2]، وأنّ عليهم أن يتوقّفوا عن دفع الصّدقة. وتوصّل طرفا النّزاع، بفضل المساعي الحميدة التي قام بها الحُسين بن نُمَير السَّكُونيّ[3]، وقد أرسله زياد إلى كندة لهذا الغرض، إلى الاتّفاق على عدم القتال. كان ذلك يوم النَّفْرة الثّانية[4].

ثم تسارعت الأحداث بخروج بني عمرو بن معاوية وخاصّة منهم رؤساءهم الأربعة جَمد ومِخْوَس ومِشْرح وأبْضَعَة وأختهم العَمَرَّدة[5] وكذلك بنو الحارث بن معاوية[6]، منهم الأشعث بن قيس والسّمط بن الأسود[7]؛ خرجوا جميعا ليختفوا في مَهاجرهم. واتّفق جميع بني معاوية (أي بنو عمرو وبنو الحارث على حدّ سواء) على التوقّف عن دفع الصّدقة وعلى الرّدّة باستثناء شُرَحْبيل بن السّمط وابنه، وامرئ القيس بن عَبِيس وكذلك ابن صالح. وقد حاول هذان الأخيران حضّ أهل قبيلتهما على وضع حدّ لردّتهم والعودة إلى إيمانهم، ولكن دون جدوى. عند ذلك التحقا بصفوف المسلمين. بل يبدو أنّ ابن صالح وامرئ القيس نصحا زيادا بمباغتة بني معاوية ليلا قبل أن يَصِلهم المَدَد من العناصر المتفرّقة من السّكاسك والسّكون وحضرموت نفسها[8]. فهاجم زياد فعلا بني معاوية بمساعدة أنصاره لمّا كانوا متحلّقين حول نيرانهم في مخابئهم المحصّنة؛ وتمكّن بالخصوص من قتل رؤساء بني عمرو الأربعة وأختهم العَمَرَّدَة وكثير من الرجال الآخرين من أهل قبيلتهم مجبرين البقيّة على الفرار؛ ثم

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 333.

2 - ن.م.

3 - ن.م.

4 - ن.م.

5 - الطبري، تاريخ، III، 334؛ ابن الأثير، II، 380؛ البلاذري، فتوح، ص 140.

6 - يبيّن ابن حزم (ن.م، ص 428)، أنّ هؤلاء الملوك الأربعة (بمعنى رؤساء قبائل) هم من سلالة بني معدي كرب، وهي عشيرة تنتمي إلى بني الحارث بن معاوية، وأنّ كلاّ منهم كان يمتلك واديا في حضرموت.

7 - انظر بخصوص السّيّد الكندي الأشعث ابن حزم، جمهرة، ص 426؛ البلاذري، أنساب الأشراف، I، 456-458؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب، I، 133-135 ابن أبي حديد، شرح...، I، 291-292؛ ياقوت، معجم، II، 270-271؛ E. I., I, 718. انظر بخصوص شرحبيل بن الصِّمت بن الأسود بن جَبَلة، من عشيرة بني الحارث بن معاوية، وكذلك ابنه الصِّمت: ابن حزم، ن.م، ص 426.

8 - الطبري، تاريخ، III، 334؛ ابن الأثير، II، 380.

توجّـه إلى مخيّم بني الحارث ومعه الغنائم والأسرى[1]. وعند مرورهم أمام ذلك المخيّم، صاحت سبيّات بني عمرو لتنبيه القائد الكنديّ الأشعث بن قيس وطلبن منه خاصة أن يحرّرهن من الأسر. وكان ذلك حسـب سيف الحلقة التي تميّزت بتحرير أسرى بني عمرو من قِبل أبناء أعمامهم بني الحارث بقيادة الأشعث بن قيس.

واتّخذ الصّراع بعدا جديدا بعد أن قرّر الأشـعث، بدافع وعيه بالخطر الذي كان يتربّص به وبقومه، أن يجمع بني عمرو وبني الحارث وكذلك كلّ من ينتسـب إلى السّكاسك وجيرانهم الذين قبلوا الدّخول في طاعته[2]، ليجابهوا تحت قيادته خصومَهم الملتفّين حول زياد. ويبدو – حسب رواية للمدائنيّ نقلها العسكريّ[3]- أنّ الأشعث لم يقبـل نجدة أهل قبيلته من بني معاوية إلاّ بعد أن بايعوه ملكا عليهم وتُوّج على غرار الملوك القحطانيّين. ويسـتنتج من هذه المعلومة أنّ الأشـعث الذي كان يتمتّع قبل الإسلام بأكبر نفوذ على كندة بحكم أصله المَلَكيّ، كان يريد أن يستعيد وضعه الرفيع بين أهل قبيلته والاسـتيلاء في نفس الوقت عـلى حضرموت وافتكاكها من المسلمين. وعن هذا انجرّ الطّابعُ السّياسيّ لتمرّده.

ومهـما كان الأمر، فإنّ زيادا كتب إلى المُهاجـر، وكان قادما من المدينة تنفيذا لتعليمات أبي بكر، ومرّ على التّوالي بنجران وصنعاء ومأرب، وقطع مفازة صَهيد إلى أن بلغ حضرموت حيث تمكّن من الالتحاق بمعسكر المسلمين والمشاركة النّشيطة في الكفاح الذي كانوا يخوضونه في مَحْجَر الزُّرْقان ضدّ كندة بقيادة الأشعث[4]، والذي توّج بالنّـصر. وقد هزمت جيوش زياد والمهاجر كنـدة هزيمة نكراء، فترك أهل هذه القبيلة كثيرا من القتلى في ساحة الوغى مفضّلين الفرار واللّجوء إلى قلعة النّجَيْر.

وقبـل أن نواصل دراسـة نهاية حركة كنـدة، رأينا من المفيـد أن نتوقّف قليلا لتحليل رواية ابن الأعثم لنرى كيف يقدّم هذا المؤلّف ردّة الأشـعث في حضرموت وهـل يمكن مقارنـة الرّوايات التي نقلها لنا بروايات سـيف والواقديّ وهشـام بن الكلبيّ وغيرهم...

---

1 - ن.م.

2 - ن.م.

3 - العسكريّ، كتاب الأوائل، II، 51.

4 - الطبري، تاريخ، III، 331. وفيه يتبين أنّ القائدين المسلمين عكرمة والمهاجر، التقيا في مأرِب قبل أن يتوجّها معا إلى حَضرموت.

2-رواية ابن الأَعْثَم الكوفيّ[1]

نشير بادئ ذي بدء إلى أنّ المؤلّف الكوفيّ يرى أنّ ردّة كندة مأتاها تصرّف رئيسها الأشعث الذي رفض بُعيد وفاة الرّسول وتولّي أبي بكر مبايعةَ عامل حضرموت زياد بن لبيد رغم أنّ قبيلته وابن عمّه قيس بن عابس حضّاه على ذلك مرارا[2]. زيادة على ذلك يعتبر هذا التصرّف انشقاقا حقيقيّا في صلب كندة إذ هناك مَن بقي مخلصا للإسلام واستمرّ في تطبيق التّعاليم القرآنيّة المتعلّقة خاصّة بالصّلاة والزّكاة، وهناك من تحفّظ واختار بكل وضوح عصيانَ السّلطة المدينيّة وعمّالها في حضرموت كما رَفض دفع الصّدقات[3].

أمّا العامل المسلم زياد، فإنّه واصل جمع الصّدقات من سكّان حضرموت، ومنهم كندة، بصرامة كبرى إلى أن وَسَم يوما بخاتم الصّدقات ناقة على ملك كنديّ يدعى زياد بن معاوية القَشِيريّ من عشيرة بني قشير، ورفض إرجاعها إليه مقابل دابّة أخرى رغم تدخّل الوجيه الحارث بن سراقة لفائدته فتمكّن من تخليص النّاقة بالقوّة وإعادتها إلى صاحبها مصرّحا: «نحن أطعنا رسول الله ما دام حيّا، وليس علينا أن نبايع أبا بكر»[4] وعلى إثر هذا الحادث بالذّات قرّر زياد – كما بيّن ذلك ابن الأعثم – التّوجّه إلى المدينة لخَفْر حصيلة الصّدقات التي جمعها، ولكنّه بعد يومين من السّفر، كتب إلى حارثة رسالة يُعْلِمُه فيها أنّه عقد العزم على قتال كلّ من لا يعترف بسلطة الخليفة الجديد[5]. ويبدو أنّ هذا القرار الحازم الذي اتخذه العامل المسلم أثار غضب الكثير من عشائر كندة بما فيها وُجهاؤها، وخاصّة منهم الأشعث إذ رأوْا جميعا أن يكفّوا عن دفع الزّكاة للمسلمين، وأن يمتنعوا، على غرار قبائل أخرى في شبه الجزيرة العربيّة، عن طاعةِ القرشيّين وبالخصوص عشيرة أبي بكر، بني تَيْم، عوضا عن بني هاشم[6].

وجرت الأمور كما لو كان الأخباريّ ابن الأَعْثَم يريد أن يقدّم معارضة الأشعث لزياد، ليس بصفتها موقفا يتمثل في رفض الإسلام كدين، بل بصفتها رفضا لسلطة أبي بكر وكأنّ انتماء الخليفة الجديد إلى عشيرة بني تيْم المنتمية بدورها إلى قريش

1 - ابن الأَعْثم، كتاب الفتوح، I، 54-87.

2 - ن.م، ص 55.

3 - ن.م، ص 56.

4 - ن.م، ص 57-58.

5 - ن.م، ص 58.

6 - ن.م، ص 59.

كان في نظره أهمّ بكثير من اختيار المهاجرين له في اجتماع السقيفة لتسيير شؤون الأمّة الإسلاميّة. ومن جهة أخرى، تفيد الإشارة إلى بني هاشم الذين أُبعدوا من الخلافة لصالح بني تَيم، أنّ رواية ابن الأعثم قد تكون تَطرّقت إليها وقت إنشائها في القرن الثّالث تحويرات كثيرة تدلّ على انحياز واضح إلى الشّيعة. ومهما كان الأمر، فإنّ المؤلّف الكوفي يُلحّ في بقيّة روايته على عودة زياد إلى حضرمَوْت وعلى محاولاته المتجدّدة لدفعهم إلى مبايعة أبي بكر. وهكذا فإنّ بني ذُهْل بن معاوية رفضوا على لسان رئيسهم الحارث بن معاوية وعَرْفَجَة بن عبد الله أن يُذْعِنوا، ليس لمعارضة الإسلام بل ليُسجّلوا استياءَهم من اختيار أبي بكر[1]. إلاّ أنّ فشل كلّ هذه المساعي دفعت زيادا إلى التّوجّه إلى المدينة لإعلام الخليفة رأسا بحقيقة الوضع في حَضرموت. فجمع أبو بكر جيشا يتكون من أربعة آلاف رجل وعهد به إلى زياد للقضاء على المتمرّدين من قبيلة كندة[2].

وإنّ وقائع كهذه، أي سفر زياد إلى المدينة وجمع أربعة آلاف رجل من بين الأنصار والمهاجرين، تبدو لنا قليلة الاحتمال، فلا يمكن تبنّيها، إذ لا بدّ أنها أضيفت إلى الرّواية الأصليّة لتكتسب طابعا ملحميّا وأسطوريّا كما في أسلوب القصص الخالصة. ويعتمد ابن الأعثم على هذه الإشارات التي لم يذكرها أيّ مصدر إسلاميّ آخر لبيان توبة بعض عشائر كندة ورغبتهم في الكفّ عن كلّ معارضة للمسلمين. وهذا الرأي دافع عنه رجل يُدْعى أَبْضَعَة بن مالك الذي قد يكون اقترح كتابة رسالة إلى أبي بكر لإعلامه بخضوعهم لسلطته وقَبُولِهم دفع الزّكاة. ولكنّ العشائر الكنديّة الأخرى كان رأيها مناقضا تماما، يتمثّل في رفض دفع الصّدقات وفي مواصلة الكفاح المسلّح ضدّ العمّال المسلمين بحضرموت[3].

وذكر ابن الأعثم أنه كان من بين المدافعين عن الخيار الأوّل، أي الكفّ عن العداء إزاء شقّ المسلمين، كلّ من الأشعث بن قيس وعفيف بن معْدي كرِب وثور بن مالك. وأعلن الأشعث توبته متّهما ابن قبيلته حارثة بن سُراقة بأنّه من تسبّب في صراع بين كندة وزياد بن لبيد. وتدخّل عفيف لدى كندة لتحذيرها من الوقوع بين نارين، الجيوش الإسلاميّة من جهة وفرسان مَذْحِج من جهة ثانية[4]. كيف نفسّر هذه الإحالة إلى مذحِج ؟ نحن نرى أنّ الأمر يتعلّق في الوقت نفسه بالتّذكير بالصّراع الذي كان قائما في الجاهلية، زمنَ كان قوم كندة يقطنون شمالَ الجزيرة العربيّة

---

1 - ن.م، ص 60.

2 - ن.م، ص 61-62.

3 - ن.م، ص 63.

4 - ن.م، ص 63.

ووسطها بين قبيلة كندة من جهة ومراد وبلحارث من جهة أخرى، كما يتعلّق بالإشارة إلى جنود الأسود الذين كانوا يواصلون الإغارة والنّهب شمال اليمن بين صنعاء ونجران قبل أن تبيدهم نهائيّا جيوش المهاجر بن أبي أميّة. فالقائد الكنديّ عفيف، مثله مثل ابن قبيلته ثور بن مالك[1] الذي اعتنق الإسلام منذ كان معاذ بن جبل يباشر وظيفته عاملا متجوّلا للرّسول في اليمن، كان يرى الخضوع إلى السّلطة المدنيّة وقبول بيْعة أبي بكر.

وفي شقّ المعارضين لكلّ اتّفاق مع المسلمين، نجد حسب ابن الأَعْثم جميع الكنديّين العازمين على مواجهة العمّال المدنيّين[2] مثل أعيان بني وليعة (جَمَد ومِخْوَس ومِشْرَح وأبضعة وأختهم العَمَرَّدة). وقد بوغت هؤلاء – كما جاء في رواية سيف – في مخابئهم المحصّنة وقُتِلوا ونُهبوا[3]. ومن نتائج هذا الفوز المباشر للجيوش الإسلاميّة على كندة، تَجَمُّعُ قوم قبائل السّكاسِك والسّكون الذين كانوا يقطنون حضرموت، حول زياد بن لبيد. ويذكر ابن الأعثم[4] أيضا معارك طاحنة ضد عشائر بني هند وبني حُجْر وبني عَقيل وبني حِمْير الذين فقدوا الكثير من رجالهم. وأحصى[5] ما لا يقلّ عن مائتي قتيل من بني حُجر، وخمسين أسيرا، وعشرين قتيلا في بني حِمْير فضلا عن أطفال ونساء وقعوا في الأسر وممتلكات نُهِبَت. ولم يفقد الجنود المسلمون غير عشرين من رجالهم في المعركة التي خاضوها ضدّ بني حِمْير.

وعلى إثر الهزيمة التي كبّدها زياد بن لبيد مختلفَ عشائر كندة، قرّر القائد الأشعث، من باب العصبيّة والتّضامن مع أهل قبيلته وبني أعمامه بني هند وبني حِمير وبني حُجْر وبني عَقيل، أن يجمع جيشا متكوّنا من ألف فارس انتدبهم من عشيرتي بني عَدي وبني جَبَلة[6]، وأن يجابه الجيوش الإسلاميّة التي قُدِرت بأربعة آلاف وخمسمائة رجل (أربعة آلاف من الأنصار والمهاجرين وخمسمائة من السّكاسك والسّكون)[7].

وانتهت المعركة التي وقعت قرب مدينة تَرِيم بانهزام المسلمين الذين لم يفقدوا ثلاثمائة جنديّ فحسب، بل أُرْغِموا على ترك أسراهم وغنائمهم التي جمعوها في

---

1 – ن.م، ص 64.

2 – ن.م، ص 64.

3 – ن.م، ص 64-65.

4 – ن.م، ص 65.

5 – ن.م، ص 65-66.

6 – ن.م، ص 66.

7 – ن.م، ص 66.

المعـارك السّـابقة ولجأوا إلى تريـم [1] في انتظار وصول التّعزيـزات، وهي ألف فارس يقودهم المهاجر، التحقوا رأسـا بمدينة تَريم[2]. أمّا الأشـعث فقد تلقّى مساعدة عشائر بـني هند وبني حُجْر وبـني حِمْير وبني الأَرقم التـي وصلت وَحداتُها بقيادة رؤسـائهم الخَنْفَشِـيش بن عمـرو، وأبي قُرّة الكنديّ، وأبي شـمرِ الكنديّ، والجَبر بن قَشْـعَم للمساهمة في حصار الجيوش الإسلاميّة في مدينة تريم[3].

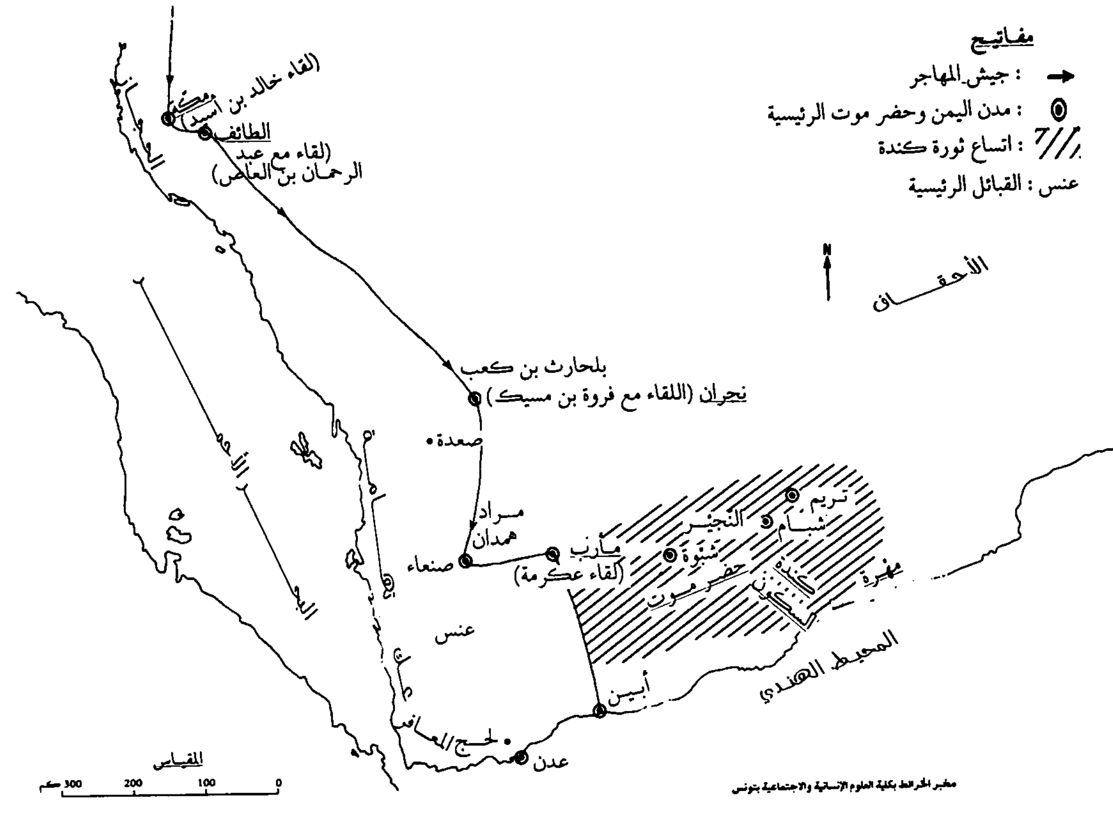
ويذكـر ابـن الأَعْثـم[4] في روايته رسـالة بعثها أبو بكـر لمّا أخبره عاملـه بتطوّر الأحداث في حضرموت بالحصار المفروض على المسلمين في تَرِيم، إلى القائد الكنديّ الأشـعث بن قيس بواسطة رجل يُدعى مُسلم بن عبد الله وهيَ رسالة لا توجد في أيّ من المصادر العربيّة الأخرى.

وهذا نصّ الرّسالة التي كتبها حسّان بن ثابت الأنصاريّ[5]:

«بسم الله الرّحمان الرّحيـم، من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله صلّـى الله عليه وعلى آله، إلى الأشعث بن قيس ومن معه من قبائل كندة، أمّـا بعد: فإنّ الله تبـارك وتعالى يقول في كتابه المنـزّل على نبيّه عليه السّـلام: «اتّقُوا الله حقّ تُقاتِـه وَلا تَمُوتُنّ إلا وأنتُم مسلمـون». وأنا آمركم بتقوى الله وحده، وأنهاكم أن لا تنقضوا عهده، وأن لا ترجعوا عن دينه إلى غيره، فـلا تتّبعوا الهوى فيضلّكم عن سبيل الله، وإن كان ما حملكم على الرّجـوع عن دين الإسلام ومنع الزّكاة ما فعله بكـم عاملي زياد بن لبيد، فـإنّي أعزله عنكم، وأولّي عليكم من تحبّون، وقد أمرت حامل كتابي هذا إن أنتـم قبلتم الحقّ أن يأمر زيادًا بالانصـراف عنكم. فراجعوا وتوبوا من قريب- وفّقنا الله وإيّاكم لكلّ ما كان فيه رضا، والسّلام».

ونحـن نرى أنّ هذه الرّسـالة منحولـة إذ لا يُعقل أنّ الخليفة أبـا بكر الذي بدا متشـدّدا في مواجهة مختلف حركات الرّدّة في الجزيرة العربيّة، يتنازل لصالح مُرتدّي حضرموت ويضحّي بعامله زياد حتى يرضى عنه بنو كندة. وإنّ إقحام هذه الرّسـالة في الرّواية ليس من شأنه إلاّ أن يؤكّد ما ذهبنا إليه بخصوص سمة كتابة ابن الأعثم الملحميّة والأسطوريّة في الكثير من الأحيان.

1 - ن.م، ص 66.
2 - ن.م، ص 67.
3 - ن.م، ص 67.
4 - ن.م، ص 67-68.
5 - ن.م.



خريطة ثورة كندة وقضاء المهاجر وعكرمة عليها
مفاتيح
: جيش المهاجر
: مدن اليمن وحضر موت الرئيسية
: اتساع ثورة كندة
عنس : القبائل الرئيسية
مكة (لقاء خالد بن أسيد)
الطائف
(لقاء مع عبد الرحمان بن العاص)
بلحارث بن كعب
نجران (اللقاء مع فروة بن مسيك)
صعدة
مراد
همدان
صنعاء
مأرب (لقاء عكرمة)
عنس
تريم
شبام
النجير
شبوة
حضر موت
كندة
السكون
مهرة
الأحقاف
أبين
عدن
لحج
المحيط الهندي
المقياس
0 100 200 300 كم
مخبر الخرائط بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

ومع ذلك نستصَفى من هذه الرّسالة أنّ الأشعث لمّا قرأها على أصحابه أثار نقاشا حادّا كانت نهايته سيّئة بالنّسبة إلى المبعوث المدينيّ مسلم بن عبد الله إذ سدّد له فتى من بني مُرّة ضربة قاتلة بالسّيف على رأسه[1]. إلا أنّ جريمة القتل هذه، التي ارتكبت ببرودة دم بحضور الأشعث الذي حرص على عدم استنكارها، استنكرها الوجهاء أبو قُرّة وأبو شَمِر وأبو جَبر وعبّروا عن استيائهم[2] باتّخاذهم قرار سحب رجالهم من القتال. وانتهت المعركة بين الأشعث الذي كان على رأس وحدة قتاليّة تتكوّن من ألفي رجل فقط، وبين المسلمين الذين كان جيشهم يقدّر بخمسة آلاف رجل، حسب ابن الأعثم، بانتصار كندة[3] في مَحجَر الزّرقان وانسحاب المسلمين داخل مدينة تَرِيم، إلاّ أنّ سيناريو كهذا يتناقض تماما مع الرّوايات التي نقلها الطّبريّ والأخباريّون العرب الآخرون مثل البلاذُريّ واليعقوبيّ وابن حُبَيْش وغيرهم. وهذا مثال آخر يؤكّد عدم احتمال رواية ابن الأعثم. ومهما كان الأمر، فإنّ المؤلّف الكوفيّ يروي أنّ الخليفة، لما أعلمه زياد بمقتل مبعوثه مع سابق الإضمار، وبهزيمة المسلمين، قرّر بعد مشاورات مُطوّلة مع أصحابه[4] أن يكلّف عِكرمة بن أبي جهل بحشد جيش من المكّيّين وقبائل أخرى مجاورة لمكّة، قصد المشاركة إلى جانب زياد في القتال ضدّ متمرّدي كندة[5]. وحشد عكرمة فعلا ألفي فارس[6] وتوجّه على رأسهم إلى حضرموت، مارّا على التّوالي بنجران حيث التقى جرير بن عبد الله البَجَليّ الذي رفض مرافقته مع رجاله[7]، ثم بمأرب. ولكنّ أهل دُبَى عزموا على منع القائد الإسلاميّ من مواصلة طريقه، تضامنا مع كندة، وطردوا عاملهم حذيفة بن مُحصن الذي سارع إلى الالتحاق بجيش عكرمة[8]. ولمّا علِم أبو بكر بردّة أهل دُبًا، كتب إلى عكرمة يأمره بقمع حركتهم قبل أن يواصل طريقه إلى حضرموت[9]. فهزم عكرمة متمرّدي دُبَى الذين

1 - ابن الأعثم، ن.م، I، 69.
2 - ن.م، ص 69.
3 - ن.م، ص 70.
4 - ن.م، ص 71.
5 - ن.م، ص 72.
6 - ن.م، ص 73.
7 - ن.م، ص 73.
8 - ن.م، ص 73-74.
9 - ن.م، ص 73-74.

خسروا في المعركة مائة منهم في حين أسَر مائة أخرى وأرسلهم إلى المدينة، وأجبر الآخرين على تطبيق التّعاليم الإسلاميّة والخضوع إلى السّلطة المدينيّة[1].

ولكن ينبغي أن نلاحظ أنّ الأشعث أخذ زمام المبادرة قبل وصول جيش عكرمة إلى حضرموت، فجمع أنصاره وأهلَ قبيلته وانزوى معهم في قلعة النُّجَير[2]. أمّا زياد بن لبيد، فإنّه استنفر جنوده في انتظار وصول التّعزيزات وشرع في ضبط خطّة المعركة على النّحو التالي: المهاجر في المَيمنه، ووائل بن حُجر في الميْسرة، وابن قتيرة السّكونيّ في القلب. وفعل الأشعث مثله مع جنوده إذ جعل الخَنْفشِيش بن عمرو في المَيْمنة، وعبد الرّحمان محرز الحُطامِي في الميْسرة، ومُرّة بن امرئ القيس الذّهليّ في القلب[3]. أمّا هو شخصيّا فوقف في وسط جنوده مع الحرص على وضع التّاج الملكيّ الذي ورثه عن جدّه يزيد بن معْدي كرب على رأسه. وأقرّ هذه المعلومة الأخيرة كلّ من العسكريّ المذكور سابقا وابن أبي حديد[4] اللذين ألحّا على أنّ الأشعث لم يقبل أن يُنجِد بني أعمامه بني وائلة في مواجهة المسلمين إلاّ بعد أن اشترط عليهم أن يُتَوَّجَ ملكا على غرار أجداده الملوك القحطانيّين.

وبدأ القتال بين الطّرفين بجملة من المبارزات انتهت باعتراف ابن الأعْثم بهزيمة المسلمين الذين انسحبوا داخل مدينة حضرموت[5].

وما أن وصلت تعزيزات عكرمة، حتى أصاب الهلع كندة فهُزِموا شرّ هزيمة واضطرّوا إلى اللّجوء إلى قلعة النُّجَير[6]. فحاصر المسلمون القلعة، ولم يتركوا لكندة المحاصَرة خيارا آخر غير المقاومة حدّ الموت، أو الاستسلام، ولا شيء غير الاستسلام[7]. وسرعان ما بلغ خبر حصار النُّجَير[8] العشائرَ الكِنْديّة التي كانت انسحبت من القتال إثر مقتل المبعوث المدينيّ، أي بني جِمَير وبني الأرقم وبني الحارث بقيادة كلّ

1 – ن.م، ص 74-75.

2 – ن.م، ص75-76.

3 – ن.م، ص 76-77.

4 – ن.م، ص 76-77. انظر أيضا ابن أبي حديد، شرح...، ن.م، I، 295، العسكري، II، 51.

5 – ابن الأعثم، كتاب الفتوح، I، 77-78.

6 – ن.م، ص 78-79.

7 – ن.م، ص 80-81.

8 – ن.م، ص 81.

من أبي شَـمِر الكندي والجَبْر بن قَشعم وأبي قرّة الكنديّ. واتفق كلّ هؤلاء القادة على نجدة أهل قبيلتهم المحاصرين في قلعة النُّجَيْر بدافع العصبيّة القبليّة دون شكّ[1].

وليمنع وصول هذه التّعزيزات إلى النُّجَيْر، أرسـل زياد على جناح السّرعة عكرمة لاعتراضها قَصْد إزاحتها بَل محقِها عند الاقتضاء[2].

ولكن عكرمة هُزم فيما يبدو، في حين ملّ الأشـعث مكابدةَ حصار المسـلمين لـه، فطلب من زياد أن يمنحه الأمان له شـخصيّا ولعشرة مـن أقاربه مقابل فتح بوّابة القلعة[3]. ولم يَرُق استسـلام الأشـعث هذا أهلَ قبيلته الذين كانوا يعتزمون الالتحاق بـه رغم معارضــة كتيبة عكرمة له[4]. وقد أمر عكرمة جنـوده بالكفّ عن القتال والتوجّه لملاقاة المسلمين قبالة قلعة النُّجَيْر حتى ينالوا نصيبهم من الغنائم»[5]. ولمّا وصل عكرمــة وبّخه زياد كثيرا لأنّه ترك كندة تُفلـت منه ولأنّه عصا أوامره بمحققهم جميعا. وكادت المشــاجرة بين القائدين المسلمين تُفضي إلى انسحاب عِكْرمة ولكن سرعان ما سُوّي الوضع إثر اعتذار زياد لصاحبه[6].

أمّـا بخصوص بني كنـدة المُحاصَرين في النُّجَيْر، فإنّ الأشـعث وعشرة من أهل عشيرته أُعْطِيَ لهم الأمان، والباقي قتلوا جميعا باستثناء ثمانين شخصا أُسروا ليُرسَلوا إلى المدينة. ويبدو أنّ استسلام الأشعث وإبادة المُحاصرين تمَّا قبل وصول رسالة من الخليفة يأمر فيها عامله زيادا بالعفو عن كندة في صورة عقْد معاهدة سلام معهم[7].

ويختم ابن الأَعْثم روايته عن ردّة كندة بحضرموت واصفا كيف أُرسل الأشعث وأسرى النُّجَـير مُكبّلـين إلى المدينة لينظر الخليفة أبو بكر في شـأنهم[8]. ويبيّن المؤلّف الكــوفيّ بالخصوص أنّ القائد الكـنـديّ تَبَرّأ من تهمة الرّدّة الّتـي أُلْصقت به ملحّا على أنّه لم يثُر بسـبب رفضه الإسلام بل ليثأر لقومه الكِنْديّين[9] الذين قتلهم زياد ظلما.

1 - ن.م، ص 81.
2 - ن.م، ص 82.
3 - ن.م، ص 82-83.
4 - ن.م، ص 82-83.
5 - ن.م، ص 83.
6 -ن.م، ص 83-84.
7 - ن.م، ص 84-85.
8 - ن.م، ص 86.
9 - ن.م، ص 86-87.

ورغـم معارضة عمر بن الخطّاب الذي نصح أبا بكر بأن يقتله[1]؛ فإنّ الخليفة عفا عنه وزوّجه أختَه أم فَرْوَة[2].

تلك إذن رواية ابن الأعثم بالتّفصيل، وهي تقتضي منّا تقديم جملة من الملاحظات. ولكن يحسـن قبل ذلك أن نذكر كيف قدّمت المصادر القديمة نهاية ردّة كندة ونحـاول تفسـير هذه الحركة التـي لا يمكن في أيّ حال من الأحـوال فصلها عن حركات التّمرّد الأخرى.

3 - نهاية ردّة كندة في المصادر القديمة

ذكـرت هذه المصـادر أنّ الخليفة أبا بكر الذي كان يقـاوم على عدّة جبهات حركات «الرّدّة» الأخرى في الجزيرة العربيّة، أرسـل جيْشـين إلى اليمن لوضع حدّ لتمرّد كندة في حضرموت، الأوّل بقيادة عِكْرمة بن أبي جهل، والثاني بقيادة المهاجر بن أبي أميّة.

فانطلـق الجيش الأوّل مـن الشرق، وبالتّحديـد من اليمامة حيث شـنّ عكرمة[3] مناوشـات ضد مُسَـيلمة وانهزم فيها، ثم اسـتعجله أبو بكر الذّهابَ إلى عُمان لنجدة الأعوان المسـلمين (عزفجة بن محصن الغَلْفانيّ الحِمْيري)، وإلى مَهْرة (عَرْفجة البارِقيّ الأزديّ)، ثـم الانطـلاق إلى اليمـن لملاقـاة القائد الآخـر المهاجر، والتّوجّـه معاً إلى حضرموت لمساعدة زياد بن لبيد في كفاحه ضدّ كندة.

وقبـل أن يصـل إلى عمان، التحق عِكْرمـة بَعرْفَجة بن حُذَيْفة ثـم اتّصلا معا من بَلـدة رَجَم بجَيْفر وعبّاد اللذين كانا يُحَيّيان في صحَار في حين كان لقيط بن مالك الأزديّ ذو التّاج في دُبَا.

وبعـد أن اجتمـع القوّاد المسـلمون في صحَار، توجّهـوا بجنودهـم إلى دُبَا لقتال المتمرّديـن[4]. ولو لا وصول وحدتَيْن أخريَين مـن بني ناجية وعبد القيس، الأولى بقيادة الخِرّيت بن راشـد، والثانية بقيادة سيْحان بن صحَار، لَمَا أفلتت الجيوش الإسلاميّة من هزيمة عسـكرية، ولَمّا أمكن لها تسديد ضربة حاسمة إلى لقيط وأنصاره الكثيرين. وتـرك هؤلاء على المَيْدان قتـلى كثيرين وغنائم ضخمة جمعهـا عكرمة وأصحابه.

---

1 - ن.م، ص 86.

2 - ن.م، ص 87.

3 - الطبري، تاريخ، III، 314؛ ابن الأثير، II، 381.

4 - الطبري، تاريخ، III، 315.

وبعد تأمين ناحية عُمان التي تُرِكت تحت سيْطرة حُذَيْفة، سارع عكرمة بن أبي جَهل إلى التّوجّه إلى بلاد مَهرة على رأس جيش متكوّن من عناصر سليلة بني ناجية والأزد وعبد القيس وراسب وسعد بن زيد (من تميم)، للقضاء على المتمرّدين. وبيّن الطّبريّ[1] بهذا الصّدد أنّ متمرّدي مَهْرة كانوا ينقسمون قسمين، الأوّل يُخيِّم في جَيْروت بقيادة شَخْريط (وهو رجل من بني شَخْرة)، والثّاني كان بنجد بقيادة رجل من بني محارب يُدْعى المُصَبِّح. وكان كلّ من هذين القسمين يأنس في نفسه القوّة للانتصار بمفرده على الجنود المسلمين. والواقع أنّ تقسيم المتمرّدين هذا استغله جيّدا عِكرمة، فتمكّن من إقناع شَخْرِيط – وكان قليل السَّند – بالالتحاق بصفوف المسلمين، في حين رفض منافسه- وكان له بالعكس من ذلك أنصار كثيرون – أن يخضع للقائد المدينّي. وفي نهاية الأمر هُزم متمرّدو مَهرة وقُتل المُصبّح، وهو ما مكّن عكرمة من إعادة السّلام إلى البلاد وإجبار سكّانها على مبايعته. وبعد أن قَسّم الغنائم بين جنوده وأرسل الخُمُس إلى المدينة يخفرُه شَخْرِيط[2]، توجّه عِكرمة إلى اليمامة تدعّمه عناصر من بني مالك بن كنانة وعمرو بن جندب من الأنبار. وتوّقف في أبْين للتّأكّد من إخلاص النَخَع وحِمْير للإسلام قبل أن يتوجّه إلى حضرموت للالتحاق بصاحبه المهاجر الذي كان بالذّات على رأس الجيش الثّاني. وخرج هذا الجيش بأمر من الخليفة أبي بكر، مكلّفا بمهمّة نجدة الأبناء في صنعاء ضد قيس بن المكشوح، ثم نجدة زياد بن لبيد ضدّ كندة في حضرموت[3]. وفي رواية سيف بن عمر[4]، غادر المهاجِر المدينة وانضمّ إليه في الطّريق خالد بن أَسِيد بمكّة، وعبد الرحمان بن العاص بالطّائف وكذلك جرير بن عبد الله البَجَليّ وعبد الله بن ثور، وأمر باعتقال القائدين اليمنيّين المتمّردَيْن قيس بن المكشوح وعمرو بن معدي كرِب وذلك في نجران حيث التقى عاملا مسلما آخر هو فروة بن مُسيْك المرادي، وسارع بإرسالهما مُكبّلَيْن إلى المدينة حتى يقرّر الخليفة أبو بكر مصيرهما. والملاحظ أنّ جيش القائد المهاجر، كان تدعّم بعناصر قبليّة مختلفة في نفس الوقت الذي كان يتقدّم فيه في اتجاه اليمن، في البداية في مكّة والطّائف، ثم في نجران. وبادر المهاجر إلى إبادة جند العنسيّ الذي كان مستمرّا في النّهب والسّلب في النّاحية الواقعة بين صنعاء ونجران. ولتحقيق هذه الغاية قسّم فرسانه إلى مجموعتين: الأولى تمكّنت بقيادته من إبادة اللحْجِيّة في عجيب، والثّانية

1 – ن.م، ص 316-317.

2 – ن.م، ص 317.

3 – ن.م، ص 327.

4 – ن.م، ص 329.

بقيادة شقيقه عبد الله بن معاوية، أُرسلت لمطاردة بقيّة أنصار العنسيّ وكذلك بقيّة النّاهبين على الطّريق المسمّاة بطريق الأخابث[1]، أي الطّريق السّاحليّة الرّابطة بين الحجاز واليمن.

وتحوّل المهاجر من عجيب إلى مدينة صنعاء حيث أمر جنوده بملاحقة جميع المتمرّدين الفارّين وإبادتهم، ثم كتب إلى أبي بكر يعلمه بوصوله إلى عاصمة اليمن، وبقي ينتظر تعليماته. فوجّه إليه الخليفة وكذلك إلى صاحبه عِكرمة رسالة يأمره فيها أن يتحوّل على جناح السّرعة إلى حضرموت[2]. فالتقى في مَأْرِب عكرمة وقد جاء على التوّ من أبْيَن عبر الجند. وقطع القائدان المسلمان معا صحراء حضرموت المسمّاة «مَفازة صَهِيد»، فأدرك المهاجر الأشعث وأدرك عكرمة وائلا.

وفي الأثناء كان العامل زياد بن لبيد يتهيّأ لقتال قبيلة كندة الملتفّة حول قائدها الأشعث، فكتب إلى المهاجر يستعجله الوصولَ في أقرب وقت[3]. وعهد المهاجر قيادة الجيش العامّة إلى صاحبه عِكْرمة ثم توجّه على عجل على رأس كتيبة الخيّالة إلى حضرموت حيث تمكّن رفقة زياد من هَزْم كندة في مَحْجَر الزُّرْقان وإرغامهم على التحصّن صحبة حلفائهم السّكاسك والسّكون وحضرموت في حصن النُّجَير[4].

ويقال إنّه كانت لقلعة النّجير[5] ثلاثة مداخل، أَغْلَق اثنين منها المهاجر وزياد في حين كان المدخل الثالث تستعمله كندة للتطرّق ولم يُغْلِقه الجنود المسلمون[6] إلاّ بعد وصول تعزيزات عِكرمة، إذا صحّ بالطّبع- حسب رواية سيف التي أقرّها الطّبريّ[7] نفسه- أنّه شارك فعلا في الحصار[8].

ومهما كان الأمر، فإنّ كندة فُرض عليها حصارٌ قاسٍ وقُطِعَت عنها إمكانيات التزوّد وحتى الاتّصال بالعالم الخارجيّ. أمّا عشائر الجوار المنتسبة إلى كندة، سواء تعلّق الأمر ببني هند أو ببني مَهْرة أو بسكّان السّاحل، فإنّهم قوتلوا أشدّ القتال،

1 - ن.م، ص 329.
2 - ن.م، ص 331.
3 - ن.م، ص 335.
4 - ن.م، ص 335؛ ابن الأثير، ن.م، ص 272-273.
5 - ياقوت، معجم البلدان، ص 272-273.
6 - الطبري، تاريخ، III، 336.
7 - ن.م، ص 336-337.
8 - ابن خياط، تاريخ، III، 336.

وأرهقوا من قبل وَحَدات مسلّحة أُرسِلت لاعتراضهم بقيادة كلّ من يزيد بن قَنان، سليل مالك بن سعد، وخالد بن المخزوميّ وربيعة الحَضْرميّ[1].

وفي مستوى آخر، ينبغي – اعتمادا على معلومات في المصادر العربيّة بالأندلس[2]– ذكر إرسال زياد بن لبيد لمبعوث إلى المدينة، وهو أبو هند، حاملا رسالة إلى الخليفة أبي بكر يُعلمه فيها بالوضع في حضرموت وتحديدا برفض دفع الصّدقة، وكان هذا الرفضُ دفع المسلمين إلى قتالهم في مَحجر الزُّرْقان بنجاح وقتل عدد من وُجَهائهم، وهذا نصّها[3]:

«بسم الله الرّحمان الرّحيم: لأبي بكر خليفة رسول الله صلّى عليه وسلّم، من زياد بن لبيد: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد: فإنّ النّاس قبلنا منعوا الصّدقة، أو عامّتهم، وأبوا أن يسلّموها، وقاتلوا دونها أشدّ القتال، وأظهروا الرّدّة على الإسلام، فبعثت عيونا في طلب غرّتهم فأتاني آت منهم يخبرني بغرّة منهم فزحفت إليهم ليلا، وقتلتهم في محجرهم، وكانوا أربعة: مخوس، ومشرح وجمد، وأبضعة، وأختهم العمرّدة، فأصبحوا وذلّوا وانكسروا وإنّي كتبت إليك والسّيف على عاتقي، وبعثت إليك أبا هند بالكتاب وأمرته أن يجدّ السّير وأن يخبرك بما رأى وشهد، وإنّ الكتاب موجز، وعنده علم ما كنّا فيه والسّلام.

أمّا الطّبريّ[4] فإنّه ذكر إرسال أبي بكر، عن طريق المغيرة بن شعبة، رسالة إلى عامله زياد يعطيه فيها التّعليمات التّالية:

««إذا جاءكم كتابي هذا ولم تَظْفَروا، فإن ظَفِرتم بالقوم فاقتلوا المُقاتِلة، واسْبُوا الذرّيّة إن أخَذْتموهم عنوة أو ينزلوا على حكمي. فإن جرى بينكم صُلح قبل ذلك فعلى أن تُخرجوهم من ديارهم فإنّي أكره أن أُقِرّ أقواما فعلوا في منازلهم ليعلموا أن قد أساؤوا وليذوقوا وَبال بعض الذي أتوا[5].

والملاحظ أنّ المبعوثَيْن ربّما تقاطعا في الطّريق[6] وأنّ المغيرة أخطأ الطّريق، وهو ما يفسّر وصوله بعد استسلام كندة.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 336؛ ابن الأعثم، كتاب الفتوح، I، 65، وفيه يعدّد مختلف العشائر الكنديّة التي ساندت الأشعث في كفاحه ضدّ الجيوش الإسلاميّة.

2 - ابن حُبَيش، ن.م، ص 211؛ الكلاعي، ص 163-164.

3 - انظر نص هذه الرسالة في ابن حبيش م. ن، ص 211.

4 - ابن حُبَيش، ن. م، ص212؛ الكلاعي، 164.

5 - الطبري، تاريخ، 337.

6 - ابن حُبيش، ن.م، ص 212؛ الكلاعي، ص 165.

فلنعد إلى شريط الأحداث.

أُعلم قومُ كندة بالمجزرة التي قامت بها الجيوش الإسلاميّة للقضاء على أهل قبيلتهم الموجودين في حضرموت والعازمين على المقاومة في قلعة النّجَيْر حتّى الموت، فقصّوا شعورهم وعلّقوها على أطراف رماحهم ثم أقسموا جميعا على عدم الاستسلام. ومن الغد شرعوا في قتال المسلمين إلاّ أنّهم هُزِموا شرّ هزيمة تاركين على الميدان كثيرا من القتلى والجرحى[1].

ويذكر الطّبريّ[2] أنّ قوم كندة أحبطهم وصول التّعزيزات الإسلاميّة باستمرار، وأيقنوا أنّ المسلمين لم يكونوا مستعدّين للتخلّي عن حصار القلعة. فسرى في نفوسهم الهلع وأصابتهم الحيرة بخصوص ما ينتظرهم من مصير، فقرّر قادتهم أن يستسلموا، في حين لو صمدوا إلى وصول المُغِيرة مبعوث الخليفة حاملا رسالة تتضمّن تعليمات دقيقة بخصوص هذا الموضوع، لأمكن لهم الإفلات من المجزرة ولو مقابل التخلّي عن ديارهم والرحيل إلى وُجهة أخرى.

ويرى ابن حُبيش والكلاعيّ[3] أنّ استسلام كندة النُّجَير هو نتيجة منطقيّة للسّياسة الرّشيدة التي استعملها زياد بن لبيد لإحباطهم ودفعهم إلى التخلّي عن القتال، فقد يكون حرّر بنفسه رسائل مزيّفة موجّهة إلى الخليفة أبي بكر وأجوبة مزيّفة تتضمّن بالخصوص تعليمات صارمة جدّا تتعلّق بطريقة معاملة المُحاصَرين مثل حرق الحصن وقتل المحاربين الموجودين فيه وسَبْي النساء والأطفال وغير ذلك...

وقد تبيّن أنّ هذه السّياسة كانت ناجعة إذ قرّر القائد الأشعث أن يعقد معاهدة سلام مع القادة المسلمين (زياد بن المهاجر أو عكرمة حسب مختلف الرّوايات التي نقلتها المصادر). ويزعم الطّبريّ[4] أنّ الأشعث توجّه إلى عكرمة الذي كان يَحْظى بثقته لأنّه تزوّج في عَدَن امرأة كنديّة تدعى أسماء بنت النعمان بن الجَوْن[5]، وطلب منه أن يأخذ من المهاجر الأمان له ولتسعة آخرين من عائلته مقابل فتح بوّابة الحصن. ويقرّ سيف[6] هذه الرّواية مدقّقا مع ذلك أنّ الأشعث توجّه إلى المهاجر الذي استجاب

---

1 - ن.م.

2 - الطبري، تاريخ، III، 337.

3 - ابن حبيش، ن.م، ص 213-214، الكلاعي، ن.م، ص 166-167.

4 - الطبري، تاريخ، III، 337.

5 - حسب ابن حبيب (كتاب المحبر، ص95)، تزوّجت أسماء المهاجر ثم قيس بن المكشوح.

6 - الطبري، تاريخ، III، 337.

لطلبه وطلب منه أن يكتب بنفسه عهد الأمان مع عشرة أسماء يختارها. أمّا ابن حبيب[1] فإنّه يؤكّد وجود علاقات طيّبة بين عِكرِمة والأشعث مبيّنا أنّ الأوّل كان زوج قَيْلة أخت الثّاني، بعبارة أخرى كان صِهرَه.

وفي المقابل، تعتبر المصادر العربيّة بالأندلس[2] أنّ المفاوضات بخصوص استسلام كِندة النُّجَير، جرت بين الأشعث وزياد، مضيفة أنّ القائد المهاجر كان يرى بالعكس اقتحام القلعة المذكورة بقوّة السّلاح.

ومهما كان الأمر، فإنّ المعاهدة التي عُقدت بين الطّرفين قبل وصول المغيرة رسول أبي بكر، تنصّ على أنّه مقابل فتح بوّابة الحصن للجنود المسلمين، تكون حياة عدد من الكنديّين، عشرة[3] أو سبعين[4]، في مأمن، وألا يقع المسّ بممتلكاتهم. في الواقع كانت نهاية استسلام كندة كارثيّة. فعدد المحاربين الذين قتلوا يقدّر بسبعمائة[5]، وعدد النساء السبيّات بألف[6]، فضلا عن الغنائم الضّخمة (دروعا وأثوابا وحليا وغيرها) التي وجدها المسلمون في الحصن. ومن جهة أخرى يُقال إنّ جثث الأشخاص الذين ذُبِحُوا تُرِكت ملقاة للوحوش لبثّ الرّعب في نفوس من بقوا على قيْد الحياة[7].

أمّا بخصوص الأشعث، فإنّ المصادر تنقل روايات مختلفة عن العفو عنه بالمدينة واسترجاع حريّته على يدي أبي بكر، فالقائد الكنديّ – حسَب أَجْلح ومُجَالِد[8]- أُرْغم تحت التّهديد بالسيف من قِبل رجل يُدْعى جَخْدم، وتسميّه مصادر أخرى[9] الجِفْشِيش مَعْدان بن الأسود بن مَعْدِي كرب[10]، في الوقت الذي كان يكتب فيه

1 - ابن حبيب، ن.م، ص95.
2 - يحيل كلّ من ابن حُبيش (ن.م، ص216) والكلاعي (ن.م، ص 167) إلى رواية نقلها موسى بن عبد الله بن أميّة، وهو أمويّ مثل المهاجر.
3 - هذا رأي الطّبريّ (تاريخ، III، 337-338) عن رواية لسيف، وابن أبي حديد، شرح، I، 295.
4 - هذا رأي ابن حُبيش (ن.م ص216)، والكلاعي (ن.م، ص 168-169)، عن رواية للواقديّ، ويزكّي البلاذريّ (فتوح، ص143) رقم سبعين اعتمادا على رواية لأبي نصر بن النّمر.
5 - ابن حبيش، ص 217؛ الكلاعيّ، ص169، ويتكلّم ابن أبي حديد (شرح، ص 295) عن 800 قتيل.
6 - الطبري، تاريخ، III، 338.
7 - ابن حبيش، ن.م، ص217؛ الكلاعيّ، ص 167.
8 - الطبري، تاريخ، III، ص 338.
9 - البلاذري، فتوح، ص 141.
10 - ابن حجر، الإصابة، I، 492-494؛ نتساءل: ألا يكون سيّد عشيرة بني هند؟ انظر بخصوص هذا الموضوع: ابن الأعثم، كتاب الفتوح، ص. 67 (الجَفَنْشيش بن عمرو).

عهد الأمان، على كتابة إسمه مكان إسم الكاتب، ففعل. وكاد الأشعث -حسب كَثِير بن الصّلت-[1] يقتله القائد المهاجر إذ لم يجد إسمه في رسالة العفو، «الحمد لله الذي أخطأك نَوْؤُك يا أشعث يا عدوَّ الله. قد كنت أشتهي أن يُخْزِيَك الله» ولو لم يتدخّل عِكرمة أو زياد[2] حتى يبقيَ على حياته ليُرسل مع الأسرى الآخرين (سبعون رجلا من بني قتيرة وألف سبيّة) ومع خُمُس الغنائم بقيادة نَهيك بن أوْس بن خَزِيمة[3]، إلى أبي بكر حتى يقرّر مصيره، لقتله. وفي المدينة، وبّخ الخليفة بشدّة الأشعث بسبب الدّور النّشيط الذي لعبه في تمرّد كندة، ولو لا حِلْم أبي بكر لقُتل بما أنّ إسمه لم يكن موجودا في وثيقة العفو[4]. وفي النّهاية عفا عنه أبو بكر، وقبل أن يستجيب لإلحاحه ويعيد إليه أخته (أخت أبي بكر) أمّ فروة بنت أبي قُحافَة التي كان الرّسول زوّجه إيّاها لمّا قدم إلى المدينة على رأس وفْد كندة[5]. واحتُفِل في المدينة بزواج الأشعث بأخت الخليفة بكثير من الأبّهة والتّرف. ويُحْكى أنّ القائد الكنديّ أعدّ بهذه المناسبة وليمة عظيمة فاشترى جميع الدوابّ التي وجدها في سوق المدينة لذبحها وتوزيع لحومها على سكّان المدينة[6]، ممّا جعل هذا الفعل يسير مثلا في الأدب العربيّ: «أَوْلَمُ من وَليمة الأشعث»[7].

ويروي الطّبريّ، اعتمادا على رواية لسيف بن عمر التّميميّ[8] أنّ الخليفة عُمر قرّر في نطاق سياسته التي شرع في تنفيذها إثر التوسّع الإسلاميّ، أنّه لن يكون أيّ عربيّ عَبْدا لعربيّ مثله، محدّدا فدية الإنسان بستّ أو سبْع من النّوق باستثناء النّساء الكنديّات اللائي حدّد فِدْيتهن بأقلّ من ذلك لأنهنّ أرامل ثيّبات. وحسب رواية ليحيى بن آدم نقلها عنه الأخباريّان الأندلسيّان ابن حُبَيش والكلاعيّ، فإنّ فدية سبايا النُجَيْر، وقد

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 318.

2 - ن. م. حيث يرى أنّ عكرمة هو الذي تدخّل لفائدته لدى القائد العامّ المهاجر. بالنّسبة إلى ابن حبيش (ن.م، ص 216) والكلاعيّ (ن. م، ص 169)، من فعل ذلك هو زياد.

3 - ابن حبيش، ن. م، ص 216؛ الكلاعي ص 169.

4 - الطبري، تاريخ، III، 339-338؛ ابن سلاّم، **كتاب الأموال**، ص149؛ ابن أبي حديد، شرح، I، 296.

5 -الطبري، تاريخ، III، 296.

6 - الخزرجي، **الكفاية**، ص 53 وص56؛ ابن عبد البرّ، **الاستيعاب**، I، 136-133. ابن أبي حديد، **شرح**، I، ص 296.

7 - الميْداني، **مجمع الأمثال**، II، 280.

8 - الطبري، III، 340.

بلغ عددهنّ الألف امرأة، حُدِّد بأربعمائة درهم عن كل واحدة، ويبدو أنّ الأشعث تعهّد أن يدفع من ماله الخاصّ فدِية أهل قبيلته[1].

والجدير بالذكر أنّ لنا معلومات كثيرة عن الأشعث الكنديّ، هامّة ومتناقضة في الآن نفسه، موجودة في المصادر العربيّة، سنقدّمها ونحلّلها حتى نحيط أكثر بأخبار هذا الشّخص الغريب ونحاول بنفس المناسبة فَهْم الأسباب الحقيقيّة لتمرّده على رأس كندة.

فأوّل إشارة تتعلّق بما يمكن أن نسمّيه بلغة اليوم «انتهازيّة الأشعث السّياسيّة»، وهو ما تنعته المصادر العربيّة – خلافَ ذلك – بالغَدْر. ونذكر بهذا الصدد أنّ الأشعث، بعد استسلام النّجَيْر وعند وصول الأسرى الكنديّين إلى المدينة، شتمه المسلمون وأهل قبيلته في الآن نفسه، بل إن السبيّات الكنديّات ألصقن به الكنية القبيحة «عرف النّار»[2] وتعني في اللّهجة اليمنيّة «الغادر». ويذهب الأخباريّ ابن حبيب إلى أبعد من ذلك إذ يصنّف الأشعث وأهله، الأصول منهم (مثل أبيه قيس وجدّه معْدي كرِب) والفروع (ابنه محمّد وحفيده عبد الرّحمان) ضمن «أغْرق العرب في الغدر»[3].

ونقل صاحب **كتاب المحَبر** أنّ الأشعث تصرّف تصرفا خائنا في مناسبتين: الأولى في الجاهليّة والثّانية في الإسلام. فقبل ظهور الإسلام، يبدو أنّ القائد الكنديّ خرق الهدنة التي اتّفقت عليها قبيلته بنو كندة مع بني الحارث بن كعب (وهي عشيرة من مَذْحِج)[4]ولم يدفع من الدّيّة التي حدّدت بمائتيْ جَمَل غيْرَ نصفها.

وكانت خيانة الأشعث الثّانية بمناسبة حصار النُّجَيْر لمّا تفاوض حول استسلام الحصن باسم أهل قبيلته، مثبتا في وثيقة العفو أسماء عشرة أشخاص اختارهم من بين أفراد أسرته مستثنيا عناصر أخرى من كندة سلّمهم للقتل والأسْر.

وكان قيس والد الأشعث يُنعت أيضا بالخائن[5] لأنّه خرق في الجاهليّة هدنة عُقدت بين قبيلته كندة وقبيلة مُراد، وذلك قبل الأجل المحدّد بيوم واحد، وكان

---

1 - البلاذري، فتوح، ص145؛ ابن حُبيش، ن.م، ص 220؛ الكلاعي، ص 171.

2 - الطبري، تاريخ، III، 338؛ البلاذري، فتوح، ص 141؛ ابن أبي حديد، شرح، I، 296.

3 - ابن حبيب، كتاب المحبر، ص244-245.

4 - انظر بخصوص حَبس بني الحارث للأشعث: القالي، ذيل الأمالي، I، 164.

5 - انظر حبيب، ص 245-244.

يوم جمعة، بتِعلّة أنّ الغد يوم سبت بالنّسبة إلى اليهود ولذلك فهو لا يستطيع حَمْل السّلاح احتراما لعقيدته اليهوديّة. والملاحظ أنّ قيْسا قُتِل بالذّات في المعركة التي خاضتها قبيلته ضدّ مُراد وخسرتها.

ولا يغفل ابن أبي حديد[1]، رغم إقراره المعلومات التي قدّمها كلّ من ابن حبيب والطّبريّ بخصوص تصرّف الأشعث المتقلّب والانتهازيّ في الكثير من الأحيان، عن ذكر ما يعتبره في **شرح نهج البلاغة** موقفا ملتبسا؛ وهو الموقف الذي اتّخذه الأشعث في معركة صِفّين لفائدة التّحكيم ثم معارضته الصّريحة لعليّ في مسجد الكوفة بعد ذلك بقليل. فالأشعث في نظره «منافق»، لا يختلف موقفه عن موقف عبد الله بن أبي سَلول إزاء الرّسول[2]. وحتّى لو كانت شهادة ابن أبي حديد واضحة الانحياز بحكم كونه شيعيّا بارزا، فإنّ فائدتها تتمثّل في بلورة موقف الأشعث خلافا لابن الأعثم الذي يمجّد دوره.

ومن المفيد ذكر نصّ آخر لابن حبيب يتعلّق بتمرّد كندة في حضرموت، وهو نصّ يقدّم معطيات جديدة من شأنها مزيد بلورة الأحداث كما قدّمتها المصادر القديمة.

فمؤلّف **المحبر**[3] يذكر مراسلة بين وجيهين بقيا مخلصيْن للإسلام بعد وفاة محمّد، وهما الكندي امرؤ القيس بن عابس، والحضرميّ شدّاد بن مالك الدَّمْعَج، من جهة، والخليفة أبي بكر من جهة ثانية، تتعلّق بوجود مجموعة متكوّنة من ستّ نساء في حضرموت، كنّ يتمنّين موت محمّد، فلمّا بلغهن خبر وفاته لم يتردّدن في التعبير عن فرحتهن، فصبغن أيديهنّ بالحنّاء وقرعن الدّفوف. وأثار هذا التصرّف عند نساء قبيلهتنّ ردود الفعل نفسها إذ أحصى ابن حبيب ما لا يقلّ عن عشرين امرأة أخرى عبّرن عن بهجتهنّ بنفس الطّريقة في مدن وبلدات عديدة في حضرموت مثل تَرِيم ومَشْته والنّجَيْر وتنعة وشبْوة وذمار[4].

فلنتوقّف عند القائمة الإسميّة لهؤلاء النّسوة. فهي تتضمّن أسماء:

---

1 - ابن أبي حديد، شرح، I، 293-292.

2 - ن.م، ص297.

3 - ابن حبيب، كتاب المحبر، ص 184-188.

4 - ن.م، ص 184-185.

-امرأتين من الأشراف[1] هما العَمَرَّدة بنت مَعْدِي كَرِب، وهُنَيْدة بنت أبي شَمِر وأربع نساء أخريّات لم تُذكر أسماؤهنّ.

-مجموعة من النّسوة نُعْتِن بالقيان والبغايا، هذه أسماؤهنّ[2]:

1-الطَّيْحاء الحضرميّة، أم سيف بن مَعْدي كَرِب،

2-أم شُرَاحيل بنت عُفير، جدّة عبد الرّحمان بن هارون، من عشيرة أُرْحُوب،

3-هَبْرة بنت شُرَيْح، من عشيرة أُرْحوب أيضا،

4-فُرَيْضة، جدّة أَهل الجُلَيْح، من قبيلة حضرموت،

5-مَلْكَة بنت أمانات بن قيس بن الحارث بن شَيْبان بن العاتك، من كندة،

6-أسماء بنت يزيد بن قيس، من بني وهب، من كندة،

7-مَلْكة بنت قيس بن شُرَاحِيل، من كندة،

8-امرأة من أعيان تِنعة لم يذكر إسمها،

9-ابنة الأوْد بن أبي كرب، من كندة،

10-هرّ بنت يَامِن، وهي امرأة يهوديّة، بغيّة أسطوريّة، تَوَلَّدَ عن سيرتها مَثَلٌ شهير «أزنى مِن هرّ».

11-أمّ مَعْدان.

ومن البديهيّ أنّ لهذه القائمة أكثر من دلالة. فهي تدلّنا في المقام الأوّل على انتشار البغاء في مواضع عديدة من حضرموت، وهو نشاط ستحاربه التّعاليم الإسلاميّة بشدّة. ولكن يُحْتَمل أيضا أنّ ابن حبيب يريد اتّهام هؤلاء بالبغاء قصد شَتْم عائلات يَنْسب إليها بغايا وعَدوّات للرّسول، خاصّة أنّنا نجد في هذه القائمة:

-ثلاث نساء من سلالة الأشراف: العَمَرَّدة، وهي على الأرجح أخت أربعة من ملوك كندة قتلهم زياد بن لبيد وقت «ردّة كندة»[3] في مخابئهم المحصّنة، وهُنَيْدة بنت أبي شمِر، وقد تكون بنت سيّد عشيرة بني حِمْيَر من كندة، وقد وصفه ابن

1 - ن.م، ص 184.

2 - ن.م، ص 148.

3 - الطبري، تاريخ، III، 335-334.

الأَعثَم[1] بأنه أحد خلفاء الأشعث بعد تمرّده على العمّال المَدينيّين؛ وأخيرا امرأة أصيلة مدينة تِنْعَة.

-ومن بين النّسوة اللاّئي نُعِتن بالبغايا، نلفت الانتباه إلى اثنتين أصيلتي عشيرة أُرْحُوب، واثنتين أُخرَيَيْن من حضرموت، وأربع نساء من كندة، وامرأة يهوديّة[2].

والملاحظ بخصوص هذه المرأة اليهوديّة أنّ وجود عناصر من اليهود في حضرموت ليس بالأمر الغريب بما أنّ ابن حبيب كان ذَكَرَ أنّ والد الأشعث، قيس المكَنَّى بالأشجّ (أي الأقرع)، كان أيضا يهوديّا.

لماذا هذا العداء الصّريح جدّا من قِبل نسوة حضرموت هؤلاء إزاءَ الإسلام والرّسول محمّد، وكيف نفسّره؟

نرى أنّ الأمر يتعلّق بشهادة واضحة وبيّنة على ضعف أَسْلمة حضرموت، وعلى تفاعل طبيعيّ مع المجزرة التي ارتكبها زياد بن لبيد والمُهاجر بن أبي أميّة في حقّ كندة وحلفائها وبالخصوص في حصار قلعة النُّجَيْر. وهذا التّفسير الثّاني يبدو معقولا إذ يبيّن ابن حبيب أنّ أخوَي مَلْكة بنت قيس وابنة الأَوْد بن أبي كَرِب قتلا في يوم النُّجَير[3]

وممّا لا ريب فيه أنّ هذه الظّاهرة الخاصّة في حضرموت، لا يمكن فهمها إلاّ في إطار دراسة معمّقة للمجتمع الحَضْرميّ قُبَيْل ظهور الإسلام (في القرنين السّادس والسّابع)، وزمَنَ اعتناق قبائل شبه الجزيرة العربيّة العقيدة الإسلاميّة.

وإذا عدنا إلى نصّ ابن حبيب، تبيّن لنا أنّ الخليفة أبا بكر، إثر تلقيه رسالتين من شريفين من حضرموت، وجّه الخليفة بدوره رسالة إلى عامله على كندة والصّدف، المُهاجر بن أبي أميّة، هذا نصّها[4]:

> «أميّة. أمّا بعد، فإنّ العبدَيْن الصّالحيْن أمرئ القيس بن عابس الكنديّ وشدّاد بن مالك الحضرميّ اللذيْن أقاما على دينهما إذ رَجَع عنه جلّ قومهما فأثابهما [الله] على ذلك ثوابَ الصّالحين وصَرّع الآخرين مَصارع الظّالمين، كتبا إليّ يزعمان أنّ قبلهما نسوة من أهل اليمن كُنّ يتمنّيْن موتَ

---

1 - ابن الأعثم، ن.م، I، 69.

2 - ابن حبيب، ص 244-245.

3 - ن.م، ص 185.

4 - ن.م، ص 186-188.

> رســـول الله صلّى الله عليه، وتأشــب إليهن قِيان لكندة وعواهر لحضرموت، فخضّـــبن أيديهنّ وأظهرن محاسنهنّ، وضربـــن بالدّفوف جراءة منهنّ على الله واستخفافـــا بحقّه وحقّ رسوله صلّـــى الله عليه وسلّم. فإذا جاءك كتابي هـــذا فسِر إليهنّ بخيلك ورجلك حتىّ تقطع أيديهنّ. فإن دفعك عنهنّ دافع أو حـــال بينك وبينهنّ حائل فَأَغــــذِر إليه باتّخاذ الحجّة عليه وأَعْلِمه عظيم مـــا دخل فيه من الإثم والعدوان. فإن رجع فاقبل منه، وإن أبى فنابذه على ســـواء، إن الله لا يهدي كيد الخائنين، ولعمـــرو الله ما أظنّ رجلا، بل هو اليقين، زيّن لهنّ أسْوأ فعلهنّ، ومنعك من قطعهنّ على مثل جناح البعوضة من دين محمّد صلّى الله عليه. وأَيْم الله يا ابن أبي أميّة. لأنّي حين أخصّك بهذا الأمر دون أن أتـــولاّه بنفسي لطيبة نفسي لك بالأجر العظيم والثّواب الجزيل. واعلم أنّها كرامة ساقها الله إليك إذ أجرى ذلك على يدك. عَصَمنا الله وإيّاك بالتّقوى وجعل الآخرة خيرا لنا من الأولى.

ويبدو أنّ التّعليمات الموجودة في هذه الرّسالة طبّقها المهاجر حرفيّا، فلم يقاتل جميع رجال كندة وحضرموت الذين أرادوا منعه من معاقبة هؤلاء النّســـوة فقط، بل قبض عليهنّ ونفّذ عليهن حدّ قطع اليدين. وأشار ابن حبيب أن جلّ هؤلاء النسوة المُذْنِبات مُتْن ولم يهاجر منهنّ إلى الكوفة إلاّ القليل[1]. ويستشـــهد بأبيات لإثبات تنفيذ حدّ قطع اليدين على هؤلاء النساء الحضرميّات (وخاصة امرأة من تَرِيم وأخرى من مَشْته).

كيف نُقَيّم هذا النّصّ لابن حبيب؟ إلى أيّ مدى يمكن إثبات صحّة رســـالة أبي بكر إلى عامله المهاجر في حين أنّها لا توجد في أيّ مصدر إسلاميّ آخر؟

في مؤلَّف الطبري نصّ نَقَله عن رواية لسيف[2] يتحدّث فيه عن قيْنتين من حضرموت قَطـع المهاجر يَدَيْها، الأولى لأنّها شـــتمت في غنائها محمّدا، والثّانية لأنّها ســـخرت من المســـلمين في قصيدة هجائيّـــة. ويذكر الطّبريّ تفاصيل أخرى مفادهـــا أنّ الخليفة أبا بكر، لما عَلِم بهذه الوقائع وجّه إلى المهاجر رسالة يُوَبّخه فيها ويعبّر له عن استنكاره للعقاب الذي سلّطه على المرأتين (قطع اليدين واقتلاع سنّيْن أماميّين)، وهذا ما يؤكّد بصفـــة غير مباشرة القصّة التـــي رواها ابن حبيب بأكثر تفاصيـــل. فبخصوص المرأة الأولى، يـــرى أبو بكر في رِســـالته أنـــه كان من المفروض أن تعاقـــب على ما اقترفته بالموت إذ كان ذنبها من باب الردّة إن كانت مســـلمة، ومن باب الخيانة إن كانت

---

1 - ابن حبيب، ن.م، ص 188.

2 - الطبري، تاريخ، III، 339-340.

مَحْمِيّة بمعاهدة. أمّا الثّانية، فما كان ينبغي أن يُسلَّط عليها نفس العقاب قبل أن يعرف المهاجر إن كانت مسلمة أم ذمّية.

ويضيف أبو بكر في رسالته إلى المهاجر[1]:

«ولو كنتُ تقدمتُ إليك في مثل هذا لبلغتُ مكروها؛ فأقبل الدّعة وإيّاك والمُثْلة في النّاس، فإنّها مأثم ومُنَفِّرة إلاّ في قصاص».

ونستنتج من هذا النّصّ للطّبريّ أنّ رسالة أبي بكر التي ذكرها ابن حبيب تتضمّن تعليمات لا تتطابق مع موقف الخليفة من العقاب الذي كان من المفروض أن يُسلّطه المهاجر على المرأتين أصيلتي حضرموت واللتين يتمثل جُرْمُهما في هجاء الرّسول والمسلمين. فلا يمكن تصوّر أبي بكر يأمر بتطبيق حدّ قطع اليدين وفي الآن نفسه يعبّر عن معارضته، بل استيائه، من عقاب اعتُبر شديدا إذا كان الأمر يتعلّق بمُسلمة ورحيما إذا كانت النسوة المذنبات من أهل الذّمّة. وما يمكن استخلاصه من هذه الوقائع التي رواها ابن حبيب والطّبريّ هو أن تمرّد قوم كندة حدَث يندرج في نطاق علاقات متوتّرة إلى أقصى حدّ، بين الدّولة المدينيّة وعمّالها في حضرموت من جهة، والقبائل القاطنة بالبلاد من جهة ثانية، وهي كندة والسّكاسك والسّكون وحضرموت وغيرها...

فكيف نفسّر هذه الانتفاضة التي زعزعت ناحية حضرموت وقَمَعَتْها في نهاية الأمر الجيوش الإسلاميّة المشتركة بين زياد والمهاجر وعكرمة؟

4 - تفسير حركة كندة في حضرموت

يبدو لنا في ضوء مختلف الرّوايات التي قدّمناها وحلّلناها أعلاه أنّ حركة كندة وحلفائها في حضرموت لا يمكن نعتها بـ «الرّدّة» بالمعنى الدّينيّ للكلمة، بل الأمر يتعلّق بحركة رفض دفع الصّدقة، إذن بتمرّد ذي روح اقتصاديّة، فضلا عن موقف سياسيّ بيّن لتولي الخليفة الجديد أبي بكر. ولا نَنْسى كذلك عنصرا آخر ذكرته المصادر القديمة والمتأخرّة وحتّى الأندلسيّة دون أن تبرزه بما فيه الكفاية، وهو أنّ الشّدّة التي أظهرها العامل زياد بن لبيد أثناء جمع الصّدقات لم تساهم دون شكّ في تهدئة الوضع بل في إذكاء التمرّد. وإنّ حلقة النّاقة التي وُسمت بخاتم الصّدقة والتي رفض العامل المدينيّ استبدالها بناقة أخرى لدليل على قلّة مرونته البيّنة وعدم

1 -ن.م، ص 341-342.

تمييزه السّياسيّ في وقت عَصيب كان من المفروض أن يستعمل فيه الإقناع لتجاوز حادثة عاديّة جدّا. ومن جهة أخرى، فإنّ «العصبيّة» القبليّة لعبت دورا حاسما في تمرّد حضرموت، على الأرجح أكثر ممّا لعبته في حركات أخرى اندلعت في جهات أخرى من الجزيرة العربيّة.

وإنّ الخطّ الفاصل بين الشقّين المتنازعين، الحضرميّين بقيادة العامل زياد، والمتمرّدين الكنديّين بقيادة الأشعث، لا يفصل بين مسلمين ومرتدّين بل بين تجمُّعَيْن قبليّين متضادّين. فهناك من جهة تجمّع يشمل قبيلة كندة بمختلف عشائرها وبطونها (بنو عمرو وبنو جَبَلة) وكذلك عناصر متفرّقة («شذّاذ») من سلالة السّكون والسّكاسِك وحضرموت، وهذه مجموعة وجدَت في شخص الأشعث شريفا سَليل ملوك، جامعا جيّدا للشّمل وزعيما. وفي الجهة المقابلة تكوّن التّجمّع الثّاني حول شخصيّة العامل زياد بن لبيد، وهو يمنيّ سليل بني بيّاضة، يشمل السّكاسِك وحضرموت. وكان التّجمّعان يقطنان وقتَ اندلاع الانتفاضة في بلد حضرموت الذي لم يكن يتّسع للجميع. ولا ننسى أنّه كان يوجد قبل ظهور الإسلام صراع كبير بين كندة (وبالخصوص عشائر بني عمرو، وبني الحارث وبني معاوية) من جهة وحضرموت بن سبإ والسّكون بن الأشرس بن كندة من جهة ثانية[1]. ومن المحتمل أنّ هذا التّناحر الجاهليّ القديم استيقظ يوم حادثة النّاقة. ولنذكّر أيضا أنّ قوم كندة، لمّا هزموا في «يوم شِعب جَبَلة» كما يسمّى (حوالي سنة 551)، كانوا يقطنون إلى ذلك التّاريخ ناحيةَ الغَمْر شمال اليمن. فنزحُوا إلى حضرموت، ويقال إنّهم كانوا ثلاثين ألف نَسَمة[2]، وأقاموا قريبا من الحضرميّين والسّكونيّين، ومن هنا جاء عدم التفاهم بينهم.

وليس من باب الصدفة أنّ الخليفة أبا بكر، وقد كان على عِلْم بالتّناحر القبليّ الجاهليّ أمر في رسالة عهد بها إلى المغيرة بن شعبة[3] أثناء حصار حصن النُّجير، عامليه في حضرموت، زياد والمُهاجر، بترحيل المتمرّدين حتّى ولو عُقدت معاهدة سلام معهم. وهذه الإشارة تبيّن بوضوح أنّ التّجمّعَيْنَ القبلَيّيْن لم يكونا متفاهمَين وأنّه لابدّ في جميع الحالات من الفصل بينهما جغرافيّا لوضع حدّ نهائي لتناحرهما.

---

1 - س. العَلَوي، **تاريخ حضرموت**، I، 45.

2 - ن.م، ص32، انظر بخصوص نزوحهم إلى حضرموت: الهَمْداني، **صفة**، ص 175.

3 - الطبري، **تاريخ**، III، 337.

وينبغــي أن ندقّــق من ناحية أخـرى أنّه كان يوجد من بين قوم كندة، عشــائر كاملة رفضت المشاركة في الانتفاضة أو انسحبت من القتال في وقت من الأوقات.

وذكر لنا وثيمة إسـميّا جميع الكِنديّين الذين حافظوا على إخلاصهم للإســلام وهذه قائمتهم1: أبو فُرعان الكنديّ- عبْعَاب بن عمرو الكنديّ- الوليد بن مُحسن- عبد الله بن يزيد بن قيس السّـكونيّ- الوليد بن مِحْصَن الدُّرَيْكيّ- عوْف بن مُرارة السّـكونيّ- مالك بن عبـد الله الكنديّ- ثَوْر بن مالك الكنـديّ- معاوية بن الحارث الكنديّ.

وينبغي أن نضيف إلى هذه القائمة الأسـماء التّالية وقد وجدناها في روايات الطّبريّ وابن الأعْثم وابن حبيب[2]: عَدي بن عوْف- امرؤ القيس بن عابس الكنديّ- شـدّاد بن مالك- شُرَحْبيل ابن السّـمط وابنه السّـمط الكنديّ- ابن صالـح- أبْضَعَة بن مالك- عفيف بن مَعْدِي كَرِب.

وبالنّسـبة إلى العشـائر الأخرى، فباسـتثناء بني قَتِيرة الذين وجدناهم في صفّ القضيّـة الإسـلاميّة، انضمّت كلّ العشـائر الكنديّـة الأخـرى إلى الانتفاضة وشاركت بقيادة الأشـعث في المعارك التي شنّها على الجيوش الإسلاميّة بقيادة زياد والمهاجر في مَحْجَر الزّرقان والنُّجَيْر وغيرهما؛ وهي عشـائر بني هند وبني العاقل وبـني حُجْر وبني حِمْير وبني مُرّة وبني عَدِي وبني جَبَلة وبني الأرقم وبني ذهل، وقد ذكرها ابن الأعثم.

وهنـاك جزئية دالّة وجدناها في رواية ابن الأعْثـم[3] تَدْعم يقيننا بأن تمرّد كندة لم يكـن «ردّة» بالمعنى الدّينيّ للكلمة بل هو ناتج عن تخلّي عشـائر حِمْير وبني الأرقم وبني حُجْر مؤقّتا عن الأشعث إثر مصادقته على قَتْل فتى من بني مرّة للمبعوث المدينيّ مُسـلم بن عبد الله. هذا الموقف من فِعْلٍ اعتبر لا أخلاقيّا ومُسْـتَنْكرا، يبيّن جيّدا أنّ تلك العشـائر لم تكن غير متأثرة مطلقًا بالدّعاية الإسـلاميّة. ونفس هذه العشائر لم تـتردّد أثناء الحصار الذي فرضته الجيوش الإسـلاميّة على الكنديّين في حصن النُّجَير من نجدة أهل قبيلتها، جاعلة بذلك العصبيّةَ القبليّةَ فوق كلّ اعتبار[4].

---

1 - وَثيمة، ن.م، ص 36-37.

2 - الطبري، تاريخ، VI، 334؛ ابن حبيب، ص 184؛ ابن الأعثم، كتاب الفتوح، I، 55 و63.

3 - ابن الأعثم، ن.م، I، 69.

4 - ن.م، ص 62.

عموما، سواء تعلّق الأمر بالتّناحر أو بالتّضامن، فإنّ الجانب القبليّ يمثّل المفتاح الذي بدونه لا يمكن فهم تمرّد كندة ومختلف فصوله.

وفي النّهاية، نلاحظ أنّ رواية ابن الأَعْثم التي سردناها على عِلاّتها، لا ينبغي أن تعتبر شهادة تاريخيّة حقيقيّة ومعقولة، ولا نصّا ملحميّا وأسطوريّا لا قيمة له. فنحن نرى أنّها تتضمّن تفاصيل طريفة مثل قائمة العشائر الكنديّة ورؤسائها الذين ساندوا قضيّة الأشعث، وكذلك مراحل الحركة (تَرِيم وحضرموت والنُّجَيْر) والعلاقات بين الحكومة المدينيّة والمتمرّدين، الخ... وهي تفاصيل لم تَرِدْ في المصادر الأخرى وتدعّم على كلّ حال الرّوايات التي نقلها الطّبريّ[1] والأخباريّون الآخرون.

وفي المقابل، فهي ليست خالية من إشارات بَدَت لنا قليلة الاحتمال وقابلة للطّعن، مثل سفر زياد بن أبيه المزعوم إلى المدينة لإعلام أبي بكر بتمرّد كندة[2]، وحَشْد الخليفة جيشا يتكوّن من أربعة آلاف رجل من بين المهاجرين والأنصار قصْد إرساله إلى حضرموت بقيادة زياد[3]، وموقف الأشعث المتقلّب والمتناقض في الكثير من الأحيان، وتوبته المزعومة[4]، ومقتل الرّسول المدينيّ مسلم بن عبد الله من قبل مُرّيّ من كندة[5]؛ رسالة أبي بكر إلى الأشعث التي يقترح عليه فيها أن يخضع لسلطته ويكفّ عن تمرّده مُقابل عزل زياد وتعويضه بعامل يحظى برضا الكنديّين[6]، والمهمّة المزعومة التي كلّف زياد عكرمةَ بها والمتمثّلة في اعتراض التّعزيزات التي كانت كندة المحاصَرة في قلعة النّجَيْر تتهيّأ لتلقّيها من أهل قبيلتها[7]، والمشادّة الكلاميّة بين زياد وعكرمة التي كاد عكرمة يغادر على إثرها حضرموت مع رجاله[8]، والنّسيان الذي يكاد يكون تامّا في الرّواية لدوْر المهاجر الذي كان مع ذلك القائد العامّ للجيوش الإسلاميّة في حضرموت.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 330-339.

2 - ابن الأعثم، ن.م، I، 59-85، و61-62.

3 - ن.م، ص 62.

4 - ن.م، ص 63.

5 - ن.م، ص 68-69.

6 - ن.م، ص 68.

7 - ن.م، ص 82.

8 - ن.م، ص 83-84.

وفي الختـام، تبدو لنا رواية ابن الأعثم منحازة جـدّا لأنّها تُولي إلى القائد الكنديّ الأشـعث بن قيـس دورا طلائعيّـا وتقدّمه لنا دائـما تقريبا في صـورة مشرقة، وتجعله محـور تمرّد كندة، مهمِلة في المقابل القـادة الآخرين وخاصّة منهم المُهاجر وعكرمة. فهـذه الرّواية إذن مزيج من الأحداث التّاريخيـةّ الثّابتة والقَصص إلى درجة أنّ الجانب الأسـطوريّ والخرافيّ غالب على الجانب الأحداثيّ والتّاريخيّ الصّرف. فما علينا إلاّ أن ننظـر في وصف المبارزات المتكرّرة بين قادة مسـلمين ومقاتلـين كنديّين[1] لندرك غلَبةَ روح القَصص على الكتابة التّاريخيّة ذاتها في نصّ ابن الأعثم.

إلاّ أنّ هـذه الرّوايـة، عندمـا قارنّاها بروايـات أخرى للطّـبريّ وللمؤلّفين العرب بالأندلس مثـل ابن حُبَيش والكلاَعيّ، فإنها خوّلت لنا، رغم محدوديّتها، بلورةَ بعض حلقات من تمرّد كندة والأطراف المشاركة فيه ومختلف مراحله ونهايته بصورة أفضل.

خاتمة

لقد مكّنتْنا دراسة حركات الرّدّة باليمن (الأسود العَنسيّ، وقيس بن المكشوح المُـراديّ، والأشـعث الكنـديّ)، من محـاصرة الوضع السّـياسيّ باليمـن قبيل وفاة الرسـولمحمّد (ص) وبعدها، بصورة أفضل. فحركة الأسـود التي اندلعت قبل وفاة الرّسـول بمدّة قصيرة كانـت حَظِيَت بانخراط قبائل وعشـائر وبطون يمنيّة كثيرة (عَنـس ومُراد وزُبيد وأَوْد والحارث ومَذْحـج والأزْد، وغيرها...) ثم انتشرت في عديد المدن والقرى السّاحليّة والدّاخليّة باليمن (صنعاء والجند ونجران والعُلَيْب وغيرها...). وكانت تمرّدا على المدينة وعلى الفرس في الآن نفسـه. وقد أراد زعيمها الأسود الذي لقّبـه خصومه بـ«الكذّاب»، إخـراج البلاد من نفوذ المدينـة، وجعلها تلعب الدّور السّـياسيّ والاقتصاديّ الذي كان لها في القرن السّـادس وحتّـى قبله، ولكنّ هذه الانتفاضة فشـلت رغم التّحالـف الرّائع الذي ولّدته في نفـس الوقت عند الأشراف القبليّين (أشراف همْدان وحِمْيَر) والأبناء المستقرّين في صنعاء وغيرها (فيْروز وداذويه...) دون أن ننسـى بالطّبع جميع الحلفاء الملتفّين حول العمّال المسـلمين (فروة بن مُسَـيْك ومعاذ بن جبل...) وكان القضاء على الأسود نتيجة مؤامرة دبّرها عديد القادة اليمنيّين المحلّيّين (قيس بن المكشـوح خاصة)، وممثّلي الأبناء، هـو الذي أعلن نهاية الحركة بعد أن تولّى أبو بكر الخلافة بثلاثة أيّام.

---

1 - ن.م، ص 70، وص 70-80.

أمّا «ردّة اليمن الثّانية» فقد اندلعت غداة وفاة الرسـول محمّد (ص). وهي تختلف كثيرا عن حركة الأسـود، سبقتها سلسـلة من العمليّات في نجران (بنو الحارث)، وعـلى طريق الأخابث (عكّ وأشـعر)، وشـمال اليمـن (خَثْعم). ولم يتمـرّد قيس بن المكشوح الذي شارك في المؤامرة ضدّ الأسود، على الإسلام بوصفه دينا ودولة، بل على الأبناء الذين اسـتولَوْا على السّـلطة في صنعاء بموافقة السّلطة المدينيّة. وقد بحث قيـس عـن دعائم لدى بعض أشراف اليمـن مثل عمرو بن مَعْدي كـرِب الزُّبيْديّ، ولـدى عامّة عديـد القبائل اليمنيّة مثل مراد ومذحِج وغيرهما، ولدى فرسـان العنْسيّ الذيـن تمادَوا بعد موت قائدهم في النّهب والسّـلب ناحية نجـران. وكانت حركة قيـس أملاها شـعور مُعَادٍ للفرس بارز، قضى عليها بسرعة عمّال أبي بكر المسـلمون وحلفاؤهـم القبليّـون (بنو عُقَيل وعكّ وغيرهـم...). وفي النّهاية هـزم الجنود الذين أرسلتهم المدينة بقيادة المهاجرَ ابنَ المكشوح قرب صنعاء.

أمّـا الحركة الثّالثة، حركة كندة في حضرمـوت، فإنّها رأت النّور بعد أن تولّى أبـو بكر الخلافة. ويربط أغلب الأخباريّين بينها وبين الصّدقات وطريقة زياد بن لبيد في جمعهـا. وقـد جمع قائد التّمرّد الأشـعث بن قيس حوله تحالفا واسـعا متكوّنا من بـني عمرو وبني الحارث (بـني هند، وبني جِمْير، وبني حُجْر وبني جَبَلة، وبني مُرّة، وبني عَـدِي، وبني عقيـل...) وكذلك من عناصر تنتمي إلى السّكاسـك وجيرانهم في حضرموت. وانهزم المتمرّدون الكنديّون عديد المرّات (في مَحْجر الزُّرْقان خاصّة) قبل أن يستسلموا في حصن النُّجَيْر للجنود المسلمين بقيادة زياد بن لبيد، والمعزّزين بعناصر كان الخليفة أبو بكر أرسلها بقيادة عِكرمة والمهاجر.

وقُضي على حركات التّمرّد هذه الثّلاث. والأسود وحده هو الذي قُتل. أمّا قيس والأشـعَث فقـد عفا عنهما أبو بكر في المدينة. وهكذا تـمّ تطهير اليمن وأدمج نهائيّا في السّـلطة المدينيّة. ونحن لا نعرف مع الأسف المضاعفات المباشرة لهذه الانتفاضات الثّلاث على اليمن، لا على المستوى الدّيمغرافيّ والاجتماعيّ، ولا على المستوى السّياسيّ والاقتصـاديّ. وقـد قُتل لا محالة الكثير مـن النّاس خاصّة في حصـن النّجير ومدن أخـرى في حضرموت. وكذلـك اضطّر قوم كندة (بنو معاويـة وبنو الحارث) إلى تغيير مكان إقامتهم بعد حلقة النّجَيْر. ولكنّ الثّابت أنّ اليمن سـيكفّ عن لعب دور سـياسيّ طلائعيّ في عهد الخلفاء الرّاشـدين والعصر الأمويّ، مع أنّ الكثير من اليمنيّين سيسـتجيبون لنداء أبي بكر للالتحاق بسـائر المسلمين (الأنصار والمهاجرين وغيرهم...) الذين ذهبوا لقتال الرّوم والفرس على جبهتي الشّـام والعراق. من هؤلاء؟ إنّها أساسا القبائل والعشائر التي بقيت مخلصة للدّعوة الإسلاميّة وقت الرّدّة. ويمكن

أن نستخلص منها في المقام الأوّل مجموعة أولى متكوّنة من همدان وحِمْير نضيف إليها الأبْناء؛ في حين تتكوّن المجموعة الثّانية من عشائر مَذْحِج (أي النخع وجزء من زُبَيد وبني الحارث بن كعب) والأزد (أي دَوْس وأزْد السّراة) زيادة عن عكّ وبني عُقَيْل. وكانت هذه المجموعات القبليّة تقطن شمال اليمن وتحديدا بين نجران وصنعاء. ويدلّ موقفها المناصر للإسلام، وخاصّة أثناء ردّة الأسود ثم قيس، بوضوح على أنّ اعتناقها الإسلام المذكور آنفا كان حقيقيّا. أمّا اليمنيّون الآخرون الذين أظهروا إخلاصهم لأبي بكر وعمّاله أثناء انتفاضة كندة وحضرموت، فإنهما يشملون السّكون والسّكاسِك وحضرموت، وهو تجمّع قبليّ كان يقطن في جوار متمرّدي كندة في منطقة حضرموت. والحاصل أنّ هذه التّجمعّات القبليّة المختلفة ستشارك فعليّا في الفتوحات الإسلاميّة في الشّام والعراق ومصر. وسنرى بالخصوص أنّ أعدادهما في المعارك الحاسمة بالقادسيّة واليرموك كانت هامّة. وفي المقابل لم يلتحق المرتدّون (مُراد وكندة وخَثْعم ومَذْحِج وغيرها) بجبهات القتال في خلافة عمر دون الحصول على أيّ قيادة عسكريّة. ومهما كان الأمر، فإنّ اليمن سيُحْرَم من عناصره النّشيطة (وهي عدّة آلاف إذا عدنا إلى عدد الجنود في معارك الفتح)، وهي العناصر التي لم تقبل المساهمة في الانتشار فقط مقابل الغنائم والمجد والتّضحية، بل استقرّت في نهاية الأمر في الأقطار المفتوحة نهائيّا.

الفصل الثاني

اليمنيّون والانتشار العربيّ الإسلاميّ:
اليمن في خدمة الإسلام

لا نعتزم دراسة حركة التّوسّع العربيّ الإسلاميّ التي شُرِع فيها في عهدي أبي بكر وعمر، والتي ستتواصل إلى نهاية العصر الأمويّ مُراوِحة بين التّوقّف والازدهار، والتي ستمكّن من تكوين امبراطوريّة مُعْتَبَرة تمتدّ من المحيط الهنديّ، ومن الصّين شرقا، إلى المحيط الأطلسيّ وفرنسا غربا[1]، بل إنّ غايتنا تدقيقُ الكيفيّة والظروف التي بدأت فيها الحركة، وحقيقة مساهمة اليمنيّين، أفرادا وقبائل، في ذلك الانتشار الهائل، خاصة في اتّجاه الشّام ومصر البيزنطيّيْن، وما بين النّهرين السّاسانيّة. ومن البديهيّ أنّ تلك المساهمة تهمّنا في المقام الأوّل بحكم تداعياتها المباشرة على إقليم اليمن خلال القرن الأوّل للهجرة.

ونحن نعلم أنّ هذا الانتشار المسمّى «حركات الفُتوح» بدأ في عهد أبي بكر خليفة الرّسول، وتحديدا بعد القضاء المُبْرم على حركات التّمرّد المسمّاة بـ «الرّدّة» في شبه الجزيرة العربيّة وظهر حتّى في خضمّ معاركها الشّهيرة[2].

---

1 - انظر بخصوص حركة الفتوحات: شكري فيصل، **حركات الفتح الإسلاميّ في القرن الأوّل**، بيروت، 1952.
R. Mantran, *L'Expansion musulmane*, Paris; A. Shaban, *Islamic History*, I, 1971; F. M. G. Donner, *The early arabic conquests*, Princeton, 1981; F.Gabrielli, *Mahomet et les grandes conquêtes arabes*, Paris, 1967; D. R. Hill, *The terminations of hostilities in the early arab conquests* (634-656), London, 1971, ect..

2 - ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق ص. المنجّد، دمشق، د.ت. انظر المجلّد الأوّل، ص 441.

I-فتوح الشّام والعراق ومصر

1- فتح الشّام البيزنطيّ

أ- تمهيد

كيف نُظّمت الحملات العسكريّة ضدّ الشّام البيزنطيّ؟ نذكّر أنّ الخليفة أبا بكر عقد في المدينة، إثر انتهاء حروب الرّدّة، مؤتمرا حقيقيّا[1] جمع فيه الصّحابة من المهاجرين والأنصار يهدف بالذّات إلى البحث عن خطّة تنتهج في مجال سياسة النّظام المدنيّة الخارجيّة. فالأخباريّ البصريّ الأزديّ[2] ومن بعده المؤلّف الأندلسيّ ابن حبيش الذي توسّع في النّقل عنه في مؤلّف بعنوان **كتاب الغزوات**، يلحّ كثيرا على أنّ أبا بكر الذي تميّز بموقفه الشّديد والصّارم إزاء قمع «المرتدّين»، رأى أن يُشرع فورا في فتح الشّام البيزنطيّ، على الأرجح لمواصلة عمل الرسول محمّد الذي بدأه بإرسال غزوات لمحاربة الرّوم في طريق الشّمال (مؤتة وتبّوك وحملة أسامة بن زيد)[3]. ويُنْسَب أيضا إلى شُرَحْبِيل بن حَسَنة، أحد أشهر صحابة الرّسول الذي لعب دورا أساسيّا في محاربة مُرْتَدّي اليمامة، أنّه أوْعز إلى الخليفة بهذه الفكرة الهادفة إلى شن غزوة الشّام[4].وحسب رواية أخرى نقلها الزُّهريّ عن عبد الله بن أبي عَوْف الخزاعيّ[5]، عُنِي أبو بكر، وقتَ استنفار الجيوش بالمدينة بدعوة أشهر الصّحابة، عمر وعثمان وعلي وعبد الرّحمان بن عَوْف وأبي عُبَيْدة بن الجرّاح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد، وكذلك الأشراف من بين المهاجرين والأنصار الذين شاركوا في غزوة بدر. والملاحظ أنّ قائمة الصّحابة هذه تطابق، باستثناء إسمين فقط، قائمةَ مجلس الشّورى كما عيّنه الخليفة عمر قُبَيْل وفاته[6].

وكانت آراء المشاركين في «مؤتمر» المدينة هذا بخصوص إرسال جيوش إسلاميّة إلى الشّام الذي اقترحه أبو بكر الصّدّيق وسانده فيه عمر، متنوّعة ومختلفة في الآن

---

1 - ابن حُبيش، **كتاب المغازي والفتوح**، مخطوط ليدن، الورقة 75؛ ابن الأعثم الكوفيّ، **كتاب الفتوح**، ط. الهند، مجلّد، ص 288 وما بعدها؛ الأزديّ، فتوح الشّام، القاهرة، 1970، ص3.

2 - الأزديّ، ن.م، I؛ ابن حُبيش، ن.م، الورقة 75.

3 - ابن عساكر، ن.م، I، 384-440 (تفاصيل هذه المغازي).

4 - ابن حُبَيش، ن.م، الورقة 75.

5 - ن.م، الورقة76؛ انظر أيضا: الأزديّ، ص 1-2؛ ابن عساكر، I، 443.

6 - البلاذري، **أنساب الأشراف**، القدس، 1936، V، 15 وما بعدها.

نفسه. وكان عبد الرّحمان بن عوف يرى أن تُشَنَّ في مرحلة أولى سلسلة من الغارات في عمق الأراضي الرّوميّة للحصول على الغنائم، ثم يُراسَل في مرحلة ثانية اليمنيّون وكذلك ربيعة ومُضَر لتجميعهم في المدينة وتنظيم حملة عسكريّة حقيقيّة ضدّ الشّام الرّوميّ. ووَعَد كلّ من عثمان وأبي عُبَيْدة وطلحة والزّبير وسعيد بن زيد الخليفةَ بمشاركتهم في كلّ عمل يُقرَّر، تاركين له حرّيّة التّصرّف لما فيه خيْر المسلمين. أمّا عليّ فإنّه توقّع النّصر للمسلمين وهو ما شجّع أبا بكر على إرادته فتحَ الشّام[1].

وعيّن أبو بكر في البداية أحد عمّال الرّسول على اليمن، خالد بن سعيد بن العاص قائدًا للقوّات الإسلاميّة القاصدة الشام. إلاّ أنّ عمر تدخّل مذكّرا الخليفة بأنّ خالدا كانت بيعته له متأخّرة[2]، فاستبعد ترشيح ابن سعيد لصالح ثلاثة أو أربعة أشراف قرشيّين، هم على التّوالي يزيد بن أبي سفيان وشُرَحْبيل بن حَسَنة وأبو عُبَيْدة بن الجرّاح، على أن يتولّى أبو عبيدة القيادة العامّة لكل القوّات الإسلاميّة في صورة شنّ معركة مشتركة ضدّ الرّوم.

وينصّ الأخباريّ ابن عساكر[3] على ثلاثة «أمراء»: عمرو بن العاص وشُرَحْبيل بن حَسَنة ويزيد بن أبي سفيان الذي عوّض خالد بن سعيد في ذي المَرْوة، في حين كان ابن الجرّاح آخر من ذُكِر. ويزعم الأزديّ[4] من ناحيته أنّ خالد بن سعيد رفض الإمارة التي عَرَضها عليه أبو بكر، وأنّ الخليفة احتفظ في نهاية المطاف بأربعة أسماء: يزيد بن أبي سفيان، وشُرحْبيل بن حَسَنة، ومعاذ بن جَبل وبالطّبع أبو عبيدة بن الجرّاح. كان ذلك على كلّ حال قرار أبي بكر. ولكن يجدر أن نعرف كيف وقع تجميع تلك القوّات التي سيعهد بها إلى أربع قيادات.

في الواقع، يبدو أنّ أبا بكر، بعد أن لاحظ ضعف العدّة العسكريّة ونقصها وقد بدأت تتوافد على المدينة قصْد التّوجه إلى الشّام، بادر، بموافقة الصّحابة، بدعوة اليمنيّين إلى المشاركة في الجهاد ضدّ الرّوم.

فلنتوقّف قليلا عند هذه النّقطة الهامّة لتقييم المشاركة اليمنيّة في هذه المبادرة الأولى في مجال «الفتوح».

---

1 - اليعقوبي، تاريخ، II، 133؛ الأزدي، ن. م،3-4؛ ابن حُبيش، ن. م، الورقة 77؛ ابن عساكر، I، 443-444.

2 - الطبري، تاريخ، III،387؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 133.

3 - ابن عساكر، I، 447-448.

4 - الأزدي، ن. م، ص 6-7.

ب-النّداء الموجّه إلى اليمنيّين

تذكر المصادر العربيّة (الأزديّ والواقديّ وابن عساكر وابن حُبَيْش)[1] بدقّة أنّ اليمنيّين دعاهم أبو بكر إلى المشاركة في الجهاد ضد الرّوم في الشّام، في رسالة سلّمها إلى أحد الصّحابة الأنصاريّين، أنَس بن مالك الخزرجيّ[2] ليحملها إليهم في اليمن. وحثّ الخليفة في هذه الرّسالة اليمنيّين على القدوم إلى المدينة بأعداد وافرة لينضمّوا إلى المهاجرين والأنصار الجاهزين بَعْدُ، والرّحيل معا إلى الشّام، ملحّا لتشجيعهم على الردّ على دعوته بالإيجاب، على وعدهم بالغنائم والمجد إذا ما انتصروا، وتبشير المجاهدين الذين يستشهدون في ساحة الوغى بالجنّة. فتحوّل رسوله أنس بن مالك إلى اليمن وأخذ يقطع البلاد طولا وعرْضا، متنقّلا من ناحية إلى أخرى، متّصلا بالقبائل الواحدة بعد الأخرى، لإعلام اليمنيّين بفحوى رسالة الخليفة وبالأهمّية التي كان أبو بكر يُوليها شخصيّا لفتح الشّام الرّوميّة.

وفي رواية رواها أنس بن مالك، كان القائد الحِمْيريّ ذو الكَلاع هو، من بين جميع القادة والأشراف اليمنيّين الذين اتُّصِل بهم لهذه الغاية، أوّلَ من استجاب لدعوة الخليفة[3] إذ جهّز فيلقا متكوّنا من أهل قبيلته حِمْير وعدّة آلاف من عبيده، قاده بنفسه وعجّل بالرّحيل إلى المدينة.

وفي الأثناء، كان استنفار المسلمين في المدينة يجري في كثير من الحماس والاقتناع تحت إشراف الخليفة نفسه. وعهد أبو بكر بفيلق أوّل إلى يزيد بن أبي سفيان، يعضده ربيعة بن عامر[4]، وأُعْطِيت إلى يزيد تعليمات دقيقة وصارمة بخصوص طريقة التّصرّف في التّراب الشّاميّ، منها عدم قتل الأطفال والنّساء والشّيوخ؛ وعدم حرق النّخيل والأشجار المثمرة؛ وعدم إتلاف الماشية؛ وخاصّة تمكين شعوب البلدان المفتوحة من الاختيار بعد النّصر بين اعتناق الإسلام ودفع الجزية؛ كانت تلك أهمّ التوصيّات التي أُعْطيت إلى يزيد قبل انطلاقه من المدينة في اتّجاه الشّام[5].

---

1 - الأزديّ، ص8.؛ الواقديّ، فتوح الشام، مجلّدان، بيروت، د.ت. انظر المجلّد، ص6. وانظر أيضا طبعة كلكوتا، 1854 بتحقيق ليس (Lees)؛ وطبعة القاهرة، مجلّد واحد في قسمين؛ ابن عساكر، I، 445؛ ابن حبيش، ن.م، الورقة 77.

2 - انظر بخصوص هذه الشّخصيّة ابن عبد البرّ، الاستيعاب، I، 109-111.

3 - الأزديّ، ن.م، ص9-10؛ الواقديّ، ن.م، ص6؛ ابن حبيش، ن.م، الورقة 79

4 - الأزديّ، ص. II؛ الواقدي، I، 9؛ ابن حبيش، ن.م، الورقة 80

5 - الأزديّ، ص.12؛ ابن حبيش، الورقة 80؛ ابن عساكر، I، 454 و456-457.

وعهد بالإمارة الثّانية إلى شُرَحْبيل بن حَسَنة الذي كان من المفروض أن ينطلق بعد ثلاثة أيّام[1]. أمّا أبو عُبَيْدة بن الجرّاح الذي عُيّن أمير اللواء الثّالث ووقعت ترقيته بنفس المناسبة إلى قائد عامّ لجميع الألوية في الشّام، فقد كان آخر مَنْ غادر المدينة وتحديدا بُعيْد وصول الألوية اليمنيّة.

وهكذا يمكن القول إنّ مبادرة فتح الشام، هي فكرة اقترحها في البداية أبو بكر وأقلّية من الصّحابة ومن رجال بدر، قد صار لها بُعْد جديد بعد أن أُدمج كلّ من يزيد بن أبي سفيان وأبي عبَيْدة في صلب القوّات المتّجهة إلى الشّام، عناصرَ قَدِمت رأسا من اليمن. ويروى أنّ الحِمْيريّين بقيادة رئيسهم ذي الكلاع المتميّز في عهد الرّسول بمساندته المطلقة للكفاح المسلّح الذي خاضه المسلمون ضد تمرّد الأسود العَنْسيّ، لمّا وصلوا إلى المدينة[2] أثلجوا صدر أبي بكر وأهل المدينة عامّة[3]. واتّبع خطاهم على التّوالي مَذْحِج بقيادة حابِس بن سَعْد وأخيرا الأزد يقودهم جُنْدُب بن عمرو بن حَمامة الدَّوْسيّ وأبو هُرَيرَة[4]. وتبيّن المصادر العربيّة أنّ القائد المُراديّ قيس بن المكْشوح قد يكون أقنع أبا بكر بتعجيل إرسال أهل قبيلته إلى الشّام لأنّ المدينة ليست مكانا صالحا للإقامة المطوّلة بالنّسبة إلى قبائل بدويّة كقبائلهم، زيادة على أنّه لم يكن يوجد فيها ما يكفي من العلف للخيل والإبل[5]. ولهذه الإشارة الثّمينة فضل إعلامنا بالطّبيعة البدويّة للعناصر المنتمية إلى مَذْحِج (مُراد وزُبَيد) والتي وصلت المدينةَ بقيادة قيس والحجّاج. ومن الملاحظ أنّ جيوش أبي عُبَيدة التي انطلقت بعد وحدات يزيد وشرَحْبيل، كانت تضمّ أشرافا عربا، وصحابة مثل معاذ بن جَبَل الأنصاريّ وخالد بن سعيد بن العاص وإخوته عمرو وأبان والحَكم[6]، وكذلك يمنيّين من سلالة مذحِج بقيادة قيس المراديّ. ويزعم الأزديّ، ومن بعده ابن حُبَيش[7]. أنّ الخليفة أبا بكر قد يكون أعطى تعليمات إلى أبي عبيدة قبل خروجه من المدينة، بأن يستشير دوْما قيسا كلّما احتاج إلى نصائحه، احتراما لتجربته في المجال العسكريّ دون شكّ، فضلا عن خصاله فارسا مقداما وشجاعا، وعن أصله الشريف.

---

1 - الأزديّ، ص. 13.

2 - الطبري، تاريخ، III، 187 وما بعدها.

3 - ابن حبيش؛ الورقة 79؛ الأزدي، ص 10.

4 - الأزديّ، ص. 16؛ الواقديّ، ص 7؛ ابن حبيش، الورقة 81.

5 - الأزديّ، ص 11.

6 - ن.م، ص 21-22؛ ابن حبيش، الورقة 32-83.

7 - الأزدي، ص 26؛ ابن حبيش، الورقة 85.

ومـن جهة أخرى، فإنّ وَحَدات طيّ (600 أو 1000) بقيادة مِلْهان بن زياد، وخَثْعم (700 أو 900) بقيادة ابن ذي السّـهم، عُجّل بإرسـالها منذ وصولها إلى المدينة، لتلحق بجنود أبي عُبَيْدة بالنسبة لطيّ، وبجنود يزيد بالنسبة لخثعم[1].

وقد أرسـل أبو بكر بصفة متأخّرة إلى الشّـام تعزيـزات أخرى مثل الألف رجل الذين كان يقودهم هاشـم بن عُتبة بن أبي وقّاص، والسّـبعمائة الآخرين بقيادة سعيد بن عمر بن جِذْيَم الذين التحقوا على التّوالي بأبي عُبَيْدة وبيزيد[2].

وتلقّى يزيد بن أبي سـفيان بعد ذلك ثلاث مجموعات أخرى تتكوّن كلّ منها من أربعمائة رجل، مائة منهم سُـلَيْمِيُّون، على رأسهم معن بن يزيد بن الأخْنس وعمرو بن سـفيان الملقّب بالأعور، ومائة رجل جمعهم حبيب بن مسلمة الفهريّ ومئتا رجل من عشائر أسلم وكعب وغِفار ومُزَيْنة يقودهم الضّحّاك بن قيس[3].

وينبغي تمييز الألْفي رجل من هَمْدان الذين وصلوا بقيادة حمزة بن مالك الهَمْدانيّ العُذْريّ[4]، وأرْسـلوا على عَجَل إلى أبي عُبيدة بعد فترة قصيرة قَضَوْها في المدينة حفظوا خلالها القرآن والتّعاليم الإسـلاميّة. ونضيـف أنّه كان من بين عناصر هَمْدان هؤلاء، أهـل القرى، وهم قوم غِـلاظ أزعجوا المدينيّين بتصرّفاتهم ممّـا جعل الخليفة أبا بكر يضطرّ للتّدخّل لدى المهاجرين والأنصار حتى يتحمّلوهم بضعة أيّام قبل أن يرحلوا إلى الشّام[5]. تلك إذن معلومة مفيدة بخصوص الأصل القرويّ لليمنيّين الذين جاؤوا من بلادهم، جالبين معهم أسرهم أطفالا ونسـاءً وعبيدا وخدَما، بأخلاقهم الفَظّة وعاداتهم الخشنة والشّرِسة التي سيسخّرونها لفائدة الدّعوة الإسلاميّة وانتشارها في الشّام.

فالمصادر العربيّة ذكرت في حديثها على استنفار الرّوم في الشّام للدّفاع عن أراضيهم وعقيدتهم في مواجهة خطر المسلمين الذي صار تهديده يزداد باطّراد[6]، ما لم يتردّد بعض مؤرّخي القرن العشرين في نعته بـ«دوافع الانتشـار الإسلاميّ الاقتصاديّة»[7]. وهي تلحّ

---

1 - الأزدي (ن.م، ص24-26) يذكر ألف رجل من طيّ و900 من خثعم؛ ابن حبيش، الورقة 84.

2 - الأزديّ، ص. 34-36؛ ابن حبيش، الورقة 87-88.

3 - الأزديّ، ص.41-43؛ ابن حبيش، الورقة 90.

4 - الأزديّ، ص. 39؛ ابن حبيش، الورقة 89.

5 - الأزديّ، ص. 40؛ ابن حبيش، الورقة 89.

6 - الأزديّ، ص. 28-29؛ ابن حبيش، الورقة 85.

7 - R. Mantran, *op. cit.*, pp. 98-99; F. M. G. Donner, *The early.*, pp. 96 et sqq; N. Hassen, *The role of the arab tribes in the east during the period of the Omayyades*, Bagdad, 1971, pp. 60-61.

خاصّة على أنّ الرّوم، وفي طليعتهم الامبراطور، كانوا ينظرون إلى العرب كـ«أناس جائعين خرجوا من بلادهم القاحلة والجافّة، حفاةً، بحثا عن ظروف معيشيّة أفضل وألطف»، وهو ما سيجدونه قريبا في بلدان الهلال الخصيب[1].

وهكذا أُعِدّت ثلاثة جيوش في المدينة وأُرسلت الواحد بعد الآخر إلى الشّام بقيادة أبي عُبَيْدة العامّة، قبل أن يعجّل أبو بكر بإرسال جيش رابع بقيادة عمرو بن العاص، استجابة دون شكّ للنّداء العاجل الذي وجّهته إليه الجيوش التي وصلت بَعْدُ على عين المكان[2].

وفي الجملة كان عدد الجنود الذين أُرْسلوا إلى الشّام أربعة وعشرين ألف رجل موزّعين على النّحو التّالي: سبعة آلاف رجل بقيادة عمرو بن العاص. هذا على الأقلّ رأي الطّبريّ. أمّا ابن عَسَاكر[3]، فإنه يرى أنّ ذلك الجيش كان مقسّما إلى أرْباع، كلّ رُبْع منها يتكوّن من ستّة آلاف رجل بقيادة قائد، في حين كان خالد بن الوليد مكلّفا بالقيادة العامّة.

كيف كانت مساهمة اليمنيّين في المعركة التي شقّت الطّريق أمام فتح الشّام الفعليّ، أي معركة اليرموك (رجب عام 14/ أوت- سبتمبر 635)؟

ج-معركة اليرموك ومساهمة اليمنيّين

تخوّل لنا المصادر العربيّة[4] معرفة عدد القوّات المسلّحة الإسلاميّة التي شاركت في معركة اليرموك، وعدد المقاتلين، وأصلهم القبليّ والعشائريّ، وتنظيمهم في المعركة، وتوزيع القيادات من قِبل خالد بن الوليد الذي رقّاه أبو بكر قائدا عامّا.

ويقدّر سيف بن عمر[5] عدد الجنود المسلمين في اليرموك بستّة وأربعين ألف رجل في حين كان الجيش البيزنطيّ المقابل، وقد عزّز بالعرب المسيحيّين، يعدّ فيما يبدو مائتين وأربعين ألف شخص. أمّا الأخباريّ الكوفيّ ابن الأعثم، فإنّه يتكلّم على ثلاثة وأربعين ألف رجل من الجانب الإسلاميّ، ومائة ألف من الجانب البيزنطيّ[6].

---

1 - الأزديّ، ص. 28-29؛ابن حبيش، الورقة 85.

2 - ابن حُبيش، الورقة 90-91.

3 - ابن عساكر، ن.م، 450 و453.

4 - الطبري، تاريخ، III، 394-395؛ ابن حبيش، الورقة 174.

5 - الطبري، تاريخ، III، 395؛ ابن حبيش، الورقة 174؛ ابن عساكر، I، 546.

6 - ابن الأعثم، I، 233.

وبخصوص التّركيبة القبليّة، يزعم الأزديّ[1] أنّ الجيش الإسلاميّ كان يتكوّن مــن أغلبيّة حِمْيَرِيّــة، الثّلث من الأزد (من عشــيرة دَوْس) بقيادة عمــرو بن حَمَامة وأبي هُرَيْــرة[2]، في حين كانت بقيّة الوحــدات تضمّ عناصر من همدان[3]، وخوْلان، ومذحِج (مراد وزُبيد)، وخَثْعم، وكندة، وحضرموت، وطيّ وكنانة، وقضاعة، ولَخْم، وجُذام، وغسّان، وعَامِلة.

فالعــدّة كما نرى أغلبها يمنيّ ســواء كانوا من أصيلي اليمن نفســه مثل همدان ومَذْحِــج وحضرموت وكنــدة وخَوْلان، أو من يَمنيّي الشّــتات والتّخوم أي القبائل والعشائر القاطنة خارج اليمن، في ضواحي المدينة مثل خثعم وقضاعة وجُذام وعاملة، أو في محيط الشّام مثل غسّان، أو العراق مثل لخم[4].

ولم يكن في جيوش الشّــام أســد ولا ربيعة ولا تميم، وهي القبائل التي ســنجدها بكثــرة في الجبهــة العراقيّة وخاصّــة في معركة القادســيّة[5]. وفي المقابل كان ذلك الجيش يضمّ ما لا يقلّ عن ألف صحابيّ منهم مائة شاركوا في غزوة بدر.

وبخصوص تنظيم المعركة، جعل القائد العامّ خالد بن الوليد الوحدات الإسلاميّة في ثلاثة خطوط: القلب والمَيْسرة والمَيْمنة[6].

وجُعــل القلب[7] تحت قيادة أبي عُبَيْدة قبل أن يعيّن خالد مكانه ســعيد بن زيْد بن عمرو بن نُفيل حتى يتمكّن من حماية الجنود من كلّ هجوم مفاجئ يحتمل أن يقوم به الرّوم، وذلك بقيادة وحدة تتكوّن من مائتي أو ثلاثمائة رجل؛ أمّا المَيْمنة فقد عهد بقيادتها إلى الصّحابيّ الأنصاريّ من أصل يمنيّ، معاذ بن جبل.

---

1 - الأزدي، ص 218.

2 - ن.م، ص 16، الواقدي، I، 7.

3 - الأزدي، ص. 39؛ ابن حبيش، الورقة 82؛ ابن الأعثم، I، 255-258؛ ابن عساكر، I، 535.

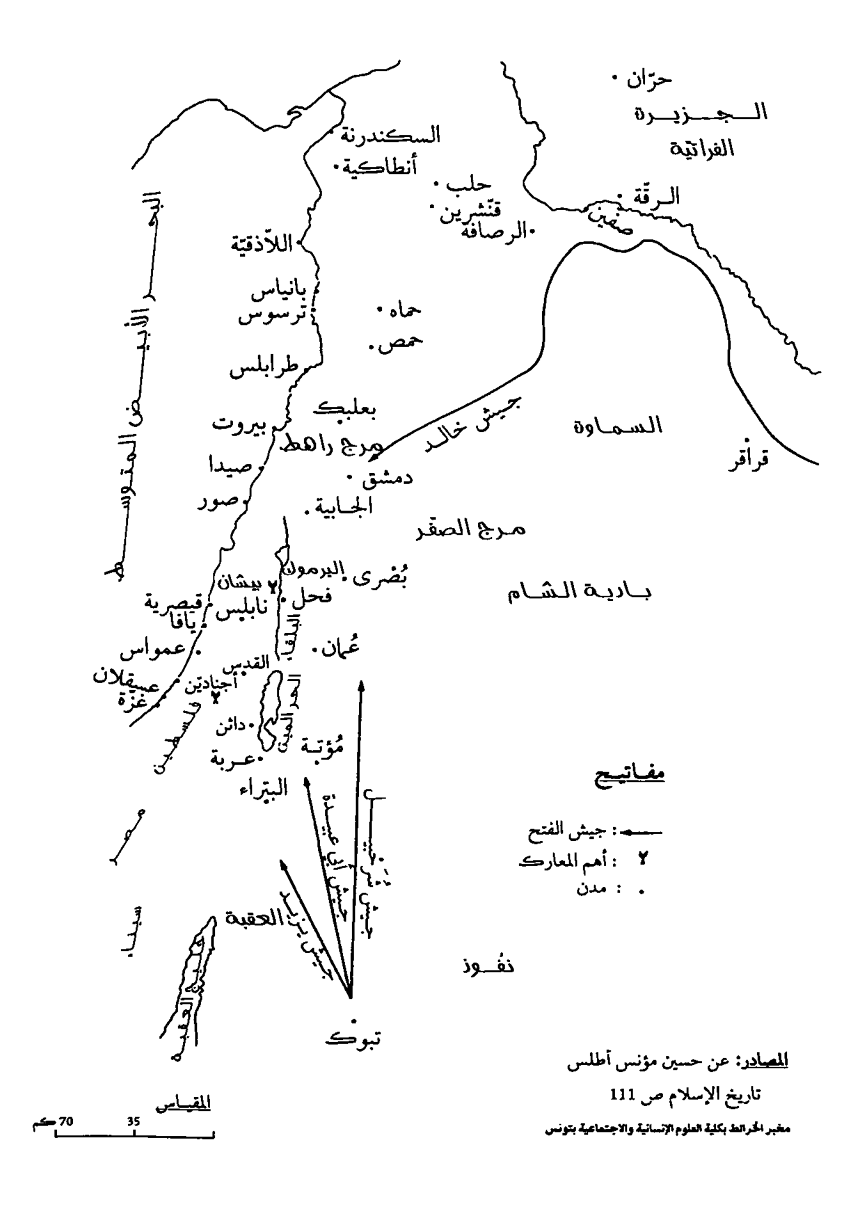
4 - الأزدي، ص. 218؛ ابن حبيش، الورقة 156.

5 - الأزدي، ص218؛ ابن عساكر، I، 535.

6 - ابن حُبيش، الورقة 141.

7 - الطبري، **تاريخ**، III، 396؛ الأزدي، ص. 220؛ ابن حبيش، الورقة 159؛ ابن عساكر، I، 538.

خريطة فتح الشام



ونجد على مستوى التّنظيم القبليّ في هذه المَيمنة مقاتلين أساسا من سلالة النّواة اليمنيّة العريقة مثل زُبَيد ومَذْحِج وحِمْيَر وخوْلان وحضرموت. وكان يؤطّرها عدد من القادة منهم الحجّاج وعبد يغوث وعمرو بن الحجّاج وعمرو بن الطُفيل ذو النّور، وجندب بن عمرو بن حَمَامة وأبو هُرَيْرة[1].

وأمّا المَيسرة[2] المتكوّنة أساسا من يمنيّي الشّتات والتّخوم (لخْم وغسّان وجُذام وخَثْعم وعَامِلة وقُضاعَة)، ومن عناصر من كنانة وقيس، فقد عُهد بقيادتها إلى كِنانيّ هو قُباث بن أشيَم، ويسمّيه الأخباريّ ابن عساكر قِياث بن أسامة الكِنانيّ، يؤطِّرهُم أساسا كلّ من حَنظلة بن الهُويّة، وابن ذي السّهم الخَثعَميّ، وأبي الأعْوَر السُّلَميّ، وحبيب بن مَسْلمة الفهريّ، وشدّاد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ (ابن شقيق الصحابيّ حسّان بن ثابت).

أمّا الخيّالة الإسلاميّة فقد قُسّمت إلى مجموعتين، يقود الأولى خالد بن الوليد والثّانية قيس بن المكشوح المُراديّ[3] وجُعلت وراء مُشاة المَيسرة ومشاة المَيمنة.

ويزعم الأزديّ[4] أنها قُسّمت بالأخرى إلى أرباع يقود كلاّ منها خالد بن الوليد وقيس بن المكشوح المراديّ ومَيسرة بن مسروق العبْسيّ وعمرو بن الطُفَيْل بن عمرو بن ذي النّور الأزديّ الدّوسيّ، أي عدنانيّان ويمنيّان. وجُعل المُشاة بقيادة هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص، وهو قُرشيّ. وكان قواد الأجناد الأربعة (يزيد وأبو عُبيدة وعمرو بن العاص وشُرَحْبيل بن حَسَنَة)، يَرْأس كلّ منهم ربعا[5].

هكذا كان وضع الجيوش الإسلاميّة قُبَيل معركة اليَرموك، على الأقلّ حسب ابن حُبَيش.

ويبيّن الأخباريّ الكوفيّ ابن الأعثم[6] أنّ أبا عُبَيْدة هو الذي رتّب الجيش إلى ميْمنة وميْسرة وقلب وجناحيْن وجعل العسكر ثلاثة صفوف، صفّ يضمّ رُماة السّهام اليمنيّين وصفّ ثان للسيّافين، وثالث للرّمّاحين. ومن جهة أخرى قسّم الخيّالة إلى ثلاث مجموعات عهد بقيادة كلّ منها إلى غِياث بن حَرْمَلة العامريّ، ونَهلة بن سيف

---

1 - ابن حبيش، الورقة 159 و160؛ ابن عساكر، I، 539.

2 - ابن حبيش الورقة 159 و161؛ ابن عساكر، I، 535 و541.

3 - ابن حبيش الورقة 158؛ ابن عساكر، I، 538.

4 - الأزديّ، ص191.

5 - ن.م، ص218؛ ابن حبيش الورقة 156؛ ابن عساكر، I، 535.

6 - ابن الأعثم، I، ص 254.

اليَرْبوعيّ، والقعْقاع بن عمر التّميميّ، واتّخذ أبو عبيدة مكانا له في مركز العسكر حاملا رايته السّـوداء «العقـاب». وكان للأنصار رايتهم الصّفـراء وفيها بُقع بيضاء وسوداء وخضراء.

وكانـت الميْمنة المتكوّنة مـن الأزد ومَذْحِج وزُبيد وحضرموت يقودها يزيد بن أبي سفيان في حين نجد القائد المُراديّ قيس بن مَكشوح على رأس الجناح الأيْسر.

ويروي لنا سيف بن عُمر[1] رواية أخرى مُفَادُها أنّ الجيش الإسلاميّ كان مقسمّا إلى «كراديس»، عددها ثمانية وثلاثون[2] أو تسعة وثلاثون[3]، عشرة منها على اليسار يقودها زياد، وعشرة أخرى على اليمين يقودها عمرو بن العاص، وثمانية عشر في الوسط يقودها أبو عبيدة.

والملاحـظ أنّـه من بين ثمانية وثلاثين قائدا، لم نجد غير خمسـة قوّاد من أصل يمنيّ هـم الصّامت من كندة، وذو الكَلاَع من حِمْير، ومعاوية بن حُدَيْج من السّـكون، وذو ظُلَيْـم مـن همْدان، وجندب مـن دَوْس من الأزد أي ثمن القـوّاد، في حين كان عدد الجنود اليمنيّين – حسـب سـيف بن عمر[4]- يمثّل الأغلبيّة السّـاحقة من مجموع السّـتّة وأربعين ألف مقاتل، سواء كانوا من سلالة النّواة اليمنيّة العريقة أو من يمنّيي الشّتات.

ويمكـن أن نضيف إلى هـؤلاء القوّاد اليمنيّين الخمسـة أشـخاصا آخرين لعبوا دوْرا هامّا في أحداث فتح الشّـام وتحديدا في معركـة اليرموك، نذكر منهم قيس بن المكشـوح المراديّ وعمرو بن معدي كرِب الزُّبَيديّ ومالك الأشْـتر النّخَعيّ، والأشـعث بن قيس الكنديّ، أصيـلي القبائلَ اليمنيّة الرّئيسـيّة، كندة ومراد وزُبَيد والنّخَع. وهـؤلاء الأشراف الأربعة قُدِّر لكلّ منهم أن يفقد إحدى عينيه في معركة اليرموك، وبذلك دخلوا إلى جانب القائد هاشـم بن عُتبة بن أبي وقّاص، في صنف ما يسـمّيهم الأخباريّ ابن حبيب بـ «العُوران من الأشراف»[5]، وهو ما يؤكّد إشـارة ابن الأعثم في حديثه عن «يوم التّعوير»[6] في اليَرْموك.

1 - الطّبريّ، تاريخ، III، 396؛ ابن حبيش، الورقة 175.

2 - الطّبريّ، (تاريخ، III، 396) يذكر 38 قائد سريّة (كراديس).

3 - ابن حبيش، (ن.م، الورقة 175 وما بعدها) يعدّد 39 قائد سريّة.

4 - الطبري، تاريخ، III، 387.

5 - الطبري، تاريخ، III، 387.

6 - ابن الأعثم، I، 266.

وبرز قوّاد يمنيّون آخرون في اليرموك مثل الخَثْعمي ابن ذي السَّهم الذي كان يحمل راية قبيلته خثعم والذي عُوّض بعد مقتله بالنّعمان بن مَحْمِيّة ذي الأنف الخَثْعميّ[1]وذلك بأمر من أبي بكر أو أبي عُبَيدة. وبالنّسبة إلى النَّخْعيّ مالك بن الحارث، المعروف أكثر باسم الأشتر، يبدو أنّه التحق بالجبهة الشّاميّة متأخّرا شيئا ما للمشاركة في معركة اليرموك وقيادة قبيلته النّخع بعد مقتل حامل اللواء الذي لم تذكر المصادر إسمه مع الأسف، وذلك بأمر من القائد أبي عبيدة. وذكرت المصادر العربيّة[2] الأشتر بالخصوص بصفته قائد وحدة عسكريّة تتكوّن من ثلاثمائة فارس من النَخَع، ذهبت لمعاضدة الألفي فارس الذين طالبهم مَيسرة بن مسروق العبْسيّ بملاحقة الجنود البيزنطيّين حتى مدينة قِنَّسْرِين بعد أن هزَمَتهم الجيوش الإسلاميّة في اليرموك وجعلتهم يفرّون من ساحة الوغى.

وينبغي أن نلاحظ أيضا أنّ عدد القتلى في معركة اليرموك هذه التي قرّرت مصير الشّام الرّوميّ[3]، قُدِّرَ بنحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف شخص[4]، منهم عدد كبير من القادة والأشراف اليمنيّين، ذكر منهم الأخباريّ البلاذريّ اسمي أزديَّيْن من دوْس هما جندب بن عمرو وعمرو بن الطُّفَيل ذو النّور[5] وأسماء العديد من القادة القيْسيّين والقُرَشيّين[6].

وخلاصة القول إنّ اليمنيّين، أفرادا وقبائل، شاركوا مشاركة فعّالة في أحداث فتح الشّام وخاصّة في معركة اليرموك. واختار جلّهم، إن لم يكونوا كلّهم الاستقرار في القطر السّوريّ بعد انتهاء القتال، متخلّين نهائيّا عن بلدهم الأصليّ اليمن، أو عن مساكنهم في ضواحي المدينة ومكّة.

---

1 - الأزدي، ص231-232؛ ابن حبيش، الورقة 165.

2 - الأزديّ، ص231-232؛ ابن حبيش، الورقة 165.

3 - الأزديّ، ص 217 وما بعدها.

4 - الطبري، (تاريخ، III،398) يتكلّم عن 3000 قتيل في حين يذكر الأخباريّ ابن الأعثم (I، 269) رقم 400 مقابل 105.000 بيزنطيا.

5 - البلاذري، فتوح، ص 156-157؛ الأزدي، ص 224.

6 - البلاذري، ص 156-157، وهذه قائمة مفصّلة في القوّاد القيسيّين والقرشيّين: عِكرمة بن أبي جهل، عمرو بن عكرمة، سلَمة بن هشام بن المغيرة، عمرو بن سعيد، أبان بن سعيد بن العاص، ضِرار بن الأزور، حبّان بن سفيان بن عبد الأسد المخزوميّ، هشام بن العاص بن وائل السّهميّ، طُلَيحة بن عُمر بن وهب (من بني عبد قُصَي)، الحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميّ. انظر بخصوص هذا الأخير: ابن قدامة، كتاب التوابين، ط. بيروت، 1974، ص 122-125 و127.

وسنعود لاحقا إلى استقرار هؤلاء اليمنيّين في أجْناد الشّام، لكن قبل ذلك ينبغي أن نحوّل انتباهنا إلى الجبهة العراقيّة لتقييم المساهمة اليمنيّة في المعارك التي شنّتها القوّات الإسلاميّة على الجيوش السّاسانيّة وخاصّة منها معركة القادسيّة[1] التي وقعت بعد معركة اليرموك بشهر واحد والتي قرّرت مصير بلاد ما بين النّهريْن.

2 - فتح بلاد ما بين النّهرين السّاسانيّة

أ-تمهيد

دُعي خالد بن الوليد إثر سحق المتمرّدين في اليمامة، بتعليمات من أبي بكر، إلى التّحوّل إلى العراق، عبر ميناء الأُبُلّة، والالتقاء في الحيرة بالقائد الآخر عياض بن غَنْم الذي كان من المفروض أن يصل إليها من الشّمال[2]، حسب رواية نقلها الشّعبيّ وهشام بن عُرْوة. وانكبّ خالد في طريقه من اليمامة إلى العراق، على مقاومة جميع المتمرّدين من قبائل بني تميم وقيس وأسد وبكر بن وائل وعبد القيْس[3].

وكان يرافقه ألفا رجل ينتسبون إلى القبائل القاطنة في ضواحي المدينة، وهي أسلم وجُهَيْنة ومُزَيْنة وضَمْرة وطيّ وغفار وعبد القيس[4]، فانتدب خالد ثمانية آلاف رجل آخرين من مُضر وربيعة[5]، فبلغ المجموع عشرة آلاف جنديّ.

ومن الجدير بالتّذكير أنّ أبا بكر اتّصل به في المدينة أربعة قادة عرب كانوا يرغبون في المشاركة في الجهاد ضدّ الفرس في بلاد ما بين النّهرين وهم حرملة بن حارثة الحَنْظليّ، وسُلْمَى بن القَين الحَنْظليّ، ومَذْعور بن عَدي العِجليّ، والمُثنّى بن حارثة الشّيْبانيّ[6]. وكان يرافق كلاّ من القائدين الأوّل والثّاني ألفا رجل من تميم والرِباب؛ وكلّهم من الأنصار، خيّموا في الجِعِرّانة كما قيل. أمّا القائدان التميميّان الآخران اللذان كانا متعوّدَيْن في الجاهليّة على مقاومة الفرس، فقد وصل كلّ منهما على رأس

1 - هشام جعيّط، **نشأة المدينة الإسلاميّة**، باريس، 1986، انظر الصّفحة 19 وما ما بعدها.

F. M. G. Donner, *The early Islamic Conquests*, pp. 176 et sqq.

2 - الطبري، **تاريخ**، III، 346؛ ابن حبيش، الورقة 246؛ الكلاعيّ، **كتاب الاكتفاء**، مخطوط باريس رقم 5030، الورقة 29 قفا، 30 وجه (رواية عن الشعبيّ وهشام بن عُرْوة).

3 - ابن حبيش، الورقة 245؛ الكلاعيّ، الورقة 29 ظهر 30 وجه.

4 - ابن حبيش، الورقة 241.

5 - الطبري، **تاريخ**، III، 347، الورقة 30 ظهر.

6 - ابن حبيش، الورقة 242.

وَحــدة متكوّنة من ألف رجل، أصيلي بكر بن وائل وضَبِيعة، وخيّم أحدهما (المثنّى) في خفّان والثّاني (مذعور) في النّمارق[1].

ويزعم الأخباريّ الكوفيّ ابن الأَعْثم أنّ أبا عُبيد بن مسعود الثّقفيّ هو الذي غادر المدينــة على رأس جيش يتكوّن من أربعة آلاف رجل من الأنصار والمهاجرين فضلا عن العبيد والموالي، يضمّ ألف شخص من ربيعة بقيادة المثنّى[2].

ومهــما كان الأمر، فإنّ القــوّاد العرب الأربعة[3] الذيــن كانوا يتصرّفون في عــدد من الجنود يقدّر بثمانية آلاف رجل، دعاهــم الخليفة إلى الالتحاق بخالد بن الوليد في الحِيرة. ويرى الأخباريّان الأندلسيّان ابن حُبَيْش والكلاعيّ[4] أنّ خالد بن الوليد جَمع هذا الجيش في الحِيرة ونظّمه باعتبار الأصل القبليّ للمقاتلين الذين يتكــوّن منهم. وظهرت ثلاث مجموعات قبليّة هي مُضَر وربيعة وقضاعة جعلت تحــت قيادة كلّ من القعقاع بن عمــرو التّميميّ وفرات بن حيّان وجرير بن عبد الله الحِمْـيريّ[5]، كما جُعلــت قضاعة واليَمَنيّون الذين تتكــوّن منهم المجموعة الثّالثة تحت قيادة كلّ من الحَرث بن مرّة الجُهَنيّ ومالك بن مرّة الرَّهَاوِيّ وزيْد الخَيل بن مُهَلْهل[6].

وعُهِد بقيادة «المُقَدّمَات» إلى المثنّى بن حارثه الشّـيبانيّ بمســاعدة عَدِي بن حاتم الطّائيّ وعاصِم بن عمرو التّميميّ اللذين جُعلا على رأس «المُجَنَّبات»[7].

بقيت الوحدات الخلفيّة المتكوّنة من المشــاة، فقد عهد خالد بن الوليد بتسْـيِيرها إلى بُشر بن أبي رُهْم الجُهنيّ[8].

---

1 – ن.م.

2 – ابــن الأعثــم، I، 165. انظر أيضا بخصوص المثنّى الأزديّ، ص 53؛ وبخصوص مَذْعُور، بيّن الأزديّ (ن.م، ص 62–63) أنّــه هو الذي اقترح على أبي بكر أن يقاتل الفرس مقابل الحصول على أرض السّــواد؛ وقد التحق بخالد بن الوليد وجعل نفسه تحت أوامره.

3 – الكلاعيّ، الورقة 30 وجه.

4 – ن.م، ابن حبيش، الورقة 247.

5 – ن.م.

6 – ن.م.

7 – ن.م.

8 – ن.م.

وفي رواية كوفيّة لسيف نقلها المغيرة بن عُتَيْبة[1]، عُنِيَ خالد بتقسيم مجموع الجنود الذين يبلغ عَدَدهم ثمانية عشر ألف رجل والذين كانوا يستعدّون للتوغّل في العراق، إلى ثلاث وَحَدات، يقود الأولى المثنّى صحبة ظافر بن عمرو السّعديّ دليلا، ويقود الثّانية عديّ بن حاتم وعاصم بن عمرو متّخذَيْن مالك بن عبّاد الأسْديّ وسالم بن نصر دليلَيْن ويقود الثّالثة بنفسه متّخذا رافع بن عُمَيْرة الطّائيّ دليلا رائدا[2].

كيف كانت المشاركة اليمنيّة في مختلف أحداث فتح العراق؟

ب-مساهمة اليمنيّين في فتح العراق

يجدر تدقيق أمرٍ هامّ وهو أنّ اليمنيّين شاركوا في المعارك التي شُنَّتْ بقيادة خالد بن الوليد منذ انطلاقه من اليمامة حتّى وصوله إلى العراق، كما شاركوا في الفتح الحقيقيّ لبلاد ما بين النّهرين السّاسانيّة بقيادة أبي عبيدة والمثنّى وسعد بن أبي وقّاص. وتذكر المصادر أنّ الوحَدات اليمنيّة كانت بقيادة جرير بن عبد الله الحِمْيريّ[3] ومالك بن مُرارة الرَّهَاويّ وزَيد الخيْل بن المهلهل.

ويرى سيف بن عمر أنّ جريرا لم يدخل العراق قبل معركة الجسر[4]، ويضيف الطّبريّ[5] من ناحيته أنّ جريرا كان اقترح على سعيد بن العاص في الشّام، أن يجمّع قبيلته بَجِيلة[6] التي كانت منذ أواخر القرن السّادس وتحديدا منذ حرب الفِجار، موزّعة بين عديد القبائل العربيّة المقيمة في الطّائف وجرش وهي هوازن وغطفان وتميم وأزْد شَنُوءة.

ولكنّ أبا بكر كان في ذلك الوقت منشغلا بإعداد العُدّة لفتح الشّام، فرأى تأجيل المشروع إلى ما بعد[7]. والملاحظ بخصوص هذا الموضوع أنّ جريرا نُسب إلى حِمْير

---

1 - الطبري، III، 348؛ ابن حُبيش، الورقة 248؛ الكلاعيّ، ن.م؛ الورقة 31 وجه.

2 - انظر بخصوص رافع ابن مَاكولا (الإكمال، IV، 279) وقد بيّن أنّه كان في الجاهليّة لِصًّا ثم شارك مع أبي بكر في الغزوات.

3 - ابن حبيش، الورقة 247.

4 - الطبري، تاريخ، III، 365.

5 - ن.م، الكلاعيّ، الورقة 44 وجه.

6 - انظر بخصوص قبيلة بَجيلة: M. Said, *Les notables de Bagila à l'époque omeyade, : origine tribale et rôle politique,* (الطروحة مرقونة، جامعة ليون II، 1983، انظر ص.44 وما بعدها.) وانظر أيضا (M. Watt) in *E. I., III,* p 889

7 - الطبري، تاريخ، III، 460؛ الكلاعيّ، الورقة44 وجه.

وليس بَجيلة[1]، ونفس هذه النّسبة أُسنِدت أيضا إلى جرير في رواية محمّد بن أبي عثمان في الصّيغة التي رواها بها الأخباريّان الأندلسيّان ابن حُبَيش والكلاعيّ حين ذكراه بصفته قائد إحدى الوحدات القبليّة الثّلاث التي جيشها خالد بن الوليد عند توغّله في العراق، وتتكوّن هذه الوحدة من مجموعة قضاعة وقوم اليمن[2].

وبيّن صاحب كتاب فتوح البلدان، مُحيلا إلى أبي مِخْنَف والواقديّ، أنّ جريرا كان حلّ بالعراق في مناسبتين، الأولى في خلافة أبي بكر، والثّانية في خلافة عُمر بن الخطّاب[3].

ونشير أيضا إلى أنّ جريرا كان صانع معاهدة السّلام التي عُقدت بين المسلمين وأهل الأنبار، والتي تنصّ بالخصوص على دفع أهل الأنبار مقدارا ماليّا قُدِّر بأربعمائة ألف درهم أو ثمانين ألف دينار[4]. وأخيرا يروي أبو مخنف[5] رواية أخرى مُفادُها أنّ جريرا أُرسِل إلى العراق لتعزيز صفوف الجنود المسلمين مباشرة بعد هزيمة الجسر. وتتميّز الرّواية الأخيرة، التي ينقلها الأخباريّ الكوفيّ ابن الأعثم في كتابه عن الفتوحات[6]، بكونها، حسب هشام جعيّط[7]، تجعل تطابقا بين مشروع جرير الهادف إلى تجميع قبيلته بَجيلة، ومشروع عمر الذي كان يريد من جهته ضمان أكثر ما يمكن من النّجاح للحملات العسكريّة الإسلاميّة في العراق خاصّة بعد هزيمة الجسر النّكراء.

ويثبت الكَلاعيّ وجود مشروع عمر هذا، ملحّا على كون الخليفة عمر كتب إلى قبائل الجزيرة العربيّة، وفيها بَجليّون، ليطلب منها أن تدوّن أنسابها وذلك بتدخّل

---

1 - هشام جعيط، ن.م، ص 27.

2 - ابن حبيش، ن.م، الورقة 247، الكلاعيّ، الورقة 30 ظهر. ونجد نفس نسبة «حمير» هذه أسفل معاهدة السّلام التي وقّعها خالد بن الوليد في صفر من عام 12 أفريل –ماي 633 مع أهل الحِيرة. وفي رواية أخرى لسيف، يُذكر جرير بن عبد الله الحميريّ بصفته العوْن المكلّف بالإعلان عن انتصار المسلمين على الرّوم في اليرموك، للخليفة في المدينة. ويروي البلاذريّ من ناحيته أخبارا عديدة متناقضة عن جرير. ففي أوّلها، وهو خبر فضفاض جدّا يُذكر جرير البَجَليّ الذي كلّفه الخليفة أبو بكر ضمن التّعزيزات التي أرسلها إلى خالد يوم كان يتهيّأ للتّوغّل في العراق. وفي خبر آخر، نجد جريرا وقد أسندت إليه نسبة بَجَليّ، رسولا للقائد خالد لدى أهل بانيقيا الذين تمكّن من عقد معاهدة سلام معهم، أجبرهم بمقتضاها أن يسلّموه مبلغ ألف دينار وطيلسانا. انظر بخصوص هذا الموضوع: البلاذريّ، فتوح، ص 338 وما بعدها.

3 - البلاذري، ص 342.

4 - ن.م، ص 344.

5 - ن.م، ص 353.

6 - انظر: ابن الأعثم، I، 171.

7 - هشام جعيّط، ن.م، ص27.

من جرير الذي كان يريد قبل سفره إلى العراق، تجميع قبيلته بجيلة[1]، ولذلك خرجت قيس وكُبّة وسُخمة وعُرَيْنة من هوازن لتنضمّ إلى عَرْفَجة، وهو أَزْديّ من بارِق كان في صراع مع قبيلته وحليفَ بَجيلة[2]، كذلك فارق بنو عَتِيك والفتيان بني الحارث وعشيرة علي، وتخلَى بنو ذبيان عن أَزْد السَّراة.

ويضيف الطّبريّ من ناحية أخرى أنّ جريرا قبل التّحوّل إلى العراق مع قومه شريطة الحصول في صورة الانتصار على عطاء قدّر إمّا بربع الخمس العُموميّ يؤخذ من الغنائم[3]، أو ثلث الغنائم بعد استخلاص الخُمس (في رواية الشّعبيّ)[4]، أو ربع الأراضي التي يقع غزوها (في رواية أبي مخنف)[5]، أو ربع السّواد مدّة ثلاث سنوات[6].

ومهما كان الأمر، فإنّ سيف بن عُمر[7] يروي أنّ الخليفة عُمر بن الخطاب عيّن عَرْفجة بن هَرثَمة الأزديّ على رأس عشيرة جديلة، كما عيّن جريرا البَجَليّ على رأس بني عامر والعشائر الأخرى، إلاّ أنّ البَجَليّين انفصلوا عن عَرْفجة الذي لم يكن واحدا منهم وانضمّوا إلى ابن قبيلتهم جَرير[8].

إلاّ أنّ رواية ابن اسحاق[9] تذكر عَكس ذلك وتبيّن أنّ جريرا لم يُرسله عمر لتعزيز القائد الشّيْبانيّ المثنى بل تصرّف كقائد كامل الحقوق، على الأقلّ حتّى تعيين سعد بن أبي وقّاص قائدا عامّا لجميع الجيوش الإسلاميّة في العراق، بما في ذلك جيشا المثنّى وجرير[10]. ومن المؤكّد مع ذلك، أنّ الخليفة عمر، قرّر بعد أن تأكّد أنّ عرفجة لم يكن من قبيلة بَجِيلة بل من بارق، أن يَعْهد إلى جرير قيادة أهل قبيلته لتعزيز جنود المُثنّى[11]، في حين أرسل عرفجة إلى الشّام لوضع حدّ لكلّ نزاع يحدث بين القائدين القبليّين المتنافسين.

---

1 - الكلاعيّ، ن.م؛ الورقة 56 وجه.

2 - الطبري، تاريخ، III، 471؛ م. السّيّد، ص 24 وص 44.

3 - الطبري، تاريخ، III، 460؛ الكلاعيّ، الورقة 57 وجه.

4 - الطبري، تاريخ، III، 462؛ انظر أيضا: البلاذريّ، فتوح، ص 354؛ ابن سلاّم، **كتاب الأموال**، ص 79.

5 - البلاذري، **فتوح**، ص 353.

6 - ن.م، ص 373-374؛ ابن سلاّم، ن.م، ص 78. هشام جعيط، ن.م، ص 27.

7 - الطبري، **تاريخ**، ن.م، III، ص 27.

8 - الطبري، **تاريخ**، III، 462؛ اليعقوبي، **تاريخ**، II، 142؛ ابن حبيش، الورقة 296.

9 - الطبري، **تاريخ**، III، 471.

10 - ن.م، ص472.

11 - ن.م، ص471.

ويُسَتنتَج من كلّ هذا، أنّ النّداء الموجّه إلى جرير وأهل قبيلته بَجِيلة تمّ في وقت حَرج بالنّسبة إلى الجيوش الإسلاميّة التي هَزَمها الفرس منذ فترة قصيرة في معركة الجسر[1].

وفضلا عن ذلك سيلعب جرير دورا رئيسيّا في المعارك اللاّحقة وخاصّة منها معركة القادسيّة.

ويضيف الطّبريّ[2] مدقّقا أنّه كان من بين الوحدات القبليّة التي تدفّقت على المدينة بعد هزيمة الجسر قصد توجيهها إلى العراق، سبعمائة رجل بقيادة عَرْفَجة البارقيّ وغالب بن عبد الله اللّيثيّ من سلالة الأزْد (بارق وغامد) وكنانة. فهذه المعلومة إذن تتناقض مع إثبات ابن اسحاق إرسال عرفجة إلى الجبهة السّوريّة، وهو ما أكّده الكلاعيّ مضيفا أنّ القائد البارقيّ عاد إلى قبيلته بعد توحيد البَجِيليّين تحت إمْرة جرير[3].

ونذكر أيضا وَحْدة الرِباب بقيادة هلال بن عُلَّفة التّيْميّ، ووحدة خثعم بقيادة عبد الله بن ذي السَّهْمَين، وكذلك وحدات بني حنظلة، وبني عَمْرو، وبني ضبّة وبني عبد القيس يقودها على التّوالي كلّ من رِبْعي بن عامر، وابن الهَوْبر، والمنذر بن حسّان، وقُرْث بن جَمّاح[4].

وفي الختام، لا ننسى ذكر العناصر المسيحيّة من النّمِر وتغلب وقائديها أَنَس بن هلال النّميريّ وابن مِرْداع الفهري التّغلبيّ.

ج-مفاصل فتح العراق العسكريّة

فلنستأنف الخيط الرّابط بين الأحداث، وقد توقّفنا عند معركة الجسر، فقد هزمت الجيوش الإسلاميّة بقيادة المثنّى بن حارثة الشّيباني، الفرسَ في البُوَيْب، في رمضان من عام 13/ نوفمبر 634 حسَب تأريخ سيف[5]، ثم قامت بعد ذلك بجملة من الغارات لنهب أسواق الجهة مثل سوق الخنافس وسوق بغداذ وغيرهما...

---

1 - F. M. Donner, *op. cit.* pp. 196-198

2 - ن.م، ص 464، الورقة 297؛ الكلاعيّ، الورقة 55 قفا و56 وجه.

3 - الطبري، تاريخ، III، 464؛ الكلاعيّ، الورقة 57 وجه.

4 - الطبري، تاريخ، III، 644 ح ابن حبيش، الورقة 298؛ الكلاعي، الورقة 57 وجه.

5 - الطبري، تاريخ، III، 470؛ ابن حبيش، الورقة 303؛ الكلاعيّ، الورقة 62 و63؛ هشام جعيّط، ن.م، ص 28.

وذُكِرت لنا أيضا ملاحقة الفرس المنهزمين في البُوَيْب من قبل كتيبة من الفرسان بقيادة جرير البَجَليّ، إلى موضع يُسمى السَّيْب[1] حيث جمع المسلمون غنائم كثيرة جدّا تتكوّن أساسا من الماشية، وتحصّل قوم بَجيلة منها على رُبع الخمس كما وعدهم بذلك الخليفة عمر.

ويضيف الأخباريّ الأندلسيّ الكَلاَعي[2] أنّ الجيوش الإسلاميّة كانت حوالي أربعة آلاف رجل منهم ألفان وثمانمائة يمنيّ، وألف ومائتان من بقيّة القبائل (تميم وقيس وبكر)؛ وربما بلغ عددها السّتّة آلاف رجل بقيادة المثنّى. وقُسّم هؤلاء الجنود إلى ثلاث مجموعات : مُضَر في الوسط، وأهل اليمن من الجانبين الأيسر والأيمن. إلاّ أنّ القائد اليمنيّ شُرَحْبيل بن السِّمط الكندي، لاحظ أنّ تنظيم المعركة بهذه الصّورة كان لصالح المُضريّين، فغيّره المثنّى فجعل في المَيمنة بني تميم والأزد، وفي المَيسرة بني ربيعة (بكر) وبني كندة، وجعل في الوسط بني قيس وطيّ. فيمكن القول إنّ هذا التّنظيم الجديد لم يكن يميّز بين المقاتلين المضريّين والمقاتلين اليمنيّين بل يمكّن من دمجهم لمزيد توحيدهم.

وينبغي أن نلاحظ أنّ اليمنيّين البالغ عددهم ألفين وثمانمائة أو أكثر، وخاصّة منهم بني بجيلة، لعبوا دورا أساسيّا في تحقيق النّصر في معركة البُوَيْب التي يسمّيها البلاذريّ «يوم مَهْران»، نسبةً إلى القائد الفارسيّ، أو «يوم نُخَيْلة»[3]، نسبةً إلى الموضع الذي اختاره المسلمون لنَصْب مخيّمهم سواء بقيادة جرير، حسب رواية بني بَجيلة، أو بقيادة المثنّى، حسب رواية بني ربيعة. وتمثّل هذه المعركة المرحلة الثّالثة في فتح العراق[4]. وتضيف المصادر[5] أنّ القائدَيْن جريرا (من بَجِيلة)، ومنذر بن حسّان بن دينار (من ضبّة)، تنازعا بخصوص شرف قتل القائد الفارسيّ مَهران، واختلفا في من كان له فَضل ذلك القتل، قبل أن يتّفقا على اقتسام درعه، فيحتفظ المنذر بالحِزام ويحصل جرير على بقيّة الأسلحة.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 470؛ الكلاعيّ، ن.م، الورقة 57 وما بعدها.

2 - الكلاعيّ، الورقة 57 وما بعدها.

3 - البلاذري، فتوح، ص353. والملاحظ أنّ معركة البُوَيْب سميت أيضا «يوم الأعشار» بسبب قتل المقاتلين الفرس بالعشرات من قبل أهمّ القواد المسلمين مثل عَرْفجة البارقي، وعُروة بن زيد الخيل وغالب بن عبد الله الكِنّاني، انظر الطبري، تاريخ، III، 468؛ ابن حبيش، الورقة 301؛ الكلاعيّ، الورقة 55 ظهر.

4 - F. M. Donner, *op. cit.*, pp. 176 et sqq.

5 - البلاذري، فتوح، ص 355؛ الطبري، تاريخ، III، 472.

ويذكر مؤلّف **فتوح البلدان**[1] أيضا الدّور الأساسيّ الذي لعبه القائد الكنديّ شرَحْبيل بن السِّمط، وهو ما يفسّر وصوله إلى العراق إثر نصر اليرموك بالشّام. ولم يذكر – حسب علمنا – أيّ مصدر كلاسيكيّ آخر هذه الجزئيّة الثّمينة باستثناء المؤلّف الأندلسيّ الكلاعيّ[2] الذي يعلمنا أنّ شُرَحْبيل أُرْسِل على رأس مائتي «أهلِ بيت» من كندة والسّكون مَدَدًا لجنود المُثنّى، من جملة أربعمائة رجل من بينهم القائدان اليمنيّان الأشعث بن قيس ومعاوية بن حُدَيْج.

أمّا الأخباريّ الدِينَوَري[3]، فإنّه يشير إلى أنّ الوَحَدات القبليّة الحاضرة في العراق (أزد وتميم وطيّ والنّمِر...) كانت بقيادة جرير بن عبد الله البَجليّ العامّة، وقد التحق بها منذ وصوله إلى التَّغْلَبيّة بالمثنّى، قبل أن يتحوّل كامل الجيش إلى الحيرة.

وبخصوص تنظيم الجيوش في ساحة المعركة، يبدو أنّ الخطوط الثّلاثة التي قُسِّم إليها الجيش، كانت قيادة كلّ منها على النّحو التّالي: المَيْسَرة بقيادة الطّائيّ عَديّ بن حاتم؛ والمَيْمَنَة بقيادة المثنّى الشّيبانيّ، والقلب بقيادة جرير نفسه، أي قائدان يمنيّان من مجموع ثلاث قوّاد. ما ينبغي مع ذلك ملاحظته هو أنّ رواية الدِينَوَري[4] المؤكّدة لما ذكره كلّ من ابن اسحاق وابن الأعثم[5] والتي تفيد بأنّ القائد البَجَليّ جريرا لم يُرسَل بصفته مَددًا للجيوش الموجودة في العراق، لتعزيز المثنّى، بل تصرّف وكأنّه قائد كامل الحقوق. في الواقع، لا يمكن استبعاد شهادة سيف، حتّى وإن كان من أصل تميميّ، بخصوص قيادة الشّيبانيّ المُثنّى للجيوش الإسلاميّة في البُوَيْب. ومع ذلك لا بدّ من قبول الرّأي القائل إنّه كان في نزاع مع جرير البَجَليّ، كما يقول الكَلاَعيّ[6]، دون شكّ حول مسألة التّنافس بالذّات على قيادة الجيوش. ولمّا أُعْلِم الخليفة عُمر بالأمر، أراد بعد استشارة مساعديه المقرّبين، منهم عبد الرّحمان بن عَوْف، أن يَقْضي على ذلك التّنافس في المهد قبل أن يُلْحِق الضّرر بالمسلمين في مرحلة حاسمة من نزاعهم مع الفرس، فاختار سعْد بن أبي وقّاص قائدا عامّا لجميع جيوش العراق.

1 – البلاذري، فتوح، ص 355؛ الكلاعيّ، الورقة 60 وجه.

2 – الكلاعيّ، الورقة 56 وجه.

3 – الدينَوري، **الأخبار الطّوال**، ص 114.

4 – الطبري، **تاريخ**، III، 463.

5 – الطبري، **تاريخ**، III، 471؛ ابن الأعثم، ص 172.

6 – الكلاعيّ، الورقة 57 ظهر.

وهذا يجرّنا إلى الحديث عن صدمة القادسيّة الحاسمة، وقد كانت بالنّسبة إلى العراق نظيرَ اليرموك بالنّسبة إلى الشّام.

د-معركة القادسيّة ومساهمة اليمنيّين

يتكلّم الدِينَوَرِي[1] عن جيش متكوّن من عشرين ألف رجل، كوّنه الخليفة عُمر في المدينة وعهد به إلى القائد سعد بن أبي وقّاص. ولكنّ رواية الطّبريّ[2] المتضمّنة بدورها روايات مختلفة لسيف بن عمر وابن اسحاق بالخصوص، تقدّم لنا الأحداث بتفاصيل أكثر، وتدقيقات تتعلّق في الوقت نفسه بعُدّات القبيلة المجنّدة، وبالتّحضيرات الخاصّة بالمعركة، وبوصف القتال بين المقاتلين المسلمين والجنود الفُرْس[3].

ولْنَنْظُر عن كثب في عدد الجنود ونسبة العناصر اليمنيّة من جيوش سَعْد.

يقول الطّبريّ إنّ جيشا أوّل يَعُدُّ أربعة آلاف شخص، منهم ألف مقاتل أغلبهم من الهلاليّين الذين جنّدهم سعْد في نجد يقودهم بشر بن عبد الله الهلاليّ، وثلاثة آلاف آخرون أصيلو السَّراة واليمن[4]، حشده عُمر في المدينة وعهد به إلى سعد،

1 - الدينَوري، ص119.

2 - الطبري، تاريخ، III، 382.

3 - إثر مقتل أبي عبيد في معركة الجسر وتتويج يَزْدَجَرد امبراطورا جديدا للفرس، دعا الخليفة عمر بن الخطاب الأنصار والمهاجرين في المدينة إلى اجتماع قصد مناقشة الوضع العسكريّ على الجبهة العراقيّة واتّخاذ قرار بخصوص الخطّة التي ينبغي اتّباعها. وقد تمحور النّقاش في البداية حول إمكانيّة تولّي الخليفة نفسه قيادة الجيوش الإسلاميّة، ثمّ نظر المجتمعون في ما إذا كان من الأصلح انتداب مقاتلين جدد من مختلف جهات الجزيرة العربيّة وتوجيهم إلى الجبهة العراقيّة. وبعد مناقشات مطوّلة بين الصّحابة والخليفة اتّخذ قرار دعوة سعد بن أبي وقّاص لقيادة الجيوش التي تمّت مؤخّرا تعبئتها في العراق، وإلحاقها بجيوش جرير والمثنّى وتولّي القيادة العامّة لكافّة الجيوش الإسلاميّة لمجابهة الفرس. لماذا اختاروا سعدا وكيف نفسّر هذا الاختيار؟ الحقّ أنّ سعد بن أبي وقّاص كان صحابيّا بارزا من صحابة الرّسول، وأحد أعوان أبي بكر. ولمّا استقدمه عمر إلى المدينة، كان يشغل منصب عامل الصّدقات في نجد لدى قبيلة هوازن. ومن جهة أخرى، يلاحظ المؤلّف الأندلسيّ الكلاعيّ أنّ لهذا الاختيار صلة بالتّنافس على قيادة جميع الجيوش الإسلاميّة في العراق قصْد توحيد الصفوف ووضع حدّ لكلّ نزاع محتمل بين القادة القبليّين. وينبغي أن نضيف إلى كلّ هذا أنّه كانت لسعد علاقات طيّبة مع المرتدّين السّابقين في وسط شبه الجزيرة العربيّة وشرقها، وهم مرتدّون سيكونون ضمن جيوشه بأعداد وافرة. وينبغي أن نذكر بهذا الصّدد، أنّ الخليفة عمر كان كتب في ذي الحجّة من عام 13/ فيفري 635، إلى جميع عمّاله في الجزيرة العربيّة، أن يرسلوا إليه كلّ شخص يمتلك فرسا ودرعا. وقد جمع سعد نفسه ألف نجديّ بسلاحهم قبل أن يعود إلى المدينة ويتهيّأ لتولّي قيادة الجنود القبليّين الذين سيقوم عمر بتعبئتهم. انظر بخصوص هذا الموضوع: الطبري، تاريخ، III، 478 وما بعدها؛ ابن حبيش، الورقة 311-312؛ الكلاعيّ، الورقة 55 قفا.

4 - الطبري، تاريخ، III، 484؛ ابن حُبيش، الورقة 313؛ الكلاعيّ الورقة 66 وجه؛ هشام جعيّط، ن. م، ص 30.

وما يهمّنا بالأساس في هذه الوحدة العسكريّة الأولى هو قبل كلّ شيء أصل الجنود القبليّ. فإلى جانب الألف رجل سليلي قيس عَيْلان من هلال تحديدا، فإنّ أهل السَّراة، وعددُهم ثلاثة آلاف شخص، يتكوّنون أساسا من يَمَنيّين أصليّين. وكان الأزديّون، وعددهم سبعمائة رجل، يقودهم حُمَيْضَة بن النّعمان بن حُمَيضة البارقيّ[1] في حين كان اليمنيّون الأصليّون، ويعدّون ألفين وثلاثمائة شخص، ينتمون إلى قبائل النَخَع ومَذْحِج والصّدف وحضْرموت[2]. فلنتوقّف قليلا عند هؤلاء.

النّخع

كان النّخع الذين يعدّون أربعة آلاف رجل، يريدون التّوجّه في البداية إلى الشّام في حين كان الخليفة عُمر يُصرُّ على توجيههم إلى العراق. وفي آخر الأمر قرّر تقسيمهم إلى مجموعتين تتكوّن كلّ منهما من ألفي شخص مع نسائهم وأطفالهم، وإرسال الأولى إلى الشّام والثّانية إلى العراق. وسبق أن ذكرنا دور النّخع وقائدهم مالك الأشتر أثناء معركة اليرموك. وبالنّسبة إلى المجموعة التي عيّنت للاتّجاه إلى الجبهة العراقيّة، فإنّها كانت تتكوّن من بضع مئات من المحاربين من مجموع ألفَيْ شخص[3]. وفي رواية إبراهيم بن زيد النّخعيّ، نقلها عنه ابن حُبَيْش[4]، ذُكِر في معركة القادسيّة سبعمائة مقاتل، وسبعمائة «أهل بيت» (ربّ أسرة)، وسبعمائة امرأة من سلالة النّخع. ويضيف الطّبريّ[5] أيضا أنّ راية هذه القبيلة كان يحملها رجل يسمّى دُرَيْد بن كعب، في حين يذكر الأخباريّ الحَلَبيّ[6] أرطأة بن شُرَحبيل من بني حارِثة الذي تسلّم من الرّسول عند زيارته المدينةَ قيادة قبيلته ورايةَ حملها في القادسيّة إلى وفاته في ساحة الوغى. وبالتّالي نقرّ عدد سبعمائة مقاتل نَخَعي من جملة ألفي يمنيّ جمعهم الخليفة عُمر في المدينة.

---

1 - الطبري، **تاريخ**، III، 487؛ ابن حبيش، الورقة 314.

2 - الطبري، **تاريخ**، III، 484؛ ابن حُبيش، الورقة 315.

3 - ابن حبيش، الورقة 315-316.

4 - ن.م.

5 - الطبري، **تاريخ**، III، 560.

6 - انظر الحلَبيّ، **السّيرة الحَلَبيّة**، II، 270. انظر أيضا: ابن حَجَر، **الإصابة**، I، 38.

مَذْحِج والصّدف وحضرموت

وكان يوجد أيضا إلى جانب المقاتلين النَّخَعِيّين، ستّمائة رجل من سلالة الصّدف وحضرموت بقيادة شدّاد بن دَمْعَج[1]، يُضاف إليهم في رأي الطّبريّ[2] ألف وثلاثمائة رجل من مَذْحِج فيهم عناصر تنتمي إلى عشائر مُنبّه، وبنو جُعْفِي وحلفاؤهم جَزْء، وزبَيْد، وأنس الله، وصُدَاء، ومُسْلية وجَنْب. وكان رؤساؤهم على التّوالي عمرو بن مَعْدِي كَرِب الزُّبَيْديّ، وأبو سبْرة بن ذُؤَيْب، ويزيد بن الحارث الصُّدائيّ، بل هناك من يضيف تدقيقا، وهو أنّ صداء ومُسْلِية، وجَنْب، كان عددهم ثلاثمائة رجل[3].

مُجْمَل القول: سبعمائة رجل من الأزد والسّراة، وسبعمائة آخرون من النَخَع، وستّمائة رجل من الصّدف وحَضْرموت، وألف وثلاثمائة من سلالة مَذْحِج، منهم ثلاثمائة من صُداء، مجموعُهم ثلاثة آلاف وثلاثمائة رجل، يُضَاف إليهم ألف قيْسيّ من بني هلال، ومن هنا جاء العدد الجُمليّ أربعة آلاف وثلاثمائة رجل أي بزيادة ثلاثمائة رجل على العدد الذي ذكره الطّبريّ. ويتحدّث سيف بن عُمر أيضا عن أربعمائة مُقاتل من سلالة قبيلة السّكون، كان أهمّ قوّادهم الحسيْن بن نُمَيْر، ومعاوية بن حُدَيْج[4]، كما يذكر ألفا وسبعمائة يمنيّا آخرين يقودهم الأشعث بن قيس الكنديّ، كانوا التحقوا بوَحَدات سعْد في شَرَاف[5].

أمّا الكلاعيّ[6] فإنّه يقدّم لنا الأرقام التّالية: سبعمائة «أهل بيت» من الأزد وكِنانة، وأربعمائة من سلالة كندة والسّكون، قسّموا إلى فريقين متساويين واتّجهوا نحو الشّام والعراق؛ ألف «أهل بيت» من قبيلة مَذْحِج، فيهم ثلاثمائة من النَخَع وخمسمائة من مراد بقيادة هَنَد المُراديّ؛ ألف «أهل بيت» آخرون من همْدان، ومثلهم أو ألفان من بجيلة، مجموعهم العامّ ثلاثة آلاف وتسعمائة أو أربعة آلاف وتسعمائة ربّ أسرة أغلبهم يمنيّون.

وينبغي أن نُضيف إلى هذا الجيش الأوّل الذي حَشَدَه عُمر في المدينة والذي كان يضمّ، كما وضّحنا، أربعَة آلاف محارب دون اعتبار الأطفال والنساء، التعزيزات المُنْتَدبة بعد رحيل سعد والتي كانت تعدّ أربعة آلاف رجل، ألفان منهم من نجد

1 - الطبري، **تاريخ**، III، 560.

2 - انظر بخصوص عمرو بن معدي كرب: المسعوديّ، مروج، III، 69-74؛ الطبري، **تاريخ**، III، 484.

3 - الطبري، **تاريخ**، III، 484؛ ابن حبيش، الورقة 315.

4 - الطبري، **تاريخ**، III، 485؛ ابن حبيش، الورقة 317.

5 - الطبري، **تاريخ**، III، 487.

6 - الكلاعيّ، الورقة 55 قفا و56 وجه.

وبالخصوص من غطَفان وقيس عَيْلان، وألفان آخران من اليمن لا نعرف مع الأسف انتماءهم القبليّ والعشائريّ بدقّة[1].

وتوقّف القائد سعْد في طريقه إلى العراق في زَرُود وانتدب أربعة آلاف أخرى من المقاتلين منها ألف من الرِبَاب وثلاثة آلاف من تميم[2] أي عناصر مُضَريّة بأكملها.

ويضيف الطّبريّ إلى هذه الجيوش الثّلاثة التي بلغ مجموعها اثني عشر ألف رجل، ثلاثة آلاف رجل آخرين من بني أسد، كلّفهم سعد نفسه لمّا وصلوا إلى شَراف[3] بأن يخيّموا في منتصف المسافة بين الحَزِن والباسطة أي بين معسكره ومعسكر المثنّى.

تلك كانت عُدّة سعد في تقدير سيف بن عمر أي مجموع خمسةَ عشر ألف رجل.

في الواقع، المجموع العامّ للوحدات العسكريّة التي جُعِلت بقيادة سعد منذ خروجه من المدينة إلى تخييمه في شراف كان يفوق الرّقم الذي ذكره سيف لأنّه وُجِدت وحدات قبليّة عديدة (سبعمائة رجل من النَخَع، وأربعمائة آخرون من السّكون، وألف وسبعمائة أو سبعمائة فقط من كندة)، وقد أرسلوا إليه بالموازاة مع تقدّمه في اتّجاه العراق.

وتفضي حساباتنا الشخصيّة إلى أن عُدّة سعد كانت حوالي سبعةَ عَشَر ألف وأربعمائة رجل منها سبعة آلاف وأربعمائة يمنيّ[4].

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 485؛ ابن حبيش، الورقة 316؛ الكلاعيّ، الورقة 67 وجه.

2 - الطبري، تاريخ، III، 486؛ ابن حبيش، الورقة 316؛ الكلاعيّ، الورقة 67 وجه.

3 - ن.م.

4 - انظر جدول مقاتلي القادسيّة في كتاب هشام جعيّط، الكوفة، ن. م، ص 32-33؛ الحديثي، أهل اليمن، ن. م، ص 130-132؛ ص. أمين، اليمن، ص. 73-75؛ ويبيّن ابن الأعثم الكوفيّ (فتوح، I) من ناحية أخرى، أنّ سعدا انطلق من المدينة بجيش يبلغ سبعة آلاف رجل ويتكوّن كما يلي:

-500 رجل بقيادة عمرو بن معدي كرب الزبيديّ: بنو زُبيد.
-800 فارس بقيادة طُليحة بن خُوَيْلدِ الأسديّ: أسد.
-700 رجل بقيادة شرحبيل بن السّمط الكنديّ: كندة.
-300 رجل بقيادة المغيرة بن شعبة الثقفيّ: ثقيف.
-400 رجل بقيادة عاصِم بن عمرو التّميميّ: تميم.
-600 رجل بقيادة عاصم بن زرارة التميميّ: تميم.
-1000 رجل بقيادة حاتم بن عبد الله السّلَميّ: سُلَيم.
-400 رجل بقيادة قيس بن المكشوح المراديّ: مراد.
-600 رجل بقيادة جرير بن عبد الله البَجَليّ: بجيلة.

أي مجموع عام بـ 13000 رجل وهو رقم أقلّ بكثير مما ذكره سيف ومن تقديراتنا الشّخصيّة.

أمّا جنود المُثنّى الشّـيبانيّ[1]، فكانت تَعُدّ وقتَ معركة البُوَيْب ثمانية آلاف رجل منهم ستّة آلاف من بكر بن وائل (ربيعة) وألفان من بقيّة عشائر ربيعة. وقدّرها الكَلاعيّ[2] بأربعة آلاف أو ستّة آلاف رجل منهم ألفان وثمانمائة أو ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل يمنيّ.

وينبغي أن نضيف إلى هذه الحشود بقيادة المُثنّى في العراق الألفي رجل من طيّ وقضاعة بقيادة عَدِيّ بن حَاتِم وعمرو بن وَبَرَة[3]، والألفي رجل من بَجيلة بقيادة جرير بن عبد الله البَجَليّ.

بَجِيلة

في الواقع كان يوجد في معركة القادسيّة ألفا مقاتل من بَجِيلة وكذلك ألف امرأة. ويزعم ابن اسحاق[4]، اعتمادا على شهادة بَجَليّ يُسمّى قيس بن أبي حازم البجليّ، حضر معركة القادسيّة، أنّ بجيلة كانت تمثّل رُبع الجنود، وهو ما يبدو غير محتمَل إذا اعتبرنا أنّ مجموع الجنود المسلمين كان حوالي ثلاثين إلى أربعين ألف رجل، اللهمّ إلاّ إذا تعلّق الأمر فقط بالستّة أو السّبعة آلاف مقاتل الذين يتحدّث عنهم[5].

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 486؛ ابن حبيش، ن.م، الورقة 319. ولنذكر أنّ هؤلاء الجنود، انتدب المثنّى جزءا منهم (أي 4000 رجل) مباشرة بعد مغادرة خالد بن الوليد الجبهة السّوريّة، في حين كان الأربعة آلاف رجل الآخرين يمثّلون ما تبقّى من الجيش الإسلاميّ بعد انتصار الفرس عليهم في معركة الجسر. وفي رواية أخرى لسيف، فإنّ الجنود الذين شاركوا في معركة الجسر كانوا 9.000 رجل قُتل منهم 4.000 أثناء المعركة، وهرب ألفان منهم إلى المدينة، وبقي 3.0000 في العراق رغم الهزيمة. إذن فقد كان عدد المقاتلين بعد معركة البُوَيْب وقبل وفاة المثنّى متأثّرا بجراحه وتعويضه ببشير بن الخَصَاصِيَة، 7000 إلى 8000 حسب هذه أو تلك من روايتي سيف بن عمر.

2 - الكلاعيّ، الورقة 57 ظهر وما بعدها.

3 -الطبري، تاريخ، III، 486؛ ابن حبيش، الورقة 316؛ الكلاعيّ، الورقة 67 قفا.

4 -الطبري، تاريخ، III، 657 و581.

5 - ن.م. وبخصوص عدد المقاتلين المسلمين في القادسيّة بالذّات، فإن الأخباريّ ابن حبيش يبيّن أنّ القائد سعد بن أبي وقّاص وزّع بعد انتهاء المعركة الغنائمَ بين حوالي ثلاثين ألف محارب، ثم يضيف أنّ العدد الجمليّ كان بين تسعة وثلاثين ألف وأربعين ألف شخص بما فيهم من قُتل في ميدان المعركة وعددهم خمسة آلاف ومائتا رجل. ويؤكّد الواقديّ المزعوم هذه الأرقام تقريبا ذاكرا رقم ثلاثين ألف فارس أصيلي قبائل عربيّة عديدة: بجيلة والنَّخَع وشيبان وربيعة وهلال وطيّ وغيرها. ويذكر ابن الأعثم أربعين ألف آخرين أرسلهم أبو عُبيدة كتعزيزات بأمر من الخليفة عُمر؛ وبالتّالي يصبح عدد المحاربين الجمليّ ستّين ألف، وهو ما يبدو أكثر من العدد الفعليّ بكثير (ابن حبيش، ن.م، الورقة 402؛ الواقدي، II، 185). أمّا بالنّسبة إلى سيف فإنّ التّعزيزات المذكورة إمّا أن تكون ستّة آلاف أو عشرة آلاف رجل وصلوا بقيادة هاشم بن عتبة وفيهم قوّاد مشهورون مثل قيس بن المكشوح والأشتر النّخعيّ. ويقلّص الدِّينَوَري هذا العدد إلى ألف فارس بقيادة قيس بن هُبَيرة المراديّ،

التّعزيزات

أمّا التّعزيزات التي تقدّر بستّة آلاف رجل في رواية سيف بن عمر، فإنّها تشمل خمسة آلاف مقاتل من مُضَر وربيعة، وألف يمنيّ من التّخوم، وجميعهم بقيادة هشام بن عُتبة[1]. ونذكر من القوّاد الآخرين القَعْقاع بنِ عمرو، قائد الطّليعة، وقيس بن هُبَيْرة بن يعقوب المراديّ، والهَزْهاز بن عمرو، قائدي المُجَنَّبات، وأنس بن عبّاس، قائد الوحدات الخلفيّة.

والملاحظ أنّ عدد جنود الطّليعة بقيادة التّميميّ القعقاع بن عمر كان ألف محارب وصلوا يومَ أَغْـماث[2]، أي اليوم الثّاني من معركة القادسيّة، في شكل مجموعات تتكوّن كلّ منها من عشرة جنود وقد وصلت وحدة متكوّنة من سبعمائة رجل بقيادة هاشم بن عتْبة، تضمّ القائد المراديّ قيس بن المكشوح أثناء المعركة أيضا، وعلى وجه التّحديد في اليوم الثّالث، يوم عِماس[3]، بل هناك من يضيف مدقّقا أنّ قيسا وصل على رأس مجموعة تتكوّن من ثلاثمائة رجل، في حين سبقه هاشم على رأس كوكبة من سبعين فارسا منهم القائد الهمدانيّ سعد بن نِمران[4]. وقد أبعده من البَوْن ابنُ عشيرته بني لَعْوة، أظلم بنُ النعمان بن أبي كرب، فلقي الخليفة عمر بن الخطّاب الذي كلّفه بانتداب عدد من المقاتلين من قبيلة همْدان باليمن ومرافقتهم إلى الجبهة العراقيّة، حسب الهمدانيّ[5]. ولهذه المعلومة الثّمينة التي قدّمها مؤلّف كتاب **الإكليل**، أهمّية كبيرة جدّا في إقرار ما ذكره الطّبريّ بخصوص مشاركة القائد

وفيهم عديد القوّاد الآخرين البارزين مثل هاشم بن عتبة (حفيد سعْد) والأشعث بن قيس الكنديّ وغيرهما. ولا يذكر البلاذريّ غير رقم سبعمائة رجل، قد يكون جزءا من التّعزيزات التي أرسلها أبو عبيدة من الشّام إلى الجبهة العراقيّة (الطبري، تاريخ، IIII، 490؛ الدينوري، ن.م، ص 110). وينبغي أن نذكر أيضا التّعزيزات الأخرى التي وصلت إلى سعد سواء قبل معركة القادسيّة أو أثناءها مثل الكتيبة المتكوّنة من ثلاثمائة رجل أو ثمانمائة وحتّى ألف فارس والتي بعثها أبو موسى الأشعريّ بتوصية من عمر، إلى العراق بقيادة المغيرة بن شُعْبة. ويؤكّد الطّبريّ هذه المعلومة استنادا إلى رواية لابن اسحاق يدقّق فيها أنّ هذه الكتيبة المتكوّنة من أربعمائة رجل، أرسلها عمر ولكن من المدينة نفسها، كذلك سبعمائة رجل آخرين بقيادة قيس بن المكشوح المراديّ، وألفا آخرين بقيادة عِياض بن غَنْم الفهريّ أرسلها أبو عُبَيدة من الشّام ووصلت لمّا كان سعد في دَيْر قُرّة أي بعد معركة القادسيّة (انظر: الطبري، تاريخ، III، 572؛ البلاذري، فتوح، ص 357).

1 - ن.م، ص 543. اليعقوبي، تاريخ، III، 145؛ ابن حبيش، الورقة 319 والورقة 360.

2 - الطبري، تاريخ، III، 543؛ ابن حبيش، الورقة 360.

3 - الطبري، تاريخ، III، 552-553؛ ابن حبيش، الورقة 368.

4 - ن.م.

5 - الهمْدانيّ، الإكليل، X، 115.

سعيد بن قيس بن زيد الحَاشِديّ الهَمْدانيّ في القتال بالقادسيّة على رأس سَرِيّة تتكوّن من ألفي هَمْدانيّ[1].

عدَد الجُنْد في القادسيّة

عموما، كان على الجيش الإسلاميّ الذي يعدُّ خمسة وثلاثين إلى أربعين ألف مقاتل، دون اعتبار النّساء والتّابعين والعبيد (حوالي سبعين ألفا)[2]، مجابهة الجيوش الفارسيّة في القادسيّة وكان عددها ستّين ألف رجل. ويرى هشام جعيّط الذي أقرّ رقم ثلاثين ألف رجل بالنّسبة إلى الجيش العربيّ الذي حشده سَعْد في شراف[3]، أنّ عدد اليمنيّين كان بين سبعة آلاف وأربعمائة وتسعة آلاف وأربعمائة، وأنّ عدد جنود ربيعة ثمانية آلاف، ستّة من بكر وألفان من النمر وإياد وتَغْلِب، وأنّ عدد المضريّين أحد عشر ألف مقاتل، منهم أربعة آلاف قيْسيّ، وأربعة آلاف تميميّ وثلاثة آلاف أسديّ. وقدّر دونّر (F. M. G. Donner)[4] عدَد جُند القادسيّة باثني عشر ألف فقط.

ونحن نرى اعتمادا على الأرقام الدّقيقة التي قدّمها سيف بن عمر وكذلك الطّبريّ والمؤلّفان الأندلسيان ابن حُبَيش والكَلاَعيّ، أنّ الجيوش الإسلاميّة كانت تعدّ وقتَ تجمّعها في شَراف وأثناء تقدّمها نحو قَادِس، أكثر من ثلاثين ألف رجل[5].

وفي الجملة يوجد أربعة وعشرون ألف رجل أصيلي ربيعة ومُضر، وألف وسبعمائة وسبعون نازحا وحليفا، واثنا عشر ألفا وثمانمائة يمنيّ منهم سبعة آلاف ومائة يمنيّ أصلي، وخمسة آلاف وسبعمائة من التّخوم والشّتات أي (38670) ثمانية وثلاثون ألف وستّمائة وسبعين مقاتلا. والملاحظ أنّ هذا الرقم يتطابق مع تقديرات المسعوديّ وابن حُبَيْش في الآن نفسه: فالمؤلّف الأوّل يتكلّم عن ثمانية وثلاثين ألف محارب مسلم ضد ستّين ألف فارسيّ[6]، في حين يذكر الثّاني تقديرات تتراوح بين تسعة وثلاثين ألف وأربعين ألف رجل منهم خمسة آلاف ومئتان قتلوا في معركة القادسيّة نفسها[7].

1 - إنّ رقم 200 همْدانيّ ذكره الحديثيّ (**أهل اليمن**، ن.م، ص 132) عن إشارة في مخطوط **الرّوض المعطار** (هامش 47 ص.141)، في حين يتكلّم الكلاعيّ (ن.م، الورقة 56 وجه) عن ألف ربّ عائلة.

2 - الطبري، **تاريخ**، III،510 وفي رواية أخرى (ن.م، ص 505) بلغ العدد 200.000 شخص. انظر: هشام جعيّط، ن.م، ص 37.

3 - هـ جعيّط، ن.م، ص 31.

4 - F. M. Donner, *Early*.., pp.205 et sqq

5 - ابن حُبيش، الورقة 402؛ النويري، **نهاية**..، XIX، 190.

6 - المسعودي، **مروج**، III، 55.

7 - ابن حُبيش، الورقة 402.

ويُسْتَنتج من هذه الأرقام أنّ نسبة اليمنيّين الحاضرين في القادسيّة هي ثلث مجموع الجنود في حين كان المحاربون اليمنيّون في معركة اليرموك بالشّام يمثّلون الأغلبيّة السّاحقة من السّتّة والأربعين ألف رجل، إلاّ أنّ اليمنيّين كانوا من النّاحية الكميّة أكثر عددا من العناصر المنتسبة إلى ربيعة ولكنّهم أقلّ عددا من المُضريّين.

وبخصوص انتماء المحاربين اليمنيّين القبليّ والعشائريّ[1]، ينبغي أن نلاحظ حضور بني مَذْحِج (ألف وثلاثمائة رجل من سلالة مُنَبّه وجُعْفيّ وجَزْء وزُبَيد وأنس الله، وجَنَب ومُسْلِية وصدَاء)، والنَخَع (سبعمائة رجل)، ومراد (أربعمائة رجل)، والسّكون (أربعمائة رجل)، وهَمْدان (ألف أو ألفا رجل)، وكندة (سبعمائة أو ألف وسبعمائة رجل)، أي سبعة آلاف رجل. ويضاف إلى هؤلاء اليمنيّين أصيلي اليمن، يمنيّو الأطراف (أزد السّراة: 700، خَثْعم وبجيلة: 2000 رجل وألف أخرى في شكل تعزيزات)، كما يُضاف يمنيّو الشّتات (طيّ وقضاعة: 200 رجل).

التّنظيم العسكريّ

إنّ المعلومات الموجودة في المصادر عن التّنظيم العسكريّ عند العرب في فتح الشّام والعراق فضفاضة جدّا ومبهمة في الكثير من الأحيان. فنحن لا نعرف جيّدا البناء العسكريّ للجيوش العربيّة في القادسيّة[2]. ومع ذلك سنعتمد على شهادة الطّبريّ لتصوّر تعبئة الجنود في شَراف وتنظيم سَعد للمعركة، ثم نحاول تحديد دور اليمنيّين في مستوى قيادة الوحدات المسلّحة أي «أمراء التّعبئة» و«أمراء الأعشار» و«أصحاب الرّايات».

فهذه رواية الطّبريّ[3] لتعبئة الجنود المسلمين في شرَاف وتنظيمهم قبل صدمة القادسيّة: «فقدّر الناس وعبّاهم بشراف، وأمّر أمراء الأجناد، وعرّف العُرَفاء؛ فعرّف على كلّ عشرة رجلا، كما كانت العِرافات أزمانَ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكذلك كانت إلى أن فُرض العطاء، وأمّر على الرّايات رجالا من أهل السّابقة، وعشّر النّاس، وأمّر على الأعشار رجالا من النّاس لهم وسائل في الإسلام، وولّى الحروب رجالا، فولّى على مقدّماتها ومجنّباتها وساقتها ومجرّداتها وطلائعها ورجلها وركبانها. أما بخصوص

1 - انظر الملحق أسفله.

2 -هـ. جعيّط، ن. م، ص40؛ F. M. Donner, *op. cit*, pp.221-225.

3 - الطبري، تاريخ، III، 488؛ ابن حُبيش، الورقة 317-318.

قيادة الوحدات العسكريّة الثّمانية[1]، فقد أسْنِدت إلى يمنيّين، أحدهما خَثْعميّ وهو عبد الله بن ذي السّهمَيْن «قائد الرّكبان»، والآخر كنديّ هو شرحبيل بن السِّمط بن شرحْبيل الكنديّ، وهو فتى كان قاتَل المرتَدّين وفُضِّل على الأشعث الأشرف منه نسَبا إلا أنّه مرتدّ بارز وكان الشّابّ يفوقه شرفا بين المدينة وتأسيس الكوفة، وكان أبوه رحل إلى الشّام صحبة أبي عبَيْدة. عيّن إذن شرَحْبيل قائد المَيْسَرة»[2].

والملاحظ حسب الطّبريّ[3]، أنّ أمراء التّعبئة اتّخذوا أمكنتهم تراتبيّا وراء القائد العامّ (الأمير)، يتبعهم أمراء الأعشار ثم حَمَلة الألوية ثم رؤساء القبائل.

ووجدنا من بين حَمَلة الألوية ثلاثة أسماء شهيرة على الأقلّ: الأشعث الكنديّ، وجرير البَجَليّ[4]، ودريد بن كعب النَّخَعيّ[5]. وأخيرا، بالنّسبة إلى رؤساء القبائل الذين اتّخذوا أمكنتهم في مستوى تنظيم معركة الأجناد، في آخر منصب قياديّ تراتبيّا، نذكر أسماء حُمَيْضة الجُعْفي، وعمرو بن مَعْدِي كرِب الزُّبَيْديّ، والأشْتَر النّخَعيّ، وابن ذي السّهْمَيْن الخَثْعَمِيّ، وسعد بن نِمران الهَمْدَانيّ. فهؤلاء شخصيّات تنتسب إلى قبائل اليمن الرئيسيّة التي أرسلت إلى الجبهة العراقيّة وحدات هامّة وهي كندة وبَجِيلة والنَخَع وخَثْعَم ومُراد وهَمْدان.

ومن ناحية أخرى، من الأهميّة بمكان أن نلفت الانتباه إلى أنّه، خلافا لأبي بكر الذي أمر بعدم السّماح للمرتدّين بالمشاركة في معارك الفتوحات[6]،فإنّ عُمر قرّر أن يدعوَ الكثير من العناصر التي تورّطت في حركات الرّدة، ولكن دون أن

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 489؛ ابن حبيش الورقة 318.

2 - ابن حجَر، الإصابة، II، 401-402؛ القوّاد السّتّ الأخرون كانوا حسب الطّبريّ، (تاريخ، III، 488):

-زُهر بن عبد الله بن قتادة بن الحَوِيّة بن مَرْثد بن معاوية بن مَعن بن مالك بن أرْثَم بن جُشَم بن الحارث الأعرج، قائد المقدّمات. وقد تحرّك هذا القائد من شَرَاف إلى أن بلغ موضعا يسمّى العُذَيْب.

-عبد الله بن المُعْتَم، وهو صحابيّ قديم كان ضمن «عِرافة» الرّسول: قائد مَيْمنة الجيش.

-عاصم بن عمرو التّميميّ العُمري: قائد «السّاقة» (الخطوط الخلفيّة).

-سواد بن مالك التّميميّ: قائد «الطّلائع».

-سلمان بن ربيعة الباهليّ: قائد الخيّالة الخفيفة (المجرّدة).

- حمّال بن مالك الأسَديّ: قائد «الرِّجْل» (المشاة).

3 - الطبري، تاريخ، III، 789؛ ابن حبيش، الورقة 318.

4 - الدِينَوَري، ص122.

5 - الطبري، تاريخ، III، 560.

6 - ن.م، ص 489.

يَعْهد إليها بوظائف عسكريّة تأطيريّة، باستثناء قيادة المجموعة القبليّة التي ينتسبون إليها[1] كما هي الحال بالنّسبة إلى القادة اليمنيّين الأشعث الكنديّ وعمرو بن معدي كرِب الزّبيديّ وقيس بن المكشوح المراديّ، والقائد الأسَديّ طُلَيحة.

ورغم الحضور المكثّف لِلْمقاتلين اليمنيّين المنتمين في أغلبهم إلى القبائل البدويّة، بما فيها البدو الرّحّل، مثل مراد وهمْدان ومَذْحِج وغيرها، فإنّهم كانوا يأتمرون بأوامر القوّاد العسكريّين الذين اختيروا من بين المهاجرين والأنصار أو القبائل العربيّة المستقرّة والتي بقيت مخلصة للإسلام وقتَ الرّدّة. لذلك ذكر دونّر (F. M. G. Donner) محقّا تكوين نخبة سياسيّة منذ عهدي محمّد وأبي بكر، تسيّر شؤون البلاد وتضمّ المهاجرين من مكّة والأنصار المدينيّين، والحلفاء المستقرّين والذين شجّعوا على الاستقرار في المدن. وهو يقول أيضا إنّ هذه النّخبة هي التي تمكّنت من السّيطرة في حروب الرّدّة وفي حروب الفتوحات على قبائل البدو الرّحّل مثل القبائل اليمنيّة[2].

صدمة القادسيّة: التّحضيرات والتزويد وتنظيم المعركة وأهمّ فترات القتال ضدّ الفرس

لم يبدأ القتال بين الجيوش الإسلاميّة بقيادة سعد بن أبي وقّاص والجيوش الفارسيّة بقيادة رستم فعليّا إلاّ بعد فترة انتظار قدّرها الدّينوَريّ[3] بأربعة أشهر، تميّزت خاصّة بإجراء مفاوضات عن طريق رُسُل. ونقلت المصادر[4] هذه «المواجهة الايديولوجيّة» بعناية وإن كانت الرّواية أنشئت في وقت متأخّر في الكوفة[5]. وذُكِرت في هذه المواجهة «دوافع الفتح الاقتصاديّة» و«رسالة العرب الدينيَة» و«البعد القوميّ للإسلام» في الآن نفسه، أي كلّ المبرّرات المُمكنة قبل التّصادم المسلّح.

وكان على المسلمين في هذه الفترة الطّويلة من التّرقّب أن يجدوا أيضا حلاّ عاجلا للتّزوّد بالمؤونة، ليس للمقاتلين فحسب بل للأسر التي كانت ترافقهم أيضا. فوجد

---

1 - انظر هـ جعيّط، الكوفة، ص 34؛ A. Shaban, *Islamic History*, I, 46.

2 - F. G. Donner, The early.., pp. 88-89

3 - الدينوَري، ص 120.

4 - الطبري، تاريخ، III، 498-501 و518-529؛ ابن حبيش، الورقات 324-326 و340-345؛ النويْري، نهاية، XIX، 191-194 و200-202.

5 - هـ. جعيّط، ن.م، ص 36.

الحلّ في شنّ سلسلة من غارات النّهب للاستيلاء على الماشية وتوفير اللّحوم للجميع. وفي هذا النّطاق حدث ما سمّي بـ«يوم الحيتان»[1] و«يوم الأبقار»[2].

ولم يقتصر الأمر على التزّود بل تجاوزه إلى مستوى الاستخبار عن الخصم الفارسيّ قصد إتقان مجابهته ومعرفة تحضيراته ومُعدّاته العسكريّة وغيرها. فأرسل سعد طُلَيْحة الأسديّ وعمرو بن مَعْدي كرِب الزّبَيْديّ، وهما مُرْتدّان بارزان، رائدَيْن على رأس وحْدتين تتكوّن كلّ منهما من خمسة فرسان، لجمع معلومات دقيقة من معسكر الفرس نفسه[3]، ثم أتبعهما بعد مدّة قصيرة بسريّة تتكوّن من سبعين[4] أو مائة[5] رجل بقيادة قائد يمنيّ مرتد هو الآخر وهو قيس بن المكشوح المُرادي[6]. وأُمِر قيس بتولّي قيادة كامل السَّرِيّة إذا ما شُنّ القتال ضد الفرس. إلاّ أنّ عمرو بن معدي كرب[7] عارض أمْر سَعْد هذا إذ لم ينْس منافسته القديمة لقيس الذي كان أيضا ابن أخيه، وهدّد بإنكار عقيدته من جديد إذا ما أصرّ قيس على جعله تحت قيادته، ولهذه الرّواية التي نقلها سيف عن موسى بن طَريف[8]، فضلا عن كوْنها تذكّر بالنّزاع بين قيس وعمرو في الجاهليّة، وتورّطهما المشترك في الرّدّة اليمنيّة الثّانية، فائدة كبيرة جدّا تتمثّل في بلورة رغبة سعد وإرادته امتحانَ مدى إخلاص القائدين اليمنيّين للدّعوة الإسلاميّة في العراق[9]. ومن ناحية أخرى، فإنّ قيسا نُعِت بـ«الأسديّ» في رواية تجعله على رأس سريّة متكوّنة من مائة رجل، وبـ«المراديّ» في رواية أخرى تنسب إليه قيادة سَبعين شخصا، وهذا الأمر الغريب يقتضي منّا التّوضيح التّالي. لأنّ كتب الأنساب أبعد ما تكون عن الإجماع حول نَسَب قيس الدّقيق.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 502؛ ابن حبيش، الورقات 327.

2 - الطبري، تاريخ، III، 495-502؛ ابن حبيش، الورقة 323 و327 و340-345؛ النويْري، نهاية، XIX، 194؛ انظر بخصوص الجيش الإسلاميّ وتمويله مقال. م. د. بَطاينة، الجيش وتمويله في صدر الإسلام، دراسات، مجلّد VII، عدد2، 1981، ص 53-70.

3 - الطبري، تاريخ، III، 512؛ ابن حبيش، الورقة 334؛ النويْري، نهاية، XIX، 195؛ انظر أيضا بخصوص طُلَيْحة ودوره في القادسيّة: ابن قدامة، ن. م، ص 132-135.

4 - الطبري، تاريخ، III، 513؛ ابن حبيش، الورقة 332.

5 - الطبري، تاريخ، III، 558.

6 - ن. م، ص 511- 513-558.

7 - ن. م، ابن حبيش، الورقة 335.

8 - الطبري، تاريخ، III، 511.

9 - ن. م، ص 511.

فهو عند ابن حزم[1]، قيس بن هُبَيْرة (الملقّب بالمكشوح) بن عبد يغوث بن الغُزَيّل بن سَلَمَة بن عامر بن أَوْتبَان بن زاهر بن مُراد. وينعت ابن دريد أباه بقائد مراد وينسب إلى قيس لقب «فارس مَذْحِج»[2]. أمّا ابن عبد البرّ[3] فإنّه يضبط له نَسَبا آخر يصل به إلى قبيلته بَجِيلة ويعتبره حليفا للمراديّين، وبذلك قد يكون ابن هبَيْرة بن هلال أو عبد يغوث بن هُبَيرة بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن أسلم بن أحْمس بن الغَوث بن أنْمار بن إراش... بن سبإ البجَاليّ، كنيته أبو شدّاد، وكان حَمَلَ راية بَجيلة في صفّ عليّ يوم صِفّين. فكيف نفسّر هذا التّعقّد في ضبط نَسَب قيس الذي يُحتمل جدّا أن يكون من أصل مُراديّ؟ لماذا ينسبه الطّبريّ إلى بني أسد[4] وابن عبد البرّ يُسند إليه هذه النّسبة الغريبة إلى بجيلة؟

هل فعل ذلك ليُنسيَ ما كان عليه من ردّة وبذلك يتسنّى له أن يُمْنَحَ وظيفة قيادة[5] مائة رجل دون مخالفة أمر عمر بن الخطّاب؟ أم يتعلّق الأمر بتحريف ناتج عن تحرير الرّواية في عصر متأخّر نسبيّا عن فترة فتح العراق؟ وبخصوص نسبة بَجَلي، هل هي طريقة لتأكيد دور بجيلة المهيمن أثناء معركة صفّين؟ الثّابت أنّنا نجد قيس بن هُبَيْرة على رأس قلب الجيوش الإسلاميّة وقتَ تنظيم سعد لصفوف الجنود قُبَيل اندلاع القتال في القادسيّة. والأخباريّ الدِّينَوَريّ[6] الذي روى هذا الخبر يذكر أيضا شُرَحْبِيل بن السِّمط قائدا لميمنة جيش سعد.

أمّا بقيّة المصادر فهي أبعد ما تكون عن الإجماع بخصوص هذا التّنظيم العسكريّ للقتال في قَادِس وأسماء مختلف القوّاد العرب الذين اختارهم سعْد لهذا الغرض. وليس من المفيد أن نعود من جديد إلى القائمة التي ضبطها الطّبريّ عن رواية لسيف[7]، إلاّ أنّنا نشير إلى أنه ذُكِر في رواية ابن اسحاق[8] قائدان يمنيّان هما جرير بن عبد الله البَجَليّ وقيس بن المكشوح المراديّ، الأوّل قائدا للمَيْمنة والثّاني قائدا للمَيْسرة.

---

1 - ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ن.م، ص 407.

2 - ابن دريد، **الاشتقاق**، ن.م، ص 414.

3 - ابن عبد البرّ، **الاستيعاب**، III، 1299. انظر أيضا: ابن الأثير، **أسد الغابة**، IV، 237.

4 - الطبري، **تاريخ**، III، 513-514، و533، و559.

5 - ن.م، ص489.

6 - الدينوري، ن.م، ص 121. كان القوّاد الآخرون: هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص: قائد الميسرة؛ قيس بن حُرَيْم: قائد الخيّالة؛ خالد بن عُرفُطة، وهو مولي لبني زُهرة: القائد العامّ بالنّيابة بسبب مرض سعْد.

7 - الطبري، **تاريخ**، III، 515؛ ابن حبيش، الورقة 338.

8 - الطبري، **تاريخ**، III، 575.

أمّا ابن الأعثم[1]، فإنّه يعرض الأمور بصفة مختلفة إذ يقسّم الجيوش الإسلاميّة التي تقدّر بتسعة وثلاثين ألف رجل، إلى أربعة صفوف، أسندت قيادة مَيْمَنتها المكوّنة من عشرة آلاف رجل، مشاة وخيّالة، إلى يَمِنيَّيْن هما عمرو بن مَعْدي كرِب الزُّبَيْديّ وجرير بن عبد الله البَجَليّ.

لماذا كلّ هذا الاختلاف بين مختلف الرّوايات العربيّة بخصوص حدث مشترك وفي منتهى الأهمّية، وهو فتح العراق؟ وكيف نفسّر تعيين قادة يمنيّين كانوا مرتدّين مثل قيس وعمرو، قوّادا لوحدات عسكريّة مع نقض تعليمات عُمر التي تمنع أن يُعهد إلى مرتدّين سابقين بوظائف عسكريّة تأطيريّة. فنحن إزاء جملة من الأسئلة يصعب الجواب عنها بسبب تناقض المعلومات التي تمدّنا بها المصادر وعدم دقّتها في الكثير من الأحيان.

ومن المفيد أن نشير في نطاق هذا التّوصيف لتحضيرات معركة القادسيّة، إلى النّصّ الذي نقله الأخباريّ الأندلسيّ ابن حُبَيْش[2] والمتعلّق بأوضاع المقاتلين المسلمين وأُسَرهم قبل الصّدام المسلّح ضدّ الفرس.

ما الأمر؟ الأمر يتعلّق في الواقع برسالة وجّهها القائد سعْد بن أبي وقّاص إلى الخليفة عُمر بن الخطّاب ردّا على رسالة طلب فيها عمر من عَوْنه معلومات دقيقة عن مساهمة كلّ من المجموعات القبليّة الثّلاث (مُضر وربيعة واليمنيّين) في الجهاد ضدّ الفرس قبل صدمة القادسيّة. إن جواب سعْد هذا، يمثّل في نظرنا وثيقة مفيدة جدّا ترشدنا إلى ظروف إقامة المحاربين المسلمين وأتباعهم وظروف حياتهم اليوميّة في العراق قبل معركة القادسيّة، وكذلك إلى دور كلّ من المجموعات القبليّة الثّلاث، المُضريّين وبني ربيعة واليمنيّين، والأعمال التي أوكلت إليها لضمان عتاد أفضل للمقاتلَين أثناء القتال. وأعلم سعد الخليفة عُمر في بداية رسالته أنّ مختلف القبائل العربيّة بَدَت متضامنة جدّا في غارات النّهب التي سبقت معركة القادسيّة نفسها وعند تقسيم الغنائم التي استولَوْا عليها من الفرس، ثم ذكر له أنّ مُضر وربيعة واليمنيّين اقتسموا الأعمال، فاختارت كل مجموعة قبليّة أن تنجز بواسطة عدد من

1 - انظر: ابن الأعثم، I،201-202. أمّا الصّفوف الأخرى، فقد كانت كما يلي:
-الميْسرة المتكوّنة من 10.000 رجل بقيادة ابراهيم بن حارثة الشّيْبانيّ وعلي بن جَحْش العِجليّ.
-القلب المتكوّن من 10.000 من المشاة و500 فارس بقيادة طُليْحة بن خُوَيْلد الأسديّ والمنذر بن حسّان الضّبّيّ.
-وأخيرا 5.000 رجل من الجيش الذي يقدّر عدده بـ 40.000 مقاتل كانوا موزّعين بين الأجنحة والكمناء.
2 - ابن حبيش، الورقة 328.

رجالها عملا محدّدا لصالح مجموع المحاربين وأُسَرِهم. قبل كلّ شيء، مُهمّة تزويد مجموع الأجناد بالموادّ الغذائيّة (اللّحم والحليب خاصّة) قد تكفّل بها المُضَريّون[1] وبالخصوص عشرة قادة وهم عاصم بن عمر، وسواد بن مالك، ومالك بن ربيعة والمُساوِر بن النّعمان، وغالب بن عبد الله، وعُبَيْد الله بن وهب، وعبد الله بن عُمَيْر الأشْجَعيّ، وعمرو بن الهذيل الأسَديّ، وعمرو بن ربيعة والحارث بن ذي البُرْدَيْن.

أمّا بنو ربيعة[2] فإنّهم تكفلوا بتوفير النّساء للمقاتلين العرب لقضاء وَطَرهم منهنّ، والأطفال ليقوموا بخدمتهم، وكلّ ذلك يهدف بوضوح إلى حثّهم على القتال. والملاحظ أنّ النّساء والأطفال تمّ سبْيُهم من الفرس أثناء غارات السّلب والنّهب التي شُنّت قبل معركة القادسيّة نفسها. وهذه أسماء الرّجال الذين قاموا بهذه المهمّة: عبد الله بن عامر بن حَجِيّة، عبد الله بن الحَوّال، أبجر بن جابر، خالد بن المعْهر، عابد بن أبي مَرضيّة، كعب بن مالك، عبّاد بن الأزْمع، ويزيد بن مُسْهر. ويُقرُّ ابن حُبَيْش[3] هذه الرّواية مضيفا رواية أخرى لأبي زُبَير تنصّ على أنّ المقاتلين المسلمين في العراق اضطروّا إلى التزوّج من نساء فارسيّات سُبِين في الغارات بسبب نقص النّساء العربيّات على عين المكان، منهم من طلّقهنّ إثر نهاية معركة القادسيّة، ومنهم من احتفظ بهنّ كزوجات. وأخيرا فإنّ أهل اليمن[4] تكفّلوا بتوفير الرّكائب اللاّزمة، من خيل وبغال وحمير، لنقل المقاتلين وتابعيهم. واختير للقيام بهذه المهمّة ثمانية رجال هم، حَوْلي بن عمرو، والحارث بن الحارث، وعمرو بن خَوْتعَة، والقاسم بن عُقيْل، وحُمَيْضة بن النعمان، ومَضِر بن هُبَيْر، وجَبَلة بن حسّان والحارث بن خالد.

وفي نهاية الأمر، فإنّ رسالة سعْد هذه، وثيقة استثنائيّة تُنير لنا في الوقت نفسه التّكاملَ والوحدة الفعليّة بين المجموعات القبليّة العربيّة في الجبهة العراقيّة وكذلك الميول والطّبائع الاجتماعيّة. فبقدر ما انكشفت طبيعة المُضَريّين وبني ربيعة الميّالة أساسا إلى الرّحيل إذ قاموا على أحسن ما يرام بمهمّتهم الغذائيّة (توفير اللّحم والألبان) والتّناسليّة (قِران المقاتلين مع نساء فارسيّات)، وحتّى في مجال الأشغال المنزليّة (توفير الخَدَم من بين الأسرى الفرس)، لفائدة جميع المسلمين الموجودين في جبهة القادسيّة، أكّد اليمنيّون ما فطروا عليه من شراسة بانتمائهم إلى قبائل رَعَوِيّة وذلك بتوظيف معارفهم في مجال النّقل؛

1 - ن.م.

2 - ن.م.

3 - ن.م، الورقة 401.

4 - ن.م، الورقة 328.

فكأنّ توزيعا «وظيفيّا» تمّ بالفعل بين المجموعات القبليّة العربيّة الثّلاث المتواجدة في العراق.

بقي أن نحلّل مساهمة اليمنيّين في القتال في معركة القادسيّة والمعارك الأخرى في فتح العراق. وما استنتجناه من قراءتنا لرواية مختلف المعارك في فتح العراق هو بلا منازع حضور عديد القادة اليمنيّين في ساحة الوغى، سبق أن ذكرنا أسماءهم في عديد المناسبات. فسواء تعلّق الأمر بقيس بن المكشوح أو بعمرو بن مَعْدي كَرِب أو بالأشتر النَخَعيّ، أو شرَحْبيل بن السمط، أو الوجهاء اليمنيّين،فإنّهم تميّزوا جميعا بخصالهم العسكريّة الثّابتة (الخفّة والشّجاعة والجدوى وتسيير القتال، ومطاردة الخيّالة)، وبمعارفهم في مجال رسم الخطط وفي القيادة. ويكفي قراءة الرّواية المفصّلة للقتال في القادسيّة في يوم أرْمات[1]، ويوم أغْمَات (يوم النجدة)[2] ويوم عِماس (يوم القتال الشّديد)[3]، وليلة الهرير[4] أو يوم السّواد[5]، للتّأكّد من أنّ هؤلاء القادة اليمنيّين لعبوا دورا حاسما سواء في حثّ الجنود على القتال، أو في المبارزات المسلّحة مع الفرس، أو في عمليات الهجوم كالمطاردات.

هذه المشاركة البطوليّة والنّاجعة في أيّام القادسيّة جلبت لهم حسب الأخباريّين العرب عديد الهدايا. ونذكر بالخصوص توزيع الخيول التي استولوا عليها من الفرس، على من يسمّيهم ابن حُبيش[6] بـ«أهل البلاء»[7]، بمعدّل خمسين رأسا لكل وحدة تتكوّن من عشرةِ مقاتلين. وقد تحصّل النّخع ومَذْحِج الذين تميّزوا مع بجيلة وكندة خاصّة في «ليلة الهَرير»، على خمسين فرسا، عشرون منها للنَخَع، وثلاثون لَمذحِج في رواية الشّعبيّ[8] وخمسة وعشرون لكل قبيلة حسب ابن الكلبيّ[9].وتميّز المقاتلون اليمنيّون في معركتي المدائن وجَلولاء أيضا.

---

1 - الطبري، **تاريخ**، III، 529-541؛ الكلاعيّ، الورقة91 وجه و94 وجه.

2 - الطبري، **تاريخ**، III، 542-550؛ الكلاعيّ، الورقات94-98 وجه.

3 - الطبري، **تاريخ**، III، 550-563...؛ الكلاعيّ، الورقات 98-100 قفا.

4 - الطبري، **تاريخ**، III، 563-570؛ الكلاعيّ، الورقات100 ظهر-110 وجه.

5 - ابن الأعثم، I، 201.

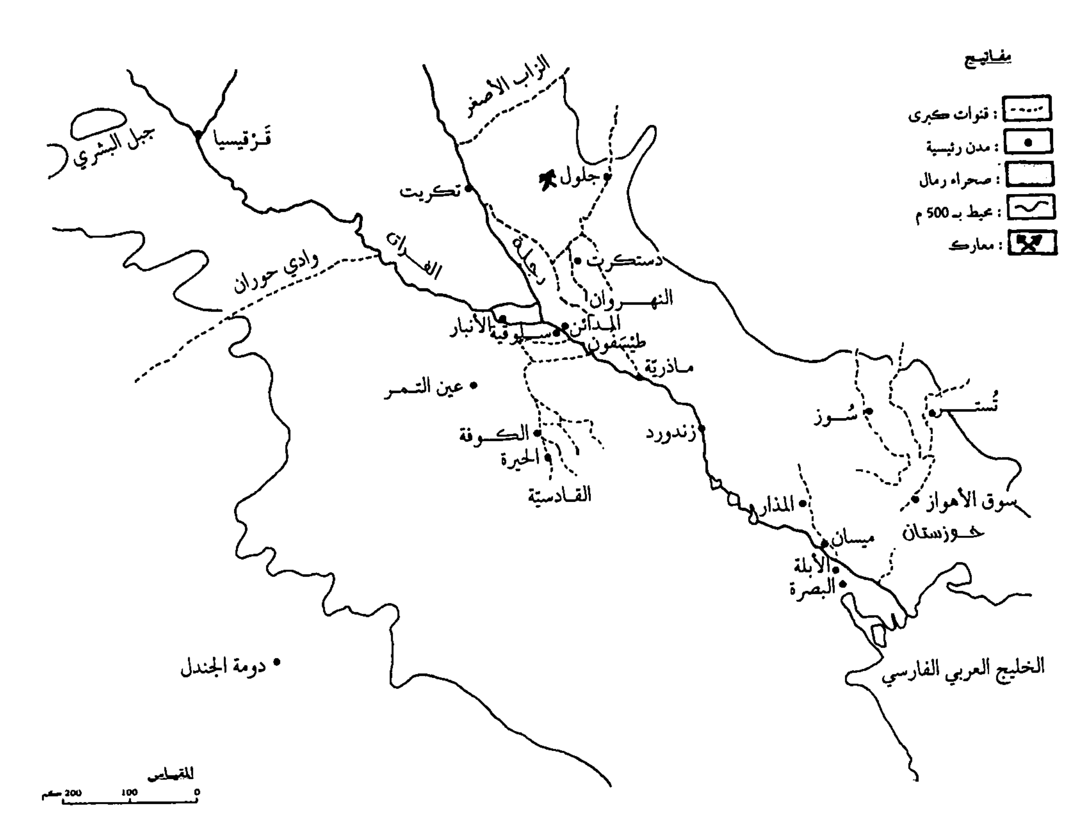
6 - ابن حبيش، الورقة 404.

7 - A. Shaban, *op. cit.*, I, 45

8 - الطبري، **تاريخ**، III، 561.

9 - ابن حبيش، الورقة 404.

خريطة العراق زمن الفتح الإسلامي



وينبغي أن نذكر أنّ سعدا سلّم قيادة الجنود المسلمين أثناء معركة المدائن إلى القائد الكنديّ شُرَحْبِيل بن السِّمط[1]. أمّا في معركة جَلُولاء، فإنّ الجيش المتكوّن من اثني عشر ألف رجل، وقد أرسله سعد بقيادة هشام بن عتبة،[2] فإنه عُزّز بفيلق متكوّن من ألف رجل آخرين، ستّمائة منهم مشاة وأربعمائة خيّالة، بقيادة القائد المُراديّ قيس بن المكشوح[3]. ويمكن أن نذكر من بين قوّاد هذا الجيش في جلولاء حُجْر بن عَدِيّ في المَيْمنة وعمرو بن مَعْدي كرِب على رأس الخيّالة[4]. ويقدّر ابن الأعْثَم عُدد المسلمين الحاضرين في جلولاء بأربعة وعشرين ألف رجل، منهم ألفا فارس يقودهم قيس بن المكشوح، وألفان آخران بقيادة حُجْر بن عَدِيّ، وأربعة آلاف رجل يقودهم جرير البَجليّ[5]. ولكنّه وقتَ تنظيم المعركة، جعل القوّاد اليمنيّين الأربعة جريرا وقيسا وعمْروا وحُجْرا، الأوّل على الميمنة والثّاني على الجناح والثّالث على الخيّالة والرّابع على الميْسرة[6]، وذكر أيضا القائد الكنديّ الأشعث[7]، ولكن دون تدقيق وظيفته أثناء معركة جلولاء. وفي المقابل ذُكر جرير بصفته المستولي على خانقين، وذكره أيضا الدِّينَوَري[8] على رأس سريّة متكوّنة من أربعة آلاف رجل كان تركها عَمرو بن مالك في جلولاء لحماية المناطق العراقيّة التي فتحها المسلمون من أيّ هجوم فارسيّ محتمل. إلا أنّ جريرا اضْطُرّ إلى الالتحاق بجبهة الأهواز على رأس وحدة عسكريّة تتكوّن من ألفي رجل لتعزيز الجيوش التي كان يقودها أبو موسى الأشعريّ، تاركا فصيلا متكوّنا من ألفَي رجل في جلولاء بقيادة عُروة بن قيس البَجَليّ.

ويمكننا أن نضاعف مرّات الأمثلة المتعلّقة بمشاركة اليمنيّين الجدّيّة في تلك المعارك التي عقبت معركة القادسيّة. فقد كلّف الخليفة عُمر القائد النعمان بن المُقَرِّن المزنيّ بقيادة الجيش الإسلاميّ في معركة نهاوَنْد[9] سنة 21 ه. وقد قدّره ابن

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 619؛ الكلاعيّ، الورقة 100 وجه و111 قفا.

2 - الطبري، تاريخ، III، 25-26؛ الكلاعيّ، الورقة 122 قفا- 126قفا.

3 - الدِينَوَري، ن.م، ص 128.

4 - ن.م، انظر أيضا البلاذري، فتوح، ص 369.

5 - ابن الأعثم، ص 271-272.

6 - ن.م.

7 - البلاذري، فتوح، ص 370.

8 - الدِينَوَري، ص 128.

9 - الطبري، تاريخ، IV، 114 وما بعدَها؛ الدينوَري، ص 133 وما بعدها؛ المسعودي، مروج، III، 68؛ الكلاعي، الورقة140 وجه – 149 وجه.

الأعثم[1] بثلاثين ألف رجل، منهم مقاتلون من مَذْحِج والنّخع وزُبيد. وقد أمر عمر بأن يُعْهَد قيادة الجيش في صورة وفاة النّعمان أثناء القتال، إلى قوّاد آخرين نذكر منهم جريرا في المرتبة الثّالثة والأشعث في الرّابعة. وتدلّ هذه التّعليمات الأخيرة الصادرة عن عُمر على تطوّر ملموس في موقفه من تشريك المرتدّين السّابقين المنتمين إلى القبائل العربيّة في وسط شبه الجزيرة العربيّة وشرقها وجنوبها، في القتال أثناء الفتوحات، ولكن دون أن يعهد إلى رؤسائهم مهمّة قيادة الجيش.ألم يتلقّ المرتدّان السّابقان طُلَيْحة الأسَدي وعمرو بن مَعْدي كرِب الأمر بمعاضدة القائد النّعمان بن المُقرّن ولكن دون أن يُسند إليهما أيّ وظيفة عسكريّة في مستوى القيادة أو التّأطير[2]؟ إلاّ أنّ هذا الموقف السّياسيّ يبدو في صالح الأشعث الكِنديّ على حساب القائدين الآخرين المرتدّين طُلَيْحة الأَسَدي وعمرو بن معْدي كرِب الزُّبَيْديّ. ومع ذلك يضيف ابن الأعثم[3] أنّ القائد الأسديّ طُلَيْحة أرسله النّعمان في المرّة الأولى، على سَريّة متكوّنة من أربعة آلاف فارس لفتح الطّريق أمام الجيوش الإسلاميّة القاصدة حُلوان مرورا بالمدائن والدَّسْكرة وجَلُولاء. وفي المرة الثّانية، كُلِّف طُلَيْحة وكذلك القائد اللّيثيّ بَكير بن سَدَاخ بالتحوّل رأسا إلى معسكر الفرس بنهاوند لجمع المعلومات قبل اندلاع القِتال، وطُلِب أيضا من القائد المراديّ الآخر قيس أن يقوم بنفس المهمّة التي كلّف بها طُلَيْحة، بين مدينتي حلوان وقَرْمَاسين على رأس وحدة تتكوّن من أربعة آلاف فارس.

وما يبدو لنا ثابتا هو أنّ مفهوم «أهل القادسيّة»[4] الذي ظهر أثناء تعبئة الجيوش الإسلاميّة ضد الفرس، هو مفهوم يشمل في الوقت نفسه المقاتلين الذين شاركوا في المعارك المسمّاة بـ«الأيّام»، (أي الأنصار والمهاجرين والمسلمين الصّادقين)، وجميع العناصر التي تورّطت في الرّدّة من قبائل البدو الرّحّل في وسط الجزيرة العربيّة وشرقها وجنوبها، ومنهم بالطّبع بنو كندة وبنو مَذْحِج ومراد وزُبَيْد وغيرهم...

ويرمز هذا المفهوم جيّدا إلى رغبة الخليفة عمر بن الخّطاب في « توسيع الإطارات البشريّة والسّياسيّة والعسكريّة التّابعة للإسلام الغازي « كما يرمز إلى إرادته «بَدْوَنَة

---

1 - ابن الأعثم، II، 42-43.

2 - انظر القالي (**ذيل كتاب الأمالي**، بيروت، د.ت، ص 144-145)؛ وفيه يذكر، نقلا عن الأصمعيّ، دور عمرو بن معدي كرب الزبيديّ في معارك «الفتوحات» مستشهدا ببضعة أبيات نظّمها لتمجيد انتصارات المسلمين.

3 - ابن الأعثم، II، 42-43.

4 - A. Shaban, *Islamic History*, I, 45.

هذا الإسلام وتَسْيِيسه مع إضفاء مضمون قوميّ ثقافيّ عليه»[1]. وبخصوص اليمن نفسه، ستترجم إرادة عمر هذه بهجرة تزداد أهمّيّة من يوم إلى آخر، تجعل اليمنيّين يتّجهون إلى الأقطار الجديدة المفتوحة كالعراق والشّام، وتحديدا إلى الأمصار الجديدة كالكوفة والبصرة. فكأنّ اليمنيّين الذين دعاهم أبو بكر في البداية إلى المساهمة في فتح العراق والشّام شدّت اهتمامَهم بعد ذلك رغبةُ عمر في تشريكهم في العمليّات العسكريّة باتّجاه شرق العراق خاصّة، فاختاروا عن قصد وبمحض إرادتهم مغادرة بلادهم للاستقرار نهائيّا في الجهات المفتوحة حديثا والمشاركة في شتّى الأنشطة العسكريّة والسّياسيّة. وهكذا كانت الكوفة وقت تأسيسها تَعُدُّ عشرين ألف نَسَمة منهم عشرة آلاف يمنيّ[2]. ويشمل هذا الرّقم المقاتلين اليمنيِّين الذين شاركوا في معركة القادسيّة والمهاجرين الجدد في الآن نفسه. ومن المؤسف أنّ المصادر العربيّة لا تقدّم مزيدا من التّفاصيل حول حركة الهجرة هذه التي تمّ تسريعُها بعد تأسيس الكوفة والبصرة (الرَّوادف).

إجمالا، لعب اليمنيّون سواء في مستوى القبائل أو العشائر أو الأفراد، الأدوار الأولى في عمليّات فتح الشّام والعراق وخاصّة في معركتي اليرموك والقادسيّة الحاسمتين. هل ينطبق هذا على مشاركتهم في فتح مصر وإزاحة الرّوم والأقباط؟

3-فتح مصر البيزنطيّة[3]

أ-تمهيد

فتح عمرو بن العاص مصر في خلافة عمر بن الخطّاب. وكان عمرو يعرف البلاد إذ زارها في الجاهليّة لغرض التّجارة حاملا إليها بالخصوص الجلود والعطور[4]. وقد عرض عمرو بن العاص على عُمر مشروع فتح مصر لأوّل مرّة بمناسبة زيارة الخليفة

1 - هـ.جعيّط، **الكوفة...**، ص 30.

2 - البلاذري، **فتوح**، ص 389؛ ناجي حسن، *The role of the arab tribes..*, pp.70-71.

3 - انظر بخصوص فتح مصر المصادر التّالية: ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، نيوهافن (New Haven)، 1922، ص 55-90؛ الطبري، **تاريخ**، 14-112؛ البلاذري، **فتوح**، ص 298-314؛ الكنديّ، **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، تحقيق ر.قست (Rh. Guest)، ليدن، 1912؛ الواقدي، **كتاب فتوح مصر والاسكندريّة**، تحقيق هَمَكير، ليدن، 1825؛ ابن حُبيش، ن. م، الورقات 201-228؛ الكلاعيّ، مخطوط باريس رقم 5030 الورقة 20؛ النُويْري، **نهاية**، XIX، ص 289 وما بعدها؛ المقريزي، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط الآثار**، بولاق، القاهرة، 1853، مجلّدان. انظر أيضا: س.إ. كاشف، **مصر في فجر الإسلام**، القاهرة، 1970.

4 - ابن عبد الحِكم، ص 53-55؛ الكنديّ، **كتاب الولاة**، ص7. الكلاعيّ، الورقة 3 وجه.

جابية بالشّـام[1]. ورُوي أنّ الخليفة قبل الفكرة بعد الكثير من التردّد وعهد إلى عمرو قيادة جيش الفتح الذي يضمّ، فضلا عن ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل[2] من عكّ[3]، قبيلةً أزديّة ثلثها من عشيرة غافق[4].

وكان قائدا الطّليعة والمَيْسرَة حسب ابـن مَاكُولا[5] يمنيّين، الأوّل يافعيّ من بني سُهَيْت (مُبْرِح بن شهاب بن الحارث بن رُعَيْن الرُّعَيْني اليافعيّ). أمّا الثّاني فهو مُراديّ (شريك بن سَجِي الغُطيفيّ). والملاحظ أنّهما صحابيّان أدّيا زيارة إلى الرّسول في المدينة صحبة عشيرة الأوّل رُعين، وعشيرة الثّاني غُطَيْف.

ونحن نعرف تفاصيل الغزو العسكريّ ومراحله بفضل روايتي ابن لَهِيعَة (المتوفّى سنة174/ 791)، وليث بن سعد (المتوفّى سنة 175/ 792) كما نقلها الأخباريّ المصريّ ابن عبد الحَكَم (المتوفّى سنة 257/ 871)[6]

ب-أهمّ وقائع الفتح العسكريّة

من حيث التسلسل الزّمنيّ، شُرِعَ في فتح مصر مباشرة إثر فتح سوريا وفلسطين والأردن وذلك قصد دعم الحضور الإسلاميّ في هذه المناطق التي كانت من قبل بيزنطية، وحمايةِ المدينة والحجاز من كلّ خطر خارجيّ في الوقت نفسه[7].

وقد غادر عمرو بن العاص سوريا للقيام بمحاولة على رأس جيش متكوّن من جنود انتدبوا من بني راشدة وبني لخم[8]. ولمّا وصل إلى «الفَرما» (Pelusium) سنة 19/ 640، شرع في القتال ضدّ الرّوم، وذُكِر أنّ جنود عمرو كانوا على الميمنة بقيادة عبد الله بن أبي سَرْح شقيق عثمان بن عفّان الذي سيعيّن خليفة، وأحد أوائل فاتحي

---

1 - ابن عبد الحكم، ص 56؛ الكلاعيّ، الورقة3 وجه.

2 - ابـن عبـد الحكم، ص 56؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 148؛ الكندي، ص8. النّويْريّ، XIX، 285. والملاحظ أنّ رقم 3500 عكّيا ذُكر في رواية ابن لَهِيعة. انظر أيضا المقريزي، **الخطط**، I، 288.

3 - ابن عبد الحكم، ص56؛ البلاذري، فتوح، ص 298 و300؛ الكلاعيّ، الورقة 3 وجه.

4 - ابن عبد الحكَم، ص 56.

5 - ابن مَاكُولَا، **الكامل**، IV، 268؛ ابن حجَر، **الإصابة**، II، 416.

6 - انظر بخصوص هؤلاء الرّواة: ر. قست (R. Guest) لمؤلّف الكنديّ، **كتاب الولاة**، ص 22-23، ومقدمة تُورّي (C. Torrey) لكتاب **فتوح مصر**، ص1 وما بعدها، ومقدّمة الكتاب الآتي:

A. Gateau, *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne*, Alger, 1942, pp.10-20.

7 - انظر: س. إ. كاشف، ص 9.

8 - ابـن عبـد الحكَم، ص 58؛ ابن حُبيش، الورقة 203؛ الكلاعـيّ، الورقة3 قفا؛ النويري، نهاية، XIX، 287؛ المقريزي، **الخِطط**، I، 289.

إفريقيّة). ويبدو أنّ الأقباط عاضدوا المسلمين في هذه المناوشة الأولى[1]. وقد تحوّل عمرو، بعد فتح القواسر وبُلْبَيْس، إلى أم دُنَيْن (Tendouniyas) حيث كتب إلى الخليفة طالبا منه إرسال تعزيزات. وتتحدّث المصادر عن إرسال فَيْلق يقدّر بأربعة آلاف[2]، أو عشرة آلاف، أو حتى اثني عشر ألف رجل[3] بقيادة الزُبَيْر بن العوّام أحد أبرز صحابة الرّسول، وبذلك بلغ رقم خمسة عشر ألف رجل الذي ذكره الكنديّ نقلا عن رواية ابن لهيعة[4]. ويبدو لنا هذا الرّقم مبالغا فيه، وربّما وقع خلط بين التّعزيزات التي قدّرها ابن عبد الحكم بأربعة آلاف رجل وعدد الجنود الذين فتحوا بابل بعد حصار دام سبعة أشهر[5]. وبيّن مؤلّف كتاب فتوح مصر أنّ التّعزيزات وضعت تحت قيادة أربعة من الصّحابة البارزين[6] هم الزّبير بن العوّام وعُبادة بن السّمط والمقداد بن عمرو ومَسْلمة بن المُخلّد (أو خارِجة بن حُذافة)، كلّ منهم تكفّل بقيادة فيلق يتكوّن من ألف رجل كما تكفّل الزّبير بالقيادة العامّة؛ ووصلت كلّ هذه التّعزيزات إلى مصر حين كان عمرو بصدد حصار قلعة بابل؛ ويقرّ ابن مَاكُولا[7] معلومة ابن عبد الحكم هذه مضيفا أنّ رُبُع أجناد التّعزيزات كان بقيادة خارجة بن حُذَافة العَدَويّ القُرَشيّ الذي قيل إنه شغل في خلافة معاوية منصب صاحب الشّرطة بمصر قبل أن يقتله سنة 40 هـ خارجيّ مكانَ عمرو بن العاص. ومن المفيد أن نلاحظ بأنّ أغلبيّة فِرق التّعزيزات تتكوّن من رجال سَلِيلي همدان والصّدف وبَلي أي من يمنيّين أساسا[8]. وخضع حصن بابل لحصار قاس، وسقط في نهاية الأمر بعد مقَاومة دامت سبعة أشهر[9] بفضل ما قام به الزّبير وبعض القَوّاد اليمنيين مثل شُرَحبيل بن حُجَيّة المراديّ[10]. وعقدت معاهدة سلام اقترحها عمرو بن العاص على قسّ الكنيسة القبطيّة المقوقس (Cyrus)، يدفع الأقباط بمقتضاها إلى الفاتحين العرب جزية مقدارها ديناران عن كلّ من السّكّان.

1 - ابن عبد الحكم، ص57.

2 - ن.م، ص61؛ انظر أيضا: ابن حُبَيش، الورقة 203؛ الكلاعيّ، الورقة4وجه؛ النويري، 19، 288؛ المقريزي، 289.

3 - البلاذريّ، (فتوح، ص 299-300) هو الذي يتكلّم على عشرة آلاف إلى اثني عشر ألف رجل ويذكر من بين القوّاد العرب خارِجَة بن حُذافة العَدَويّ وعُمَير بن وهْب الجُمحيّ. انظر أيضا الكلاعيّ، الورقة5 وجه.

4 - الكنديّ، ص8.

5 - ابن عبد الحكم، ص 61؛ الكندي، ص 9؛ النُوَيْري، XIX، 290.

6 - ابن عبد الحكم، ص 61؛ انظر أيضا: اليعقوبي، تاريخ، II،148؛ الكلاعيّ، الورقة 4 قفا؛ النويْري، XIX، 288؛ المقريزي، I، 289.

7 - ابن مَاكُولا، IV، 268.

8 - ابن عبد الحكم، ص 62.

9 - ن.م، ص 264؛ الكنديّ، ص9؛ الكلاعيّ، الورقة 5 وجه.

10 - ابن عبد الحكم، ص 56-70؛ ابن حُبيش، الورقة 204؛ ابن حجَر، **الإصابة**، II، 449.

والجدير بالذكر أنّ هذه المعاهدة بين عمرو والمُقَوْقس عُقدت بعد مفاوضات شاقّة تميّـزت خاصّة بتبادل الوفود بـين الطرفين، وهو ما يذكّرنا بالطّريقة التي استعملت أيضا على الجبهة العراقيّة بين سعد بن أبي وقّاص ورستم قائد الفرس. وقيل إنّ عشرة مبعوثين أرْسِلوا إلى المقوقس ليعرضوا على الأقباط أن يختاروا أحد الحلول الثّلاثة التي أقرّها الخليفة عمر وهي اعتناق الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب[1]؛ فرفض الأقباط الحلّين الأوّل والثّاني رغم أنّ المقَوْقَس كان يرى بقبول دفع الجزية[2]، وهكذا أجبروا المسلمين على إعلان الحرب والانتصار عليهم. إلاّ أنّ المُقَوْقس كتب إلى عمرو يطلب منه الأمان لشركائه في الوطـن والدّين. وأفضى ذلك إلى عقد معاهدة تنصّ على أنّ كلّ قبطيّ راشـد مهما كان وضعه الاجتماعيّ، باستثناء الأطفال والنّساء والمسنّين، مطالب بدفع جزية مقدارها ديناران[3]، كما تنصّ المعاهدة على تمكين المسلمين من حقّ الإقامة طيلة ثلاثة أيام. وقد تأرجح المجموع بين اثني عشر مليون وستّة عشر مليون، عن عدد من السّـكّان قدّر بستمائة ألف[4] أو ثمانمائة ألف قبطيّ[5] حسب مختلف الرّوايات التي نقلها ابن عبد الحكم، فضلا عن الأطفال والنّساء والمسنّين بالطّبع المعفيّين من الجزية.

1 - ابـن عبد الحكم، ص 65-70؛ ابن حُبيش، الورقـة 205-206؛ الكلاعيّ، الورقة 6 وجه؛ النويري، XIX، 292-293؛ المقريزي، I، 292.

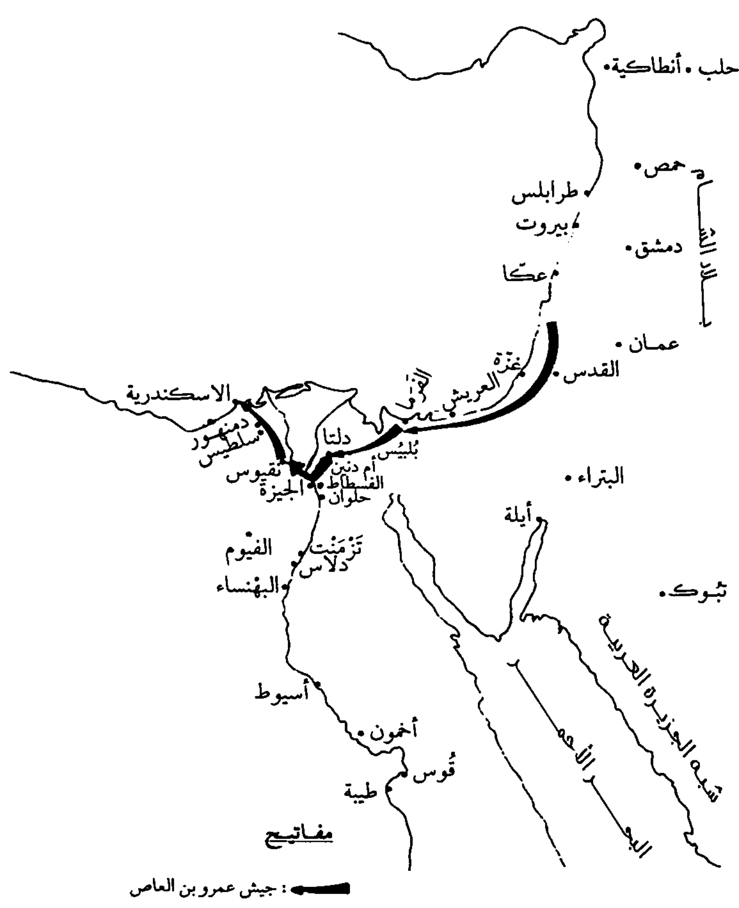
2 - ابن عبد الحكم، ص69.

3 - ن.م، ص70. البلاذري، فتوح، ص 302-304؛ الكلاعي، الورقة 9، النويري ن. م، XIX، 298.

4 - هـو الرّقـم الذي أقرّتـه رواية عثمان بن صالح؛ انظر: ابـن عبد الحكم، ص87؛ ابن حُبيـش، الورقة 210؛ الكلاعيّ، الورقة 9 وجه؛ النويري، نهاية، XIX، ص 299؛ المقريزي، I، 293.

5 - هذا الرّقم اقترحه ابن لهيعة في روايته، انظر: ابن عبد الحكم، ص 87؛ ابن حُبيش، الورقة 210؛ المقريزي، I، 293.

خريطة فتح مصر



مفاتيح

: جيش عمرو بن العاص

• : مدن وقرى مصر وسوريا وفلسطين

المقياس

130 كم 65

مخبر الخرائط بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

وسارع الرّوم بردّ الفعل إثر معاهدة السّلام هذه التي عُقِدت بين المسلمين والأقباط. فالامبراطور هرقل Héraclius (610-641)، لم يَكْتَفِ بتوبيخ المقوقس بشدّة[1] بل قرّر محاربة المسلمين الذين كانوا يتهيّؤون للهجوم على العاصمة الاسكندريّة بقيادة عمرو بن العاص. وهو ما حصل إذ احتلّت المدينة بعد حصار دام أشهرا[2] شارك فيه مقاتلون أصيلو مَهرة وغافق وبَلي أي يمنيّون[3]، بالطّبع إلى جانب جنود من مختلف القبائل الأخرى. وتمّ الفتح في شهر محرّم من عام 20/ ديسمبر 640- جانفي 641، بقيادة الصّحابيّ عُبادة بن السِّمط، بعد أن تحيّر الخليفة عمر من بدء العمليّات العسكريّة فكتب إلى عمرو بن العاص يأمره بتوسيع الحرب ضد الرّوم وإظهار المزيد من الحماس والصّبر على القتال[4].

ونُقِل خبر فتح الاسكندريّة إلى المدينة في نفس الوقت الذي نُقل فيه خُمس الغنائم من قِبل يمنيّ هو معاوية بن حُدَيْج السّكونيّ[5] الذي سيُدعى إلى لعب دوْر هامّ في الأحداث اللاّحقة. ثم كتب عمرو بن العاص رسالة إلى الخليفة لإعلامه بشريط أحداث الغزو بمزيد من التّفاصيل، وبخيْرات الإسكندريّة (أربعة آلاف حمّام، أربعمائة ملهى للملوك، وغير ذلك..)، وبعدد السّكّان (أربعة آلاف يهوديّ يدفعون الجزية ومائتا ألف روميّ منهم ثلاثون ألفا غادروا المدينة على مائة سفينة كبيرة...)[6].

ويبدو أنّ هذه الأرقام مضخّمة جدّا حتّى أنه يصعب تصديقها.

إجمالا، فتح المسلمون مصر سلميّا[7] وخضع سكّانها إلى جزية حدّدت بدينارين على كلّ شخص راشد، باستثناء مدينة الاسكندريّة التي فُتِحت عنْوَة إلى جانب ثلاث

---

1 - ابن عبد الحكم، ص 302 وص 307؛ ابن حُبيش، الورقة 211؛ الكلاعيّ، الورقة 9 قفا؛ المقريزي، I، 293.

2 - اليعقوبي (تاريخ، II، 148) يتكلّم على حصار دام ثلاثة أشهر. انظر أيضا البلاذري، فتوح، ص 309 وما بعدها؛ النويري، ن. م، ص 306؛ ابن عبد الحكم (ن. م، ص 80) يتحدّث من جهته على 14 شهرا، منها خمسة أشهر قبل وفاة هِرَقل وتسعة أشهر بعدها، اعتمادا على رواية يحيى بن أيّوب.

3 - ابن عبد الحكم، ص77؛ ابن حُبيش، الورقة 214؛ الكلاعيّ، الورقة II، وجه.

4 - ابن عبد الحكم، ص79؛ ابن حُبيش، الورقة 216؛ الكلاعيّ، الورقة 14، وجه. النّويريّ، XIX، 305-306.

5 - ابن عبد الحكم، ص81؛ اليعقوبي، تاريخ، II، 154؛ البلاذري، فتوح، ص310؛ ابن حُبيش، الورقة217؛ الورقة 217؛ الكلاعيّ، الورقة 14، وجه.

6 - ابن عبد الحكم، ص82؛ ابن حُبيش، الورقة 218؛ الكلاعي، الورقة 14، وجه.

7 - انظر الأخبار التي جمعها ابن عبد الحكم (ن. م، ص 84-85) عن فتح مصر صلحا وكذلك عن الفتح عُنْوَةً. ن. م، ص 88-90.

قرى أو بلدات أخرى (سُلْتَيْس وبَلْهِيب ومَسيل أو خَيْس)[1] اعتُبر سكّانها مثل سكّان الاسكندريّة فَيْئا وأخْضِعوا بالتّالي إلى دفع الجزية والخَراج لأنّهم عاضدوا الرّوم[2].

وليس في نيّتنا الدّخول في تفاصيل الغزو العسكريّ وتنظيم إقليم مصر الإداريّ، بل يتمثّل هدفنا في إبراز مساهمة اليمنيّين، عشائر وقبائلَ وحتّى أفرادا، في أحداث هذا الغزو، ويمكن عند الاقتضاء أن نعود إثر ذلك إلى انتصابهم في البلاد وتحديدا في الفسطاط والجيزة.

ج-مساهمة اليمنيّين

في مستوى عدد الجنود الذين شاركوا في أحداث فتح مصر، ينبغي قبل كلّ شيء أن نذكر الثّلاثة آلاف وخمسمائة أو الأربعة آلاف رجل سَليلي قبيلة الأزد وبالخصوص عكّ، ثلثهم من غافق. ويجب أن نضيف إلى هذا الجيش الأوّلي التّعزيزات التي أرسلها عُمر من المدينة والمتكوّنة من رجال همْدان ومَهْرَة والصّدف وحضرموت (وبالخصوص من عشيرة أشباء)، وبَلِي (من قُضاعة)، ولخم وراشدة الخ.... وسواء قدّر عدد الجنود بثمانية آلاف رجل أو خمسَة عشر ألف وخمسمائة، فالمهمّ هو أنّ فيهم عددا كبيرا من اليمنيّين المنتسبين إلى النّواة اليمنيّة القديمة (همدان والصّدف وحضرموت وحمير) أو إلى التّخوم (لخم وبَلِي والأزد) على حدّ سواء. ويدلّ هذا الحضور اليمنيّ الذي يمثّل أغلبيّة الجيش في مصر على أهمية مساهمة أهل اليمن في أحداث فتح مصر، كما في فتح الشّام والعراق. وفضلا عن ذلك فإنّ حركة الهجرة ستتوسّع في مصر خاصّة بعد الفتح واستقرار الكثير من الفاتحين في البلاد. وستنطلق الحركة من مصر لتبلغ أيضا شمال افريقيا وحتّى اسبانيا.

ويذكر ابن عبد الحكم، عن رواية لابن لهِيعة[3]، وصولَ عناصر غير عربيّة من الشّام صحبة عمرو بن العاص، من الرّوم (الملقّبين بالحمراء) والفرس (ما تبقى من الأبناء في صنعاء). كل هؤلاء العجم شاركوا في فتح مصر قبل أن يستقرّوا في الجيزة. ويضيف المقريزيّ مدقِّقا[4] أنّ هؤلاء الفرس يمثلون ما تبقّى من جيش آخر

---

1 - ابن عبد الحكم، ص87؛ البلاذري، فتوح، 303 وص 310.

2 - ابن عبد الحكم، ص83.

3 - ن.م، 129.

4 - المقريزي، I، 298. في ما يخصّ الروم أو الحمراء، يتعلّق الأمر حسب المؤلّف بخطط غير عربيّة في الشّام، يعود اعتناقها الإسلام إلى ما قبل معركة اليرموك. وهي تنتمي إلى القبائل الثّلاث: بنو نبه، وبنو رُبيل، وبنو الأزرق، وقد شاركت في المعركة، الأولى بمائة رجل والثّانية بأربعمائة، والثّالثة بألف.

مرزبان فارسيّ في اليمن، وهو باذان، وأنّهم كانوا اعتنقوا الإسلام في الشّام قبل أن يتحوّلوا بمحض إرادتهم إلى مصر ليشاركوا في الجهاد ضدّ الرّوم. فهذه إشارة مفيدة عن دور الأبناء في فتح مصر إلاّ أنّنا نتساءل لماذا لم يذكر الأخباريّون العرب الآخرون هذه المساهمة لفرس صنعاء وخاصّة ما يتعلّق بحضورهم في الشّام. ونحن نرى أنّ الأمر لا يتعلّق إلاّ بحركة هجرة يمنيّة تضمّ الفرس، وقعت غداة المعارك الكبرى في فتح الشّام (اليرموك) والعراق (القادسيّة).

وفي مستوى الأفراد، لاحظنا أيضا مشاركة الكثير من القادة اليمنيّين في مختلف مراحل فتح مصر. ونذكر بالخصوص مثال أبْرَهة بن الصّبّاح من حميْر وقد أرسله عَمرو إلى الفَرمَا[1] قُبَيل التوغّل العربيّ في مصر، وكذلك مثال أبي نعيمة مالك بن ناعمة الصَّدَفيّ[2]، صاحب حصان اشتهر بسرعته القصوى ولُقّب بأشقر الصّدف، برز خاصّة في تَرْنُوت قُبيل حصار الاسكندريّة. ويمكن أن نذكر الأفراد التّالية أسماؤهم: اثنان من زُبَيد هما عبد الله بن الحرث بن جَزء[3] وزياد بن جزء[4] وأزديّ وهو جُنادة بن أبي أُمَيمة[5]، وخوْلاني وهو سيفان بن وهْب[6] وكنديّ وهو معاوية بن حُدَيْج التُّجيبيّ[7]، ومَهْريّ وهو بخر بن حُشْكُل[8]، الخ... ونضيف إلى هؤلاء الأفراد بعض الحضْرَميّين الذين ذكرهم ابن عبد الحَكَم[9] وهم عبد الله بن كُليْب من الأشْباء، ومالك بن عمرو الأجْدَع من الحارث، ومُلامِس بن جَذِيمة بن سَريع، ونَمِر بن زُرْعة بن نمر بن شَجِيع من بني البِسْ، والأغيَن بن نمر بن مالك بن سريع وأبو العالية مولى الحضارمة وربيعة بن حبيش بن عُرْفُطَة من الصّدف[10]، وقد كلِّف بالتّجسّس على الفيّوم قبل أن يقوم المسلمون بغزوها.

---

1 - الطّبري، تاريخ، III، 108؛ ابن حبيش، الورقة 202.

2 - ابن عبد الحكم، ص73؛ ابن حُبيش، الورقة 213؛ النّويريّ، XIX، 302-303.

3 - ابن عبد الحكم، ص299.

4 - الطبري، تاريخ، IV، ص 105؛ ابن حُبيش، الورقة 225.

5 - ابن عبد الحكم، ص 94 وص 306.

6 - ن.م، ص 95 وص 307.

7 - ن.م، ص 81-95، وص 307.

8 - ن.م، ص 94-316. ولا ننس أيضا بعض الصّحابة من الأنصار والمهاجرين والبدريّين الذين شاركوا في فتح مصر، نذكر منهم بعض الأمثلة الدّالة: عبادة بن السّمط، ومحمّد بن مسلمة، وأبو أيّوب، والزّبير بن العوّام، والمقداد بن الأسود وغيرهم، ن.م، ص 93 وص 96.

9 - ن.م، ص 123.

10 - ن.م، ص 169.

ومن ناحية أخرى فإنّ معجم الأعلام لابن مَاكُولا[1] يزخر بأسماء أشخاص تذكر بعد اسمهم وكنيتهم الإشارة الثّمينة «شَهِد فتح مصر». وقمنا بسَبْر تشخيصيّ في هذا المُؤلَّف المتكوّن من عدّة مجلّدات، فاستخرجنا قائمة تضمّ مائة شخص وشخص تُلحق بأسمائهم عبارة «شهد فتح مصر»، أغلبهم من اليمنيّين المتسبين في أغلبهم إلى النّواة اليمنيّة القديمة وبالخصوص إلى قبائل حِمْير وكندة وخَوْلان وحَضْرموت ومَذْحِج.

وهذا جدول مفصّل لذلك السَّبْر:

مجموع الأشخاص الذين شملهم الإحصاء: 101.

حِمْير: 33، منهم 20 من رُعَيْن، و3 من المعافر، و4 بني ذي الْكَلاع

كندة: 16، منهم 15 من تُجِيب

خَوْلان قُضَاعة: 11

حضرموت: 7، منهم 4 من الصّدف

مَذْحِج: 5، منهم 4 من مُراد، و1 من زُبَيد

المجموع: 72 شخصا من النّواة اليمنيّة القديمة

قُضاعة: 2

لَخم: 2

كلب: 1

الأزْد: 9 (حَجَر وغافق)

المجموع: 14 يمنيّا من الشّتات والتّخوم

جُهَيْنة: 1

مُزَيْنة: 1

كِنانة: 1

بنو عَديّ: 2

عبس: 1

صحابة شتّى: 6

روم (الحمراء): 2

ما سوى ذلك: 1

المجموع: 15

---

1 - ابن ماكولا، الإكمال، ن.م.

ويمكننا تقييم المشاركة اليمنيّة في هذا الحدث الحاسم المتعلّق بمجموع حركة التوسّع العربيّ الإسلاميّ عن طريق دراسة الخطط (أو الحارات) القبليّة المنتسبة إلى مختلف العشائر اليمنيّة التي اختارت أن تستقرّ نهائيّا في البلاد، سواء في الفسطاط أو الجيزة[1]، بعد نهاية الفتح.

إلاّ أنّه من الجدير بالملاحظة أنّ هذه الدّراسة للخطط القبليّة لا تهمّ مصر فقط بل كلّ المناطق الأخرى التي فتحها العرب واستقرّوا في مدن- معسكرات كالكوفة والبصرة في العراق، وكذلك الأقطار مثل سوريا- فلسطين التي استقرّ فيها الفاتحون العرب، وسنعود لاحقا إلى هذا التّجذّر للقبائل العربيّة في المناطق المفتوحة وخاصّة «أهل اليمن» الذين يهمّوننا أكثر من غيرهم في هذا العمل.

ولكن في البداية لابدّ من طرح مشكلتين أساسيّتين:

أوّلا، كيف نفسّر مشاركة اليمنيّين المكثّفة في مستوى القبائل والعشائر والأفراد في عمليات فتح العراق وسوريا ومصر؟ ولن نذكر الفتوحات الأخرى في شمال افريقيا واسبانيا لأنّها متأخّرة ولأنها لاتهمّ اليمنيّين سليلي اليمن بل تهمّ أهل اليمن الذين كانوا استقرّوا بعد في البلدان المفتوحة وخاصة منها سوريا ومصر. المشكل الثّاني: كيف نقيّم مضاعفات هذه المشاركة اليمنيّة في الفتوحات ونكتشف تأثيرها الحقيقيّ في اليمن، بصفته ولاية إسلاميّة، وفي مجموع الامبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة في الآن نفسه؟

II-مساهمة اليمنيّين في التّوسّع العربيّ الإسلاميّ

1 - الأسباب والدّوافع

أ-تمهيد عامّ حول الهجرات اليمنيّة

الحقّ أننا لا نستطيع وصف مشاركة اليمنيّين في حركة التّوسّع الإسلاميّ في بداياته دون وضعه في سياقه المزدوج اليمنيّ والعربيّ. في البدء، سياق يمنيّ خالص على أساس ما ذكرته المصادر العربيّة بخصوص القبائل اليمنيّة، ومختلف الهجْرات إلى البلدان المجاورة منذ الجاهليّة[2]. وحركة الهجرة هذه، ستستأنف بقوّة خاصّة بعد

---

1 - انظر: ابن عبد الحكم، **الخطط**، ن.م، ص 98-128.

2 - انظر الفصل السابق «اليمن قبل الأسلام» ونذكر خاصّة قبائل خزاعة التي نزحت إلى مكّة، أو الأوس والخزرج اللتين استقرّتا في يثرب، كذلك الغساسنة واللّخميين وهما قبيلتان يمنيّتان فضّلتا الإقامة على تخوم

الانتصارت الإسلاميّة التي حقّقت في الشّام (اليرموك) والعراق (القادسيّة). وهكذا غادرت دفعات عديدة من المهاجرين مساكنها في الجزيرة العربيّة، وتحديدا في اليمن، وجاءت لتستقرّ في الكوفة والبصرة. ولا تقدّم المصادر العربيّة تدقيقات حول التّركيبة القبليّة والعشائريّة لهؤلاء المهاجرين بل تكتفي بتصنيفها حسب ترتيب وصولها متحدّثة عن «الرّوادف»، كالرّادفة الأولى والرّادفة الثّانية، الخ...[1] والملاحظ أنّ هذه الرّوادف كانت تتحصّل على «عَطَاءات» يختلف مقدارها باختلاف تاريخ وصولها: ألف وخمسمائة درهم سنويّا للشّخص الواحد بالنّسبة إلى المجموعة الأولى، خمسمائة درهم بالنّسبة إلى الثّانية، ثلاثمائة للثّالثة، ومائتان للرّابعة. وامتدّ وصول هؤلاء المهاجرين بين عام 17/ 638 (نهاية فتح العراق)، وعام 35/ 656 (تاريخ اندلاع الفتنة الأولى)[2]. وكانت هذه الهجرة الجديدة لرجال القبائل في العراق أساس التّنظيم الجديد للخطط القبليّة في الكوفة والتّحوّل من الأرباع إلى الأسباع، وهو ما سنعود إليه لاحقا. وليس من نافل القول أن نضيف بأنّ هذه «الرّوادف» شاركت في الحملات العسكريّة التي انطلقت من العراق (الكوفة والبصرة) وأرسلت لإخضاع الهِضاب الإيرانيّة[3]. ومهما كان الأمر، فإنّ اليمن كان معنيّا بهذه الهجرات المختلفة، تماما مثل غيره من جهات شبه الجزيرة العربيّة كالبحرين والحجاز وغيرهما.

أما بخصوص السّياق العربيّ، أو بالأحرى العربيّ الإسلاميّ، فمن البديهيّ أنّ اليمنيّين تفاعلوا مع تكوين دولة إسلاميّة في المدينة، ومع أسلمة جلّ قبائل الجزيرة العربيّة تدريجيّا. لذلك استجابوا مبكراً لدعوة الجهاد التي وجّهها إليهم الخليفة أبو بكر، حتى لا يبقوا مهمّشين في بلادهم، فأرسلوا فَيَالِق متتالية إلى المدينة حيث كانت أغلبيّة القبائل والتّحالفات القبليّة ممثّلة.

الشّام بالنّسبة إلى الأولى، وفي بلاد ما بين النّهرين بالنّسبة إلى الّثانية، وقد نتج عن حركة الهجرة هذه تأسيس ممالك حقيقيّة أو إمارات مثل مملكة أكسوم في أثيوبيا، أو دول ثغور مثل دولة الغساسنة في الشّام ودولة اللخميّين في العراق. ومن ناحية أخرى، فإنّ لهذه الهجرة الجماعيّة عوامل مختلفة: مناخيّة (الجفاف وجذب أديم الأرض)، وبيئيّة (انهيار سدّ مأرب ومضاعفاته في مستوى الزّراعة)، وحتّى اجتماعيّة واقتصاديّة (النّزاعات والتّنافس بين القبائل للسّيطرة على الأراضي الزّراعيّة والمياه، الخ..). باختصار، يتعلّق الأمر عموما بهجرات ذات اتّجاه شمال – جنوب، وذات علاقة مباشرة بالتّحوّلات التي مسّت ظروف حياة اليمنيّين، كالتّحوّل إلى الحياة البدويّة، وأفول التّجارة الدّوليّة والمبادلات، أو تدهور الحياة الزّراعيّة. انظر: F. M. G. Donner , *Islamic Conquests*, p.3-9 et sqq

1 - ن.م، ص 231.

2 - ن.م.

3 - ن.م، ص233.

ب-دوافع التوسّع

إنّ وصول فيالق قبليّة من اليمن إلى المدينة وتوجيهها إلى جبهتي الشّام والعراق يستجيب دون شكّ إلى جملة من الاعتبارات التي لا يمكن حصرها في الجانبين الايديولوجيّ والدّيني للجهاد. فالدّعوة التي وجّهها أبو بكر إلى قبائل اليمن والقبائل العربيّة الأخرى مثل مضر وربيعة، كان دافعها الأوّل التّمسّك بالعقيدة الإسلاميّة وإرادة الجهاد في أرض معادية لنشر الإسلام والتّعاليم القرآنيّة لا محالة، ولكن لا يمكن التّهاون بالدّوافع الأخرى، الاقتصاديّة منها والسّياسية التي تقترحها علينا قراءة متأنّية للمصادر، وخاصّة أثناء الحديث عن معارك الفتح الكبرى (أجْنادين واليرموك والقادسيّة وجلولاء والاسكندريّة وغيرها...)، وبذلك فإنّ القبائل اليمنيّة التي التحقت بالجبهة الشّاميّة مثل مُراد وهَمْدان وكندة وحمير، قدّمتها كتابات الأخباريّين العرب على أنّها قبائل بدويّة، تعوّدت بالحياة الرعويّة، أيْ قبائل كان من صالحها مغادرة مساكنها في اليمن بحثا عن ظروف معيشيّة أفضل وخاصّة في أقطار الهلال الخصيب[1].

ومن ناحية أخرى، فإنّ خيرات الشّام[2] (المياه والأنهار والزّراعات والكروم والأثواب والملابس الفاخرة والذّهب والفضّة، الخ...)، والعراق (في غارات «النّهب» قبل معركة القادسيّة)[3]، ومصر البيزنطيّة[4]، ذكرت في الرّوايات رغم أنّها أنشئت لاحقا، لإبراز أهمّية مثل هذه العوامل عند المقاتِلين العرب. معنى ذلك أنّ هذا الذّكر ليس صدفة ولا من ثمرات خيال المؤلّفين القصصيّ، بل يترجم في رأينا عن رغبات واضحة كان «المقاتلة» ينشئونها في داخلهم قبل كلّ مجابهة حاسمة ضدّ أعدائهم الرّوم والفرس، ليتمكّنوا من الانتصار عليهم في ساحات الوغى والاستيلاء على خيرات بلدانهم.

ومن المفيد التّنبيه إلى ما جاء في الرّسالة التي وجّهها أبو بكر إلى اليمنيّين عن طريق أنس بن مالك[5]، والتي يبلور فيها معنيين أساسيّيْن: «الشّهادة» و«الفتح والغنيمة»، وهذا نداء مُلحّ موجّه إلى أهل القبائل اليمنيّة وغيرها حتّى ينخرطوا تحت راية الدّولة

---

1 - انظر: الأزدي، فتوح الشّام، ص 10-11، وص 39-40.

2 - ن. م، ص69، وص253-257؛ الطبري، تاريخ، III، 394 وما بعدها؛ ابن حُبيش، الورقة 132-133، و135.

3 - الأزديّ، ص69؛ الطبري، تاريخ، III، 472 وما بعدها، 502 وما بعدها.

4 - ابن عبد الحكَم، ص82.

5 - الأزديّ، ص9.

المدينيّة وخليفتها، ويشاركوا في عمليّات الغزو على أمل تحقيق أحد الهدفين الرئيسيْن للجهاد: الموت في ساحة الوغى وما ينجرّ عنه من دخول الجنّة أو النّصر على الأعداء والحصول على غنائم هامّة، معنى ذلك أنّ هذه الرّسالة التي قرأها على عامّة النّاس مبعوث الخليفة إلى جميع قبائل اليمن وفي كامل نواحي البلاد، كانت تمثّل حافزا هائلا لإغراء البَدْو واستغلال غرائزهم الحربيّة لفائدة الدّعوة الإسلاميّة، خاصّة أنّ وضعهم الاقتصاديّ لم يكن على أحسن ما يُرام.

ومن جهة أخرى، يظهر من قراءة الفقرات المخصّصة في المصادر العربيّة للمفاوضات التي سبقت معارك الفتح الكبرى بصفة عامّة، سواء كان ذلك قبل معركة اليرموك بين خالد بن الوليد والقادة البيزنطيّين[1] أو قبل معركة القادسيّة بين سعد بن أبي وقّاص والقوّاد الفرس[2]، أو قبل حصار الاسكندريّة بين عمرو بن العاص وكبير القساوسة المقَوْقس[3]، أنّ المسلمين كانوا دائما يُقدّمون على أنّهم بَدوٌ قادمون من جهات فقيرة وخالية من الخيرات، يريدون الاستيلاء على ملك الغير لحلّ مشاكلهم المتعلّقة بالبقاء على قيْد الحياة في الجزيرة العربيّة، وهذا الاستنتاج ممكن حتى ولو كانت تلك الفقرات أنشئت بصفة متأخّرة بالنّسبة إلى الأحداث التي تصفها، وفي سياق سياسيّ واجتماعيّ مختلف. وهذه الرّؤية بالطّبع وُصفت بأنّها رؤية خصومهم الرّوم والفرس. ولكن لابدّ أن نلاحظ أنّها لا تخلو من فائدة، إذ تقابل بين بَدْو أجلاف، متسلّحين بأدوات قتال بدائيّة ولكن لهم عقيدة ثابتة، وبين محاربين من الرّوم والفرس، يحملون أسلحة ثقيلة، بأعداد هائلة، ولكن تنقصهم الدّوافع اللاّزمة للدّفاع عن أراضي امبراطوريّة كلّ منهم والسّهر على حماية الممتلكات والخيرات التي توجد بها[4].

وإلى جانب هذه الاعتبارات الدّينيّة والاقتصاديّة[5] التي لم تكن تمثّل ولو مجتمعة، مجموع الأسباب والدّوافع التي دفعت العرب إلى الغزو، فالعنصر السياسيّ ليس غائبا

---

1 - الأزديّ، ص203 وما بعدها.

2 - الطبري، تاريخ، III، 498-501، و518-529.

3 - ابن عبد الحكم، ص205 و206.

4 - الأزديّ، ص203 ومابعدها.

5 - انظر لمزيد التّفاصيل بخصوص التّوسّع:

F. M. G. Donner, *Early Islamic*, *p*.267–271; F. Gabrielli, *Mahomet et les grandes conquêtes arabes*, Paris, 1967, pp. 107 et112 ; H. Bousquet, *Observations sur la nature et les causes de la conquête arabes*, in *Studia Islamica*, 1956, pp.37–52; C. Cahen, *L'Islam des origines au début de l'empire Ottoman*, Paris, 1970, pp.22–23; M.A.Shaban, *Islamic History*, I, 24–25.

تماما. فاليمن، مثله مثل بقية نواحي شبه الجزيرة العربيّة (اليمامة ونجد والبحرين وعُمان، وغيرها...) حديث عهد بفترة الرّدّة. لذلك استهوت السّلطةَ المدينيّةَ فكرةُ اغتنام فرصة سحق المتمرّدين، لتحويل طاقاتهم وتوهّجهم الحربيّ، وشراسة القوى القبليّة العسكريّة، خاصّة في اليمن، نحو ساحات القتال في الشّام والعراق. فقد كان ذلك نوعا من المحوّل لغرائز البدو الحربيّة وهو محوّل ذو جدوى مضاعفة بالنّسبة إلى الدّولة المدينيّة: استِتْباب النّظام والسّلم في شبه الجزيرة العربيّة التي زعزعتها منذ فترة قصيرة سلسلة من المعارك القاتلة والقاسية بين «مرتدّين» ومسلمين، ثم توحيد مختلف القبائل بواسطة حشدهم تحت راية واحدة، راية الخليفة، ليجابهوا معا خصوما مشتركين أشدّ خطرا (الرّوم والفرس) لصالح الدّعوة الإسلاميّة، ويضمنوا في الوقت نفسه لمختلف رؤساء القبائل، عددا من الوظائف العسكريّة وحتّى السّياسيّة في الأقطار المفتوحة، بالطّبع في صورة الانتصار.

كلّ هذه الاعتبارات الايديولوجيّة والدّينيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة لا شكّ أنّها أثّرت متظافرة في القبائل العربيّة التي قبلت المشاركة في «الفتوح». ولكن من المشروع أن نعتقد بأنّ اليمنيّين كانوا معنيّين أكثر من غيرهم بهذا التوسّع إذ غادروا بلادهم صحبة أطفالهم ونسائهم وعبيدهم و«مواليهم»[1]. لماذا فعلوا ذلك إن لم يكن بسبب وعيهم بأنّ بلادهم التي كانت قديما مزدهرة ومتمدّنة بفضل أنشطتها التّجاريّة المكثّفة وخيراتها الزّراعيّة الشّهيرة، دخلت منذ مدّة طويلة (القرن الأوّل الميلاديّ تقريبا)، في مرحلة انحطاط تدريجيّ ومتواصل سيكرّسه الإسلام بل سيزيده حدّة، في حين ارتقى الحجاز إلى المرتبة الأولى في الجزيرة العربيّة، على الأقلّ من النّاحية السّياسيّة. عموما، إنّ رحيل عديد الآلاف من اليمنيّين من بلاد اليمن قصْد المشاركة في عمليات الغزو، في الشّام والعراق معا، اتّخذ شكل حركة هجرة حقيقيّة ستتواصل وتتوسّع في خلافة كلّ من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان. وصارت هذه الهجرة في اتّجاه واحد نهائيّة باستقرار الغزاة اليمنيّين في المدن المعسكرات التي أسّسها العرب في الأراضي المفتوحة (الكوفة سنة 637/16، والبصرة سنة 638/17، والفسطاط سنة 643/21 هـ) وفي أجناد الشّام (سوريا وفلسطين) وبعد ذلك في شمال افريقيا واسبانيا. ومن هنا جاءت فائدة معرفة نتائج هذه الهجرة اليمنيّة بدقّة إلى المناطق التي فتحتها الجيوش الإسلاميّة.

---

1 - الأزديّ، ن.م، ص 10-25.

2 - نتائج مشاركة اليمنيّين في التوسّع

ينبغي لضبط ما انجرّ عن مشاركة اليمنيّين في حركة التوسّع العربيّ الإسلاميّ، أن نتموقع في مستويَين مختلفين. الأوّل هو مستوى «التّمصير» واستقرار القبائل اليمنيّة الفاتحة في الأمصار التي أسِّست في الأقطار المفتوحة، أي في المدينتين المعسكرين الكوفة والبصرة في العراق، والفسطاط في مصر. وكذلك تثبيت القبائل اليمنيّة في أجناد سوريا وفلسطين.

أمّا المستوى الثّاني فإنّه يتعلّق بتنظيم الفتح نفسه وبالجهود التي بذلها الخليفة عُمر لتأسيس إدارة البلدان المفتوحة: المنظومة الجبائيّة، والدّيوان، ومنظومة العطاء، ومعايير إسناد الأرزاق (pensions) إلى العرب. ونحن سنذكر خاصّة معيار الأقدميّة في اعتناق الإسلام الذي تبنّاه عمر لتوزيع العطاء وكيف سيكون هذا المعيار في الوقت نفسه لصالح المهاجرين (أو القرشيّين) على حساب الحُلفاء أو الأنصار وبقيّة القبائل، ومنها القبائل اليمنيّة.

أ-تمصير اليمنيّين وتثبيتهم في الأمصار

لن نعود من جديد إلى هذه القضيّة التي طالما ناقشها المؤرّخون وأثيرت كثيرا عند الحديث عن البصرة والكوفة النّموذجتين، في أعمال صالح أحمد العَليّ[1] وهشام جعيّط[2]، ولكننا نعتزم أن نرى كيف صاحبت مشاركة اليمنيّين في حركة التوسّع الإسلاميّ في بداياته، والاستقرار النّهائيّ في الأقطار الجديدة المفتوحة سواء تعلّق الأمر بالكوفة والبصرة في العراق أو بالفسطاط في مصر أو بمستوطنات الشّام، وكلّ هذا على الأقلّ بالنّسبة إلى اليمنيّين الذين بقوا على قيد الحياة بعد انتهاء المعارك الكبرى في فتح العراق والشّام ومصر. ومن البديهيّ أنّ هذا التّثبيت لليمنيّين، مقاتلين ونساءً وأطفالا ومَوَاليَ وعبيدا، يحرم البلد الأصلي، اليمن، من عناصره الأكثر حيويّة، من الوجهاء القبليّين والقوّاد العسكريّين وكذلك من قواه الحيّة في المستوى الدّيمغرافيّ. أمّا بالنّسبة إلى بلدان الوصول، العراق والشّام ومصر، فإنّ هذا التّثبيت سيُفضي إلى «يَمْأَنَة» متفاوتة العمق، عن طريق نشر العادات والتّقاليد اليمنيّة (البداوة أو التمدّن حسب الأوضاع) خاصّة في الأمصار كالكوفة[3] وغيرها، وكذلك عن

1 - ص. أ. العليّ، التّنظيمات الاقتصاديّة والاجتماعيّة في البصرة في القرن الأوّل للهجرة، بغداد، ص 1953.

2 - هـ جعيّط، الكوفة، نشأة مدينة إسلاميّة (بالفرنسيّة)، باريس، 1986.

3 - ن.م.

طريق مشاركة بعض القادة اليمنيّين في الحياة السّياسيّة الإقليميّة وحتّى على مستوى الامبراطوريّة خلال القرن الأوّل الهجريّ[1].

بادئ ذي بدء، ينبغي إبراز الدّور الأكبر الذي لعبه القادة اليمنيّون في الأقطار المفتوحة وخاصّة في حركة «التّمصير» وضبط الخطط.

وتشير المصادر العربيّة خاصّة إلى أنّ خِطط حمص وبعلبك قد ضُبِطت تحت إشراف قادة بارزين مثل الكنديّ السِّمط بن الأسود[2]. كذلك خطط الفسطاط في مصر، قام بتوزيعها أربعة قادة من أصل يمنيّ هم: معاوية بن حُدَيْج السّكونيّ (من كندة)، وشريك بن سُمَيّ الغُطَيْفيّ (من مراد)، وعمرو بن قَحْزَم (من خَوْلان)، وحَيْوِل بن ناشرة المَعَافريّ (من حمير)[3].

ومن ناحية أخرى فإنّ عبارة «أهل اليمن» المستعملة كثيرا في المصادر العربيّة وخاصّة منها ما يسمّى بـ«كتب الفتوح» تدلّ على مفهوم عام جدّا توسّع ليشمل في الوقت نفسه اليمنيّين الأصيليّين مثل مذْحِج وحمير وهمْدان، واليمنيّين المهاجرين مثل قُضَاعة[4]. وتتمثّل ميزة هذا المفهوم في أنّه يتجاوز الانتماء القبليّ الصّرف ليشمل رابطا أعمّ مبنيّا على أساس ترابيّ وجغرافيّ ألا هو اليمن بصفته بلدا، وعلى نَسَب مشترك يُحيل إلى جدّ أعلى يشمل إسمه جميع القبائل وهو قحطان[5].

إلاّ أنّ هذا الرّابط أقوى من الواقع القبليّ إذ يهمّ وضعا اجتماعيّا كان سائدا في اليمن قبل الإسلام. وبالتّالي فهو مفهوم قديم نجد آثاره حتّى في الشّعر الجاهليّ. ولا يتعارض استعمال هذا المفهوم القديم البتّة مع اندماج اليمنيّين في نطاق «الأمّة الإسلاميّة». وينبغي ألاّ يوقعنا هذا في الخطإ بخصوص «توزيع الخطط القبليّة الجامعة في الأمصار والأجناد في عهد عُمر لأنّه نُحِتت مفاهيم أخرى، اقتضاها الوضع الجديد الذي ضبط تراتبيّة لم تؤسّس باعتماد معايير جغرافيّة أو أنسابيّة بل كانت قائمة على الشّرف الإسلاميّ أي الأسبقيّة إلى الإسلام والجهاد[6]. وهكذا ظهرت مفاهيم «أهل

---

1 - انظر الفصل المخصّص لتطوّر اليمن السّياسيّ في القرن الأوّل.

2 - البلاذري، فتوح، ص 179. الحديثيّ، أهل اليمن، ص 147.

3 - المقريزي، 296.

4 - الحديثيّ، ص 149؛ م. جعيّط، اليمنيّون في الكوفة في القرن الأوّل الهجريّ (بالفرنسيّة)، In *J.E.S.H.O.*, vol. XIX, II, 157.

5 - الحديثيّ، ص 149.

6 - هـ جعيّط، المقال المذكور، ص 152.

بدر» (أي المشاركون من بين الأنصار والمهاجرين خاصّة في معركة بدر)، و«أهل الفتح» (أي المقاتلون المسلمون الذين شاركوا في فتح مكّة)، وبعد ذلك «أهل الأيّام» (أي العرب الذين شاركوا في الجبهة العراقيّة في المعارك السّابقة لمعركة القادسيّة)، أو «أهل القادسيّة»[1] (أي الأنصار والمهاجرون والمسلمون المخلصون للإسلام وكذلك المرتدّون السّابقون الذين دعاهم عمر)، وحتّى «أهل الشّام» (وهو مفهوم نحته في الشّام معاوية وأنصاره قصد توحيد جميع الحلفاء من مختلف القبائل العربيّة التّابعة للشّقّ الأمويّ، توحيدا سياسيّا). فهذا المعيار الإسلاميّ الجديد (الأسبقيّة) لم يكن من أسس التّنظيم الاجتماعيّ بل كان عنصر تمييز بين الأفراد.

ونتج عن هذه التراتبيّة بالنّسبة إلى اليمنيّين كونهم، رغم حضورهم العددي القويّ في الفتوحات، فإنّهم سيجدون أنفسهم سواء في مستوى التراتبيّة الماليّة (الديوان)، أو الإداريّة والعسكريّة (قيادة الجيوش)، أو في مستوى توزيع الخطط الجغرافيّ في الأمصار، أقلّ حُظوة ليس من الأنصار والمهاجرين فحسب، بل من القبائل والعشائر العربيّة أيضا التي شاركت في فتح مكّة وحافظت على إخلاصها للإسلام أثناء الأحداث المسمّاة بالرّدّة.

ولكن الأجدر من كلّ ذلك بالفهم والتّفسير هو طريقة إسكان اليمنيّين في مستوى العشائر والقبائل، وحتّى العائلات المنتمية إلى نفس النّسب، والأفراد، في المناطق المفتوحة. ولذلك سنتحدّث عن وضع الأمصار (الكوفة والبصرة في العراق، والفسطاط في مصر) ثمّ عن الأجناد في سوريا وفلسطين.

ب-وضع الكوفة[2]

تعتبر الكوفة أكبر مركز نزوح عربيّ في أرض عربيّة[3]، أسّسها بأمر من الخليفة عمر بن الخطّاب سعد بن أبي وقّاص بعد معركة القادسيّة وذلك على بُعد بضعة أميال من الشّمال الشّرقيّ للحيرة، على ضفّة الفرات الشّرقيّة سنة 17/ 638 غداة احتلال المدائن سنة 16/ 637، وكان الهدف من تأسيسها الإبقاء على المقاتلة مجمّعين، تفصلهم

1- A. Shaban, *Islamic History*, I, 45.

2 - انظر بخصوص الكوفة: هـ جعيّط، الكوفة...، ن.م، اليمنيّون في الكوفة، ن.م. س. العلويّ، تاريخ حضرموت، 168-170؛ *E. I., V,* 342-352.

3 - هـ جعيّط، اليمنيّون...، ص 149.

عن السّكّان الأصليّين مسافة ما. ويدلّ هذا التأسيس على إرادة بيّنة في تجذير العرب وتهجيرهم، وخاصّة منهم اليمنيّين القادمين من بعيد.

ونجد في الكوفة قبائل يمنيّة أصيلة كمَذْحِج وهَمْدان وحِمْيَر وحضرموت (أصيلي اليمن)، وقبائل استقرت شمال الجزيرة العربيّة وخاصّة في الحجاز كبجيلة وكندة وطيّ وأزد السّراة[1].

وكان تصوّر تخطيط الكوفة، حسب المستشرق هايندس (M. Hinds)[2] يهدف إلى إيواء المهاجرين من بعيد، مهاجري الحجاز وبالخصوص من اليمن. وقد التحق اليمنيّون بالجبهة العراقيّة بصفة متأخّرة، وخاصّة في المرحلة الثّالثة من فتح بلاد ما بين النّهرين أي معركة البُوَيْب[3] التي شاركت فيها قبيلة بجيلة مع رئيسها جرير، وكذلك أزديّون من بارق، وبكريّون من قبيلة المثنّى، وخاصّة في المرحلة الرّابعة التي تمّ فيها تجميع الجنود تحت قيادة سعد استعدادا للمجابهة في القادسيّة[4]، مع تعبئة واسعة ضمّت أهل الرّدّة كالأشعث بن قيْس الكنديّ وعمرو بن مَعْدي كرِب الزُّبَيْديّ وقيس بن المَكْشوح المُراديّ.

ومن جهة أخرى، تحوّلت مَذْحِج بمختلف عشائرها (مراد والنَخَع ومُنبِّه وصُداء وجَزء ومُسلية وجُعْفِيّ)، كما تحولت بَجيلة، صحبةَ نسائها وأطفالها، ثمّ حِمْير بقيادة ذي الكَلاع إلى الجبهة الشّاميّة، وهو ما يدلّ على إرادتهم الرّاسخة للنّزوح والاستقرار نهائيّا في البلدان المفتوحة[5]. وتمّ استقرار العرب في الكوفة حسَب منظومة الخِطط أو مَقَاسم جماعيّة، وهو ما يعني أنّ تجميع الرّجال سواء في التّنظيم العسكريّ أو في تنظيم الفضاء، يخضع إلى المعيار القبليّ وليس إلى الشّرف الإسلاميّ المذكور أعلاه بصفته مقياسا جديدا اعتُمِد بصفة أساسيّة[6].

---

1 - الطبري، تاريخ، V، 34. هـ جعيّط، اليمنيّون...، ص 149 ؛ E. I., V, 347.

2 - M. Hinds, Kufan Political alignement and their background in the mid-seventh century, A. D., in *International Journal of Middle East Studies*, 2, (1971), p. 350.

3 - هـ جعيّط، اليمنيّون...، ص 150.

4 - انظر الفقرة المخصّصة لفتح العراق في هذا الفصل.

5 - هـ جعيّط، اليمنيّون، ص 152.

6 - ن.م، ص 152.

وخلافا لرواية الشّعبيّ التي نقلها عنه البلاذريّ[1] والتي تنصّ على استقطاب أوّلي بين اليمنيّين القاطنين شرقَ الكوفة وعددهم 1200 رجل، والنّزاريّين غربَها وعددهم 8000 رجل، يبدو حسَب الطّبريّ[2] أنّ خِطط اليمنيّين القبليّة كانت ملاصقة لخطط النّزاريّين (مُضر وربيعة)؛ وزيادة على ذلك، فإنّ هذا الاستقطاب سيبقى إلى عهد زياد بن أبيه (50/ 670) على الأقلّ بالنّسبة إلى سُكنى القبائل اليمنيّة. ويرى الطّبريّ أيضا[3] أنّ القبائل كانت مجمعة حسب وحدات تسمّى الأسباع، ويذكر البلاذريّ[4] - وهو ما أكّده جزئيّا ابن شبّة[5] -أنّ أربعة من الأسباع السّبعة أو أطر التّعبئة كانت متكوّنة من يمنيّين هذه قائمتهم:

1-همدان وحمير

2-مذحج وأشعريّون وطيّ

3-كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة

4-الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار

أما الأسباع الثّلاثة المتبقّية فقد كانت متكوّنة من نزاريّين[6]:

1-قيس عيلان وعبد القيس

2-بكر بن وائل وتغلب وربيعة (باستثناء عبد القيس).

3-قريش وكنانة وأسعد وتميم وضبّة والرباب ومُزَيْنة

ومن المهمّ الآن أن نرى كيف تمّ توزيع القبائل اليمنيّة في الكوفة في القرن الأوّل. يميّز هشام جعيّط[7] في هذا الموضوع بين ما يسمّيه عشائر النّواة اليمنيّة الصّافية الأصيلة (همدان ومذحج)، وعشائر التّخوم (كندة وأزْد السّراة وطيّ وبجيلة) مستثنيا قُضاعة التي اعتبرت يمنيّة.

---

1 - البلاذري، فتوح، ص 275.

2 - الطبري، تاريخ، IV، ص 45.

3 - ن.م، ص 48.

4 - البلاذري، أنساب الأشراف، ذكره هـ جعيّط في مقال اليمنيّون، ن.م، ص 154.

5 - الطبري، تاريخ، IV، 500.

6 - L. Massignon, Explication du plan de Koufa, in *Opera Minora*, III, 39

7 - هـ جعيّط، اليمنيّون...، ص 156 وما بعدها.

أمّا نزار الحَدِيثيّ[1]، فإنّه يذكر في نطاق دراسته المخصّصة لاستقرار أهل اليمن في البلدان المفتوحة (مصر وسوريا والعراق)، تثبيت القبائل والعشائر اليمنيّة في الكوفة مقدّما مزيدا من التّفاصيل حول تركيبة كلّ مجموعة منها.

همْدان

ينبغي أن نخصّ قبيلة همدان اليمنيّة بمكانة خاصّة لأنّها في الكثير من الأحيان متحالفة مع حِمْير فتكون «القبيلة الأكبر عددا في اليمن[2] وربّما في الكوفة عامّة». ولنذكّر أنّ هذه القبيلة شاركت في خلافة عُمر مع العديد من عشائرها في عمليّات فتح العراق[3] ولكن بصفة متأخّرة جدّا. ويرى المؤرّخ المسعوديّ[4]، أنّ هذه القبيلة تناثرت في الكوفة مستقرّة خاصّة بين خطط بجيلة وساحة الميدان شمالا، في حين استقرّ السّعديّون (وهم إحدى عشائر حاشد) بين كندة غربا وبكر شرقا[5].

ونذكر من بين العشائر الهمْدانيّة الحاضرة في الكوفة البطنين الكبيرين بَكيل وحاشد، وكانت بَكيل[6] تضمّ أرْحَب وفَائش وثور ومُرْهِبَة والتّبعيّين وشاكر، في حين كانت حاشد ممثّلة في خارِف والسَّبيع وشِبام وساعد وناعِط ووديعة، ويام، ونِهم ودُومان وقَدِم والحَجُور ودالان ويَرْسِم[7].

وكانت همْدان موجودة مع حِمْير في نفس السُّبع وتضمّ –حسب جعيّط– في نفس الوقت عناصر وقع تمصيرها، على الأرجح قبل الإسلام في نطاق انهيار المملكة اليمنيّة، مثل خارف والسعديّين والسَّبيع، وعناصر بقيت ضمن البدو الرّحّل مثل غُدَر، ويَام، والضهم، وشاكر وأرْحب[8]. ونذكر من بين العشائر الحميريّة التي انضمّت إلى همدان آلَ ذي حدّان، وآل ذي الرّضوان وآل ذي لعْوة وآل ذي مَرّان[9].

---

1 – ن. الحديثيّ، **أهل اليمن**، ص 191 وما بعدها.

2 – هـ. جعيّط، **اليمنيّون**، ن. م، ص 156.

3 – انظر الفقرة المخصّصة لفتح العراق في هذا الفصل. انظر أيضا: الحديثيّ، **أهل اليمن**، ص 198.

4 – اليعقوبي، **كتاب البلدان**، B. G. A.، بريل، ص 311.

5 – الحديثيّ، ن. م، ص 198.

6 – انظر بخصوص قبيلة همْدان: الهمْدانيّ، **الإكليل**، X، 173-177؛ 195-235؛ والصّفحات 37، 131، 212-220-243؛ الحديثيّ، ن. م، ص 198-199، هـ. جعيّط، **اليمنيّون**...، ص 158-159.

7 – الهمْدانيّ، **الإكليل**، X، 15، 37، 77، 78، 79، 92، 97، 103، 131، الخ...الحديثيّ، ص.199-200؛ انظر بخصوص عشيرة خارف ابن ماكولا، **الإكمال**، III، 235.

8 – هـ. جعيّط، **اليمنيّون**، ص158.

9 – ن. م.

مَذْحِج

تحتلّ قبيلة مَذْحِج التي شاركت مبكّرا جدّا في عمليّات الفتح العسكريّة في الشّام والعراق بقيادة واحد من أكثر قادتها هَيْبة ونفوذا، عمرو بن معدي كَرِب، الرّتبة الثّانية من حيث العدد بالنّسبة إلى القبائل اليمنيّة بالكوفة[1]. هذه القبيلة المتشبّعة بالقيم البدويّة، «بحكم موقعها في الحافّة الشّماليّة للجزيرة العربيّة في أعماقها»[2] حاضرة في الكوفة من خلال فروعها الرّئيسيّة التّالية:

-مراد وعشائرها (قرن وجَمَل وربض وسلمان وغُطَيْف وزَخِر وحَدَاء)[3]

-سعْد العشيرة وعشائرها (أَوْد وزبَيْد والزَّعافر وأيذ الله وجُعْفِيّ وزَخَر وحَريم ومُسْلية ومُنبّه)[4].

-جَلْد وعشيرتها الرّئيسيّة النَخَع[5]. وينبغي التّذكير بأنّ أهل هذه العشيرة قسمهم الخليفة عمر إلى مجموعتين، وجّه الأولى إلى الشّام والثّانية إلى العراق. وعُرِفت هذه القبيلة – إلى جانب بجيلة – بكثرة عدد نسائها اللاّئي التحقن بالجبهة العراقيّة، ومن هنا جاءت تسميتهم بـ«أصهار المهاجرين» إذ زوّجوا نساءَهم رجالا من قريش. ونذكر من بين العشائر التي اسْتَوْطَنت في الكوفة بني سعد بن مالك وبني عوْف بن مالك.أمّا قبيلة أشعر التي ينتسب إليها أبو موسى الشّهير، فإنّها انصهرت إداريّا في قبيلة مذْحِج وانضمّت مع طيّ إلى نفس السُّبع[6]. وكانت جَماهِير أهمّ عشائرها.

ويجعل هشام جعيّط بني بلحارث من نجران ضمن النّواة اليمنيّة الحضريّة، وكانت عقدت مع الرّسول معاهدة سلام، إلاّ أنّ الخليفة عمر رحّلها من الجزيرة العربيّة فاستقرّت إمّا بالكوفة أو بالنّجرانيّة في العراق وحتّى في الشّام[7].

---

1 - ن.م، ص 159.

2 - ن.م.

3 - انظر بخصوص مراد: ابن حزم، جمهرة...، ن.م، ص 158.

4 - ن.م، ص 386 وما بعدها.

5 - انظر الفقرة المخصّصة لفتح العراق في هذا الفصل. أنظر أيضا: هـ جعيّط، اليمنيون، ص159؛ الحديثي، ص201.

6 - هـ جعيّط، ن.م، ص 160.

7 - ن.م.

وإلى جانب هذه العشائر المنتمية إلى النّواة اليمنيّة القديمة المتجذّرة في الكوفة منذ تأسيسها والتي كان عددها في ازدياد تبعا لتطوّر المدينة، نجد عناصر سليلة التّخوم خاصة من قبائل كندة وأزد وطيّ وبجيلة.

كندة

كانت العشائر الممثّلة لكندة في الكوفة هي عشائر بني معاوية ورئيسها الأشعث بن قيس، والأرقم، وشَجَرة، وبني الرّائش، والبَدّاء، وبني جَبَلَة وطَمَاً، وبني هند، والسّكون[1]. ويتكوّن منها ومن حضرموت ومَهْرة وقُضاعة أحد أسْباع المدينة.

الأزد

لا يتعلّق الأمر بأزْد عُمان بل بأزد السَّراة، وعشائرُها الرّئيسيّة التي استقرّت في الكوفة هي بَارِق ورَاسب ودَوْس وغامد[2].

طيّ

يشمل بنو طيّ الحاضرون في الكوفة وعشائرها جَدلة ونَبْهان وسَلَمان بن تآل والأخزوم[3].

بَجِيلة

بقيت بجيلة مدّة طويلة مشتّة بين القبائل العربيّة في الجزيرة العربيّة إلى أن جمعها جرير في عهد عمر فشاركت بصفة نشيطة في فتح العراق، وهاجر البجاليون إلى الكوفة صحبة أطفالهم ونسائهم واسْتَوْطَنُوها. وإنّ أهمّ عشائرها الممثّلة في المدينة هي قصر (ببطنَيْها عُرَيْنة وأَفْرك)، والأحمس، وقَتَبان، وخُزَيْمة والعَلقيّ[4].

ونجد في التّنظيم العسكريّ الإداريّ إلى أسباع، بَجيلة مع خثعم والأنصار في نفس السُّبْع، ولكن بعد الإصلاح الذي أنجزه زياد عام 670/50، ضُمّت بجيلة في رُبْع واحد إلى أهل المدينة (أهل العالية).

وكانت الأرباع الأخرى تضمّ[5]:

---

1 – ابن حزم، **جمهرة...**، ص 394. ابن دريد، ن.م، ص 365-366؛ هـ جعيّط، ن.م، 161؛ الحديثي، ص 201-202.

2 – ابن حزم، ن.م، ص 377 وما بعدها؛ هـ جعيّط، ن.م، ص 161-162.

3 – ابن حزم، ن.م، ص 402؛ هـ جعيّط، ن.م، ص 162.

4 – ابن حزم، ن.م، ص 367؛ الحديثي، ص196، 198 هـ جعيّط، ص 162-163.

5 – انظر بخصوص هذا الإصلاح الذي أنجزه زياد، الطبري، **تاريخ**، ٧، 268؛ هـ جعيّط، ن.م، ص155.

-مَذْحِج وأسد
-همْدان وتميم
-كندة وربيعة

إجمالا، وجد اليمنيّون بمختلف عشائرهم أنفسَهم، منذ فتح العراق وتأسيس الكوفة، كثيرين في ذلك المِصْر الذي تحوّل إلى مركز كبير للثّقافة العربيّة الإسلاميّة خلال القرون الأولى للهجرة.

كيف كان وضع اليمنيّين الآخرين الذين استقرّوا في البصرة والفسطاط وفي أجناد الشّام؟

-الوضع في البصرة[1]

أسّس عُتبة بن غزوان البصرة سنة 638/17 بأمر من الخليفة عمر قصْد جعلها معسكرا يمكّن من مراقبة طريق الخليج الفارسيّ العربيّ من العراق إلى فارس، ويجعل منها في الوقت نفسه قاعدة تنطلق منها الغزوات لاحقا، شرقَ الفرات ودجلة مع المساهمة في تمصير البدو[2]. وصار للمدينة مظهر حَضريّ في العصر الأمويّ وخاصّة تحت حكم زياد بن أبيه الذي يمكن اعتباره صانع الازدهار البصريّ وصاحب الإصلاح المُسمّى «الأخماس» أو الدّوائر القبليّة. وقسّمت البصرة فعلا إلى خمسة أخماس هذه قائمتها[3]:

-قيس أو «أهل العالية».
-تميم.
-عبد القيسِ وبكر (وهما تجّمعان لربيعة)
-وأخيرا الأزْد.

فهذا، كما يُلاحظ، مركز هجرة (مِضر) تطغى فيه العناصر من سلالة نِزار أي قيس وتميم وربيعة، في حين كان اليمنيّون لا يمثّلون غير أقلّيّة جُمّعت في خُمُس واحد. وزيادة على ذلك، لم يكن هؤلاء اليمنيّون ينتمون إلى النّواة القديمة بل كانوا من أزد

---

1 - انظر بخصوص البصرة ص. أ. العليّ، ن.م:
(Ch. Pellat) in *E. I., I*, 117-119; *Le milieu basrien et la formation de Gahiz*, Paris, 1953; Louis Massignon, Explication du plan de Basra, *in Opera Minora*, *op. cit.*, 661.

2 - انظر المقال المذكور للمستشرق شارل بلاّ، *E. I., I*, 117.

3 - انظر القائمة المفصّلة للعشائر اليمنيّة في البصرة في كتاب م. أ. العليّ، **التّنظيمات**..، ن.م، ص 317، الخ...

السَّرَاة أي أهل التّخوم الذين سـيلتحق بهم في عهد معاوية أَزْدُ عُمان. وبالتّالي فلا مجال للمقارنة على الأقلّ فيما يخصّ عدد العشـائر ومجموع اليمنيّين المستقرّين، بين المَدِينَتَيْن- المُعَسْـكرَيْن، البصرة والكوفة. وفي المقابل، فإنّ حضور اليمنيّين في الفسطاط، سواء كانوا من النّواة القديمة أو من التّخوم، تجوز مقارنة عددهم بعدد يمنيّي الكوفة.

-الوضع في الفسطاط[1]

أَسَّـس الفسـطاط، على ضفّة النّيل الشرقية، بين جبل المُقطّـم والنهر، قرب تجمّع بابل السّـكنيّ اليونانيّ القبطيّ، فاتِحُ مصر، عمرو بن العاص، عند عودته من حصار الاسكندريّة، سنة 643/22[2].

فبعد تقسيم الأراضي بين المقاتلين العرب، المنحدرين في أغلبهم من اليمن، وبحجم أقـلّ من الحجـاز كما بيّنا أعلاه، شُرِع في بناء الجامع الكبـير الذي يعتبر أقدمَ مَعْلَم إسـلامي في مصر. وحصلت كلّ قبيلة على خطّـة، بمعناها المتمثّل في تفويت عقاريّ جماعـيّ[3]. وينبغي أن نلاحظ أيضا أنّ عَمْروا أسْـند إلى عشـائر الحجـاز الملقّبين «أهل الرّاية»[4]، خطّة حول الجامع. و«أهل الرّاية» هؤلاء، هم بالفعل من قبائل مختلفة إذ نجد من بينهم خليطا من أهل قريش والأنصار، وخُزَاعَة، وأسْلَم، وغِفار، ومُزَيْنة، وجُهَيْنة، وثقيـف، ودَوْس، وعَبْـس بـن بَغيد، وجُرش، وكنانـة، وليث بن بكـر، والعُتَقَاء. وتَشـمل «اللّفيف»[5]، أي القبائل المختلفة التي جُمّعت في السُّـكنى ولكنّها رُسِمت في الدّيوان على حِدَة، عديدَ الخِطط شـمالَ الخطّة السّـابقة، وأغلبهم سَـلِيلو الأَزْد (من عشـيرة حَجَر)، وغسّـان، وشـجاعة، وانضمّت إليهم عناصر من جُذام ولَخْم وزُحَاف وتَنُوخ (من قُضاعة).

---

1 - انظر بخصوص مدينة الفسطاط، ابن عبد الحكم، ن.م، ص 103 وما بعدها؛المقريزي، **خطط**، 296، I-299؛ الحديثيّ، ص165-190؛ س. العلويّ، 171؛ انظر أيضا:

J. C. Garcin, Habitat médiéval et histoire urbaine à Fustat et au Caire, et Toponymie et Topographie urbaines et médiévales à Fustat et au Caire, in *Espaces, pouvoirs et idéologie de l'Egypte médiévale*, Londes, 1987; CR de S. Denoix, in *Bulletin Critique des Annales Islamologiques*, 1988, pp. 217, 220.

2 - *E. I., III*, 979.

3 - يبيّن المقريـزيّ (ن.م، I، 298) أنّ الخطّة كانت تعادل الحارة أو الحيّ، وهو ما لا يطابق سـياق التّقسـيمات العمرانيّة الإسلاميّة الأولى.

4 - ن.م، I، 296؛ ابن عبد الحكم، ن.م، ص 116، 119.

5 - المقريزي، I، 296.

أمّا «أهل الظّاهر» (أهل التّخوم[1] الذين وصلوا الفسطاط بعد عودة عمرو بن العاص من الاسكندريّة، أي بعد توزيع الخطط بين القبائل، فقد سُلِّمت لهم خِطط تمتدّ إلى الفضاءات القاحلة، في اتّجاه الشّمال، نذكر من بينهم أوّلا العُتَقَاء[2] (وهم من الموالي) الذين كانوا يقطنون في المناطق الحزاميّة رغم أنّهم مرسّمون في الدّيوان مع «أهل الرّاية». وينحدر هؤلاء العتقاء حسَب المصادر[3] من عديد القبائل ككِنانة، وسعْد العشيرة، وحِجْر (من حمير) وكذلك الأزد وفَهْم.

وأخيرا ينبغي أن نذكر من بين أهل المناطق الحزاميّة هؤلاء، غافق (وهم أزديون)، والصّدف، ومَذحِج، ومُراد (عشيرتا غُطيْف ووَعْلان)، وحِمْير (يَحْصِب ورعين، وذو الكلاع بن شُرَحْبِيل بن سعد، والمَعَافِر مع الأشعريّين والسّكاسِك، وسَبَإ وبني الرَّحبة)، وبَلي (القبض بن مُرْثِد)، وجُذام (بنو وائل)، ومَهْرة، وتُجِيب (بنو عَديّ وسعد بن الأشرس... بن كندة)، وَلَخم، وخَوْلان وحَضْرَمَوْت[4].

وتذكر المصادر خِطَطا أُسْندت إلى الفرس من بقايا جيش باذان الذين اعتنقوا الإسلام في سوريا وشاركوا في فتح مصر مع عمرو بن العاص وتحصّلوا على خطّة كائنة في سَفْح جبل باب البَوْن قبل أن يأخذوا خطّة خَوْلان[5]. وكان نقيب الفرس سُنْبُهْت الفارسيّ يتلقّى شرف العطاء، حسب ابن مَاكُولا[6]، ويتمتّع بتقدير كبير في مصر.

وينبغي ألاّ ننسى أيضا ذكر «الرّوم»، وهم في الواقع مسيحيّو الشّام ويهودها الذين انضمّوا سياسيّا إلى المسلمين. فقد رافقوا وحدات عمرو بن العاص العسكريّة ووُزِّعوا بعد فتح مصر في ثلاثة أحياء قريبة من النّيل[7].

---

1 - ن. م، I، 297-298.

2 - ن. م، I، 298.

3 - ابن مَاكُولا، الإكمال، II، 153؛ ابن حزم، ن. م، ص 461.

4 - انظر تفاصيل هذه الخطط المختلفة في كتاب ابن عبد الحكم المذكور، ص 116 وما بعدها؛ المقريزي، I، 298.

5 - ابن عبد الحكم، ص125؛ المقريزي، I، 298.

6 - ابن ماكولا، الإكمال، IV، 486.

7 - ابن عبد الحكم، ص 129؛ المقريزي، I، 298؛ تُسَمى خططهم انطلاقا من مسجد عمرو الحمراء الدّنيا، ثم الحمراء الوسطى، ثم الحمراء القصوى. تشمل خطّة الحمراء الدّنيا – حسب المقريزي- بلي (من قُضاعة)، وفهم (من قيْس عَيْلان)، وترد وبنو بكر بن سَوَادة (من الأزد). وتأوي الحمراء الوسطى بني نِبْه (من عَجَم الشّام الذين ساهموا في فتح مصر بعدد من الرّجال لا يتجاوز المائة)، وهُذيْل بن مُدركة (من مُضَر)، وسلمان (من الأزد)، وعَدْوان (من قيْس عَيْلان). وفي المقابل كان يقطن الخطّة القصوى بنو الأزرق (من عَجَم الشّام الذين تذكر المصادر أنّه كان من بينهم 400 رجل شاركوا إلى جانب جيوش عمرو الإسلاميّة في فتح مصر)،

تلك هي أهمّ الخطط المُسْنَدة في الآن نفسه إلى القبائل التي شاركت في فتح مصر وجميع القادمين حديثا خاصّة في خلافة عثمان. وتبدو نسبة اليمنيّين من هذه التّجمّعات القبليّة مكثّفة نوعا ما، خاصّة بحضور مجموعة متكوّنة من عشائر تنتمي إلى النّواة القديمة (مَذْحِج وحِمْير وخَوْلان وحَضْرمَوت)، ومجموعة أخرى تضمّ عشائر يمنيّين من التّخوم (كندة ومهرة والأزد).

ومن المهمّ تدقيق تركيبة كلّ مجموعة من المجموعات اليمنيّة القاطنة في الفسطاط.

يَمَنِيّو النّواة القديمة

مَذْحِج[1]

يمثّل مذحج في مصر وقتَ أحداث الفتح رئيسها شُرَحْبِيل بن حَجَبَة الذي كان تميّز صحبة الزّبير بن العوّام في الاستيلاء على حصن بابل، كما يمثّلها إبّان توزيع الخطط رئيسها الآخر شريك بن سُمَيّ الغُطَيْفيّ (من مُراد). أمّا بخصوص التّركيبة العشائريّة فإن مَذْحِج الحاضرة في الفسطاط كانت تشمل مراد وزُبَيْد وسَعْد العشيرة.

وأهمّ بطون مراد[2] هي الآتية: غُطَيْف وزَوْف ورَبَض ورُدَاع، وكَعْب، وجَمَل ووغْلان وجنْب وسلْهَم وزَعَافِر فضلا عن مواليهم الكثيرين.

حِمْير[3]

استقرّت حمير في الفسطاط وفي الجيزة كذلك. وأهمّ العشائر الحِمْيَريّة المُمَثّلة في الفسطاط هي التّالية[4]: ذو الكَلاع (مع الكثير من البطون مثل بني نَهْلان، والزّياديّ، والخَبَائِر، وناعِمة، والسَّلِف)، ورُعَين (مع بطونها الخاصّة بها: مَيْتَم والقَبْض ونَاشِرة والعَبْل وصُبْح وعبد كِلاَل وبَحْر ووائل وكهلان والأُمْلُوك وبذْر وبنو عمر بن

وبنو رُبيل (وهم من سلالة رجل يهوديّ اعتنق الإسلام) اللذين قد شاركوا في الفتح بألف رجل)، وأخيرا بنو يَشْكر بن جزِيلة (من لخم).

1 - ابن عبد الحكم، ن.م، ص 126 وما بعدها؛ المقريزي، I، 298؛ ابن حزم، ص 288؛ الحديثيّ، ص 174-177.

2 - انظر ابن ماكولا، الإكمال، II، 214 (جنْب)، ص 251 (جَمَل)؛ IV، 7776 (الرَّبض)؛ 215-216 (زَوْف)؛ V، 16 (غُطَيْف)؛ ص 47 (رُدَاع).

3 - ابن عبد الحكم، ن.م، ص 126 وما بعدها؛ المقريزي، I، 298؛ ابن حزم، ص 387؛ الحديثيّ، ص 177-179.

4 - ابن ماكولا، الإكمال، I،508 (البَسّ)؛ II،112 (السَّلِف)؛ ص 113 (مَيْتم)؛ ص 378 (جَيْشان)؛ III، 291 (الخبائر)، ص 377 (دبهان وناشرة)؛ ص 117 (يَحْصِب)؛ IV، 85 (العَبْل)؛ ص 93 (الأمْلوك)، ص 370 (السَّحُول)؛ ص 466 (نَهْلان)؛ ص 534 (آل ذي خَليل)؛ ص 533 (سَبَأ)؛ V، 215 (عبس)؛ ص 271 (الطَحَاوِي)؛ VI، 277 (بدر)؛ 411 (القَبْض) الخ...

قيس، وبنو يَحْصِب وجَيْشــان)، وآل ذي يَزِن، وســبأ، وابــن ذي حَجْران، وآل الخليل، والصّنْعانيّ والبسّ والمَعَافِر[1].

وكانــت المَعَافِــر تقطن خطّةً صحبةَ الأشــعريين والسَّكَاسِــك وبــني مَوْهِب والأكْتُوع؛ ولِمَعافر[2] بطون كثيرة نذكر منها الجَنَد والخُلَيْفيّ، والقَرَفَة، وناشرة، وبني سريع، والأخْمُور، والحَبَشِيّ، والحَبْلِيّ، والجزء.

خَوْلان قُضاعة[3]

ينبغي أن نذكّر في البدء أنّ أحد قادتها، عَمرو بن قَحْزَم، شارك إلى جانب ثلاثة يمنيّين آخرين في توزيع الخطط بين القبائل الحاضرة في الفسطاط. وتذكر المصادر من ناحية أخرى شاركت عشائر عديدة من خوْلان[4] في فَتْح مصر (بنو عبد الآل وبنو البُقْريّ)، قبل أن يتستقِرّ في الفسطاط مع البطون التّالية: بنو حيّ، وبنو رشوان، والجُدَاديّ، وبنو يَعْلَى، والأُحضُود، والحَبَرِية والحَدَس.

حضرموت[5]

يمثّل حضر موت في الفسطاط الأشباء الذين وصلوا مع عَمرو بن العاص كما تمثّلهم عشائر أخرى جاءت لاحقا[6] وهي البَس وبنو عَيْدان وبنو سُخْرُور، وبنو باهِض، وبنو الحرث، وبنو سريع، وبنو عوف، وبنو ثوِيَّه، مع مواليهم.

يمنيّو الحاشية:

كندة

تمثّل كندة خاصّة تُجيب[7] التي استقرّت في البداية شمال الحصن قبل أن تغيّر مكانهم وتستقرّ شمال خطّة بني مَهْرة وبني الصّدف، شرقَ سِلْهَم (من المراديّين)

1 - ابن عبد الحكم، ن.م، ص 127؛ المقريزي، I، 298؛ ابن حزم، ص 387؛ الحديثيّ، ص 179.

2 - انظر ابن مَاكُولا، الإكمال، II، 36 (بنو سَرِيع)، ص 36-335 و773 (ناشِرة)؛ III، 241 (حَبَشي)؛ 247 (الخُلَيْفة)؛ VI، 419 (القَرَفة).

3 - ابن عبد الحكم، ص 125؛ الهمْدانيّ، الإكليل، I، 208، 323، 349، 359. الحديثيّ، ص 174.

4 - ابن ماكولا، الإكمال، I، 60 (الجُدَادي)؛ II،98 (بنو جَعْل)؛ ص 343 (الحدَس)؛ IV،170 (بنو يَعلى)؛ ص 72 (بنو رُسّية)؛ V، 104 (بَنُو حَيّ)، الخ...

5 - ابن عبد الحكم، ص. 123-124؛ الهمْدانيّ، الإكليل، II، 369؛ الحديثيّ، ص.180-179.

6 - ابن مَاكولا، الإكمال، II، 18 (بنو نَهيد)؛ ص 514 (بنو عَيْدان)؛ IV، 283 (بنو عوْف)، الخ...

7 - ابن عبد الحكم، ص 125؛ ابن حزم، ص 104.

وجنــوب وَغلان (من المراديّين أيضا) وخوْلان قُضاعة. وكانت أهمّ بطون تُجِيب هي التّالية[1]: بنو سُــوم، أبْضَع، ســعْد، الأيْدَعان، عامر بن عَدي، العَجَمي، الزّميليّ، فَهْم، العَريضيّ، نصر بن معاوية، قَتِيرة، بنو خَلاَوة، بنو سَريح، بنو العبادي، بنو الأوّاب، بنو قرناءَ، بنو عفّان، بنو فَرْدَم بن بَدّاء وبنو عَداء بن سَعْد.

الصّدف[2]

نجدهم مجموعين مع كندة رغم أنّهم من ســلالة حضرموت[3]. وتوجد خطّتهم في الفســطاط على حافّة الصّحراء ملاصقة لخطّة حضرموت ولكن شمال تُجيب بن سعد وبني سَــلْهم. وبعد أن اســتقرّوا، جُعل عمرانُ بن ربيعة عَريفا عليهم، ثمّ ابنه. وتذكر المصادر من بين بطونهم الكثيرة الحاضرة في الفســطاط الأســماء التّالية بصفة خاصّة[4]: العَبُــود والأُجْذُوم، وبنو العَرِيف، وحَريم، ومؤهِب، والجَالح، وحُجْر، وعَفير (من بني شُرَيْح)، وناعِمة، وحَبَشِيّ والأُكْحُول.

مَهْرَة[5]

هــي قبيلــة تنتمي إلى تجمّع قُضَاعــة ولكنّها كانت تُقيــم شرْق حضرموت. وفي الفســطاط اســتقرّت مَهْرَة في البداية على سَفْح جبل يَشْــكُر قبل أن ينقلها عمرو بن العاص إلى خطّة أخرى قريبة من غافق والصّدف وغنْث غربا.

الأزْد[6]

هــو تجمّع قبليّ هامّ شــارك في فتح مصر منذ بداية العمليّات العســكريّة بفيْلق يتكــوّن مــن ثلاثة آلاف وخمســمائة إلى أربعــة آلاف رجل من عكّ. وأهمّ العشــائر الأزديّة التي استقرّت في الفسطاط هي التّالية[7]: عشيرة غافق (وخاصّة بطن بني دِهْنة)،

---

1 - ابــن ماكولا، الإكمال، II، 121 (بنو الأوّاب)؛ ص 526 (بنو فَهْم)؛ II،40 (أبْضَع)؛ ص 576 (بنو خَلاوة)؛ ص 581 (بنو سُــوم)؛ III، 302 (بنو سريح)؛ ص 576 (بنو عَدّاء بن ســعد)؛ ص 339 (الأيْدَعان)؛ IV،91 (عامر بن عَدي)؛ ص 97 و225 (الزّميلي)؛ V، 89 (بنو قَتيرة)؛ ص 62 (الأعجم)؛ VI، 344 (بنو العباديّ)؛ ص 280 (بنو فَرْدَم)؛ انظر أيضا الحديثيّ، ص 173-174.

2 - ابن عبد الحكم، ص 122-123.

3 - ن.م، ص123.

4 - ابــن ماكــولا، الإكمال، II، 174 (بنو عَرِيف)؛ ص 312 (بنــو مَوْهِب)؛ III، 134- 135 (حَريم)؛ ص 135 (الأُجْذُوم)؛ IV، 343 (الأُكْحُول)؛ انظر أيضا الحديثيّ، ص 180-181.

5 - ابن عبد الحكم، ص 118-119؛ الحديثيّ، ص 181.

6 - ابن عبد الحكم، ص 117 و119- 121؛ الحديثيّ، ص 181.

7 - ابــن عبــد الحكم، ص 121 - 122؛ انظر أيضــا ابن مَاكولا، الإكمال، III، 109 (بنو الحَرَثَة)؛ ص 343،

وبنو حَرَثَة، ولِغَسَــان، وحُدران، وحَمْد، والريّانيّون، والغنْث، ومازِن، وثُرَد، وبنو بَحْر، وحِجْر، وبنو سَلَمان.

وقيــل إنّ موضع خطّة غافِق[1] كان بين خِطَّتي مَهْرة ولَخْم، ولكنّ كثرة عددهم جعلتهم يستقرّون في جهة الصّحراء، شمال خطّتي لخْم وغنْث وجنوب خطّة الصّدف.

وكان يفصل بين الخِطط بصفة عامّة، حســب ابــن عبد الحَكَم[2]، فضاءات خالية سيشــغلها تدريجيّا «الأمداد» (الذين وصلــوا حديثا) في خلافة عثمان، فاضطرّت كلّ عشيرة إلى بناء مساكن جديدة لأعضائها، ممّا ولّد ازدهارا ملحوظا لحركة الإسكان في الجهة. ويلفت صاحب **فتوح مصر**[3] انتباهنا أيضا إلى أنّ العناصر الفارسـيّة والمسيحيّة التي شاركت في فتح مصر، استقرّت في الفسطاط، على جانبي القبائل العربيّة حتى لا تتعرّض إلى هجوماتها. وهكذا استقرّ «الرّوم» في الحمْراء، في حين استقرّ الفرس قرب بني وائل (من قبيلة جُذام).

اليمنيّون في الجيزة

وتذكر المصادر الإســلاميّة[4] أيضا أنّ قبائل يمنيّة سَــليلة النّواة القديمة استقرّت في الجيزة وهي همْدان وحِمْيَر. لماذا هذا الاختيار للجيزة؟ يبدو، حســب القضاعيّ[5]، أنّ عمرو بن العاص بعد عودته من الاسكندريّة، استبقى عمْدا قسما من جنوده في الجيزة لاتّقاء أيّ هجوم بيزنطيّ. وفي المقابل، يروي ابن عبد الحكم عن ابن لَهِيعة[6] أنّ همْدان وبعض عشــائر حِمْــير (بنو يافع وذو أصْبَح وحَجْر) هي التــي اختارت الجيزة. وهناك تدقيق ينصّ على أنّ عمرو بن العاص أعلم الخليفة عمر بن الخطّاب بقرار هَمْدان وحِمْير قبل أن يبني لهم سنة 21- 22 حصنا لحمايتهم من كلّ خطر خارجيّ.

399، 400 (بنو دِهْنَة)؛ ص.84-85 (الحِجْر)؛ IV، 298 (سَـلامان)؛ ص 110 (لِغســان)؛ IV، 155 (عك). انظر أيضا الحديثيّ، ص 181-183.

1 - ابن عبد الحكَم، ص 121-122.

2 - ن.م، ص 128.

3 - ن.م، ص 129.

4 - ن.م، ص 129؛ المقريزي، ص 205-206.

5 - المقريزي، ص 286.

6 - ابن عبد الحكَم، ص 129.

حِمْير[1]

إنّ أهمّ خِطط الحِمْيَريين بالجيزة هي خِطط ذي أَصْبَح شرقا، ويافع بن الحارث (من عشيرة رُعَيْن) في الوسط، وبني الحَجْر التي تضمّ بطون بني الأخْنَس ودَبهان والأسْحم وبني الأزدان والأفْروع. والملاحظ أنّ ابن مَاكُولَا يعتبر الأفْروع تابعين لهمْدان[2].

همْدان[3]

يذكّرنا حضور همدان في الجيزة بجوار حِمْير باستقرارهم المشترك في الكوفة في نفس السُّبع كما أشرنا إليه آنفا، تمثّلهم أهمّ البطون وخاصةً منها حاشد في الشّمال الغربيّ[4] وبَكِيل بما فيها بطون بني عامر في جنوب الجيزة الشّرقي وجِيَاوِيّة وبنو حِجْر بن أرحب.

إلى أيّ مدى يمكن اعتبار الثّنائي همْدان- حِمْير في الجيزة انعكاسا لتعايشهم السّابق في اليمن؟ يبدو لنا هذا التّفسير معقولا خاصّة عندما نلاحظ أنّ القبيلتين رفضتا مغادرة الجيزة من أجل السّكنى في الفسطاط مع أهل قبيلتيهما اليمنيّتين. وكنّا ذكرنا حضور بعض العشائر والبطون الحِمْيَريّة في الفسطاط (يَافِع وسبأ والكَلاع، والمعَافر وغيرها...) لا محالة، ولكن هذا لا ينطبق على قوم همْدان الذين لا نجد تمثيلا قويّا لهم في الفسطاط باستثناء بني خَيْوان[5].

الأزد

وهناك أيضا حضور لبعض العشائر الأزديّة في الجيزة مثلما هو الحال خاصّة بالنّسبة إلى بني كعب بن مالك بن الحَجْر الذين كانت لهم خطّة بين خطة بَكِيل وخطط يافع حسب المقريزيّ[6]. ويضيف ابن مَاكُولا مدقّقا أن خطّة الأزد هذه أسّسها في الجيزة علقمة بن جُنادة بن عبد الله بن قيْس، وهو أحد صحابة الرّسول كان يشغل في خلافة معاوية منصب أمير البحر.

---

1 - ن.م، ص 129.

2 - انظر: ابن مَاكولا، **الإكمال**، I، 104 (الأُفروع)؛ III،83-84 (الحِجر)؛ ص 374 (السّحول)، IV، 268 (بنو سُخَيط).

3 - هـ. جعيّط، **اليمنيّون**، ص 157.

4 - المقريزي، I، 206.

5 - ن. الحديثي، ص183.

6 -المقريزي، I، 206.

كيف كانت القبائل العربيّة -بما فيها القبائل اليمنيّة- تعيش في الفسطاط والجيزة؟

كانت كلّ قبيلة عربية تتسلّم في موسم الرّبيع قرية أو عدّة قرى ترسل إليها دوابّها لترعى، وخاصّة الخيول، كما توفّر الحليب لأعضائها، حسب ابن عبد الحكم[1].
وهذه قائمة القرى[2] التي كانت تحت نفوذ القبائل اليمنيّة في الأرياف المصريّة:

-بُصِير، ودِسْبِنْدِسِير، وأَتْريب، لعكّ (من الأزد).
-تَنَا وتَمِّي لَمَهْرة
-الفيّوم للصَدِف
-تُمَيّ وبَنْسطة ووَسِيم لتُجِيب
-بَبَا، وعين شمس، وأَتْريب لحضرمَوْت
-مَنْف والفيّوم لمراد وعبْس بن زوف
-بُسِير وقُرى أَخْنس لحِمْير
-البَهْنَسَة وأَخْنس والقيس لخوْلان
-مَنْف لآل أَبْرَهة، وهم حِمْيَرِيّون
-أَتْريب وسَحَا ومَنِيف لآل المعافر، وهم حِمْيَرِيّون أيضا
-يَذقُون لجماعة من تُجِيب ومُراد
-خِرِبْتَى لَمَدلج ومجموعة من ذُبْحَان، وهم حِمْيَرِيّون.

ومن البديهيّ جدا أنّ هذا الانتشار للقبائل العربيّة في الأرياف المصريّة ساعد على التّقارب بين الفاتحين والسّكان الأصليّين، كما كان الحال في مدن الشّام وقُراها[3]، ويسّر في الوقت نفسه الاندماج الاجتماعيّ للعناصر العربيّة، وخاصة منها اليمنيّة في صلب المتساكنين الأقباط. ويجدر أن نتساءل إلى أيّ مدى كان لهذا الاستقرار علاقة بماضي هذه القبائل اليمنيّ، إذ كانت أصيلة داخل اليمن نفسه (همْدان وحِمْيَر مثلا)، وكان أغلبها يقطن بعيدا عن المدن الكبيرة، وحتّى عن السّواحل (خَوْلان وكِندة وحَضْرمَوْت).

---

1 - ابن عبد الحكم، ص 141.
2 - ن.م، ص141؛ انظر أيضا بخصوص هذه القُرى الرّيفيّة المصريّة: اليعقوبي، كتاب البلدان، ترجمة فيات (G. Wiet)، ص183-185؛ ياقوت، معجم البلدان، ن.م.
3 - انظر ن. الحديثيّ، ص148.

وفي النّهاية، فإنّ استقرار اليمنيّين في الفسطاط، وبدرجة أقلّ في الجيزة، جاءت إثره في خلافة عمر هجرة هامّة لعناصر يمنيّة قديمة سيتحوّل قسم منها إلى شمال إفريقيا وإسبانيا. ويظهر هذا الاستقرار في صورة حدث استثنائيّ كما هي الحال في الكوفة[1]، ستكون له مضاعفات مباشرة على تطوّر إقليم مصر وعلى الامبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة في الوقت نفسه.

3 - استقرار اليمنيّين في أجناد الشّام[2]

خلافا لأقاليم العراق ومصر ولاحقا افريقيّة، حيث أسّس الفاتحون العرب أمصارا لإيواء المقاتلين ومراقبة البلدان المفتوحة مراقبة عسكريّة، لم تعرف سوريا- فلسطين إحداثات من هذا النوّع بسبب ما لمُدنها من كثافة سكانّية وكذلك بسبب قربها الجغرافيّ من الجزيرة العربيّة دون شكّ. إلا أنّ المقاتِلة العرب استقرّوا بعد انتصاراتهم المتتالية ضدّ الرّوم في أجْنَادَيْن وفحْل واليرموك وغيرها، وفي المدن الشّاميّة دمشق وحمص وبَعْلَبَكّ وبَيْسان وطبريّة، بل تلحّ المصادر العربيّة[3] على أنّه وقع تفاهم بينهم وبين السكّان الأصليّين حول مقاسمة المدن المفتوحة والاستقرار بها. وتروي أحاديث أخرى أنّ العرب سَكنوا خياما[4] في انتظار بناء قُرى خاصة بهم، أو حلّوا محلّ السكّان الأصليين الذين فرّوا إلى بيزنطة[5].

وفي حمص، استقرّت عناصر عربيّة بإشراف القائد الكنديّ السِّمط[6]، في مساكن هَجَرها سُكّانُها. وفي المقابل أقام العرب في دمشق في الخيام إلى أن بُنِيت لهم قرى جديدة في الضّواحي: صنعاء[7]، ورُعَيْن، والحِمْيَرِيُّون. وتسمية المواضع هذه،

---

1 - انظر بخصوص الكوفة هـ جعيّط، اليمنيّون، ن. م، ص 165-181؛ انظر بخصوص الفسطاط:
J. C. Vadet, L'acculturation des sud-arabiques de Foustat au lendemain de la conquête arabe, in *B.E.O.*, Tome XXII, 1969, pp.7-14. (Institut français de Damas).

2 - بخصوص استقرار اليمنيين في الشّام، انظر خاصّة الأزديّ، فتوح الشام، ن. م؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ن. م، اليعقوبي، كتاب البلدان، ن. الحَديثي، ن. م، ص 150 وما بعدها؛ س. العلَوي، تاريخ حضرموت، I، 170-171.

3 - البلاذري، فتوح، ص 179؛ الطبري، تاريخ، III، ص437، 444، 600.

4 - الأزديّ، ص 85؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص 327.

5 - البلاذري، فتوح، ص 179 و187، الخ... اليعقوبي، كتاب البلدان، ص 327.

6 - البلاذري، فتوح، ص 179 و187.

7 - انظر ابن حجَر، (الإصابة، II، ص 149)، وفيه يذكر رجلا يُدعى شُراحِيل بن مُرْثِد الصّنعاني، نسبة إلى صنعاء في الشّام، وقد شارك في فتح دمشق.

تـدلّ بوضوح عـلى الأصل اليمنيّ للسـكّان الجدد[1]، بل يبدو أيضـا أنّ كلّ قرية مستحدثة وقع تصوّرها لإيواء قبيلة أو عشيرة بعيْنها. وهكذا نذكر قُرى الأوْزاع، والصّدف، وبني المُقْرَع، وشـعبان، والأشـعريّين، ونقتصر على أمثلة قليلة ذات دَلالة من بين أمثلة أخرى كثيرة جدّا. وفي مدينة دمشـق ذاتها، يلحّ ابن عساكر[2] على أنّ أشراف الحجاز فقط استطاعوا بصفة شخصيّة أن يُقيموا في ديار. ويبدو أنّ الشّخصيّة اليمنيّة الوحيدة التي امتلكت دارا في دمشـق هـو القائد البَجَليّ جَرير بن عبد الله، مباشرة بعد انفصاله عن صُفُوف عليّ في صفّين واختياره الهجرة إلى الشّام[3]. كذلك الصّحابيّ الأزديّ الأصل جندب بـن النّعمان المكنّى أبا عزيز، امتلك بعد هجرته إلى سوريا في خلافة عمر دارا تعرف بـ «دار النخلة»، وفيها دُفن مع ابنه سعْد وحفيده عمر بن سعْد[4].

ومهما كان الأمر، فإنّ القبائل والعشـائر والبطون اليمنيّة التي اسـتقرّت في مُدن الشـام وقُراه هي في الآن نفسه أصيلة النّواة اليمنيّة القديمة مثل حِمْير وهمْدان ومَذْحِج وأَشْعَر وخَوْلان، وقبائل الحاشية كالأزد وكندة.

فلننظر في التّركيبة العشائريّة لهؤلاء اليمنيّين الذين استقرُّوا في الشام.

أ- يمنيّو النّواة القديمة

حِمْير

يمثّـل حمير في سـوريا، وخاصّـة في حمص، عشـائر ذي الـكَلاع، وآل ذي يَزن، وآل الأُحْمُوس والشراعب[5]. أمّا بنو ذي الكلاع، فقد وصلوا إلى اليمن بقيادة رئيسـهم سُـمَيْفَع بن ناكور يصحبهم فيما قيل 4000 أو 8000 أو 12000 عبدا[6]، وشاركوا منذ بداية حركة التّوسّـع الإسلاميّ في فتح الشّـام، وخاصّة في معركة اليرموك قبل أن يستقرّوا نهائيّا في مدينة حمص.

---

1 - ياقوت، مُعجم، XI، ص 342.

2 - ابن عساكر، ص 141.

3 - ن.م.

4 - ابن حجَر، الإصابة، I، 514.

5 - الحديثيّ، ص 154-155.

6 - الدياربكـري، تاريخ الخميـس، II، 145؛ يتحدث قدامة بن جعفر (كتاب التّوابين، ص 136-138) على 8000 عبد.

ووصل آل ذي يزن إلى الشّام بعد ذلك بمدّة طويلة، بقيادة رئيسَيْهم عُفَيْر بن زُرعة بن ذي يَزِن[1].

واستقرّ الأوْزاع بمختلف عشائرهم (بنو عنس بن مالك، وبنو مرّة، والثَّوْجَم، ومُقْرَاء وألْهان)، صحبة بعض عناصر من خوْلان، في المنطقة الكائنة بين دمشق وبعلبك وبيروت[2]، على الأرْجح لمراقبة الطّريق الرّابطة بين دمشق وبيروت. وقد سُجل أيضا حضور يَزْسِم[3] في دمشق، ويَحْصِب صحبة صالح وزُبَيْد وهَمْدان في اللاّذقيّة[4].

خَوْلان قضاعة

استقرّوا جزئيّا في حمص صحبة الأوْزاع وخاصّة منهم عشائر بني الأَشْهَب والحرث[5]، واستقرّ الجزء الآخر قرب دمشق في بلدة دَارِية[6].

همْدان

التحقوا بالجبهة الشّاميّة في عهد أبي بكر بقيادة حمزة بن مالك بن سعيد الهَمْدانيّ[7] مصحوبين – كما قيل – بعائلاتهم و400 من العبيد أو الموالي، ثم استقرّوا بعد فتح الشّام في ناحية نهر الأردن. ولم تذكر المصادر بدقّة مواضعهم ولكنها تذكر فرْعي قبيلة همْدان الرئيسيّيْن حَاشِد[8] ومختلف بطونها (وَدِيعة والحارث بن الأضْبَع وحَجُور بن أسْلم)، وبَكِيل[9] ببطون (أَرْحَب وبني مُرْهِبَة وآل ذي لَعْوة)، واستقرارهم جميعا في الشّام.

وينصّ اليعقوبيّ[10] على حضور همْدان في اللاّذقيّة وجَبَلة وحمص، وتذكر مصادر أخرى إقامة بني موْهِب في الرّملة[11]، وبني شَقِي في القدس[12].

---

1 – الهمْدانيّ، **الإكليل**،259-263.

2 – ن.م، ص 253.

3 – ابن حجَر، **الإصابة**، I، 293.

4 – اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ن. م ص 324 ؛ الهمْدانيّ، **الإكليل**، I، 206.

5 – الهمْدانيّ، **الإكليل**، I، 345؛ ابن سعد، **طبقات**، II، 3 و125.

6 – ابن سعد، **طبقات**، III، ص2 وص 123.

7 – الهمْدانيّ، **الإكليل**، X، ص 16.

8 – الهمدانيّ، ن.م، I، 6؛ 81؛ 97؛ 100.

9 – الهمدانيّ، ن.م، I، 114؛ 137؛ 145؛ 148.

10 – اليعقوبي، **كتاب البلدان**، (G. Wiet) ن.م، ص.171-172.

11 – يذكر ن. الحديثيّ (ن. م، ص 163) أبا داوود، **سنن**، II، ص 288.

12 – أبو داوود، **سنن**، ن.م، II، 175.

الأشعريّون

استقرّوا في سوريا، وتحديدا في طبريّة ودمشق[1] قبل أن يُقْطعهم الخليفة معاوية أراض في بلدتي خَوْران وبَطَنيّة[2].

مَذْحِج

رغم أنّ المصادر العربيّة سكتت عن هجرة مَذْحِج واستقرارهم في سوريا، ذُكِر لنا أنّهم كانوا في معركة صفّين متّحِدين بقيادة رئيسهم المُخَارق بن الحارث الزُّبَيْديّ[3]. ويؤكّد الجغرافيّ اليعقوبيّ[4] حضور بني زُبَيْد في اللاّذقية، في حين أُشِيَر إلى وجود بني زُبَيد الأصغر وبني الحارث وآل مُحسن، وجميعها بطون من مَذْحِج[5]، في دمشق وخَوْران، كما ذكر استقرار مُراد والرَهَا[6] والنَخَع[7]، وجميعها عشائر من مَذْحِج أيضا، في الشّام ولكن دون أيّ تحديد لمواضِعهم. وأشير إلى حضور عَنْس بأعداد كبيرة في الشّام[8]، في كيْسان وحمص، وهم بنو الصَّحِيم بن قُرّة بن عزيز وبنو أبي الجَوْن، وكذلك في بلدة دارية قرب دمشق[9].

ب - يمنيّو الحاشية

كندة

أشار اليعقوبيّ[10] إلى حضور كندة في أَثْمين وحمص وفلسطين، في حين ألحّت مصادر أخرى على حضور السّكاسك والسّكون، وهما عشيرتان كنديّتان، في حمص[11]. ولعب القائد الكنديّ السِّمط بن الأسود بن جَبَلة بن عَدِيّ دورا رئيسيّا في

1 - اليعقوبي، كتاب البلدان، ص 327.

2 - ن.م.

3 - نصر بن مُزَاحِم، وقعَة صفّين، تحقيق عبد السّلام هارون، ص 207.

4 - اليعقوبي، كتاب البلدان، ص 325.

5 - ابن ماكولا، الإكمال، II، 113.

6 - ن.م.

7 - ابن حزم، ن.م، ص 388.

8 - ابن مَاكُولا، الإكمال، VI، 355.

9 - ابن حجَر، الإصابة، II،181؛ 594.

10 - اليعقوبي، كتاب البلدان، ص 329.

11 - الطبري، تاريخ، V، 544؛ ابن حزم، ص 405.

غـزْو مدينة حمص وفي توزيع الخطط بـين المقاتِلة العرب الذين اسـتقرّوا بها[1]. وذُكِر ابنه شرحبيل بصفته مناصرا متحمِّسـا لمعاوية في صفِّين ورئيسا بدون منازع لليمنيّين في الشّـام[2]. ويبدو كذلك أنّ القائد الأشعث بن مِنَاس السّكونيّ استقرّ في حمص مع أهل عشيرته بإذن من أبي عبيْدة عام 15 هـ[3]. ولنُشِرْ أيضا إلى حضور عناصر أخرى من السّكاسك والسّكون في جابيةَ ودارية وبيت لِحية، وكنديّين من بني الحارث وبني معاوية وبني مَلْعَقة وبني العدا في حمص[4].

الأزد

رغم مشـاركة الأزد النّشـيطة في معركة اليرْمُوك، فإنّ المصادر لا تُشير – مع الأسـف – إلى توقيت هجرتهم التّاريخيّة إلى الشّـام ولا إلى إقامتهم به. أقصى ما ذكر عن عشـيرة عكّ الملقّبة بـ «عشـيرة أهل الشّـام» هو ترسـيمهم في الدّيوان في عهد معاوية[5]. وإنّ العشـائر الأزديّة الرّئيسـة التي استقرّت في الشّـام هي بنو ثُمَالة، وغَامِد، ودوْس، والغِطْرِيـف بـن نصر[6] وهي العشـائر التي نجدها إمّا في دمشـق[7] أو في حمص أو في مُسْـتَوْطنة فلسطين بالنّسـبة إلى أغلبها وخاصّة في مدينة الرّملة[8]. وبالعكس من ذلك، فإنّ بني خَثْعَم- وهي قبيلة أزديّة أخرى – حاضرون أيضا في فلسـطين مع بني الأُقَيْصر[9].

إجمالا، أشـارت المصادر الإسلاميّة إلى اسـتقرار عديد القبائل والعشـائر اليمنيّة، سليلة النّواة القديمة والحاشية على حدّ سواء، في مختلف أجناد الشّام وبلداته: في دمشق وحمـص ولكن أيضا في فلسـطين وقِنّسريـن وفي وادي الأردن[10]. ويقدّر شـعبان (A. Shaban)[11] عدد الفاتحين اليمنيّين الذين استقرّوا في الشّام واقتنوا ديارا في دمشق وحمص

1 - البلاذري، فتوح، ص179، وص 187؛ الطبري، تاريخ، III، 600.

2 - ابن مُزاحِم، ن.م، ص 44-52؛ 181-200، الخ...

3 - ابن حجَر، **الإصابة**، 214.

4 - ابن حجَر، **الإصابة**، I، 201-293؛ III، 147-155؛ V، 72؛ VI، 6 و47.

5 - ابن مزاحم، ص 227؛ 321؛ 329؛ الخ...

6 - ابن حزم، ص357؛ 360؛ 363؛ 364.

7 - ابن حجَر، **الإصابة**، I، 514؛ V، 90.

8 - ابن سعد، **الطبقات**، II، 113-114.

9 - الحديثيّ، ص 159.

10 - ن.م، ص 150-159، وفيها يذكر المؤلّف بدقّة توزع العشائر اليمنيّة في مختلف أَجْناد سوريا- فلسطين.

11 - A. Shaban, *Islamic History*, I, 42-

بالخصوص بعشرين ألف رجل. وهؤلاء يمثّلون ما يسـمّى بمجموعة «اليمنيّة»، وهي لفظة تشمل في الآن نفسه النّازحين القادمين من اليمن ذاته والناس الذين ينتسبون إلى سلالة قحطانيّة أي اليمنيّين المهاجرين مثل قضاعة.

ج-اليمنيّون وتنظيم الفَتْح

يَتعلّـق الأمر بذكـر دوْر اليمنيّين ومسـاهمتهم في تنظيم الفتوحـات. وقد اخترنا لبلـورة هذه القضيّة ثلاثة أمثلة معـبّرة، وهي توحيد بعض القبائل اليمنيّة، ومسـاهمة المرتدّين اليمنيّين في التّوسّع، وأخيرا تأسيس عمر بن الخّطاب للدّواوين.

-توحيد القبائل اليمنيّة

طُرح مشـكل توحيد بعض قبائل اليمن التي كانت منقسـمة ومُشَتّتة بين عديد التّجمّعات القبليّة العربيّة في شـبه الجزيـرة العربيّة مرّات عديدة. وكانت المرّة الأولى في عهد أبي بكر حين طلب سـيّد بجِيلة جرير من الخليفة السّـماح له بتجميع قبيلته، لكن هذا المشروع وقع تأجيله إلى ما بعد[1]. وأخيرا كان الخليفة عمُر هو الذي اقترح عـلى جريـر أن يأتي بأهل قبيلتـه إلى العراق وأذن له بعد ذلـك بتجميع كامل قبيلة بَجيلة تحت قيادته[2]، وذلك في نطاق سياسـته في انتداب مقاتلين عرب للمشاركة في عمليّات فتح الشّـام والعراق. وبذلك أُدمِجَت عشائر قيس كُبّة وسَخْمَة وعُرَيْنة التي كانـت إلى ذلك الحين تابعة لقبيلَة بني عامر بـن صعصعة المُضريّة، في قبيلة بجيلة[3]. وقـد نتج عن هذا الاندماج تَكُوُّن قبيلة كبيرة شـاركت في معارك فتح العراق بأعداد هامّة تقدّر حسب المصادر[4] بألفين وخمسمائة مقاتل فضلا عن ألف امرأة. وسبق أن رأينا أنّ قوم بجيلة كانوا يلقبّون بـ«أصهار المهاجرين» بسـبب تزويج نسـائهم في القادسيّة خاصّة للقرشيّين[5].

ووجدنـا أيضا في المصادر تجمّعَيْن آخريـن للقبائل اليمنيّة قبيْل معركة اليرموك في الشّام هما النَخَع وخثعم.

---

1 - الطبري، تاريخ، III، 365 و448.

2 - هشام جعيّط، الكوفة، ن.م، ص 27.

3 - الطبري، تاريخ، ص 471.

4 - ن.م، ص 486؛ الكلاعيّ، الاكتفاء، مخطوط باريس، الورقة 5 قفا؛ ابن حجَر، الإصابة، I، 38.

5 - الطبري، تاريخ، III، 581.

وكان السّيّدان الخَثعَميّان النّعمان بن مَحْمِيّة ذو الأنف وابن ذي الشّهم (من بني عُمر) يتنازعان قيادةَ قبيلتَيْهما[1]. ولكنّ القائد العربيّ أبا عُبَيْدة بن الجرّاح الذي حُكِم في هذا النّزاع حتّى لا يكون له عواقب وخيمة على سَيْر معركة اليرموك، انتظر مقتل السّيّد الأوّل ابن ذي الشّهم الخَثعميّ في المعركة ليعوّضه بمنافسه النّعمان تفاديا لتفكّك القبيلة[2].

وطُرح نفس المشكل في قيادة النَخَع بالشّام. فقد كان مالك بن الحارث النَّخَعيّ، المعروف أكثر باسم الأشتر[3]، ينافس واحدا من أهل قبيلته، الأرجح أنّه أرطأة بن شُرَحْبيل، وهو رجل من بني حارثة كان عَهَدَ إليه الرّسول محمّد قيادة قبيلته النَّخَع وفي الآن نفسه حمّله رايةً في القادسيّة[4] وذلك قبل معركة اليرموك. ويضيف الأزديّ مدقِّقا أنّ أبا عُبَيْدة حلّ المشكل بعد نهاية القتال، فتسلّم الأشتر قيادة أهل قبيلته. وتُثبت هذه الأمثلة الثّلاثة حرص الخليفة عمر وقوّاده الأقربين مثل أبي عُبَيْدة، على إيجاد حلول ناجعة لمشاكل التّنافس القبليّ حتى يضمنوا أقصى ما يمكن من الانسجام والوحدة بين الوحدات العسكريّة الإسلاميّة خاصّة قُبَيْل معركتين حاسمتين، معركتي اليرموك والقادسيّة. وينبغي أن نلاحظ أنّ الحلول التي وجدها عُمر نفسه بالنّسبة إلى بَجِيلة، وأبو عُبَيْدة بالنّسبة إلى خثعم والنَخَع، ليست في قطيعة مع العادات والتّقاليد الجاهليّة التي مازالت سارية المفعول في ذلك الوقت عند العديد من القبائل العربيّة، ومع ذلك وقع تطويعُها لتعاليم الإسلام وتدلّ على إرادة لا ريْب فيها لتمكين المقاتِلة المسلمين من الانتصار على خصومهم الذين يفوقونهم عددا وعتادا، دون معاناة مشاكل العصبيّة القبليّة أو القيادة العسكريّة.

-مشاركة المرتدّين السّابقين في الفتوح

رأينا بخصوص ترخيص الخليفة عمر للمُرتدّين التّائبين في شبه الجزيرة[5]، بما فيهم اليمنيّون، بالمشاركة في حروب فتح الشّام والعراق، أنّ عديد وجهاء اليمن مثل عَمْرو بن معْدي كرب الزبيديّ، والأشعث بن قيْس الكنديّ، وقيس بن المكْشوح المراديّ، استجابوا للدّعوة إلى الجهاد التي وُجّهت إليهم، والتحقوا صحبة

1 - الأزديّ، فتوح الشام، ص231-232.

2 - ن.م، ص 232.

3 - ن.م، ص 232-233.

4 - الحَلَبيّ، السّيرة، II،270؛ ابن حجَر، الإصابة، 38.

5 - الطبري، تاريخ، III، 448.

أهالي قبائلهم سليلي زُبيد وكندة ومراد. بالجنود المسلمين الذين سبقوهم إلى الجبهتين الشّامية والعراقيّة. وتميّز جميع هؤلاء المرتدّين التّائبين بخصالهم الحربيّة كالشّجاعة والحماس والإقدام، وكذلك بمعارفهم العسكريّة التّكتيكيّة منها والاستراتيجيّة في مختلف معارك الفتح، وساهموا مساهمة فعّالة في النّجاحات الباهرة التي حقّقتها الجيوش الإسلاميّة ضد خصومهم الرّوم والفرس[1]. لنفترض أن روايات المعارك نمّقها الأخباريّون المتأخّرون، وخاصّة منهم مَن كانوا من أصل يمنيّ مثل ابن الكلبيّ، وأنّ مساهمة بعض القادة البارزين مثل الأشعث الكنديّ أو قيس بن المكشوح وقع تضخيمها قصد إبراز خصال تجمّع من التجمّعات القبليّة التي كانوا ينتمون إليها مثل كندة ومُراد، فإنّه يبقى من البديهيّ أنّ هؤلاء المرتدّين التّائبين خدموا بكلّ إخلاص الدّعوة الإسلاميّة وأنّ قرار عمر الشّجاع والنّاجع لتشريكهم في عمليّات الفتوح، كان قرارا حكيما جدّا.

-تأسيس عُمر للدّواوين ومشكلة العَطاء

وكان الإجراء الذي اتّخذه عُمر بن الخطّاب لتأسيس الدّواوين وترتيب منظومة العطاء[2] هامّا جدّا أيضا. فلا حاجة إلى التّدقيق بأنّ العطاء مَعاش منتظم ومقنّن، يهدف إلى دفع مستحقّات المسلمين الذين شاركوا في الجهاد. واعتمد الخليفة معيارَيْن لتحديد سلّم تراتبيّ للمعاشات وهما مدى القرابة من الرّسول، والأسبقيّة إلى الإسلام. وكان مقدار العطاء يتراوح بين مائتي درهم وألف ومائتي درهم لكلّ شخص سنويّا سواء كان من المقاتِلة أو من النّساء والأطفال أو من العبيد والموالي. واقتضى ترسيم المنتفعين بالعطاء وتصنيفهم إحداث أوّل ديوان وتعيين عُرَفاء لتسيير العِرافات (أو مجموعة المنتفعين بالعطاء)[3]. وكانت هذه التّراتبيّة دون شكّ، لصالح المهاجرين والأنصار على حساب جميع العرب الآخرين بما فيهم بالطّبع أهل اليمن.

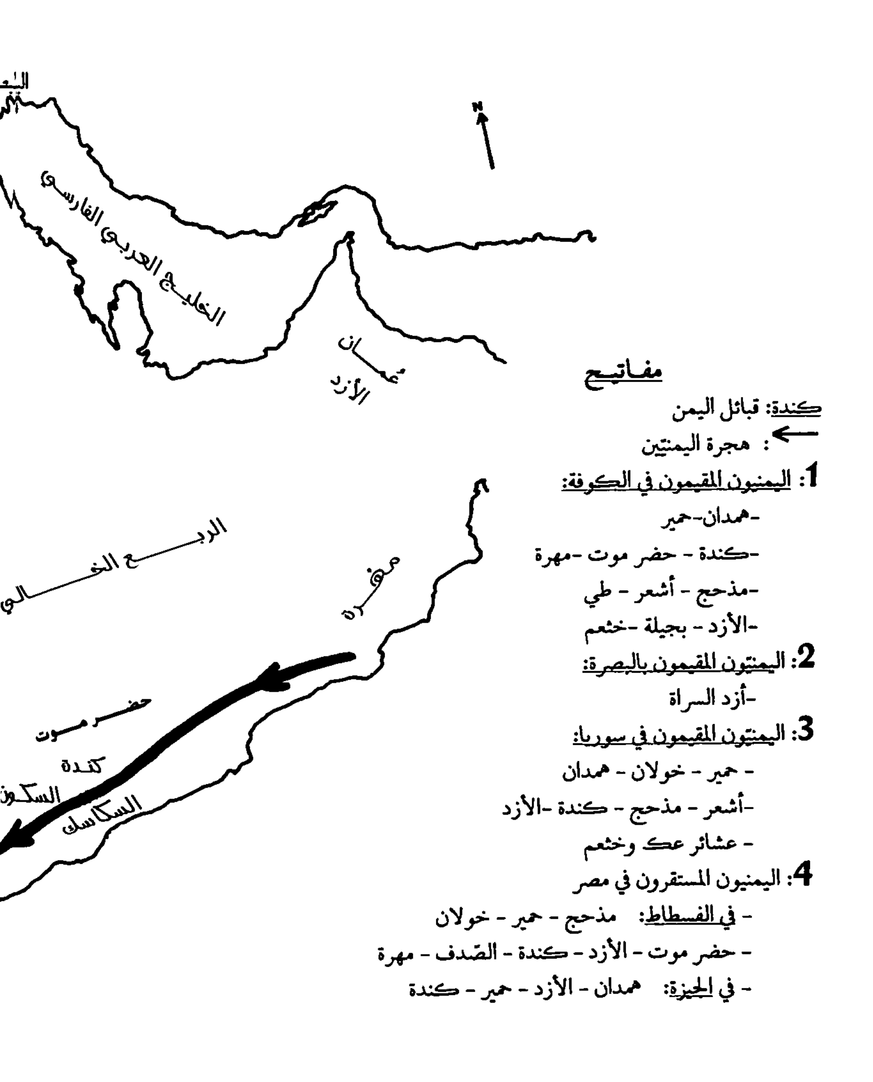
1 - انظر الفقرة المخصّصة لفتح العراق والشّام في نفس هذا الفصل.

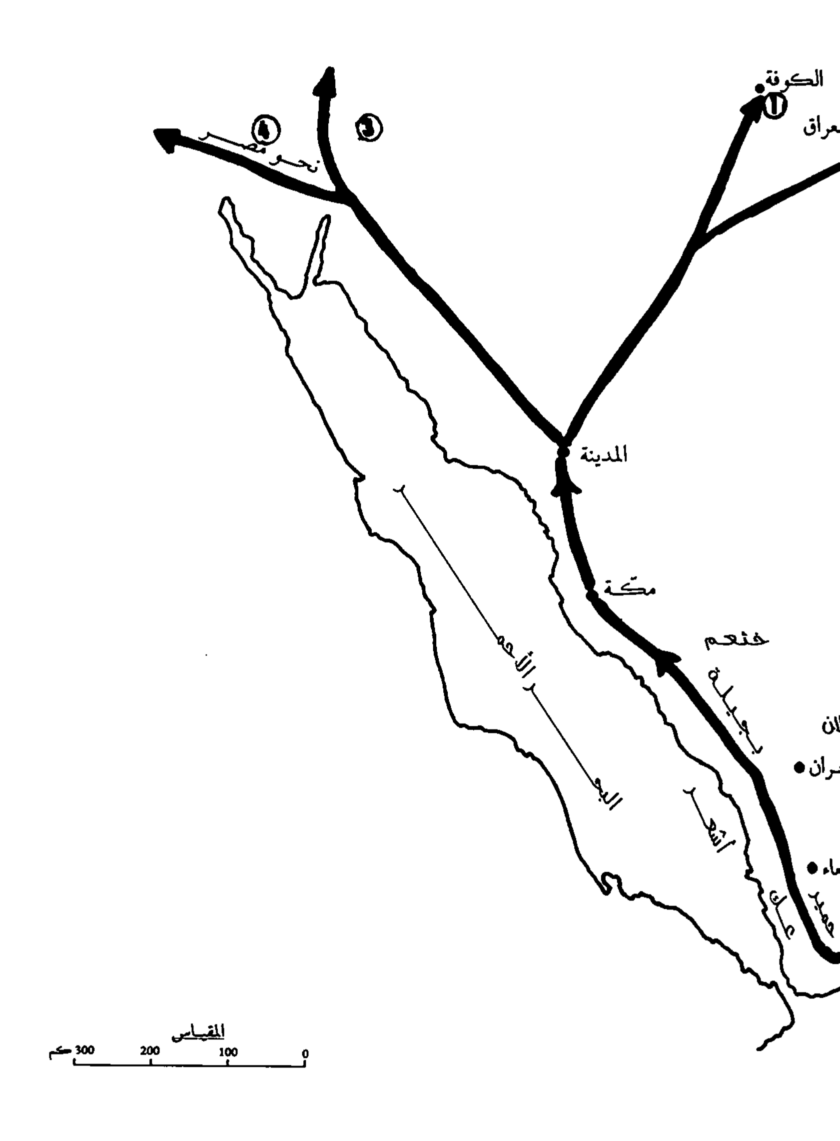
2 - انظر بخصوص «الدّواوين» (Art. de A. Douri) in *E. I.*, *II*, 333-336

وبخصوص «العطاء» انظر (Art. de C. Cahen) in *E.I.*, *I*, 751-752 وانظر أيضا: البلاذري، فتوح، ص 629-646.

3 - انظر مقال العطاء المذكور.

خريطة اليمنيون والتوسع العربي الإسلامي في الشرق الأوسط





الكوفة
نحو مصر
المدينة
مكة
خثعم
بجيلة
أشعر
عك
المقياس
300 كم
200
100
0

ومــن ناحية أخــرى، فإنّ ظهور مفاهيــم «أهل بدر»، و«أهل الفتــح» (أي فاتحي مكّة) و«أهل الأيّام»[1] (أي فاتحي عام 12 هـ)، لم يكن، في مستوى ترسيم المعاشات في الدّيوان، إلاّ في صالح جميع عرب شبه الجزيرة العربيّة الذين اعتنقوا الإسلام بعد فتح مكّة ولم يشاركوا، بحكم تورّطهم في حروب الرّدّة، في الفتوحات السّابقة للقادسيّة في العــراق. باختصار، فإنّ اليمنيّين، بحكم أصل نَسَـبهم المتمثّل في الانتماء إلى الفرع القحطانيّ، وتأخّر اعتناقهم الإسلام رغم بعض الاستثناءات مثل همْدان، وتورطّهم في الرّدّة مثل مَذْحِج ومراد وبني زُبَيْد وكندة، ومشاركتهم في الفتح بعد «أهل الأيّام»، كانوا بالضّرورة في أســفل سُــلّم المعاشــات. وتجعلهم بعض المصادر، مثل البَلاذُري وابــن ســلاّم[2]، في الخانة الكائنة بين ألفين وثلاثمائة درهــم، في حين يضيف اليعقوبيّ[3] مدقّقا أنّ العطاء الممنوح إلى اليمنيّين كان يقدّر بأربعمائة درهم، في مقابل ثلاثمائة فقط للمُضَريّين ومائتين لربيعة. وهذا في الواقع آخر أصناف النّازحين أي «الرّوادف» الذين وَصلوا دفعة بعد أخرى، خاصة بعد معركتي القادسيّة واليرموك[4].

إلى أيّ مــدى ســاهمت مؤسّســة العطاء هــذه في إحيــاء العصبيّة القبليّة السّــابقة للإسلام؟[5]

مــن الثّابت أنّ الخليفة عُمــر كان من الذّكاء ما جعله يرسّــم مُراد وهمْدان[6] في ديوان الأرزاق وبذلك أدرْجهم ضمن مجموع «أهل القوَادس»[7]، وهم الذين التحقوا في العراق بـ«أهل الأيّام» أي جيش خالد بن الوليد وعناصر من شـيبان، ويشمل هذا المفهوم الأخير جميع الفاتحين عام 12 هـ (أي «أهل الأيّام»)، كما يشــمل الفيالق التي انتدبها عمر للمشاركة في معركة القادسيّة (أي عرب شبه الجزيرة بما فيهم المتمرّدون التّائبون) باســتثناء «الــرّوادف» أي المهاجرين المتأخّرين الذين تدفّقوا على العراق بعد معركة القادسيّة.

---

1 - انظر أيضا البلاذري، فتوح، ص 632. ; A. Shaban, *op. cit.*, I, 45

2 - البلاذري، ن.م، ص 633؛ ابن سلاّم، كتاب الأموال، ص 286-290.

3 - اليعقوبي، تاريخ، II، 153.

4 - F. M.Donner, *The early islamic history*, p. 231-232

5 - ص. أمين، اليمن...، ص 78 وما بعدها.

6 - هشام جعيّط، اليمنيّون، ص 153.

7 - ن.م، ص 152.

وفي نهايــة الأمر، فإن اليمنيّين، رغم أنهم جُعلوا في أســفل ســلّم الأرزاق، واصلوا التّدفّق على البلدان المفتوحة (الشّــام والعراق ومصر) قصد الاستقرار بها والمشاركة، انطلاقا من مســاكنهم الجديدة في الكوفة والبصرة والفسطاط والمستوطنات الشّاميّة وغيرها، في المرحلة الجديدة من التّوسّع الإسلاميّ في اتّجاه شمال إفريقيا واسبانيا، وشرقا في اتّجـاه بـلاد ما وراء النّهر وإيران[1]. معنى ذلك أنّ الهجـرة اليمنيّة كانت متواصلة خـلال القرن الأوّل الهجريّ، وزيادة على ذلك فإنّ قرار الخليفة عثمان بن عفّان سـنة 30هـ بالسّماح للصّحابة ولعرب شبه الجزيرة بالهجرة إلى البلدان المفتوحة حديثا وشراء ممتلكات وديارٍ بها[2]، قد أعطى دفعا إضافيّا لتلك الحركة التي كانت بعْد هامّة.

ولتقييــم هــذه الهجرة ومــا تبعها في أغلب الأحيان من اسـتقرار نهائــيّ في البلدان المفتوحة (الشّــام والعراق ومصر ثم شــمال إفريقيا واســبانيا) تقييما جيّــدا، ينبغي القيام في نظرنــا بدراســات مفردة يَدعمها سَــبْرٌ مَيْدانيّ في كتب الطّبقــات مثل كتب أبي العرب وابن ســعد وابن مَاكُولَا. مثالُ ذلك ما لا حظه هشام جعيّط[3] من تواتر نسبة «مَعَافِـرِيّ» و«صنعانــيّ» في كتب الطّبقات بإفريقيّة، وحضــور يمنيّ بارز في افريقيّة وإسبانيا.

خاتمة

إنّ التّوسّــع العربيّ الإسلاميّ الذي بدأ غداة حروب الرّدّة والذي مكّن المسلمين في خلافة عُمر بن الخطّاب من فتح الشّــام ومصر والعراق على حساب الرّوم والفرس، كان قبلَ كلّ شيء عملَ القبائل العربيّة في شبه الجزيرة العربيّة وتحديدا قبائل اليمن. وكانــت هذه القبائل تمثّل الأغلبيّة في معركة اليرموك بالشّــام (أكثر من نصف السّتّة والأربعين ألف مقاتل في تقرير سيف بن عمر)، وحاضرة حضورا قويّا في معركة القادسيّة (اثنا عشر ألف رجل فيما أحصيناه شخصيّا أي ثلث مجموع المحاربين). وهي ســليلة أكبر التّجمّعــات القبليّة في اليمــن: مَذْحِج وهَمْدان وحِمْــيَرَ والأزْد. ولوحظ أيضا حضور قبائل كندة وحضرموت وخَوْلان وكذلك قبائل الشّــتات والحاشية

1 - ن.م، ص 164.

2 - يذكر الطّبريّ (تاريخ، IV، 280) بالخصوص وضع الأشـعث الكنديّ الذي اشـترى مقابل أملاكه في حضرموت، أراضيَ في تَيْزنَبَاذ (في العراق).

انظر أيضا ص. آمين، اليمن، ص 77-78.

3 - هشام جعيّط، اليمنيّون، ن.م، ص 154.

(بجيلة وخَثْعم وقُضاعة...). وكانوا في الوقت نفسه اليمنيّين الذين اعتنقوا الإسلام في عهد الرّسول محمّد (ص) وحافظوا على إخلاصهم للدّعوة الإسلاميّة (همدان وحِمْيَر وحضرموت والصّدف والسّكون وخولان والأزْد وغيرها) واليمنيّين «المرتدّين» (مُراد وزُبَيد وكندة وغيرها). ومهما كان الأمر، فإنّ الكثير من هذه القبائل كانت غادرت اليمن بالمئات والآلاف تصحبها عائلاتها (النّساء والأطفال والخدم) واستقرّت بعد نصر القادسيّة واليرموك في البلدان المفتوحة. وقد رأينا أنّه كان في الكوفة حين تأسيس المصر اثنا عشر ألف يمنيّ مقابل ثمانية آلاف نزاريّ. وكان عددهم في سوريا وفلسطين والأردن حوالي عشرين ألف نسمة. وأخيرا، في مصر، يمكن أن نتحدّث عن عديد الآلاف من اليمنيّين الذين استقرّوا في الفسطاط والجيزة. فقد غادر عديد الآلاف من اليمنيّين وطنَهم، اليمن، للمشاركة في مختلف الفتوحات والاستقرار نهائيّا في الأقطار المفتوحة. وينبغي أن نضيف إلى هؤلاء المقاتلين الأوائل (قبل تأسيس الكوفة والبصرة والفسطاط) أمواج النّازحين (الرّوادف) الذين لم يتوقّفوا عن التّدفّق على العراق والشّام ومصر إلى اندلاع الفتنة الأولى. وبما أنّنا لا نستطيع ضبط عدد كلّ هؤلاء النّازحين، بما فيهم الرّوادف، بدقّة، فنحن لا نشكّ أنّ رحيلهم تَرَك فراغا هائلا في اليمن. ولنتوقّف قليلا لتقييم أبعاد هذه الهجرة وخصائصها بالنّسبة إلى إقليم اليمن. وينبغي أن نلاحظ في البدء أنّ القبائل التي شاركت في الفتوحات كانت أصيلة كافّة جهات اليمن مثل همْدان وخوْلان والأزد ومَذْحِج بمختلف عشائرها التي كانت مساكنها في بداية القرن السّابع للميلاد، كما رأينا، موجودة في شمال البلاد، بين نجران وصنعاء. كذلك حِمْيَر والمَعافر وأشْعر وعكّ التي كانت تُقيم على ساحل البحر الأحمر، في جهة تِهامة وتحديدا في الجنوب الغربيّ من اليمن. وأخيرا، فإنّ كندة وحضرموت ومَهْرة كانت مستقرّة في منطقة حضرموت وفي ساحل المحيط الهنديّ. وكان ضمن هؤلاء اليمنيّين عناصر حضريّة مثل همدان وحِمْير، وبدو رحّل مثل مُراد وبني زُبَيْد وغيرهم، وهو ما يدلّ على أنّ الهجرة لم تكن دوافعها اقتصاديّة ومادّية فحسب بل كانت بدافع رغبة عديد الأشراف والأعيان القبليّين مثل ذي الكلاع الحِميَريّ، في المشاركة في الجهاد وبعد ذلك في الحياة السّياسيّة في البلدان المفتوحة. وينبغي أن نلاحظ أيضا أنّ المهاجرين كانوا يضمّون في مرحلة أولى العناصر التي بقيت مخلصة للإسلام أثناء الرّدّة وهي همْدان وحمير مع عشائر كلّ منها فضلا عن بعض بطون التّجمّعات القبليّة الأخرى مثل النخَع وجُعْفيّ (مَذْحِج) ودوْس (الأزد)، وحضرموت والسّكون. واعتنق هؤلاء اليمنيّون الإسلام، كما رأينا، في عهد الرّسول محمّد (ص) دون مشاكل، وشاركوا مبكّرا، أي منذ نهاية

الرّدّة، في المعارك الكبرى للفتوحات، واستقرّوا في العراق (الكوفة خاصة)، وفي الشّام (دمشق وحمص وغيرهما)، ومصر (الفسطاط والجيزة) على حدّ سواء. وفي المقابل، فإنّ العناصر المرتدّة مثل عنس ومُراد وزُبَيْد، وبلحارث بن كعب (وهي عشائر من مَذْحِج)، وكندة (بقيادة الأشعث بن قيس) وعكّ والأشعريين وغيرهم، التحقوا بعد مدّة بأهل قبائلهم المخلصين للإسلام، ولعبوا دورا أقلّ أهمّية في معارك الفتوح الأولى. وبما أنّ اعتناقهم الإسلام كان أكثر إشكالا، ومشاركتهم في انتفاضات الرّدّة قُمعت بصرامة، فقد رأينا أنّ الهجرة إلى العراق والشّام تضخّمت في نطاق إرسال عمر بن الخطاب تعزيزات إلى الجيوش التي كانت على عيْن المكان قبل أن تتضخّم أكثر في خلافة عثمان بن عفّان.وقد بيّنا أنّه في مستوى الأرقام، كان أغلب المقاتلين العرب في اليرموك يمنيّين وخاصّة عناصر من سلالة القبائل المخلصة للإسلام (حِمْير وهمْدان ودوْس والنّخع). وكان شعبان قدّر عدد اليمنيّن المقيمين في الشّام بعشرين ألف رجل. ونذكّر أن ثلث الموجودين في القادسيّة، من مجموع ثمانية وثلاثين ألف رجل، كانوا يمنيّين منهم سبعة آلاف ومائة أصلهم من اليمن نفسه فيهم حوالي ألفين من همدان، وألفين وسبعمائة من كندة وحضرموت والسّكون. وفي مصر، كان أكثر من نصف جيوش الفتح من الأزد (عكّ وغافق) فضلا عن التّعزيزات التي كانت تضمّ عناصر من همْدان والصّدف وحضرموت وكذلك من الأبناء. وبخصوص هؤلاء الأبناء، رأينا أنهم كانوا تحالفوا مع قوم همْدان في الجاهليّة وانحازوا مبكّرا إلى الرّسول محمّد (ص) وحافظوا على إخلاصهم للدّعوة الإسلاميّة أثناء الرّدّة.

ومكّننا السّبر الميدانيّ (prosopographie) الذي أُنْجز انطلاقا من مؤلَّف ابن مَاكُولَا أن نرى أنّ من بين المائة وواحد يمنيّا نعتوا بأنّهم «شَهدوا فتوحَ مصر»، كان اثنان وسبعون أصيلي النّواة اليمنيّة القديمة، منهم ثلاثة وثلاثون من حِمْير؛ ويؤكّد هذا المثال مرّة أخرى الدّور المُهَيْمن الذي لعبه هؤلاء اليمنيّون في أحداث الفتوح. أمّا بخصوص استقرار اليمنيّين في البلدان المفتوحة، ينبغي أن نلحّ على تكوّن ثنائيّات حقيقيّة من القبائل على غرار سَكَنهم المشترك في اليمن قديما. والمثال النّموذجيّ هو مثال قوم الثّنائيّ هَمْدان – حِمْير الذين استقرّوا معا في الكوفة وفي الجيزة. وقد رأينا أنّهم في اليمن اعتنقوا الإسلام مبكّرا جدّا، وأنّهم بقوا مخلصين لدعوة الرّسول محمّد (ص) والمسلمين. أمّا الثّنائيّ المتكوّن من مَذْحِج وأشعر فقد كان يضمّ في الآن نفسه عناصر مرتدّة وبدويّة (مُراد وبنو زبيد وعنْس)، واستقرّ في رُبْع بالكوفة، وبعد ذلك في الفسطاط أيضا. أمّا ثنائيّ قبائل الجنوب الشّرقيّ باليمن المتكوّن من كندة وحضرموت، ويشمل عناصر مخلصة وأخرى مرتدّة، فقد فضّلا أن يقيما في الكوفة في رُبع، وكذلك في الفسطاط (وخاصّة الصّدف والسّكون). وأخيرا في

الشّام لوحظ استقرار حِمْير وخوْلان (عشائر مراد والرَهَا وعنْس) في دمشق. عموما فإنّ القبائــل اليمنيّة المعنيّـة بهذه الأحداث (الردّة والفتوح والإقامــة في البلدان المفتوحة)، كانــت همدان وحِمْــير ومذْحِــج والأزد، تليها كندة وحضرموت. أمّــا المناطق التي تأثّــرت بالهجرة، فإنّها المنطقــة الواقعة بين نجران وصنعاء ومنطقة تهامة السّــاحليّة في الجنوب الغربيّ وحضرموت في الجنوب الشّرقيّ. إذن تأثّرت ولاية اليَمن كثيرا بذلك الرّحيل خاصّة في المســتوى الدّيمغرافيّ. وهذا الفراغ البشريّ من الأهمّيّة بمكان، إلى درجة أنّ فراغا سياسيّا واجتماعيّا صاحَبَه إذ كان الكثير من الوجهاء القبليّين الذين لعبوا دورا رئيســيّا في القرن السّــادس للميلاد وبداية الإسلام، قد حرموا بلادهم من نشــاطهم وحيويّتهم وتركوه تحــت هيمنة عناصر غير يمنيّة. وســنرى لاحقا أنّ جلّ الولاة والأعوان الذين اســتعملهم الخلفاء الرّاشــدون، ثم الخلفــاء الأمويّون، كانوا يُنْتَدَبُــون من خارج اليمن إذ كانوا قُرَشِــيّين وأنصارا وقيْســيّين، أي غرباء عن إقليم اليمن. وســيمثّل هذا الانتداب عامل عدم اســتقرار ســياسيّ طيلة القرن الأوّل. ومن ناحية أخرى، ســاهم هذا الرّحيل دون شــكّ في مَزيد تفقير اليمن الذي سيحتاج إلى وقت طويل لاسترجاع ازدهاره الزّراعيّ والتّجاريّ الأسبق.

ولفهــم كلّ هذه المتغيّرات النّاتجــة عن هجرة اليمنيّين إلى بلدان الهلال الخصيب، ينبغي أن ندرس تنظيم اليمن الإداريّ والمؤسّســاتيّ وتطوّره السّــياسيّ والقبليّ في الفترة التي تتراوح بين الفتوح ونهاية عهد الخلفاء الرّاشدين.

الفصل الثالث

ولاية اليمن في عهد الخلفاء الرّاشدين: التنظيم الإداري والتطوّر السياسي

كان اليمن منذ أسلمة البلاد في عهد الرّسول محمّد مستعمرة فارسيّة قديمة إلى جانب عُمان والبَحْرين، فلم يكوّن قطّ وحدة متكاملة إداريّا ولا سياسيّا.

فبعد أن مثّلت القبائل والعشائر والبطون سكّانه وقدّمت بيْعتها السّياسيّة للرّسول وأعلنت له اعتناقها الإسلام، صار يدير شؤونَ البلاد عمّال يأتون رأسا من المدينة ويُكلّفون، كما بيّنا أعلاه، بمهمّات ظرفيّة ومُحَدَّدة. ولم يُوزّع الرّسول محمّد (ص) عمّاله في «بَلَدَي» اليمن وحضرموت، بين إمارتين، أي سبعة أعوان في الأوّل وثلاثة في الثّاني، إلاّ بعد وفاة باذان، آخر دهقان فارسيّ في اليمن، وفي الوقت نفسه أوّل والٍ مسلم في صنعاء، حسب رواية لسيف بن عمر نقلها الطّبريّ[1].

إذن نلاحظ بعدُ، أنّه لم يكن يوجد في العصر المحمّدي عامل واحد، أو وال واحد، أو أمير واحد، بل جملة من الأعوان أو المبعوثين المكلّفين بتسيير مقاطعات ترابيّة محدّدة مثل صنعاء وعدَن ومأرِب ونجران والجند، أو حكم مجموعات قبليّة مثل الصّدف والسّكون وكندة وحضرموت وبلحارث وكعب وغيرها....

وتذكر المصادر العربيّة واليمنيّة[2]، أنّه كان في عهد الرّسول محمّد (ص) ثلاثة عمّال، أحدهم في صنعاء، والثّاني في الجند والثّالث في حضرموت. وهو ما يعكس في

---

1 - الطبري، **تاريخ**، III، 288.

2 - ابن خُرْداذْبَة، **المسالك**، ن. م، ص 144؛ المقدسيّ، **أحسن التّقاسيم**، ص105؛ ياقوت، **معجم البلدان**، II،169-170، ابن عبد المجيد، **بهجة الزّمان**؛ مخطوط باريس، الورقة 4 وجه، الخزْرجي، **الكفاية**، ص 67-68؛ ابن الديبع، **قرّة العيون**، I، 52.

نظرنا تقسيم البلاد إلى ثلاثة أعمال في القرنين الأوّل والثّاني. هؤلاء العمّال الثّلاثة هم أبّان بن سعيد بن العاص في صنعاء، ومعاذ بن جبَل الأنصاريّ في الجند، وزياد بن لبيد البياضي في حضرموت[1].

فَلْنَرَ كيف تطوّر الوضع في عهد الخلفاء الرّاشدين؟

I-نظام إدارة ولاية اليمن

1-ولاة اليمن في عهد الخلفاء الرّاشدين

يرى الأخباريّون أنّه بعد انتخاب أبي بكر خليفةً للرّسول محمّد، عوّض عاملَيْ الجند وصنعاء، بسبب محاربة مختلف المرتدّين في شبه الجزيرة العربيّة[2]، الأوّل بعبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ، والثّاني بيَعْلى بن أبي عُبَيْد بن الحارث بن بكر بن زياد التّميميّ المعروف أكثر باسم يَعْلى بن أُمَيّة، مولَى بني نَوْفل بن عبد مناف.[3]

إلاّ أنّ الطّبريّ ينقل رواية أخرى[4] تنصّ على أنّ الخليفة الجديد كتب إلى عامل الرّسول في صنعاء، المهاجر بن أبي أميّة، يخيّره بين حكم اليمن وحكم حضرموت. فاختار المهاجر اليمن، فيما يبدو، وقسّمت إدارة الولاية اليمنيّة بين أميرين، أمير أبناويّ (فيروز الدَّيْلَمي)، وأمير أُمَويّ (المهاجر)، في حين قُسِّم الحكم في حضرموت أيضا بين حاكمَيْن هما عُبَيْدة بن سعد على رأس كندة والسَّكاسِك، وزياد بن لَبيد على رأس حضرموت[5]. أمّا الأخباريّ ابن خيّاط[6]، فإنّه يجعل المهاجر في صنعاء وزيادا في السّواحل، ويَعْلى في خَيْوَان. ولا تشير المصادر إلى أيّ تغيير جذريّ في عهد الخليفتين عُمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان إذ وقع إقرار العامِلَيْن ابن ربيعة ويَعلى بن معاوية، الأوّل في الجند والثّاني في صنعاء[7]. إلاّ أنّ هناك من روى أنّ يعلى عُزِل مرّتين من قِبل

---

1 - الخزرجيّ، **الكفاية**، ص52.

2 - انظر الفصل السّابق عن الرّدّة في اليمن.

3 - انظر الجعديّ، **طبقات الفقهاء في اليمن**، ص37؛ الخزرجيّ، **الكفاية**، ص 53، ابن الديبع، **قرّة العيون**، I، 705؛ ابن الحُسَين، **غاية الأماني**، I، 76.

4 - الطّبريّ، **تاريخ**، III، 341.

5 - ن.م.

6 - ابن خيّاط، **تاريخ**، I، 107.

7 - الجَنَديّ، ن.م، الورقة 23؛ الخريزي، ص 57؛ ابن الديبع، **قرّة**، I، 80-81. ابن الحسين، I، 83.

الخليفة عمر ثم أُعيد إلى منصبه. وعوّضه في المرّة الأولى حسب الرّازيّ[1]، مدّة سنتين، ثَقَفِيّ (المغيرة بن شعبة)، ثم أعيد إلى منصبه، وفي المرّة الثّانية، لم يُطل عزْله إذ صادف موتَ عُمر، حتّى أنّ الخليفة الجديد عثمان سارع إلى إقراره واليا على صنعاء[2].

ويُعلمنا ابن حزم[3] أنّ صاحب عَمَل حضرموت كان أنصاريّا، هو عدِيّ بن نَوْفل بن أسد بن العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب، شقيق ورقة بن نوفل (ابن عمّ خديجة زوجة الرّسول)، وأضاف أنّه باشر مهمّة والي حضرموت في عهد الخليفتين عُمر وعثمان، ولكن دون أن يدقّق تاريخا محدّدا.

ولاحظ المؤرّخ اليعقوبيّ أنّ ولاية اليمن عند وفاة عمر كانت مقسّمة بين ثلاثة ولاة هم ابن أبي ربيعة، ويَعْلى بن أميّة، وزياد بن لبيد الأوّل في الجند والثّاني في صنعاء والثّالث في حضرموت[4]. ونضيف جزئيّة هامّة رواها الرّازيّ، وهي أنّ يَعْلَى بن أُميّة، والي صنعاء وأقاليمها، كان يُساعده في «عَمَله» رجل يُدْعى سعْد الأعْرج[5].

وبعد مقتل عثمان وتعويضه بعليّ بن أبي طالب تحوّل اليمن – وكان مركزا إداريّا وسياسيّا يرغب فيه العديد من الصّحابة كطلحة[6]،و المنتمون إلى قرابة الخليفة الجديد، أوّلهم الهاشميّ عُبيد الله بن عبّاس، ابن عمّ عليّ الذي عُيّن في صنعاء، والأنصاريّ سعْد بن سيّد بن عُبادة المُعَيَّن على رأس عَمَل الجند[7]. إلاّ أنّ مصادر مناصرة للشّيعة، مثل ابن أبي حَديد والثّقفيّ، ذكرت تسمية يمنيّ من قبيلة همْدان، سعيد بن نِمران النّاعِطيّ[8]، مكان سعيد بن سعد بن عبادة، عاملا على الجند.

أمّا بخصوص عَمَل حضرموت، فلم يذكر أيّ مصدر اسم العامل الذي عوّض سعيد بن سعْد بن عُبادة.

---

1 - الرّازيّ، ص 162 وص 153.

2 - الخزرجيّ، ص 660؛ ابن الديبع، **قرّة**، I، 81-82؛ ابن الحسيْن، I، 85.

3 - ابن حزم، **جمهرة**، ص12.

4 - اليعقوبيّ، **تاريخ**، II، 10.

5 - الرّازيّ، ص 295-296.

6 - اليعقوبيّ، **تاريخ**، II، 161.

7 - الجَعْدِيّ، ص 42-43؛ الجَنَديّ، الورقة25؛ الخزرجيّ، ص 61؛ ابن الديبع، **قرّة**، I، 82-83؛ ابن الحسين، I، 93-94.

8 - الثّقفيّ، **كتاب الغارات**، طبعة طهران، 1395، I، 593؛ ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، II، 3.

ومهما كان الأمر، فقد أحصيْنا عشرة عمّال أداروا ولاية اليمن طيلة ثلاثين سنة (632-661)، أي مدّة خلافة الخلفاء الرّاشدين، هذه أسماؤهم:

أسماء الخلفاء	أسماء ولاة اليمن	
أبو بكر	**مصادر يمنيّة**	
(11- 13/ 632-634)	-عبد الله بن ربيعة	الجند
	-عبيد بن سعد	حضرموت
عمر بن الخطّاب	-عبد الله بن أبي ربيعة	الجند
(13-23/ 634-644)	-يَعْلى بن أميّة عوّضه مرّة أولى المغيرة بن شعبة. أعاده عمر إلى منصبه. ساعده سعد الأعرج	صنعاء
	-عدي بن نوفل	حضرموت
عثمان بن عفّان	-عبد الله بن أبي ربيعة	الجند
(23-25/ 644-656	-يَعْلى بن أميّة	صنعاء
	-عدي بن نوفل	حضرموت
	-وال ثقفيّ عيّنه عثمان بنِ عفّان (حسب ابن سَمُرة الجَعْديّ)	
عليّ بن أبي طالب	-عُبَيْد الله بن العبّاس	صنعاء
(35-40/656-661)	-سعيد بن سعد بن عُبَادة	حضرموت

2-أصول ولاة اليمن القبليّة في عهد الخلفاء الرّاشدين

ليست غايتنا التّرجمة لمختلف ولاة اليمن في عهد الخلفاء الرّاشدين بل تحديد أصلهم القبليّ حتى نفهم طريقة انتدابهم والأسباب التي وجّهت اختيار الخلفاء الأربعة.

فبعد القضاء على الرّدّة، عَمَد أبو بكر إلى تعيين عمّاله باليمن. فمن هم هؤلاء الولاة وكيف انتدبوا ولماذا؟

*ونبدأ بعامل الجند عبد الله بن أبي ربيعة: هو شخصيّة من أصل قُرَشيّ، من بني مخزوم، والد الشّاعر الشّهير عمر بن أبي ربيعة. كان اسمه – حسب كتب المعاجم- بُجيْرة قبل أن يسند إليه الرّسول محمّد اسم عبد الله[1]. وقيل من ناحية أخرى إنّه كان في البداية تاجرا غنيّا له علاقات تجاريّة مع اليمن[2] كما قيل إنّ أمّه أسماء كانت تبيع العطور المستوردة بالذّات من اليمن. ويصنّفه مُصْعب الزّبَيْري[3]، مؤلّف كتب التّراجم، من بين أشراف قريْش في الجاهليّة ويُكنّيه «ذو الرّمحَيْن»، في حين يذكره ابن سعد من بين الجيل الأوّل من المكّيّين الذين رَوَوْا الحديث النّبويّ عن طريق عُمر[4].

فليس من باب الصّدفة إذن أن اختاره أبو بكر عاملا له بالجند، ثم تبعه كلّ من عُمر وعثمان اللذين أصرّا على إقراره في منصبه طيلة خلافتهما[5]. ويذكر الطّبريّ ابن أبي ربيعة كأحد أنصار عثمان[6] في اجتماع مجلس الشّورى معارضا بذلك ترشيح عليّ. ومن جهة أخرى، فإنّ الشّاعر عمر بن أبي ربيعة كان له أخوال في اليمن، وتحديدا في لَحْج وأَبْين[7]، وهو ما يمكن أن نستنتج منه أنّ عبد الله بن أبي ربيعة كان مقيما مع عائلته في هاتين المدينتيْن، على الأرجح منذ عيّنه أبو بكر واليَ الجند، اللّهمّ إلاّ إذا كان تزوّج امرأة يمنيّة على عيْن المكان. ومهما كان الأمر، فإنّ تجارة العطور بين صنعاء ومكّة كانت – حسب الواقديّ[8]- مزدهرة، خاصّة في عهد عُمر بن الخطّاب.

1 - انظر بخصوص ابن عبد البرّ: مصعب الزّبيْريّ، نَسَب قريش، ص 317؛ ابن حزم، ص 146؛ الاستيعاب، III، 896-897؛ الأغاني، I، 74 ؛ I، 115 ؛ XXII، 329 ؛ الإصابة، II، 305؛ ابن سعد، طبقات، V، 444.

2 - الأغاني، I، 74.

3 - مُصْعب الزّبيْريّ، ص 317.

4 - ابن سعد، طبقات، V، 444.

5 - البلاذُريّ، أنساب الأشراف، V،87؛ الأغاني، XXII، 329؛ الرّازيّ، تاريخ مدينة صنعاء، ص127.

6 - الطّبريّ، تاريخ، IV، 232.

7 - الأغاني، I، 115.

8 - الواقديّ، كتاب المغازي، I، 89.

ويؤكّد الأخباريّان اليمنيّان الرّازيّ والجَنَدي[1] هذا الأمر مشيريْن إلى الهديّة المتمثّلة في قِرْبة مملوءة بمسك اليمن، قدّمها الوالي ابن أبي ربيعة إلى الخليفة عمر. وقد سارع عُمر بقبولها ليوزّعها على صحابته.

*ثم والي صنعاء: يَعْلى بن أميّة بن هشام بن جُشَم بن بكر بن زيْد مناة بن تميم، المعروف أكثر باسم يعلى بن مُنيَة، اسم أمّه مُنيَة بنت الحارث سليلة بني مازن بن منصور بن قيْس عيْلان[2]. وهو تميميّ حليف بني نوْفل بن عبد مناف، وكان أميّة في رأي الرّازيّ[3]، أحد «مُرَوِّدي» القرشيّين في يوم المعركة التي خاضوها ضدّ المسلمين في بدر. وفي المقابل، كانت أمّه مُنيَة – حسب ابن حزم[4]- إمّا أخت من سيكون مؤسّس البصرة، عتبة بن غزوان بن جابر (من بني مازن بن منصور...) أو خالته. وما ينبغي ملاحظته، هو أنّ يَعْلى طبع حكم اليمن بطابعه الخاصّ، وبالخصوص في خلافة عُمر. فكلّ المصادر العربيّة واليمنيّة أجمعت على إبراز دوْر يَعْلى في اليمن في مجالات القضاء والجباية والسّياسة في الآن نفسه. وسنعود لاحقا إلى هذه المسألة بمزيد من التفاصيل.

ويروي مؤلّف تاريخ صنعاء أنّ عائلة يَعْلى كانت تملك في صنعاء ديارا عديدة غربَ المسجد وتحديدا قرب «باب الشّهابيّين»[5]. ويمكن أن ندقّق أمرا يتعلّق بثورة يَعْلى الذي برز بعد مقتل عثمان بانحيازه للقضيّة العثمانيّة. فقد ترك ثروة ضخمة قدّرت بخمسمائة ألف دينار فضلا عن أملاك عقاريّة وأراض وقروض كان يُقرضها النّاس، قُدِّر مجموعه بثلاثمائة ألف دينار[6]. ومن المفيد أن نضيف أنّ تعيين عليّ والِيَيْن جديدين في صنعاء والجند، هما ابن العبّاس وسعيد بن سعد، أجبر يعلى وابن أبي ربيعة على مغادرة اليمن إلى مكّة خوفا من اعتقالهما من قِبل أعوان الخليفة الجديد. وغادر ابن أبي ربيعة اليمن - كما قيل- لنجدة الخليفة عثمان المُحَاصَر في بيته بالمدينة، ولكنّه لمّا وصل إلى نخلة قرب مكّة سقط عن مركوبه فمات، حسب رواية ابن عبد البرّ[7]. أمّا البلاذُريّ فإنّه يقول إنّ ذلك السقوط أحدث له كسرا في رجله جعله

1 - الرّازيّ، ص187-188؛ الجَنَديّ، الورقة 24.

2 - انظر بخصوص يعلى: ابن حزم، ن.م، ص.213 و229؛ الاستيعاب، V، 1558-1587؛ الرازي، ص. 69-70 و158-165؛ ابن سعد، طبقات، V، 456؛ أُسْد الغابة، V، 128.

3 - الرّازيّ، ص 69.

4 - ابن حزم، ص 213.

5 - الرّازيّ، ص 165.

6 - ن.م، ص 69؛ المسعوديّ، مروج، III، 77؛ القاضي الرّشيد، كتاب الذّخائر والتحف، الكويت، 1959، ص 207.

7 - الاستيعاب، III، 897.

يتّجـه إلى عائلته[1]. الواقــع أنّ يَعْلى تخلّى عن منصبه حاملا معه محصول الجباية[2] واتّجه إلى مكّة لملاقاة الثلاثيّ طلحة والزبير وعائشــة الذين كانوا يتهيّئون للتّحوّل إلى العراق وتحديدا إلى البصرة لترتيب التّمرّد على عليّ ومطالبته بدم عثمان، الخليفة المقتول. وجلب لهم مســاعدة هامّة قدّرها اليعقوبيّ[3] بأربعمائة ألف دينار، وقدّرها الطّبريّ[4] بستّمائة ألف درهم وستّمائة جَمَل منها جَمَل عائشــة الشّهير «عَسْــكر» الذي اشتُرِيَ في بوْن باليمن وقدّر ثمنه بمائتي دينار[5]. أمّا صاحب كتاب **الاستيعاب**[6]، فإنّه يتحدّث عن مســاعدة سلّمها يَعْلى إلى الزّبير وأصحابه، وأضاف بعد ذلك أنّ يَعْلى كان تزوّج إحدى بنات الزّبـير وإحدى بنات أبي لهب، وأنّه قاتــل في صِفّين مع عليّ، وهذا غريب وغير محتمل خاصّة أنّ نَصْر بن مُزاحِم لا يذكره في صفوف عليّ.

وأخـيرا فــإنّ والي أبي بكر الثّالــث في اليمن وتحديــدا في حَضْرمــوت، صَحابيّ أنصاريّ من الخَزْرَج، وهو زياد بن لَبيد بن ثَعْلَبة بن سِــنان بن عامر بن عَديّ بن أُميّة بــن بيّاضــة.... بن الخَزْرَج[7]. ولا نعرف الكثير عنه باســتثناء الدّور الذي ربّما لعبه، في خلافة أبي بكر، للقضاء على انتفاضة كندة في حَضرَمَوْت[8]. وقد توفّي سنة 40/ 661.

وقد خلفه على رأس عمل حضرموت أَسَــديٌّ يُدْعى عَدِيّ بن نوفل بن أسد بــن عبــد العُزّى بن قُصَي القرشيّ الأسَــديّ[9]؛ كانت أمّه بنت جابر بن سـفيان، وأخت الشّــاعر الصعلوك الشّــهير تأبّط شرّا الفَهْميّ. وكلّ ما نعرف عنه أنّه حَكَــم حضرموت باســم الخليفتين عُمر وعثمان وأنّ عليّــا عزله، ولا نعرف هل عوّضه وال جديد أم لا.

---

1 - البلاذريّ، **أنساب الأشراف**، V، 87.

2 - الطّبريّ، **تاريخ**، IV، 443.

3 - اليعقوبيّ، **تاريخ**، II، 101.

4 - الطّبريّ، **تاريخ**، IV، 450؛ ابن عبد المجيد، **بهجة الزّمان**، الورقة 5 وجه؛ الخزرجيّ، ص 61-62.

5 - الجُعْديّ، ص31؛ المسعوديّ، **مروج**، III، 102.

6 - **الاستيعاب**، IV، 1586.

7 - انظــر بخصوص زياد بن لبيد: ابن ســعد، **طبقــات**، II، 598؛ **الإصابة**، III، 35-36؛ **أُسْــد الغابــة**، II، 272؛ **الاستيعاب**، 533-534؛ الخزرجيّ، ن.م، هامش 49.

8 - انظر الفصل السّابق عن الردّة.

9 - انظــر بخصوص عَدِيّ بــن نوفل: ابن حزم: ص 120؛ **الاســتيعاب**، III، 1061؛ العلَويّ، **تاريخ حضرموت**، I، 163-164.

أمّا بخصوص ولاة اليمن الآخرين في عهدَي عمر وعثمان، فيجدر ذكر المغيرة بن شعبة، الثّقفيّ الذي عوّض مؤقّتا يَعْلى بن أميّة في صنعاء إثر عزله في المرّة الأولى من قِبل الخليفة عُمر، ولكن في هذه المسألة أيضا لا نعرف إلاّ القليل عن حكمه وإدارته في اليمن.

وتتكلّم المصادر أيضا عن رجل يسمّى سعْد الأعرج، ويسمّيه الرّازيّ سعد بن عبد الله بن عقيل[1]، في حين يقدّمه ابن حَجَر باسم سعْد بن مالك ويلقّبه بالأعرج اليمنيّ[2]. ويتعلّق الأمر بيمنيّ التقى الخليفة عُمر في المدينة ليطلب منه أن يشرِّكه في الجهاد، إلا أنّ روايةً للبخاريّ[3] تضيف أنّ الخليفة أرسله إلى اليمن بصفته مساعدا ليَعْلى بن أميّة. وتذكره رواية أخرى لأبي حنيفة[4] أنّه كان «مصدّقا» (يجمع الصّدقات في اليمن)، وهو ما تؤكّده مصادر أخرى[5] وخاصّة ابن سلاّم الذي ينصّ على أنّ عُمر نفسه عيّن له طريقة جمع الصّدقات وتوزيعها على مستحقّيها. ويصنّفه ابن سعد في الجيل الأوّل من المحدّثين اليمنيّين[6].

ويشير الأخباريّ اليمنيّ ابن سَمُرة الجعديّ[7] أيضا إلى ثقفيّ يُدعى عثمان بن عفّان أرسله الخليفة عثمان في مهمّة إلى اليمن، فعبّر له عند عودته إلى المدينة عن انطباعاته عن اليمنيّين وخاصّة عن استعدادهم لدفع كلّ الضّرائب اللاّزمة. وهو - حسب ابن سعد[8]- صحابيّ استقرّ في الشّام بعد فتحه من قِبل الجيوش الإسلاميّة.

أمّا عمّال عليّ في اليمن فعددهم اثنان أو ثلاثة عمّال، أوّلهم ابن عمّه عبَيد بن العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم الذي عيّنه على رأس عَمَل صنعاء مكانَ يَعْلى بن أميّة[9]. وقد بقي في منصبه ما يقارب الأربعين شهرا قبل أن يغادر صنعاء[10] لمّا دخل الجنود الشّاميّون

1 - الرّازيّ، ص 153-162.
2 - **الإصابة**، II، 333؛ البُخاريّ، **تاريخ**، II، 154؛ ابن سلاّم، **كتاب الأموال**، ص 711.
3 - **الإصابة**، ص 333.
4 - ن.م.
5 - الرّازيّ، ص 295-296؛ ابن سلاّم، ص 711.
6 - ابن سعد، **طبقات**، V، 535.
7 - الجَعْديّ، ص 40.
8 - ابن سعد، 419، VII.
9 - انظر بخصوص عُبَيْد الله بن العبّاس: ابن حزم، ن.م، ص18؛ **الاستيعاب**، III، 1009؛ الشّيرازيّ، **الدّرجات الرّفيعة في طبقات الشّيعة**، بيروت، 1983، انظر ص 144-151.
10 - الخزرجيّ، ص 61.

بقيادة بُسر بن أرطأة الجزيرة العربيّة واليمن. وكان الخليفة عليّ كلّفه بقيادة مناسك الحجّ مرّتين[1]، سنة 36 وسنة 37/ 656-657. وقبل أن يتحوّل إلى الكوفة لملاقاة عليّ، ترك نائبا له في صنعاء لم تتّفق المصادر على اسمه. فبعض المؤلفين يذكر الثّقفيّ عمرو بن أراكة[2]، وبعضها الآخر مثل الطّبريّ[3] يوضح أنّه كان أحد أعضاء عائلة نجرانيّة من بني عبد المَدان الحارثيّ[4]، الذي كان عامل مدينة نجران وصِهرَ ابن العبّاس[5].

الوالي الثّاني الذي عيّنه عليّ في الجند هو أنصاريّ يُدعى سعيد بن سعد بن عُبادة الخزرجيّ[6]، وهو ابن سيّد الخَزْرج الشّهير سعد بن عُبادة، وشقيق الوالي الذي عيّنه عليّ لإدارة ولاية مصر قيس بن سعد بن عُبادة. ويدلّ هذا التّعيين لوَجيهين خزرجيّين في مَنْصِبَي والِيَي الجند ومصر على مساندة الأنصار لقضيّة عليّ. إلاّ أنّ المصادر الشيعيّة تذكر واليا آخر في الجند مكان سعيد بن سعد بن عُبادة، وهو هَمْدانيّ من عشيرة نَاعط يُدعى سعيد بن نِمْران[7]. فكيف نفسّر هذا التّعارض بين المصادر بخصوص اسم صاحب عمل الجند؟ نرى أنّ سعيد بن سعد بن عُبادة الخزرجيّ قد يكون حكم الجند وأقاليمها في فترة محدودة قبل أن يعوَّض بالهَمْدانيّ سعيد بن نمران، ربما بسبب ارتكابه خطأً ما. فابن حزم[8] بيّن جيّدا أنّ الخليفة عليّا لم يُبق سعيد بن سعد واليا على الجند طيلة خلافته. ومن ناحية أخرى، فقد ذُكر سعيد بن نمران إمّا بصفته كاتبَ عليّ[9]، أو كواحد من الذين روَوْا أحاديث عن عديد الصّحابة كأبي بكر وعُمر وعثمان وعليّ وابن مسعود، وغيرهم، مضيفا أنّ الخليفة عليّا ألحقه بعبُيد الله بن العبّاس لمّا عيّنه والِيَ صنعاء[10] وبالتّالي، فإنّ هذه الجزئيّة تؤكّد أنّ سعيد بن نِمران كان فعلا في اليمن إمّا بصفته والِيَ الجند، أو بصفته مجرّد مساعد لابن عبّاس.

1 - **الاستيعاب**، II، 1009.

2 - انظر بخصوص ابن أراكة: **الاستيعاب**، III، 1162؛ **أُسْد الغابة**، IV، 84؛ المدائنيّ، **كتاب التعازي**؛ النّجَف، 1971، ص 25-26؛ بَامَخْرَمَة، **تاريخ ثَغر عَدَن**، ص 25-26.

3 - الطّبريّ، **تاريخ**، V،139؛ اليعقوبيّ، **تاريخ**، II، 198؛ البَياسيّ، **الإعلام بالحروب في صدر الإسلام**، مخطوط الاسكوريال، الورقة 42.

4 - انظر بخصوص ابن عبد المَدان: المسعودي، **مُروج**، III، 211؛ **الاستيعاب**، III، 943.

5 - **كتاب الغارات**، I، 916.

6 - انظر ترجمة سَعيد بن سعْد بن عُبادة في كتاب ابن حزم المذكور ص 365؛ **الاستيعاب**، II، 621.

7 - الثّقفيّ، 593، I؛ **شرح نهج البلاغة**، II، 3.

8 - ابن حزم، ص 365.

9 - **الاستيعاب**، II، 626.

10 - ابن سعد، **طبقات**، VI، 84.

عموما، فقد أحصينا حوالي خمسة عشر شخصا في عهد الخلفاء الرّاشدين، أرسلوا إلى اليمن إمّا كولاة (في الجند وصنعاء أو حضرموت)، أو مساعدين، وهذه أصولهم القبليّة:

- **أربعة من قريش:**

هاشمي: عُبَيد الله بن العبّاس.

أمويّ: المُهاجر (في عهد أبي بكر).

مخزوميّ: عبد الله بن أبي ربيعة.

أسَديّ: عَدِيّ بن نَوْفل.

-2 أنصاريّان من الخزرج:

زياد بن لبيد البيّاضيّ.

سعيد بن سعد بن عُبادة.

- **ثلاثة من ثقيف:**

المُغيرة بن شُعبة

عثمان بن عفّان

عمرو بن أراكة

- **ثلاثة من اليمن:**

سعد الأعرج ويُدعى الأقرع اليمنيّ.

سعيد بن نِمران النّاعِطي الهمْدانيّ.

عبد الله بن عبد المَدان الحارثيّ.

- **تميميّ واحد** (حليف بني عبد مَناف)

يَعْلَى بن أميّة.

- **أبْناويّ واحد** (أو فارسيّ):

فيروز الدّيْلميّ.

-واحد غير محدّد:

عبيدة بن سعد (في حضرموت مع زياد بن لبيد).

وفي ضوء هذه القائمة المتضمّنة خمسة عشر واليا ومساعدا، يظهر من الواضح أنّ جلّهم (11) من أصل عدنانيّ في مقابل ثلاثة يمنيّين وفارسيّ. والملاحظ أنّ ستّة من بين العدنانيّين الأحد عشر هم من المهاجرين والأنصار، وفي هذا تعبير واضح عن رغبة الخلفاء الرّاشدين، وخاصّة منهم أبو بكر وعمر وعثمان، في الاعتماد قبل كلّ شيء على شخصيّات تنتسب إلى أسَر وعشائر بارزة (مخزوم وبنو أميّة والخزرج)، ولا تنتمي إلى جيل صحابة الرّسول أنفسهم بل على الأقلّ إلى أبنائهم. والخليفة عليّ هو الوحيد الذي استعان بأنصاريّ شهير (سعيد بن سعد بن عُبادة) ويمنيّين هما ابن نمران وابن عبد المدان، أمّا أسلافه فإنهم اختاروا يمنيّين، باستثناء سعد الأعرج والفارسيّ فيروز.

وهذا الانتداب لعمّال غير يمنيّين يتعارض، مع ذلك، مع السّياسة التي اتّبعها الرّسول محمّد من قبل والمتمثّلة في اختيار عمّاله باليمن إمّا من بين الصّحابة الأنصار ذوي الأصول اليمنيّة مثل معاذ بن جَبَل، وعمرو بن حزم، وزياد بن لبيد، أو من بين اليمنيّين الخلّص مثل جرير بن عبد الله البَجَليّ، وعامر بن شِهر الهَمْدانيّ، وأبي موسى الأشعريّ؛ ونقتصر على أشهرهم. وسنرى لاحقا أنّ هذه السّياسة القائمة على انتداب «إطارات» غير يمنيّة لحُكم اليمن، سيتّبعها الحكّام الأمويّون على نطاق واسع، وبدرجة أقلّ الخلفاء العبّاسيّون في القرنين الأوّل والثّاني.

3 - صلاحيّات ولاة اليمن في عهد الخلفاء الرّاشدين

رغم أنّ المصادر التّاريخيّة، وخاصّة منها اليمنيّة، لا تُسْهِب في الحديث عن صلاحيّات الولاة في عصر الخلفاء الرّاشدين وحتّى بعده، فإنّنا سنحاول بلورة هذه القضيّة اعتمادا على تفاصيل متناثرة وقع تجميعها هنا وهناك، وعلى مقارنات مع ولايات أخرى في الامبراطوريّة، بَلْوَرَتها النّصوص بطريقة أحسن (الكوفة والبصرة ومصر).

وما يبدو لنا ثابتا، هو أنّ والي اليمن في عصر الخلفاء الرّاشدين كانت له عدّة وظائف عسكريّة وسياسيّة ودينيّة. فلدينا، بفضل الأخباريّين اليمنيّين، بضعة أمثلة دالّة تتعلّق بالذّات بطريقة إدارة الولاة لليمن في القرن الأوّل.

فأوّل حدث كانت له علاقة بخلافة أبي بكر. فقد رُوي[1] أنّه إثر سقوط أمطار جارفة على اليمن، كشفت سيول الماء بابا مغلقا، فظنّ النّاس أنّ الأمر يتعلّق بكنز دفين، فتخوّفوا من فتحه مفضّلين مراسلة الخليفة رأسا لإعلامه بالأمر. فأمر الخليفة

1 - الجَنَديّ، الورقة 23 وجه؛ الخزرجيّ، ص56-57؛ ابن الديبع، قُرّة، I، 78-79؛ ابن الحسيْن، I، 80-81.

أبـو بكر، جوابا على طلب اليمنيّين، «عاملَه عـلى البلدان»، ألاّ يتصرّف في أيّ شيء في انتظار وصول «أمنائه» من المدينة لتوضيح المســألة. فاكتشف هؤلاء الأمناء وراء البـاب «مغارة» فيها سرير عليه رجل ميّت كان مسـتلقيا عـلى ظهره، يرتدي أثوابا منسـوجة بالذّهب، حاملا بإحدى يديه لوحة خشـبيّة، وبالأخرى خاتما، وفوق رأسه سـيف نقشت فيه الكتابة التّالية: «هذا سـيف هود بن إرَم». ونعتت المصادر اليمنيّة هـذا الحـدث بأنّه «أغرب حدث وقـع باليمن في خلافة أبي بكـر». وهو يتضمّن في نظرنـا عدّة فوائد. فهو قبل كلّ شيء يكشـف لنا، رغم أنّه جاء في شـكل نادرة، سلطة التّأطير والمراقبة التي كان يمارسها الخليفة في ذلك الوقت بالذّات على «عامله عـلى البلدان». وفي هذه الحالـة بالذّات لا يمكن أن يكون المعـنّي بالأمر غير والي صنعاء (يَعْلى بن أميّة) أو والي الجند (ابن أبي ربيعة). ومن جهة أخرى، يُسْتَنْتج من هذه الحكايـة أنّ والي اليمن لم يكن من حقّه التصرّف في المال المدفون» أو «الرِكاز» في لغة الفقهاء، لسـبب بسـيط وهو أنّه كان من حقّ بيت مال المسلمين كما ينصّ على ذلك الفقهاء[1].

أمّـا الحدث الثّاني فإنّه يتّصل بالمجال القضائيّ وبالخصوص بممارسـة والي صنعاء يَعْـلى بن أميّة القضـاءَ. فالمصادر اليمنيّة تروي بخصوص هـذا الموضوع ثلاث قضايا هامّة. الأولى تتعلّق بجريمة قتل اقتُرِفَتْ في جَبل حُفَاش وهو «مِخلاف» يمنيّ تابع لعَمل صنعـاء وخاضع لقضاء يعلى[2]. وبعد إيقـاف القاتل من قِبل أحد أعوان الوالي في الجهة (حُفاش ومِلْحان)[3]، وهو أسعد بن عبد الله[4] أو سعيد بن عبد الله الكنديّ[5]، جمع يعلى «وجوه أهل صنعاء» وسـلّم أمام جميع الحاضرين، إلى والد الضّحيّة سـيفا (البُخْتُرِيّ)[6] من المفروض أنّه سيُسْتَعْمل لإعدام الجاني. وبعد تنفيذ الحكم، رفع أهل القاتل الجثّة، ولكنّهـم لمّا همّـوا بدفنها، لاحظوا أنّ الرّجل ما يزال على قيـد الحياة، فعالجوه إلى أن شُفي. وفي يوم من الأيّام، كان ذلك الرّجل يرعى قطيعا من الغنم في الجبل، فلمحه والد الضحيّة وسرعان ما تعرّف عليه، ودون تردّد سارع إلى والي صنعاء ليعلمه بما رأى.

1 - ابن سلاّم، ص 430؛ أبو يوسف، كتاب الخَرَاج، ص24. قدامة، ص238-239.

2 - الـرّازيّ، ص 163-164؛ ابـن عبد المجيد، الورقة 4 وجه؛ الجَنَديّ، الورقـة 23 قفا؛ الخزرجيّ، ص 57-58. ابن الحسين، I، 83-84.

3 - الهمْدانيّ، صفة، ص110 و125؛ الإكليل، II، 237.

4 - الخزرجيّ، ص57-58.

5 - الرّازيّ، ص163؛ ابن عبد المجيد، الورقة 4 وجه.

6 - الرّازيّ، 163.

فاستُؤنِف النّظر في القضيّة، وخيّر يَعْلى الشّاكي، بين حلّين: إمّا أن يقتل ذلك الرّجل بشرط أن يدفع ديّته التي حدّدها لـه، وإمّا أن يتركه سالما. ولم يُرْض هذا الحكمُ الشّاكي فعزم على رفع أمره إلى الخليفة. وفي هذه المناسبة بالذّات كان عُمر قرّر عزل يَعلى وتعويضه بعامل آخر هو المغيرة بن شعبة. وفي المدينة يبدو أنّ ذلك الحكم الذي أصدره ابن أميّة أقرّه الفقهاء وبالخصوص عليّ الذي اشتهر بجودة معرفته بالأحكام والقضاء. وفي النّهاية، تراجع عمر عن عزل يعلى وأعاده إلى منصبه.

وتتعلّق القضيّة الثّانية التي حدثت وقائعها سنة 634/13 بجريمة قتل أيضا، اقترفتها امرأة تُدعى زينب، متواطئة مع عشّاقها، ضد ربيبها أَصيل[1]. وكان الدّاعي إلى القتل إرادتها إخفاءَ خطيئة زناها على زوجها (والد أصيل). وقد خُنِق الفتى أثناء نومه وأُلقي به في البئر (الدَّيْنُبَاذِي) الكائنة حسب الرّازيّ في النّاحية الشّرقيّة من غُمْدان، قرب بئر سام بن نوح[2]. وأوْهمت المرأة جميع النّاس في صنعاء بأنّ ربيبها الذي اختفى، يُرجّح أنّه قُتل. ولمّا أعلم يَعلى بالأمر، أمر الصّنعانيّين من أعلى المنبر في المسجد، أن يبذلوا كلّ ما في وسعهم للعثور على الفتى، إلى أن كان أحدهم مارّا أمام البئر التي ألقيت فيها جثّة الضّحيّة، فلاحظ أنّ ذبابا أخضر كان يتصاعد منها ثم ينزل في ذلك الموضع، وأنّ رائحة مُقزّزة كانت تصدر عنه. فأعلم الوالي الذي توجّه إلى تلك البئر صحبة الكثير من النّاس من بينهم أحد القتلة، وهناك تبيّنت القضيّة، فأُوقف القتلة، واعترفوا بجُرْمهم، وأُودِعوا السّجن في انتظار ردّ عمر على رسالة يعلى التي طلب فيها رأيه في الموضوع. وفي المدينة، جمع الخليفة القضاة، فكانوا على رأي واحد، وهو أنّ الجميع مذنبون، أي المرأة والرّجال السّبعة المتواطِئون معها، وأنّهم جميعا يستحقّون عقوبة الإعدام، وبذلك نفّذ فيهم يعلى ذلك الحكم وَقتلهم.

في الواقع، هاتان القضيّتان (القتل وَحْدَه، والقتل والزّنا) تثير بصفة محسوسة مشكلة إدارة الوالي الإقليميّ للقضاء في عهد عُمر، وإمكانيّة اللجوء إلى الخليفة، بصفته قاضي استئناف، في صورة حصول إشكال ما أو معارضة من قبل أحد المتقاضين.

ففي الحالة الأولى، رأينا الوالي يجمع وجهاء صنعاء وصلحائها[3] ويصدر حكمه أمام العُموم، ويُناول والد الضّحيّة سيفا لتنفيذ الحكم. وهذا يدلّ ضمنيّا على عدم

---

1 - انظر تفاصيل هذه القضيّة في كتاب الرّازيّ المذكور، ص 162 و451؛ الجَنَديّ، الورقة 23 قفا؛ الخزرجي، ص59-60؛ ابن الحُسَيْن، 84، I-85.

2 - الرّازيّ، ص160-451.

3 - ن.م، ص 161.

وجـود قـاض، وعلى أنّ الوالي كان يقوم مقامه، كما يـدلّ على عدم وجود صاحب شرطة مكلّف بتنفيذ الحكم الذي أصدره يَعْلى.

وفي الحالـة الثّانيـة، يفضّل الـوالي، أن يعرض عـلى الخليفة القضيّة اتّقـاءً لغضبه، فيتنـازل بذلك عن إحـدى صلاحيّاته الأساسـيّة وهي القضاء. فـكأنّ الخليفة في الحالتين هو المسـؤول الأوّل عن تنفيذ الأحكام، وعن القضاء بين رعاياه المسـلمين، بمن فيهم المقيمـين في أبعد أقاليم امبراطوريّته. وفي المقابل، فإنّ الوالي، حتّى في صورة جلوسـه للقضاء وإصداره أحكامـا، يبقى دوْما خاضعا لسـلطة الخليفة العليا الذي يعتبر الماسـك الحقيقـيّ بوظيفة القضاء، والوحيد الـذي كان في مقدوره أن يعقّب حكما ليستجيب إلى شكاوى المتقاضين وفي الآن نفسه لوضع حدّ لجميع التّجاوزات الممكنة في هذا المجال.

فكيف نفسّر هذا الحدّ من صلاحيّات الوالي وتحديدا في مجال القضاء؟

هل يعود ذلك إلى شـخصيّة عمـر القويّة جدّا وإرادته ممارسـةَ مهمّته كخليفة بأقصى ما يمكن من الصّرامة والإنصاف؟ أم نفكّر في عدم كفاءة الوالي في الجلوس للقضاء وإصدار الأحكام، على الأقلّ في تلك الفترة؟

وقـد جعل الماورديّ من ناحيته إدارة القضاء والجباية من مشـمولات الأمير الذي يكون على رأس ما يسـمّيه «الإمارة العامّة»[1]، وبالتّـالي، فإنّ ولاية اليمن كانت في عهد الخلفاء الرّاشـدين تنتمي إلى صنف «الإمارات الخاصّة» التي لم يكن لأصحابها غير صلاحيّات محدودة[2].

وهناك سؤال آخر جدير بالطّرح: هل كان يوجد في اليمن قضاة في عهد عُمر؟ ولماذا لم تذكرهم المصادر؟

يبـيّن الأخباريّ الرّازيّ أنّه كان يوجد في صنعاء في خلافة أبي بكر، إمام يُدعى عبـد الرّحمـان بن بُزرج، وقاضٍ، هو حَسَـك بن عبد الحميـد، وكان كلاهما من الأبناويّين المعروفين بتديّنهـم وتَقواهم وقراءتهم القرآن[3]، وهذا ما لا ينطبق على خلافة عُمـر رغـم أنّ الأخباريّ ابن خيّاط[4] يصنّف يعلى بن أميّـة ضمن قضاة اليمن. ويروي

1 - الماوَرْديّ، ن.م، ص30.

2 - ن.م.

3 - الرّازيّ، ص 294.

4 - ابن خيّاط، تاريخ، I، 196.

أبـو الفرج الأصفهانيّ من ناحيته[1]، عن رواية لابن شـبّة، قصّة أبي خُرَش الهُذَليّ الذي تـوفّي بلدغة حيّة، وكانت مجموعة من الحجيج اليمنيّين غير بعيدة عنه وقتَ الحادث. وبلغت هذه القصّة مسـامع عُمر، فكتب إلى عامله يَعْـلى على الأرجح، يأمره بإجبار اليمنيّين المذكورين بدفع دِيَة أبي خُرَش وبتسليط عقوبة عليهم لأنّهم تهاونوا بنجدته.

ويبـدو أنّ الأخباري اليمنيّ الرّازي، نقل الرّوايـات التي كان جمعها القاضي أبو يوسـف عن الخليفة عمر وعـن علاقته بعمّاله في الأقاليم[2]، وخاصّـة منها الأوامر التي أصدرها للولاة في رسـائل تكليفهم، هذا نصّها: «كان عمر إذا بعث عمّالَه كتب عليهـم كتابـا ألاّ يأكلوا نِقيًا، ولا يركبوا برذَوْنـا، ولا يغلّقوا أبوابهم دون حوائج النّاس»[3].

ويبيّن أبو يوسف كذلك أنّ مهمّة ولاة الأقاليم كانت تقتصر في تصوّر عمر، على الأعمال التي كان يُعنى شخصيّا بالتّذكير بها وقتَ تعيينهم[4]. وهي قبل كلّ شيء: «ثم يشيّعهم حتّى إذا أراد أن يرجع قال: «إنّي لم أسلّطكم على دماء المسلمين، ولا على أموالهم، ولا على أعراضهم، ولا على أبشارهم، ولكنّي بعثتكم لتقيموا الصّلاة، وتقسموا فَيْأهم بينهم، وتحكموا فيهم بالعدل. فإن أشْكل عليكم شيء فارفعوه إليّ»[5].

إذن، يمكن أن نسـتنتج من كلّ هذه النصوص لأبي يوسف والرّازيّ، أنّ الوالي في تصـوّر الخليفة عُمر، كان يتحمّل مسـؤوليّة العديد من المهـمّات التي كانت في الآن نفسـه دينيّة (إمامة الصّلاة وتلقين المسـلمين التّعاليم القرآنيّـة)، وجبائيّة (توزيع الغنائم عليهم)، وقضائيّة (إصدار الأحكام بكلّ إنصاف)، وحتّى أخلاقيّة (السّـهر على حياة الرّعايا وشرفهم وأرزاقهم). وكان الوالي مطالبا أيضا بإعلام الخليفة بتسييره ولو كلّفـه ذلك تحمّل العقوبـات في صورة ارتكابه تجاوزات خطـيرة أو أخطاء. وينبغـي أن يجعـل في هذا الإطار بالذّات عزل عمر لواليه عـلى صنعاء يَعْلى بن أميّة في مناسبتين. وهناك قضايا أخرى ذكرتها المصادر العربيّة[6]، أثارت غضب عمر العارم. فقد كان حريصا على ممارسـة رقابة صارمة ومتواصلة عـلى إدارة عمّاله للولايات في

---

1 - **الأغاني**، XX، ص 48.

2 - أبو يوسف، ص 123 وما بعدها؛ ابن سعْد، **طبقات**، III، 293 وما بعدها.

3 - الرّازيّ، ص 186.

4 - أبو يوسف، ص 128.

5 - الرّازيّ، ص186.

6 - انظر بخصوص الوالي المغيرة بن شُعبة المتهم بالزّنا: ابن خلّكان، **وفيّات الأعيان**، VI، 364-367.

المستوى القضائيّ وَ الجبائيّ وَ السّياسيّ والأخلاقيّ على حدّ سواء. وكان عمر لا يتردّد في التّدخّــل مباشرة في تــصرف الولاة. وبلغ به الأمر إلى توجيــه توصيات دقيقة إليهم تتّصل بمجال ما من مجالات اختصاصهم. فأمر سـعد الأعرج الذي ألحقه كمُصَدِّق[1] بيعلى بن قيس، ألاّ يشرع في توزيع الصّدقات إلاّ بعد أن يقسّم الأموال الخاضعة للأداء إلى ثلاثــة أثلاث، ويترك الخاضعين للجباية يختارون أحدها، ويقسّــم الثّلثين المتبقّين بين مســتحقّيها. ومن المفروض أنّ هذه الوظيفة الجبائيّة من مشــمولات الوالي أو أحد أعوانه، إلاّ أنّ عُمر أراد أن يبيّن لهم كيفيّة العمل حتّى لا يُظلم الخاضعون إلى الجباية ولا الأشــخاص الذين يســتفيدون من الصّدقات. ونقل أبو يوسف[2] أيضا الأمر الذي أصدره عمر إلى يعْلى كي يوظّف الخراج على الأراضي التي يملكها مسيحيّو نجران الذين رُحِّلوا إلى العراق حســب نســبة محدّدة. وقال له إنّه إذا كانت الأراضي تُســقى من الآبار (أي الأراضي المزروعة نخيلا وأشــجارا مثمرة أو حبوبا)، فينبغي أخذ ثلث المنتوج لفائدة الخليفة، وترك الثّلثين الآخرين إلى من يشغل الأراضي. أمّا إذا كانت الأراضي تُســقى بمياه الأمطار أو الجداول، فإن النّســبةَ تُعْكَس، فيبقى الثّلث إلى من يشغل الأرض ويرسل الثّلثان إلى الخليفة. ونذكر أمثلة أخرى تشهد على هذا الهاجس الثّابت عند عُمر بألاّ يترك عمّاله يتصرّفون بحريّة دون أن يتحمّلوا بطريقة أو بأخرى مراقبتــه أو على الأقلّ تدخّلــه في أيّ مجال من مجالات صلاحيّاتهــم. فالمصادر اليمنيّة[3] تذكر خاصّة الخلاف الذي كان بين شــقيق والي صنعاء (يعلى بن أميّة) عبد الرّحمان ويمنيّ كان باعه فرسا مقابل مائة ناقة أو اثني عشر ألف درهم، ثم أراد إلغاء الصّفقة ولكن دون جدوى. ولمّا أعلم الشّاكي عمر رأسا بالقضيّة، أمر بجلب عامله يَعلى إلى المدينة ليفسّر له الأمر. وبعد أن علم بارتفاع أســعار الخيْل في اليمن، طلب الخليفة من يَعْلى أن يوظّف من الآن فصاعدا بالنّســبة إلى الرّعايا المسلمين في ولايته شاة على كلّ قطيع غنم يبلغ أربعين رأسا، وأن يوظّف دينارا على كلّ فرس.

وينبغــي أن نلاحــظ أنّ هذه «الصّدقة» عــلى الخيْل غريبة نوعا مــا إذ كان الفقهاء المســلمون يؤكّدون أنّه لم تكــن توظّف صدقة لا على الخيل ولا عــلى البغال ولا على الحمــير إلاّ إذا كانت هذه الدوابّ موضوع صفقات تجاريّة[4]،محيلين إلى عديد الأحاديث النّبويّــة. ومهما كان الأمر فإنّ قرار عمر القاضي بتوظيف صدقة قيمتها دينار عن كلّ

1 - الرّازيّ، ص 295-296؛ ابن سلاّم، ص 712.

2 - أبو يوسف، ص 80 وص 92.

3 - ابن عبد المجيد، الورقة 4 قفا؛ الجندي، الورقة 23 قفا؛ الخزرجيّ، ص 58-59؛ ابن الحُسيْن، 84، I.

4 - ابن سلاّم، ص 435-574.

فرس كان إجراءً ظرفيّا مرتبطا بارتفاع أسعار الخيل في اليمن، ولا يطبّق إلاّ فيه. يبيّن هذا الخلاف الذي انتهى بعودة يَعْلى إلى عَمَله بصنعاء، أهمّية دور الوالي الجبائيّ، وفي الوقت نفسه يلفت انتباهنا إلى صرامة عُمر في المراقبة الشّديدة لتصرّف عمّاله ماليّا. وينبغي كذلك أن نذكّر بهذا الخصوص، بـ«مشاطرة» عمّاله بعد انتهاء مهامّهم في الولايات، جميعَ الأموال والممتلكات التي اكتسبوها. وقد لاحظ اليعقوبيّ[1] والمصادر الأخرى بهذا الصّدد أنّ هذا التصرّف كان يُمارس على الولاة يَعلى بن أميّة وعمرو بن العاص، والنّعمان بن بشير، وأبي هُرَيْرة، والنّعمان بن عَديّ بن حُرْطَان ونافع بن عمرو الخُزاعيّ، وسعد بن أبي وقّاص على التّوالي في عُمان ومصر وحمص والبحريْن ومكّة والكوفة[2].

ويستنتج من هذه الدّراسة لمختلف القضايا المتعلّقة بالإدارة الإقليميّة التي مارسها يعلى بن أميّة في اليمن في خلافة عمر، أنّ الوالي اليمنيّ كانت له صلاحيّات متعدّدة (إمامة الصّلاة، والجلوس للقضاء، وجباية الضّرائب، وحماية حياة المسلمين وممتلكاتهم، وتسيير الشّؤون اليوميّة وغيرها...)، وهو ما يذكّرنا بمضمون التّعليمات التي وجّهها الرّسول محمّد إلى عامله في نجران عمر بن حزم، وإن كانت تبدو هذه الصّلاحيّات في هذه الحالة محدودة جدّا بسبب ما يمكن تسميته بـ«الحقّ الخليفيّ». في الواقع يتعلّق التّحديد أساسا بالمجال القضائيّ الذي يعتبر المجال المفضّل لتدخّل السّلطة المركزيّة الممثّلة في شخص الخليفة نفسه. فالأمور تجري بالفعل وكأنه لا يحقّ لأيّ وال (أو عامل) أُسند إليه عدد من الوظائف، أن يتصرّف في ولايته (أو عَمَله) دون عقاب. فمهما كانت شخصيّته ودوره، فضلا عن موقع ولايته الجغرافيّ بالنّسبة إلى المدينة، فإنه يُدعى رأسا من قبل الخليفة لتبرير أعماله وتحمّل العقاب المناسب إذا ما ثبت حصول تجاوزات أو اعتراف بها. بعبارة أخرى، كان الحكم الإقليميّ في عهد الخلفاء الرّاشدين، وخاصّة في عهد عمر بن الخطّاب، تحت الرّقابة المباشرة للسّلطة المركزيّة المدينيّة، وكان الولاة مطالبين بإعلام الخليفة بطريقة تسييرهم باستمرار وبانتظام. وقد يلتجئون أحيانا إلى أسلوب تقديم الهدايا كالتي أرسلها ابن أبي ربيعة إلى عمر (عطور[3] وحُلل اليمن[4])، أو إلى عثمان (عبد حبشيّ)[5] ليس للتّعبير عن إخلاصهم لخليفة المدينة فحسب، بل لإظهار تبعيّتهم له.

---

1 - اليعقوبيّ، **تاريخ**، II، 157.

2 - ابن عبد الحكَم، **فتوح مصر**، ص 146-148؛ ابن سعد، **طبقات**، III، 307.

3 - الرّازيّ، ص 187؛ الجندي، الورقة 23؛ **الأغاني**، XXII، 329.

4 - الرازي، ص 55؛ ابن الطِّقطقة، **الفخري في الآداب السّلطانيّة والدّول الإسلاميّة**، بيروت، 1966، ص 29.

5 - **الأغاني**، XXII، 329.

إلاّ أنّ الأمور ستتطوّر وسنرى في عهد الأمويّين وحتّى في العصر العبّاسيّ، عدّة ولاة في اليمن يستفيدون في الآن نفسه من بُعد الولاية عن العاصمة (دمشق ثمّ بغداد)، ومن التّوسّع التّرابيّ الكبير للامبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة وكذلك من تنظيمها «البيروقراطيّ» الذي كان يزداد تعقيدا بمرور الزمن، فيوسّعون صلاحيّاتهم ويتخلّصون تدريجيّا من رقابة الخليفة المباشر، غير متردّدين في ارتكاب تجاوزات مختلفة وإثارة غضب رعاياهم، دون أن يقدر الحاكم على التّدخّل في الوقت المناسب لوضع حدّ لتصرّفاتهم تلك، إذ كان عمليّا محاصرا في بلاطه «بوسائط»[1] يمثّلون جملة من الموظّفين والأعوان.

4 - مساعدو ولاة اليمن في عهد الخلفاء الرّاشدين

وفي مستوى آخر، ينبغي أن ندقّق أمرا، وهو أنّ الوالي، أو العامل، أو الأمير، كان في الكثير من الأحيان مُحاطا بعدد من المساعدين الذين يساعدونه على إنجاز مختلف مهامّه، يحسن الآن أن نقدّمهم.

ففي خلافة أبي بكر كان يُوجد إمام وقاضٍ يختاران من بين الأبناويّين في صنعاء ويكلّفان بوظائف دينيّة وروحيّة أي قراءة القرآن ونشر التّعاليم الإسلاميّة بين الصّنعانيّين والمتساكنين الآخرين. ونلاحظ عَرضا أنّ هذا المثال يدلّ على بطء أسلمة اليمنيّين، كما نلاحظ وجود أعوان أو مندوبين آخرين للوالي في بعض بلدات عَمله، ونذكر عامل يَعْلى بن أميّة، وهو أسعد بن عبد الله الكنديّ، في مِخْلاف خُفَش ومِلْحَان[2]. فهل يتعلّق الأمر بحالة استثنائيّة؟ أم هذا يعني أنّ عامل صنعاء كان له أعوان ونوّاب في مختلف نواحي عمله وحتّى في مختلف مجالات حكمه؟ وتنصّ المصادر اليمنيّة على مساعد آخر ليعلى، ألا وهو سعد بن عبد الله بن غافل المعروف أكثر بلقبه «الأعرج»[3] الذي بعثه الخليفة عُمر إلى اليمن ليكون عضد والي صنعاء، وتحديدا ليهتمّ بجمع الصّدقات، ومن هنا جاءت تسميته «المُصَدّق». ومن المفيد أخيرا أن نذكر الحارثيّ عبد الله بن عبد المَدان الذي كان يهتمّ في ولاية عُبَيْد الله بن العبّاس، بحكم نجران[4].

---

1 - أخذنا هذه اللّفظة من معجم الإقطاع المستعمل في الغرب في العهد الإقطاعيّ.

2 - الرّازيّ، ص 163.

3 - الإصابة، II، ص 333؛ الجَنَديّ، الورقة 14 وجه.

4 - الطّبريّ، تاريخ، V، 139؛ المسعوديّ، مروج، III، 211.

فكلّ هذه الأمثلة تدلّ على وجود نواة من الأعضاد حول والي اليمن، إمّا في المستوى المركزيّ (قاض- إمام- مصدّق- في صنعاء نفسها)، أو في المستوى الجهويّ والمحلّيّ (أعوان أو عمّال في خُفَش ومِلْحان ونجران). ويعلمنا الأخباريّ الخَزْرَجيّ[1] أن يَعْلى بن أميّة كان له مواليه الذين ينجزون له، دون شكّ، أعمالا منزليّة في مختلف البيوت التي كان يملكها مع أسرته قريبا من جامع صنعاء الكبير[2]. ويمكن أن نذكر بهذا الصّدد الشكوى التي رفعها أحد الرّعايا اليمنيّين إلى الخليفة عُمر تتعلّق بالأضرار التي ألحقها به موالي يَعْلى. ويروي الخزرجيّ[3] أنّ عمر أمر واليه بالقدوم إلى المدينة لتوضيح تصرّف خَدَمه، إلاّ أن يَعلى لم يصِلْ إلى المدينة بسبب وفاة الخليفة، وعند عودته إلى صنعاء استقْبَلَه أهلُه بأنغام الطّبول والآلات الموسيقيّة، قبل أن يُقرّه عثمان في عمله[4].

ومن ناحية أخرى، فإنّ كلّ عامل من عمّال اليمن، سواء كان يعلى أو غيره، كان عليه عند مباشرة صلاحيّاته القضائيّة أن يجمع وجوه صنعاء، ليس بصفتهم معاونين بل على الأرجح بصفتهم شهودا وضامنين لسلطته.

عموما، كان يسيّر إدارة اليمن في عهد الخلفاء الرّاشدين وَالٍ يحمل لقب وال أو عامِل أو أمير، يُحيط به أعوان في المستوى المركزيّ والمحلّيّ على حدّ سواء. ولكن لابدّ من ملاحظة أنّ هذا الوالي، رغم كلّ الصلاحيات التي أُسْنِدت إليه، كان يشرف عليه مباشرة الخليفة المقيم في المدينة، في المستوى القضائيّ والجبائيّ على حدّ سواء. ينبغي أن ننتظر العصر الأمويّ وخاصة العبّاسيّ لنرى هذه الإدارة التي كانت في منتهى البساطة، تتضخم وتفرز موظّفين مختصين (قاض- مؤذّن – صاحب شرطة- صاحب البريد- الخ...)، يجعلون – أو على الأقلّ البعض منهم – على رأس دواوين حقيقيّة نجدها في صنعاء، عاصمة كامل الولاية، كما نجدها في المراكز الإداريّة الأخرى مثل الجند وعدَن وحضرموت.

1 - الخزرجيّ، ص 60.

2 - الرّازيّ، ص 165.

3 - الخزرجيّ، ص 60؛ الجنَديّ، الورقة 23 قفا؛ ابن عبد المجيد، الورقة 5 قفا؛ ابن الحسيْن، 85، I.

4 - انظر بخصوص الآلات الموسيقيّة ذات الخصوصيّة اليمنيّة: المسعودي، مروج، I، 129 وما بعدها.

II-تطوّر اليمن السّياسيّ في عهد الخلفاء الرّاشدين: «من الفتوح إلى الفتنة»، أو اليمن في مهبّ رياح الفتنة

إن أبرز حدث في تاريخ اليمن الدّاخليّ في عهد الخلفاء الرّاشدين كان الأمر الذي أصدره الخليفة عمر إلى عامله بصنعاء يَعْلى بن أميّة بترحيل مسيحيّي نجران من البلاد وتوجيههم خارج شبه الجزيرة العربيّة، سواء نحو العراق أو الشام[1]. ويندرج هذا القرار السّياسيّ البالغ الأهمّية في نطاق الإرادة التي عبّر عنها الرّسول محمّد قبل وفاته، بألاّ يعيش في الجزيرة العربيّة غير العرب المسلمين. «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»[2] ذلك هو الحديث المنسوب إلى رسول الإسلام. ويبدو أنّ الخليفة عمر بن الخطّاب استشهد به لتبرير إجراء ترحيل العرب غير المسلمين من الحجاز (يهود خَيْبر خاصّة) وكذلك من اليمن (هم في الواقع نصارى نجران)[3]. وكلّ عربيّ آخر يرغب في المحافظة على عقيدته اليهوديّة أو المسيحيّة، لم يكن له من خيار آخر غير مغادرة الجزيرة العربيّة والإقامة في الأقطار المفتوحة حديثا، وتحديدا في العراق والشّام وكلّ ولاية أخرى، وفي المقابل تُقْطِعه السّلطة المدينيّة بعض الأراضي.

وبذلك فإنّ نصارى نجران الذين استفادوا من معاهدة سلام عُقدت مع الرّسول محمّد وجدّدها أبو بكر[4]، أجبرهم عمر، في صورة رفضهم اعتناق الإسلام، على التخلّي عن أراضيهم وبيوتهم وكلّ أصناف الممتلكات الأخرى، والتحوّل إلى العراق حيث مُنِحوا بعض التّسهيلات وحتى الامتيازات المُغرية بصفتهم ذمّيّين[5]. وهذا الإجراء نفسه انطبق بالطّبع على يهود اليمن رغم أنّ المصادر لم تُسْهِب بخصوص هذا الموضوع. وبما أنّه سبق الإلحاح على شدّة عُمر القُصوى بخصوص التزام ولاته المطلق بتوصيّاته المتعلّقة بالجباية والقضاء والسّياسة، ليس من المفيد العودة إلى هذا الجانب.

ولا شيء في اليمن يميّز خلافة عثمان، باستثناء إقرار الواليَيْن السّابقين اللذين عيّنهما سلفه، وهما يَعْلى بن أميّة وعبد الله بن أبي ربيعة، وقد انكشف فيهما بعد انتصارهما البارز لعثمان. فمن المفيد إذن معرفة كيف تفاعل اليمنيّون مع مقتل الخليفة عثمان بن

1 - الطّبريّ، تاريخ، III، 446؛ ابن سلاّم، كتاب الأموال، ص 129.
2 - ابن سلاّم، ص 128.
3 - ن.م، ص 129.
4 - أبو يوسف، كتاب الخراج، ص 77-79.
5 - ن.م، ص 79-80.

عفّان في المدينة، وماذا كان موقفهم في الصّراع الذي كان بين الخليفة الجديد عليّ بن أبي طالب والمطالب بالخلافة معاوية بن أبي سفيان.

ولنا في الموضوع نصّ أساسيّ كتبه أخباريّ كوفيّ توفى سنة 283/ 896، هو أبو اسحاق إبراهيم محمّد الثّقفيّ، بعنوان **كتاب الغارات**[1]، وهو كتاب مخصّص للغارات السّياسيّة العسكريّة التي شنّها معاوية، في نطاق صراعه مع عليّ، ضدّ المناطق الحِزاميّة التي كانت تحت نفوذ خصمه. وذكر فيه مؤلّفه الثّقفيّ[2] في كثير من التّفصيل غارة بُسْر بن أبي أرطأة على الحجاز واليمن سنة 39/ 659، مُقدّما معلومات في منتهى الأهمّيّة عن الحياة السّياسيّة الدّاخليّة في اليمن في ذلك الوقت، وخاصة عن وجود «أحزاب» سياسيّة حقيقيّة مثل العثمانيّة وشيعة عليّ. ونقلت هذه المعلومات مصادر أخرى إمّا شيعيّة مثل ابن الأعثم الكوفيّ (القرن الثّالث)، وابن أبي حديد (القرن السّابع)، أو كلاسيكيّة مثل البلاذريّ والطّبريّ والبيّاسيّ وابن الأثير والنّويريّ، بأقلّ تفاصيل لا محالة، إلاّ أنّ رواية الثّقفيّ، وهي أكملها وأكثرها تفاصيل، ستمكّننا من مزيد بلورة هذه المسألة التي اعتُبرت إلى حدّ الآن مجرّد حدث عسكريّ عاديّ.

فلنتوقّف قليلا عند هذه الفتنة الأولى وبالخصوص عند مضاعفاتها السّياسيّة في ولاية اليمن.

1- الفتنة الأولى في بداية الإسلام ومضاعفاتها في اليمن[3]

ليس من الضروريّ العودة إلى جميع الأحداث التي طبعت الفترة الثّانية من خلافة عثمان والتي أفْضَت إلى مقتله سنة 35/ 655، من قِبل مجموعة من المتمرّدين الآفاقيّين الذين قدِموا من مصر ومن الكوفة والبصرة، إلاّ أنّه من المفيد أن نبرز الدّور المبكّر الذي لعبه يمنيّ من أصل يهوديّ هو عبد الله بن سبأ في مَجْرى هذه الأحداث. ويبدو أنه كان واحدا من ألَدِ خصوم عثمان، ومن المعارضين البارزين لسياسة المحسوبيّة التي كان ينتهجها لفائدة أهله من عشيرة بني أميّة. فالمصادر[4] تعتبر عمله الدّعائيّ ضد عثمان وضدّ الأمويّين خاصّة في أمصار العراق كالكوفة والبصرة، وكذلك في مصر نفسها، عاملا هامّا في اندلاع حركة التّمرّد الإقليميّة التي ستبلغ أوْجها

---

1 - الثّقفيّ، **الغارات**، ط. طهران، مجلّدان، 1395.

2 - ن.م، 591-663.

3 - انظر بخصوص هذه الفتنة الأولى: الطّبريّ، **تاريخ**، IV 330-396؛ البلاذريّ، **أنساب الأشراف**، V، 25-124. طه حسين، **الفتنة الكبرى**، I، عثمان، القاهرة، 1984. هـ. جعيّط، **الفتنة الكبرى** (بالفرنسيّة)، باريس، 1989.

4 - انظر خاصة: الطّبريّ، **تاريخ**، IV، 340-341.

خلال سنة 35/ 655 بحصار داره (يوم الدّار) الذي سرعان ما أفضى إلى اغتياله، وفي النّهاية إلى مبايعة عليّ في ظروف غامضة خليفة المسلمين الجديد[1].

واقترن اسم هذه الشّخصيّة المشاغبة من الدّرجة الأولى، بفرقة شيعيّة شهيرة ستعتبر في خلافة عليّ وبعدها من بين الفرق الأكثر تطرّفا إذ تدعو فيها تدعو إليه، إلى تأليه صهر الرّسول.

أ-الوضع السّياسيّ في اليمن غداة مقتل عثمان

وحالما بويع عليّ بالخلافة، عَمَد إلى تغيير جميع ولاة الأقاليم الذين عيّنهم سَلَفُه. وفي اليمن، عُوِّض الواليان يعْلى بن أميّة وعبد الله بن ربيعة، الأوّل بعبُيد الله بن العبّاس في صنعاء، والثّاني بسعيد بن سعْد بن عُبادة في الجند. إلاّ أنّ الواليَين المذكورين، ما إن علما بالخبر حتى سارعا إلى مغادرة منصبيْهما، حاملين معهما الكثير من المال والممتلكات، وبالخصوص محصول الجباية، والتحقا بمكّة. ولا نفسّر هذا الهروب المتعجّل لهذين الواليين إلا بأنّهما أبعد ما يكون عن مساندة ما آلت إليه الأحداث في المدينة سنة 35/ 655. وهذا دون شكّ هو السّبب الذي سيجعلنا نجدهما ضمن من ندّد بمقتل عثمان ودعا إلى الأخذ بثأره ومعاقبة قَتَلَتِه.

وقدّم يعْلى مساهمة هامّة[2] في الآن نفسه ماليّة، قيل إنّها بلغت أربعمائة[3] أو ستّمائة ألف دينار[4]، وتوفير الدّوابّ، والمقصود بها ستّمائة جَمل منها جَمل عائشة المسمّى «عسكر»، والرّجال، وقد ذكر رقم ستّين قرشيّا[5]، وشارك بصفة نشيطة في الكفاح العسكريّ الذي قرّره مؤخرا الثّلاثيّ المتكوّن من عائشة وطلحة والزّبير في مكّة، ضدّ الخليفة الجديد الذي كان يُتّهم بالتواطؤ مع قَتَلة عثمان أو على الأقلّ برفض معاقبتهم.

لماذا قدّم هذه المساعدة إلى خصوم عليّ؟ هل هي عداوة شخصيّة للخليفة الجديد الذي عزله منذ فترة قصيرة من منصبه في صنعاء؟ أم ينبغي أن نرى في ذلك، وكذلك في ما فعله زميله ابن ربيعة، موقفا سياسيّا صِرفا يترجم عاطفة خفيّة عند

1 – ن. م، ص427 وما بعدها.

2 – الطّبريّ، تاريخ، IV، 443؛ 450؛ 452؛ اليعقوبيّ، تاريخ، II، 181؛ المسعوديّ، مروج، III، 102؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب، IV، 1584-1587.

3 – هذا رأي اليعقوبيّ، تاريخ، II، 181.

4 – الطّبريّ، تاريخ، V، 450–451؛ الاستيعاب، IV، 1587.

5 – الاستيعاب، IV، 1587.

كثير من المسلمين، منهم أهل اليمن؟ الحقّ أنّ المصادر تنصّ بدقّة على أنّ عثمان كان أقرّ كلاّ من يعْلى وابن ربيعة عند تولّيه الخلافة في وظيفتيهما كواليَيْن في اليمن، الأوّل في صنعاء، والآخر في الجند. زيادة على ذلك، نلاحظ أنّ يعْلى كان من جهة مولى لبني عبد مناف، ومن جهة ثانية صهرَ الزّبير بن العوّام[1]. ويزعم الأخباريّ الأندلسيّ ابن عبد البرّ[2] أنّ يعلى غادر اليمن إلى مكّة ووصلها في ذي الحجّة سنة 35/ جوان 656 وشارك مع الثّلاثيّ عائشة وطلحة والزّبير في معركة الجمل قبل أن يُقتل سنة 38/ 658 في صفّين لمّا كان يقاتل في صفوف عليّ. وهذا التّأكيد يستغرب كثيرا لأنّه صادر عن شخصيّة مناصرة تماما لقضيّة عثمان، ولا تخوّل لها أصولها العائليّة والقبليّة تغيير موقفها بصفة فجئيّة.

ومن ناحية أخرى، فإنّ ذكر الثّقفيّ لوجود حزب مُوال لعثمان في اليمن وقتَ وصول بُسر، يدلّ على أنّه كان يوجد رعايا يمنيّون مناهضون لعليّ ومصرّون على معاقبة قَتَلة عثمان.

أمّا بخصوص عبد الله بن ربيعة، والي الجند في خلافة عمر وعثمان، فإنّ المصادر تذكر انضمامه المبكّر إلى صفّ عثمان منذ عيّن عمر الأوّل مجلس شورى مزعوم في نظره[3]. وقد غادر مكانَ عمله بمناسبة «يوم الدّار» لنجدة الخليفة المحاصَر في المدينة. ولكنّه ما إن وصل بيت نخلة قرب مكّة حتى أجبره سقوطه عن ظهر فرسه إلى التحوّل إلى أهله، وبعد ذلك انقطع ذكره تماما[4].ويضيف مؤلّف **الاستيعاب** أنّ هذا الحادث أَوْدَى بحياته[5].

ومن الثّابت أن هروب وَالِيَي اليمن يعلى وابن ربيعة سنة 655/35، إثر اغتيال عثمان وتعيين عليّ مكانَه، يدلّ على تعلّقهما بقضيّة الخليفة المقتول ويسمح بافتراض وجود خصوم لابن أبي طالب في اليمن، متشدّدين، في صلب حزب سياسيّ حقيقيّ، منظّم نوعا ما، يُسمّى «العثمانيّة»[6].

1 - ن.م.

2 - ن.م.

3 - الطّبريّ، **تاريخ**، IV، 233.

4 - البلاذريّ، **أنساب الأشراف**، V، 87.

5 - **الاستيعاب**، III، 897.

6 - الثّقفيّ، **الغارات**، II، 591 وما بعدها.

معنى ذلك أنّ اليمن سواء في مستوى الحكّام (مثل الواليين المذكورَيْن)، أو في مستوى المحكومين (أي سكّان الولاية)، كان معنيّا مباشرة بأحداث الفتنة، منذ الفتح العربيّ، في المدينتين المعسكرين البصرة والكوفة في العراق وفي بقيّة الولايات كالشّام ومصر[1].

ب-مضاعفات الفتنة الأولى في اليمن

كان للفتنة الأولى انعكاسات مباشرة على الحياة السّياسيّة اليمنيّة. فالمصادر الإسلاميّة، سواء كانت سنّية أو شيعيّة تشير إلى حضور عديد العناصر من أنصار عثمان في عديد مدن اليمن وخاصّة في صنعاء والجند، ولكن «بلا رأس ونظام»[2]. فهذه العناصر بايعت عليّا لا محالة بعد فترة قصيرة على تولّيه الخلافة بالمدينة، ولكن ذلك لم يمنعها من التّنديد بمقتل عثمان. وما إن كان تحكيم أَذْرُح لصالح معاوية حتّى صار عليّ مرفوضا حتّى في العراق وبدأ وضعه السّياسيّ والعسكريّ يتدهور بالفعل، خاصّة بعد غزو الشاميّين لمصر. وفي اليمن شجّعت هذه الأحداث «العثمانيّة» المذكورين، فبدؤوا يظهرون علانية و«أظهروا الخلافَ على عليّ[3]» وأنصاره. ويبدو أنّهم فعلوا ذلك بطريقتين: طالبوا بثأر عثمان ورفضوا دفع الصّدقات إلى أعوان عليّ في اليمن. فالأمر يتعلّق إذن بأدلّة ثابتة على وجود معارضة حقيقيّة لعليّ، في اليمن كما في الكثير من ولايات الامبراطوريّة مُرَكَّزة على ما تسمّيه المصادر بـ«العثمانيّة» ولم يتردّد أنصار عثمان هؤلاء من التصريح لوالي صنعاء العلويّ عبيد الله بن العبّاس بأنهم أقرّوا العزم على قتال قَتَلة عثمان، وهو ما دفعه إلى توبيخهم بشدّة لموقفهم الصّريح المناهض لعليّ ثم إلى إيقافهم وإيداعهم السجن[4].

ولمّا علم أنصار عثمان باعتقال أصحابهم في صنعاء رفعوا بدورهم راية التّمرّد مُجْبرين واليهم سعيد بن نِمران الهمْدانيّ على التّخلّي عن منصبه والبحث عن ملجَإ عند ابن العبّاس في صنعاء بالذات[5]. وتدلّ هذه الجزئيّة على أنّ العصيان الموجّه ضدّ عليّ بدأ ينتشر تدريجيّا في مراكز اليمن الرّئيسة وأنّ حزب «العثمانيّة» في الجند كان

---

1 - انظر في آخر فصل «يمنيو الأمصار ومراحل الفتنة».

2 - البلاذريّ، **أنساب**، II، 453؛ الثّقفيّ، **الغارات**، II، 593؛ ابن الأعثم، **الفتوح**، IV، 53؛ ابن أبي الحديد، **شرح**، II، ص3؛ البيّاسيّ، **الإعلام بحروب صدر الإسلام**، مخطوط القاهرة، رقم 399، الورقة 41.

3 - الثّقفيّ، ن.م، II، 593-594 ؛ ابن الأعثم، ن.م، VI، 53؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 3.

4 - الثّقفيّ،ن.م، II، 594.

5 - ن.م، ص 594.

مـن القوّة بمكان. وانضمّ أيضا إلى كلّ هـؤلاء المتمرّدين في صنعاء والجند، يَمَنِيّون آخـرون لم يكن لهـم بالضّرورة نفس الموقف السّـياسيّ (أي لم يكونـوا ينتمون إلى مجموعة «العثمانيّة») بل رفضوا دفع الصّدقة إلى أعوان الخليفة عليّ في الولاية[1] وحدث كلّ ذلـك وكأنّه كانت توجد في اليمن، وبالخصوص في مدينتي صنعاء والجند، مركزي الولاية السّياسـيَّين، معارضة كامنة لقضيّة عليّ وأنصاره، وهي معارضة لم تكن تنتظر غير ذريعة ما حتّى تظهر جليّة. ويبدو أنّ هذه الذّريعة تمثّلت في حبْس ابن العبّاس في صنعـاء لعدد من الوُجهاء اليمنيّين المناصرين للعثمانيّة والمطالبين بالثّأر لدم الخليفة المقتول.

ولم يـتردّد الأخباريّ الكوفيّ ابن الأعثم، رغم انحيازه الجليّ للشّـيعة، في تسـمية «شـيعة عثمان» ونسـبة إرادة الثّأرِ للخليفة المقتول ظلما إليهـم، وذلك بمعارضة عليّ معارضة مكشـوفة[2]. وفي هذا النّطاق بالـذّات، توجّهوا كتابيا إلى ابن العبّاس الذي سَـجَن منذ فترة قصيرة بعض أصحابهم، وطالبوه بالإفراج عنهم، وإن لم يفعل كفّوا عـن طاعتـه. وأثار رفض الـوالي لهذا الطلب حركة عصيان سـياسيّ عامّـة، رافقها الامتناع عن دفع الزّكاة.

كيف تطوّرت الأمور بعد ذلك؟

أمـام حركة التّمرّد هذه، وقد ازدادت خطرا، قـرّر والي صنعاء ابن العبّاس، بعد التّشاور مع زميله ابن نمران والي الجند، أن يُعلم الخليفة عليّا رأسا بالوجهة التي اتّخذها تطـوّر الأحداث، وأن يصف له بنفس المناسـبة العجز الـذي أصبحا عليه في مواجهة معارضة قويّة كانت رافضة للاستسلام[3].

وفي روايـة مِنَ الجليّ أنّها مناصرة للهَمْدانيّة وبالتّالي مشـكوك في صحّتها، نقلها رجـل يُدعى ودّاك الهَمْدانيّ[4]، وكان وقت وصـول وَالِيَي صنعاء والجند من اليمن إلى الكوفة صحبة الخليفة عليّ، أنّ ابن العبّاس وليس ابن نمران هو الذي كان على خطإ لمّا تخلّى عن الصّمود في وجه المتمرّدين ورَفض قتال الجنود الذين كان أرسـلهم معاوية على عجل إلى اليمن بقيادة بُسْر بن أبي أرطأة العامريّ.

---

1 - ن.م.

2 - ابن الأعثم، ن.م، IV، 55.

3 - ا الثّقفيّ، ن.م، II، 594.

4 - ابن أبي حديد، شرح، II، 3-4.

ومهـما كان الأمر، فـإنّ مواجهة عليّ لذلك الوضع الذي صـار يزداد يوما بعد آخر انشـغالا في اليمن كانت في البداية دبلوماسـيّة. فقد كتب رسالتين منفصلتين – حسـب الثّقفـيّ[1]- الأولى إلى عامليـه في صنعاء والجند، والثّانية رأسـا إلى المتمرّدين العثمانيّين في المدينتين.

وطلـب في الأولى من عامليه ابـن العبّاس وابن نمران[2] اللذيـن يعتبرهما مُذْنبيْن إذ جعلهما عدم تمييزهما السّـياسيّ يثـيران عصيانا خطيرا في اليمــن، أن يعرضا العفو على كلّ من يقبل وضع حدّ لتمرّده، وأن يتوعّد الآخرين، الرّافضين للاستسـلام، بعقاب شـديد. فهذه الوثيقة كما نقلها الثّقفيّ تبدو متّهمةً العاملين بعدم الكفاءة والصرامة، وهو ما سمح لحركة التّمرّد بالانتشار في الولاية، فصارت تهدّد الحضور العلويّ نفسه.

وفي روايـة لابن الكلبيّ[3]، أنّ السّـيّد الهمدانيّ يزيد بن قيـس الأرْحبيّ هو الذي نصح عليّا بأن يكتب رأسا إلى المتمرّدين.

وفي هذه الرسـالة الثّانية[4] التي سُلّمت إلى جَبْر بن نوْف أبي ودّاك[5]، يسلّمها بدوره إلى متمـرّدي صنعاء والجند، ندّد الخليفة عـلّي بتمرّدهم فاعتبره نقضا لبَيْعته، وحركة انْفِصَالِيّة تهدّد مؤسّسـة الخلافة نفسـها، ويدعوهم إلى الكفّ عن حركتهم، واعدا بالعفـو عن كلّ من يقبـل ذلك، متوعّـدا بالعقاب كلّ من يرفـض. وزيادة على ذلك، كلّف الرّسول أبا وَدّاك بإعلامهم بوصول وشيك إلى اليمن لجيش ضخم بقيادة يزيد بن قيس لكسْر التّمرّد والقضاء على المتمرّدين[6].

وتفاعـل المتمرّدون في صنعاء والجند مع رسـالة الخليفة هذه بطريقتين: أجابوا أنّهم باقـون على عهدهم بمبايعة عـليّ شرط أن يعزل عامليه ابن العبّـاس وابن نِمران. وفي الوقت نفسه اتّصلوا بمعاوية وأوعزوا إليه بأن يرسل إلى اليمن أميرا ليحكمهم[7].

سياسـيّا كان هـذا التّفاعل الحاذق لمتمـرّدي اليمن يعني أنهم كانـوا يتحدَّون عليّا، وأنّهم كانوا مسـتعدّين لمواجهته بالسّـلاح عند الاقتضاء، خاصة أنهم احتاطوا

1 الثّقفيّ، ن.م، II، 594-595؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 4-5.

2 – الثّقفيّ، ن.م، II، 594.

3 – ن.م، ص595؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 4-5.

4 – الثّقفيّ، ن.م، II، 595-596.

5 – البلاذريّ، أنساب، II، 453.

6 – الثّقفيّ، ن.م، II، 594.

7 – ن.م، ص597.

بمخاطبتهم معاوية في كنف السّرّيّة. أمّا الأخباريّ ابن الأعثم الكوفيّ فإنّه يبيّن أن متمرّدي صنعاء والجند أجابوا رسول عليّ إليهم، أنّهم باقون على العهد لبيعة عثمان، وأنّ لعليّ مطلق الحريّة في إرسال من يشاء[1]. فيبدو أنّ الخيار العسكري صار الحلّ الوحيد لهؤلاء وأولائك.

ولْنَرَ بالذّات كيف كان معاوية، وقد تحسّن وضعه السّياسيّ والعسكريّ كثيرا جدّا منذ «التّحكيم»، دعا إلى إرسال فيْلق إلى اليمن يتكوّن من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف رجل بقيادة بُسْر. وهو بالذّات ما اتّفقت جلّ المصادر العربيّة على تسميته بـ«غارة بُسْر».

2- غارة بُسر بن أرطأة العامريّ: مراحلها ونتائجها

من البديهيّ أنّ الشّاميّين، كانوا – كما ينصّ على ذلك الثّقفيّ[2]- على علم جيّدا بصعوبة الوضع الذي كان فيه عليّ، وبالخصوص عندما كان يريد حشد جنود للمحاربة بهم. وفي شقّ معاوية، كانت الآراء تختلف حول مخطط العمل. فالوليد بن عقبة، يبدو أنّه كان يساند القيام بعمليّة عسكريّة فوريّة ضد مدينة الكوفة نفسها. ويفسّر ابن أبي حديد[3] هذه العَجَلة في إرادة الحسم نهائيّا مع العراقيّين بالكره الشّديد الذي يكنّه الوليد لعليّ منذ معركة بدر التي قتِل فيها والده عقبة بن أبي مُعيط بيد عليّ بن أبي طالب نفسه. وينبغي التّذكير بأنّ الوليد الذي كان يشغل في خلافة عثمان منصب والي الكوفة، عُزل لأنّه كان يؤمّ الصّلاة في حالة سكر، وطبّق عليه الحدّ في المدينة بأن جُلِد أربعين جَلدة حَسَب ما أشار به عليّ بإلحاح[4]. معنى ذلك، أنّ هذه العداوة الدّفينة هي التي كانت الدّافع الأساسيّ لرغبته في نقل الحرب على عليّ وأنصاره إلى العراق ذاته. أمّا معاوية، فقد كان يرى أنّه لا يغادر مركز قيادته بالشّام بل يشنّ عَلَى مناطق التّخوم التي كانت تحت نفوذ عليّ، جملة من الغارات التي كان من شأنها في تصوّره أن تُنهِك خصومه، وفي الوقت نفسه تُضيّق الخناق على الكوفة مركز سلطة عليّ.

1 - ابن الأعثم، ن.م، VI، 55.

2 - الثّقفيّ، ن. م، II، 598-599.

3 - ابن أبي حديد، شرح، II، 8.

4 - الطّبريّ، تاريخ، IV، 271 وما بعدها.

فغـارة بُـسر على الحجاز واليمـن إذن تحقّق غايتين في نفـس الوقت: فهي من ناحيـة تعاضد العنـاصر العثمانيّة في اليمـن، وتحقّق ما كانـوا يَضْبون إليه كما عـبّر عن ذلك بيتان من الشّـعر نقلهما البلاذريّ[1] وجاءا على لسـان أحد شـيعة عثمان، ومن ناحية ثانيـة، تندرج تلك العمليّة في نطاق مـا اتّفقت المصادر على تسـميته بالغارات، أو السّرايا، أو الجيوش، وكلّها مبادرات عسـكرية وجّهها معاوية سنة 39/ 659 ضدّ المناطق الحدوديّة (أو أطراف عليّ)[2] لإخضاع السّكّان المحلّيّين لسـلطته، وإجبارهم عـلى دفع الصّدقات له واختبـار مدى مقاومة هذه المواقع المحصّنة بنفس المناسـبة. أما الغارات التـي حقّقت تلك الأهداف فهي التّالية: عيْن تّمر- حِيت- الأنبار- المدائـن- وَاقِصة- الثّعلبيّة- تدمر[3]- القُطْقُطانة- السّماوة- دُومة الجَنْدل[4].

وينبغي أن نبيّن بأنّ خطّة معاوية كانت خطّة ذات دهاء بما أنّها مكّنت من غزْو مصر. إجمالا، فإنّ غارة بُسْر، إذا قدّر لها أن تنجح، خاصة أن معاوية كان تحـت تصرّفه في اليمن وفي الحجاز أنصار متحمّسـون ومسـتعدّون لمسـاندته ضدّ شـيعة عليّ عسكريّا، فإنه قد يغنم منها كسْـبا ترابيّا هامّا جدّا.

فقبل أن يتوجّه بُسر إلى الحجاز واليمن، دعاه معاوية ليحدّد له الأهداف التالية[5]، حسـب المصادر: إخضاع المدينيّين والمكّيّين إلى سـلطته، وتلقي بيْعة الحجازيّين باسـمه، ونهْـب جميع ممتلكات كلّ من يُظنُّ أنه من أنصـار عليّ. وأوصاه أيضا أن يتّصل بمجـرّد وصوله إلى اليمن، بالعثمانيّة في صنعاء والجند، وقد كتبوا إليه مؤخرا، وأن يشرع بمسـاندتهم في شـنّ الحرب على شـيعة عليّ، ثـم يأخذ أكثر ما يمكـن من المال والممتلكات من السّـكان، ويقتـل كلّ من يرفض البَيْعة باسمه[6].

---

1 - البلاذريّ، **أنساب**، II، 453.

2 - انظـر بخصوص غارات معاوية: الطّبريّ، **تاريخ**، V133-138. وهو يسـتعمل لفـظ «غارات»؛ ابن الأثير، **الكامل**، III، 375-378. وهو يتكلّم بالأحرى عن «سَرَايا»؛ النّويريّ، **نهاية**، XX، 252-258.

3 - الطّبريّ، **تاريخ**، V، 133-138.

4 - ابن الأثير، **الكامل**، III، 379-381؛ النّويريّ، II، 256-258.

5 - الثّقفيّ، **ن.م**، II، 600 ؛ ابن أبي حديد، **شرح**، II، 7.

6 - البلاذريّ، **أنساب**، II، 454 ؛ الثّقفيّ، IV، 602 ؛ البيّاسي، الورقة 42.

أ-مسار بُسر

انطلق بُسر على رأس فَيْلق يضمّ حوالي ثلاثة آلاف رجل، ترك منهم أربعمائة في دَيْر مروان[1] (أو مُرّان)[2]، وهو دَيْر قرب دمشق، ثم توجّه إلى الحجاز بالألفين وستّمائة الجندي المتبقّين.

وكان بُسر يرغب في المحافظة على حيويّة الخيل إلى حدود المدينة مقصده الأوّل، فكان حسب ابن الكلبيّ[3]،يُعْنى بتغيير المركوب في كلّ مرحلة من مراحل غزوته، وذلك بالاستيلاء على الجِمال التي يجدها في طريقه قرب عيون الماء. وقُبَيل وصوله إلى المدينة، استقبل القضاعيون[4] بُسْرا وأصحابه، وزوّدوه بالمؤونة اللاّزمة لرجاله وركائبه. وفي ذلك الحين، فضّل والي المدينة العلويّ أبو أيّوب خالد بن زَيد الأنصاريّ[5] أن ينسحب إذ لم تكن له دون شكّ الوسائل العسكريّة للتصدّي للقوّات الشّاميّة. وما إن دخل بُسر المدينة، حتّى ألقى من أعلى منبر المسجد خطبة مشحونة بالتّهديدات المختلفة والشّتائم المتنوّعة للأنصار، وخاصّة منهم بني زُرَيق وبني النجّار، وبني سَلِمة وبني عبد الأشْهل، الذين نعتهم بأنّهم «يهود وأبناء العبيد»، واتّهمهم بتسهيل قتل عثمان[6]. وكان تدخّل صهره حُوَيْطِب بن عبد العزيز لفائدتهم، وفي رواية أخرى نقلها الوليد بن هشام[7]، كان تدخّل عبد الله بن الزّبير وأبي قيس، وهو رجل من بني عامر بن لُؤَي، عشيرة بُسْر، هو الذي جنّب أهل المدينة العقاب، وجعلهم يقبلون مبايعة معاوية[8]. ولنلاحظ عَرَضا موقف ابن الزّبير وعشيرة بني عامر المناهض للشّيعة.

وقبل أن يغادر بُسر المدينة، كلّف أبا هريرة بحكمها وكذلك بإمامة الصّلاة، وعمد إلى هدم عديد المساكن التي كان يظنّ أنّها على ملك أنصار عليّ وحرقها، منها بالخصوص دار رجل من بني عمرو بن عوف من الأوْس (زرارة بن جَرْوَل)، وكذلك

---

1 - ابن أبي حديد، شرح، II، 7.

2 - الثّقفيّ، ن.م، II، 600.

3 - ن.م، ص600.

4 - ن.م، ص602.

5 - البلاذريّ، أنساب، II، 454؛ الثّقفيّ، II، 602؛ البيّاسيّ، الورقة 42؛ الطّبريّ، تاريخ، IV ص 931، ابن الأثير، الكامل، III، 383.

6 - الطّبريّ، تاريخ، IV، 139.

7 - الثّقفيّ، ن.م، II، 607؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 11.

8 - الثّقفيّ، ن.م، II، 602؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 9-10؛ ابن الأعثم، فتوح، V 56-58.

بيت الوالي الأنصاريّ أبي أيّوب، والخزرجيّ رِفاعة الزُّرَيقيّ[1]. وإلى ذلك أمر بجلب سيّد بني سَلِمة جابر بن عبد الله، ليبايع معاوية وهدّده إن لم يفعل بالتّنكيل بأهل عشيرته[2].

وواصل بُسر اعتداءاته على العلويّين بقتل الكثير منهم، ونهب ممتلكاتهم، في طريقه بين المدينة ومكّة[3]. وأصاب أهلَ مكّة أنفسهم الذّعرُ من وصول جنود الشّام الوشيك، فأرادوا أن يتّقوا شرّ كيدهم المحتمل، فاحتاطوا للأمر وعيّنوا مكان الوالي العبّاسيّ قُثَم بن العبّاس، رجلا محايدا هو شَيبة بن عثمان الحَجَبيّ[4] أو العبدريّ[5]. إلاّ أن بُسْرا لم يستطع أن يملك نفسه عن ترهيبهم كما أوصاه معاوية[6]، وشَتْمهم قبل أن يقدّموا له بيّعتهم. ولكن لم تكن هناك في نهاية الأمر غير تهديدات شفويّة، لأنّ المكّيّين، خلافا للأنصار الذين كانوا يعتبرون – بحقّ – مناصرين للقضيّة العلويّة، لم يشاركوا بأيّ صيغة في مقتل عثمان، بل كانوا، باستثناء العشيرة الهاشميّة، بعيدين عن الميول العلويّة. ومع ذلك يزعم الأخباريّ ابن الأعثم[7] أنّ المكّيّين بايعوا معاوية مغتاظين لأنّهم كانوا في قرارة أنفسهم مستائين من تصرّف بُسر وجنوده المعادي للعلويّين.

وتروي المصادر[8] أيضا، أنّ القائد اليمنيّ أبا موسى الأشعريّ، سارع بمجرّد عودته إلى مكّة بعد مشاركته في أذرح في التّحكيم، إلى مغادرة المدينة حتّى لا يصيبه بُسْر بأذى. ويبدو أنّه كتب إلى أهل قبيلته في اليمن يعلمهم بأن وصول الجنود الشّاميّين إلى الولاية وشيك، وأن بُسرا يعتزم القضاء على جميع اليمنيّين الذين يرفضون الحكم الذي أصدره المُحَكّمون في أَذْرح لصالح معاوية.

وبعد مكّة، توقّف بُسر في مدينة الطّائف، ولولا تدخّل المغيرة بن شعبة[9] الذي يبدو أنّه اتّصل بالقائد العامِريّ ونَصحه بالابتعاد عن أهل قبيلته الثّقفيّين، لكان هؤلاء أيضا على وشك تسلّط أبشع الاعتداءات عليهم.

---

1 – الثّقفيّ، ن.م، II، 602.
2 – ن.م، 604-605.
3 – الثّقفيّ، ن.م، II، 608 ؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 7.
4 – الثّقفيّ، ن.م، II، 608.
5 – البلاذري، أنساب، II، 455.
6 – الثّقفيّ، ن.م، II، 600؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 7.
7 – ابن الأعثم، ن.م، IV، 61.
8 – الطّبريّ، تاريخ، IV، 139؛ البيّاسيّ، الورقة 42؛ ابن عساكر، تاريخ، ص23، النّويريّ، XX، 263.
9 – الثّقفيّ، ن.م، II، 608-609؛ ابن أبي حديد، 12، II؛ ابن الأعثم، ن.م، IV، 62 ؛ البلاذريّ، أنساب، II، 455.

وفي القرية المجاورة، تبالة[1]، أرسل بُسر أحد رجاله، وكان قرشيّا، ليقتل جميع العلويّين، ولكنّ هذا التّقتيل أُلغي بفضل تدخّل باهليّ اسمه مانع، وذلك خلافا لِما ذكره ابن الأعْثم[2].

وفي تثليث، ذُكر لنا مقتل أحد أنصار العلويّين يُدعى ذَو الحَبَى بن عبْدة[3].

وفي مدينة نجران، وُبّخ السّكّان بشدّة وشُتموا شتما مخجلا، ونُعتوا بأنّهم «مسيحيّون وأبناء قِردة»[4]، وقَتَل بُسر الوالي عبد الله بن عبد المدان[5]، وهو صِهر والي صنعاء، عُبَيْد الله ابن العبّاس، وابنه مالِكا وطفلين لم تتّفق المصادر على اسميهما فهما حسب اسحاق وتأكيد أبي سنان[6]، سليمان وداود ابنا عُبَيد الله بن العبّاس وجُوَيْريّة بنت خالد بن قُرَد الكِنانيّة، المكناة أم حكيم، التي سباها بُسر في بئر مَيْمون بن الحَضْرميّ إثر فرارهم من مكّة، وأمر بقتلهم.

وفي رواية أخرى، يزعم ابن مُساحق أنّهما بالأحرى قُثَم وعبد الرّحمان اللذين قُتلا في نفس الوقت الذي قُتل فيه الرّجل المكلّف بحمايتهما عند بني كِنانة بين الطّائف ونجران[7]. وأخيرا، تُشير رواية ثالثة إلى أنّ هذين الطِّفلين قُتلا مع اثنين وسبعين أبناويّا في صنعاء وتحديدا في بيت امرأة تُدعى أمّ النّعمان بنت بُزُرُج[8]. وهناك من يضيف أنّ أمّهما هي بنت عبد الله بن عبد المَدان تدعى عَائشة[9].

وواصل بُسر طريقه إلى اليمن، وتوقّف في بلاد همْدان بأرْحَب حيث تكفّل بقتل سيّد «هَمْدَانيي البادية»، وهو رجل يُدعى أبا كَرِب[10]، بسبب ميوله العلويّة (كانَ

---

1 - الثّقفيّ، ن. م، II، 610 ؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 12؛ ابن الأعثم، IV، 62.

2 - ابن الأعثم، ن.م، IV، 62.

3 - البلاذري، **أنساب**، II، 455.

4 - الثّقفيّ، ن. م، II، 616-617 ؛ ابن أبي حديد، **شرح**، II، 14-15.

5 - انظر بخصوص ابن عبد المَدان الحارثيّ؛ الثّقفيّ، ن. م، II، 915-917؛ ابن دريد، **الاشتقاق**، ص398.

6 - الثّقفيّ، ن. م، II، 611-612 ؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 13؛ ابن الأعثم، IV، 59.

7 - الثّقفيّ، ن. م، II، 614-615؛ ابن أبي حديد، **شرح**، II، 4؛ البلاذريّ، **أنساب**، II، 456 ؛ الطبَريّ، **تاريخ**، IV، 140.

8 - الثّقفيّ، ن. م، II، 616-621؛ ابن أبي حديد، شروح، II، 14؛ انظر أيضا الأخبار اليمنيّة التي احتفظت بهذه الرّواية: الخزرجيّ، **الكفاية**، ص63.

9 - البلاذريّ، **أنساب**، III، 58، تحقيق عبد العزيز الدّوريّ، يبيّن أنّ ابن العبّاس أنجب أربعة أطفال من زوجته عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان، وهم العبّاس وعبد الله وجعفر والعالية، وطفلين آخرين من امرأة تُدعى جُوَيْريّة الكنانيّة، هما عبد الرّحمان وقُثَم؛ ابن الأثير، **الكامل**، III، 383. انظر بخصوص مقتل هؤلاء الأطفال: **الأغاني**، XVI، 200؛ **مقاتل الطّالبيّين**، ص 65 ؛ النّويريّ، XI، 260 وما بعدها.

10 - الثّقفيّ، ن. م، II، 617-618 ؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 15؛ ابن الأعثم، ن. م، IV، 63.

يَتَشَيَّعُ). ويضيف النّويريّ تدقيقا آخر وهو أنّ القائد العامريّ هاجم الهَمدانيّين وسَبَى بعض نسـائهم اللاّئي يعتبرهنّ الجميع أولى المَشـبِيَّات المُسلمات في تاريخ الإسلام[1]. وهـذه الجزئيّة تؤكّد الهـدف الذي حدّده معاوية لبُسر، وهو ببسـاطة تصفية جميع العناصر العلويّة أو التي يُظنّ أنها علويّة، في الحجاز واليمن.

وفي صنعاء تكرّر المشهد نفسه[2]: فالواليان ابن العبّاس وابن نمران غادرا المدينة إلى العـراق، ولكنّ المُعَوِّض الثّقفيّ عمرو بن أراكة بن عبد الله الحارث بن حبيب قتله الجنود الشّاميّون لأنّه حاول الاعتراض بالقوّة على دخولهم المدينة[3]. وتذكر المصادر أيضا أنّه قتل شيخا أبناويّا في صنعاء وكذلك أعضاء وفد مأرب[4] الذين جاؤوا لمقابلة بُسر في المدينة. ويبدو، حسَب رواية لابن نوْفل[5] أنّ عثمانيةّ اليمن تحوّلوا إلى صنعاء لمساعدة بُسر وأصحابه في كفاحهم ضدّ العلويّين.

وفي ضـوء هذه الرّواية المفضّلة للثّقفيّ، والتـي أقرّتها في مجموعها المصادر السّـنيّة والشّـيعيّة على حدّ سـواء، يبدو أنّ القائد العامـريّ لم يواجه بمقاومة كبيرة من قِبل سـكّان صنعاء، باسـتثناء مجموعة «الأبناء» الذين سَـنُبَلْوِر لاحقا موقفهم وتصرّفهم إزاء غارة بُسر.

ب-بقيّة الغزوة الشّاميّة في اليمن

بعد صَنْعاء، تحرّكت الجيوش الشّـاميّة في اتّجاه مدينة جَيْشان حيث قُتِل جُزْء من شيعة عليّ أو اضْطُرُّوا إلى الفرار[6]. وكانت آخر وُجْهة بلغها بُسْر هي حضرموت[7]،قبل أن يرى نفسـه مُضْطَرّا للعودة إلى الشّـام على عَجَل ليُفلت مـن الجيوش العراقيّة التي كان عليّ أرسلها لملاحقته.

---

1 - النّويْريّ، 263، XX.

2 - الثقفـيّ، ن.م، II، 618-619؛ ابـن أبي حديد، شرح، II، 15-16؛ البلاذريّ، أنسـاب، II، 456؛ ابن الأعثم، IV، 63-64.

3 - الخزرجـيّ، ص62 ؛ المدائنيّ، كتاب التعـازي؛ النّجف، 1971، ص 25-36؛ الثّقفيّ، II، 618-619؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 15.

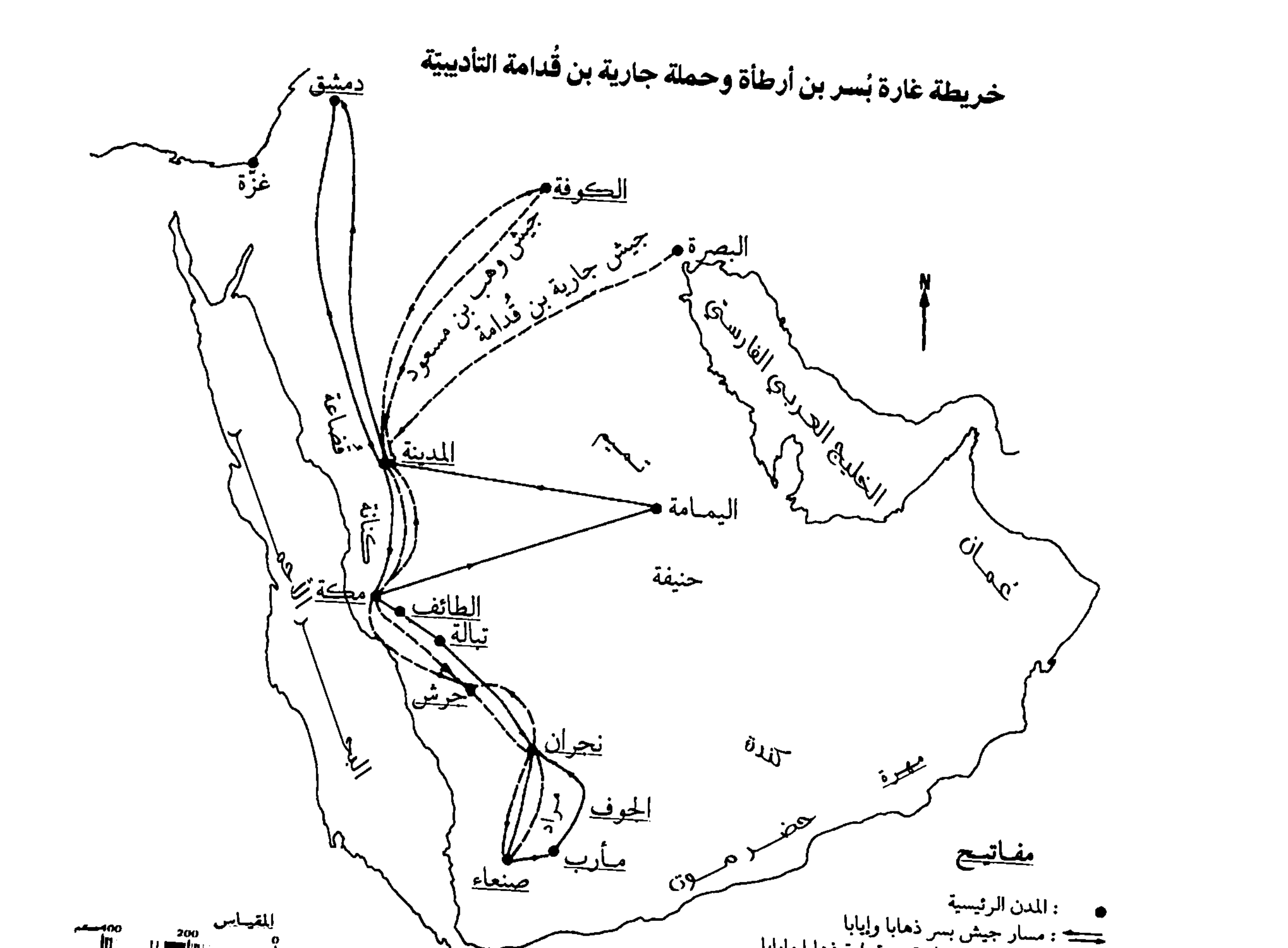
4 - الثّقفيّ، ن.م، II، 619 ؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 15.

5 - الثّقفيّ، ن.م، II، 619.

6 - ن.م، 620؛ ابن أبي حديد، 16، II؛ ابن الأعثم، ن.م، IV، 63.

7 - الثّقفيّ، ن.م، II، 629 وما بعدها ؛ ابن الأعثم، ن.م، IV، 64 وما بعدها.

خريطة غارة بُسر بن أرطأة وحملة جارية بن قُدامة التأديبية



وكانت حضرموت، حسب الثّقفيّ[1] مقسّمة إلى أحزاب وشيع، بعضها من العثمانيّة ويشمل نصف البلاد تقريبا[2]، وبعضها الآخر من أنصار عليّ مثل القَيْل عبد الله بن ثَوَابَة[3].

وكان الوجيه الحَضْرَميّ وائل بن حُجْر المعروف بميوله العثمانيّة والذي كان غادر الكوفة بموافقة عليّ[4] للعودة إلى مسقط رأسه، هو الذي طلب من بُسْر القدوم إلى حضرموت وتصفية جميع أنصار الخليفة عليّ فيها[5].

ويضيف ابن الكلبيّ أنّ وائل اتّصل ببُسر ونصحه بالتخلّص منذ وصوله إلى البلد، من القَيْل الحَضْرميّ بن ثوابة الذي يبدو أنّه كان يُقيم في قلعة يعود تاريخ بنائها إلى عهد الاحتلال الحَبَشيّ[6]. فقتل بُسر غدرا القَيْل المذكور، واستغلّ فعلته تلك ليَسْتَوْلي على أملاكه وعلى مقدار ماليّ يُقدّر بمائة وخمسين دينارا[7].

وانتهت غارة بُسر في حضرموت وتحديدا منذ عَلِم القائد العامريّ أنّ الخليفة عليّا أرسل لمطاردته كتيبة من الخيّالة تضمّ أربعة آلاف رجل بقيادة القائد السّعديّ جارية بن قُدامه[8]. فغادر بُسر حضْرموت على عجل للإفلات من مُطارديه، ليس من الطّريق السّاحليّة التي كانت في منتهى الخطورة بالنّسبة إلى جنوده، بل عبْر الجوْف[9]، ليبلغ الحجاز أوّلا، ثم يرحل إلى الشّام.

ج-غزوة جارية بن قدامة التّأديبيّة ونهاية غارة بُسر

نعود إلى رواية الثّقفيّ ونشير في البداية إلى أنّ رواية ابن الكلبيّ وأبي مخنف[10] تنصّ على أنّ عليّا علم في الكوفة بالذّات بغارة بُسر على الحجاز واليمن. وقد نقل

---

1 - الثّقفيّ، ن.م، II، 630.

2 - ن.م، ص629.

3 - ن.م.

4 - البلاذريّ، أنساب، II، 458؛ الثّقفيّ، II، 630.

5 - الثّقفيّ، ن.م، II، 629

6 - ن.م، 630.

7 - ن.م، 631.

8 - الطّبريّ، تاريخ، IV، 140؛ الثّقفيّ، ن.م، II، 623 و627؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 16؛ ابن الأثير، الكامل، III، 384؛ الخزرجيّ، ص63.

9 - الثّقفيّ، ن.م، II، 632.

10 - ن.م، ص622 ؛ البلاذريّ، أنساب، II، 455 و458؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 16.

إليه الخبر هَمْدانيّ يُدعى قيس بن زُرَارة بن عمرو بن خِياط الذي يعتبره البلاذُريّ[1] جاسوسا علويّا مُقيما في الشّام. ولمنع تحقيق هدف تلك الغارة، قرّر عليّ تعبئة جنوده وتكليفهم بملاحقة الشّاميّين حيثما ذهبوا. وهكذا وجّه من أعلى منبر مسجد الكوفة[2] دعوة للتّعبئة ولكنّها كانت فاشلة، وهو ما يدلّ على الصّعوبات الحقيقيّة التي كانت تعترض عليّا في علاقته مع أصحابه الذين يبدو أنّهم سئموا القتال وصاروا لا يبالون بأيّ عمل عسكريّ بعيد.

ويُروى أنّ السّيّد الأزديّ بُرْدة بن عوف، بلغ به الأمر إلى أن يُوعِزَ لعليّ بأن يقود بنفسه غزوة تأديبيّة[3] ضد بُسر وجنوده الشّاميّين، إلاّ أنّه استبعد هذه الفكرة بقوّة.

وفي النّهاية، اقترح القائدان جارية بن قُدامة السّعدي ووهب بن مسعود الخَثْعَميّ[4] على عليّ أن يجمع فرقا من الجند وأن يتعقّب خُطى الشّاميّين لترحيلهم من الحجاز واليمن.

وهكذا تمّ انتداب أربعة آلاف الجنديّ، جنّد منهم جارية ألفين في البصرة وجنّد وهب ألفين آخرين في الكوفة[5] ثم أمر القائدان بالالتقاء في الحجاز مع رجالهما الذين قد يكونون وُضعوا تحت قيادة جارية الموحّدة. وحافظ الثّقفيّ على مضمون الرّسالة التي سلّمها الخليفة عليّ إلى عبد الرّحمان بن عُبَيد[6] كي يبلّغها بدوره إلى قائديْه بعد التقائهما في الحجاز. وفيها جملة من التّعليمات المكتوبة والموجّهة إلى القائد العامّ جارية تتعلّق بالتّصرّفات التي ينبغي القيام بها[7]. فقد أمر عليّ بالخصوص بعدم سوء معاملة النّاس الذين يعترضهم في طريقه، وألاّ يصادر الرّكائب، وألاّ يتزوّد بالماء إلاّ بعد موافقة أصحاب العيون، وألاّ يشتم المسلمين أو يسُبّهم، وألاّ يظلم من عقد معاهدات مع المسلمين (هل يقصد أهل الذّمّة وتحديدا نصارى نجران؟) وأن يحترم بدقّة أوقات الصّلاة.

عموما، هذه الأوامر تسير في الاتّجاه المعاكس تماما للتّعليمات التي وجّهها معاوية إلى قائده بُسر عند إرساله إلى الجزيرة العربيّة. فكأنّ الثّقفيّ الذي لا يُخفي ميولَه الشّيعيّة وكذلك ابن الأَعْثَم وابن أبي حديد وحتّى اليعقوبيّ الذي يذكر هذه

---

1 - البلاذريّ، أنساب، II، 458.

2 - انظر نص هاتين الخطبتين الوعظيّتين في كتاب ابن الأعثم، ن.م، IV، 66-68.

3 - الثّقفيّ، ن.م، II، 625-626. انظر بخصوص بُردة بن عوف: نصر بن مُزاحم، ص. 7-11 و297.

4 -الثّقفيّ، ن.م، II، 623 و627 ؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 16؛ البيّاسيّ، الورقة 42 و43.

5 -الثّقفيّ، ن.م، II،627.

6 - ن.م.

7 - اليعقوبيّ، تاريخ، II، الثّقفيّ، ن.م، II، 628؛ ابن الأعثم، ن.م، IV، 69.

الرّسالة، كانوا يريدون أن يُبْرزوا التّعارض التّامّ وشبه المانويّ، بين مبادئ عليّ (الطّيبة والعـدل والتّقوى)، وطرقه (الإقناع والاحترام والإنصـاف) من جهة، ومبادئ معاوية (الخبث والظّلم وعدم التّقوى وكذلك القوّة والتّرهيب والتّقتيل) من جهة ثانية.

عسـكريّا، من نافل القول الإشارة إلى أنّ الهدف الذي حدّده عليّ لجارية ورجاله كان ملاحقة الجنود الشّاميّين ودَفْعهم خارجَ ولايتي الحجاز واليمن.

كيف سارت الأمور؟

ينبغي قبل كلّ شيء أن ندقّق أمرا وهو أنّ القائد العلويّ احترم بدقّة تعليمات عليّ طيلة الطّريق التي أوْصَلَتْه إلى الحجاز واليمن، ولم يُنكّل بأيّ كان دون سبب مقبول، باستثناء مجموعة من الأشخاص الذين أمر بقتلهم بسبب رِدَّتهم[1].

أمّا في اليمن نفسه، فإنّ العثمانيّة (أو شيعة عثمان) طُورِدوا في الجبال التي لجؤوا إليها وقتّلهم جنود جارية[2].

وبخصوص بُسر وأصحابه الشاميّين، فقد غادروا على عجَل حَضْرَمَوْت عبر طريق الجَوف ثـم مالوا من مكّة إلى ناحية اليمامة[3]حتّى لا يُجْبَروا على مجابهة الجيش العراقي. ويؤكّد الهَمْدانيّ[4] وجود طريق تربط مباشرة بين حضرموت وشـمال اليمن والحجاز؛ وهـذه الطّريق التي تمرّ بمَأرب وجوْف هَمْدان ثـم نجران لابدّ أن تَعْبُر قرية عَبْر. فهذه الطّريق الدّاخليّة هي التي سـار فيها بُسر في الإيّاب عِوضا عن الطّريق السّـاحليّة التي اتّبَعَها في الذّهاب. ويُعْلِمنا الثّقفيّ[5] أيضا أنّ السّيّد التّميميّ ابن مُجّاعَة بن مُرارة، اقترح على بُسر أن يصحَبه إلى دمشـق لمبايعة معاوية باسم قبيلته وذلك حتّى لا يعرّض قومه الذين يبدو أنّهم لم يبايعوا أحدا بعد مقتل عثمان وبقوا بقيادة القاسـم بن وبرة، للتّقتيل وسوء المعاملة من قِبل جنود بُسر. ثم اتّخذ بُسْر طريق السّماوة إلى دمشق[6].

ونعـود إلى جاريـة لنلاحظ أنّـه لم يتمكّن من اعتراض جيوش بُـسْر، فتوقّف في جُـرَش[7] لينـال نصيبا من الرّاحة مع رجاله قبل أن يواصل سـيْره. ولمّـا بلغه خبر وفاة

1 - الثّقفيّ، ن. م، II، 624.

2 - ن. م، ص 632؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 16؛ البيّاسيّ، الورقة 42؛ المسعودي، مروج، III، 211-212.

3 - الثّقفيّ، ن. م، II، 638 ؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 16.

4 - الهمدانيّ، صفة، ص167.

5 - الثّقفيّ، ن. م، II، 643؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 16-17.

6 - الثّقفيّ، ن. م، II، 639.

7 - الثّقفيّ، ن. م، II، 633 و638؛ ابن أبي حديد، شرح، II، ص 16.

الخليفة عـلّي[1]، التحق على عَجَل بمكّة[2] والمدينة حيث توقّف ليتقبّل البَيْعة للحَسَـن[3] قبل أن يعود رأسا إلى الكوفة.

وهكذا انتهت تلك الملاحقة التي مكّنت جارية من إعادة السّيطرة العلويّة على إمارات الحجاز واليمن التي كانت تحوّلت في حَملة الشّاميّين إلى سلطة معاوية.

إلاّ أنّ تلـك الغزوة التّأديبيّـة التي قام بها ابن قُدامة، لم تُفْـض إلى نتيجة دائمة إذ أفضى عزل الحسن نفسه وتولية معاوية إلى اعتراف كلّ ولايات الاَمبراطوريّة، بما فيها الحجاز واليمن، بالسّلطة الأمويّة وبممثّلها في دمشق[4].

وقبـل أن نحلّل حصيلة غارة بُسر في اليمن، نتوقّف قليلا عند روايتي الثّقفيّ وابن الأَعْثم.

إنّ مـا لفت انتباهنا في رواية الثّقفيّ، ليس أسـلوبها القَصَصيّ وانحياز مؤلّفها، بل مدّنا بإشـارات طريفة جدّا لا توجد عمليّا في المصادر الإسـلاميّة الأخرى، خاصّة ما يتعلّـق بالوضع السّـياسيّ في اليمن أثناء الفتنة. فقد مكّنتنا مـن أن نعرف أنّه كان يوجـد في الولايـة، في خلافة عليّ، مجموعات سياسـيّة حقيقيّة، إمّا مـن العثمانيّة (في صنعـاء والجنـد ونجران وحضرموت، فضلا عن مدن الحجـاز مثل الطّائف)، أو من شـيعة عليّ (وبالخصـوص في تُبالـة وبلَد هَمْدان وصنعـاء وتَثْلِيث وجَيْشـان ومأرب وحضرموت، وكذلك في المدينة). فما أجمل هذا المشهد الجغرافيّ السّياسيّ ! وتصف لنا هذه القصّة بدقّة كلّ مراحل الغارة بما يصحبها من أعمال النّهب، والدّمار، وحرق الدّيار والممتلكات، وتقتيل جميع الأشـخاص الذين تشتمّ منهم رائحة التّعاطف مع عليّ بن أبي طالب. ويسّر لنا وصف كهذا بصفة غير مباشرة معرفة توزيع شـيعة عليّ الجغـرافيّ وأخيرا أمكن لنا بفضل هذه القصّة المفصّلة أن نعيد تركيب مسـار بُسر وجيشـه بدقّة، سـواء في الذّهاب (دمشـق – دَيْر مروان- بلاد قُضاعَة-المدينة- بلاد كِنانـة- مكّة- الطّائف- تُبالـة- تثليث- نجران- بلاد همْدان- صنعاء- جَيْشـان- حضرمـوت)، أو في الإيّاب (حضرموت- طريـق الجَوْف – مكّة- اليمامة- المدينة – السّماوة- دمشق).

---

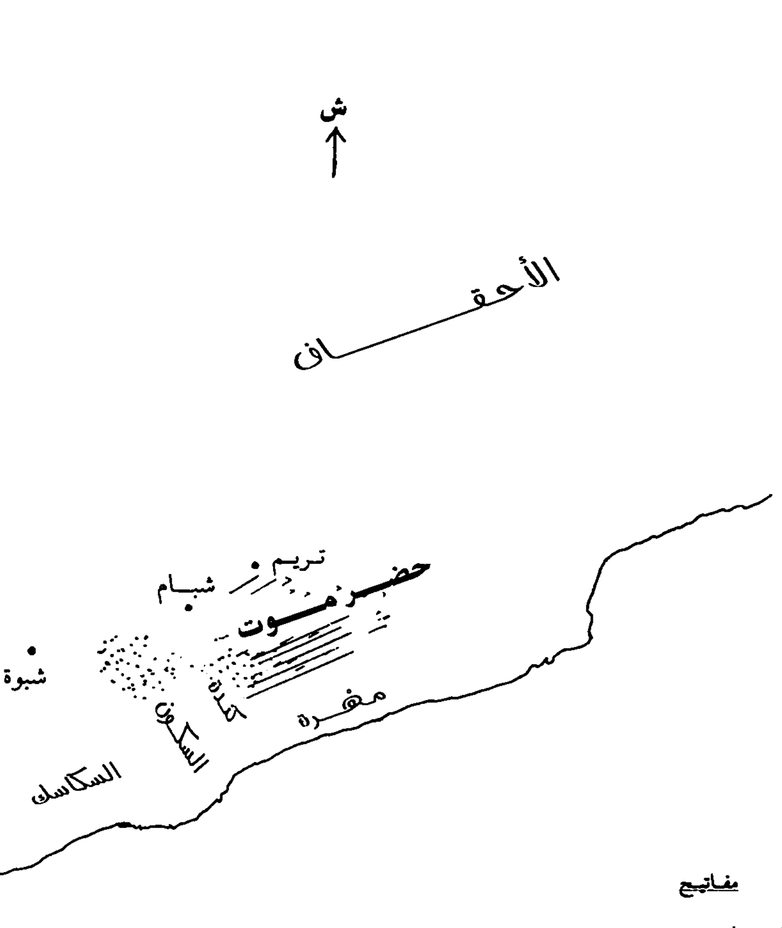
1 - الثّقفيّ، ن. م، II، 640.

2 - ن. م، ص 63. الطّبريّ، تاريخ، IV، 140 ؛ البلاذريّ، أنساب، II، 458.

3 - الثّقفيّ، ن. م، II، 639 ؛ الطّبريّ، تاريخ، IV، 140.

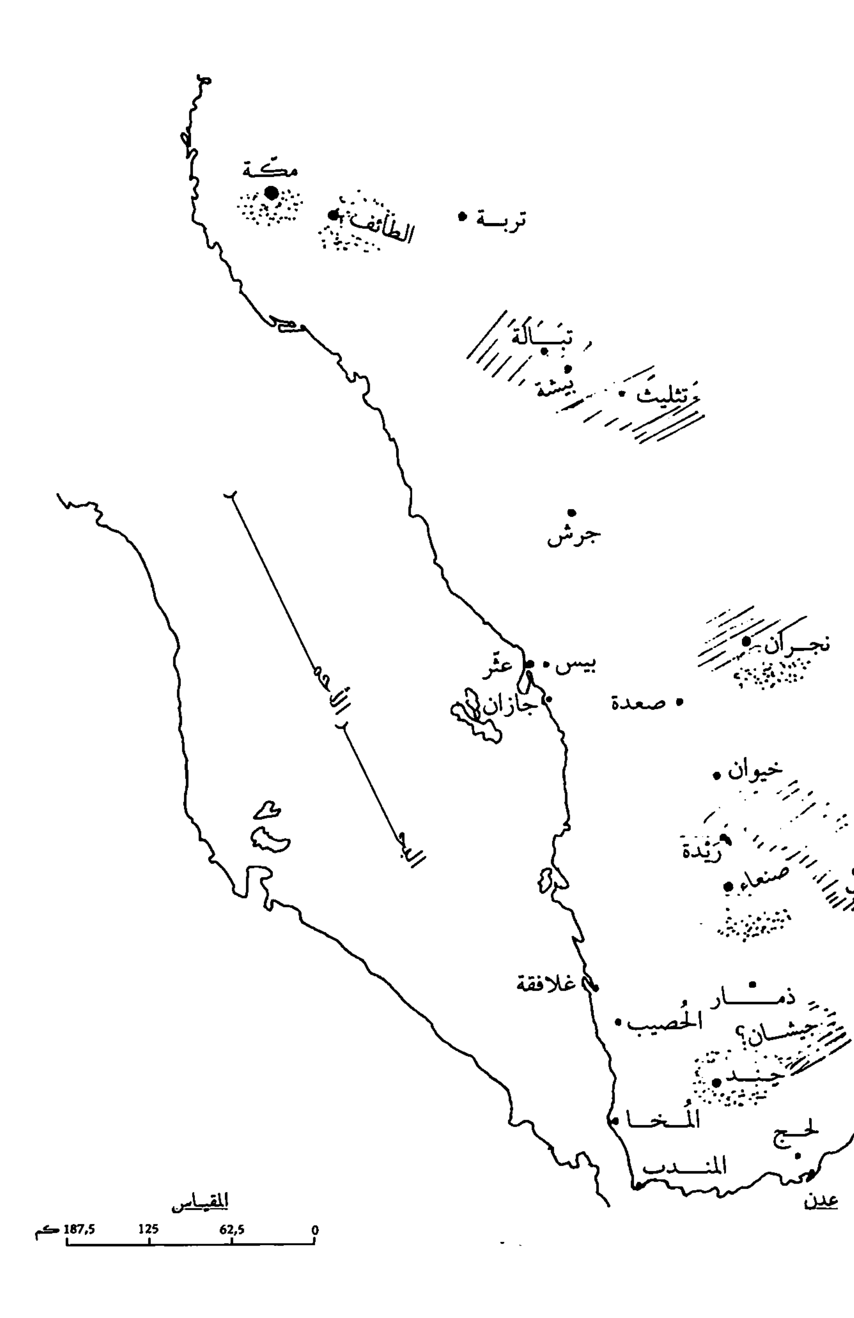
4 - انظر بخصوص معاهدة السّلام التي وقّعها معاوية مع الحسن بن علي: الطّبريّ، تاريخ، IV، 162-163.

خريطة الجغرافيا السياسيّة لليمن سنتي 39-40/ 659-660



مفاتيح

: أنصار عثمان
: أنصار عليّ
: مدن وقُرى



مكّة
الطائف
تربة
تبالة
بيشة
تثليث
جرش
نجران
بيس
عثر
جازان
صعدة
خيوان
رَيْدة
صنعاء
غلافقة
ذمار
الحُصيب
جيشان؟
جند
المُخا
لحج
المندب
عدن
المقياس
كم 187,5
125
62,5
0

وهذا ما يوجد في رواية ابن الأعثم[1] الذي قدّم لنا في الكثير من الأحيان إشارات تنطق عن الهَوى وخالية من المصداقيّة، مثل ذلك: القتال المزعوم بين جنود بُسر وفيْلق متكوّن من ألف رجل بقيادة عُبَيد الله بن العبّاس بين اليمامة والشّام؛ موت بُسر؛ البيعة التي تلقّاها جارية بن قدامة في مدينتي الحجاز المقدّستين باسم عليّ؛ عودة جارية إلى الكوفة كلّ هذا قبل مقتل الخليفة، في حين أنّ كلّ هذه الوقائع خاطئة وهو ما يجعل هذه الشّهادة للأخباريّ الكوفيّ ابن الأَعثم غير ثابتة وفي منتهى الهشاشة مقارنة بمعطيات المصادر الأخرى.

د-حصيلة غارة بُسر وغزوة جارية التّأديبيّة في اليمن

تقدّر المصادر الشّيعيّة (الثقفي، وابن الأعْثم، وابن أبي حديد)[2]، عدد أنصار عليّ الذي قُتِلوا في الحجاز واليمن من قبل الفرق العسكريّة الشّاميّة بقيادة بُسر بن أبي أرطأة، بثلاثين ألف شخص. وحتّى إن بدا هذا الرّقم للوهلة الأولى مضخّما جدّا، فإن غارة بُسر، في نظر الطّبريّ الذي يتحدّث عن عدد كبير من الضّحايا في صفوف شيعة عليّ[3]، كلّفت غاليا من حيث الأرواح البشريّة، فضلا بالطّبع عن أعمال النّهب والتّدمير والحرق التي شملت ممتلكات الضّحايا وأموالهم في عديد البُلْدان اليمنيّة.

فلا يُستَغرب إذن أنّ المصادر اليمنيّة المتأخّرة[4] (الجَنَدي، وابن عبد المجيد، والخزرجيّ، وابن الديبع، وبَامَخْرَمة وغيرهم) التي ذكرت هذه الغارة، ألحّت كثيرا على التّجاوزات والأضرار التي ألحقها الشّاميّون بالبلاد، مضيفةً معلومات أخرى عن سيْر الغزوة وردود الفعل المحليّة التي أثارتها. فقد ذكرت لنا قبل أنّ عامل صنعاء عبيد الله بن العبّاس، خلافا لما نقلته المصادر الشيعيّة، كان جمع وقتَ وصول الشّاميّين، سكّان المدينة لتنظيم المقاومة بمساعدتهم، إلاّ أنّ أحد الأعيان الأبناويّين وهو فيروز الدّيلميّ[5] جعله يغيّر رأيه، لذلك فضّل الالتحاق بعليّ في الكوفة تاركا مكانه لعامِل ثقفيّ هو عمرو بن أراكة. ومن ناحية أخرى، هناك من يبيّن أنّ الهمْدانيّين لجَؤوا إلى مرتفعات شِبَم شمال غربيّ صنعاء، حتّى لا يضْطَرّوا لقتال جنود

---

1 - ابن الأعثم، ن.م، IV، 70-69 .

2 - ن. م، ص 69؛ الثّقفي، ن. م، II، 630 ابن أبي حديد، شرح، II، 17.

3 - الطّبريّ، تاريخ، IV، 140.

4 - الجنديّ، السلوك، الورقة 25؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزّمان، الورقة 5 قفا.

5 - الخزرجيّ، ص 62.

بُسر[1]، ومنهم من يتحدّث أيضا عن قتل بُسر اثنين وسبعين أبناويّا وطفلين لعبيْد الله بن العبّاس[2]. نضيف إلى كلّ هذا ما أشار إليه الهمْدانيّ[3] من أنّ الوجيه الحِمْيريّ شرحبيل بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصّبّاح، جرّدهُ بُسر من ممتلكاته الكائنة في وادي ظَهْـر ورُعَـيْن والرَّحَبة لأنّه رفض أن يزوّجه ابنتـه، وأنّ تفقير عائلة بني أبْرَهة يعود إلى هذا. فهذا مثال آخر دالّ على النّتائج المأسويّة لغارة بُسر على اليَمن.

إجمـالا، فـإنّ الأخباريّين اليمنيّـين يصنّفون بُسر بـن أبي أرْطأة في صنـف الطّغاة الدمويّين والمسـتبدّين، مثله مثل الولاة اللاّحقين الأمويّين منهم مثل محمّد بن يوسف الثّقفيّ، والعبّاسيّين مثل مَعن بن زائدة الشّيْبانيّ وحمّاد البربريّ اللذين ينبغي أن نضيف إليهما اسـم ابراهيم بن موسـى الملقّب بالجزّار. وتقترن أسماء هذه الشّخصيّات[4] بكلّ أعمال النّهب والتّقتيل التي كانت ولاية اليمن مع الأسف ضحيّة لها عبْر التاريخ.

وغزوة جارية بن قُدامة، وإن كانت أقلّ تقتيلا، فإنّها لا تخلو كذلك من أعمال شـبيهة بتلك.فالمصادر تتحدّث عن يهود أُحْرِقوا في صنعاء، وشـيعة عثمانيّين طوردوا في الجبال وقتّلوا، وعن مرتدّين أُحْرقوا أحياءً[5]. ونذكر على سبيل المثال جميع أصحاب بُـسر الذين قُتلوا في نجران، وهو ما جعل جاريـة يُلَقّب بـ«المُحَرِّق»[6]، كذلك ابني شـقيق القائد العامـريّ وأقربائه الاثنين وأربعين الآخرين الذيـن أُسِروا بعد فراره إلى اليمامة وقُتلوا[7].

وفي النهايـة، فإنّ غارة بسر في اليمن التي شُـنّت غَدَاةَ تحكيم أذْرُح، وقبل مقتل الخليفـة عـليّ في الكوفة، تندرج في نطاق الجهود التي بذلهـا معاوية لغزو الولايات والمناطـق المحيطة بالعراق التي ما تزال تحت النفـوذ العلويّ، وذلك بصفة تدريجيّة في انتظار الاسـتيلاء على السّـلطة في كامـل الامبراطوريّة. وما أشـار إليه الطّبريّ من أنّ أبا موسـى الأشـعريّ، بمجـرّد عودته إلى مكّة بُعيد اجتـماع المُحكّمين في أذْرح (شعبان 38/ جانفي 659)، كتب إلى قومه في اليمن يُخبرهم بوصول وشيك

---

1 - ن.م.

2 - ن.م، ص63.

3 - الهمْدانيّ، الإكليل، VIII، 61.

4 - انظر أسفله.

5 - الثّقفيّ، ن.م، II، 632؛ ابن أبي حديد، شرح، II، 16؛ ابن الأعثم، ن.م، IV، 71.

6 - اليعقوبيّ، تاريخ، II، 199 ؛ الطبريّ، تاريخ، IV، 140.

7 - المسعوديّ، مروج، III، 211 ؛ البيّاسيّ، الورقة 43.

للقوّات الشّـامية بقيادة بُسر، وبعزم هذا القائد قتلَ كلّ من لا يعترف منهم بنتيجة التّحكيـم التي صرّح بهـا المحكَّمُون واعتُبرت لصالح معاويـة، يبيّن بوضوح أنّ المطالِـب الأمويّ بالخلافة الذي بايعه أنصاره خليفة في دمشـق، كان يتحرّك من موقع قوّة، ويرى من حقّه أن يفرض، ولو بحدّ السّيف، الشّرعيّة التي اكتسبها عن طريق «الحكومة»، على جميع الولايات التي كانت لا تزال تحت نفوذ عليّ.

3-اليمن ونهاية النزاع بين عليّ ومعاوية

غيّرت ولاية اليمن في ظرف بضعة أشـهر انتماءهـا إلى أحد الأطراف المتنازعة على الحكم ثلاث مرّات: كانت أوّلا في شـق عـلي، ثم تحوّلت مرّة أولى إثر غارة بُسر إلى شـقّ معاوية؛ ثمّ اسـترجعها جارية بـن قُدامة لصالح عليّ، ثم مـا فتئت أن عادت من جديد إلى دائرة نفوذ معاوية خاصّة بعد مقتل عليّ وتخلّي الحسن عن الخلافة.

فما سـبب عدم الاسـتقرار السّـياسيّ هذا، وكيف نفسّر هذه التّحوّلات المتتالية والفجئيّـة في الآن نفسـه من ولاء إلى آخـر وفي وقت قصير كهـذا، خاصّة أنّ نفس التّطـوّر سـيتكرّر مرّات عديدة في القَـرن الأوّل (الفترة الزّبيريّـة ومملكة النَّجَدات الخارجيّـة)، وفي القرن الثّاني (انتفاضة ابن طَبَاطَبَا الشّـيعيّة بالخصوص)، في انتظار أن يتبلـور الوضع في القرن الثّالـث، ويُفْضي التطوّر إلى تكوين إمارات مسـتقلّة (إمارة الزّياديّين في زبيد واليُعْفُريّين في شِبام)، ثمّ الانهيار التامّ للهيْمنة العبّاسيّة وميلاد مختلف السّلط الأخرى المستقلّة منها الإمامة الزّيديّة في صَعْدة.

وقد أبرزنا وجود أحزاب عديدة في الولاية في خلافة عليّ منها شـيعة عثمان وشـيعة عليّ. أوّلا العثمانيّة؛ هم حاضرون في صنعاء والجند ونجران وحضرموت. فرغم مبايعتهم الخليفةَ الجديد عليّا، فإنّهم لم يستسلموا تماما، بل استغلّوا، بعدَ اعتقال الوالي ابن العبّاس للبعـض من أصحابهم في صنعاء، وصولَ القوّات الشّـاميّة بقيـادة بُسر للتّعبير عَلَنا عن معارضتهم للقضيّة العلويّة التي كانت إلى حدّ ذلك الوقت سرّيّة، لا تتكلّم قطّ عن شـيعة معاوية بل تسـتعمل دائما عبارة «شيعة عثمان». وهذا يعني أنّ الأمر كان يتعلّق بمعارضة عليّ التي أملاها مقتل الخليفة عثمان أكثر منه تحالفا صريحا مناصرا لبني أُميّة. سياسـيّا، النتيجة واحدة، ولكن مع ذلك انحاز اليمنيّون إمّا إلى صفّ عليّ أو صفّ عثـمان. وإلى ذلك، نحن نجهل كلّ شيء عن موقف شـيعة عثمان هؤلاء من الثّلاثيّ عائشة وطلحة والزّبير الذي سحقه عليّ في معركة الجمل باستثناء المساعدة التي قدّمها الوالي يَعْلى بن أميّة إلى المتمرّدين.

ونصل الآن إلى موقف بعض المجموعات اليمنيّة (الأبناء وهمْدان) من أحداث الفتنة وبالخصوص من غارة بُسر على بلادهم.

همدان

عُرِفت قبيلة همْدان منذ بداية الإسلام بموقفها المنْحاز إلى عليّ. ففي خلافته، شاركت بصفة نشيطة في معركة الجمل ثم في معركَتي صفّين والنّهروان، إلى جانب الجيوش العراقيّة، وسبق أن سجّلنا حضور الكثير من العشائر ورؤسائها في صفّ العلويّين. إلاّ أنّ المصادر اليمنيّة لم تغفل عن تأكيد هروب هَمْدان بمناسبة غارة بُسر على اليمن، أمام القوّات الشّاميّة وإن كان الكثير من الأنصار العلويّين ذُبِحوا في بلاد همْدان.

كيف يُفسّر هروب همْدان هذا إلى مُرتفعات شِبَام ورفضهم الدّخول في قتال الشّاميّين؟ فهلا يكون ذلك انقلابا في موقفهم الواضح في نُصرة عليّ؟ أم هل ينبغي اعتبار هذا الهروب مرحلة ظرفيّة لا غير؟

الواقع أنّه من الصّعب جدّا الإجابة عن هذه الأسئلة لأنّ ما ذكر في المصادر شحيح وأحيانا متناقض. إلاّ أنّ المؤرّخ الهمْدانيّ نَقَل لنا التّفاصيل التّالية: قبل كلّ شيء لابدّ من التّذكير بأنّ الوجيه الأَرْحَبيّ سعيد بن قيس، أحد خواصّ عليّ الذي كان قوله في الكوفة مسموعا، عُيّن رئيس «سُبُع» يضمّ أهل قبيلته همْدان وكذلك الحِمْيريّين[1]. وكان أيضا حامل راية همْدان في صفّ عليّ في معركتي الجمل وصِفّين[2]. ولنشر كذلك إلى أنّه هو الذي حلّ محلّ قائد همْدانيّ آخر يُدعى أبَا مُعيد بن حُمْرة بن يَرِيم بن أحمد بن يريم بن مُرّة بن عمرو بن مُرْثِد بن الحارث بن أَصْبح بن دافع بن مالك بن جُشَم بن حاشد (من عشيرة المَعْدِيّين)[3]، وهو الذي تسمّيه مصادر أخرى حمزة بن معْبد الهمْدانيّ[4].

وقد يكون سبب هذا العزل، ذهاب هذا الرّجل، وكذلك سيّد همْدانيّ آخر يُدْعى الزِّبْرِقان بن أَظْلم (من عشيرة بني لَغْوة بن بكيل)[5] الذي غار هو

---

1 - الطّبريّ، تاريخ، IV، 139.

2 - نصر بن مُزاحم، ص177.

3 - الهمْدانيّ، الإكليل، X، 66.

4 - ابن الحسيْن، غاية...، I، 96-97.

5 - يسميّه الهمْدانيّ (الإكليل، X، 215) الزبرقان بن أظلم بن النّعمان بن أبي كرِب (المكنّى ذو لغوة الأصغر).

الآخر من الوضع الذي اكتسبه سعيد عند عليّ، إلى دمشق لدى معاوية آمِلَيْن أن يُصبِحا من بطانته[1].

ويضيف مؤلّف **الإكليل** بعد ذلك، أنّ معاوية ألحق أبا معبد الهمْدانيّ بِبُسْر لمّا أرسله إلى اليمن، ويبدو أنّ أبا معبد قدّم له مساعدة ثمينة تتمثّل في إخضاع همْدان لسلطته («أوْطَأه بَلَدَ هَمْدان»)[2]؛ وأبو معبد هذا ذاتُه كلّفه معاوية بعْد ذلك بإدارة مِخْلاَف الجند[3]. ويضيف الهمْدانيّ في فقرة أخرى من **الإكليل** أنّ هذا الوجيه الهمدانيّ (أبو معبد)، عاد بعد أن انحاز إلى شقّ معاوية، إلى اليمن ليستقرّ في بلَد الأَخْنُوم والمغرِب (أي بلَد عُذَار)[4]، وأنّه وقتَ وصول الجيوش الشّاميّة، عضد بُسرا لإخضاع بَلَد همْدان («كان له رِجْلا ويَدَا في بَلَد همْدان»)[5].

ولنتوقّف لحظة عند حالة أبي مُعيد هذا المُضَلِّلة. فهو، كما بيّنّا أعلاه، همْدانيّ سليل عشيرة المَعْدِيّين من قبيلة حاشد الهمْدانيّة. والهمْدانيّ[6] هو الوحيد الذي ذكر أنّه صار من أنصار معاوية لأنّ عليّا حَرَمه في معركة صفّين من حَمل راية قبيلة همْدان، مفضّلا عليه الأرْحَبيّ سعيد بن قيس. ونقل عنه الأخباريّ ابن حُسَين هذه الرّواية[7]. وبالعكس من ذلك، فإنّ مؤلّف **واقعة صِفّين** ابن مُزَاحِم[8]، لا يذكر أنّه كان في صفّ معاوية- رغم أنّه لم يتردّد في تسمية جميع العناصر الهمدانيّة الأخرى التي ساندت قضيّة معاوية، منهم حمزة بن مالك الذي عُيّن على رأس همْدانيّي الأردن، وصَابِىء بن يزيد الذي كان أحد الموقِّعين من الجانب السّوريّ على وثيقة الهُدنة بين علي ومعاوية في صِفّين. ونذكّر بخصوص هذا الموضوع أنّه كان من بين الموقّعِين من جانب عليّ ثلاثة وجهاء همدانيّين هم سعيد بن قيْس، والحارث بن مالك، ووَرْقاء بن مالك بن كعب[9].

---

1 - الهمْدانيّ، **الإكليل**، VIII، 102.

2 - ن.م.

3 - ن.م.

4 - انظر بخصوص أسماء المواضع هذه: الهمدانيّ، **صفة**، ص115؛ **الإكليل**، X، 66 و67 (هامش المحقّق).

5 - الهمدانيّ، **الإكليل**، X، 66.

6 - ن.م.

7 - ابن الحسيْن، **غاية الأماني**، I، 96-97.

8 - نصر بن مُزاحِم، ص 44؛ 196؛ 205؛ 207؛ 279؛ 502.

9 - ن.م، ص 506-507 ؛ الطّبريّ، **تاريخ**، V، 54؛ الدِّينَوَريّ، ص 196. انظر أيضا بخصوص ابن مالك: الهمْداني، **الإكليل**، II، 210 وما بعدها.

إجمالا، هذا الوجيه الحاشديّ المذكور بأسماء أبي مَعْبَد، وأبي مُعيد بن حُمْرة، وحَمْزة بـن معبد، قد لعب دوْرا هامّا إلى جانـب معاوية وبالخصوص في غارة بُسْر على اليمن. وانتصاره للقضيّة الشّاميّة هو نتيجة مباشرة لمنافسته الشّخصيّة للبَكيليّ سعيد بن قيس الأرْحبيّ. هل يمكن القول في هذا الموضوع، إنّ هـروب الهمدانيّين أمام الوحدات التي يقودها بُسر، مرتبط بالذات بالمنافسة بين الوَجيهين الهمْدانيّين، الأوّل من الواضح أنّه من أنصار عليّ (سـعيد)، والثّاني انضمّ إلى معاوية مـن باب الانتهازيّة (أبو مُعيد)، وأنّ هذا الموقف قد يُفَسَّرُ في رغبتهما في عدم إحداث انشـقاق دَاخِل القبيلة؟ اللّهمّ إلاّ إذا كان يوجـد من قبل نزاع بين حاشـد (قبيلة أبي معيد)، وبَكِيل (قبيلة سـعيد)، الأولى مُناصِرة للأمويّين والثّانية للعلويّين.

الأبناء

كلّ مـا نقلته المصادر العربيّة واليمنيّة بخصوص الأبناء عند اندلاع الفتنة، يتعلّق بموقفهـم من غارة بُسر على اليمن. ولنا في هذا الموضوع إشـارتان ثمينتان: من ناحية رفض أحد رؤسـاء أبناء صنعاء فيروز الدّيْلميّ[1] تقديم المسـاعدة للوالي العلويّ عُبَيْد الله بن العبّاس الذي كان يسـتعدّ لتجميـع الصّنعانيّين وقتال جنود بُسر. ومن ناحية أخرى المجزرة التي قام بها الشّـاميّون إزاء اثنين وسـبعين أبناويّا وطفلين لابن العبّاس (قُثَم وعبد الرحمان) اللذين لجَآ إلى بيت امرأة تسمّى أمّ النّعمان بنت بُزْرُج[2]، كما رأينا سـابقا فأيّ رابط بين هاتين المعلومتين اللتين تبدوان متناقضتين؟ هل ينبغي أن نرى في ذلك سببا أساسـيّا لانقلاب موقف الأبناء الذين كانوا إلى حدّ الآن في صفّ عليّ، وتحوّله الواضح إلى مسـاندة القضيّة الشّاميّة؟ أم هل يتعلّق الأمر بكل بساطة بوجود انشقاق داخلي بين مجموعة من الأبناء مناصِرة لقضيّة عليّ، ومجموعة أخرى منضمّة إلى الشّقّ الشّاميّ؟

الهَمْدانيّ[3] هـو الوحيد – فيما نعلم- الذي يربـط بين الحَدَثيْن المذكورين ملاحظا أنّ الأبناء ما كانوا مُناصرين لعليّ إلاّ بسبب تحالفهم مع بني همدان الذين كانوا من أنصار عليّ. وهو يرى من جهة أخرى، أنّ إحدى النّتائج السّياسـيّة المباشرة أكثر من غيرها، لغارة بُسْر في اليمن كانت نهاية انحياز الأبناء لقضيّة عليّ خاصّة أنّ حلفاءَهم من همْدان الذين فرّوا من الجنود الشّـاميّين، لم يقدّموا المساعدة المتوقّعة للعلويّين ضدّ

1 - الخزرجيّ، ص 62.

2 - ن.م، ص63.

3 - الهمْدانيّ، الإكليل، VIII، 103 ؛ X، 67.

جيش الشّام. فكأنّ الهمْدانيّ كان يريد أن يقول إنّ الأبناء تبنّوا فجأة موقف ما يسمّيهم بـ«الجماعة» (بمعنى الخطّ السّنّي)، بعد أن فقدوا اثنين وسبعين من أصحابهم، ولاحظوا أنّ السّيّد الهمْدانيّ نفسه أبا معيد كان في جانب الشّاميّين.

هل يمكن قبول تفسير الهمْدانيّ هذا لانقلاب الأبناء المفاجئ في موقفهم السّياسيّ، خاصّة إذا تذكّرنا أنّ مؤلّف **الإكليل** عُرِف بعداوته المُعلَنة للأبناء وبانحيازه المطلق تقريبا ضدّ الفرس في كتاباته؟

الحقّ أنّ صِيغة الهمْدانيّ ليست غير محتملة تماما كما تبدو لأوّل وَهْلة إذ أقرّها نشوان الحِمْيريّ ومؤلّف **طبقات المُعْتَزلة**. فنشوان[1] يلاحظ أنّ وهب بن مُنبّه الأبناويّ (المتوفّى حوالي 732/114)، وأهل بلاده الفرس، كانوا يَدْعون للمذهب المُعْتَزِليّ إلى اليوم الذي قتل فيه الأمويّون الذين يَعْتَبرون المعتزلة من أنصار عليّ، اثنين وسبعين شخصا من أصحابهم – كما قلنا – لحثّهم على التّخلّي عن ميولهم العَلَويّة واتّباع الخطّ السّنيّ. أمّا البلخيّ[2]، فإنّه يصنّف وهب بن مُنَبّه في صنف من يدعو ليس للاعتزال نفسه بل للعدل. ويبدو أنّ الاعتزال أدْخله القاسم السّعديّ إلى اليمن، بأمر من واصل بن عطاء (نهاية القرن الأوّل/ بداية القرن الثّامن)، ونبّه البلخيّ إلى وجوده في المدينتين اليمنيّتين تَيْس (في شمال صنعاء الغربيّ)، ونَيْسان (قرب صنعاء).

ومن البديهيّ أنّ هذه التّوضيحات، حتّى وإن كان مذهب الاعتزال المقصود هنا متأخّرا جدّا بالنّسبة إلى الأحداث المرتبطة بغارة بُسر (659/39)، فإنّها مقنعة إلى درجة أنّها تجعلنا نقبل الأسباب التي دفعت الأبناء إلى التّخلّي عن تعاطفهم مع عليّ وتبنّي خطّ «أهل الجماعة» أي الخطّ السّنيّ.

ونحن، إلى ذلك، لدينا مؤشّر إضافيّ لدعْم شهادة الهمدانيّ ونَشوان: هو وصول عديد الوجهاء الأبناويّين في عصر الأمويّين، حتّى تحت حكم ابن الزُّبير، إلى مناصب سياسيّة ووظائف قضائيّة هامّة جدّا، نذكر من بينهم فيروز وابنه الضّحّاك اللذين شغلا منصب والي اليمن، الأوّل في عهد معاوية، والثّاني في عهد معاوية وابن الزُّبير، وينطبق الأمر نفسه على وجيهَين أبناويّين آخريْن هما وهب بن منبّه والغِطْريف بن الضّحّاك بن فيروز اللذين دُعِيا لتسيير القضاء في اليمن، الأوّل دعاه عمر بن عبد العزيز، والثّاني دعاه هشام. بعبارة أخرى يبدو لنا من غير المعقول أنّ خلفاء في مثل حذق

---

1 - نشوان الحِمْيَريّ، **رسالة حُور العين**، ص211-212.

2 - انظر: البلخيّ، **فضل الاعتزال**، تحقيق ف. السّيّد، تونس، 1986، ص 67 و85. نشوان، ص 208-209.

معاوية وعمر II وهشام، فضلا عن ابن الزّبير، أمْكن لهم أن يعهدوا بمهام في مثل تلك الأهمّيّة إلى أبناويّين ما زالت لهم ميول علويّة بيّنة.

ورغم تخلّي الأبناء والهمْدانيّين (على الأقلّ جزء منهم) عن تشـيعهم، فإنّ شيعة عليّ باليمـن كانوا متجذّرين جيّدا في مدن صنعاء وجيشـان وتُبَالة وبلَد همْدان، وبدرجة أقلّ في الجند وحضرموت.

خاتمة

إنّ اليمن، بصفته ولاية تابعة للخلافة، لم يَسْـلم في السّـنوات المضطربة (35-40 / 655-660) التـي تصادف اندلاع الفتنة الأولى والنّزاع بـين عليّ ومعاوية، من الأوْجاع التـي أصابت ولايات الامبراطوريّـة الأخرى وهي الفوْضى والمعـارك الطّاحنة بين التّجمّعات السّياسـيّة (العثمانيّة وشيعة علي، الخ..) وكذلك بالطّبع المجازر، وأعمال النّهب والحرْق التي طالت هؤلاء وأولائك. معنى هذا أنّ الولاية اليمنيّة، رغم بعدها عن مركز الخلافة، فإنّها لم تهمّش سياسـيّا ولا حتّـى دينيّا، بل كانت دوْما حاضرة بسـكّانها، وولاتها، فضلا عـن يَمَنِيّي الأمصـار، في الأحداث الأكثر حَسْـما التي طبعـت تاريخ الخلافة: مقتل عثمان، ومعركة الجمـل، ومعركة صفّين ثم النّهروان، وأخيرا غارة بُسر، وغزوة جارية بن قُدامة التّأديبيّة. ونحن نرى أنّ يوسـف شلهود[1](J. Chelhod) مخطـئ عندما يؤكّد أنّ اليمن لم يكن معنيّا بالصّراع من أجل السّـلطة، وأنّه لم يتفاعل معه، فكأنّه أصيب بالشّلل»

فالعصر الأمويّ الذي كان ثريّا بالأحداث السّياسـيّة والدّينيّة الهامّة جدّا، سيوفّر فرصة لليمن للبروز من جديد، فيشغل صدارة الأحداث على الأقلّ في مناسبتين: الأولى أثناء فتنة عبد الله بن الزّبير والصّراع بين المروانيّين والزبيريّين، والثّانية في انتفاضة عبد الله بن يحي الخارجيّة وتأسيس أوّل دولة إباضيّة في الجزيرة العربيّة.

1 - J. CHELHOD, *L'Arabie du Sud*, *op.cit*, II,26.

قائمة المصادر والمراجع*[1]

I- المصادر

1- المصادر المخطوطة

البكري، **فُتوح اليمن**، مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس عدد 1186

البيَّاسي، **الإعلام بالحروب في صدر الإسلام**، مخطوط الإسكوريال.

الجَندي، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس، عدد 2127.

ابن حبيب، مخطوط مؤسسة كَايتاني، عدد 342.

ابن حُبَيْش، **كتاب الغَزَوات والفتوح**، ليدن عدد 943 وَرْن (Warn)

الخزْرجي، **الكفاية والإعلام في مَن وَلِي اليمن وسَكَنها من ملوك الإسلام**، المكتبة الوطنيّة بباريس، عدد (1) 5882.

ابن الديْبع، **قُرَّة العيون في أخبار اليمن الميْمون**، المكتبة الوطنيّة بباريس، عدد 5821 و6068.

- **بُغْية المستفيد في أخبار مدينة زَبِيد**، باريس، عدد 6069 و5897.

العَنْسي، **إتْحاف ذَوِي الفِطَن بمختصَر أنباء الزمن**، مخطوط مؤسّسة كايتاني، عدد 361.

الكِبْسي، **تاريخ الزمان وسبب تفرّق الناس في البلدان**، مخطوط مؤسسة كَيْتاني، عدد 358.

- **كتاب اللطائف السَنِيّة في أخبار الممالك اليَمانيّة**، كيتاني عدد 362.

- **كتاب فُتُوح اليمن**، مخطوط المكتبة الوطنيّة بتونس عدد 1064.

الكلاعي، **كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة خُلفاء**، باريس عدد 1569 و5030.

---

*[1] - قائمة محيّنة سنة 2015، ترتيب أَلِفْبائِيّ دون اعتبار : ابن وبنو وأبو والـ وآل.

ابن الكلبي (هشام)، **نسَب مَعَد واليمن الكبير**، مخطوط الاسكوريال عدد 1698.
المَقريزيّ، **الطُرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة**، باريس عدد (4)، 4657.
ابن الوزير، **جامع المُتون في أخبار اليمن الميمون**، مخطوط مؤسّسة كَيتانِي عدد 356.

2 - المصادر المطبوعة

ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت، 13 مجلّدا، 1967.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، طهران، 5 مجلّدات، 1958.
الأزرقيّ، **كتاب أخبار مكّة**، تحقيق وُسْتَنْفِلْد (Wustenfeld)، ليبزيق، 1958.
الأشرف اسماعيل، **العَسْجد المسْبوك والجوهر المحْبوك في طبقات الخلفاء والملوك**، تحقيق س.م. عبد المؤمن، بغداد 1975.
الأشرف الرسوليّ، **طُرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، تحقيق زِتِرْشْتَايْن (k. zetterstein)، دمشق 1940.
الإصفهاني، أبو الفرج، **كتاب الأغاني**، بيروت 25 ج، 1965.
- **كتاب مناقب الطالبيّين**، النجف، 1353 ه.
أبو نُعَيم الإصفهاني، **دلائل النبوّة**، حَيْدَرَبَاد، 1950.
ابن الأعْثَم الكوفيّ، **كتاب الفتوح**، حَيْدَرَباد، 1968.
بَامَخْرَمَة، **تاريخ ثغر عَدَن**، تحقيقO. Löfgren، ليدن، 1936.
البخاري، **التاريخ الكبير**، طبعة حَيْدَرَباد، 4 مجلّدات، 1942.
- **التاريخ الصغير**، حلب، القاهرة، مجلّدان، 1977.
- **الصحيح** (جمع أحاديث الرسول محمّد)، تحقيق L. Krehl et T. W. Juynball Leiden, 1862 – 1908.
البريهي عبد الوهاب، **طبقات صلحاء اليمن**، تحقيق عبد الله حبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، د.ت.
البغدادي، **الفَرق بين الفِرق**، بيروت 1977.
ابن بكّار (الزبيْر)، **الأخبار المُوَفَّقيّات**، بغداد، 1972.
-**جَمْهرة نسَب قريْش**، القاهرة، 1961.
البلاذريّ، **فتوح البُلدان**، بيروت، 1952.
-**أنساب الأشراف**، تحقيق حميد الله، القاهرة 1959. وتحقيق م.ب. محمودي، بيروت 1974، وتحقيق عبد العزيز الدوري، بيروت 1978، وتحقيق Goitein، القدس 1936.

البَيْهَقي، **دلائل النبوّة**، تحقيق أ. صفَر، القاهرة 1970.
الطبَرْسيّ، **مَجْمع البيان**، بيروت، 1961.
الثعالبي، **كتاب لطائف المعارف**، القاهرة، 1960.
الثَقَفِيّ، **كتاب الغارات**، طهران، مجلّد2، 1395.
الجاحظ، **البيان والتبيين**، القاهرة، 1926.
- **كتَاب البخلاء**، تحقيق طه الحاجِريّ، القاهرة 1981.
- **رَسائل**، القاهرة، 1964.
- **كتاب الحيوان**، القاهرة، 1906.
الجندي، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق القاضي محمد الأكوع، وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء، 1983.
ابن حجَر العَسْقَلانِيّ، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق Lees .W et Spenger، 4 مجلّدات، 1853 – 1885، والقاهرة، 1939.
ابن حبيب، **كتاب المحَبَّر**، حيدرباد، 1964.
- **كتاب أسماء المُغْتَالِين من الأشراف في الجاهليّة والإسلام وأسماء من قُتِل من الشعراء**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1954.
ابن الحُسَين، **غاية الأماني في أخبار القطر اليَماني**، تحقيق ع. عاشور، القاهرة، مجلّدان، 1968.
الحَلَبيّ، **السِيرة الحَلَبيّة**، القاهرة، 3 مجلّدات، 1964.
حمزة الإصْفَهانيّ، **كتاب سِنيّ ملوك الأرض والأنبياء**، تحقيق Gotthardt، لِيبْزِيق، 1844.
ابن خلدون، **تاريخ**، بيروت، 1971.
ابن خَلِّكان، **وَفيات الأعيان**، بيروت، د.ت.
ابن خيّاط (خليفة)، **جَمْهرة أنْساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1962.
ابن دُرَيْد، **الاشتقاق**، بغداد، 1979.
الديار بكري، **تاريخ الخميس في أحوال أَنْفَس نَفيس**، القاهرة، مجلّدان، 1866 – 1867.
ابن الدَيْبَع، **قُرَّة العيون في أخبار اليَمَن المَيْمون**، تحقيق محمّد الأَكْوَع، القاهرة، مجلّدان، 1976.
- **بُغْية المُفيد في أخبار زبيد**، تحقيق ع. حَبَشيّ، صنعاء 1979. وكذلك تحقيق يوسف شلحد، صنعاء 1983.
الدينَوَرِيّ، **الأخبار الطِوال**، القاهرة، 1960.

الذَهَبيّ، **تجريد أسماء الصحابة**، تحقيق ع. شرَفُدّين، مجلَدان، الهند، د.ت.
الرازي، **تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق هـ ع. العُمَرِيّ، وع. زكّار، دمشق، 1974.
ابن سعْد، **كتاب الطبقات الكبرى**، بيروت، 9 مجلّدات، 1957 – 1958.
ابن سَمُرَة الجَعْدِيّ، **طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق ف. السيّد، القاهرة، 1957.
السمْهوديّ، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، القاهرة، مجلّدان، 1954 – 1955.
السُهَيْليّ، **الروض الأُنُف**، القاهرة، مجلّدان، 1914.
السوَيْديّ، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، بغداد، 1280 هـ.
الطبري، **تاريخ الرسُل والملوك**، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، 10 مجلّدات، القاهرة، 1969.
ابن عبد البرّ، **الاسْتِيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق أ.م. البجاوي، القاهرة، 4 مجلّدات، 1960.
- **الدُرَر في اختصار المَغازي والسِيَر**، بيروت، 1984.
ابن عبد الحكم، **فُتوح مصر وأخبارها**، تحقيق Torrey .C، نيو هافن، 1922.
ابن عبد ربّه، **كتاب العِقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزيْن، وابراهيم الأبياري، القاهرة، 3 مجلّدات، 1940 – 1941.
ابن عبد المجيد، **بَهْجة الزمَن في أخبار اليمن**، تحقيق م. حجازي، القاهرة 1965.
أبو عُبَيْد بن سلاّم، **كتاب الأموال**، القاهرة 1965.
عَبيد بن شَرِيّة، **أخبار عبيد بن شريّة عن بلاد اليمن**، صنعاء، 1347 هـ.
ابن عَساكِر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق صلاح الدين المنَجّد، دمشق، المجلّد الثاني، 1954.
العسكريّ، أبو هلال، **كتاب الأَوَائِل**، تحقيق وليد قصّاب، دمشق، مجلّدان، 1975.
- **جمهرة الأمثال**، تحقيق أبي الفصل ابراهيم، القاهرة، جزءان، 1964.
العصاميّ الصنعانيّ، **مسالِك الأبْصار**، تحقيق محمّد الأكْوع، بيروت، 1985.
عُمارة اليَمانيّ، **المُفيد في أخبار صنْعاء وزَبيد**، تحقيق محمّد الأَكْوع، القاهرة، 1967.
الفَسَويّ، **كتاب المعرفة والتاريخ**، تحقيق ع.د. العُمَرِيّ، بغداد، 1974 – 1976.
ابن قُتَيْبة، **المعارف**، القاهرة، 1960، بيروت 1970.
القالي (أبو عليّ)، **كتاب الأمالي وكتاب ذيل الأمالي، وكتاب النوادر**، بيروت، د.ت.
القَلْقَشَنْدِيّ، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، الكويت، 4 مجلّدات، 1964.
الكَلاَعِيّ البَلَنسِيّ، **كتاب الاكتفاء في مَغَازي المُصطفى والثلاثة الخلفاء**، تحقيق هنري بَاسّي المجلّد I، باريس، الجزائر، 1931.
ابن الكَلْبي (هشام)، **كتاب الأصنام**، القاهرة، 1965.
الكِنْديّ، **كتاب الوُلاَة، وكتاب القُضاة**، تحقيق GUEST .R، ليْدن ولندن، 1912.

ابن مَاكُولا، الإِكمال، حَيْدَرَباد، 6 مجلّدات، 1962 – 1965.
ابن المُجَاوِر، كتاب المُسْتَبْصِر، تحقيق Löfgren، ليدن، 1951 – 1952، المجلّد 2 XIII.
المجْلِسيّ، بحار الأنْوار، طهران، 1379 هـ
المرزوقي، كتاب الأزمنة والأمكنة، حَيْدَرَباد، 1332.
المرَغَني، كتاب الغرر في سِيَر الملوك وأخبارهم، تحقيق Zotenberg، باريس، 1900.
المسعوديّ، مروج الذهب ومعادِن الجوْهر، تحقيق شارل بلاّ، بيروت 6 مجلّدات، 1962 – 1974.
- كتاب التنبيه والإشراف، بغداد، 1938.
مصعب الزبيريّ، كتاب نَسَب قُرَيْش، تحقيق Provençal Lévy، القاهرة 1976.
المقْريزي، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بولاق، القاهرة، مجلّدان، 1853.
ابن مُنَبّه (وهْب)، كتاب التيجان في ملوك حِمْيَر، صنعاء، 1347 هـ
الميْدانيّ، مَجْمع الأمثال، تحقيق م. عبد الحميد، القاهرة، 1959.
نَشْوان الحِمْيَريّ، كتاب ملوك حِمْير وأَقْيال اليمن، تحقيق أ.ب. اسماعيل، وإ.ب. الجَرَافي، القاهرة، 1958 – 1959.
- الحُور العِين وتَنْبيه السامِرين، تحقيق ك. مصطفى، القاهرة، 1948.
- شمس العلوم ودواء علم العرب من كُلوم، تحقيق Zetterstein، بريل، 1951.
- منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم، تحقيق أحمد خان، ليدن، 1916.
ابن هشام، سيرة النبيّ، تحقيق وستنفلد، 3 مجلّدات، 1858 – 1860- انظر أيضا تحقيق محمد السقّا وابراهيم الأبياري، القاهرة ، 4 مجلّدات، 1955.
الهَمْدانيّ، كتاب صفة جزيرة العرب، القاهرة، 1963.
- كتاب الإكليل، I، تحقيق محمد الأكْوَع، II، بغداد 1980 (تحقيق محمّد الأكْوع)، VIII، تحقيق ن. فارس، بيروت، صنعاء، د.ت.
- القصيدة الدامغة، تحقيق محمد الأكوع، القاهرة 1978.
- كتاب الجوْهرتيْن العتيقتَيْن...، تحقيق ش. تُل، أُبْشلا، 1968.
الواقِدي، كتاب المغازي، تحقيق م. جونس، القاهرة، 3 مجلّدات، 1966.
- فُتوح الشام، القاهرة، مجلّدان، 1955.
- كتاب فُتوح مصر والاسكندريّة، تحقيق هـ م. هَمَكِر، ليدن 1825.
ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، بيروت، 5، مجلّدات، 1955.
اليعقوبي، كتاب البلدان، ليدن، 1992.
- التاريخ، بيروت، مجلّدان، 1970.

II- المراجع

1- المراجع باللغة العربية:

- الإرياني (م.)، في تاريخ اليمن، صنعاء، 1973
- الأفغاني (ص)، أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام، بيروت، 1974.
- الأكوعَ (اسماعيل)،
  - أضـواء على معلّقة أبي الحسـن الخزرجي، المؤرّخ العـربي، عدد 4، 1977، ص. 123-129.
  - مخاليف اليمن، أبو ظبي، 2002.
- الأكوع (محمّد)،
  - اليمن الخضراء مهد الحضارة، القاهرة، 1971
  - الوثائق السياسية اليمانية من قُبَيْل الإسلام إلى سنة 332هـ، بغداد، 1976.
- أمين (م.ص.)، اليمن في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، القاهرة، 1975.
- الأهدلي (م. بن عليّ)، نثر الدرّ المكنون من فضائل اليمن الميمون، القاهرة، 1931.
- بافقيه عبد القادر أحمد. تقنية أنظمة الريّ القديمة في مملكتي حضرموت وقَتَبَان في جنوب الجزيرة العربيّة في الألف الأوّل قبل الميلاد. 2009. دكتورا إشراف راضي دغفوس.
- بافقيه -ابيستون - روبان، الغول،
  - تاريخ اليمن القديم، بيروت، 1963.
  - مختارات من النقوش اليمانيّة القديمة، تونس، 1985
- بـا وَزير (محمد بن عبد الله)، اليمـن القديم في القرآن الكريم والشـعر الجاهليّ وكتب المؤرّخـين والجغرافيّـين العـرب القدامـى: دراسـة تاريخيّـة في ضوء المـوروث الحضـاري العربيّ الإسـلاميّ ومعطيات المكتشـوفات الأثرية والدراسـات الحديثة، إشراف محمد حسـين فنطر، تونس 2004.
- باطانية (م. د.)، الجيش وتمويله في صدر الإسلام، مجلّة دراسات ، المجلد VIII، العدد2، 1981، ص. 53-70.
- بحريّة (سلوى)، اليمانيّون في المغرب والأندلس في القرنين الأوّل والثاني للهجرة، تونس، 1994. دكتورا إشراف راضي دغفوس.
- بيتروفسكي (ب.)، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعيبي، دال العودة، بيروت، 1987. دكتورا إشراف راضي دغفوس.
- الطاقان (هـ)، ديوان شعر عمرو بن معدي كَرِب الزبيدي، بغداد، 1970.
- ترسيسي (عدنان.)، اليمن وحضارة العرب، بيروت، د.ت.

- جواد (عليّ)،
- **تاريخ العرب في الإسلام**، بغداد، 1952.
- **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بغداد، 10 مجلّدات 1968-1971.
- جوهر (هـ م.)، وأيوب (م. س.)، **اليمن**، القاهرة، 1967.
- الحبشي (أ. م.)،
- **مراجع تاريخ اليمن**، دمشق، 1974.
- **مصادر الفكر العربيّ الإسلامي في اليمن**، صنعاء، د. ت.
- **دراسات في التراث اليمنيّ**، بيروت، 1977.
- الحجري (القاضي محمد بن أحمد)، **بلاد اليمن وقبائلها**، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، صنعاء، 1996. دكتورا إشراف راضي دغفوس.
- بن حوَّاش (هانية)، **القبائل اليمانيّة: همدان ومذحج نموذجا**، تونس 2005. دكتورا إشراف راضي دغفوس.
- الحديثيّ (نزار)، **أهل اليمن في صدر الإسلام**، بغداد، 1978.
حسين (طه)،
- **الفتنة الكبرى، I، عثمان**، القاهرة، 1984.
- **الفتنة الكبرى، II، علي وبنوه**، القاهرة، 1982.
- حميد الله (محمد)، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبويّ والخلافة الراشدة**، القاهرة، 1956.
- خُرْشيد (فاروق)، **سيف بن ذي يزن**، القاهرة، 1967.
- دغفوس (راضي)،
-اليمن في عهد الولاة، *Cahiers de Tunisie*، عدد 107-108 المجلد XXVIII، 1979، ص. 1-162.
-المصادر التاريخيّة لدراسة تاريخ مدينة زبيد اليمانية في الفترة الإسلاميّة، *Cahiers de Tunisie*، عدد 113-114، المجلد XXVIII، 1980، ص. 201-227.
- ابن الديْبع مؤرخ اليمن وزبيد، **حوليات الجامعة التونسيّة**، عدد 18، 1980، ص. 31-74.
- مصادر تاريخ جنوب الجزيرة العربيّة في المكتبة الوطنيّة بباريس، **المؤرّخ العربيّ**، عدد 10، 1979، ص. 115-132.
- **إشكاليات الانتشار في الإسلام المبكّر**، مركز النشر الجامعي، تونس 2002
- **بحوث في تاريخ إفريقية (تونس) واليمن في العهد الإسلاميّ الوسيط**، دار جليس الزمان، عمّان ، 2009.

- **العرب في شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام**، دار جليس الزمان، عمّان، 2013.
الدوري (عبد العزيز)،
- **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، بيروت، 1960.
- **مقدّمة في تاريخ صدر الإسلام**، بيروت، 1961.
- الذماري (هـ أ.)، **جغرافيّة اليمن**، القاهرة، 1970.
- سيد (أيمن فؤاد)،
- **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن**، الدار المصرية اللبنانية، 1988.
- **مصادر تاريخ اليمن في العهد الإسلاميّ**، القاهرة، 1974.
- شاكر (مصطفى)، **التاريخ العربيّ والمؤرّخون**، بيروت، مجلّدات، 1979.
- شرف الدين (عليّ)، **اليمن عبر التاريخ**، القاهرة، 1974.
- صفوت (باشا)، **جمهرة رسائل العرب**، القاهرة، 4، مجلّدات، 1937.
- الظفاري (ج.)، الحركات الشعبيّة في تاريخ اليمن، **مجلّة الثقافة الجديدة**، X، أكتوبر، 1974، ص. 5-39.
-العامري (يحي بن أبي بكر)، **غربال الزمان في وفيات الأعيان**، تعليق محمد ناجي زعبي، دار الخير، دمشق، 1975.
-عبد الحميد (سعد. زغلول.)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، القاهرة، د.ت.
- العبْدَلي، **هدية الزمن بأخبار لحج واليمن**، القاهرة، 1351 هـ.
-عبد المؤمن (س.)، حياة الملك الأشرف اسماعيل وجهوده الثقافيّة، **مجلّة المؤرّخ العربيّ**، عدد8، 1978، ص. 100-116.
- عابْدين (أ.)، **بين العرب والحبشة**، القاهرة، د. ت.
- العرشيّ، **بلوغ المرام من شرْح مسك الختام في من تولّى مُلك اليمن من ملك وإمام**، القاهرة، 1939.
- أبو العلاء (م. ت.)، **جغرافيّة شبه الجزيرة العربيّة**، المجلّد 3، اليمن، القاهرة، 1972.
- العلويّ (ص.)، **تاريخ حضرموت**، جدّة، جزءان، 1968.
- العليّ (أحمد صالح.)، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصاديّة في البصرة في القرن الأوّل الهجريّ**، بغداد، 1953.
- الغلام (حسن صالح أحمد)، **مصادر تاريخ حضرموت في العصر الإسلاميّ منذ صدر الإسلام حتى القرن العاشر للهجرة**، تونس، 2004. دكتورا إشراف راضي دغفوس.
- الشجاع (عبد الرحمان عبد الواحد)، **تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى**، دار الفكر، دمشق، 1987.

- الشغبيني (م. هـ)، **اليمن: الدولة والمجتمع**، القاهرة، 1975.
- فرانتوزون (سرجيس)، **تاريخ حضرموت الاجتماعيّ والسياسيّ، قُبَيْل الإسلام**، تعريب عبد العزيز بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2004.
- أبو الفضل (ابراهيم)،
  - **أيّام العرب في الجاهليّة**، بيروت، 1967.
  - **أيّام العرب في الإسلام**، ط. 4، بيروت، 1972.
- الفقي (عصام الدين)، **اليمن في فجر الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982.
- كاشف (سيدة .إسماعيل.)، **مصر في فجر الإسلام**، القاهرة، 1970.
- كحّالة (عمر رضا.)،
  - **معجم قبائل العرب**، دمشق، 3 مجلّدات، 1949.
  - **أعلام النساء**، دمشق، 5 مجلّدات، 1959.
- المحامي (محمد. كمال)، **اليمن شمالها وجنوبها وعلاقاتها الدوليّة**، بيروت، 1968.
- محمود (ح.)، **تاريخ اليمن السياسيّ في العصر الإسلاميّ**، بغداد، 1969.
- المُنجّد (صلاح الدين)، **فهرس المخطوطات العربيّة في الأمبرُوسيّانا بميلانو**، القاهرة، 1960.
- منقوش (ثريا.)، **سيف بن ذي يزن**، د. ت.
- ناجي (س)،
  - **بيليوغرافيا مختارة وتفسيريّة عن اليمن**، الكويت، 1973.
  - مصادر تاريخ الحضارة اليمنيّة القديمة والإسلاميّة، **مجلّة المؤرّخ العربيّ**، العدد2، 1975، ص. 129 وما بعدها.
- الواسطيّ، **تاريخ اليمن**، القاهرة، 1974.
- الواسعي اليماني (عبد الواسع بن يحي)، **فرجة الهموم والحَزَن في حوادث وتاريخ اليمن**. مكتبة اليمن الكبرى، 1991.
- الويسي، **اليمن الكبرى**، القاهرة، 1962.
- آل ياسين (م. هـ)، **نصوص عن الردّة في تاريخ الطبريّ**، بغداد، 1973.

المراجع باللغة الفرنسيّة:

- ANNEQUIN (G), *Les civilisations méconnues de la Mer Rouge*, Edit. Genève, 1977.
- BARBIER DE MEYNARD, *Le livre des routes et des provinces*. Traduction d'Ibn Khurdadhba, *J. A.*, 1865, Tome 5,
pp. 503-507.
- BEAUCAMP (J) et ROBIN (CH), «Le christianisme dans la péninsule Arabique

d'après l'épigraphie et l'archéologie». *Travaux et Mémoires*. n° 8, Centre de Recherche d'Histoire et de Civilisation de Byzance, Paris, 1981, pp. 45-61.
- BEESTON (A.F.L.), «Kingship in ancrent South Arabia», *J.E.S.H.0* ., XV, 1972, pp. 256-268
-«Judaïsme and christianity» in pre-Islamic Yaman, in J. CHELHOD, *L'Arabie du Sud III*, pp. 272-278.
- BERREBY (J. J.), *La Péninsule Arabique, terre sainte d'Islam et empire du pétrole*, Edit Paris, 1958.
- BLACHERE (R.) et DARMAUN (H), *Extraits des principaux géographes arabes*, Edit Paris, 1957.
-*Coran*. traduction française, Edit Paris, 1957.
- BONNENFANT (P.), *La péninsule Arabique aujourd'hui*, Edit Paris, 2 vol. 1982.
-Bibliographie de la péninsule Arabique, *Sciences de l'homme*, Fascicule l, Paris, 1980.
- BOSWORTH (C. E.),*The islamic dynasties in islamic surveys*, Edit Edimbourg, 1967.
-«The terminology of history of the Arabs in the Jahiliyya accordtng to Khawartzmi's», «Keys of the Sciences», in *Goetein Festochrtft*. Jerusalem, 1981.
- BOUSQUET (H), «Observations sur la nature et les causes de la conquête arabe», in *S.I. VI*. 1956. pp. 37-52.
- BRICE (W. C.), *An historical Atlas of Islam*, Edit, E. J. Brill, Leiden, 1981.
- BRETON (J. F.), *L'arabie heureuse au temps de la reine de Saba (VIIIè -Ier siècles avant J/-C)*. collection «La vie quotideinne», Édion Hachette, Paris, 1998.
- BURKNER (F. C.). *Yaman. Péninsule Arabique*, Edit Paris, 1979.
- CAHEN (CLAUDE), *L'Islâm des origines au début de l'empire. ottoman*, Edit, Paris, 1970.
- CAITENOZ (H. G.) *Table de concordance des ères chrétienne et hégirienne*, Edit, Casablanca, 1954.
- CHELHOD (J), *L'Arabie du Sud.. société et civilisation. Tome I, Le peuple yamanite et ses racines*, Paris, 1984.
-Tome II, *La société yamanite de l'hégire aux idéologies modernes*, Paris, 1984.
-Tome III, *Culture et Institutions au Yaman*, Paris, 1985.
-Idem, «L'Arabie du sud vue par Niebuhr», *R.O.M.* n°18, 1974, pp. 19-44.
- CHRISTENSEN, *L'Iran sous les Sassanides*, Copenhague, 1986, traduction arabe

par Yahya al Khashab, Le Caire, 1957.

- CORNU (G.), *Atlas du monde arabo-islamique à l'époque classique (IXème-Xème S.)*, Brill, Leiden, 1985.

- CRONE (P.), *Meccan trade and the rise of Islam*, Edit. Princeton, 1987.

- DAGHFOUS (RADHI), «Pour une chronologie de l'histoire du Yaman à l'époque musulmane», *Awrâq*. n° 3, 1980, Madrid, pp. 3-18.

-«Une dynastie yamanite autonome: les Yu'furides (213-393/828-1002)» in *C.T.*, Tome XXX, 1982, n° 119-120, pp. 43-121.

-«Le Yaman dans les écrits des voyageurs d'Hérodote à l'anthropologie moderne», *C.T.*, n° 145-148 Tomes XXXVII - XXXVIII, pp. 43-82.

-«Le régime fiscal et l'organisation financière au Yaman à l'époque des wulât (Ier-2ème/7ème-8ème S.)». in *C.T.*, n°151-154, Tomes XXXXI-XXXXII, pp. 65-120

-«La dynastie des Ziyâdides à Zabid» (204-407/819-1016) (*C.T.* Mélanges O. Saïdi).

- DALE (E,), Musaylima, *J.E.S.H.O.*, X. 1967, pp. 17-52.

- DAUM (W), *Jemen*, Tubingen, 1980.

- DEONNA (L.), *Yaman*, Parts, 1983.

- DJAIT (HICHEM), *Al Kûfa. Naissance de la ville islamique*, Edit Maisonneuve, Parts, 1986.

-*La grande discorde*. Edit Gallimard, Paris, 1989.

-«Les Yamanttes à Küfa au 1er S . de l'hégire» in *J.E.S.H.O.* Vol. XIX, Part II, 1976, pp. 148-181.

- DONNER (F. M. G.), *The early islamic conquests*, Edit, Princeton, 1981.

- *Dossiers de l'Archéologie, n° 33, Mars-Avril 1979*. «Au pays fabuleux de la reine de Saba».

- DRESCH (J) et BIROT (P), *La Méditerranée orientale et le Moyen Orient*, II, Edit, Paris, 1956.

- DUBERTET (L.) et WEULERSSE (J.), *Manuel de géographie*. Syrie. Liban et Proche-Orient, Edit Beyrouth, 1940.

- DUCELLIER (A), MARTIN (B) et KAPLAN (M), *Le Proche Orient médiéval*, Edit Paris, 1978.

- DUNLOP (D. M.), «Sources of gold and silver accordmgs» *S. I.*, VIII 1957 pp. 29-49.

-I. Hubaysh in *J.R.A.S.H.*, 1941. pp. 359-362

- *Encyclopédie de l'Islam, Ancienne Edition,* Leiden. 1913- 1938, *Nouvelle Edition,* Leiden, 1960 et sqq.
- FAGNAN (E), *Les statuts gouvernementaux.* Traduction française de Mawardi, Edit Paris, 1982.
- GABRIELLI (F), *Mahomet et les conquêtes arabes,* Edition Paris, 1967.
- GARCIN(J. C.), «Toponymie et topographie urbaines médiévales à Fustât et au Caire» in *J.E.S.H.O.* Vol. XXVII. Part II. 1984. pp. 113-155.

-«Habitat médiéval et histoire urbaine à Fustat et au Caire» in *Palais et maisons du Caire,* Edition Paris, 1982, pp. 145-216.
- GATEAU (A), *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne,* Traduction française d'Ibn Abd El Hakam, Edition Alger, 1942.
- GIBB (H. A. R.), article T in *E.I. Supplément* pp. 250-263.
- GOCHENOUR (D. TH.), A revised btbliography of medieval Yamani htstory in lignt of recent publicattons and dtscovertes», in *Der Islam.* 63. II, 1986. pp. 309-332.
- HAMIDULLÂH (M.), *Documents sur la diplomatie musulmane à l'époque du Prophète et des califes orthodoxes,* Edit. Parts. 1936.

-Idem, *Corpus des traités et lettres diplomatiques de l'Islam à l'époque du Prophète et des califes orthodoxes,* Edit. Paris, 1935.

-*Le Prophète de l'Islām,* Edit Paris. 2 vol., 1959.

-«Al 'Ilaf ou les rapports économico-diplomatiques de La Mecque pré-islamique», in *Mélanges Louis Massignon.* 1957. II. pp. 293-311.
- HART (J. S.), Basic chronology for a history of the Yaman, in *M.E.J.* 1963. Vol. XVII. Washington, pp. 146 et sqq.
- HASSEN (NÀGI), *The role of the arabe tribes in the East during the pertoâ of the Ummayds.* Edition, Bagdād. 1971.
- HINDS (M.), «Kufan political alignements and thetr buckground in the mid-seventh century A. D., in *J.M.E.S.*, 1971. 2. pp. 350 el sqq.
- HILL (D. R.), *The terminations of hostiliiies in the early arab conquests A. D.* 634-656. Edit, Londres, 1971
- HUART (CL), «Wahb b. Munabbih et la tradition judéo-chrétienne au Yaman» in *J.A.* Juillet-septembre 1904. Tome 4. 10ème série. pp.331-350

- KAMMERER (ALBERT), *La Mer Rouge. l'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquité. Essai d'histoire et de géographie historique.* Tome 1 en 2 Vol. Les Pays de la Mer Erythrée jusqu'à la fin du Moyen Age. Edit. Le Caire. 1929.

-Idem. «La Mer Rouge à travers les âges» in *La Revue de Paris,* Mars 1925. 32 p.

- KAWAR (IRFAN), «The arabs in the peace treaty of A. D. 561» in *Arabica.* 3. 1957. pp. 181 -213.

- KAY (H. C.), *Yaman. Its early medieval history.* Londres 1892. Réédition de 1968.

- KISTER (M. J.), Studies in Jahiliyya and early Islam. *Variorum Reprints,* Ed. Londres, 1980.

- KRATCHKOVSKY (F. Y.). Traduction arabe -ᶜUthman Al Hashem, *Al adab al ǧagrāfi ʾinda-l-ᶜArab.* Edit Le Caire. 1963.

- LAMARE (P), «L'Arabie Heureuse» in *La Géographie.* Juin 1924. n° 42. pp. 1-24.

- LAMMENS (H), *L'Arabie occidentale avant l'Islām,* Beyrouth. 1928.

-*La Mecque à la veille de l'Hégire.* Beyrouth, 1924.

- LAOUST (H), *Les schismes dans l'Islam.* Edit Paris, 1965.

- LEWICKI (T), «Les ᶜIbādites en Arabie du Sud». *in Folia ortentalia.* T. 1. Fascicule 1. 1959. Krakow. 1960, pp. 3-18.

- LOMBARD (M), *L'Islām dans sa première grandeur.* Edit Paris. 1971.

- MADELUNG (W), «The identity of two yamanite histortcal manuscripts» in *J.N.E.S.* 32, 1973, pp. 179-180.

- MACRO (E), *Bibliography of the Arabian Peninsula,* Miami, 1958.

-*Bibliography on Yaman and notes.* Miami, 1980.

- MANTRAN (R), *L'expansion musulmane.* Paris. 1952.

- MARGOLIOUTH (D.S.), *Lectures on arabic historians,* Calcutta, 1930. Traduction arabe H. NASSÂR, Beyrut, 1963.

- MARTHELOT (P), «L'espace yamanite et ses habitants» in J. CHELHOD, *l'Arabie du Sud. I,* pp. 137-151.

- MASSIGNON (R), «Explication du plan de Kūfa», in *Opera Minora. III.* Le Caire. 1969 pp. 35-59.

-«Explication du plan de Basra», in *Opera Minora. Ibid,* pp. 61-93.

- MILES (S. B.), «A bref account from arabie works on the history and geography of Arabia» in *J.R.A.S.H.* Vol. VI. 1872. pp. 20-27.

- MIQUEL (A.), *La géographie humaine du monde musulman*. Edit Paris, 3 vol. 1973.
- NIEBUHR (C.), *Description de l'Arabie*, Edit Paris. 1772-1774.
- NYROP (R) et EGHIN (G), *Area Handbook for the Yaman*. Washington. 1977.
- PELLAT (CH), *Le milieu basrien et la formation de Ǧāḥiẓ*, Edit Paris, 1953. «Ǧāḥiẓ et les ḫāriǧites» in *Folia orientalia*, XII. 1970.pp. 195-200.
- PIGULEVSKIA (N. 0), «Les rapports sociaux à Naǧrān au début du VIème siècle de l'ère chrétienne». in *J. E.S.H.O.* Vol. III, 1960. pp. 113-130 et Vol. N, pp. 1-14.

-*Al ᶜArab ᶜala ḥudūd Byzanta wa īrān mina-al qam al rābīʾilā-l qam al sādis al milādī*. Traduction arabe de S. ᶜUthman Al Hashem. Al Kuwait, 1985.

- PIRENNE (J.), *A la découverte de l'Arabie*. Cinq siècles de science et d'aventure, Edit Paris, 1958.

-«*Le royaume sud-arabe de Qatabiin et sa datation d'après l'archéologie et les sources classiques*», Louvain. 1971.

-«A paleographtcal chronology of the sabean dated inscriptions with references to several areas» in *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*. VoL N. 1974. pp. 118- 130.

-«Première mission archéologique française au Hadramawt» in *C.R. de l'A.I.B.L.*, 1975, Avril-Juin, pp. 261-279.

-«Les royaumes arabes dans l'Antiquité» in *Dossiers de l'Archéologie* 33, mars-avril, 1979. pp. 58 et sqq.

-«La route de l'encens» in *Dossiers de l'Archéologie. op. cit.* pp. Il et sqq.

-«La maîtrise de l'eau en Arabie du Sud antique». *Mémoires de l'A.I.B.L.*, Tome II. 239, Paris. 1979.

- RAIKES (R. L.), «Maʾrib» in *Antiquity*, Vol. V, 51. 1977, pp. 239-240.
- RENAUD (E), «L'Arabie du Sud pré-tslâmtque» in *I.B.L.A.*, 139, 1977, 1. pp. 93 et sqq.
- ROBIN (CH.), *Le pays de Hamdān et de Ḫawlān Quḍāʾa avant l'Islām*. Thèse dactylographiée de l'Université de Parts l, 1977, 2 vol. Publiée sous le titre. Les Hautes Terres du Nord du Yaman avant l'Islam, Institut historique et archéologique néerlandais d'Istanbul, 2 vol., 1982.

-*Corpus des inscriptions et des antiquités sud-arabes*, Edit Louvain, 1977 .

-Résultats épigraphiques et archéologiques de deux brefs séjours en R.

A. du Yaman» in *Semitica,* Cahiers de l'Institut des Etudes Sémitiques. C.N.R.S.. XXVI, Maisonneuve. 1976, pp. 167-193.

-«Mission archéologique et épigraphique française au Yaman du Nord en automne 1978 in *C. R. de l'A.I.B.L.* 1979, Janvier-mars, pp. 174- 202.

-«Au royaume de Saba›» in *Archéologie du Yaman,* Paris, 1980.

-«Le royaume de Himyar» in *Dossiers de l'Archéologie* 3 3. 1979, pp. 56-57.

-«Esquisse d›une histoire de l'organisation tribale en Arabie du Sud antique» in BONNENFANT (Pl.) *La Péninsule Arabique,* I, pp. 17- 30.

-«La civilisation de l'Arabie méridionale avant l'Islām» in J. CHELHOD, *L'Arabie du sud,* I, pp. 198 et sqq.

- RODINSON (M), L'Arabie avant l'Islām, in *Encyclopédie La Pleiade.* 1, 2. Paris. 1957. pp. 3-36.

-*Mahomet,* Edit Paris, 1961.

- ROUAUD (A), *Les Yaman et leurs populations,* Edition Bruxelles, 1979.

-«Yaman, la route des épices» in *Histoire-* février 1980. n° 20. pp. 57-66.

- ROOLVINK (R), *Historical Atlas of Muslim peoples,* Edit. Amsterdam, 1957.

- RYCKMANS (G), «De quelques dynasties arabes» in *Le Museon.* 80. 1967. pp. 269-300.

- RYCKMANS (J), *L'institution monarchique en Arabie méridionale avant l'lsldm,* Louvain. 1951.

-*La chronologie des rois de Saba' et de Raydan,* Istanbul, 1961.

«Le christianisme en Arabie du sud pré-islamique in *L'oriente cristiano nella storia della civilita* (Roma 31 Marzo. 3 April 1963. Firenza. 4 April 1963). Accademica nazionale dei Lincei, Anno CCCLXI. 1964. Problemi attuali di scienza e di cultura. Quademo n° 62, Roma. 1964. pp. 413-454.

«*La persécution des chrétiens himyarites au VIème S. d'après les récentes découvertes en Arabie Centrale,* Istanbul, 1966.

-«Le barrage de Ma'rib» in *Dossiers de l'Archéologie,* n° 33. mars-avril 1979. pp. 28-35.

- SAID (M), *Les notables de Bajila à l'époque omeyyade – origine tribale et rôle politique.* Thèse de 3ème cycle dactylographiée, Université Lyon II. 1983.

- SAINT-PROT (CH.), *L'Arabie heureuse de l'Antiquité à Ali Abdallah Saleh, le réunificaeur du Yémen,* édition Ellipses Marketing, Paris, 1998.

- SAUVAGET (J), *Introduction à l'histoire de l'Orient musulman,* Edit Paris, 1961.
- SERJEANT (R. B.), «'Ukhdud» in *B.S.O.A.S.* 22. 1959, pp. 572-573.
Sana^ca. An Arabian Islamic city, Edition Londres. 1982.
- SHABAN (A), *Islamic History, A new interpretation,* J, Cambridge. 1971.
- SHOUFANY (E), *Al-Riddah and the Muslim conquest of Arabia,* Toranto. 1972.
- SMITH (5) «Events in Arabica in the 6 th century A. D. «, in *B.S.O.A.S.* XV. 1954. pp. 425-468.
- TUCHSCHERER (R), «Présentation de la République Arabe du Yaman» in BONNENFANT (P). *La Péninsule Arabique.* II. pp. 3-15
- VADET (J. C.), «L'acculturation des sud-arabiques de Fustât au lendemain de la conquête arabe» in *B.E.O.,* Tome XXII, 1969, Damas, pp. 7-14.
- VECCIA VAGLIERI (L), «L'Imamato ibadita dell'Omano» in *I.U. Naples, Annali Nuova,* Série. Vol. III. 1945. pp. 245-282.
-WATT(M), *Mahomet à Médine,* Paris, 1978.
- WEPF (R), *Le Yaman pays de la Reine de Saba',* Edit Berne, 1967.
- WILSON (R.T.O.), *The investigation. collection and évaluation of geographical materiel in Yamani texts for the mapping of historical north-west Yaman,* Cambridge, 1980.
- ZAMBAUR (E.V.), *Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam.* Hanovre, 1927. Réédition 1958.

الملاحق

الباب الأوّل

اليمن قبل الإسلام

1- التسلسل التاريخي لأباطرة بيزنطة وفارس.

2- التسلسل التاريخي العامّ لأحداث القرن السادس.

3- التسلسل التاريخي لأحداث القرن السادس حسب س. سميث (S. Smith)

4- التسلسل التاريخي لأحداث القرن السادس حسب ج. ركمانسJ. Ryckmans

5- قائمة مرازبة اليمن الفرس.

وثيقة عدد1.

التسلسل التاريخي لأباطرة بيزنطة وفارس

الأباطرة البيزنطيون		الأباطرة الساسانيون	
أنستاز	518-491	قباذ الأول	531-488
جستين الأول	527-518	كسرى أنو شروان	579-531
جستنيان	565-527	هرمزد VI	590-579
جستين الثاني	578-565	كسرى II برويز	628-590
تيبار	582-578	قباذ الثاني	628
موريس	602-582	أردشير III	630-628
فوكاس	610-602	أوصياء علي العرش لمدة قصيرة	632-630
هرقل	641-610	يزدجرد	651-632
أوستروفرسكي G. Ostrogorsky، تاريخ الدولة البيزنطية، باريس، 1968.		كريستنسن Christensen، إيران في عهد بني ساسان، كوبنهاقن، 1936.	

الوثيقة عدد 2

التسلسل التاريخي العامّ للقرن السادس ميلادي

التاريخ	فارس	بيزنطة	لخميو الحيرة	غساسنة الشام	أثيوبيا	اليمن
أواخر القرن الخامس	488: تولّي قباذ I الحكم	491: تولّي انستاز الحكم	494: المنذر II			496: مرثد إلن ينوف ملك حمير
النصف الأول من القرن السادس	531: كسرى I أنو شروان	518: جستين I 527: جستنيان	500: النعمان II 505: المنذر III 529: الحارث بن عمرو	527: الحارث بن جبلة	536: موت إلاّ أشيبا	522-523: تولّي يوسف ذي نواس الحكم 524: أضطهاد نصارى نجران 525: موت يوسف. وتنصيب السميفع. 530: أبرهة
النصف الثاني من القرن السادس	579: هرمزد IV 590: كسرىII أبرويز	565: جستين II 578: تيبار 582: موريس	554: عمرو بن هند 569: قابوس 580: المنذر VI 583: النعمان III	569: المنذر بن الحارث 582: النعمان بن المنذر 583: حجر بن عمرو		570: الحملة على الكعبة 573: مسروق 576: وهرز ونهاية حكم الأثيوبيين الاحتلال الفارسي
القرن السابع	628: قباذ II	602: فوكاس 610: هرقل	605: إياس بن قبيعة 614: نهاية حكم اللخميين	614: جبلة بن الأيهم 636: نهاية حكم الغساسنة		628: اعتناق باذان الإسلام

الوثيقة عدد 3.

التسلسل التاريخي لأحداث القرن السادس باليمن
حسب س. سميث (S. Smith)

118: بداية السَنَة السبَئيّة.
496: مَرْثَد إِلَنْ يَنُوف، ملك حِمْيَر.
513: وصول الكوشيّين لأوّل مرّة إلى حِمْيَر.
الحرب بين مَعْدِي كَرِب يَعْفُر وتحالف متكوّن من بني تَغْلبة وملك الحِيرة المنذَر الثالث (494 – 529).
515: حملة يوسف أشْعر ملك حِمير على الأحباش في ظَفَار والمُخَا ونجران.
523: اضطهاد يوسف لنصارى نجران للمرّة الثانية.
525: وفاة يوسف وغزو الأثيوبيّين لليمن.
526: النجاشي إِلاّ أَشـبيَا يعيّن السُـمَيْفَع ملكا على اليمن ونائبين حَبَشيَّيْن في البرلمان مساعديْن له.
531: جُسْتِنيان يرسل سفارات إلى إلاّ أَشبيَا وإلى السُمَيْفَع.
533: أَبْرَهة يتولّى السلطة في اليمن.
534: حَمْلات إلاّ أَشبيَا على أَبْرَها حسب بروكوب.
536: وفاة إلاّ أَشبيَا واعتراف خَلَفِه بأَبْرَهة حاكما على اليمن.
544: سفارات تُرسل إلى أَبْرَهة حسب بروكوب.
حملة أبْرهة على قبيلة مَعَدّ.
554: أبو مُرّة يستنجد بكسرى ضدّ أبرَهة.
569 – 570: عام الفيل.
- موت أَبْرَهة.
- موت عبد الله بن عبد المطّلب والد الرسول.
- ولادة محمّد (ص).
570: يَكْسوم ملكا على اليمن.
572: مسروق ملكا على اليمن.
- سفر معدي كرِب بن سيف أبي مُرّة إلى فارس.
- الحرب بين جُسْتين II وكسرى I
575: وَهْرِز في حضرموت.

- موت مسروق ملك اليمن ونهاية الاحتلال الأثيوبيّ.
- تتويج مَعْدي كِرب ملكا على اليمن.

577: مقتل معدي كرب من طرف الأثيوبيين. رجوع وهرز من فارس واحتلال اليمن إلى حين دخولها في الإسلام سنة 628

وثيقة عدد 4

التسلسل التاريخي باليمن في القرن السادس

حسب ج. ريكمانس (J. RYCKMANS)

109 : بداية العهد السبَئيّ.
522 : معْدي كرِب يعفر يَشُنُّ حملة على قبيلة معدّ في وسط الجزيرة العربيّة.
522 – 523 : جلوس يوسف ذي نُواس على العرش.
523 : الحملة الأثيوبيّة الأولى على اليمن والانسحاب قبل رياح أكتوبر الموسميّة مع الإبقاء على حامية في ظَفار وعلى ساحل البحر الأحمر.
523 – 524 : هجوم حِميَريّ على ظَفار ضد المسيحيّين والأثيوبيّين.
524 : غزوة اليمن الثانية : تدمير المُخَا واحتلال مواضع أخرى مُحَصَّنَة.

مارس – أفريل: شَرَاحيل ذو يَزَن (مُعاون الملك يوسف) يُعطِّل شمال نجران.
جويلية – سبتمبر: التهديدات الموجّهة إلى نجران تزداد وضوحا.
الملك يُحصّن الساحل وباب المندب محميّ بسلسلة من الحصون.
نوفمبر: يوسف يلتحق بمُعاون شَرَاحِيل في نجران حيث يضطهد المسيحيّين.

524 – 525 : نَجَاشي أثيوبيا يُعدّ أسطولا للغزو في الشتاء والربيع.
525 : ماي: انطلاق الحملة الأثيوبيّة الثانية. وفاة ذي نُواس. تنصيب سُمَيَفَع أَشْوَع.
530 : عزل سُمَيْفَع وموته. استيلاء أَبْرهة على السلطة في اليمن.
حملة انتقاميّة أولى يقوم بها نجاشي أثيوبيا على أبْرهة.
531 : حملة انتقاميّة ثانية يقوم بها نجاشي أثيوبيا إِلاّ أشيبَا.
خريف: نهاية أشغال الدفاع في مويت.
548 : خريف: وصول سفراء ستّة بلدان منها أثيوبيا إلى مَأْرب بعد انخفاض حدّة التوتّر بين فارس وبيزنطة (540 – 546).
549 : انتهاء أشغال إصلاح سدّ مأْرب وتحرير نقيشة باسم أَبْرهة.
553 : أبْرهة يتحوّل إلى المُرَيْغمِ إثر حملته الرابعة على قبيلة معدّ.

الوثيقة عدد 5

قائمة المَرازبة الفرس باليمن حسب المصادر العربية

ابن اسحاق (1)	ابن هشام (2)	المسعودي (3)	حمزة الإصفهاني (4)	القَلْقَشَنْدِي (5)	مصادر مختلفة
وَهرِز	وَهرِز (توفي قبل 579)	وَهرِز	وَهرِز: خُرَّزاد بن نَرْسي	وَهرِز	وَهرِز
		النُّشجان بن وَهرِز			الدينَوَريّ، الأخبار الطِوَال، ص 64.
المَرْزُبان بن وَهرِز	وَيْن أو زَرين (أسوار) عَزله هُرْمزد IV	سُبْخان أو سَيْحان	وَلشَجان	المرزُبان بن وَهرِز	
البَيْنَجان بن المَرْزُبان	المـرُوزَان (أرجعه كسرى II إلى فارس)	خرّة زاد (6 أشهر)	خرزدَان شهر النُّشجان	خـود خُسـرَى بـن سَيْحان بن المَرْزُبان	الجاحظ، رسائل، II، ص 290
خُرَّة خُسْرو بـن البَيْنجان، عزله كسرى I	خُرَّخُسرو؛ عزله كسرى II	ابنُ لِسُبْحان	المَرْوَزان		
باذان (اعتنق الإسلام)	باذان	المَرْوَزان (من سُلالة ملكيّة)	خُرَّة خُسْرو بن المَرْوزان		
		خُرَّة خُسْرو (مولود باليمن)	باذان بن ساسان الجَروري أو باذان بن مَهران	باذان	باذان
		بـاذان بـن ساسـان (دخل في الإسلام)	دَاذَوَيْه بن هُرْمُز بن فيروز (ابن أخ باذان)		الدينَوَرِيّ، ن.م، ص 64؛ ابن قتيبة، المعارف، ص278؛ الأغاني، XVII، ص 238-240؛ العقد الفريد، V، 224
(1). انظر الطـبري، تاريخ II، 148. ابـن هشـام، السيرة، I، 46.	(2) الطـبري، تاريخ، II، 215؛ الكامل، I، 451	(3). المسعودي، مُروج الذهب، II، 210 وما بعدها	(4). حمزة الإصفهاني، تاريخ، I، 139	(5). القَلْقَشَنْدي، صُبْح الأعْشى، V، 25	

الباب الثاني

اليمن في عهد الرسول محمّد

6- تعاليم الرسول إلى عمرو بن حزم والي اليمن.

7- جدول الوفود حسب المصادر العربيّة.

8- جدول أنساب القبائل القحطانيّة.

9- جدول أنساب همدان.

10- جدول أنساب حِمير.

11- جدول أنساب باجلة وخثعم.

12- جدول أنساب مَذْحِج.

13- جدول أنساب الأزد.

14- جدول أنساب كندة.

15- جدول أنساب خَوْلان العالية (خوْلان اليمن).

وثيقة عدد6

تعاليم الرسول إلى عمرو بن حزم

كتب إلى أهل اليمن بكتاب الفرائض والسنن والديات وبعثه مع عمرو بن حزم فقرأه على أهل اليمن.

وقد كان بعث رسول الله صلعم إلى بني الحارث بن كعب بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن حزم ليفقّههم في الدين ويعلّمهم السنّة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم الصدقات. وكتب له كتابا عهد فيه عهده وأمره فيه أمره:

بسم الله الرحمان الرحيم

1-هذا البيان من الله ورسوله، «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود». عهد محمّد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن.

2- أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتفقوا والذين هم محسنون.

3- وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله.

4- وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلّم الناس القرآن ويفقّههم فيه وينْهى الناس فلا يمسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر.

5- ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم.

6- ويلين للناس في الحقّ ويشتدّ عليهم في الظلم فإنّ الله كره الظلم ونهى عنه فقال: «ألا لعنة الله على الظالمين».

7- ويبشّر الناس بالجنّة وبعملها، وينذر الناس بالنار وعملها.

8- ويستأنف الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلّم الناس معالم الحجّ وسنّته وفريضته وما أمره الله به، والحجّ الأكبر الحجّ الأكبر، والحج الأصغر هو العمرة.

9- وينهى الناس أن يصلّي أحد في ثوب واحد صغير، إلاّ أن يكون ثوبا يثني طرفيه على عاتقيه[1]. وينهى أن يحتبى أحد في ثوب يفضي بفرجه إلى السماء.

10- وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه.

---

1 - العاتق معروف وهما عاتقان: أعلا الكتف.

11- وينهى إذا كان بين الناس هيج[1] عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له. فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر، فليقطفوا بالسيف حتى يكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له.

12- ويأمر الناس بإسباغ الوضوء: وجوههم وأيديهم إلى المرافق، وأرجلهم إلى الكعبين، ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله.

13- وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والخشوع. يغسل بالصبح ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة، والمغرب حين يقبل الليل، ولا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل.

14- وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرواح إليها.

15- وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله.

16- وما كتب على المؤمنين في الصدقة: من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء. وعلى ما سقى الغرب نصف العشر.

17- وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عشرين أربع شياة.

18- وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع: جذع أو جذعة.

19- وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة.

20- فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له.

21- وإنه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ إسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم. ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يردّ عنها. وعلى كل حالم -ذكر أو أنثى، حرّ أو عبد- دينار واف أو عوضه ثيابا.

22- فمن أدّى ذلك فإنّ له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منع ذلك فإنّه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا.

إسماعيل الأكوَع، وثائق، ص 100- 102،

محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، ن. م، ص 206-209

---

1 - الهيج: الشر.

الوثيقة عدد 7

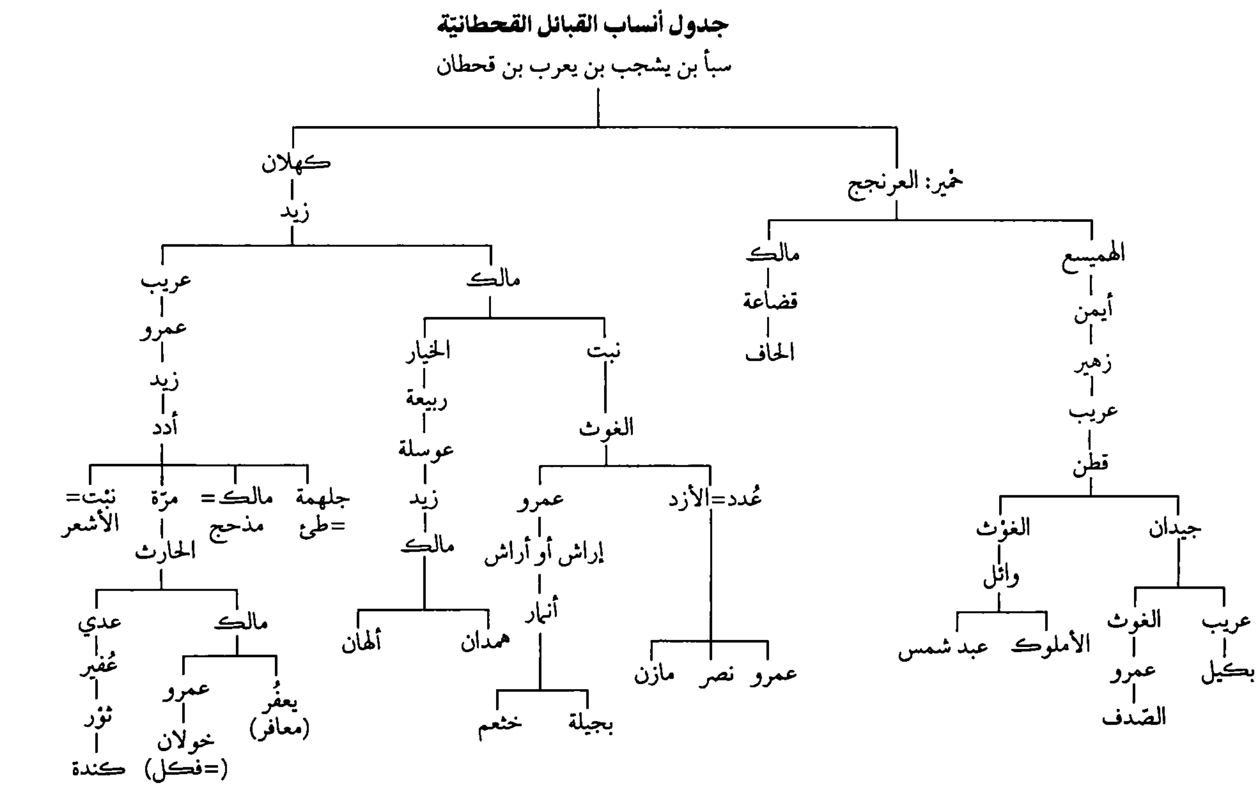
جدول الوفود

حسب المصادر العربيّة

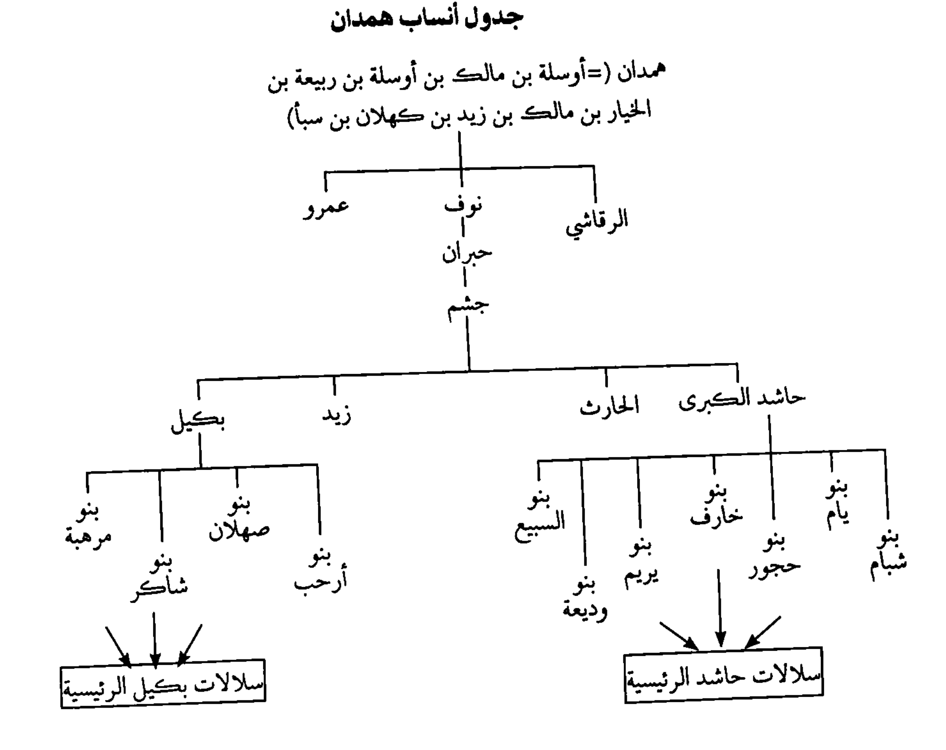
القبائل العربية	ابن هشام (المتوفّى سنة 812/218)	ابن سعد (المتوفّى سنة 845/230)	اليعقوبي (المتوفّى سنة 905/292)	الطبري (المتوفّى سنة 922/310)	ابن الأثير (المتوفّى سنة 1233/630)	الدياربكري (القرن 10/ق16)
قبائل الشمال:	(	28	(	(	(	(
-مضر	(6	23	(17	(9	(12	(16
-ربيعة	(	5	(	(	(	(
قبائل الجنوب:	7	44	14	20	(	(
-باليمن		28	10	14	(15	(25
-خارج اليمن		16	4	6	(	(
مجموع القبائل	13 وفدا	72 وفدا	31 وفدا	29 وفدا	27 وفدا	41 وفدا

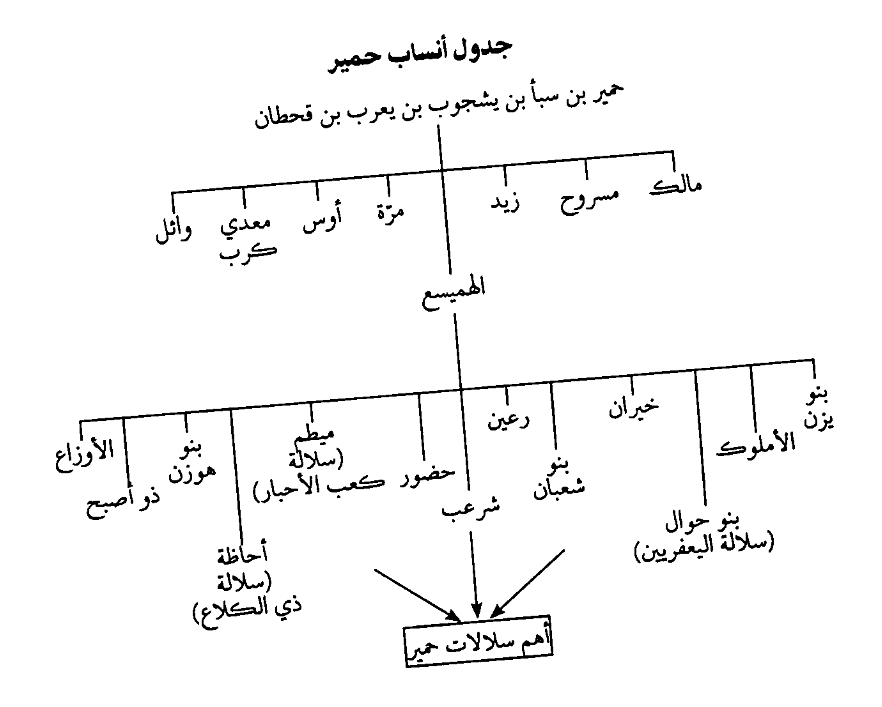
الوثيقة عدد 8

جدول أنساب القبائل القحطانية



الوثيقة عدد 9

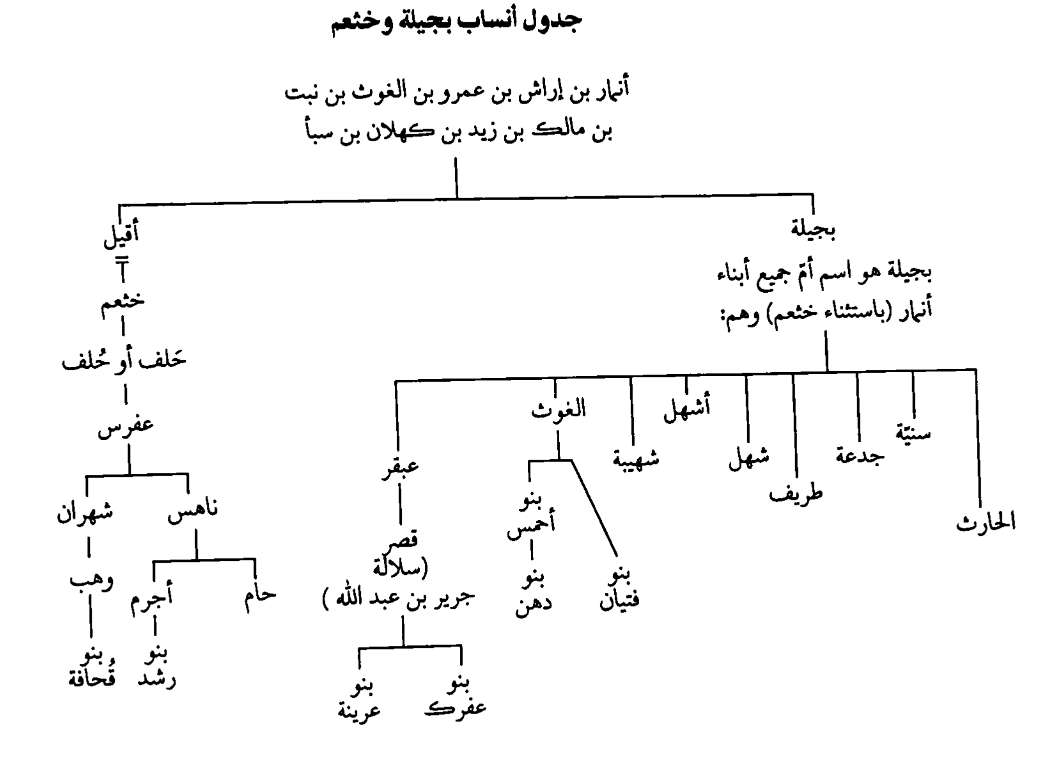




جدول أنساب حمير
حمير بن سبأ بن يشجوب بن يعرب بن قحطان
مالك
مسروح
زيد
مرّة
أوس
معدي كرب
وائل
الهميسع
بنو يزن
الأملوك
بنو حوال (سلالة اليعفريين)
خيران
بنو شعبان
رعين
شرعب
حضور
كعب الأحبار
ميطم (سلالة
أحاظة (سلالة ذي الكلاع)
بنو هوزن
ذو أصبح
الأوزاع
أهم سلالات حمير

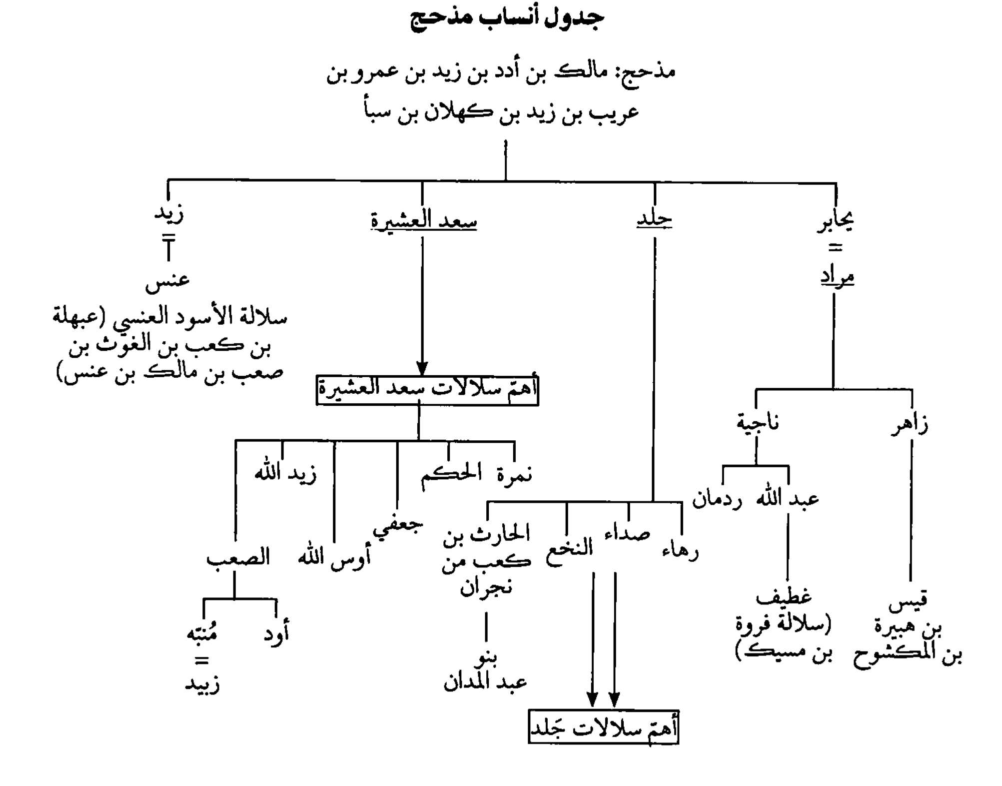
الوثيقة عدد 11

جدول أنساب بجيلة وخثعم



الوثيقة عدد 12

جدول أنساب مذحج

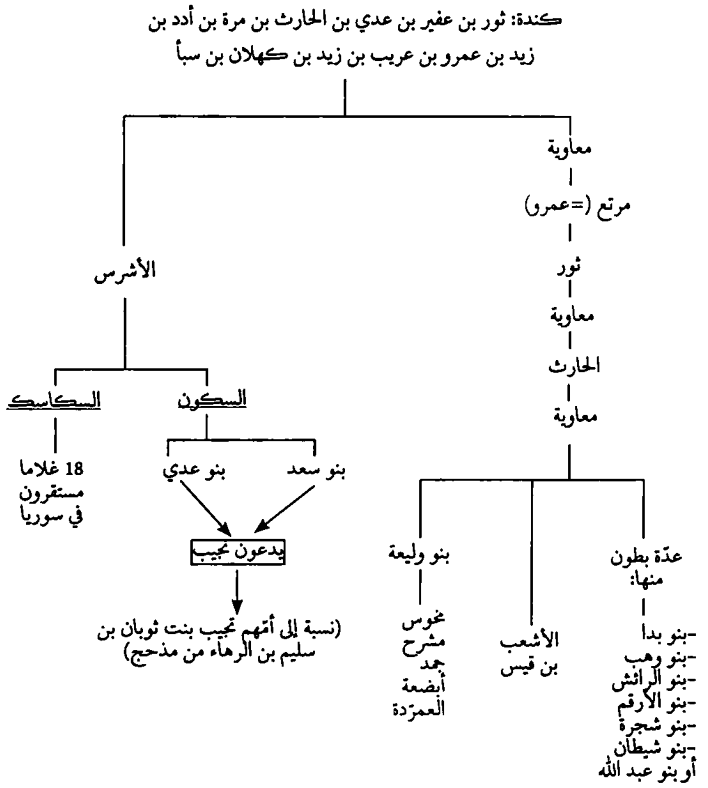


الوثيقة عدد 13

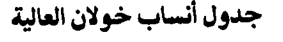
جدول أنساب الأزد

الأزد: أدد بن الغوث بن نبت بن مالك بن
زيد بن كهلان بن سبأ

الوثيقة عدد 14

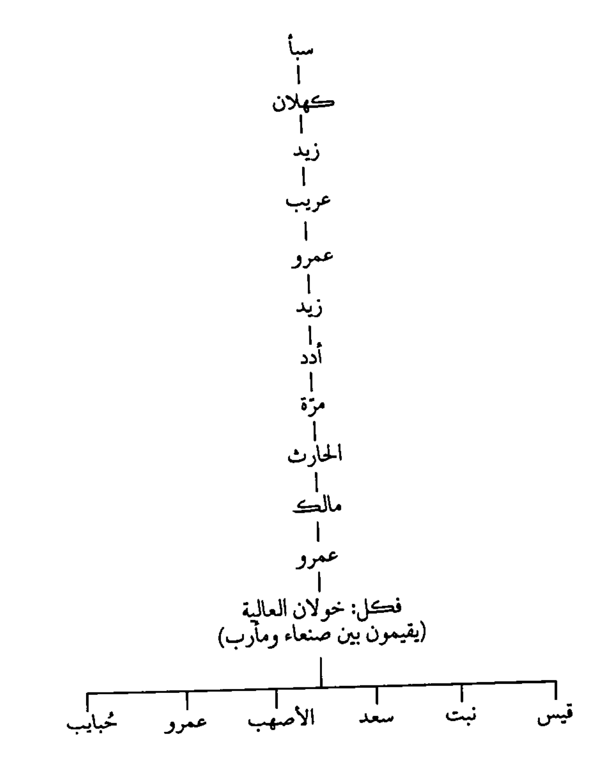


الوثيقة عدد 15



جدول أنساب خولان العالية

يدعون خولان اليمن خلافا لخولان الشام (خولان قضاعة)



الباب الثالث
من الردّة إلى الفتنة

16- جدول أنساب سُلالات كندة

17- ملوك كندة المُتوجون

18- قائمة قواد الكراديس الإسلامية في معركة اليرموك (سوريا)

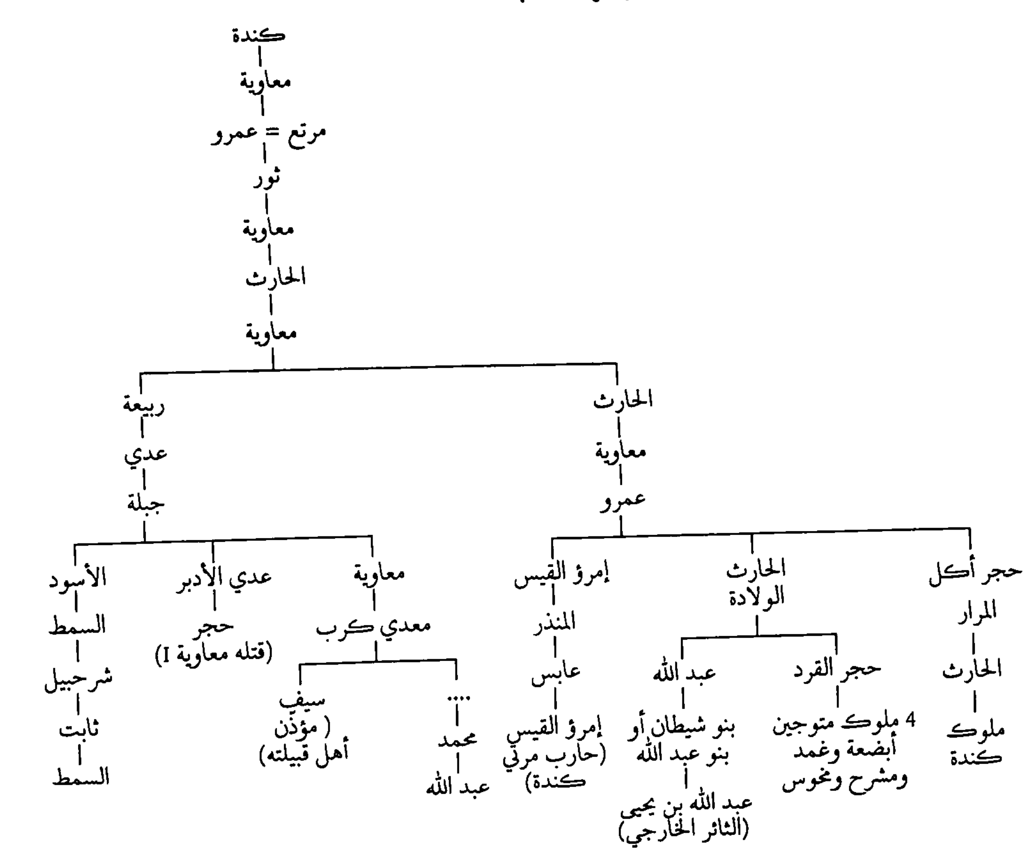
19- قائمة أعداد الجنود في معركة القادسية

20- قائمة اليمنيّين الذين شاركوا في فتح مصر حسب ابن ماكولا

21-يمنيو الأمصار ومراحل الفتنة الأولى

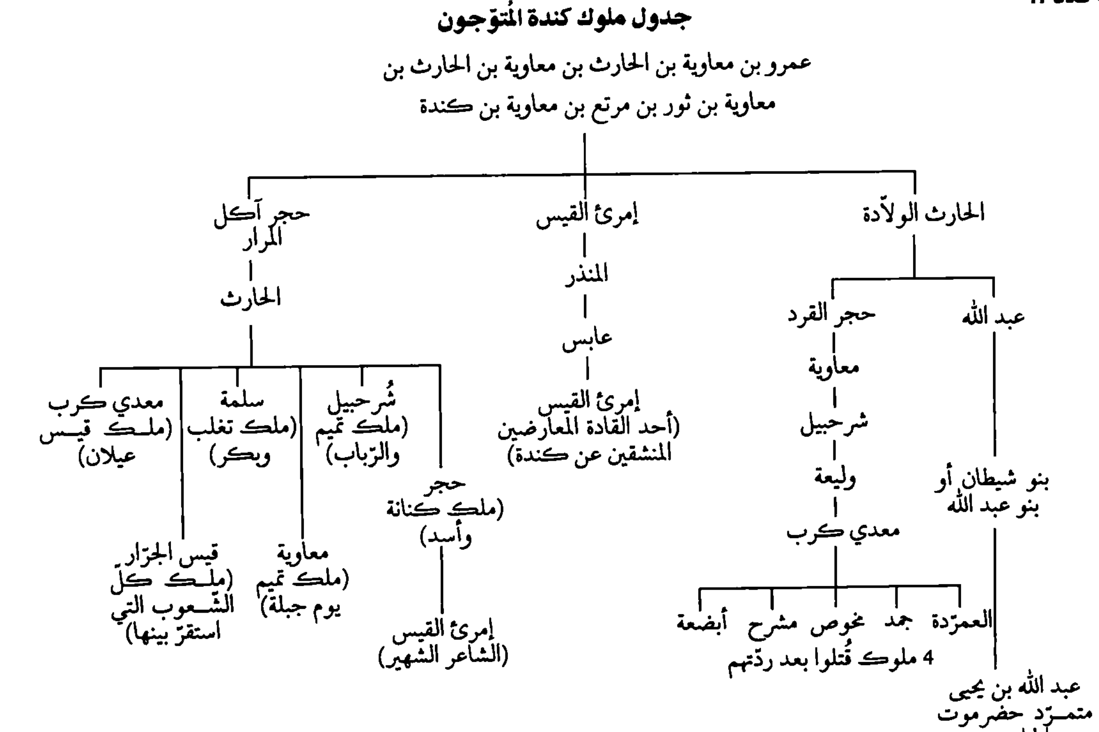
الوثيقة عدد 16

جدول أنساب سلالات كندة



الوثيقة عدد 17

جدول ملوك كندة المُتوّجون



وثيقة عدد18

قائمة قواد الكراديس الإسلاميّة في معركة اليرموك (سوريا)

أ- هناك قبل كلّ شيء ستّة كراديس تضمّ عراقيّين يقودهم القواد القيْسيّون الآتية أسماؤهم:

1-القعقاع بن عمر التميميّ.
2-مذعور بن عَدِي العجلي.
3-عياض بن غَنْم الفهريّ.
4-هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الزهريّ.
5-زياد بن حنظلة.
6-خالد (هو على الأرجح ابن الوليد المخزوميّ).

ب- ثم 12 كَرْدُوسا متكوّنا أساسا ممّا بقي من جُيوش خالد بن سعيد بن العاص التي أباد القسم الأكبر منهم قوادٌ أغلبهم من قيْس وقريش، وهذه أسماؤهم:

1- دِحْية بن خليفة الكلبيّ.
2- امرؤ القيس (؟).
3- يزيد بن يُحَنِّس.
4- أبو عُبيدة.
5- عكرمة (ابن أبي جهْل المخزوميّ).
6- سهيْل بن عمْرو (من قريش).
7- عبد الرحمان بن خالد بن الوليد المخزوميّ (وهو يومئذ ابن ثمانيَ عشرة سنة).
8- حبيب بن مسلمة الفهريّ.
9- صفوان بن أميّة.
10- أبو الأعْور السُلَمِيّ.
11- سعيد بن خالد (أمويّ).
12- ابن ذي الخِمار.

ج- عشرة كراديس في المَيْمَنة، بقيادة القواد الآتي ذكرهم: 6 منهم قيْسيّون و4 يَمَنيّون:

1- عُمارة بن مُخشّى بن خُوَيْلد.
2- شُرَحيل (بن حَسَنة) ومعه خالد بن سعيد.

3- عبد الله بن قيْس.
4- عمرو بن عَبَسَة.
5- السمْط بن الأسود الكنديّ.
6- ذو الكَلاع الحِمْيريّ.
7- معاوية بن حُدَيْج (السكونيّ).
8- جُنْدب بن عمرو بن حُمَمَة الدوْسيّ.
9- عمرو بن فلان (؟).
10- لقيط بن عبد القيس بن بَجَرَة (حليف لبني ظَفَر من بني فَزَارة).

د- وأخيرا عَشرة كراديس على المَيْسرة أغلب قوادها قيسيّون باستثناء يمنيّ واحد

1- يزيد بن أبي سفيان.
2- الزبير.
3- حَوْشَب ذو ظُلَيْم.
4- قيس بن عمرو بن زيْد بن عوْف بن مبذول بن مازن بن صَعْصعة (من قبيلة هَوَازِن)، حليف لبنى النجّار.
5- عِصْمة بن عبد الله، حليف لبني النجّار من بني أسد.
6- ضرار بن الأزْوَر.
7- مسرور بن فلان (الأرجح من عبْس).
8- عتْبة بن ربيعة بن بهْز حليف لبني عِصْمَة.
9- جارية بن عبد الله الأشجَعيّ حليف لبني سَلِمَة.
10- قَبَاث (بن أشْيَم الكيلاني، على الأرْجح).

رواية لسيف بن عُمر

(الطبري، تاريخ، III، 396)

الوثيقة عدد 19

جدول عدد جنود القادسيّة

ربيعة:

أ) 8000 رجل منهم:

- 6000 من بكر بن وائل (ذُهْل وشيبان وعِجْل).
- 2000 من قبائل مختلفة (عبد القيس ونَمِر وإِياد وتغْلب).

وهم جنود المُثَنى إثر معركة بُوَيْب.

ب) جزء من خمسة آلاف رجل الذين أرسلوا كتعزيزات من سوريا بقيادة هاشم بن عُتْبَة.

مُضر :

أ) - 11000 رجل منهم:

- 4000 قيسيّ (هلال وغَطَفَان وسُلَيْم وثَقِيف).
- 4000 تميمي ومتحالفين معهم (ربَاب وزيْد مَنَاة وضَبَّة).
- 3000 أسَدِيّ (بنو الحارث بن ثعْلَبة).

ب) جزء من خمسة آلاف رجل الذين أرسلهم أبو عُبَيْدَة.

مهاجرون وحلفاء:

- 70 بدريّا.
- 300 صحابيّ تعهّدوا بالمشاركة منذ بيعة الرضوان.
- 700 شاركوا في فتْح مكّة.
- 700 من أبناء الصحابة.

اليمنيّون

أ) - يمنيّون من أصل يمنيّ:

- 1300 من مَذْحِج موزّعون إلى ثلاث فرق:
  * مُنَبّه
  * جُعْفِي وحُلَفَاؤُهم (جَزْء وزُبَيْد وأنَس الله).
  * جَنَب ومُسْلِيَة وصُداء (300 رجل).
- 700 من النَخَع.
- 600 من الصَدِف وحضرموت.
- 400 من السَكُون.

- 2000 أو 1000 من همْدان.
- 400 من مُراد.

ب- يَمَنيّون من التخوم:

- 700 من أزْد السراة (بارِق وألْمَع وغامِد)، ومن كنانة.
عدد غير محدّد من خَثْعَم.
- 2000 من بَجِيلة.
- 1000 رجل أرسلهم أبو عبيدة كتعزيزات مع خمسة آلاف مُضري سبق ذكرهم.

ج- يمنيّون مهاجرون

- 2000 رجل من طَيّ وقُضَاعَة.

المجموع:

ربيعة:	24000 رجل
الأنصار والمهاجرون:	1770 رجل
يمنيّون من أصل يمنّي:	7100 رجل
يمنيّون من التخوم والشتات:	5700 رجل

المجموع العام	38570 رجلا

وثيقة عدد 20

قائمة اليمنيّين الذين شاركوا في فتح مصر

حسب ابن مَاكُولا

حِمْير: 33 منهم 20 من رُعْين، 3 من المَعافِر، 4 من ذي الكلاع، الخ....

- أبو كرب حسّان بن كريب... بن رُعَيْن الرُعَينيّ.
- حَبْران المَسمّى جيشان بن نائل بن رَعيْن الرعيْنيّ.
- حيّ بن عَائِض بن بَحير بن زُكَيْر بن ذِهل بن الأحْنس بن الحسين الرعيْنيّ.
- عبد الله بن مالك بن أبي الأسهم... بن رُعَيْن الجيْشَاني.
- عتبة بن عمرو بن صالح بن ذَبْحان الرعيْني الذبْحانيّ.
- عبد الله بن شَفاع بن رُقاع الرعيْنيّ العِبْليّ.
- عَبيد بن عمرو بن صالح الرعيْني الذبْحانيّ.
- شَفيع بن حيّ بن مَوْهِب بن بحر بن بَحِير... بن الأحْنس الرعيْنيّ.
- إخوتُه زُرارة ومُرْشدِ وهيْثمة بن حيّ... الرعيْنيّ.
- يغفُر بن عَريب بن عبد كِلال الرعيْنيّ الطَحَاوِيّ.
- عَبيد بن نِمران الرُعيني القَبْضيّ.
- جَنَب بن مُرْثِد بن زيْد أبو هَانِئ الرعيْني.
- زرْعة بن قُرّة وأخوه نِمران بن قرّة... الرعيْنيّ.
- ثَواب بن سرِد بن قَزَبَة بن سَلْمى بن... يافِع اليافِعيّ (من رُعَيْن).
- دِرْع بن يَشكِن اليافعي (من رُعيْن).
- مُبْرِح بن شهاب بن الحارث بن... رُعيْن الرعيْني اليافِعيّ.
- شُرَيْح اليافِعيّ (من رعيْن).
- حسّان بن أَسْعد الحَجْريّ (من رُعَيْن)
- حَيْول بن نَاشرة بن عبْد بن عامِر بن أَيْم بن الحارث الكَنْعِيّ المعافِريّ.
- صَمِل بن عوْف المَعافريّ الخُلَيْفيّ أبو عُبادة.
- ضَخِر بن العامِر المَعَافريّ الناشريّ
- حجّاج بن خَلي السُلَفِيّ (من ذي الكلاع).
- خَلي بن مَعْدِيَ كرب وأخوه خُولي بن مَعدي كرِب السُلَفِيّ.
- صَخِر بن بُهشُم بن أَوْرَد الأَصْبَحِيّ السَحُولِيّ (من ذي الكَلاع).
- سُمَيْفع بن وَعْلة بن يُعفُر السَبَئِيّ.

- تُوبه بن زُرعة بن نَمِر بن شحبي البَتي.
- أنْعَم بن دَرِ بن يَحْمِد الشعبانيّ.
- شُعْبة الشعبانيّ.
- سليمان مولى سبأ آل خليل أبو الأرقم.

كِندة: 16 منهم 15 من عشيرة تُجِيب.

- عقبة بن بَجَرة بن حارثة بن قَتِيرة التجيبيّ.
- عمرو بن جارية التجيبيّ العَارِفيّ.
- حَيَوَة بن مُرثِدِ التجيبيّ العَبْذَوِيّ.
- خِيار بن مُرثَد التجيبيّ العَبْذَوِيّ.
- حسّان بن عتاهية بن خَزَر بن سعد بن معاوية التُجيبيّ.
- زيادة بن حُناطة بن سيف التُجيبيّ (من بني خَلاَوَة).
- خَيْطمة بن خَيْوان التُجيبيّ السوميّ (من بني سوم بن عَدِيّ).
- حارثة بن كلثوم بن حُبَاشة التُجيبيّ، شقيق قَيْسَبة السوميّ.
- رابح بن عمرو التُجِيبيّ (من عشيرة بني عَضَع بن سعْد).
- رومان بن سودان التُجيبيّ العَبْذ عَانيّ (قاتل عثمان).
- سَلَمة بن مَخْرَمة بن سَلَمة بن عبد العزيز بن عمرو التُجيبيّ الزميليّ.
- شُرَيْح بن زياد بن الأصَمّ التُجيبيّ الزميليّ (من بني زَميلة).
- شعْثَم بن حيّان التجيبيّ.
- عُمَيْرة بن أبْدع التجيبيّ.
- شريك بن أبي الأغْفل بن سَلَمة بن... سُوم التجيبيّ السوميّ.
- غَرَفة بن الحارث أبو الحارث الكِنديّ.

خَوْلان قُضاعة: 11.

- عبد الله بن أسِيد الخوْلانيّ الجُدَاديّ (من عشيرة آل جُداديّ).
- الحارث بن عامر بن عَقيل بن... مالك بن خوْلان الخوْلانيّ.
- حيّ بن يزيد الخوْلانيّ (من بني عبد الجَعْل).
- زُبيد بن عبْد الخوْلانيّ (من بني يَعْلى).
- زُبيد بن سَلَمة بن الحارث بن المِشْكميّ الخولانيّ الحُضَادِيّ (من عشيرة أُخْدود).
- عبد الله بن شَمْران الخوْلاني الحَيَاوِيّ.
- زياد بن مُرِيح الخولانيّ

- عبد الرحمان مُريح الخولانيّ.
- مُريح بن حَجيّة.
- عُمَيْرة بن سَلْمة بن الحارث الخولانيّ.

الأزد: 9

- علْقمة بن جُنادة بن عبد الله بن قيْس الأزدي الحَجَريّ.
- سُبَيْع الحَجَريّ (من حَجَر، عشيرة من الأزْد).
- سمْعون الأزْديّ.
- سيّار بن عامِر الأزْديّ.
- بكر بن عبد الله بن سَهَار الغافقيّ (من عشيرة غافِق من الأزد).
- عُبَيْدة بن عبد الله الأزْديّ الحجَريّ.
- حَجَلَة بن أفْلح بن قيْس بن عَزْعَرة بن لِغسّان بن غافِق بن عك الأزديّ.
- ابناه عبد الرحمان وعبد الله ابنا حَجَلة.

حَضرموت: 7 منهم 4 من الصَدِف.

- جواد بن عمرو الصدَفِيّ العَريفيّ.
- جَعْشَم بن خَليبة بن مَوْهِب بن جَعْشَم بن حَرِم (من الصدِف).
- سُخرور بن مالك الحضْرميّ.
- شُرَيْح بن عُبَيد الصوفيّ الأجْذَميّ (من الصدِف).
- ربيعة بن عبْدان بن ربيعة ذي العَرْف بن وائل ذي طَواف الحضْرميّ.
- ربيعة بن عبْدان بن ربيعة الكبير بن عبدان بن مالك بن زيْد بِن ربيعة الحضْرميّ.
- جُنْدُل بن يزيد بن ثُمامة بن عَمود الصَدَفِيّ العارِفيّ (من بني أبْضَعة).

مَذْحِج: 5 من مُراد (4) ومن زُبيْد (1).

- زياد بن جَزْء بن مُخَارِق الزُبَيْديّ.
- أزْهر بن يزيد بن عبد يَغوث بن جزْء المراديّ الغُطَيْفِيّ.
- عُزوة بن عبد الله بن ثَعْلَبة المرادي الجَمَليّ
- عبد الله بن مُرّة الزَوْفِيّ (من زَوْف وهي عَشيرة من مُراد).
- عامر بن ربيعة بن عامر الغُطَيْفيّ (من مُراد).

وهكذا يكون المجموع 81 يَمنيا من النواة القديمة، ينبغي أن نضيف إليهم اليمنيّين من التخوم والشتات الآتي ذكرُهم:

لخم: 2

- ثعلبة بن أبي رقيّة اللخميّ.
- زيادة بن جُهُور بن حسّان العَمَمِيّ اللخمي.

قُضاعة: 3

- عبد الله بن عُدَيْس بن عمرو بن بَلِي بن قُضَاعة.
- شقيقه عبد الرحمان.
- جُدَيْد بن الخطّاب الكلْبيّ.

أمّا الآخرون فإنّهم أشخاص سَلِيلو عدّة قبائل: 7.

- من جُهَيْنة: أبو عبْس عُقبة بن عمرو بن عبد عبْس الجُهَنِيّ.
- من مُزَيْنة: عبد الله بن عَنْمَة المُزَنِيّ.
- من عبس: كعب بن يَسّار بن ذَنّة بن ربيعة العَبسيّ.
- من كنانة: إياس بن بكير... بن ليث بن بكر.
- من بني عَدِي: خارجة بن حُذافة العَدَويّ وعامر بن حُذيفة بن عمرو العَدَوِيّ.
- من الحمْراء: يَنَّى الحمْراويّ وابنه عبد الرحمان.
- مؤلى: الوليد بن عبدو الذي كان ابنه مولى عمرو بن العاص.

صحابة مختلفون: 6.

- عائذ بن ثعلبة بن وَبْرة البَلَوِيّ.
- حيّ الليْثيّ.
- جُذْرَة بن صَبرَ العِتقيّ.
- أبو دُرّة البلويّ.
- خالد بن عَنْبَس بن ثعلبة البلَوِيّ.
- شَبَات بن سعد البلَويّ.

وفي الختام، فإنّ هذه الأمثلة دليل قاطع على تفوّق اليمنيّين العَدَديّ في الجيوش الإسلاميّة التي فتحت مصر بقيادة عمرو بن العاص.

الجملة :
- 81 يمنيّا من اليمن
- 5 يمنيّين من التخوم
- 13 يمنيّا من قبائل مختلفة

أي 99 يمنيّ في الجملة.

وثيقة عدد 21

يَمَنِيُّو الأمصار ومراحل الفتنة

شارك اليمنيّون حسب أغلبيّة المصادر[1] بأعداد غفيرة في معركة الجَمَل سواء إلى جانب عليّ أو إلى جانب الثلاثيّ عائشة وطلحة والزبير.

ففي **شقّ عليّ** الذي يضمّ حوالي اثني عشر ألف رجل، نجد إلى جانب مُضر وربيعة، يمنيّين من قبائل مَذْحِج والأشعريّين (الأمر يتعلّق بسُبُع من الكوفة بقيادة مِخْنَف بن سُلَيْم الأزدي)، وكذلك من طَيّ (مثل عَدِيّ بن حَاتِم)، وهَمْدان (ومنهم القائد الشهير يزيد بن قيس الأرْحبيّ)، وكِنْدة وحضرموت وحِمْيَر، عموما من مجموع عشائر اليمن وقبائله. ونذكر في مستوى الأسياد القبليّين بالخصوص الأشْتر النخعيّ، وسعيد بن عُبَيْد الطائي وذو الآجرا الحمْيَرِيّ.

أمّا في **شقّ عائشة وطلحة والزبير** فإننا نذكر حضور رجال من مُضر وربيعة ولكن يمنيّين أيضا وخاصة من بين الأزْد (سيّدهم كعب بن سُور)، وقُضاعة (مع قائدهم عبد الرحمان بن جابر الراسِبيّ)، ومَذْحِج (بقيادة الربيع بن زياد الحارثيّ).

وحسب تقديرات الأخباريّ سيْف بن عمر[2]، فإنّ أهل ربيعة كانوا يمثّلون نصف العدد في الشقّيْن، وأهل الكوفة حوالي الثلث. وقد انتهت المعركة التي اندلعت في 16 جمادى الثانية من سنة 36 / 9 ديسمبر 656، بموت حوالي عشرة آلاف مقاتل، بمعدّل خمسة آلاف في كلّ من الشقّيْن. ويبدو أن عدد الضحايا اليمنيّين كان مرتفعا إذ بلغ ألفي أزْديّ وخمسمائة من قبائل يمنيّة مختلفة[3].

وفي معركة صِفّين[4] التي دامت عدّة أيّام (صفر 37 / جويلية – أوت 657) وشارك فيها عدد من الجنود أكبر بكثير (حوالي ثمانين ألف رجل في شقّ عليّ والأرجح ضعف ذلك في صفّ معاوية)، سجّلنا مشاركة آلاف المقاتلين اليمنيين في الشقّيْن المتنازعيْن.

---

1 – الطبريّ، **تاريخ**، 500، V وما بعدها؛ الدينَوَرِيّ، **الأخبار الطوال**، ص 144–145.
2 – الطبريّ، **تاريخ**، V، 528.
3 – ن.م، ص 539؛ المسعودي، **مُروج**، III، 95–96.
4 – انظر بخصوص صِفّين: نصر بن مُزاحِم، **وثائق صِفّين**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، الطبري، **تاريخ**، V، 5 وما بعدها.

وفي مستوى العشائر والقبائل، يمكن أن نلاحظ في الشقّيْن معا حضور أهمّ القبائل اليمنيّة المُقيمة في العراق وسوريا وفلسطين والأردن.

ففي صفّ الخليفة عليّ، كان يوجد من بين خمسة أخماس البصرة، خُمس يمنيّ وحيد، هو خُمُس الأزْد بقيادة سَهَرَة بن شيمان الأزديّ[1]؛ وفي المقابل كان يوجد من بين سبعة أسباع الكوفة، خمسةُ أسْباع متكوّنة من يمنيّين[2].

ويدقّق الدِينَوَرِيّ[3] مبيّنا أنّ هذه الأسباع الخمسة قد شاركت في المعارك الثلاث، معركة الجمل ومعركة صِفّين ومعركة النهروان، في صفّ عليّ.

فلننظر في التفاصيل: هناك سُبُعٌ يتكوّن من الأزْد، بجِيلة وخَثْعم وخُزاعة، بقيادة مِخْنَف بن سُليم الأزْدي العامّة. ويضمّ السُبُعُ الثاني أهل كِندة وحضرموت وقُضَاعة ومُهرَة بقيادة السيّد الكندي حجْر بن عَدِيّ. وكان سبعُ مَذْحِج والأشعريّين يقوده زياد بن النضر الحارثيّ. وأخيرا كان هناك بنو طَيّ بقيادة حاتِم بن عَدي، وبنو هَمْدان الذين انضمّوا إلى حِمْير بقيادة سعيد بن قيْس الأرْحبيّ الهَمْدانيّ.

وينبغي أن نلاحظ أيضا أنّه في مستوى القيادات، تخلّى القائد الكنديّ الأشْعث بن قيْس عن منصبه على رأس كندة وربيعة إلى حسّان بن مَخْدوج[4] ليتولّى، بتوصية من عليّ، قيادة مَيْمنةِ[5] مجموع الجيوش، في حين عُهِد إلى الأشْتَر النَخَعِيّ بقيادة المُقَدِّمة[6]. وقد شوهِد المراديّ قيس بن المَكْشوخ من جهته حاملا لواء بجيلة أثناء المعركة إلى غاية مقتله[7]. وأخيرا، فإنّ القائد الكبير الآخر، البجليّ جرير، فضّل الإقامة في قَرْقِيسِيا حتى لا يشارك في المعارك لا مع هذا الشقّ ولا مع ذاك. وقد يكون هذا سبب اختيار الخليفة عليّ مرتدّا سابقا ليعهد إليه بحمل راية بجيلة.

1 - نصر بن مُزاحِم، ن.م، ص 17.
2 - ن.م.
3 - الدِينَوَرِيّ، ن.م، ص 146.
4 - نصر بن مُزاحِم، ن.م، ص 137.
5 - ن.م، ص 140.
6 - ن.م، ص 156.
7 - الدِينَوَرِيّ، ن.م، ص 171. نصر بن مُزاحِم، ن.م، ص 206-207.

وقد لاحظنا وجود عدّة عناصر يمنيّة في شقّ السوريّين[1] منهم بنو كندة في دمشق بقيادة عبدالله بن جوْن السَكسَكيّ، و في حمص بقيادة يزيد بن هُبيْرة، وكذلك بنو عكّ والأشعريّون بقيادة مسروق العكّي، وبنو حمير بقيادة هانيء بن عُمير، وهمدان بالأردن بقيادة حمزة بن مالك الهمدانيّ، وخثعم صحبة قائدهم هَمَتل بن عبد الله الخثعميّ، وقضاعة بالأردن بقيادة حُبيْش بن دُلجة القيْنيّ، وبدمشق بقيادة حسّان بن بحدل الكلبيّ، وبحمص بقيادة عبّاد بن زيد. ونذكر أيضا بني لخم وبني جُذام بفلسطين صحبة قائدهم ناتل بن قيس الجُذاميّ، وكذلك بني غسّان بالأردن يقودهم يزيد بن الحارث، وأخيرا بني مذحج بالأردن يقودهم مُخارق بن الحارث الزبيْديّ.

وفي مستوى القيادات العسكريّة، ينبغي أن نشير إلى حضور القائديْن اليمنيّين ذي الكلاع الحميريّ وخوْشب بن ظُليْم الهمدانيّ، الأوّل على رأس صفّين من مجموع سبعة صفوف في الميْمنة ، والثاني يقود مشاة حمص.

أمّا بخصوص القائد الكندي شُرَحْبيل بن السمط الذي كان يعتبر زعيم «أهل الشام» في مدينة حمص ، فقد كان أيضا حاضرا إلى جانب معاوية في صِفّين بدون أيّ وظيفة خاصة[2].

تلك إذن هي مساهمة اليمنيّين في مستوى القبائل والعشائر والقادة في معركة صِفّين سواء إلى جانب عليّ أو إلى جانب معاوية والسوريّين. ودون الدخول في تفاصيل المراحل العسكريّة لهذه المعركة، فمن المعلوم أنّه إثر رفع صحائف القرآن على رؤوس الأسنّة من قِبل الجنود السوريّين، فقد عُلّقت المواجهات لإفساح المجال أمام حلّ التحكيم[3]. ويبدو أنّ جلّ الأخباريّين مجمعون على اعتبار القائد اليمنيّ الأشعث بن قيس الكنديّ هو الذي ضغط على الخليفة عليّ لإجباره على إيقاف القتال وقبول التحكيم الذي اقترحه السوريّون، وفي المقابل فإنّ القائد النخعيّ الأشتر كان مساندا للحلّ المعاكس أي مواصلة القتال إلى غاية سحق «أهل الشام» سحقا تامّا. وهناك قائد يمنيّ آخر بارز- أبو موسى الأشعريّ- قد زُجّ به في أحداث صِفّين إذ عُيّن ممثلا للخليفة عليّ وحلفائه في عمليّة التحكيم التي وقعت في أذرُح ثمّ في دُومة

1 - الدينوري، ن.م، ص 171. نصر بن مُزاحم، ن.م، ص 206-207.

2 - نصر بن مزاحم، ن.م، ص 206-207.

3 - انظر بخصوص التحكيم الطبري، **تاريخ**، V، ص 48 و ما بعدها. نصر بن مزاحم، ن.م، ص 478 وما بعدها.

الجندل (شعبان 38/جانفي 658)[1]. وإذا أضفنا إلى هذه الأمثلة الثلاثة ذات الدَلالة، أنّ قتلة الخليفة عثمان كانوا يمنيّين[2]، أدركنا الدور الأساسيّ الذي لعبه يمنيّو الأمصار على المسرح السياسيّ والعسكريّ للأمبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة في القرن الأوّل.

وهناك يمنيّون كثيرون شاركوا أيضا ينتمون إلى شقّ عليّ في القضاء على المنشقّين الخوارج في معركة النهروان (9 صفر 17/38 جويلية 658)[3]، وهم عناصر سليلة القبائل الثلاث همدان وكندة وخثعم. ولا تذكر المصادر من بين القادة اليمنيين الذين انضمّوا إلى حركة الخوارج غير شدّاد الخثعميّ[4] الذي قتل يوم النهر مع مقاتلين خوارج آخرين بعد أن كان حمل إلى جانب عليّ راية قبيلته في معركتي الجمل وصفّين.

وفي الجملة، فإنّ اليمنيّين المقيمين خارج اليمن في الكوفة والبصرة وسوريا وفلسطين والأردن، قد لعبوا الأدوار الأولى في خلافة عليّ وخاصّة في معركتي الجمل وصفّين، ودورا ثانويّا في معركة النهروان.

1 - الطبري، **تاريخ**، 67، V و ما بعدها. نصر بن مزاحم ، **ن.م**، ص 540 وما بعدها.

2 - البلاذري، **أنساب الأشراف**، 83، V.

3 - انظر بخصوص معركة النهروان الطبري، **تاريخ**، 72 و ما بعدها. ابن الأثير، **الكامل**، 337، III. الدينوريّ، ن.م، ص 205 وما بعدها.

4 - ابن الأثير، **الكامل**، 337، III.

فهرس الخرائط

فهرس الملاحق

الفهرس العامّ

جغرافيّة اليمن

الباب الأوّل

اليمن قبل الإسلام

الباب الثاني

اليمن في عصر الرّسول محمّد

الباب الثالث

من الرّدّة إلى الفتنة أو اليمن في مواجهة الإسلام ثمّ في خدمته

الفصـــل الأوّل

الفصـــل الثانـــي:

الفصل الثالث

الإنجاز الفني
المركز الوطني للترجمة - تونس

الطباعـــة:
مطبعة المغرب للنشر
15 مكرر، نهج 8602 ـ المنطقة الصناعية الشرقية 1، تونس قرطاج
الهاتف: 216 772 71 (216+) - الفاكس: 371 773 71 (216+)
البريد الالكتروني: commercial.ime@wanadoo.tn